

ثورة يوليو الأمريكية

علاقة عبد الناصر بالخبرات الأمريكية



محمد عبد الله كسار

الزعماء الإقليميون العرب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكتبة الزهراء للإعلام العربي

الزهراء للإعلام العربي
قسم النشر

ص. ب : ١٠٢ مدينة نصر - القاهرة - تليفونيا : زاهرا تليف - تليفون ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦ - تليكس ٩٤٠٢١ رالف بوان
P.O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U . N

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾

تفسيره: يا أيها الناس، يا أيها الذين آمنوا،

فإذا دعوا إلى الله وإلى رسوله فليسمعوا له،

فإن الله هو العزيز الحكيم،

فإذا دعوا إلى الله وإلى رسوله فليسمعوا له،

الزكاة من أموالهم وأولادهم وأولادهم

الطبعة الثانية

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

حقوق الطبع محفوظة

ولا يجوز طبع أى جزء من هذا الكتاب
أو تخزينه بواسطة أى نظام لحزن المعلومات
أو استرجاعها أو نقله على أية هيئة
أو بأية وسيلة سواء أكانت الكترونية
أو شرائط ممغنطة أو غير ذلك
إلا بإذن كتابى صريح من الناشر.

إهداء للإعلام العربي
قسم النشر

تمت الطبعة في شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٨ هـ الموافق ١٩٨٨ م
طبع في دار النشر - القاهرة - مصر

ثورة يوليو (الأمريكية)

علاقة عبد الناصر بالخبرات الأمريكية

محمد جلال كساب

الزعماء للإعلام العربي

تلى
القردة
الذين
دبروا
انتقامي ...

.. وقبل إن طائرا أبصر بعض القردة ، في
ليلة باردة ، غاب قمرها ، يلتسون ناراً من
براعة (وهي ذبابة مضيفة) فراح يصيح بهم :
لا تطلبوا المستحيل ، ولا تسألوا فاقد الشيء أن
يعطيه .. وهم لا يصغون إليه . ومر به ناسك
فقال له : لا تبع صوتك في نصيح من لا يتصح ،
بل من يكرهون ناصحهم ويتبعون مضليهم .

قال الطائر : بل أمرنا بإرشاد من ضل
ولو كره ..

قال الناسك : أخشى أن يصيبك منهم شر !
رد الطائر : ضلالتهم وجهلهم هي الشر
الأكبر ..

فذهب الناسك في طريقه وضاق الطائر ذرعاً
بجهلهم فتزل إليهم يئبه إلى خطأ ما يرجون
وعبث ما يستوقدون .. فأمسك كبيرهم به ودق
رأسه .. واستمر القردة ينفخون !

... وعرفت كم كانت جريمة الثورة في
 حق الإنسان المصري بشعة .. وعرفت أي
 مستنقع ألقينا فيه الشعب المصري ..
 فقد حرسته ..
 فقد كرامته ..
 فقد أرضه ..

... وتضاعفت متاعبه ...

اللواء ا . ح .
 محمد نجيب
 رئيس مجلس الثورة

... وعرفت كم كانت جريمة الثورة في
 حق الإنسان المصري بشعة .. وعرفت أي
 مستنقع ألقينا فيه الشعب المصري ..
 فقد حرسته ..
 فقد كرامته ..
 فقد أرضه ..
 ... وتضاعفت متاعبه ...
 ... وعرفت كم كانت جريمة الثورة في
 حق الإنسان المصري بشعة .. وعرفت أي
 مستنقع ألقينا فيه الشعب المصري ..
 فقد حرسته ..
 فقد كرامته ..
 فقد أرضه ..
 ... وتضاعفت متاعبه ...

خطبة الكتاب

في سنة ١٩٨١ أصدر الأستاذ هبكل كتابه « قصة السويس » ، وكان كعادته يكتب للأمين ومن ثم تعامل مع التاريخ معاملة الدجوي وصلاح نصر وحمزة البسيوني للقانون . . فلما فوجيء بأن جبلتنا لم ينقرض وأن هناك من يستطيع التصدي له بالتقيد والتفنيد . . اضطر إلى إعادة كتابة التاريخ مع التعديلات والتنقيحات اللازمة . . !!! وذلك في كتابه الذي نشر في الأهرام بعنوان « ملفات السويس » .

وهو الكتاب الذي صاحبه أكبر زفة من المتورطين والجاهلين ، ومارس فيه هبكل كل مواهبه في التزييف والتهويش . . ورغم ذلك لم يستطع أن يفند أو يرد على واقعة واحدة قدمناها في كتابي المشار إليه : « كلمتي للمغفلين » ، إلا أنه اضطر إلى تعديل الروايات التي كشفنا تزويره لها ، كما اضطر إلى تغيير أسلوب الكتاب ومنهجه فاعترف - لأول مرة - بعلاقة انقلاب بوليو بالمخابرات الأمريكية . . كما اعترف أن هذا الانقلاب كان إفرازاً للنفاق الأمريكي البريطاني . . الأمر الذي كان مستبعداً بل ومناقضاً تماماً للصورة الفاضحة التزوير التي قدمها في كتابه الأول « قصة السويس » . . ومن ثم رأيت أنه لزاماً عليّ أن أتصدى مرة أخرى لكتابه الجديد أو محاولته الجديدة لإعادة تزوير التاريخ . . فكان كتابي هذا الذي يتضمن فصولاً من كتابي السابق مع إضافات تتناول تعديلات وتنقيحات واعتذارات ملفات السويس . . وكذلك إضافات مما كشفته الوثائق التي أعلنت أو المذكرات التي نشرت بعد صدور « كلمتي للمغفلين » ، في عام ١٩٨٥ ، واخترت هذه المرة أن يكون العنوان أكثر وضوحاً وأقل سخرية . . ألا وهو : « ثورة بوليو الأمريكية » .

وكل أملنا هو دفع الجيل الجديد للتفكير . . هذا الجيل الذي يتعرض لأكبر عملية غسيل مخ وتجهيل ، عاناها جيل في تاريخنا . . ويكفي أن يطالع القاريء بعض المقارنات التي عقدناها بين روايات هيكل المختلفة للواقعة الواحدة ليرى أننا لم نذهب بعيداً عندما لقبناه بمؤلف التاريخ وليس كاتبه ، فضلاً عن أن يُسلك - حاشا لله - في قائمة المؤرخين !! ولا أننا قلنا شططاً إذا اتهمناه بالتزوير . . إذ لا يمكن أن نُصدّق مع القاريء والحقيقة وشرف المهنة لو وصفنا فعله بالتاريخ بصفة أقل من التزوير المتعمد .

فهذا كتاب للمهمومين بمصير وطنهم وأمتهم العربية ، أما إذا كنت تعتقد أن خطاب الرئيس عبد الناصر في مؤتمر باندونج ، أهم من الانتصار الإسرائيلي في حرب ١٩٥٦ . . فلا تقرأ هذا الكتاب ، وإذا كنت تعتقد أن الانتصار على الإمام البدر أهم تاريخياً ومصرياً وعربياً من انتصار إسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، ونحوها إلى الباب العالي في الشرق الأوسط ، ونحو مصر إلى دولة من الدرجة الثالثة في الشرق الأوسط . . فلا تقرأ هذا الكتاب .

فلا حاجة لك فيه ولا من أجلك قد كُتِبَ .

أما إذا كنت تعمي وتعيش خطر المواجهة المصرية العربية - الإسرائيلية ، وتدرك خطورتها ومصيريتها بالنسبة لواقع ومستقبل الأمة العربية والوطن المصري خاصة ، فلا يجوز أن يفوتك حرف مما فيه فمن أجلك كُتِبَ . . وعن هذه المواجهة كان العناية في تأليفه والمخاطرة بنشره .

أقول . . لو نجحت في أن أجعل هذا الجيل يهتم ببحث هذه القضية . . بأن تنذر حفنة منهم ، نفسها ، للبحث والاستقصاء وتجميع الأدلة وتمحيص الوقائع حول جذور الناصرية وتطورها وما تركته من آثار على تاريخنا . . لو حدث ذلك ، فسأكون قد عوضت خيراً عما بذلته من جهد وما تحمّلته لإخراج هذا الكتاب ومن قبله كتابي « كلمتي للمغفلين » . . وبشهد الله أن ليس لي أية مصلحة شخصية أو مادية في هذا الحديث ، ولكنها أمانة التاريخ وشرف الكلمة . . واستمرار الجدوة التي جعلتنا في أربعينيات هذا القرن ، نهرب من المدرسة ودفء الأسرة وأمنها ، لكي نعمل سرا وعلائية ضد النظام الملكي والاستعمار البريطاني . . في نفس الوقت الذي كان فيه مؤرخ وبياع الناصرية ، يتقلب ناعماً ما بين صحافة الانجليز والمخابرات الأمريكية ، ويحصل على جائزة الملك فاروق وثقة عبد الناصر وهو الصحفي أو الكاتب المصري ، الوحيد الذي اتهم خلال ثلاثة عقود بنهضة واحدة وهي العمل على إضعاف الروح المعنوية في مواجهة إسرائيل ! . .

أقول للشباب ، الذي يريد أن يعلم ، والذي يفرضه ما ينشر أحيانا من
حقائق ، أقول لهم ادرسوا .. وابحثوا وتحصوا .. فلا حرية ولا اختبار
بغير معرفة ، ولا معرفة بغير قراءة ، بغير الحوار الحر ..

بقي أن ننصح القاريء بالصبر ، والمراجعة ، وقراءة الملاحق أثناء قراءة
المتن ، فهي لا تقل أهمية وبعضها ضروري لفهم هذا المتن .

والله المستعان

القاهرة

فبراير ١٩٨٨

مدخل

لم يكن في خاطري الكتابة عن « عبد الناصر » في هذا الوقت ، فهذا العمل الكبير حجماً وتأثيراً يأتي على قائمة مدخل التسعينيات بإذن الله ، لعدة أسباب اقتنعت بها عند ترتيب ما أتمنى إنجازه ، وذلك في عيد ميلادي الخمسين ، عندما قررت أنه قد حان وقت التخلي عن الصحافة ، والتفرغ للعمل الفكري والتاريخي ، في شكل كتب أو نشرة محدودة التوزيع* بعيدة عن التعليق المباشر على الأحداث اليومية ، فقد كان عليّ أن أفرغ من وضع تاريخ صحيح للحركات الإسلامية ، بعيداً عن تشويهات التاريخ الصليبي - الاستعماري وكان عليّ أن أفرغ من سلسلة تاريخ مصر الحديث التي أصدرت منها كتابي عن الحملة الفرنسية ، والحركة الوطنية في السودان ، وكان عليّ أن أطرح تصوري لفكر الحركة الإسلامية المنشودة** . . . وكان المقدر أن أفرغ من ذلك كله في نهاية الثمانينات . . ثم يأتي الدور على تحليل الناصرية بعد التمهيد التاريخي لفهمها كظاهرة أو مرحلة في تاريخ مصر ، فيمكن تقييم « حركة ٢٣ يوليو » على ضوء منجزات الشعب المصري ، بل والحكومات التي سيطرت على مصر سواء في عصور الاستقلال أو الاحتلال وما استطاعت تحقيقه بفضل إمكانات مصر ولزيادة حصتها من ثروة شعب مصر . ذلك أن عنصراً أساسياً في تخطيط جيل الناصرية وحيوته ، أنه قد تعرض لعملية تجهيل مقصودة بما سبقها من قرون في تاريخ مصر بل وتاريخ العرب وربما كان هذا « التفريغ » ضرورياً لكي تبرز « المنجزات » فلم يكن أمام أبطال ليلبوت من فرصة للحوار مع « غاليفار » إلا بتقيده بالخبال وطرحه أرضاً . .

كما كان ذلك التجهيل والتشويه ضرورياً حتى يمكن سلب رجالات التاريخ المصري أفضاهم ، وحتى يجلس « أحمد فؤاد »^١ في مقعد « طلعت حرب » ويعتبر ذلك إنجازاً ثورياً ومكسباً شعبياً !! وحتى يعتبر الجيل المنثور التاريخ أن بناء سد على النيل بقرض أجنبي وخبرة أجنبية بل وتنفيذ أجنبي ودون مساهمة مصرية تذكر من الناحية التكنولوجية ، يعتبر عملاً خالداً بطولياً عجائبياً يكفي لمحو كل ما حدث من أخطاء وخطايا . . ! لأنهم لا يعرفون أن « محمد علي » مثلاً بنى « القناطر الخيرية » التي كانت في ظروفها وظروف مصر منذ ما يقرب

- نفذت ذلك فعلاً عام ١٩٨٦ بإصدار كتاب في أجزاء باسم « رسالة التوحيد » صدر منه ٤ أجزاء إلى أن رأت السلطة أنه مجلة حتى ولو كان يكتبها كلها شخص واحد وحكم علي وأولادي بالسجن ثلاثة شهور وما زالت القضية مستأنفة أمام القضاء !
- صدر منها كتابا : خواطر مسلم عن الجهاد والأقليات والأناجيل ، وكتاب المسألة الجنسية .

من مائتي سنة عملاً غارقاً « لم يأت للملوك الكبار ، وكانت نتائجها ولا تزال على جغرافية مصر واقتصاد مصر وإنسان مصر ما لا سبيل إلى مقارنته بأية أحلام معلقة على السد العالي .

بناها محمد علي قبل أن يوجد في مصر مهندس مصري واحد ! وبناها بدون أن يقترض ملياً من الخارج يرهق به ميزانية عدة أجيال لا يعلم إلا الله عددها . ولم يهتف مرة واحدة « حربي القناطر » ، ولا سجل التاريخ له خطبة واحدة حول بناء القناطر أو المؤامرة الدولية ضد بنائها . . كما لا يعرف هذا الجيل أنه في ظل الاستعمار البريطاني أمكن أن تقيم مصر خزان أسوان - ١٩٠٣ - ونتائج المحففة حتى الآن تفوق التوقعات المحتملة للسد العالي .

ولقد ألمني أن يقارن بعضهم بين « محمد علي » و « عبد الناصر » بدعوى أن الاثنين هزما أمام العدو الأجنبي : وإذا كنت في كتاباتي قد قصوت في نقد « محمد علي » إلا أن شرف الكلمة ، وأمانة التاريخ بل كل القيم التي تعارف عليها الشرفاء تأبى هذه المقارنة وترفضها . . فلا وجه للمقارنة إلا كما قلنا بين الأصل والمسوخ !

لقد تسلم « محمد علي » مصر وهي ولاية عثمانية خارج التاريخ ، فمد حدودها إلى السودان ومنايع النيل . ومات وهو يحكم مصر والسودان وأجزاء من جزيرة العرب . . وعبد الناصر فصل السودان ومات وسياء غثلة وقناة السويس هي حدود مصر . .

محمد علي مات ومصر أقوى دولة في الشرق ، أقوى من تركيا . . الامبراطورية العثمانية صاحبة السيادة النظرية على مصر . . مات ومصر لديها أقوى أسطول آسيوي أفريقي (لم تكن اليابان قد ظهرت بعد كقوة عظمى) وعبد الناصر ترك مصر ووزنها صفر من الناحية العسكرية ، وكرامة كل مصري جريحة ، والسخرية بقدراتنا العسكرية ، وكفاءة جنودنا موضع تندر الصحافة في الكويت ودهي !!

محمد علي كان قائد جيوشه إبراهيم باشا الذي لم يهزم في حرب قط . . وعندما زار أوروبا كانت أقواس النصر تستقبله على طول الطريق تحمل أسماء معاركه التي انتصر فيها . . وهي بالعشرات في أوروبا وآسيا وأفريقيا . . وقائد عبد الناصر لم ينتصر في حرب قط ، ولم يمت حتى كان الفتيات والفتيان في أوروبا يقلعون عيونهم (بوضع ضيافة سوداء) تشبهاً بموشي ديان الذي هزم عبد الناصر وقائد جيشه في كل معركة خاضوها ضده .

هل نقارن إبراهيم باشا بالحشاش المنحل الذي سلمه عبد الناصر لجيش مصر وأمنها وسيادتها على أرضها فبدد ذلك كله غارقاً في ملذاته مفرغاً للحماية حكمه وسيدته ؟!

أنقارن بين من وحد مصر وسوريا بالسيف وأوشك أن يدخل الاسنانه لولا أن تجمعت أوروبا ضده ؟! وبريطانيا وحدها كانت تحكم ربع العالم وتستطيع تجنيد جيش أكبر علداً من تعداد ذكور مصر بما فيهم الأطفال !

نقارنه بمن أضاع سوريا وهزم في دمشق على يد مديري مكتبه . . حفنة عملاء لا مكان لهم في مزبلة التاريخ . . ولكنهم هزموا عبد الناصر . . وأخرجوا نائبه مدحوراً كالأرملة

المفضوحة ولم يجرؤ ولا استطاع أن يطلق طلقة واحدة دفاعاً عن وحدة العرب ودولة الوحدة ؟!

محمد علي هزمه « بالمرستون » وأين . . . ؟ في جبال طوروس ؟! وعبد الناصر هزمه موسى ديان في شرم الشيخ والعريش والقنطرة ؟!

محمد علي تسلم مصر وليس بها مصنع ولا مدرسة ابتدائية . . . فأنشأ الكليات ، وأقام المصانع وبعث البعث . . . وعبد الناصر تسلم مصر وبها أربع جامعات ، بل أرقى جامعات في الوطن العربي بل في أفريقيا (ماعدا جنوب أفريقيا) وكل آسيا باستثناء اليابان . . . ومات وقد رفضت جامعات العالم شهادتنا . . . عبد الناصر تسلم مصر وبها شركة الطيران الوحيدة في العالم العربي ومعظم آسيا وكل أفريقيا ، وفيها دار للأوبرا والبنك الوطني . . . وأفضل شبكة مواصلات . . . إلخ وتركها كما تعرف . . .

محمد علي لما حاولت بريطانيا العظمى غزو مصر هزمهم هزيمة ساحقة ، أوسمح للشعب بهزيمتهم وطاف جنداه بدموع الغزاة في شوارع القاهرة . . . وانسحب الأسد البريطاني صاغراً وأصبحت مصر أمنع من تركيا ، لا تفكر قوة عظمى في غزوها . . . وعبد الناصر جعل مصر كالمدينة المفتوحة ، يدخلها اليهود ويخرجون كأنها أرض لا مال لك لها . . .

في رسالة من محمد علي إلى قنصله في باريس : « أبلغنا ولي العهد أنه أثناء زيارته لأوروبا رأى نباتاً لا يموت ولا يتكسر عندما تطأه الأقدام فأرسلوا لنا بذوره » . . . وهو الحشيش الأخضر أو النجيل . . .

هذه كانت اتهامات إبراهيم باشا في أوروبا . . . فاسألوا علي شفيق ومحمد كامل حسن ماذا كانت اتهامات مشير عبد الناصر ؟! لا تنكأوا الجراح بمقارنة الأصل بالسخ . . .

وكان القصد أيضاً أن تتاح وثائق أكثر ، باعتبار أن مصادر تاريخنا لا تزال في أرشيفات الدول الكبرى ، وكان الظن أن يبدأ الإفراج عن الوثائق الأمريكية ابتداء من عام ١٩٨٣ أي بعد مرور الثلاثين سنة القانونية ، فإذا ما وصلنا إلى التسعينيات كان متاحاً لنا - على الأقل - الفترة بين ١٩٥٢ إلى ١٩٦٠ وهي كافية جداً ، وليست حاجتنا للوثائق للاقتناع أو الاكتشاف ، فنحن كنا ومازلنا شهود عيان ، وما توصلنا إليه من معرفة ، تؤكد الحقائق كل يوم ، وإنما نحتاج الوثائق للذين لا يؤمنون إلا بعد أن بدسوا أصابعهم في الجرح . . . أو بالأحرى حتى ندس أصابعنا في جرحهم !! وعلى أية حال لم يعد الانتظار ضرورياً ، فالنظورات الجارية في الدولة الأمريكية منذ وصول الرئيس ريغان وسيطرة اليمين ، قد فرضت من القيود على نشر الوثائق وخاصة المتعلقة بنشاط المخابرات الأمريكية ما يؤكد أنه لن يتاح للمعرفة وللمؤرخين إلا النذر اليسير بعد أن ألغى « قانون حرية المعلومات » ،

• هذه مقارنة بين المنجزات الظاهرة . . . أما رأينا في « محمد علي » ودوره وأخطائه ففضيلة أخرى .

الذي صدر في فترة « الثورة الليبرالية » التي اجتاحت أمريكا عقب حرب فيتنام وفضيحة ووترجيت . .

أما السبب الأهم في نظري لقراري السابق بتأجيل الكتابة ، فهو أن يفعل عامل الزمن فعله في الكاتب والقاري . فتبرد حدة الأحداث وتتحول إلى تاريخ ، له سلبياته وإيجابياته . . ولا يمكن لكاتب مثلي أن يدعي الحياد في الكتابة عن « انقلاب ٢٣ يوليو » وأنا كمواطن مصري ، عاش أحداثه كاملة وأثر في حياتي ومستقبلي الشخصي والمهني والوطني والقومي . . يستحيل أن يكون المرء محايداً في الحديث عن حركة ، أعطته أحل أيام عمره ، وأتعت نكسات وطنه . .

كيف أدعي الحياد ، إزاء تصفية الاستعماريين البريطاني والفرنسي وقد دام احتلالها وامتهانها لأمنا العربية ما يقرب من قرن ونصف قرن . . ؟ كيف وقد ضحيت بأحل سنوات عمري في سبيل تحقيق الجلاء عن مصر ، أكون محايداً إزاء هذا الجلاء وقد تحقق بل ومرتين !! وقد عشت حتى رأيت بريطانيا تهزم في غزو مصر كما لم تهزم في عام ١٨٨٢ برغم كل إعجابنا وحبنا للبطل أحمد عرابي ؟ وما أظن أن فرحة قد غمرت قلباً مثل فرحتي بقيام الثورة الجزائرية مع التسليم وقتها باستحالة انتصارها في عمر جيلنا . فما بالك بتحقيق ذلك الاستقلال في أقل من عشر سنوات ؟

هل أستطيع أن أنسى « الهزة » الوطنية والقومية التي غمرت القلب والروح والعقل بإعلان تأميم قناة السويس ، وتصفية المصالح الأجنبية في الاقتصاد المصري وتخليص القطن من قرداحي ومزراحي ، وإعلان الوحدة المصرية السورية ، وسقوط حكم نوري السعيد وطرد غلوب باشا . . وكلها كانت أحلام المراهقة ، وعرائس الشباب ؟
وأيضاً . .

كيف أكون محايداً إزاء خروجنا من دائرة النفوذ الأنجلو - فرنسي ودخولنا في عصر الهيمنة الإسرائيلية والنفوذ الأمريكي - الروسي ؟!

وكيف أكون محايداً وقد كان ثمن الجلاء فصل السودان ، ولو خيرت في مطلع الخمسينيات بين بقاء الاحتلال ألف عام وقبول فصل السودان لما اخترت أبداً فصل السودان . . وقد كان شعار مصر من رئيس الوزراء إلى أصغر مصري « تقطع يدي ولا يقطع السودان » قالها زعيم وادي النيل الخالد مصطفى النحاس ، ووفى بها .

هزمتنا بريطانيا وفرنسا وتركنا جولدا مائير تقول عن حرب سيناء الأولى : « ومن بين الثلاثين ألف عسكري مصري الذين انطلقوا هائمين كالمجانين في الرمال ، التقطنا خمسة آلاف أسير فقط ، لكي نبادلهم جميعاً بالأسير الإسرائيلي الوحيد الذي أسره المصريون »^١ .
أهذا جرح يشفى ؟ لا والله . . سيصحبني إلى القبر ، ولولا أنه غسل بالدم وبهرقية « جولدا » في حرب رمضان « أبفظ كسينجر الآن ، لآتنا تريد المساعدة اليوم ، فغداً ربما

يكون قد فات الأوان^{٢٠} ! لولا ذلك لبعث جيل بأكمله مجروح العرض يوم القيامة !
أيمكن أن أكون محايداً وأنا أكتب عن هزيمة ١٩٦٧ التي لم تترك قيادتنا ثغرة واحدة يمكن أن
ينفذ منها النصر العربي إلا سدها ، ولا غلطة يمكن أن يستفيد منها العدو لم ترتكبها !؟
○ رقصوا البدء بالمهجوم .

○○ قررنا تلقي الضربة الأولى ونشروا ذلك علناً في « الأهرام » لإخطار إسرائيل
رسمياً . .

○○○ تركوا طائراتنا في العراق بعدما ألغوا بند تغطية الطائرات في ميزانية عام ١٩٦٦ -
١٩٦٧ .

○○○○ أصدرنا أمراً إلى قوات الدفاع الجوي بعدم إطلاق النار على أية طائرة لأن طائرة
المشير في الجو لحظة الهجوم الإسرائيلي .

○○○○○ غيروا الشفرة صباح يوم الهجوم لكي لا يتلقوا إخطار محطة الإنذار المبكر التي
أقيمت في الأردن لمهمة واحدة هي الإخطار عن تحرك الطيران الإسرائيلي ، فلما أبلغت المحطة
عجزت مصر عن تلقي الإشارة لأن الشفرة تغيرت . . وبعدها بالصدفة قتل عبد المنعم
رياض لكي لا يحكي عما شاهده في الأردن ، وسمعه في تلك اللحظات . .
الخ . . الخ . . الخ . .

وكل هذا حدث في أثناء المعركة . . ومن قبل كانوا قد دمروا الجيش في حرب اليمن
وأفقدوه قدراته القتالية بالجاسوسية والإرهاب والفساد حتى انحصر دفاع هيكمل عن القرار
الإجرامي الخيالي بتلقي الضربة الأولى . . انحصر اعتذاره بأننا حتى لو ضربنا إسرائيل أولاً
كنا سنخسر الحرب . . أي أنهم ساقوا مصر عن سبق يقين وتصميم إلى حرب يعرفون أنها
محنومة الخسارة^{٢١} .

ما بين فرحة تأميم القناة . . وبين الحسرة وعبد الرحمن البضائي يبعث رجاله بأنه اتفق مع
مصر على تخصيص دخل القناة لدعم ثورة عبد الله السلال !؟

ما بين الفرحة بالوحدة ، ومرارة الانفصال وانتكاسة ثورة العراق . . وتمزق الوطن
العربي وتحول ثورة الجزائر إلى قوة نشطة معادية لمصر وانهار مكانة مصر ودور المصريين بل
واحترامهم في سائر الدول العربية . .

ما بين تمصير الاقتصاد المصري وتدمير هذا الاقتصاد والقضاء على فرصة مصر لبناء
الوحدة الاقتصادية العربية حول مصر وبقيادة مصر ، حتى لم يبق في السوق العربية ، إلا
الخادمة المصرية وفول مدمس* « قها » ، ونحن الذين أقمنا أول شركة طيران عربية ، وأول

* حتى هذا اختفى أمام الفول الصيني والهندي الذي يباع باسم « فول مدمس » Fool Mudsms .

بنك عربي ، وأول مصنع سجاد عربي ، وأول صحيفة عربية ، وأول جامعة عربية ، وأول صناعة عربية . بل نحن الذين كانت تقود العالم العربي تسمى على اسمنا « المصري » !
والمندهش أن ذلك كله حصل في الفترة من ٢٤ إلى ١٩٥٢ ودمر في فترة أقل من ١٩٥٤ إلى ١٩٨١ !

كيف أكون محايداً وقد تحولت مصر إلى سجن كبير ، اختفت فيه كل مظاهر وشكليات الديمقراطية ، وضرب فيه رئيس مجلس الدولة « علفه » ، ونودي فيها على شيخ كلية دينية في سجن حمزة البسيوني « يا شيخ شاذلية » ، فبرد مجيئاً من هول ما نزل بإنسانيته من اذلال ، وشنت السلطة ، لأول وآخر مرة في تاريخنا - بإذن الله - كتاباً ومؤلفين وجهابذة في الفقه والأدب والتفسير . . . وهو ما لم يجرؤ الاستعمار البريطاني الملقب بعمدو الإنسانية ، على ارتكابه وهو يحتل مصر بشماتين ألف جندي !* كيف أكون أنا محايداً . والقانون في أجازة !

ما بين ذكريات « أمجاد يا عرب أمجاد » وشكوى بريطانيا سيدة فن الإعلام ، من ضراوة ونجاح الإعلام المصري ، وبين تراجع صحافة مصر إلى المرتبة الثالثة في كل البلاد العربية حتى التي تعلمت القراءة على يد المصريين !؟ وبين « تواري » مدير صوت العرب ، وكأنه قد حمل كل خطايا الإعلام الناصري ، بل أصبح رمزاً لكل ما هو سيء إعلامياً ! ثم اكتشاف الحقيقة المرعبة ، ألا وهي أن « صوت العرب » قام بالخبرة والمعدات الأمريكية !

مستحيل أن يدعي المرء « الحياد » في الكتابة عن « زعيم » وصل إلى السلطة وكل شيء في مصر أكبر منه ، ومات وهو أكبر من مصر وكل ما فيها !!
مستحيل .

ولذلك كنت أتهرب ، وأحاول أن أكسب وقتاً بتأجيل الكتابة ، إلى أن كانت عودتي لمصر بعد غيبة خمس سنوات متصلة ، وهجرة قاربت على الخمسة عشر عاماً . . . ورأيت البعث الناصري في كل مكان . . . فالحوار الحاطي الذي يدور حول من هو الأسوأ الرئيس الراحل أم الرئيس الأرحل ؟ قد رجح كفة الرئيس الأرحل جمال عبد الناصر . . . ونسي المتحاورون أن عبد الناصر هو الذي اختار السادات نائباً له ، بل الأحرى أنه هو وحده الذي بقي إلى جانبه حتى الرمح الأخير ، بعد أن تمت تصفية وإقصاء كل رجالات مصر وأعضاء مجلس الثورة . . . وأن أنور السادات جزء لا يتجزأ من « حركة ٢٣ يوليو » مفهوماً وأسلوباً ، وأنه المنتقم لمرحلة عبد الناصر ، مع الفارق بين إنفاق الوارث والدنيا مقبلة ، واستجدائه وقد جذبت الموارد وأفلست الخزائن .

جمعت عدداً من الكتب الناصرية التي تذخر بها المكتبات والأرصفة المصرية ، وهالني ما قرأت ، فالتجهيل والنشوية ، مستمران ولكن بشكل أكثر سوقية وأكثر ابتذالاً .

* وأي مؤرخ منصف يقارن « دنشواي » بما جرى في كرداسة وكمشيش !

وسمعت عن محاولات إنشاء حزب ناصري بشأنف المسيرة ورأيت « الجامعة الأمريكية »
بالقاهرة تتحول إلى أكبر مركز للناصرية !؟

ولم أدهش ، بل لعلي رأيت ما توقعته بالحرف ، ولو كان غير ذلك لكان للدهشة
ما يستوجبها وللحيرة ما يبررها . . « الجامعة الأمريكية » في بيروت هي مركز « اليسار
هذا » . . ومؤتمر « تحرير المرأة » قوله مؤسسة فورد 11 ومن دراستنا هذه - إن شاء الله -
سيجد القاريء ما يقتنع به أنه من الطبيعي جداً أن تكون « الجامعة الأمريكية » هي قلعة
الناصرية ، ومركز تفريخ الجيل الجديد من الناصريين ومعهد نظير وتنسيق وترويج الفكر
الناصرى .

وإذا كنت لا أستطيع أن أعد القاريء بأن أكون محايداً أو غير متفعل في كتاباتي - إذ
لا يملك القلوب إلا الله - فإني أعده بما يرضيه وينصفني معه . .

١ - ألا أقدم واقعة واحدة غير مثبتة المرجع .
٢ - أن اعتمد بالدرجة الأولى على شهادات الناصريين . . والمصادر الأجنبية التي
لا تحتمل الشك . . على الأقل في الواقعة التي نستشهد بها ، فعندما تقول جولدا مائير إن
ايزنهاور أصبر على الانسحاب بلا قيد ولا شرط ويؤكد نفس الحقيقة سلوين لويدي ، لا يمكن
أن نتهمها بالشبوعية ونشويه سمعة أمريكا ؟ خاصة عندما تؤكد الوثائق هذه الحقيقة .
وعندما تتفق رواية مصطفى أمين ومايلز كوبلاند على دور كيريت روزفلت في مصر ، من
حقنا أن نرفض إنكار هيكل المتهم الأول .

٣ - أن ألزم بالموضوعية - وهي غير الحياد - في عرض سلبيات وإيجابيات العهد
الناصرى . مع التأكيد أن ما أقدمه من وقائع قد تحريت صدقه بكل ما في طاقة باحث أو
مؤرخ ، أما التحليل الذي وصلت إليه فهو بلا شك معرض للخطأ ، قابل للرفض
والنقض . . ومقارعة الحجة بالحجة .

ولا أزعم أنني أشيد بعبد الناصر أو أدينه ، فذلك متروك للقاريء ، ولا أزعم أنني
سأهذي جيلاً من الضلال ، بل غاية ما أصبو إليه هو أن أسجل خبرتي ومعاشتي وقراءاتي
للجيل القاريء اليوم ، فإذا كان مقدراً لمصر والعرب أن يخوضوا تجربة ناصرية جديدة ،
فعل الأقل ندخلها عن وعي هذه المرة .

وقد علق « مؤرخ الناصرية » على هذه النقطة فراح يعظ عن حياد المؤرخين ، مزيفاً
جاهلاً كماداته ، وحسي أن أقول مرة أخرى ، إنه لا يمكن الحياد في كتابة التاريخ المعاصر ،
ولا هو مطلوب ، والرافعي ، لم يكن محايداً ، كما زعم ، بل كان وطنياً بفاهيم القرن التاسع
عشر ، الأمر الذي حمل كتاباته الكثير من الأخطاء ، في الضمير والتعليق ، وأحياناً في صياغة
الواقعة ، وذلك في تاريخه لحروب محمد علي ، أو موقفه المعيب من الثورة العرابية ،
والمضطرب من ثورة القاهرة ضد الاحتلال الفرنسي وأخيراً تحيزه غير المنصف ضد الوفد . .

فالمؤرخ المعاصر الذي يكتب عن أحداث عاصرها ، وساهم فيها ، أو كان طرفاً في صراعاتها ، أولى بأن يفقد حياده ، ولا يضير هذا ، ولا يضير تاريخه ، ما لم يتبع هواه . . إذ لا يجوز تغيير واقعة ولا إخفاء حدث بسبب الافتناع الذاتي أو الموقف السياسي ، هنا تصبح الكتابة أدباً سياسياً وليست تاريخاً ، بل تصبح تزويراً لا يليق . . فليس يعيب المؤرخ أن يكون مع أو ضد ثورة ١٩١٩ مادام يورد ما يصل إليه من حقائق ووقائع بأمانة . . أما أن « هيكلم » بأن نشر مذكرات « سعد زغلول » يسيء إلى الزعيم ، فهذا هو ابتزاز التاريخ أو محاولة تعديله على هوى الكاتب وتصوره .

ومن ثم فليس عليّ من التزام أمام القاريء إلا « الصديق » وخاصة أنه ما من سبب شخصي بدفعني إلى عداة عبد الناصر أو التحامل عليه ، فلم أكن ملكياً قبل ٢٣ يوليو ، ولا حصلت على جائزة الملك فاروق في الصحافة ثلاث مرات ، ولا حتى مرة واحدة ، وما كان يمكن أن يكون مثلي مرشحاً لئليها ، بالعكس كنت مقدماً للمحاكمة بتهمة العيب في الذات الملكية ، والدعوة إلى قلب نظام الحكم بالقوة المسلحة في عهد الملك فاروق في قضية حقق فيها « علي نور الدين » . . وجاءت حركة ٢٣ يوليو وأنا في معتقل الملك فاروق ، وأيدنا الانقلاب كما توقع تقرير المخابرات الأمريكية أن يفعل « المثقفون المغفلون » ! وكنا منهم ولا فخر ! ثم عارضناه عندما بدأ يكشف عن وجهه ، ودخلت المعتقل أو السجن في ٩ يونية ١٩٥٤ وأفرج عني في ١١ يونية ١٩٥٦ ومن يومها لم يتخذ عبد الناصر قراراً واحداً ضدي ، بل أقول لأول مرة ، إنه كان يثق في مقالتي ، فكما أخبرني الزعيم الكردي « جلال الطالباني » إنه عندما قابل الرئيس عبد الناصر في عام ١٩٦٣ واشتكى له من وجود قوة سورية تقاتلهم في العراق إلى جانب الجيش العراقي ، رد الرئيس عبد الناصر : « غريبة . . جلال كشك كان هناك ولم يكتب عن القوات السورية في تحقيقاته الصحفية » ! وكنت قد فمت بأول زيارة صحفية لمعقل الأكراد في شمال العراق واجتمعت بالمرحوم الملا مصطفى البرازاني . وكل مصادري تؤكد أن عبد الناصر شخصاً منع أو رفض اعتقاله أكثر من مرة . . بل أحسبني مضطراً إلى القول أن ليس بيني وبين الأستاذ « محمد حسنين هيكل » ذاته أي عداة شخصي ، بل الأحرى أنني مدين له بإخراجي من السجن عندما اعتقلني المنحرف « أمين شاكور » . و هيكل هو الذي عيني في « أخبار اليوم » عندما جبن وهرب وعارض الآخرين . . ولكن الأمر أكبر من أن يكون حسابات شخصية . . « فنقطة » الخلاف كبيرة جداً . . إنها ببساطة : مصر . . مصر الماضي . . مصر الحاضر . . مصر المستقبل . .

وقد يتساءل القاريء لماذا أركز على « هيكل » ؟ والجواب ليس فقط للمكانة التي احتلها في العصر الناصري ، تلك المكانة التي تشكل في حد ذاتها سؤالاً ضخماً بل عريضة اتهام حافلة للنظام الناصري ، ولا لأنه هو التصدي الأكبر للترويج للناصرية . . بل لأنه إحدى

الحلفاء الرئيسية في العلاقة الأمريكية - الناصرية ، لأن « هيكلم » كما جاء في كتاب « حبال الرمال » - ولم يعترض هو ولا اتخذ أي إجراء ضد المؤلف والناشر - قد جندته المخابرات الأمريكية كعميل في أوائل الخمسينيات . . وأصبح بطريقة ما ، المتحدث الرسمي باسم الوطنية الناصرية والقومية العربية . ومن ثم فإنه يعرض قصة الناصرية من زاوية يسمي التصدي لها .

كذلك استعنت بشهادات رجالات ٢٣ يوليو . . ومن المؤيدين لها في إطارها العام حتى وإن اختلفوا في تفاصيل تدور حول أشخاصهم في الغالب أو حول كارثة وطنية لا مجال لقبولها إلا من مأجور .

وقد ركزت على قضية العلاقة مع الأمريكان والمواجهة مع إسرائيل ومعركة ١٩٥٦ ، فلم أتعرض - إلا بحكم الضرورة - للأوضاع الداخلية والاستبداد السياسي باعتبار أن هذه قضية أشبعت بحثاً ، ويعترف بها الناصريون أنفسهم ويعتدرون عنها بما تحقق من انتصارات في ميادين محاربة الاستعمار والوحدة العربية ، والتصدي لإسرائيل . . الخ . وربما يري البعض أن فصل في البدء جاء الأمريكان كان أجدر به لو أخرج إلى نهاية الكتاب على أساس أنه النتيجة التي تثبتتها هذه الدراسة ، ففيه نتحدث عن علاقة الأمريكان بحركة ٢٣ يوليو ، ومن ثم فلا بد أن نعهد للقاري . ، حتى يصل إلى الاقتناع بما ندعيه عبر الحقائق والتحليلات لتاريخ الناصرية ومواقفها والتي كشفنا فيها مدى التزوير الذي تعرض له هذا التاريخ .

ولكنني رأيت أن أبدأ به فصول الكتاب حتى وإن صدمت القاري . ، وحجتي في ذلك أنني لم أستهدف أبداً إثبات تهمة التآمر بين الناصرية والأمريكان ، حتى يمكن أن يكون ذلك هو عبء الكتاب ونتيجته المنطقية !

لا ليس هذا هدفي ولا هو بالهدف الذي يستحق أن يقتصر عليه الجهد ، وأنا أكرر ما قلته في أكثر من موضع ، إنه ليس من أهدافي أن أسيء إلى عبد الناصر أو أن أدبته بتهمة ما . . ثامناً كما لم يكن بيني وبين الشريف حسين ثأر شخصي ولا مصلحة ممكنة أو ممنوعة ، والرجل قد مات قبل أن أولد ، إنما أردت بتحليل العلاقة بين ما أسموه بالثورة العربية الكبرى ، والمخابرات البريطانية ، إلقاء الضوء على ما تولد عن هذه العلاقة وترتب عليها من نتائج مازالت أمتنا تعاني آثارها إلى اليوم ، كذلك أردت بكشف العلاقة بين حركة ٢٣ يوليو والمخابرات الأمريكية ، أن أكشف للشعب العربي ، التاريخ السري الذي أشار إليه رجل المخابرات الأمريكية ومدير شئون ثورة ٢٣ يوليو عندما قال : « إن المؤرخين والدارسين الذين لا تتاح لهم معرفة التاريخ السري للأحداث ، لا يمكنهم أن يفسروا مثلاً لماذا تجنب عبد الناصر الحرب مع إسرائيل في ظروف كان النصر فيها محتملاً ، بينما قاد بلاده إلى حرب محنومة الخسارة » .

وهذا الجهل بالتاريخ السري ، أوقع البعض في تفسيرات مجنونة مثل اتهام عبد الناصر بأنه عميل لإسرائيل ، أو أنه يهودية^{٢٢} .

إن سلوك عبد الناصر ، والأحداث التي مرت ، والمواقف التي تبدو كالالغاز ، والتي تجعل بعض الناصريين « المخلصين » يرفعون أيديهم في حيرة العاجز ، يطرحون السؤال ويعترفون باستحالة الإجابة عليه في إطار المنطق المفترض للناصرية . كل هذا لا يمكن فهمه بدون معرفة « مفتاح » شخصية عبد الناصر ، بدون الاطلاع على التاريخ السري للناصرية ، بدون اكتشاف المعامل « س » الذي به وحده يمكن حل كل المعادلات المجهولة في الحقبة الناصرية .

والمعامل « س » هو تلك العلاقة التي انعقدت بين مجموعة جمال عبد الناصر في تنظيم الضباط الأحرار من جهة ، وبين المخابرات الأمريكية من جهة أخرى ، عشية الثورة وبعد^{٢٣} نجاحها وربما إلى عام ١٩٦٤ - ١٩٦٥ .

وهكذا كان من الطبيعي والمنطقي أن نبدأ بهذا الفصل حتى ولو شكل ذلك صدمة للقاريء ، بل ربما دفع البعض ، ممن يخشون الحقيقة ، فيفضونها ، إلى التوقف عن متابعة بقية الفصول . . . لأننا نبحث عن تفسير لا عن إدانة ، ولا يمكن فهم مواقف الرئيس عبد الناصر من السودان والجلاء والعدوان الثلاثي وإسرائيل وصفقة السلاح إلا على ضوء هذه العلاقة . . . لذا فضلنا أن نطرح التفسير أولاً ثم نستخدمه في تحليل الأحداث ، فتأكد صحته مرتين ، مرة كحقيقة موضوعية ، ومرة بتطابقه مع النظرية العامة . . . تماماً كما أمكن اكتشاف بعض الكواكب بالحساب ، ثم ثبت صحة الاستنتاج بتقدم آلات الرصد ، مع الفارق في حالتنا ، هو أننا اتبعنا الأسلوب العكسي ، أي رأينا بالدليل الحسي علاقة الثورة بالأمريكان ، قلما استخدمنا هذه العلاقة في تفسير الأحداث ، تأكدت صحتها . . . لأنها قدمت التفسير المعقول .

ويجدر أن نؤكد هنا ، ما أكدناه في فصول الكتاب ، من أن تنظيم الضباط الأحرار ، كان في مجموعه تنظيمياً مصرياً وطنياً خالصاً ، نشأ من دوافع مصرية ، وبنوايا وطنية صادقة ، وأن غالبية العظمى لم تعرف لا وقتها ، وربما إلى الآن ، هذه الصفقة التي عقدت مع المخابرات الأمريكية ، بل إننا نذهب إلى أن عدداً من أعضاء مجلس الثورة لم تكن لهم معرفة بذلك .

وقد أشرنا لذلك في غير هذا الموضع . . . ولكننا نرجح هنا أنه لا يوسف صديق ولا البغدادي ولا حسين الشافعي ، ولا رشاد مهنا ولا كمال الدين حسين ، كان لهم علم بذلك ، كما نقطع أن خالد عمبي الدين لم يشترك فيها . أما أنه أحس بها أو لم يحس ، فتلك قضية لا نجزم فيها* كذلك نعتقد أن صلاح سالم اكتشفها مبكراً وفي خلال أزمته في السودان

• كتبنا هذا منذ سنوات ، أما الآن فقد تأكد من تصريحاته هو أنه أحس وعلم وسكت . . . لماذا ١٩

وحاول أن يوازنها بعلاقة مع الروس فاحترق . . وأن جمال عبد الناصر وعامر وزكريا وأنور كانوا على علم بها منذ البداية ، وإن كان « أنور » قد بقي بعيداً ، سواء عن ذكائه منه ، أو خوفاً منه ، أو إهمالاً لشأنه . . يضاف إليهم في حدود ما وصلنا إليه - علي صبري وحسن التهامي . . غير أن علي صبري قصة أخرى تماماً . . إذ نعتقد أن له دوراً أخطر من ذلك* .

كما نؤكد هنا أن « جمال عبد الناصر » لم يكن عميلاً للأمريكان ، بل كما قال « مايلز كوبلاند » المسئول من قبل الـ CIA عن مصر وعبد الناصر في الفترة من ١٩٥٣ - ١٩٥٥ « ولو أن كرميت روزفلت والمستشارين الذين بعثهم إلى مصر متيف مييد . . وجميس ايكليبرجر ، وبول ليرجر ، وآخرين ، لم يكونوا يديرون عبد الناصر بأكثر مما يسيطر عليه الروس اليوم . . إلا أن تلاقى أفكارهم مع أفكاره ، جعل فلسفته تلقى عطفهم وتأييدهم ، ومن ثم فإن ما فعله عبد الناصر بصرف النظر عن موافقة الغربيين أو عدم موافقتهم ، فهذا لا يهم إزاء حقيقة أن هذا الذي فعله قد نال تأييد فريق من الغربيين لا شك في إخلاصهم المطلق لمصالح بلادهم ، وأن هؤلاء الذين أبدوا عبد الناصر ، كانت توجههم المبادئ المقبولة ، في الغرب » .

إنها لعبة شديدة التعقيد ، أراد عبد الناصر فيها أن يوظف « الولايات المتحدة » لخدمة أهدافه ، التي كانت بلا شك وطنية في جوهرها ، شريفة في مقصدها ، ولكنه أخطأ وخسر ، لسبب بسيط هو عدم التكافؤ بين اللاعبين . . وهذه هي العبرة التي نهدف إلى استخلاصها وتقديمها للمستغلين بالسياسة والذين سيشتغلون بها يوماً ما . . أنه لا يمكن أن تنجز ثورة « بمؤامرة » وأنه لا يمكن أن تتحقق مصالح الشعوب من خلال التعاون مع أعرق الاستعماريات ، المتعارضة المصالح والمواقف مع الأمة العربية وخاصة منذ سيطرة إسرائيل على القرار السياسي في الولايات المتحدة .

إن هذه الصلة التي بدت في البداية ، صحيحة وضرورية وحفظت نتائج باهرة . . مثل النجاح المدهش في سهولته ، للانقلاب ، ومثل شل القوات البريطانية ومنعها من التدخل ، ثم إجبار بريطانيا العظمى على قبول الانسحاب من السودان ، ثم خلع محمد نجيب وتثبيت « ناصر » ثم إحباط الغزو البريطاني - الفرنسي . . وطرح عبد الناصر زعيماً للقومية العربية . . بل والمساعدة في تحرير الوطن العربي من الاستعمارين البريطاني والفرنسي . . إلا أن هذه العلاقة أو الحبل السري بين الناصرية والمخابرات الأمريكية ، كان يدمر في الجذور ، بقدر ما يهيج بالزهور الوقتية ، وخاصة فيما يتعلق بالصدام العربي - الإسرائيلي ، والوحدة العربية ، والبناء الحقيقي لقدرة مصر الذاتية . ففي هذه الميادين ، عملت هذه العلاقة على

* وقد اعترف أخيراً أنه لم يكن من الضباط الأحرار ولا في الثورة إلى ٢٣ يوليو وأن سبب خضعه هو علاقته بالأمريكان ! . . وهو ضابط الجيش الذي أرسل إلى أمريكا في عهد الملك للتدريب على يد المخابرات الأمريكية .

تدمير ما كان قائماً ، وقادتنا إلى الإفلاس المطلق في الحقول الثلاثة ، فقد خرجت إسرائيل من
المواجهة الإسرائيلية - الناصرية بأعظم نصر تحقق في أي صدام من نوعه ، منذ انهيار
الامبراطورية البيزنطية أمام العرب . . . ودمرت أسس الوحدة العربية ، وتحولت من إمكانية
قبل ظهور ناصر إلى مستحيل عند وفاته وإلى اليوم . . . كذلك تدهور مصر من مكانة الدولة
الأولى في الشرق الأوسط في كل شيء إلى . . . ما نعرفه . . .

وهذا السر الخفي ، هو الذي جعل بعض تصرفات النظام الناصري ، تبدو وكأنها تصدر
من جهة إسرائيلية ! إذ لا شك في أنها كانت ، من حيث نتائجها ، لمصلحة إسرائيل . مما
جعل البعض كما قلنا يتخبط فيضع تفسيراً « بروتوكولياً » لها . ولا ننكر أن المخابرات
الإسرائيلية كان لها وجودها في بعض المراكز الحساسة في النظام الناصري ، « بدليل » بعض
ما حدث في ١٩٦٧ . ولكن التفسير الذي وصلنا إليه عن هذه التأثيرات الإسرائيلية على
القرار المصري ، هو أنها تمت عبر المخابرات الأمريكية . وما كانت تتمتع به هذه المخابرات
من ثقة الزعيم . فإذا أضفنا إلى ذلك ، الحقيقة المعروفة ، وهي أن المخابرات الأمريكية هي
أكثر الأجهزة الأمريكية تعرضاً لتأثير « الموساد » أو المخابرات الإسرائيلية ، أمكننا أن نتوقع
أن تكون بعض النصائح التي قدمتها المخابرات CIA ، والتي أربكت القيادة الناصرية ،
وأسقطتها في أخطاء أجدت إسرائيل ، الاستفادة منها ، يمكن أن نتوقع أنها موعز بها من
عناصر الموساد داخل المخابرات الأمريكية ، ومن استرعى الذئب ظلم . . .

وأعترف أن العنصر الإسرائيلي قد ألح عليّ إلحاحاً شديداً في هذه الدراسة عندما كنت أجد
معظم الخيوط والأحداث ، والقرارات الناصرية نصب في قناة واحدة هي : « مصلحة
إسرائيل » . حتى فكرت أن أجعل عنوان الكتاب : « كلمات على قاعدة التمثال » وسيجد
القاريء آثار ذلك في بعض الصفحات مشيراً بذلك إلى ما ذكره توفيق الحكيم ، عندما شكل
لجنة لإقامة تمثال لعبد الناصر بعد وفاته . فبعث إليه مصري مهاجر يقترح إقامة التمثال في
إسرائيل ، انطلاقاً من حقيقة أنه إذا روجعت خريطة المنطقة ، على ضوء ما حققته من
مكاسب في العهد الناصري ، فستفوز إسرائيل بكل الجوائز من الميدالية الذهبية ، إلى
الخشبية . فخطر لي أن تكون فصول هذه الدراسة هي الخيبيات لإقامة التمثال أو الكلمات أو
المنجزات التي تنقش على قاعدته !

ولكن عندما تعمقت في الدراسة تأكد لي صدق وطنية ومصرية عبد الناصر** وأنه فعلاً
أحس بخطر إسرائيل ابتداء من عام ١٩٥٤ ، ولكن علاقته بالمخابرات الأمريكية وما أثاروه

• كانت هناك اتفاقية تعاون بين المخابرات الإسرائيلية (الموساد) والمخابرات الأمريكية (CIA)
اعتمدت فيها الـ (CIA) في معلوماتها عن الوطن العربي على الموساد .

•• هذا ما كتبه في « كلمتي للمغفلين » ولوساتني الآن . . . بعدما نشر من وثائق . . . هل نستطيع أن
نقسم على ذلك . . . لترددت !

في نفسه من خوف ، وما ربطوه به من تعهدات ، وما أوهموه من وعود بتسويات . كل هذا أقصد فكره وشل يده وأجبره على شن معارك واتخاذ قرارات ، كانت كلها - للأسف - في صالح إسرائيل ! ومعظمها لم يكن يهدف إلا إلى تجنب المواجهة الحقيقية ، ومحاولة كسب الوقت حتى يأتي الحل الأمريكي .

أما كيف فسدت علاقة عبد الناصر بالأمريكان ، ولماذا انهارت استراتيجيته في التعاون المصري - الأمريكي ، والذي كان يحمل إمكانية - ولو نظرياً - لتحجيم الدعم الأمريكي لإسرائيل ومن ثم ترجيح كفة القوى المحلية في المنطقة في الصراع العربي - الإسرائيلي ؟ . . . فالسبب في اعتقادي ، هو أيضاً تلك الصلة الخفية مع الأمريكان . فلو كانت هذه الصلة استراتيجية معلنة ، ومتفقاً عليها من جانب القوى الوطنية في مصر أو حتى بعض هذه القوى لاتخذت مساراً آخر غير الذي اتخذته تلك العلاقة السرية المشبوهة بالخنسية ، والتي ظلت شبهتها تطارد الزعامة الناصرية حتى فيها بينها وبين نفسها ، والتي كانت تحتاج باستمرار إلى « المهرجان » ضد أمريكا في العلن ، لإخفاء ما يجري في الخفاء . وللحصول على الشعبية المطلوبة كشرط استثمار والاستفادة من هذه العلاقة ، وهو أمر لا يعرفه إلا عدد محدود من الأمريكان لا يمكنهم التحكم في الرأي العام الأمريكي بمؤسساته الدستورية والديموقراطية والصهيونية . وإذا كان زكريا محيي الدين ، قد اعترف أن « اللعبة » كانت محتومة الفشل ، وفسر ذلك بالمؤسسات الأمريكية وعصبية عبد الناصر فإننا نقدر قوله - وهو الذي اعتاد ألا يتكلم فإذا نطق لا يكلم الناس إلا رمزاً ! - فنقول إنه يقصد التأثير اليهودي على الأجهزة الأمريكية ، وبالتالي صعوبة أو استحالة تأييدها لمصر أو لبلد عربي إلا في إطار ما يخدم إسرائيل . وأيضاً صراع هذه الأجهزة وعدم « انضباطها » من وجهة نظر أعني وزير داخلية ، حكم مصر منذ قراقوش ، مع الفارق ! ومن ثم لا يمكن التحكم في تصريحات أعضاء الكونجرس ولا في تصرفات المسؤولين مما يشبه « عصبية » عبد الناصر ، وبالتالي يقع في الاستفزاز ، فبرد عليه باستفزاز أشد . . . فهو يقول : « إن مصادقة الأمريكيين هو أمر قريب من المستحيل ، لأن البناء السياسي لها يؤثر على استراتيجيتها ، ويدل على ذلك بأنه خلال فترة الصداقة التي قامت بين مصر والولايات المتحدة في السنوات الأولى للثورة ، استطاعت إسرائيل أن تكون عاملاً مؤثراً في زعزعة هذه العلاقات ، ويضيف قائلاً : خصوصاً إذا كنا نستجيب بسرعة للأحداث وتكون انفعالاتنا هي أساس سياستنا »^١

وهذا يرجع إلى « العلاقة السرية » . . . إلى تصور عبد الناصر أن « المخابرات » ستحل له مشكلة النفوذ الإسرائيلي في الأجهزة الأمريكية ، وستحقق مطالبه من وراء الكونجرس ووزارة الخارجية ، كما سنرى ، ومن ناحية أخرى فإن هذه العصبية كانت مقصودة لإخفاء العلاقة السرية . كان من الضروري التطرف في سب أمريكا ، ورصد كل حركة أو تصريح

في جميع أرجاء العالم والرد عليه بأكثر الصور علانية ، على أساس أن هذا التطرف في « التصريحات » يخفي العلاقة ، ويساعد على القيام « بالدور الإيجابي البناء » .

ثم تطورت الأمور فأصبح هذا هو مورد مصر الأساسي ، عندما كفت عن الإنتاج والتصدير ، ولم يبق أمامنا من مصدر للعملة الصعبة إلا « المهرجان » ، أو السبرك المفتوح لكسب متفرجين أو رأي عام عالمي ، ومن ثم نبتزهم الدول الكبرى لتدفع ثمن سكوتنا أو كما كتب هيكل في عام ١٩٦٤ : « إن سياسة مصر الخارجية هي استثمارات لأنها تعود بفوائد عملية وسياسية لمصر في شكل مساعدات اقتصادية من أمريكا وعسكرية من روسيا »^{٢٠} ولم يكن أمام النظام الناصري من حل آخر ، بعدما رفض طريق الثورة الحقيقية وبناء القوة الذاتية ، معتمداً على طاقات المصريين وفي ظل وحدة عربية حقيقية تجمع الإمكانات العربية في اتجاه واحد بناء . . . ولأنه صدق ما قاله له الخبراء الأمريكيان : « حتى لو حصلت على البليون دولار التي تحتاجها لخطتك الخمسية ، وحتى لو نجحت هذه الخطة حرفياً ، وحتى لو عمل كل مصري بأقصى طاقته ، وتحت إشراف أفضل الخبراء الأجانب ، فإن أفضل ما نتوقعه هو منع هذا البلد من التفقر للوراء ، لن تقدم لهم لقمة عيش أفضل ولا تعليماً أفضل ولا رفاهية للشعب لا شيء أفضل لأن زيادة النسل تأكل الفرق »^{٢١} .

ووصل عجز مصر التجاري إلى ٤٠٠ مليون دولار سنوياً وهبط الاحتياطي إلى ٤٠ مليون دولار من الغطاء الذهبي و ٤٦ مليوناً عملة صعبة في البيانات الرسمية - بينما لم يكن الوجود الحقيقي يزيد على ثلاثة ملايين دولار وفي ١٩٦٦ جاء في تقرير أمريكي أن مصر لو باعت ذهبها كله لما كفى لدفع استيراد شهر واحد . . .

وقد أشار « مصطفى أمين » في رسالته لعبد الناصر إلى اقتناع الرئيس المصري بسياسة « المهرجان » أو لعب دور الدولة الكبرى لكي تدفع لنا الدول الكبرى بصحيح وذلك عندما قال : إن الأمريكي قال له « لو اهتم جمال عبد الناصر بشؤون بلده الداخلية فقط وابتعد عن موضوعات التدخل في الكونغو والعراق واليمن فإن الحكومة الأمريكية مستعدة لأن تساعد مصر مالياً مساعدات ضخمة ، فقلت له على لسان سيادتكم : انكم مقتنعون بأنه لو لا نفوذنا الخارجي لما اهتمت أمريكا بنا ولما أعطتنا دولاراً واحداً . ولو أننا بقينا على حالنا في الداخل ما استطعنا أن نتحول إلى دولة كبيرة ولا أن نحصل على برنامج واسع من المعونة وذلك بموافقتنا في الخارج »^{٢٢} .

وهكذا فحتى عام ١٩٦٥ كانت أمريكا تقدم ثمانين بالمائة من الحيز الذي يأكله المصريون أو الرغبة المدعوم ، ودخلت مصر في الحلقة المفرغة التي أشار إليها « مايلز كوبلند » عندما قال : « كان استمرار المهرجان ضرورياً للحصول على الدعم ، كما أصبح الحصول على الدعم ضرورياً لتمويل المهرجان » يعني لا بد أن تتدخل مصر في الكونغو لتحصل على دعم

من أمريكا وروسيا ، ولكن جانباً مهماً من الدعم ينفق على حملة الكونغرس ، وهكذا من الكونغرس للعراق لسوريا للجزائر . . للمغرب . . لغانا . . لليمن حتى جفت الاعتمادات* وانفص المهرجان . . ولم يبق إلا الافلاس^{٦٢} .

إن رجال المخابرات الأمريكية الذين اتصلوا بتنظيم الضباط الأحرار وتعاونوا مع مجموعة عبد الناصر كانت تحركهم ثلاثة أهداف :

١ - منع قيام ثورة راديكالية حقيقية في مصر .

٢ - حماية إسرائيل .

٣ - تصفية الامبراطوريتين ، البريطانية والفرنسية في العالم العربي ، وإحلال النفوذ الأمريكي وليس الروسي محلها .

ولا جدال في أنهم حققوا الهدف الأول والثاني يتفوق ولكن الجدل حول الهدف الثالث ، لما يبدو لبعض المؤرخين ، وكان النفوذ الروسي قد دخل المنطقة بفضل الناصرية ، وهذا صحيح جزئياً ولكن يجب ألا ننسى عصر «الوفاق» بين الروس والأمريكان الذي ظهر في عنوان الناصرية ، وأن الصدام الحقيقي في المنطقة كان بين أمريكا من جهة وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى ، وأن الأمريكان اكتفوا بتدمير كل القوى التي يمكن أن تحول المنطقة إلى دول شيوعية ترتبط إلى الأبد مع الاتحاد السوفييتي وقد صنفى عبد الناصر الحركة الشيوعية في العالم العربي على نحو فاق أحلام أشد الأمريكيين عداوة للشيوعية ، فلم تقم للشيوعيين قائمة إلى يومنا هذا . .

وتكتيكات لعبة الأمم ، فرضت على الانجليز أو الأمريكان ، الاستعانة بالدب الروسي نكاية في النسر الأمريكي أو الأسد البريطاني ، مع اطمئنان كل من المتصارعين الاستعماريين ، إلى أن التخلص من الدب الروسي سهل ويمكن في اللحظة المناسبة . كما حدث في حالة مصر والصومال والعراق على سبيل المثال . . وسنرى خلال هذه الدراسة أن أهم خطوة في العلاقات المصرية - الروسية - صفقة السلاح - كانت بعلم الأمريكان ، إن لم نقل تشجيعهم كما تعاون العملاقان إلى أقصى حد ضد محاولة العودة البريطانية - عدوان ١٩٥٦ - .

ويجدر أن نشير هنا إلى تجربة مماثلة حدثت في العالم العربي ، وللأسف فإن نفس التزوير ، والرغبة في خداع النفس ، والنشبت بالأوهام ، منعت من دراستها الدراسة الواجبة ، ولو حدثت هذه الدراسة ، لربما تجنب قادة حركة ٢٣ يوليو الوقوع في نفس الخطأ . . ولربما تجنبوا أن يأتي مؤرخ فيطلق على حركة ٢٣ يوليو اسم « ثورة كبريت روزفلت » كما أطلقنا نحن على ثورة الشريف حسين أو « الثورة العربية الكبرى » لقب « ثورة لورنس » .

* حتى الروس تصحوا عبد الناصر بالكف عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى .

ففي الحرب العالمية الأولى كانت بريطانيا تحتل معظم العالم العربي ، ومصر والسودان ، وتعتبر الجزيرة العربية في منطقة نفوذها ، وكان العدو هو تركيا ، وهي أيضاً الامبراطورية الأتلية التي تستند بريطانيا لورائتها ، وكانت بريطانيا تخشى أن ينضم العرب للأتراك تحت تأثير الرابطة الدينية ، أو حتى بالحس السياسي الذي كشف لهم ما تدبره لهم بريطانيا وفرنسا .

ولذلك قامت المخابرات البريطانية بتدبير ، ما وصف بعد ذلك ، بالحدث الفريد من نوعه ، وهو الاتفاق مع الشريف حسين على إعلان « الثورة العربية » ضد دولة الخلافة . . . وبقيّة القصة معروفة ، إذ كانت هذه « الثورة » أحد العوامل في تمكين الاستعماريين : البريطاني والفرنسي في المنطقة ، فتقاسما الوطن العربي كأنه فريسة بلا حول ولا طول . . . وأعطيت فلسطين لليهود بلا اعتراض جدي من « الثوار » .

وسيجد المؤرخ تشابهاً غريباً في أحداث الثورتين ، الشريفية والناصرية ، وبعض المؤرخين يسلكنها في خيط واحد في سجل تشريفات القومية العربية ! . . . سيجد نفس اللامبالاة بالصهيونية في البداية ، بل والأمل في التصالح معها . . . سيجد هذه العلاقة « العاتبة » ، « المتوقعة » . . . « الشاكية » . . . « المتوترة » . . . والتي تنتهي بهزيمة عسكرية فادحة هنا وهناك ، وفي المرتين يتساءل المؤرخ . . . لماذا اندفع الشريف حسين إلى محاربة عدو أقوى منه وأقدر على إنزال الهزيمة الساحقة به ، وفق كل المعلومات المتاحة . وذلك في عام ١٩٢٦ ضد السعوديين ولماذا رفض عبد الناصر في ١٩٥٦ تصديق جميع التحذيرات التي أكدت له نية العدوان ، ثم انساق إلى هزيمة ١٩٦٧ بعد نصف قرن من تورط الشريف حسين ؟ . . . ويستحيل الوصول إلى جواب مقنع ، إذا ما أصر المؤرخ على إغفال هذا العنصر في الحالتين ، الارتباط مع المخابرات البريطانية ، ومن ثم تصور استحالة تخلي الانجليز عنه ، وفي الحالة الثانية الارتباط مع المخابرات الأمريكية ، والظن بأن الولايات المتحدة مستتفهم بحل آخر لحظة ولن تسمح بقيام الحرب .

أوجه كثيرة للشبه يمكن أن يجدها المؤرخ أو حتى القاريء الذكي . . . بين تدبير الانجليز ، لإزاحة الترك « بثورة » عربية كبرى وبين تنصيب أمريكاً لعبد الناصر زعيماً للثورة العربية مرة أخرى لإزاحة الانجليز . . . بين أعمدة الحكمة السبعة للورنس وبين لعبة الأمم لكوبلاند . . . وقد أشرنا بالتفصيل لثورة لورنس في كتابنا « القومية والغزو الفكري » الصادر عام ١٩٦٦ . . . وكذلك في كتابنا « السعوديون وأهل الإسلام » الصادر عام ١٩٨٠ . . . ويمكن لمن شاء الرجوع إليهما .

ويعد . . .

فقد كانت في مصر ثورة حقيقية وطنية تجمعت خلال الحرب العالمية الثانية ، ونفجرت بقرار الوفد التاريخي بإلغاء المعاهدة . . . وكان تنظيم الضباط الأحرار جزءاً من هذه الثورة ،

وكان عبد الناصر وطنياً مصرياً يتطلع لإنجاز هذه الثورة ، ولكنه بطبيعته الانطوائية ، فضل الانقلاب العسكري على الثورة ، وبطبيعة الشك في نفسه ، والتقدير الزائد لأهمية سلامته الشخصية ، أراد أن يؤمن هذا الانقلاب بالانفاق مع المخابرات الأمريكية^{٧٢} ، ويتعطشه الزائد للسلطة واقتناعه بأن مصير مصر والأمة العربية رهين باستمراره في هذه السلطة مهما كان الثمن . . . حدث ما حدث . . .
مما نثرو عليك بعضه .

المراجع

- ١ - جولدا مائير : حياتي ص ٢٨٨ .
- ٢ - ن . م : ص ٤١٥ .
- ٣ - كتاب لعبة الأمم : مايلز كوبلاند .
- ٤ - ذكرى محيي الدين عن حموش .
- ٥ - تقرير فريق المستشارين الأمريكي من مؤسسة آرثر لينتل كومباني في بوسطن .
- ٦ - رسالة مصطفى أمين لعبد الناصر .

الملاحق

- م^١ - أحمد فؤاد كان شيعياً قبل انقلاب يوليو والرجل الثاني في تنظيم نحشم الذي كان يرأسه ايللي شوارتز صهر موسى ديان وتربطه علاقة غريبة غير مفهومة مع جمال عبد الناصر وبقي إلى جانبه في وقت سجن الشيوعيين وقتلهم وعينه عبد الناصر مشرفاً على دار روز اليوسف في ظل الغزوة الحرشوفية . ثم مديراً لبنك مصر بلا أي علاقة مع الاقتصاد والبنوك فهو خريج حقوق . . ومازال وضعه يمثل علامة استفهام . .
- م^٢ - حتى ليتمكن القول بكل ثقة إنه لو كان يحكم مصر جاسوس إسرائيلي مثل « ايللي كوهين » أو « كمال أمين ثابت » لما استطاع أن يضيق لمصلحة إسرائيل قراراً واحداً إلى ما فعله الزعيم . .
- م^٣ - بعض المتسولين الذين أطلقتهم السلطة وأعطتهم صحافة ضنت بها على أصحاب الرأي ، تشويه الديمقراطية ومحاربة أنصارها بما يرتكبه هؤلاء . . بعضهم كتب يقول إني تعرضت « لأم » عبد الناصر رحمة الله عليها . فلما بعثناه ردأ على يد محضر نتهمه بالكذب والافتراء لأننا لا نتعرض للأمهات ولا لما نجعل . . نشر تكذيبنا له كالآتي : « كذب الأستاذ جلال كشك ما جاء على لسانه » !! وثار المحامي واقترح أن نقاضيه أو أن نرسل تصويماً آخر ظاناً أنه كتب ذلك عن سوء نية ! . . فقلت له هؤلاء التي قال عنها الأعرابي : « لا تلاحبها بكثرة هرجها » ! . . وقد كتبوا هذا عن جهل باللغة والكتابة ولو كانوا يعرفون الفرق بين ما نسب إليه وما جاء على لسانه لما أعطوهم جريشة !

م^٤ - لا شك أن اضطراباً شديداً قد وقع في صفوف الناصريين والمتاجرين بالناصرية والكائدين للصر باسم الناصرية ، عندما نشرت كتابي « كلمتي للمعطلين » حيث طرحت فيه لأول مرة دراسة كاملة بالوثائق لطبيعة الانقلاب العسكري الذي نفذته جمال عبد الناصر ولم يكن - في بدايته على الأقل - أكثر من واحد من عشرات الانقلابات العسكرية التي نفذتها المخابرات الأمريكية في شتى أنحاء العالم الثالث . . ولم يجرؤ ناصري واحد على أن يتقدم حرفاً في هذا الكتاب ، ولكن لما نصب المولد ، وجاء الحادى الطروب وأحاطت به الفرقة ، في ذكرى هزيمة سيناء الأولى ، ومرة أخرى وجدوني أتصدى لهم ناقلاً المناقشة من أعظم ثورات العرب التحررية ، كما يخلعون على انقلاب ناصر الذي أفضى بالعرب إلى أحلك وأذل مرحلة في تاريخهم . . تظلت المناقشة إلى « أمريكية » الانقلاب ، وهل كان صليلاً . . أم مجرد منعطف للسلطة قبل أن يحقق هدفه بمساعدة المخابرات الأمريكية . .

ولما كان نفي الاتصال بالأمريكان أو إنكار دعم الأمريكان « للثورة » مستحيلًا بعدما قدمناه من أدلة ووثائق ومنطق ، وبعدما نشر في العالم كله من حقائق ، فقد دب الاضطراب في صفوفهم ، وراحوا يحاولون إخفاء الدور الأمريكي في انقلاب يوليو بمحاولات وتصريحات وتفسيرات مضحكة إلى حد البكاء ، وقد تغلبت عزيزي المسرحية (وأنا كاتب المسرحية واحدة بنيمة) وأسلوب الذي يقول البعض إنه ساخر ، تغلب علي فكيت علي ظهر تصريح للسيد علي صبري ، التعليق التالي ، رأيت أن أنشره ترويحاً للنفس قبل أن نخوض في كتابة ما أنزلته بنا ثورة يوليو الأمريكية ! فاقروا السطور التالية كنكتة . .

أخلى « علي صبري » بتصريح قال فيه إنه قابل عبد الناصر لأول مرة في حياته ليلة الثورة وطلب منه عبد الناصر في أول مقابلة : حاجة بسيطة خالص . . بخطف رجله للسفارة الأمريكية ويطلب منهم منع بريطانيا من التدخل ضد الثورة ! . .

واسمعوا القصة : « وكان من الطبعي أنه في ليلة ٢٣ يوليو أن الرسالة التي يراد أن تبلغ إلى السفارة الأمريكية تبلغ من خلالي بحكم العلاقة الشخصية مع الملحق الجوي الأمريكي وقد اتصل بي البغدادي ليلة الثورة واستدعيت إلى القيادة وقابلت عبد الناصر وكانت هذه أول مقابلة ، وأبلغني نص الرسالة الشفوية التي من المفروض أن أبلغها للملحق الجوي الأمريكي والرسالة بسيطة جداً فاجيش قد قام بحركته لتطهير القوات المسلحة من العناصر الفاسدة وليس للحركة أية أبعاد سياسية والشعب كله سيؤيدها لأنها مستمشى مع مصالحه والمطلوب أن تتدخل سفارة الولايات المتحدة لمنع أي تحرك للقوات البريطانية من منطقة القناة وقد ذهبت إلى الملحق الجوي الأمريكي وأبلغته الرسالة واتصل أمامي بالسفير الأمريكي في الإسكندرية ليقل إليه ما سمعه مني وفعلاً وصلت الرسالة إلى السفارة البريطانية فيها بعدد وكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى عدم تدخل عسكري بريطاني في الأيام الأولى » .

وتفسير ذلك بالبلدي أن الملحق الجوي الأمريكي قاعد لا يبه ولا عليه يياكل مبرجر . .
الباب . .
- مين ؟

- أنا علي صبري !
- أهلا علوه ! .. اتفضل ممبرجر .. يسي !
- ألف هنا وشفا .. أصل أنا مستعجل ..
- خير كفى الله الشر ..
- لا أنا قصدك في خدمة ..
- تؤمر باعلوه !
- احنا احتلينا القيادة العامة والإذاعة ومسكنا البلد .. لكن وحق العيش والهمبرجر ..
ولا ينقلب على عيني عدس باشيخ لا احنا بتوع سياسة ولا لينا أهداف سياسة .. غير شي كام ضابط عايزين تظهرهم !!

الملحق الجوي - أنا تحت أمرك عايز مطهرات من أمريكا ؟
علي صبري - لا .. أبسط من كده .. عايزين السفارة تشد تليفون للسفير البريطاني وقائد جيش الاحتلال البريطاني .. وتقول لهم حسك عينك تقربوا ناحية الجيش وحركة الجيش ..
الملحق الجوي - غالي والطلب رخيص يا علي ! .. والله ما تقوم إلا بسوط هاتي التليفون يابت ..

آلو - السفير كافر ؟! حذر فزر مين هنا ١٩ .. لا .. هيكمل مشغول معاهم ١٩ .. علي صبري صاحبي اللي كنت بأسهر عنده .. هو الحقيقة جاي قاصدني .. وأنا قلت بقى إنك مش حتكفتا .. هو أصله قاصدنا ندى إنذار لبريطانيا العظمى حليفتنا رقم واحد في حلق الأطلنطي ، والمسئولة رقم واحد عن مصر .. لأن هم عملوا حركة قصدها تظهر الجيش .. وأنا صدقته وقلبي انشرح له .

السفير الأمريكي - علي ضمانتك ؟ أوعوا يكونوا بتوع سياسة ..
الملحق الجوي - أعوذ بالله .. دا وشه سمح ولا يمكن يكذب ! واتصل السفير الأمريكي على الفور بوزير الخارجية في واشنطن :

اتشيسون : خير الساعة كام دلوفني .. في ايه ؟ . الملك عايز حاجة ؟!
كافري : ملك مين ؟ كل سنة وأنت طيب .. في واحد اسمه علي صبري .. طبعا ما تعرفوش ولا أنا أعرفه .. لكن هو بيته وبين الملحق الجوي بتاعنا عيش وملح .. الستات زي الأخوات .. وهو اتصل بالملحق الجوي علشان التطهير ..

- تطهير ايه ياسفير الكلب تصحيني من النوم علشان عاوز شوية مبيدات ..
- لا اسم الله على مقامك .. دول مش عايزين حاجة غير إنذار صغير يرسل للندن الليلة علشان ما حدش يتدخل .

واتصل وزير الخارجية الأمريكي بالرئيس الأمريكي ..
اتشيسون : صباح الخير باريس .
رئيس الولايات المتحدة : خير ايه وبتاع ايه الساعة كام ؟!
وزير الخارجية : متأسف باريس .. إنا تعرف سفيرنا اللي في مصر ؟ لا . اسمه كافري ..

عنده ملحق ، والملحق مراته تعرف مرات واحد اسمه علي صبري . . لا بالإس S باريس . .
أيوه طول بالك . . علي ده زار الملحق النهاردة وطالين إنذار لبريطانيا . . هم مش بتوع سياسة
أبدأ ، ولا ليهم أهداف سياسية . . دا مجرد تطهير .

- طب ما يكلموا منظمة الصحة العالمية ١٩ . .
- لأهم عندهم مستشفى المواساة وعندهم مطهراتية بس عاوزين تليفون منك لتشرشل تقول له إذا
تدخلت بريطانيا الأسطول السادس حضرها . .

وقد كان واتصل ايزنهاور بتشرشل وثلث يد بريطانيا ولم تندخل بفضل زائر الفجر علي صبري
ووجهه السمع الذي كسب قلب الملحق الجوي !

هل يليق هذا العبث ؟ . . ولماذا هذا اللف والدوران . . مادام عبد الناصر يجتثى تدخل
الانجليز ضد الثورة ، فهل يعقل أن يتظر إلى أن تصبح أمراً واقعاً ، وماذا يحدث لو رفض
الأمريكان . . تضع البلد ؟ أليست رواية جميع المصادر العاقلة أكثر منطقية . . وهي أن
عبد الناصر الحريص علي تأمين الثورة ، اتصل قبل الثورة بالأمريكان شارحاً أهدافه ، عارضاً
التعاون ، وعلي صبري نفسه يشهد حرقاً بالتقاء المصالح عندهما قال : « أعتقد أن الأمريكان قد
وجدوا في الثورة فرصة ، فهم بمساندعهم لما يستطيعون أن يخلصوا نفوذ الانجليز وتحل أمريكان مكان
الانجليز . وكان هذا هدفاً استراتيجياً لأمريكا بعد الحرب العالمية الثانية ، ومصر مفتاح الشرق
الأوسط وإذا استطاع الأمريكان أن يزعزعوا النفوذ البريطاني في مصر وبالتالي المنطقة العربية ،
وكانت هذه هي الأرضية المشتركة التي عمل عبد الناصر علي اللعب بها فهناك تناقض بين
الاستراتيجية الأمريكية والاستراتيجية البريطانية . وهذا لا يعني أن تأييد الأمريكان للثورة كان
تأييداً مطلقاً ولكنه يهدف تثبيت أوضاع الثورة ثم الانطلاق من إلى تقليص النفوذ البريطاني تهديداً
للسيطرة » (حرقاً حديث صحفي - نوفمبر ١٩٨٦) .

صدقنا وأما . . وقتنا كما قال النجاشي . . هذا والانجيل مثل هذين اوسبحان من ضرب مثلاً
ما جناح بعوضة !

- الأمريكان استراتيجيتهم هي إخراج بريطانيا من مصر .
- وجدوا في ثورة عبد الناصر فرصة لتحقيق ذلك .
- عبد الناصر وجد أن هذه أرضية مشتركة ، تمكنه من الحصول على الدعم الأمريكي لثورته .
- الأمريكان رأوا أن دعم هذه الثورة وتثبيتها يحقق لهم تصفية النفوذ البريطاني والسيطرة على
مصر . .

وكل امرأة طائق وكل ربة حرة إن كنا قد قلنا أكثر من ذلك ، إلا أن استراتيجية أمريكية منذ
الحرب العالمية الثانية ، لا يمكن أن تنام عليها أمريكا حتى ينهها علي صبري ليلة الثورة أو
صباحيتها . . واستراتيجية خطيرة مثل هذه لا يمكن أن يكتشفها عبد الناصر ليلة الثورة ، ولا يمكن
أن يؤجل دراستها وتجربتها ومحاولتها إلى أن يغامر بها مرة واحدة يوم الثورة . .

لقد انفق الطرفان على تنفيذ الثورة ، ولا بضير الناصريين الشرقاء أبداً الاعتراف بهذه الحقيقة
فهي لا تجعل من عبد الناصر عميلاً ، وإنما متأمرأ . . وقد قلنا إن هذه « المؤامرة » ضمنت نجاح

الانقلاب ، ومنعت تدخل الانجليز وحقت الكثير من النجاح ، ولكن لأنها كانت مؤامرة ومع
المخابرات الأمريكية فقد انقلبت بعد ذلك على المتآمر ودمرت كل شيء ، ومكنت إسرائيل من إلحاق
الهزيمة التاريخية بمصر والعرب . .

فلا داعي للقف والدوران وتغطية الرأس بكشف السموة ، الانشاق الاستراتيجي بين
« انقلاب » يوليو والأهداف الاستعمارية الأمريكية متفق عليه . . نحن نقول « قبل » وهم يقولون
« بعد » . . فأي الروايتين أكثر منطقاً وعقلانية ؟ !

م^٥ - ويدعي مايلز كويلاند أن عبد الناصر قال له إنه موافق على مقالة هيكلي ، وإن كان الأمر ليس
بالباطة التي عرضها هيكلي . وأنه وبخ هيكلي على المقال ١ . . انظر : لعبة الأمم ص ٢٧٠ -
٢٧١ .

م^٦ - ذكر تقرير للمخابرات الأمريكية أن واحداً من زعماء بيروت المسلمين الأربعة ، حصل على
٧ ملايين ليرة لبنانية من مصر خلال أحداث ١٩٥٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾

صدق الله العظيم

فصل / ٣٣

الفصل الأول

التاريخ البلاستيك وهيكـل ..

عندما يكتب التاريخ بهدف إخفاء جريمة فهو تزوير في
أوراق وطنية ! ..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾

صدق الله العظيم

فصل / ٣٣

مؤرخ الناصرية ، بشكو فقدان المصداقية ! - فهو كما يقال - يقتل القليل ويمشي في جنازته ، ذلك أنه كمستول عن الإعلام الناصري ، الذي وضع أسسه خبراء المان اختارتهم واستأجرتهم المخابرات الأمريكية لإنشاء وتطوير هذا الإعلام الناصري ، كان من الطبيعي أن يتسلح نجم هذا الإعلام بشعار جوبلز : « اكذب ثم اكذب واكذب أكثر .. » وأخيراً سيضطر الناس لتصدقك » ..

وهذا طبعاً يتطلب دعم الكذب بالإرهاب ومنع المعلومات عن الناس ، وحظر أي تشكك فضلاً عن مناقشة ما يقدمه الإعلام الرسمي من أكاذيب ، تحت طائلة السجن والتعذيب وأحياناً الموت ، عندئذ تصبح الأكذوبة هي وحدها المتاحة ، ويصبح قبولها أو رفضها سبباً ، لأنه بدون المعرفة لا يوجد اختيار ، وبدون اختيار لا حرية وإذا انعدمت الحرية فلا حقيقة ولا تاريخ .

وهكذا كان الإعلام الناصري ، وهيكمل فارسه* يكذب بلا حرج ولا حياء ويضيف الواقعة ، كيفما شاء وعدة مرات ، وفقاً لتطورات مواقف السلطة ، عل نحو يتطابق حرفياً مع ما جاء في رواية « جورج أورويل » (العالم سنة ١٩٨٤) حيث تقوم الدولة أو « الأخ الأكبر » كما سمي الديكتاتور ، يقوم بتنقيح التاريخ مرة كل عدة سنوات ، فينكر ما كان مفروضاً كحقيقة ثابتة لعدة سنوات ، ويفرض من جديد ما كان مفروضاً كأكاذيب .. ! وإذا كنت - شخصياً - قد تعرضت لكثير من وقائع تزوير التاريخ التي ارتكبتها هيكل ، وذلك في كتيبي ومقالاتي خلال عشرين عاماً منذ أن امتلكت حرية النشر بخروجي من مصر عام ١٩٦٨** وإذا كان كتابي هذا ، يدور أساساً حول تزوير هيكل للتاريخ ، إلا أنني أردت

* دون أي انتقاص من جهد أحمد سعيد وعبد القادر حاتم .. الخ ولكن هيكل بلا شك كان الماسترو .

** انظر « أخطر من النكسة » ١٩٦٨ و « النكسة والغزو الفكري » ١٩٦٩ ومجلة « الشعب والأرض » .

أن أفتح شبهة القاريء أو قل أقدم له صورة من أكاذيب هيكل ، في هذا الفصل ، باستعراض بعض الأمثلة للاستهتار الذي يتعامل به هيكل مع التاريخ والقراء ، من خلال المقارنة بين وقائع محددة ، ذكرها هو نفسه مرة في « ملفات السويس » الصادر باللغة العربية ثم عاد فأوردها بصورة مخالفة وذلك في « نفس الكتاب » - كما يؤكد هو - الذي صدر بالانجليزية تحت عنوان : « السويس : قطع ذيل الأسد » . . مع الإشارة - أحياناً - إلى الخلاف بين « ملفات السويس » العربية وأصلها الذي صدر منذ عشر سنوات باسم « قصة السويس » !

و « ملفات السويس » و « قطع ذيل الأسد » صدرا في وقت واحد ، فلا مجال للحديث عن ضعف الذاكرة أو ظهور حقائق جديدة ! وسيرى القاريء أن الطبعة العربية صدرت في ٩٢٨ صفحة من القطع الكبير أما الطبعة الانجليزية فلم تتجاوز الـ ٢٤٢ صفحة أي الربع تقريباً . . وقد اعتذر المؤلف بأنه اضطر للإطالة في الطبعة العربية لأن بعض التفاصيل ، لا تتم القاريء الأجني ، ولأن انعدام المصادقية في العالم العربي ، فرض عليه التوضيح والتوثيق على حساب الاختصار ، ومن هنا كان يفترض أن تكون الطبعة العربية هي الأحفل بالتفاصيل ، وإذا وقع حذف أو اختصار فيكون من نصيب طبعة « التصدير » ، ولكننا مستبث أو نكتشف معاً ، العكس تماماً ، فإن الطبعة العربية - على طولها - هي التي سقطت منها وقائع وحقائق في غاية الأهمية ، وأنها طالت بشفقة اللسان والتهريج بطولات كاذبة استحي هو أن يعرضها للقاريء الأجني أو اضطر ناشره الانجليزي إلى حذفها تمسكاً بشرف الكلمة ، واحتراماً لهذا القاريء الأجني . . الذي كان عند حسن ظنهما فاستقبل هذه الطبعة ببرود لم يجابه به أي كتاب لهيكل ذاته . .

أما عن الخلاف الواضح بين الطبعتين ، فلا مجال للاعتذار أو التبرير بخطأ المترجمين أو غشهم لسبين :

أن الاختلاف كما سنرى هو في وقائع وليس مجرد صيغ ، وأن الخلاف دائماً في خدمة الهدف أو التهمة التي نتهمة بها ، وهي محاولة تضليل القاريء العربي بإخفاء حقائق العهد الناصري وخاصة فيما بثبت العلاقة بين عبد الناصر والمخابرات الأمريكية ، أو الترويج للولابات المتحدة والفكر الصهيوني . . ومن ثم فالمصلحة واضحة في الاختلاف ، مما يؤكد تعدد التزوير .

أما السبب الثاني فهو اعترافه بأنه هو الذي ترجم :

« ترجمت الكتاب الأصلي بنفسي إلى اللغة العربية إلا أنني توسعت في التفاصيل فهناك كثير مما ينتم له القاريء العربي بدرجة أكبر بالقطع من القاريء الانجليزي أو الأمريكي أو الفرنسي أو الألماني أو الياباني . . إلى آخره » .

ومن ثم فمن حقنا إزاء ما نعلم إخفاءه في الطبعة العربية أن نقول عن هذه الطبعة إنها كتبت « للمغفلين » للرعايا المتخلفين ، المحظور عليهم ، المعرفة . . أو النقد ، أما الطبعة « الأفرنجية » فكتبت للمتقدمين الذين يعرفون ، والذين يحترمهم الناشر فلا يسمح بإدخال العقلة عليهم بالقصص النافهة المفصولة التلقيق .

لقد ظن أن أحداً لن يهتم بمراجعة النسختين وكشف ما بهما من تناقض ، فقرأوه إما جامل يكتفي بترديد : الله ! الله ! وهو يغني له : اضرب . . اضرب . . أو مياثر بهاجمه بلا سند أو دراسة . . أولعله اطمأن إلى حالة الكسل العقلي التي تسيطر على المثقفين مما جعل مثله يتصدر . . ونسي أننا من المدرسة القديمة جداً في احترام شرف الكلمة ، لا نتصيد ولا نتصدر لأمر دون دراسته ، ومهما كانت كتاباته كريمة على نفوسنا ، فلا يجوز أن ننقدها قبل قراءة واعية مدققة لها . . وهكذا شاء حظه أن نقرأ الكتابين بل الثلاثة . .

□ ومنذ البداية نلاحظ الخلاف بين أسباب إقدامه على التأليف ، ففي طبعة المتخلفين ، نجد حديثاً مما يطرب له هؤلاء المشبهرون ، وتتغنى به جوقة الناصرين ، فهو يحدثنا عن حشد من الناشرين من شتى الأجناس - بذكرنا « بصدى عالمي لخطاب الرئيس » - يحدثنا عن تجمع ناشرية من الانجليز والفرنسيين والأمريكيين والألمان واليابانيين^٢ يطالبونه بأن يخرج للناس كتاباً عن السويس « لا يضلون بعده » والمضحك أن ناشرية يكررون نفس الحكاية مرة كل عشر سنوات ، فقد روى نفس القصة في مقدمة كتابه عن « قصة السويس » ونفس الحشد من الناشرين يعاتبونه لأن الذكرى العشرين للسويس ستم وهو لا يكتب عنها . . وتمر عشر سنوات أخرى لا هو يتذكر ولا الناشر ون يتسول بل يأتون بجمعهم مرة أخرى ويصرخون : « كيف تأتي الذكرى الثلاثون . . وأنت . . الخ » .

أما في الكتاب المنشور بلغة هؤلاء الناشرين ، فقد رأى أنه لا يستحسن الكذب عليهم بمثل ما يقال للعرب ، وهكذا اختفت تماماً حكاية مظاهرة الناشرين الذين نهبوه إلى العبد الثلاثين للسويس ، الذي كان قد نسيه ، فعل الزوج غير الوفي . . !

في الطبعة الانجليزية نجد حكاية أخرى تماماً ، فهو الذي تذكر وهو يسأل نفسه ويحجب : « لماذا يكتب كتاباً عن السويس بعد مرور كل هذا الوقت ؟ » ويحجب : لأن كل ما كتب كان من وجهة النظر الغربية . . ولكن الجانب المصري من الحكاية لم يوثق^٣ .

هنا في بلاد العرب لماذا لا يكتب وهناك لماذا يكتب ؟ وحتى هذه كذبة ! . . لأننا نعرف أنه سبق ونشر كتاباً - منذ عشر سنوات - باسم « قصة السويس » راج وذاع على حد قوله - حتى طبع في سبع لغات ! . . ولما كنا قد ناقشنا ذلك الكتاب وفندناه في كتابنا « كلعتي للمغفلين » فقد بدأنا نشك - ونحن من الموسوسين حول دقة ما نكتب - فشككنا . . هل ناقشنا كتاباً مزوراً لم يؤلفه المذكور . . ثم تذكرنا كذبه ونعوذه أن يفعل الشيء أكثر من مرة

ويفتح كل مرة أو يعتذر بأنها أول مرة* ، وقلنا : إنه ربما بعد ما فندنا كتابه هذا وعربناه تبرا منه فعل والد السوء !

ولكن دعنا من هذا ، ولنتقل إلى ما هو أهم وأخطر ، بل إلى ما نعتبره فصل الخطاب ، وفعله التي قطعت قول كل خطيب ، ولولا أن بني إسرائيل لا يؤمنون بأية واحدة ، لكان في تلك ما يكفينا ويغنيا عن تأليف كتاب . .

□ ذلك أن الناشر الأفرنجي أو المؤلف أوهما معاً ، لخصا مغزى وأهمية رواية هيكل لحرب السويس أو بمعنى أصح لقصة الناصرية من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦ في هذه السطور : « إن اتاحة أوراق عبد الناصر الخاصة*» لهيكل ، وكذا الأرشيف المصري الرسمي ، مكنته من دعم ذكرياته بالعديد من الوثائق . ولكن الأهمية الحقيقية لهذا الكتاب تكمن في أنه لأول مرة يمكننا من رصد أحداث معروفة في ضوء جديد تماماً ، فهي ليست مجرد كارثة نهاية امبراطورية . ولكن كفصل من العملية التي حاولت بها الولايات المتحدة استبدال الاستعمار القديم بنوع جديد من الهيمنة ، وهي ليست مجرد حدث تطويه كتب التاريخ بل فصل في دراما مازالت تجري أحداثها .

ولأن المصادقية انعدمت ، بكتابات أمثاله ، فإننا نثبت النص الانجليزي حرفياً ، كما جاء على غلاف الكتاب أو « القميص » كما يسميه الناشرون العرب :

« Not simply as a disastrous epilogue to Empire, but as one stage in the process by which the United States sought to supplant the old imperialism with a new form of hegemony not as an episode that can safely be consigned to the history books, but as one act in a drama that is still played »

الناصرية ليست إلا فصل من قصة إحلال أمريكا سيطرتها أو هيمنتها محل الاستعمار القديم ! . .

بربكم . . هل قلنا أكثر من هذا . . ؟

ألم يكن قراء « هيكل » من الناصريين يتوقعون أن يكون هدف كتابه هو العكس تماماً ،

- في مصر أيضاً حاولوا أن يصفوا كتابه بأنه أول كتاب يطبع في مصر . . فلما رفع الناس حاجبهم اعتدروا بصوت خافت : منذ ١٩٧٤ ! . . وجميع كتبه التي طبعت بالخارج أو الداخل وزعت في مصر ولم يصادر إلا كتاب « خريف الغضب » إزاء السخط الشعبي الذي استقبل به ولكنه نشر بالكامل في صحف مصرية ! ثم أهملت السلطات وهو يباع الآن في مصر أو بالأحرى معروض للبيع .
- معلوماتنا أن عبد المجيد قريد باعها ! أه بالأوراق عبد الناصر الخاصة ، مهيك المليك فور موت السلطان وباعوها في أسواق النخاسة ولدى القناصل . . ولم يفكر واحد منهم ولا السلطان من قبلهم بأنها من حق مصر الدولة أو هل خطريبال المهالك الاشتراكية أن هناك دولة أو حتى مصر !

أي : « إثبات أن الناصرية لم تكن فصلاً من ملحمة الدخول الأمريكي ، بل الرفض الوطني للاستعمارين من أجل الاستقلال والكيان الذاتي . . إلى آخر ما تعودنا سماعه وقراءته في نشرات الناصريين ؟ »

إذا كان قد جاء أخيراً ليثبت ما أجهدنا أنفسنا في إثباته ، وما جلب علينا المتاعب والتعديبات . . فلا أقل من أن يشير إلى جهلنا في تنويره ! . . أما إذا كان الناشر الانجليزي قد وضع هذه العبارة من وراء ظهر « هيكل » معبراً عما فهمه من وقائع وسرد هيكلي ، فقد أحسن الفهم ، وحتى لو كان لنا فضل السبق ، فإن الفرنسي برنجي . . واحتمال ثالث هو أن يكون هيكلي قد عرف حقيقة أن الناصرية مجرد إفراز للتناقض الأمريكي البريطاني ، وأداة أمريكية في الحلول محل بريطانيا ، عرف هذه الحقيقة طول الوقت ، وأخطأها على المصريين والعرب ، بينما لم يستطع كتابها على القراء من الفرنجة ، ومن ثم فهذا هو الندليس ، بل وتفرقة عنصرية لا نرضاها ، ودعنا من رضاء التاريخ وثقة المؤرخين . . أو شرف التأليف . . ولا نفري كيف استج بعض الدجاج في بلادنا أن ملفات « هيكلي » أثبتت براءة « ثورة » بوليوم من الدم والمصالح الأمريكية . بينما استج الناشر الانجليزي ، أن ناصر وناصريته وأحداؤه وبطولاته وانتصاراته وحروبه وشغبه - كما رواها هيكلي - ليست إلا مجرد فصل في مسرحية : « مات الملك البريطاني . . عاش الرئيس الأمريكي » ! أو بتعبير شكسبير . . كانت الناصرية هي العبد الذي اغتال به الابن الأمريكي ، الأب البريطاني العجوز وورث قطيعه ومماليكه .

وأيضاً اختار الناشر أو المؤلف أو هما معاً ، كاريكاتيراً من صحيفة : The New Statesman وكتب تحتها تعليقاً يقول : « أمريكا المتصر الأوحده في المرحلة »^٤ .

سبحان الله !

نحن لم نذهب إلى هذا الحد في الغلو . . بل قلنا إن مصر كسبت أيضاً ولو جزئياً . . فيما يتعلق بتأميم القناة على الأقل ، ولكن « هيكلي » عندما يتحدث بالانجليزية عن حرب السويس فهو يقرر أن أمريكا - بالفرحة - هي وحدها التي خرجت منتصرة ! . . *

وإذا كان الاعتراف هو سيد الأدلة . . فإن ما جاء على غلاف كتاب هيكلي بالانجليزية هو أوضح وأصرح اعتراف بأمريكية الناصرية من ناحية المنطلق والتحريك والأهداف ، وإن كان هذا التلخيص لا يثبت أو يشير إلى علاقتها مع المخابرات الأمريكية ، ومن ثم يبقى الكثير من القول . .

ومرة أخرى فإن حصر الاختلاف « المقصود » بين النسختين ، جهد يفوق طاقتنا ويتخطى حاجتنا ، حتى لو اقتصرنا على التحوير السياسي وتزييف الوقائع أو تهذيبها أو

• هذا في إطار العنوان الثلاثي .

تلوينها . . فحسبنا إذن استعراض بعض هذه الاختلافات لا بترتيب أهميتها وإنما بترتيب ورودها . حتى يتبين القاريء أي أسلوب في التاريخ يعتمد ذلك الشخص ، وإلى أي مدى يمكن الاعتماد على روايته . . وبالتالي حقنا ، بل واجبنا في الشك في دوافعه ومعتقاته ، إذ لا يقدم على تزوير التاريخ إلا منهم صاحب مصلحة ، هارب من التاريخ ، مُدان من التاريخ .

وقد تعرضنا في بقية فصول الكتاب لنماذج أخرى من تحويره وتبديله لرواياته هو ذاته . . ومن ثم فهذا الفصل ليس إلا فاتحة شهية :

□ خذ مثلاً واقعة لقاء الملك عبد العزيز مع الرئيس روزفلت ، وهو اللقاء الذي تجمع المصادر الأمريكية على أنه ترك أكبر الأثر في نفسية الرئيس الأمريكي واقتناعاته ، أو كما قال روزفلت نفسه : إنه خرج من ساعة قضاها مع عبد العزيز بتأثير ووضوح فاق كل ما استمع إليه من قبل حول قضية فلسطين ، وتذهب نحن وغيرنا إلى أنه لو عاش « روزفلت » لربما اختلف موقف الولايات المتحدة بعض الشيء ، هذا إذا كان لاقتناع رئيس البيت الأبيض من دور في السياسة الأمريكية . .

هذا اللقاء يقدمه هيكمل في صورتين . . مرة في الطبعة العربية بما يكفل عدم مصادرة الكتاب في المملكة ، وما قد يغري السعوديين باستخدام مواهبه في « تحلية » التاريخ . . فالملك في هذه الطبعة منطقي ومفهم في رده على روزفلت : « لماذا لا يعود اليهود إلى بلادهم التي هاجروا منها خوفاً من النازي » . .

نعم ! مادامنا هزمتنا النازية فلماذا نحقق هدفها باستبعاد اليهود من أوروبا ؟ ! لماذا يستمر طرد أو فرار اليهود ؟ ! لماذا لا يعوضون على حساب دول المحور ؟ ! ما ذنب فلسطين لتدفع ثمن خطايا الآخرين ؟ !
منطق قوي ومعقول . .

وهو « بالصدفة » ما حدث فعلاً وما قاله الملك وما نشرناه نحن وغيرنا عدة مرات بالعربية والأمريكية . .

ثم تأتي المفاجأة . .

ففي النسخة العربية نجد الملك يقول لروزفلت : « إن اليهود والعرب لن يتعاونوا أبداً في فلسطين . والعرب يشعرون بالتهديد المتزايد »^٥ .

وهذا مشروع وعدل فاليهود والعرب لا يمكن أن يتعاونوا في فلسطين « لأن اليهود يريدون طرد العرب من فلسطين وهناك خطة لشراء الأراضي » .

ولكن في الطبعة الأجنبية التي كان أحرق به أن يحسن فيها تقديم الموقف العربي ، نجده على العكس من ذلك بشوّه الموقف ويسيء إليه عند الألماني والياباني . . إلى آخر قارئيه كما

استعرضهم ! هناك نجده يعرض موقف الملك على هذا النحو : « قابل الملك عبد العزيز ظهر اليوم التالي ، فتدارسا مشكلة اليهود المشردين في أوروبا فأصر الملك على استحالة التعاون بين العرب واليهود في فلسطين أو في أي مكان آخر » .

في الطبعة العربية وقف عند فلسطين ، أما في الطبعة الأفرنجية فأضاف : « أو في أي مكان آخر » .

هنا تشويه مقصود لموقف الملك بل للموقف العربي كله . . فالموقف هنا لا ينبعث من مشكلة فلسطين ، ولا هو صراع مشروع لقومية أو شعب يقيم فوق أرضه يراد منه التعاون مع غزاة يطمع ويسلب فعلاً . . هذه الأرض . . لا . . إنه موقف عنصري عام شامل في كل مكان لأنهم عرب وهم يهود . .

هنا تسقط جريمة الغزو الصهيوني لفلسطين باعتباره المنبر لعداوة العرب ومبرر هذه العداوة . . وتسقط مشروعية الرفض العربي . . باعتباره ينطلق من حقهم في بلادهم . . وهذه هي عبقرية الدعاية السوداء والرمادية التي يحدثنا عنها . . أي فن إضافة نصف سطر ينسف الموقف ويشوه القضية !^{١٢}

في الطبعة الأجنبية يحذف منطق الملك المنقح الذي يطالب فيه بمنع الصهيونية من تنفيذ المخطط المعادي للسامية الذي بدأه النازية ، مخطط إخراج اليهود من أوروبا . . ومنطق الملك هو المنطق السليم الذي يتهم الصهيونية بأنها تنفذ مخطط النازية هذا ، باستمرار قهر اليهود وترحيلهم . .

من الذي عدل الرواية ؟ من الذي حوّل النص ؟ . . وأيهما النص ؟ وكيف لا يتساءل المثقفون في بلادنا : كيف يؤمن هذا على النصوص والتاريخ !؟

وبالنسبة ، في الطبعة العربية ويهدف مغازلة السعوديين وتنشيط البيع جاء لقاء عبد العزيز مع روزفلت على مدى خمس صفحات ، أما في الطبعة الأفرنجية فقد اختصر إلى نصف صفحة !

□ ونمضي في المقارنة بين ما قبل للغربيين المتورين ، وما أعدته مؤسسة تزييف التاريخ لقرائها بالعربية . . فنقارن بين صفحتي ٤٩ ع و ٨ خ فتفاجأ بأن الأستاذ قد ألحقتنا بنصي رسالة الوزير الأمريكي المفوض في مصر عن اللقاء بين فاروق وروزفلت ، وترجمها مشكورا هو أو مكتب سكرتيرته السابقة ، الشائرة على « الزعيم » بواقع التسجيلات . . ومنح الخطاب رقم ١١ في قائمة « الوثائق » التي ازدان بها الكتاب العربي وطرب لها الأميون . . ومن أجل استرداد المصادقية التي ضاعت ! إلا أننا نكتشف أنه حتى في الوثائق ، فإن الأخ الأكبر لا يتورع عن تنفيج التاريخ ، بما لا يجردش حياء قرائه الفاضلين . . ففي « الوثيقة » العربية سقط عمدا أهم ما قاله الرئيس الأمريكي للملك فاروق . الأمر الذي لم يكن يوسع

حذفه من الطبعة الانجليزية . . . أو من يدري لعله فعل وأضافه الناشر الانجليزي لتعزيز المصادقة إياها ! . . . والنص المخفي هو :

« واقتراح الرئيس الأمريكي على ملك غير متجاوب ، اقتراح روزفلت تقسيم الملكيات الكبيرة في (مصر) وتسليمها للفلاحين لزراعتها »^٦ (وقد بلغ الحرص على دقة النص أن كلمة « فلاحين » كتبت هكذا : Fellahin . . لتحديد الطبقة المقصودة بالتوزيع ج) . .

لماذا نحن « هيكل » على البؤساء من قرائه العرب بهذا النص البالغ الخطورة ١٩ . . رغم التطويل المتعمد في الطبعة العربية والاختصار في الانجليزية . . لماذا ؟

الجواب معروف : لأنه يعزز حجة الفائلين بأن الإصلاح الزراعي هو أصلاً ، مطلب أمريكي قديم منذ ١٣ فبراير ١٩٤٥ أي قبل الثورة بسبع سنين* .

وها نحن في أول لقاء بين رئيس أمريكي وملك مصر ، لا يجد الرئيس الأمريكي ما يقترحه على « ملك غير متجاوب » بل مهتم أكثر بالشكوى من معاملة الانجليز ، لا يجد الأمريكي ما يطلبه إلا الإصلاح الزراعي . . ولكن لأن هذه الحقيقة تعزز حجج خصوم الناصرية فقد استحقت أن تنسخ وفي أول ملزمة . . ولكن هيهات فقد بقي حكمها ! بل ونصها الأفرنجي !

وعندما يكتب التاريخ بهدف إخفاء تهمة ، فهو لا يكون تاريخاً ، بل شعوبة وتزويراً في مستندات رسمية . .

آه ! ولكن القانون في أجازة !

□ ولنفس الهدف ومن نفس المنطلق الذي دفعه لتزوير حجج ومنطق الملك عبد العزيز نجده يزور أيضاً حقائق المواجهة العربية الإسرائيلية الأولى . . وتفصيل ذلك أنه إذا كان التحليل السليم لحرب فلسطين الأولى ، لا يغفل أنها كانت - في أحد جوانبها - مظهراً « للصراع الأنجلو - أمريكي » ، إلا أن هذا لا ينكر جوهرها ، وهو الصدام بين القومية العربية والامبريالية الصهيونية - الأمريكية ، بين الشعب الفلسطيني والغزو الاستيطاني اليهودي . أما هذا الصنف من مزوري التاريخ فيغفل - عن عمد - جوهر الصدام وينسب بجزئية الصراع الأنجلو - أمريكي ، فيصور الحرب وكأن إسرائيل (الوطنية) خاضتها ضد بريطانيا وعملاء بريطانيا من الحكام العرب ! ومن ثم فلا مبدئية ولا قضية ولا مشروعية للموقف العربي ! وهم بهذا يلتقطون أو يتقمصون أكذوبة إسرائيل عن حرب « الاستقلال » !

فهو يقول لقرائه « الأجانب » : إن الانجليز أرادوا الدخول المصري في حرب فلسطين ، و لحرف أنظار المصريين عن النزاع معهم ، وكان في وسع الانجليز الاعتماد على الملك فاروق

* راجع ما كتبه عن السيد العالي

الذي كان واعياً بنفس شعبه وأن البلاد كانت تعاني من كساد اقتصادي ، ومن ثم فإن نصراً عسكرياً هو بالضبط ما يحتاجه الملك الذي كان الآن كولونيلاً فخرياً في الجيش البريطاني و « قبلد مارشال » مصرياً . وهناك أدلة على أن بريطانيا كانت مستعدة لتسليم مصر بطريقة غير عادية . . . السماح بالسرقة^٨ .

وهذا العرض المشوه المزور لطبيعة الحرب الوطنية الفلسطينية ، وفي كتاب مصري بالإنجليزية لا يمكن إلا أن يضاف إلى ترسانة الإعلام الصهيوني وسعود هذا بالتفصيل في الفصل القادم .

□ ونفس الأسلوب في تبني المنطق الاستعماري الذي شوه المطالب الوطنية ، نجده في حديثه عن المطالب المصري - السوداني ، التاريخي والأصيل وهو « وحدة وادي النيل » والذي كان التخلي عنه بل تحطيمه هو أبرز منجزات الناصرية لصالح الاستعمار وضد المصالح الحقيقية ، والحقائق التاريخية للشعب في مصر والسودان بل مصالح الأمة العربية والشعوب الأفريقية ، وكما كانت حرب فلسطين في التفسير الصهيوني - الهيكلي ، حرباً استعمارية أرادها الملك فاروق لحل الأزمة الاقتصادية ! . . كذلك يطرح هذا التفسير قضية وحدة وادي النيل كخرافة يتمسك بها الملك وحده :

« مسألة السودان أو ما يسمى بوحدة وادي النيل لعبت دوراً هاماً في مفاوضات ما بعد الحرب ، فقد كان مفهوماً أنها قضية عزيزة على قلب الملك فاروق ، الأمر الذي لا يستطيع أحد من وزرائه تجاهله . ولكن عندما اختفت الملكية أصبح الطريق سالكاً للسودان لكي يستقل عن كل من مصر وبريطانيا »^٩ .

غير صحيح !

وحدة وادي النيل ، كانت مطلباً أو هدفاً . . عزيزاً على قلب كل مصري وسوداني ، إلا أنتم الاستعمار ، وصيته ! فمنذ الاحتلال وقبل أن يولد فاروق وهذا المطالب على رأس الأهداف القومية ، وإحدى رصاصات الورداني الشهيد كانت ضد اتفاقية ١٨٩٩ التي سلم فيها بطرس غالي بسيادة بريطانيا مع « مصر على السودان » ، وصيحة البرلمان المصري الأول الخالدة ثم ثورة ١٩٢٤ وتعثر جميع المفاوضات حول السودان . . الخ ، ولا يقلل من أصالة ومشروعية هذا الهدف عجزنا عن تحقيقه . . وإلا فماذا يبقى لنا إن حكمنا بنفس المنطق على أهدافنا التي ضيعها انقلابيو يوليو . . وغيرهم من قادة العرب !؟

مصر كلها كانت تطالب ، ويستشهد بنورها من أجل الجلاء ووحدة وادي النيل . والسودانيون صوتوا بأغلبية كاسحة مع الوحدة في أول انتخابات حرة تشهدها بلادهم ، بل وهل أقول وآخر !؟ . . أول خطاب أذاعه محمد نجيب بصوته كان موجهاً إلى « إخواني أبناء وادي النيل » .

والسودان لم يستقل عن كل من مصر وبريطانيا .

فمصر لم تكن تستعمر السودان مثل بريطانيا . . ولا حتى تحكمه . .
السودان استقل عن بريطانيا . . وانفصل عن مصر . . هكذا يجب أن يكتب التاريخ . .

ومهما يكن موقف الملك ، فلم يكن هو سر ثمك مصر بالسودان ، بل لعنا لا نذهب
بعيداً إذا قلنا إن الارتباط بالسودان كان عند البعض مبرراً للتاج . .
وبالطبع الصيغة العربية مخففة ومنقحة ، وهي لا تجعل انفصال السودان « نصراً »
« تحورياً » كما هو الحال في النص الانجليزي ، بل ظاهرة عجز . .

على أية حال . . لقد اضطر المنظر إلى الاعتراف بما ذهبنا إليه في « كتابنا »* من أن إلغاء
الملكية كان بهدف التخلص من مشكلة اللقب « ملك مصر والسودان » . . وإذا كان هو في
الطبعة العربية يحاول أن يغمر بالقاري « المصري - السوداني » ، فيزعم أن مساويء الملك
انعكست على التاج ، وبالتالي على فكرة الوحدة ، مردداً بذلك كلام الاستعماريين الانجليز
في السودان الذين هاجموا شعار الوحدة تحت « التاج المشترك » بإطلاق شعار « المهرج
المشترك » لعباً على التشابه بين لفظي Crown و Clown** فيقول : « ففي تلك الأحوال
والظروف لم يكن التاج رمزاً لوطن ، وإنما تحول ليصبح مهانة له » . .

لا . . هذا نصب . . ! الوطن فوق النظام . . ومهما بلغ ضيق الصعيد أو الاسكندرية
بحاكم مصر فهذا لا يعني الانفصال ، على أية حال الانفصال لم يتم في عهد فاروق ، بل
بعدما ذهب الملك الفاسد وجاء الحكم الصالح . . لو كان انقلابيو بوليو وطنيين أو يريدون
حقاً وحدة وادي النيل ، فلماذا عندما ألغوا الملكية ، لم يعلنوا جمهورية وادي النيل أو مصر دان
كما كان الوطنيون يقترحون ؟! لماذا لم يسموا محمد نجيب محبوب مصر والسودان - وقتها -
« رئيس جمهورية وادي النيل » ؟! لسبب بسيط أنهم ألغوا الملكية بأمر من الأمريكان بعد
مساومات وتسوية بين الانجليز والأمريكان اتفق فيها على خروج الانجليز من السودان ومنع
وحدته مع مصر . . وأمر عبد الناصر فاستجاب***

□ وفي الطبعة العربية ، عرضت قصة أم الرشراش (إيلات) بصيغة موفقة ، ترضي الملك
حسين والرقابة في الأردن ، وتخفي دور الأمريكيين ورغم أنه أشار لقرائه العرب إلى نص
« أبو الهدى » رئيس وزراء الأردن إلا أنه حذف الفقرة الخاصة بدور الأمريكيين في تسليم
هذا الموقع لليهود كما حذف دور عبد الناصر والأمريكان في حرب ١٩٥٦ في تطويره إلى أهم
ميناء إسرائيل وأخطر ميناء على البحر الأحمر بفتح خليج العقبة للملاحة الإسرائيلية . .

* كلمتي للمغفلين ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ وانظر مقالنا في مجلة أكتوبر .

** انظر كتابنا متابع ثورة مايو وكتابنا : كلمتي للمغفلين .

*** انظر فصل السودان في « كلمتي للمغفلين » .

في صفحة ١٩ من الطبعة الأوروبية نقل عن « توفيق أبو الهدى » رئيس وزراء الأردن في اجتماع رؤساء الحكومات العربية في يناير ١٩٥٥ أن السفارة البريطانية أبلغته بوصول رسالة من بينن (وزير خارجية بريطانيا) تقول : « إنه كان يتنى من كل قلبه أن يمنح اليهود من احتلال أم الرشراش ولكن الحكومة الأمريكية ضغطت علينا » .
هذه الفقرة حذفت من النص العربي سراً لعورة الحكومة الأمريكية عن أعين « المتعصين » العرب !

□ ومن يقرأ « قصة السويس » آخر المعارك في عصر العمالة « الصادر في ١٩٧٦ في الذكرى العشرين ثم يقارنه « بملفات السويس » الصادر في ١٩٨٦ ، يظن أن السنوات العشر قد أصفلت مؤلف الكتابين وثمت ضميره فأصبح أكثر ميلاً للاعتراف بالحقائق ، فهو في قصة السويس يبدأ مترعاً على عرش المجد ، يتحدث عن أعظم نصر في التاريخ الحديث !! ثم يفرد المقدمة كلها في الحديث عن أسباب ونتائج ومؤثرات السويس فلا يأتي ذكر الأمريكيين ودورهم ، بل لن نقابل التطلع الأمريكي لورثة بريطانيا ، ولن نلتقي بالمخابرات الأمريكية أو دور الأمريكيين قبل صفحة ٦٧ ، وفي صيغة نفى حازم قاطع فهي « خرافة » يروجها شخص تافه عميل للمخابرات الأمريكية اسمه « مايلز كوبلاند » لديهم أوراق تدينه . . الخ . .

أما في « الملفات » فالأمور تغبرت . . ووقفت الحقائق على قدميها بعض الوقت ، وإن استمر قمها مليئاً بالكاذب . .

ولكن شأن . . نحن هنا نبدأ « بصراع امبراطوريات » . . هذا هو التدخل الشرعي للحديث عن الناصرية . .

فهو ليست صراع وطنية مصرية ضد الاستعمار ، ولا صراع قومية عربية ضد إسرائيل ، ولا صراع شعب ضد حكم إقطاعي ملكي .
لا . . إنها مجرد فصل في صراع امبراطوريات . . صراع أمريكا ضد بريطانيا . .

هذه هي القابلة والحاضنة بل ووالدة طفل الأنابيب الأمريكية . . المشهور باسم : « ثورة يوليو » . . .

كيف يكون « انتظار الولايات المتحدة لميراث الامبراطورية البريطانية » التدخل للحديث عن ثورة يوليو . . إلا تسليماً بفهمنا ، وهو أن الصراع الأنجلو- أمريكي على الشرق الأوسط دفع الولايات المتحدة للإطاحة بالنظم المرتبطة ببريطانيا بواسطة الانقلابات العسكرية كما حدث في سوريا ومصر ثم العراق وليبيا والسودان . . الخ . . الخ . .

إذا كنا قد ساهمنا في رد مؤرخ الناصرية إلى الصواب ، فهذا عزاء عما تكبدناه ، وإذا كنا لا نطمح في صحوة ضمير كاملة إلى حد الاعتراف بالعلاقة كلها . . إلا أننا نقدمنا على

الطريق خطوات حاسمة ، فبعد الحديث عن هذه الصلة « كخرافة » وصلنا في الطبعة العربية ، إلى التقاء المصالح والأهداف بين ثوار يوليو ورجال المخابرات الأمريكية وتعاونهما . . بعد الثورة وليس قبلها . . أما في الطبعة الأوروبية فقطعنا خطوات أبعد في عبارة شيطانية الصياغة نقول : « كان ناصر وصحبه يتطلعون بأمل للأمريكيين ، لم يكن لهم اتصال مباشر سابق مع الأمريكيين »^{١١}

أنت ترى أننا أوشكنا أن نتفق . . انحصر الخلاف في اتصال مباشر أو غير مباشر . . والاتصالات غير المباشرة هي ما يكون قبل الزواج مما يبيحه بعض الفقهاء المحررين ! . . بينما الجمهور على تحريمه . . فما أسكر كثيره قلبه حرام . . ومن حرام حول الحمى سقط فيه . .

ولكن عملاً بمبدأ بورقية : « خذ وطالب . . » قبل الانتقال من مرحلة النفي القاطع التي وردت عام ١٩٧٦ وهي : « لم يكن هناك اتصال بين الثورة والولايات المتحدة قبل ليلة ٢٣ يوليو » (محمد حسين هيكल : قصة السويس ص ٦٨) إلى التاريخ المعدل طبعة ٨٦ المزيذة والمنقحة حيث أفرج عن النص التالي : « لم يكن لهم اتصال مباشر سابق مع الأمريكيين » (محمد حسين هيكل أيضاً : قطع ذيل الأسد ص ٣٣ . .) وربما في كتاب قادم يقطع عضواً آخر للأسد أو الكلب ، يعترف بالاتصال المباشر وما أنجبه هذا الاتصال . . !

كذلك نحقق الاعتراف بتردد « كبريت » روزفلت على مصر قبل الثورة ، وهو ما لم يرد له ذكر في قصة السويس موديل ١٩٧٦ . . أما في ملفات السويس المعدلة ١٩٨٦ فقد قيل « في أكتوبر جاء كبريت روزفلت في أول زيارة له بعد الثورة ولن تكون الأخيرة »^{١٢} قول انشائه !

□ وقد فات الجوقة أن تشيد بمهارة هيكل ككاتب سيناريو متفهم لروح العصر مع انتشار الإذاعات التي تتنافس على المسلات . . ومن ثم فهو يكتب لكل محطة مايناسب جمهورها !

ففي إذاعة القاهرة ركن « الأهرام » ، لسلبية الأولاد ورفع معنوية الناصريين نرى حكيم زمانه الرئيس الخالد جمال عبد الناصر يبدي رأيه بالرمز في سياسة أمريكا « حين اختار هدية يحملها الدكتور « أحمد حسين » للرئيس « أيزنهاور » ليسلمها له يوم تقديم أوراق اعتماده له سفيراً جديداً لمصر في واشنطن ، وكانت الهدية نسخة من تمثال الإله أيبس ، وهو رمز الحكمة والتعقل عند قدماء المصريين »^{١٣}

وقبل أن نصيح إعجاباً : يا معلم ! . . تسلبنا الطبعة المتحضرة سعادتنا وفخرنا . . فقد وردت بها التعديلات الآتية :

١ - محمد نجيب هو الذي أرسل التمثال وليس جمال عبد الناصر !!

والرد جاء انجيب فلا حكمة ولا تعبير عن رأي عبد الناصر في السياسة الأمريكية . . ١١
٢ - بينما القصة في الطبعة العربية توحى أن « النفزة » جاءت من مصر أو عبد الناصر
يهداه تشال يرمز إلى التعقل . . نجد أن الطبعة الأفرنجي تفيد أن هذه الخصائص للإله
ليس جاءت على لسان الأمريكي ايزنهاور . . « كما قيل لي إنه يمثل الحكمة والعلم في مصر
القديمة » .

٣ - في النسخة الانجليزي واضح تماماً أن التمثال أصيل ، ولكن لما كان المؤلف قد هاجم
أتور السادات بتهمة إهداء آثار مصر ، ولما كان « جمهور الشباك » يريد أن ينسب الواقعة
لعبد الناصر فقد اقتضى الموقف إضافة كلمة « نسخة » وتركزت لمروءتك وفهمك ، فإما أن
تقهرها على أنها نسخة بالكربون أو واحد من عدة نقائيل متشابهة وأصلية . . المهم ما تمشيش
زعلان من الرئيس !

□ وهنا نقدم قطعة بل تحفة في فن التزوير ، ودعوة : اكذبوا على الناس على قدر عقولهم
ومعلوماتهم . . نموذج لفن تنقيح التاريخ ، وإخفاء ما يسوء الأولاد . .
في صفحة ١٩٠ من النسخة المسيرة أي العربية . . قال المؤرخ :

« حدث أن جاء مصر في أجازة عيد الميلاد سنة ١٩٥٢ (ديسمبر ١٩٥٢) النائب والوزير
البريطاني السابق واللاحق المستر « ريتشارد كروسمان » والتقى جمال عبد الناصر ضمن من
كان يلتقي بهم في تلك الأيام بـ « كروسمان » وأحس أنه أمام فكر ذكي وعقل خلاق ودخل
معه في محاورات طويلة . . وغادر كروسمان القاهرة ، وإذ به يعود إليها بعد أقل من أسبوع
ويطلب مقابلة « جمال عبد الناصر » وقابله « جمال عبد الناصر » فعلاً ، وإذابه « كروسمان »
يقول له : « إن بن جوريون سألني عن نوابك تجاه إسرائيل ، قلت له : إنني فهمت منك أن
إسرائيل ليست ضمن أولوياتك الملحة الآن ، وأنت تركز جهدي في الوقت الحالي على
الخلاص منا وعلى التنمية الاقتصادية والاجتماعية في مصر . . . وعندما سمع مني ذلك قال لي
« هذه أسوأ معلومات سمعتها في الشهور الأخيرة » ١٨ . .

نقرأ نفس الحكاية في طبعة فوق ١٦ سنة الأفرنجية :

« ومما يعطي فكرة عن طبيعة الأمور في هذا الوقت ، أن ريتشارد كروسمان (وزير عمالي
بريطاني) فشل في الحصول على مقابلة مع عبد الناصر من خلال السفير البريطاني ، ولذا لجأ
إلى السفير الأمريكي فأحال الأمر إلى « وليم ليكلاند » الذي رتب اللقاء الذي تم في ديسمبر
١٩٥٣ . .

هل لاحظت خلافاً ١٩

لا . . لا نقصد أن النسخة العربي قالت في ديسمبر ١٩٥٢ والنسخة الأفرنجي حددت
ذلك بعد عام . . لا . . نحن لا نقش . . هذه غلطة مطبعية . . بل نقصد إخفاء تلك
الواقعة المذهلة .

السفير البريطاني فشل في ترتيب مقابلة بين وزير بريطاني وجمال عبد الناصر مما اضطره - أي السفير البريطاني - إلى اللجوء لولي الأمر وهو السفير الأمريكي الذي بدوره لم يتصل خلال القنوات الدبلوماسية المتعارف عليها ، بل أحال الأمر إلى مدير مكتب عبد الناصر . . . « وليام ليكلاند » . . . ولي النعم ! الذي قال : « يتم لقاء » قسم ! . . . هل تذكر من هو وليام ليكلاند ؟ ستسمع الكثير عنه ، فهو من أساطين المخابرات الأمريكية في مصر وأحد المسؤولين والمديرين لحركة يوليو وقيادة الثورة ! . . . ويكفي أن ترجع مؤقتاً إلى وصف مؤرخ الناصرية له في صفحة ٤١ من الطبعة الأفرنجية ، فهو « اللهلوية » ، رجل المخابرات الأمريكية بشهادته . . .

وهكذا . . . فإن أبطال ٢٣ يوليو . . . حللوا رؤوسهم على أكفهم وسلموها إلى ليكلاند . . . حللوا الأحزاب « العميلة » ووضعوا في السجن زهرة شباب مصر وكل وطني مشغل بالسياسة . . . وبخوا أصواتهم وصموا آذان الشعب بالخطابة ضد العمال ! . . . في نفس الوقت الذي ترتب لهم المخابرات الأمريكية اجتماعاتهم وتحدد لهم من يرون ومن لا يقابلون ! . . .

هل حكم مصر في تاريخها . . . « زعيم » يرتب له مقابلاته مندوب المخابرات البريطاني أو الفرنسي أو الأمريكي أو حتى العثماني . . . قبل ثورة العرب الكبرى ؟!

هل نذهب بعيداً عندما نقول إن وصول عبد الناصر للسلطة كان يعني خروج مصر من سيطرة بريطانيا ووقوعها في هيمنة أمريكا ؟! وهل من واقعة تلخص هذا التحول أبلغ دلالة من أن يفشل سفير بريطانيا في ترتيب اجتماع بين وزير بريطاني ورئيس مصر ، فيلجأ السفير إلى من . . . لا إلى السفارة السعودية ولا إلى والد عبد الناصر بل للسفارة الأمريكية . . . هل من استعراض عضلات أكبر من هذا . . . لإقناع الانجليز بالاعتراف وقبول انتقال المراكز وتبدل الأيام ؟! وهل من دلالة أبلغ من لجوء السفير إلى رجل المخابرات ليدير الأمر ؟! . . . أليس هذا ما يريد « هيكمل » أن يقوله للقاريء الأجنبي عندما بدأ حكايته أو طرفته بقوله : « ومما له دلالة على طبيعة الأمور في ذلك الوقت . . . الخ » .

لماذا حرمتم القاريء المصري من هذه الدلالة ؟! لماذا لم تترك له حتى فرصة استنتاجها . . . بل محوت الواقعة محواً في كتاب مطول ، قصد بإطالته - على حد قولك - إقناع الذين فقدوا المصادقية والتصديق . . . لماذا وجدت هذه الواقعة مكاناً في كتابك المختصر . . . المقيد ؟! لماذا ؟! . . .

حقاً أنت أدرى بقارئك وما يحق لهم أن يقرأوا وما لا يحق . . .

أما نحن فنكرر القول : عندما يكتب التاريخ بهدف إخفاء جريمة ينحط إلى مجرد تزوير في أوراق وطنية !

□ وفي الحديث عن إعدام اليهود الذين أدينوا في عملية « لافون » (زرع القنابل في مرسات أمريكية - بريطانية) قال لقرائه العرب : إن « ايزنهاور » طلب منه وقف تنفيذ الإعدام واعتذر « جمال عبد الناصر » عن قبول شفاعته « دوايت ايزنهاور »^{١٥} .

موسيقى تصويرية : حلیم یغنی : اضرب . . . اضرب . . . اضرب . . . والأمريكان ياريس ١٩ . . .

ايزنهاور ينتفع ورئيسنا يرفض ، ويرفض مين ؟ دوايت ايزنهاور ١٩ ولولا صغر حجم الكتاب لجاء بالاسم الثلاثي ! . . المهم اسم المرفوضة شفاعته ورد مرتين في سطرين ويتحب أيتام الناصرية : كانت أيام ! كنا نقول فيها : لا . . لا ايزنهاور ! . .

الأمر أبسط من ذلك وقد ورد تفسيره في قراءة هرش عن فاسق في الطبعة الانجليزية التي أوردت الاعتذار الحقيقي الذي قيل وقتها وأقنع ايزنهاور أنه لا غبن في الصفقة . . قال هيكل : « ولكن لما كان ستة قد شقوا قبل شهر في محاولة اغتيال ناصر ، فقد كان مفهوما أن الناسة لا تسمح بالشفقة ، ومن ثم أعدموا (الإسرائيليون) في ٣١ يناير ١٩٥٥ »^{١٦} . وتفسير ذلك بالبلدي :

أن عبد الناصر قال لدوايت ايزنهاور : ما أقدرش ياريس ! ما تودنيش في داهية . . دا أنا له شائق ستة إخوان مسلمين . . ما أقدرش أفرج عن اليهود . . الناس تاكل وشي . . أنا معاك إنما كلك نظر ! . .

وفهم الأمريكان وسكتوا عن إعدام اليهود في سبيل القضاء الوحشي على « الإخوان » فإن الرابع في النهاية هم الاستعمار الأمريكي واليهود . .

لماذا لا يقال هذا للقاريء العربي ، ومن أقامك وصياً على فهمه ومعلوماته ؟ . . ربما لأن الكثير من هؤلاء يريدون الغفلة ويفزعون من المعرفة ، يريدون من كاتبهم أن يتلو عليهم ما يحبون سماعه لا الحقيقة !

□ وواقعة أخرى نتعلم منها درساً في فن الكتابة على مستويين : ففي مصر لا مصلحة في إبراز كراهية الانجليز للنظام السابق وبسبب تبني هذا النظام لشعارات ومطالب الجماهير . ومن ثم يختصر الموضوع في هذه العبارة المشبوهة : « ورد إيدن بحديث طويل عن مزايا اللورد « كيلرن » وعن ذكرياته هو شخصياً مع الملك فاروق وباشوات مصر القدامى »^{١٧} .

وعندما يتحدث إيدن وزير خارجية بريطانيا الاستعماري الكريه عن ذكرياته مع الملك وباشوات مصر ، فالمعنى الذي يراد إيصاله للقاريء العربي واضح السوء حول هؤلاء الباشوات أصحاب الذكريات مع إيدن !

أما في السوق الانجليزية حيث تباع مذكرات إيدن وحيث لا يوجد نصابون ومهرجون يدعون أن الحصول على مذكرات ايزنهاور أعجوبة أو عملية سحرية مثل الحصول على أوراق

عبد الناصر الخاصة* . . هناك يضطر « هيكمل » إلى نشر نص كلام إيدن الذي نفث فيه كراهيته وشبهاته في الملك والنحاس لأنها - على حد قوله - لم يسمعا نصيحته عن خطر اللعب على مشاعر الجماهير ، وتبني الشعارات الشعبية المتطرفة . .

« قال - إيدن - إنه بحكم معرفته بحكام مصر السابقين من طراز فاروق والنحاس ، فإن الثورة لم تفاجئه ، وأنه طالما حذر (السياسيين) القدامى من اللعب بالنار بإثارة مشاعر الجماهير بالدعاية ! وكان واضحاً . . يقول هيكمل - أن هذا تحذير موجه للجدد أيضاً » ١٨

لماذا أخفيته عن القاري « العربي » ١٩ إلا لأنك تعرف أن « الجدد » تعلموا فعلاً من رأس الوفد الطائر ، وقال « محمد نجيب » زعيم الثورة للسفير التركي في مصر : « لست بمجنوناً مثل الوفد حتى أحارب الانجليز » (رسالة السفير الأمريكي في أنقرة - ٢٤ / ١٠ / ٥٢) . كذلك حذف إشارة « إيدن » إلى « أعداء بريطانيا في السفارة الأمريكية » ١٩ . . إلا أنه عوضنا عن هذا الحذف بإضافة فقرة في الطبعة العربية عن « فبراير واتهام « ناصر » لإيدن بأنهم كانوا يتدخلون في السياسة المصرية . . الخ . . مما يروج في السوق العربية ويسر العامة في مصر ويسد حاجتهم للأوهام والبطولات الكلامية .

ومادنا بصدد أكاذيبه عن باشوات مصر ، نتوقف لحظة عند محاولته البائسة ستر السب الحقيقي لعزل عبد الرحمن باشا عزام من منصب أمين الجامعة العربية ، ففي تعداد كوارث الانجليز على يد الثورة قال : « أوعزت القيادة الجديدة في مصر إلى « عبد الرحمن عزام » (باشا) الأمين العام لجامعة الدول العربية بأن يقدم استقالته لأن الظروف الجديدة في العالم العربي تقتضي أمينا عاما للجامعة لا علاقة له بأوضاعها السابقة . وكان عبد الرحمن عزام - وهو من رواد التفكير العربي في مصر وواحد من ألمع سامستها - شخصية معروفة للانجليز رغم سوابق خلافاته معهم » (ص ١٥٦ ملفات) .

وهي لا شك صياغة ثبت أن الحاوي الطروب مازال يتمتع بمواهبه التي أشار إليها « كوبلاند » وهي فن تحلية السموم ! . . وكان يمكن أن ننشئ بهذا التفسير الذي يطرحه ، فس الطبيعي أن يعزل انقلاب أمريكي كل الوجوه « المعروفة للانجليز » ليضع مكانها شخصيات موثوق بها من السادة الجدد . . ولكن الأمر أعقد من ذلك ، وليس ما نقوله دفاعاً عن وطنية عبد الرحمن عزام ، فلا الرجل يحتاج دفاعنا ، ولا تاريخه يستطیع « هيكمل » أن يمس بحرف مهما أوتي من قدرة على الدجل والتزوير ، ولقد مرت فترة كان « عبد الرحمن

* قال كاتب تدليلاً على عبقرية هيكمل وأهمية كتابه إنه تمكن من الحصول على أوراق « إيزنهاور » الخاصة بسما ذكر هيكمل نفسه « مجموعة الأوراق الخاصة للرئيس إيزنهاور المودعة بكاملها في المكتبة التي تحمل اسمه في « أبليين » ولاية كنساس ص ٣٨٠ ع فالأمر لا يكلف إلا زيارة أو طلب نسخة بالتليفون فتصلك مصورة مجلدة مقابل لمن زهيد ! ولكنها تحولت لأعحوة مثل الآخر الذي دعا إلى الاعتراف بزعامة هيكمل الفكرية لأن « عنده كمبيوتر » ومثله يكتب لشهم !

عزام « هو الصوت الداوي وحده في البرية ضد الاستعمار الأوروبي بشئ جنسياته ، ومرت فترة أخرى كان هو « أبو العروبة » . . وصراع الرجل ضد الانجليز في قضية البورمي معروف . . على أية حال إن ضرب الجامعة العربية وإزاحة عبد الرحمن عزام كان مطلباً أمريكياً في إطار « عمل بناء فيما يتعلق بالمشكلة الإسرائيلية » ، لأن عزام باشا هو الذي نظم وقد دحّل الجامعة العربية حرب فلسطين وهو الذي نظم وقنن المقاطعة ورفض الصلح أو الاعتراف . . وكان من المنطقي والطبيعي أن يعتبر الأمريكيان وجوده عقبة في طريق غططهم لإنهاء الحرب بين إسرائيل والعرب . واعتقدوا أن إزاحته تتيح الفرصة لمواقف أكثر إيجابية ، بدءاً بإزاحة رموز « التصلب العربي » والحرب . . والرفض . .

وعلى أية حال لم يكن عبد الناصر وحده الذي ضاق ذرعاً بالجامعة العربية وعبد الرحمن عزام ، بل إن أسلافه الأمريكيين قد أحسوا بنفس الشيء وقبل ظهور عبد الناصر على المسرح . .

واليك بعض الوثائق . .

مستشار السفارة الأمريكية في جدة « غلين آبي » قال في أول أكتوبر ١٩٥١ : « إن الجامعة العربية لم تكن أداة بناء في الشرق الأوسط ، بما أن لجنتها السياسية ، وهي الجهاز الوحيد الفعال ، تحولت في الغالب ، إلى منبر للسياسة المصرية والخطب التي هي للاستهلاك الداخلي » .

وفي تقرير صادر عن مؤتمر رؤساء البعثات الدبلوماسية الأمريكية في الشرق الأوسط المتعقد في اسطنبول في الفترة من ١٤ إلى ٢١ فبراير ١٩٥٢ جاء الآتي :

« من الواضح أن ميل الجامعة العربية لحل المشاكل وليس حلها ، يتزايد في المنطقة ، إن اجتماع اللجنة السياسية في دمشق في ربيع ١٩٥١ ، فشل في اتخاذ خطوات بناءة ، بل دعم موقف العرب العدائي في نزاع « الحولة » وهناك دلائل على أن الجامعة العربية ليست أكثر من أداة تستخدمها مصر وشئ الدول العربية لأهدافهم . مصر تجد الجامعة مفيدة لفرض هيمنتها على العالم العربي وكسب التأييد لسياساتها ، وفي هذا الشأن يذكر أن مصر طلبت عقد جلسة خاصة في صيف ١٩٥٠ للجامعة لدعم الموقف الذي اتخذته مصر في الأمم المتحدة فيما يخص كوريا . ومصر تجد أنه من المريح الحصول على تأييد الجامعة للقبود التي فرضتها على قناة السويس والتي اتخذ مجلس الأمن قراراً بإدانة فيها . وهذا الدعم سيجعل مصر أكثر تصلباً في رفض رفع هذه القيود . وفي حالة سوريا استخدمت الجامعة لتأييد الوضع السابق في منطقة « الحولة » (كانت إسرائيل قد استولت على هذه المنطقة خلافاً لقرارات الهدنة ج) .

ويتابع التقرير الأمريكي :

« وأمام السياسة الأمريكية هذه الخيارات للتعامل مع الجامعة العربية :

١ - أن نأمل في رؤيتها تذوي وفي هذه الحالة يمكن للحكومة الأمريكية أن تعامل الجامعة

بما فيها عزام باشا* برود على الصعيدين الرسمي وغير الرسمي ، وتشجع الدول الأخرى على استخدام نفس الأسلوب .

٢ - محاولة إقناع مصر بأن الجامعة العربية ذات أهمية قليلة أو لا أهمية بالنسبة لمصر ، بل هي عبء على تطورها كقوة دولية أساسية ويعزز هذا المسمى بعرض مساعدات اقتصادية وعسكرية بخلاف دول المنطقة ، والتأكيد للحكومة المصرية ، أن مصر دولة متقدمة عن البلاد العربية الأخرى ، وهذا سيؤدي إلى حرمان الجامعة من مصدر دعمها الرئيسي ، ويشير النزاع داخل المنظمة (! ج) .

٣ - الاعتراف بفائدة تنظيم إقليمي حيث توجد مصالح مشتركة ثم تبذل الجهود لتشجيع الجامعة على التركيز على النشاط العلمي والثقافي والفني . . . هـ .

فالضيق الأمريكي بالجامعة والكيد لها ولعبد الرحمن عزام سابق على ظهور ثوار بوليو على المسرح . . . ومع الإدراك الكامل للأسباب الحقيقية لضعف الجامعة العربية في عهد حسونة ورياض ، إلا أن الذين يؤمنون بمكان ما ، في التاريخ للفرد ، يرون أن مصر خسرت كثيراً بإخراج عزام . . . المصري الوحيد الذي كان الملوك العرب يرفضون أن يجلسوا قبل أن يجلس .

ومن الغريب أن ثوار بوليو لم يغيبوا عن منصة الحكم في مصر حتى كانت مقررات مؤتمر الدبلوماسيين الأمريكيين قد تحققت بالكامل . . . فلذوت الجامعة العربية . . . وانسحبت مصر منها وتحت نفس الشعارات التي اقترحتها الأمريكان للتغريب بنا بنص كلامهم : مصر أكثر تقدماً من أن يضمها تنظيم عربي !

□ وهو يعترف في الطبعة الأفرنجية بما خصصناه فصلاً كاملاً في « كلمتي للمغفلين » من أن الغارات التي بدأ بن غوريون يشنها على القوات المصرية إنما كانت لتأزيم مشكلة الحصول على السلاح في مصر^٢ . وإن كان الأمر يحتاج لعشر سنوات أخرى حتى يُعترف بما وصلنا إليه ، وهو المصلحة الإسرائيلية المباشرة التي مثلتها الصفقة ، حتى يمكن القول إنها أعظم نصر تحقّق لإسرائيل في الفترة ما بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ . . .

ومع ذلك فقد زُيف هذا الهدف في الطبعة العربية ولا بأس من المقارنة :
النص الأفرنجي :

« كانت الغارة مقصودة كرسالة موجهة من بن غوريون إلى ناصر ، وقد فهم عبد الناصر الرسالة ، ألا وهي إن بناء المستشفيات والمدارس ومصانع الصلب لن يحمي مصر من جبار

• هل تشم رائحة أمريكية في كل ما كتب وقتها عن الإنجليزية الجامعة وعجزها وأبو الكلام عزام . . . الخ .

غدار .. السلاح وحده ، هو الذي سيحقق الرخاء لمصر » .

وبالطبع بن غوريون ليس عضواً في مجلس الثورة أو قيادة البعث ليرسل هذا « التحذير » أو الرسالة لعبد الناصر ، ومن ثم فلا معنى ولا منطق لتجشم بن غوريون توعية عبد الناصر إلا بتفسيرنا : لا بد من السلاح يا عبد الناصر .. ولا سبيل إلى السلاح إلا بالإلحاح على أمريكا ، وأمريكا لن تقدم لأن بن غوريون يرسل « رسائل » إلى إخوانه هناك .. لا تعطوه السلاح .. ومن ثم تنازمت علاقة ناصر وأمريكا ويبحث عن مصرف آخر يسحب منه السلاح .. الخ ..

المهم أنه في الطبعة العربية أبعد القاريء عن إدراك هذا الهدف الذي يكشف البعد الصهيوني في صفقة السلاح .. أبعد القاريء العربي بالإسهاب في أهداف الغارة :

كان القصد من الغارة عدة أهداف في وقت واحد : أولها إحراج القاهرة وإظهار عجزها .. ثم ما يترتب على ذلك من هزة تؤثر على وضع النظام في مصر ، وأخيراً فإن الغارة كانت إنذاراً لمصر بأن خطوطها مع إسرائيل مكشوفة وأنه كان أولى بها أن تترك الانجليز في منطقة قناة السويس ولا تلج عليهم بالجلاء عن أراضيها ، ثم يقول إن عبد الناصر ضبط أعصابه ورد بإطلاق جنود الصاعقة ضد إسرائيل^{٢١} .

لا إشارة إلى السلاح .. وهو في اعتقادنا ، كما في الطبعة الانجليزية جوهر القضية وقرأ فصل صفقة السلاح في كتابنا هذا ، أو ارجع إليه في كتابنا الآخر ..

□ في الطبعات العربية نجد الولايات المتحدة هي المتبينة لحلف بغداد ، مصممة على ضم مصر إليه ولكن بسبب مقاومة مصر قررت عزها فترة حتى « تستعد مصر وتأثيرها عن الموضوع كله حتى يستقر رأيها على ما سوف تفعله ، وسوف نجد نفسها (أي مصر ج) في النهاية مرغمة على اللحاق بالآخرين ، وإلا وجدت نفسها معزولة »

أما في الطبعة الأفرنجية فقد وضعت الحقيقة على بلاطة : « أكد الأمريكيون لعبد الناصر أنه لا نية لديهم في الانضمام لحلف بغداد »^{٢٢} .

أرابت الأفتعة السبعة للتاريخ الهيكلي ١٩ (ولدبنا مزيد في هذه النقطة) .

□ بعد أزمة صفقة السلاح التي كانت باقتراح أو موافقة الـ CIA تحرك صفوف وزارة الخارجية الأمريكية ، وحاولوا فرض وجودهم في الساحة المصرية مستغلين بل وضد سيطرة رجال السي أي ايه . وقد فهم المعنيون ذلك ، وكان قرار إرسال موظف رسمي « جورج آلن » للقاهرة ضربة لشخص ودور « كيرميت روزفلت » المسؤول عن « مصر » !

انظر كيف يختلف تسجيل هذا التطور الذي تعبر عنه الواقعة ، ما بين النسخة العربية والانجليزية ..

في العربية بقول هيكمل : « ومن المحتمل أن دلاس أحس أن موقف كيرميت روزفلت في القاهرة ضعيف »^{٢٣} .

أما النص الانجليزي فيقول : « وربما اعتبروا أن روزفلت صديق جداً للناصر ورقيق معه أكثر من اللازم » أو « صديق لعبد الناصر وحنين عليه أكثر من اللازم »^{٢٤} .

Too soft and too friendly with Nasser

لو تأملت ما يوحيه النص العربي بالحديث عن « ضعف » روزفلت ، وما تؤكدُه العبارة الانجليزية من علاقة خاصة جداً بين المخابراتي الأمريكي والزعيم المصري ، فستكشف عبقرية لغتنا الجميلة إذا أحسن استخدامها مزور متخصص في التغيرير بقرائه العرب ! □ وهنا واقعة تستحق التأمل في النصين . . .

ففي النص العربي قال لنا إن « جورج آلن » تلقى رسالة عن طريق برج المراقبة في المطار سلمها قائد الطائرة موجهة إليه من « كيرميت روزفلت »^{٢٥} .

وفي النص الانجليزي « استخدم روزفلت اتصالاته المخابراتية لإرسال رسالة من برج المراقبة في المطار إلى الطائرة »^{٢٦} .

وبالطبع وفر « هيكمل » بحنانه المعروف ، على القاريء المصري ، مشقة السؤال . . ما دخل اتصالات كيرميت المخابراتية في برج المراقبة بمطار القاهرة إلى حد إرسال رسائل بواسطته إلى طائرة أمريكية ؟ . . أراح قارئه بحذفها وأتعبنا بتقصيها* .

□ وبينما حاول تشويه موقف نظام الإدريسي ومصطفى بن حليم « لزوم الفذافي » في الطبعة العربية إلا أن الناشر أو المحرر الذي صاغ الطبعة الانجليزية أو لعله هو الذي أضافها لحسابات لم تكشف بعد ، قال إن « مصطفى بن حليم » وجه إنذاراً إلى بريطانيا إذا لم تسلم ليبيا السلاح الذي تحتاجه فيطلب السلاح من عبد الناصر »^{٢٧} .

□ في الطبعة العربية حيث لا أحد يحاسب أحداً منهم أحمد حسين بعلاقة قديمة مع المخابرات الأمريكية أما في بلاد بره حيث الكلام بقلوس فقد ألزمه الناشر أو الزم نفسه بالاكْتفاء بقوله : إن أحمد حسين كان يشعر بأنه في وطنه في الولايات المتحدة لأنه تعلم هناك^{٢٨} .

ونسي أن يضيف المثل العربي . . من علمني حرفاً صرت له عبلاً !
ومن خلال ترجمة رسالة أحمد حسين للعربية ثم من العربية للانجليزية سقطت بعض

* مابلز كويلاند خفف عنا جميعاً ، بأن قال إن « حسن التهامي » (رجل ناصر وروزفلت طبعاً . ج) هو الذي تخطى الحراسة وقفز إلى سلم الطائرة وسلم ورقة مكتوبة من كيرميت إلى « جورج آلن » . . ولا برج مراقبة ولا برج حمام ولا برج طار في رأس القاريء !

العمليات وجرى بعض التبدل لعلنا تساعد جامعي أعقاب تاريخ هيكلي في إصلاح مجمرعاتهم .

١ - ع : « إن مثلي إسرائيل صرحوا بأنه » لا يمكن أن تنتظر إسرائيل حتى يكمل العرب استعدادهم للقضاء عليها ، ٣٦٧ ع .

خ : قال دلاس : « إنه لا يظن أن الإسرائيليين سيستظرون حتى يكمل العرب استعداداتهم قبل أن يثبوا » ص ٨١ خ .

٢ - ع : إن مسألة شراء مصر للأسلحة من الكتلة الشرقية قد أزعجت كثيراً highly « disturbed him » ص ٣٦٦ ع . . وقد أثنى المؤرخ الوثائقي باللغتين العربية والانجليزية ليفقاً عين جلال كشك الذي يقول إن الصفة كانت بعلم وموافقة السلطات الأمريكية .

خ : ولكن المؤرخ الوثائقي قال في الطبعة الأفرنجية بالحرف الواحد : Was an exceedingly disturbing matter وبدون الاستعانة بمؤسسة الأهرام للترجمة نقول إن هذا النص ترجمته « أمر مزعج للغاية » .

والفرق بين النصين أوضح من أن يحتاج لتعليق ، ولا مجال للاعتذار بالترجمة ، فإن براعة النصاب توقعه أحياناً في عين ما حاول تفاديه ، فهو قد رُوِّع الأمين من قرائه والمعجبين به بإيراد نص العبارة على لسان دلاس بالأمريكان وبالخروف الأمريكانية في قلب النص العربي . . فلا مجال للمخطأ في الترجمة بل المجال يفتح على التزوير . . وصياغة النصوص على هواه ، فإنه يسعد الناصريين ، والشعوب المتخلفة عقلياً ، أن يسبب زعيمها الزعاجا شخصياً لوزير خارجية « أجدع » دولة ، أما في الطبعة الانجليزية فبرد النص الصحيح . . « هذا أمر مزعج » « لنا كلنا » وهو كذلك بالطبع . . لما سنشرحه .

٣ - ع - استهمل المستر « دلاس » « حديثه بأن عبر عن شكره لوسالة الرئيس عبد الناصر » (وقد وردت هذه الفقرة بحروف سوداء وبنط مميز) للفت الانتباه فالتفت انتباهنا . . ولم يكن ذلك في صالحه أبداً . .

خ : « شكر دلاس حسين على إيضاحاته » لا إشارة لرسالة للرئيس ولا شكر للرئيس .

٤ - ع : جرى اختصار شديد جداً لما ذكره « دلاس » عن مساعدات الولايات المتحدة للنظام الناصري فقد قيل : « وذكر لي المستر « دلاس » في هذه المناسبة الدور الذي لعبته أمريكا لمساعدة مصر في اتفاقية السويس » .

- خ : ورد كلام دلاس بالتفصيل (رغم اختصار الطبعة الانجليزية) قال هيكلي الانجليزي :

- المساعدات التي قدمناها لكم لإنجاز الاتفاقية مع بريطانيا .
- عدم الاتحياز بين العرب وإسرائيل .
- الحد من مبيعات القطن الأمريكي لعدم الإضرار بالصادرات المصرية .
- محاولة التدخل مع السوداني لصالح مصر في موضوع مياه النيل .
- إبراز أهمية مصر كقلب الوطن العربي بإصدار التعليقات لـ « إيريك جونسون » بأن يبدأ مهمته من القاهرة ، ولو أن مصر ليست طرفاً مباشراً في توزيع مياه الأردن .
- تجريد المساعدات لإسرائيل عندما تخطط قرار مجلس الأمن وبدأت العمليات في المنطقة المزروعة السلاح في بحيرة طبرية .
- « وهذه المواقف كلها قد أفقدت الجمهوريين أصواتاً في الانتخابات التجديدية للكونجرس » .

كل هذا حذفه هيكل في الطبعة العربية المطولة !

٥ - ع : « إنه (جمال عبد الناصر) أكبر شخصية في الشرق الأوسط يمكن الثقة بها والاعتماد عليها » .

خ : « إنه أهم رجل في الشرق الأوسط ، وإننا يمكننا الاعتماد عليه والثقة فيه » .

٦ - ع : الذين كانوا يعارضون في جلاء الانجليز عن قاعدة قناة السويس مدعين أن في ذلك تقوية لمصر . . وأن مصر القوية ستكون مصدراً للمتاعب .

خ : لم ترد لا عبارة « تقوية مصر » ولا « مصر القوية » بل :

« إن المصريين لا يمكن الثقة بهم . . وإن مصر ستكون مصدراً للمتاعب » .

ولكن حكاية أن أمريكا تخاف من مصر القوية . . حلوة وتفرح الأولاد . . فلا بأس من إضافتها في النسخة العربية من « ديوان » السويس والشعر أعذبه أكذبه . . وهيكل أمير شعراء الناصرية بلا منازع .

٧ - ع : لا شيء .

خ : « أنا أثق في نوايا ناصر الطيبة وأعلم أنه لا يريد أن يعطي الشيوعيين فرصة للتدخل في بلاده ، ولكن مع كل احترامي لن نكونوا أذكى منهم » (الروس) .

٨ - ع : « الصفقة منسب حرجاً للحكومة الأمريكية في شأن استمرار مساعدتها الاقتصادية لمصر ، لأن كرامة أمريكا أصبحت الآن في الميزان » .

خ - سيصبح الآن من المستحيل طلب مليم واحد من الكونجرس ، مساعدة لمصر لأنه ليس فقط نفوذ أمريكا بل ومكانتها في الميزان ، لأن الكل سيقولون إن الطريق للحصول على مساعدة الأمريكية هو ابتزازهم !

هذا كله في رسالة واحدة بعث بها « أحمد حسين » لعبد الناصر باللغة العربية بالطبع ،
التي يتقنها الثلاثة ! . . . وحصل عليها هيكمل وفقاً للقرار العجيب الذي سمح فيه
عبد الناصر بتسليم وثائق « الدولة » المصرية لصحفي بلا أية صفة رسمية لمجرد أنه لاحظ
شهرة هذا الصحفي في التلصص على الأوراق . . . أو كما قال : « وأعترف بأنني مدين بالكثير
مما لدي من وثائق التاريخ المصري المعاصر إلى جمال عبد الناصر ، فقد أذن لي دائماً أن أطلع
على أوراقه ، وسمح لي في كثير من الظروف بصور منها ، وكان قد لاحظ مبكراً غرامس
بالحرص على كل ورقة تضعها الظروف أمامي » .

حرصك مفهوم !

ولكن قرار عبد الناصر ظاهرة فريدة من نوعها لم يسبق لها مثيل ولا في بلاد وفاق الوفاق . .
وهي تكشف للجبل المخدوع نوعية السلطة ، وعقلية الرجل الذي يوصف عادة بأنه كان
ينشيء مصر الحديثة ، أو يدخل مصر عصر العلم . . فإذا به يفوق أي طاغية عرفه التاريخ ،
فهو لم يقل فقط أنا الدولة . . بل وأنا التاريخ . . أنا أملك مصر ووثائقها وأملك أن أسلم
ذلك لصحفي مغرم بالأوراق . .

هذا الذي سود صفحات الغضب على السادات ، لأنه تصرف في جزء من ثمانيات أوتاريخ
مصر المدفون أربعة آلاف سنة ، عندما اقتدى السادات بما استه عبد الناصر قبله وأهدى
بعضاً من التماثيل الفرعونية ، لا يجد ما يغضب بل يفخر بأن عبد الناصر حطم كل القوانين
والاعراف ، كل مقومات الدول وأمتها ووثائقها ، إذ أمر بتسليم أسرار مصر كاملة لحمد
حسين هيكمل . . وأن يحتفظ بصورة منها أحياناً 11 وهو استهنا بمصر لم يسبق له مثيل
ولا أيام عشق وثقة كليوباتره بأنطونيوس . .

على أية حال نحن لا نثق في روايته هذه ، مرة لأن عبد الناصر دهش واستراب لما رآه يجمع
الأوراق ، كما هي عادة أمثاله ، فسأله دهشاً : « وماذا ستفعل بكل هذه الأوراق التي تحرص
على جمعها » (ص ١٣ قطع ذيل . . الخ) . .

ومرة أخرى أن عبد الناصر لم يكن يثق فيه كل هذه الثقة بدليل أنه زرع له أجهزة تجسس في
مكتبه وفي بيته وفي بيت معاونيه* . . .

□ وقد بما دخلت التاريخ عبارة تقول : « آسف للإطالة فلم يكن لديّ منسج من الوقت
للاختصار » . .

ومن حق هيكمل أن يدخل التاريخ بعبارة مماثلة تقول : آسف لإغفال العديد من
النصوص في الطبعة العربية لأن حجمها أكبر 11 . . فقد سقط نص بالغ الأهمية في شرح

* وفي موقع آخر ينقل لنا عن « أرشيف منشية البكري » 11 ورعاً نسمع قريباً عن أرشيف ضهر
الشيراتون أو ميت أبو الكوم ! باحسرة على ماجرى على وثائق مصر !

« طبيعة الأوضاع في ذلك العصر » ونعني « شكوى » روزفلت صانع ناصر ومنبئيه والمدافع عنه في واشنطن ، مما يعانيه مع تطور العلاقات بين مصر وأمريكا . . فقد بدأت النتائج السلبية للفكرة « الجهنمية » في الظهور بل حتى في التغلب على النتائج الإيجابية . ونعني خطة أو مؤامرة إقامة حكم « ثوري » معاد لأمريكا في أجهزة الإعلام ملتزم ومرتبطة بالاستراتيجية الأمريكية في الواقع ومن خلال علاقة سرية تخفية على الرأي العام والمؤسسات الدستورية في البلدين . .

فعقب صفقة السلاح ، هاج أصدقاء إسرائيل عن خبث أو عن جهل واتهموا ناصر ومصر بكل التهم الممكنة من صلاح الدين إلى كاسترو ، مروراً بجنكيز خان وهتلر . . وكان من الطبيعي أن ترد صحافة مصر أو أن تستنصر « لصفقة » في خلق شعبية للزعيم بمهاجمة أمريكا فيزداد جنون وصخب أنصار إسرائيل . . الخ .

واقراً غتاب أو شكوى أو آلام فرنر روزفلت :

« إن أصدقاء مصر الآن في وضع شديد الإحراج ، وخاصة في ضوء الهجوم على أمريكا والغرب في الصحافة والإذاعة المصرية . هذا يجعل الأمريكيين يشعرون أن المصريين يُعبأون قصداً ضدهم . . وقال إنه تحدث في اليوم السابق مع هوفر القائم بأعمال وزير الخارجية ، الذي قال له إن وزارة الخارجية توشك أن تعتقد أن مصر تنظر للولايات المتحدة كعدو . وقال « هوفر » ضاحكاً : « إن الرجل الوحيد الذي لا يقر ذلك هو شخص ما يدعي روزفلت » وقال روزفلت إن ذلك كان محرجاً له . . أما عنه هو ، فبصرف النظر عن الاعتبارات الشخصية - قال كبريت - إذا ما استمرت الأمور على ما هي عليه فإن الولايات المتحدة ستصل إلى قرار بأن مصر دولة معادية ، وستضع سياستها على هذا الأساس . وتوسل إلى حسين (سفير مصر في أمريكا ج) أن يرسل نداء شخصياً منه هو إلى القاهرة لوقف حملة الدعاية ضد أمريكا ، لأن هذه إذا لم تتوقف فإن ضحيتها الأولى هم أصدقاء مصر في أمريكا ثم مصالح مصر هناك وأخيراً العلاقات من أي نوع بين البلدين »^{٢٩} .

ليس من الإنصاف ، بعد كل ما قدمه روزفلت لجبل الثورة ، أن نحرم « ملفات السويس » العربية من هذا النص وينعم به كفار أوروبا !

□ ولعل قراء « قصة السويس » و « كلمتي للمغفلين » يذكرون حكاية الكوبري الذي اقترحه الصديق الشخصي للرئيس ايزنهاور ومبعوثه السري إلى عبد الناصر ، وهو الكوبري الذي يربط بين الأردن ومصر فوق صحراء النقب ، والذي رد عليه عبد الناصر بحكاية « الشخة » وقد انتقدنا ذلك في كتابنا* وقلنا إنه سبيء إلى الزعيم بل ويسء إلى العرب عموماً

• حذفت من العربي ص ٣٨٧ ووردت في الانجليزية ص ٩١ ولعلك نلاحظ أن هيكمل قد انبال على الرجل سباً هذه المرة . . والسبب أن المسكين قد سقط نهائياً وبخاتم الآن في أمريكا بتهمة الاختلاس والتدبير والافلاس الاحتمالي وقد لا يصل هذا الكتاب للقراء قبل أن يحكم عليه !

أن يقال إن زعيمهم « شخ » على اقتراح ايزنهاور . . . وقد أخذ مؤلف تاريخ الناصرية بوجهة نظرنا فحذف القصة من الطبعة العربية ! ولكنه للأسف تركها في الأصل الانجليزي حيث ضررها أكثر ونأمل في الطبعة القادمة للتاريخ أن يحذفها الأخ الأكبر في سائر اللسان فهي هرطقة .

□ كذلك لاحظنا أنه أخفى عن قراء النسخة العربية أن هذا « الأندرسون » الذي جاء إلى مصر ، سبفته توصية من « كيرميت روزفلت » ، باش ريس مصر إلى الرئيس بحسن استقباله ، بل وحضر المعلم كيرميت المقابلة بين المبعوث الأمريكي والصديق الشخصي لايزنهاور وزير المالية الأسبق .

□ كذلك جرى تعديل فيما قاله عبد الناصر دفاعاً عن قضية فلسطين ، وهو تعديل فاضح حتى في زمن التاريخ المزور أو التزوير المؤرخ .

في الطبعة العربية قال جمال عبد الناصر هيكمل وهو يخرج لسانه لبشوع الصلح المنفرد :
« إن إسرائيل ليست قضية مصرية ، وإنما هي قضية هم العالم العربي بأسره ويصعب على مصر أن تنفرد فيها برأي »^{٣١} .

وهكذا يدين الزعيم الخالد من قبره كامب ديفيد !
أما في قصة السويس فتجد عبد الناصر يحدد موقفه فعلاً في نقطتين يقدمهما نفس المؤلف مسبقين بكونين سوداوين تماماً كما في كتاب ملفات السويس بعد عشر سنوات ولكن عبد الناصر طبعة ١٩٧٦ لا يتحدث عن عروبة القضية بل يطلب تقسيم فلسطين : « وطن للشعب الفلسطيني على أرضه » ، ولكي يسهل الموضوع فإنه يرى أن تكون حدود هذا الوطن هي نفسها خطوط التقسيم سنة ١٩٤٧ »^{٣٢} .

فيذا قطع هيكمل تذكرة طائرة لعبد الناصر وجاء به إلى لندن ليتحدث إلى الانجليز وجدنا نفس المنظر . . . ونفس الأشخاص : أندرسون المندوب الأمريكي وجمال عبد الناصر زعيم الأمة العربية ونفس القضية ونفس الإجابة عن النقطتين المميزتين للقضية الفلسطينية ولكن جرت بعض التعديلات تناسب جمهور لندن .

○ أضيفت هنا معلومات بأن كيرميت روزفلت أوصى بحسن استقبال روبرت أندرسون .

○ أضيف هنا حضور « كيرميت » شخصياً الاجتماع الثاني بين الرئيس المصري وصديق الرئيس الأمريكي وأصبح معها ثالث هو الشيطان بعينه . بل وسرى ناصر يطلب من روزفلت أن يشرح له حجة الزائر القادم من تكساس . كيف اختفى « روزفلت » من الطبعتين العربيتين وظهر في الطبعة الانجليزية . . سؤال نجيب عنه تكتولوجيا المرح . . أو دراسات الحبر السري الذي اعتاد الجواسيس الكتابة به في العصور الوسطى !

○ سجد ناصر الانجليزي لا يري مشكلة فلسطين إلا مشكلة لاجئين ، لا حديث عن عروبة القضية ولا حديث عن التقسيم أو وطن فلسطيني .

هنا المخرج غير الحوار في النقطة الأولى فأصبحت :

المشكلة الأولى - قال ناصر - هي حقوق شعب فلسطين ، ومعظمهم من اللاجئين النازحين من بلدهم ، يعيش معظمهم في أحوال بائسة ، ويجب أن يكون بوسعهم العودة إلى بيوتهم ، وهذا ما ستطالب به الأغلبية أو تعويضهم إن استحالت هذه العودة . كما يجب تخطيط حدود واضحة بين الدولة الإسرائيلية والدولة الفلسطينية^{٣١} .

واقعة واحدة . .

في لقاء واحد . .

وثلاثة نصوص . . كلها وضعت بحروف وعلامات تؤكد أنها النص الحرفي المنقول عن الزعيم . . وكلها مختلفة . . كل واحد منها يشكل موقفاً سياسياً مختلفاً مائة وثمانين درجة . . فأيهما تصدق ، وأي تاريخ هذا ، وأي أفق أحق بمكنه أن يتق به . . وهل تصيح الوثائق عند هذا المزور إلا أداة من أدوات التضليل !؟

وتتحدث - أنت - عن المصادقية !!

□ ولو أن « مؤرخ » الناصرية قد أشار إلى دور أمريكا في خلع « جلوب » بالطبعة العربية ، إلا أنه للدواعي الأمن العام والصالح الوطني لم يشأ أن يكشفها بوضوح وصراحة كإحدى عمليات السي آي ايه CIA أو واحدة من ضربات مانت كيرميت روزفلت التي كان يكيلها للانجليز في المنطقة في كل اتجاه ، مع تسجيل فوائدها لزعيم الأمة العربية . .

أقول رغم إشاراته للدور الأمريكي إلا أنه نصح القاريء العربي بانتظار « فتح ملفات أخرى قبل القطع نهائياً بالأسباب التي أدت إلى طرد جلوب »^{٣٢} .

إلا أنه لم يجد القاريء الانجليزي بحاجة إلى هذا الانتظار فهو عاقل ورشيد ولذلك فتح له ملفاً مخصوصاً يفيد أن « كيرميت روزفلت » هو الذي دبر إخراج « جلوب » من الأردن^{٣٣} .

كراماتك يا شيخ كيرميت ! . . جعلت التاريخ يسير بالمقلوب فتكشف حقائق في الطبعة الانجليزية المزلفة أولاً وتختجب في الزمن إلى الوراء في الطبعة التالية !

كذلك جرى تنقيح « حدوتة » إبلاغة عبد الناصر بطرد جلوب ، بعدما تناولناها بالنقد الساخر في كتابنا منذ سنوات . . فأضاف إليها تعديلاً بفسر - في ظنه - لماذا لم يعرف عبد الناصر بالخبر قبل هيكمل . . وقارن الروايات في ص ٥٩ قصة السويس و ١١٥ ملفات السويس و ٩٧ الطبعة الأفرنجية .

□ في النص المخصص للمسرح المصري جعل مترجم يهول ليتحسس ثمثال « إسماعيل » قائلا : لقد أردت أن أقدم احترامي للرجل الذي أتاح لـ « دلسيس » أن يشق قناة السويس ، ص ٤٩٩ ع .

ولكن لما ترجم النص للمسرح البريطاني صححها المنتج الانجليزي الذي أوتي حظاً من التعليم فوق مستوى دبلوم تجارة ، ومن ثم يعرف أن إسماعيل لم يمنح امتياز حفر القناة لدلسيس ، بل سعيد ، على أية حال فإن الملقن الانجليزي كان جلفاً غيبياً فجاء تصحيحه مضحكاً غير معقول : « اسمح لي أن أحيي الرجل العظيم الذي باع اسمه لبريطانيا* ! ص ١٤٩ خ

تجمل عبد الناصر لا تسعه الدنيا لأنه أسم أسهم القناة وهذا يحجي الذي باعها ! اسبحوا لي أن أستمث من قدرة « عزتلو » على تغيير النصوص ، ووضع الكلام على لسان الشخصيات التاريخية وكأننا في مسرح البالون وليس تاريخ فترة حاسمة من تاريخ مصر . . . ومقارنة بين صفحتي ١٦٤ و ١٦٥ في النسخة الانجليزية وصفحات ٥١٥ ، ٥١٦ و ٥١٧ نجد أنفسنا مرة أخرى أمام إعجاز الاختصار الذي يأتي بمعلومات أكثر و « أخطر » . . . والتطوير الذي يحذف ما لا يجوز أن يطلع عليه « الأولاد » . الأصل الانجليزي :

□ قال دلاس إنه عندما أعلن رفض حكومته تمويل السد العالي لم يكن يقصد أبداً إهانة مصر أو إثارة الشكوك حول اقتصادها ، بل لأنه اقتنع أن هذه عملية مكلفة قد تنهك الاقتصاد المصري لفترة طويلة ، وهذا يسبب الكراهية للأمريكان إذا ما ارتبطوا بالمشروع وأصبح على المصريين المعاناة بشد الحزام** . وقال دلاس إنه لا يبالي إذا كان الروس يريدون المساهمة فيه (وهو ما كان غريباً لأنه ما من أحد قد ذكر الروس وقتها بل كانت الفكرة السائدة ، هي بساطة أن مصر تمول المشروع من دخول القناة)***

• وهذا يكذب دعوى هبكل في أنه هو الذي ترجم الكتاب من الانجليزية للعربية ، لأنه لو كان المترجم لما أخطأ في جعل إسماعيل صاحب الامتياز أو الذي أتاح لدلسيس شق القناة ، وخاصة أن الأصل لا يسمح بالخطأ . . فليس هناك أي حديث عن أتاح أو حقير بل الحديث عن الأسهم . . هو كاذب في كل اتجاه .

•• هذا الإيضاح في كلام دلاس وضع رداً على تساؤلاتنا في « كلمتي للمعطلين » حول معنى قول دلاس أن هذا المشروع سيجعل المصريين بكرهون من بناء . . ص ٢٣٤ وبما أن دلاس لا يقرأ العربية وكتابنا لم يترجم وأكثر من هذا دلاس مات قبل ظهور كتابنا بعشرين سنة فلا بد أن مؤلف التاريخ هو الذي نفع عبارة دلاس . . . وفن تحضير الأرواح أمر معروف عند الناصريين بشهادة مؤرخهم !

••• لنا تعليق على هذا في فصل السد العالي . لأنه يعلم جيداً - كما ستري - أن الروس ذكروا مراراً . . وانتظروا معي فسرى أنها من باب يكاد المريب يقول خذوني . . !

ووافق دلاس على أنه سيكون أفضل لصر أن تبني السد بنفسها حتى إذا حدث اعتراض شعبي فيكون الأمر كله مصرياً خالصاً .

١ - في النسخة العربية : اعترف دلاس بأنه هو الذي اقترح على ايزنهاور سحب العرض الأمريكي ، ولكن لم يرد التعليق باستغراب الإشارة إلى روسيا .

٢ - في النسخة الانجليزية : « نصح دلاس فوزي أن يجتمع هو وعبد الحميد بدوي بالمستشارين القانونيين في وزارة الخارجية الأمريكية » .
في النسخة العربي : حذفت !

في النص الانجليزي : « وختم محمود فوزي برقيقته بأنه يجب أن يلفت الانتباه إلى ما سبقوله دلاس عن مشكلتي فلسطين والجزائر . لأنه يشعر أنه بعدما تنتهي أزمة القناة ، فإن الأمريكيين سيكونون مستعدين لمناقشة المشكلتين مع مصر ، وقد اشار دلاس إلى إمكانية عقد اجتماعات لهذا الغرض في واشنطن » .

ومعنى ذلك بصريح العبارة أن « دلاس » لا يعمل على إسقاط ناصر ولا حتى يتوقع سقوطه ، بل مطمئن تماماً إلى استمراره ونخطيه أزمة القناة ، بل واستمراره في مركز الصدارة في صنع القرار العربي فيما يتعلق لا بفلسطين وحدها بل والجزائر أيضاً .

ولهذا . . فقد حذف النص من الطبعة العربية !! ولكن عوض عنه فراء العربية بسخاء كالآتي :

« واقترح كبريت روزفلت على « علي صبري » أن يسافر إلى واشنطن لمقابلة « آلن دلاس » (مدير الـ CIA ج) ورد « علي صبري » بأنه لا يستطيع أن يتحرك إلا إذا حصل على إذن من القاهرة « وبعث « علي صبري » إلى الرئيس « عبد الناصر » باقتراح « كبريت روزفلت » وفي ظرف ساعتين تلقى تعليقات بالرفض » ٣٥ .

ياحش بني مر !!

وبما أن حش لا يمكن ترجمتها إلى الانجليزية فقد كفى على الخبر « ماجور » إذ جاء النص كالآتي : « اقترح أن يذهب علي صبري إلى واشنطن بعد اجتماع مجلس الأمن لينصل بشخصيات مثل آلن دلاس » ٣٦ . *

نقطة . . قف . . ولا كلمة . . فليس للإنجليز والأمريكان يكتب هذا الهراء . . ولكل مقام مقال . . ولكل مزور تاريخه !

* ربما خشي عبد الناصر أن يعجب آلن دلاس بعمل صبري فبعينه « زعيماً » لصر . . ! بدليل أنه وافق على اجتماع مصطفى أمين بآلن دلاس في نفس الظروف وهذا ولاد في رسالة مصطفى أمين التي نشرها ميكل .

وقد أرسل السيد مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبيا السابق رداً كذب فيه « أن الرئيس عبد الناصر فوجيء بتوقيعي على معاهدتين من شأنهما انضمام ليبيا إلى دول الأحلاف » . وقال رئيس الوزراء الليبي السابق ببساطة إنه لا هو ولا أي رئيس وزراء ليبي وقع مثل هذه المعاهدة !

فماذا كان رد المؤرخ الوثائقي ؟

فضيحة فاجر لا يستحي إذ قال :

« إن قصة الحلف التركي الليبي نشرها الأهرام على صدر صفحته الأولى في عدد ٢٦ يونية ١٩٥٤ ولم يكن هو رئيس التحرير وقتذاك وأن مصدر القصة هو وكالة اسوشيتدبرس الأمريكية التي نقلتها من أنقرة . وبعت بها إلى الأهرام في إطار اتفاق للخدمة الخاصة بين الوكالة والجريدة . وطبقاً لما ذكرته الوكالة الأمريكية فإن السيد مصطفى بن حليم زار تركيا مع اثنين من الوزراء الليبيين ، في ذلك التاريخ ، لعقد حلف بين ليبيا وتركيا ، شبيه بالحلف التركي الباكستاني وكان مقرر أن يوقع الملك السنوسي بنفسه اتفاقية الحلف ، وقد اتفق على زيارته لأنقرة بالفعل ، ولكن لم يعلن عن موعد الزيارة بسبب حالة الملك الصحية طبقاً لما نشره الأهرام ! »

صحيح الأعمال بالنيات ! . . لكن هل التاريخ أيضاً ١٩٠٠ . . إذا كنت تعرف أن الاتفاقية لم توقع والصورة الزنكوغرافية في الأهرام لا تشير إلى توقيع ولا إلى اسوشيتدبرس حتى . . بل إنها صريحة في قولها « ويبدو أن حكومة القاهرة لم تعر هذه النقطة ما تستحق من اهتمام » .

فأنت تعرف أن اتفاقية ما لم توقع فكيف تبيح لنفسك أن تكتب بعد ثلاثين عاماً تأكد خلالها ثلاثين مرة × ٣٦٠ أهرام أنها لم توقع ، كيف تبيح لنفسك أن تقول : فوجيء عبد الناصر بتوقيع معاهدتين من شأنهما انضمام ليبيا إلى دول الأحلاف ، ! . . بل وتحدد اسم من وقع ! . .

وبعد أن جاءك التصحيح تصر على أن تنشر في الكتاب « فوجيء جمال عبد الناصر بخطرتين في نفس الوقت غربي الحدود المصرية ، وقع السيد مصطفى بن حليم « اتفاقية دفاع مشترك بين ليبيا وتركيا ثم بحروف سوداء » وكان معنى ذلك أن الخطوة الأولى في محاولة تطويق مصر قد بدأت على حدودها الغربية . . . ثم إن تركيا بمعاهدتها العسكرية مع ليبيا . . ربطتها على نحو أو آخر بالحلف التركي - الباكستاني ! »

أي تاريخ هذا ؟

وهل يكتب تاريخ التطوين والمعاهدات نفلاً عن الأهرام . . وكأنك وأنت مش رئيس

تحريرها ؟ حتى هذه أنت كاذب ، فليس في « الأهرام » الذي نشرت صورته خبر توقيع . .
وأنت جازمت ومازلت مصرأ على أن معاهدة وقعت رغم اعترافك في الرد بأنها لم توقع لأسباب
صحية تتعلق بالملك . . وما دخل الملك وأنت أكدت أن مصطفى بن حليم وقع ١٩ . .
هل يجوز للشعب بحترم نفسه أن يعتبر هيكل مؤرخاً أو أن يهتم بما يكتبه كمصدر للتاريخ . .
هذا الذي لا يؤمن على خبر « معاهدة » دولية . . نأفنه على ما ينسب من أحاديث هو وحده
الشاهد عليها ١٩ . .
احترموا عقولكم . .

أما حكاية مفاجأة عبد الناصر بمحاولة تطويره بتأجير قاعدة أمريكية في ليبيا فإن رد
مصطفى بن حليم يصعب جداً رفضه فقد قال : « لعل ما لا يعرفه السيد هبكل أنني أطلعت
الرئيس جمال على تفاصيل الاتفاقية المذكورة أولاً بأول سواء عند اجتماعي به في يونيو ١٩٥٤
بالقاهرة وبحضور السيد حسن إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة ، أو عند زيارة الأخير لل ليبيا
في أغسطس سنة ١٩٥٤ حيث أطلعت على مسودة الاتفاقية قبل توقيعها ولم يجد الرئيس جمال
في الاتفاقية ما يمس أمن وسلامة مصر . لذلك لم تهاجم الاتفاقية لا من صوت العرب
ولا من بقية أجهزة الإعلام المصرية » ٣٧ .

ولم يجد مؤلف التاريخ ما يرد به على هذا « المطب » إلا أن « ما ذكره السيد بن حليم ليس
هناك ما يشته فضلاً عن أنه ليس هناك ما يعزز صحته » ٣٨ .
لا . .

أولاً - الرجل استشهد بشاهد من الأحياء هو « حسن إبراهيم » والذي كان مشغولاً عن
ليبيا في تلك الفترة والذي لم يكذبه حتى الآن (مايو ١٩٨٧) .

ثانياً - يعزز قوله نقطتان . . الأولى في غاية الأهمية وهي أن صوت العرب الذي كان
يهاجم الأحلاف الموجودة والتي ستوجد والقواعد في الكونغولم يذكر القاعدة الأمريكية بحرف
ولا تعرضت لها صحيفة واحدة ولا جاء ذكر هذه الاتفاقية في حملات الإعلام المصري
وقتها . .

لماذا ١٩ . . أجب يا هذا . .

بن حليم كان مهذباً أو في فمه ماء بيان ! ففسر ذلك بأن عبد الناصر استشير فلم
يجد ضيراً . . ولكن إذا لاحظنا أنه حتى عام ١٩٥٦ لم تهاجم أية قاعدة أمريكية في المنطقة
عرفنا أن السر أعمق من ذلك .

الإثبات الثاني أنه قد ثبت كذبك في النقطة الأولى الثابتة قطعاً ، ومن ثم فلا مصداقية لك
وتعززت مصداقية معارضك بن حليم . ولو كان لديك أي « شك » في صحة ما قاله
لرجعت للفتاتك وجئت بنص واحد نشر في صحيفة مصرية أو في إذاعة صوت العرب في تلك

الفترة ضد هذه الاتفاقيات . . ولكنك لم تفعل ولن تفعل .

وهكذا فقد الناصريون مصداقيتهم وأنت على رأسهم وهاهو أمين هويدي يكذبك في واقعة حدثت بينك وبينه شخصياً* ، وعمد نجيب الزمك بالاعتذار ، وبين حليم يتحدث أن تكون هناك معاهدة بين تركيا وليبيا ، وقد قدمنا للقاريء بعض النهاذج على تزويرك وتعديلك وتغييرك للواقعة الواحدة وما تدعى أنه نص كلام عبد الناصر . . فأنت الذي فقد المصداقية . . أما نحن فنكتب من ٣٦ سنة لم يكذب لنا أحد حرفاً وقد تناولنا ونقدنا وهاجمنا شتى الانجماهاات والعديد من الشخصيات ، بعض وحدة ، بعضها من خلقنا وبعضها من انفعالنا الشرعي إزاء ما يدبر لوطنتنا وما يفترى على التاريخ والحقيقة ، ومع ذلك لم يجرؤ واحد من تناولناهم أن يفند فقرة ولا سطرأ مما كتبناه عنهم . . بل إن الكثير مما قلناه أصبح من المبادئ والحقائق المقبولة سلفاً ، والتي فرضت نفسها على كتاباتكم كما سبى القاريء من مقارنة ما كتبتموه في « قصة السويس » وما تداركتموه في ملفات السويس .

ولئن صح ما رواه عن سؤاله للملك فيصل لماذا لا يحتفظ بمحاضر ولا أوراق ، فرد عليه حكيم العرب : « لا أحد يدري في يد من تقع تلك الأوراق » . . فقد أصابه في مقتل . . وأي هول وسوء بصيب أوراق التاريخ إن وقعت في يد هيكمل ١٩ . . ٢٠

وما دنا في سيرة التاريخ البلاستيكي فلنا نتعرض لإحدى القضايا التي يحيطها غموض غريب غير مفهوم إلا في ضوء تفسيرنا ، ونعني هنا علاقة هيكمل بعبد الناصر فكلمنا تفضل هيكمل ، و « أفرج » عن إحدى وثائق هذه العلاقة زادتنا غموضاً وحيرة وزادتنا تعقيداً وقلنا « أفرج » عن عمدة ، ذلك أن وثائق « هيكمل » ، مثل كل الوثائق الرسمية « لها شروط أو أجل لا بد أن تستكملة قبل الإفراج عنها ، فالوثائق البريطانية كان يشترط لها مرور ٧٥ سنة حتى يكون الأحفاد قد ماتوا فلا يضاروا بما يكشف عن مملكية الأجداد ، أما الأمريكان فيشترطون ثلاثين عاماً فقط . فإن عدنا لهيكمل فسنجد أن أجله هو « الكتاب » . . أعني لكل

• الغرب أن الحاج هويدي يشكو لظوب الأرض في كتابه من تزوير هيكمل لواقعة حدثت بينها شخصياً ومع ذلك يزيد تاريخه . . إن كان هيكمل يصدق على الأموات ، فهو صادق في ما رواه عليك وأنت إلى ١٩

•• الظاهر أن بدأ أخرى غير ضليعة لا بالعربية كلغة ولا بالسباسة العربية صاغت كتاب « هيكمل » : قطع ذيل الأسد . . فلا يعقل أن هيكمل الضليع في اللغة الانجليزية وبذلك العربية يترجم « الأسير » MAGNIFICENT . . ولا يعقل أن هيكمل لا يعرف الإمام يحيى من الإمام أحمد ! ص ١٠٩ خ و ص ١٠٦ خ مع أنها وردت صواباً في الطبعة العربية .

والظاهر أيضاً أن التاريخ يجب أن يضح وفقاً لمعيد عشاء هيكمل ، ولأنه كان ينبغي يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦ لذلك تقدم الهجوم الإسرائيلي على سيناء من التاريخ المتفق عليه عالمياً وهو ٢٩ إلى يوم العشاء ! انظر ص ١٧٧ خ .

أحل كتاب ١ . . شرط هيكل للإفراج عن « وثائقه » هو وفاة من يستشهد بهم ١ . . فهناك
دنيا في كل رواية عن نفسه شاهد أو شاهدان أو حتى شهوة . شرط أن يكونوا جميعاً من
توفاهم الله وتدل تجربة الجنس البشري خلال البليون سنة الماضية . أنه مهما يكن حجم
الكذب الذي يقترنه « هيكل » ومهما تصورتنا ضيق المتوفى الذي يستشهد به . فما من سبب
يجعلنا نعتقد أنه سيأتي من العالم الآخر ليفند رواية هيكل . . ويبدو أن مؤرخ الناصرية . على
يقين من ذلك ومن ثم « يتبحر » هو بقى . على حد قول أبو لعة . .

وقد تفضل علينا هيكل في كتابيه « ملفات السويس » و « بين الصحافة والسياسة »
ببعض الوثائق عن علاقته بعبد الناصر . ففي هامش ص ١٩٧ ع يعرفنا :

« سنة ١٩٥٠ زارني « جمال عبد الناصر » في مكنتي في « آخر ساعة » وكنت رئيساً
لتحريرها وراح يناقش معي ما يجري في سوريا وكان قد قرأ لي تحقيقات صحفية قمت بها في
دمشق مع ثوالي تلك الانقلابات . وكنت قد التفتت به قبل ذلك لقاء واحداً عابراً حينما
مررت بمنطقة عراق المشية قرب الفالوجة . وكانت المرة الثانية التي زارني فيها « جمال
عبد الناصر » في مكنتي قبل الثورة في أواخر عام ١٩٥١ لكي يطلب مني نسخة من كتابي
« إيران فوق بركان » . ولم يكن جمال عبد الناصر معجباً بكل هذه السلسلة من الانقلابات
(السورية) ولعله على ضوء ظروف تجربة مصر في الحركة العربية كان شديد التشاؤم من
نتائج إمكانية نجاح العسكريين^{٣٩} .

هل يعني ذلك أن عبد الناصر كان منشئاً إلى أواخر عام ١٩٥١ . . فأين حديث بداية
التنظيم سنة ١٩٤٩ ولماذا أقامه وتحمل مخاطره . .

منشأه من إمكانية نجاح العسكريين في أواخر عام ١٩٥١ . . وبشكل ويقود تنظيمًا
عسكرياً . . له ١٩

هذه واحدة ولكن الأخرى أعجب . فقد تفضل المؤرخ . فنازل عن تواضعه وإنكار
الذات الذي اشتهر به شهرة اللحمة في السوق . . فأخبرنا أنه هو الذي قال لجمال عبد الناصر
إن الانجليز لن يتدخلوا لحماية الملك .

« وكان هذا أول دور أدته بالقرب من جمال عبد الناصر » .

أو كما قال في « بين الصحافة والسياسة » ١ ص ١٤٥ ع .

وبالرجوع إلى بين السياسة والصحافة . نجد رواية تقول إن مؤلف الناصرية قابل زعيمها
« صدقة » يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ و « صدقة » أو نتيجة استفزاز من جانب هيكل . انفتحت
سيرة الانقلاب وترك له الكلام :

« يوم ١٨ يوليو التقيت مصادفة بالبكباشي جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر
(لاحظ أنها متوفيان والمترنل كان يعج بالناس ولكنه استفرد بهما وحدهما الشاهدان ج)

وقد ارتبنا نقاش ساخن حول ما يجري في البلاد ودور الجيش فيه ، وتعمست أثناء المناقشة وقلت « لجمال عبد الناصر » ما معناه : « إن الجيش عاجز عن رد كرامته إزاء عدوان الملك عليه » ورد جمال عبد الناصر بالتساؤل عما يمكن أن يفعله الجيش . . . أو ليست أي حركة عسكرية من جانبه يمكن أن تؤدي إلى تدخل بريطاني . . . وتطوعت وقلت إن الانجليز لن يتدخلوا . . . لأنهم لا يملكون وسائل التدخل وأحسست أن عبارتي قد رنت جرساً في رأس جمال عبد الناصر . لأنه التفت إليّ وسألني عن الأسباب .

ثم أكملوا مناقشتهم في بيت هيكل .^{١١}

من الغريب - على حد تعبيره - أننا تصدق ادعائه ونكذب أدلة أروابته . . . فنحن نميل إلى الاعتقاد من زمن طويل إلى أن هيكل هو الذي حمل إلى عبد الناصر التأكيد بأن الانجليز لن يتدخلوا . . . ولكن لغير ما أورده من أسباب وأهم من ذلك ، لم يكن هذا التأكيد يوم ١٨ يوليو وليس صدفة ولا في مناقشة عابرة وبطريقة يفهم منها الطفل - وليس زعيماً - ومدير انقلاب - أنها تهدف لاستفزازة أو استدراجه لإفشاء ما يكون لديه من أسرار أو نوايا . . .

أولاً . . . لا يمكن أن يكون ذلك قد حدث يوم ١٨ يوليو لأن جميع المصادر وكل الأدلة توحي بأنه في هذا التاريخ كان الانقلاب قد تقرر فعلاً ودارت ماكينته وأصبح أمراً مفروضاً منه مهما تكن النتائج فلا يعقل أن عبد الناصر الذي يشغله مثل هذا الأمر الخطير . . . وهو تدخل الانجليز وتكرار تجربة عرابي . . . أو الكابوس الذي كان يشل أي ضابط مصري عن التفكير في « الثورة » ضد السراي ، يتركه بلا حل إلى ١٨ يوليو !!

إننا نتفحص كثيراً من جدية عبد الناصر إذا اتهمناه بأنه ترك هذا الاحتمال (التدخل البريطاني) بلا مواجهة ولا حتى مناقشة ولو مع هيكل إلى يوم ١٨ يوليو ، إذ يهبط عليه الوحى مصادفة ومناقشة مع صحفي لم يقابله إلا مرتين . . . مرة لقاء عابراً في فلسطين ، ومرة في مكتبه يطلب نسخة عليها إهداء كتابات السنية مع إحسان عبد القدوس . . . مع صحفي في دار أخبار اليوم الناطقة باسم السراي بشهادة هيكل نفسه . . . ومع ابن أخبار اليوم البكر والحائز على جائزة الملك فاروق ثلاث مرات . وإن كان هناك خلاف في الروايات حول هذا اللقاء وهل كان الأول أو الثالث . . . أم كانت هناك علاقات قديمة لم يحن وقت كشفها . . . إلا أنه يفهم من رواية هيكل هذه . . . أنها « كان أول عمل أؤديه بجانبه » تعبير غريب . . . فمجرد إبداء الرأي ليس عملاً وبجانبه . . . فماذا يقصد بخبر الصباغات المريبة . . . هل دبرا معاً منع التدخل البريطاني . . . ؟ . . . المهم حسب هذا النص أنه لم تكن بينهما علاقة عمل قبلها .

ويستفاد أيضاً أن هيكل لم يكن يعلم - عن طريق عبد الناصر على الأقل - بعمل عبد الناصر للثورة ، وإلا لما احتاج لاستفزازة أو استدراجه بتعبيره بقلة الثورية والعجز عن

رد الإهانة . . وهذه نقطة مهمة نحاط بها مستقبلاً ضد أي ادعاء عن وجود علاقة ثورية أو حتى فكرية بين هيكل وعبد الناصر قبل الثامن عشر من يوليو ١٩٥٢ . . ولو كنا نملك تسجيل ذلك في الشهر العقاري لفعلنا .

وفهم من عرض هيكل - كما قلنا - أنه لم يكن هناك سابق معرفة بين ناصر وهيكل تسمح بأن يتق به في هذه اللحظات ، وهو يعرف أن كل القوى المعادية تسقط الأخبار عن تحركاته . . ومن ثم فمن حقنا إسقاط هذه الرواية بالكامل . . وخاصة إذا أضفنا شهادة جلال ندا وقبلنا شهادة المصادر العديدة وفي مقدمتها خالد محيي الدين التي تؤكد أن اتصال ناصر بالأمريكان كان في مارس . . والاتصال بالأمريكان كان أهم بنوده وفوائده هو تأمين عدم تدخل الانجليز . . وأخيراً لأن شاهدي هيكل على هذه الواقعة لا يمكن أن تذكر أحدهما الأخرى فقد توفاهما الله . . وسبحانه يتوفى حتى الشيطان .

وأخيراً . . ففي كتاب الصحافة والسياسة نفسه نجد أستاذنا « مصطفى أمين » يذكر سيدهما بأن مندوب المخابرات الأمريكية في السفارة الأمريكية هو الذي أجرى الاتصالات التي ضمنت منع التدخل البريطاني .

وهذا الذي تقابل مع عبد الناصر ثلاث مرات بالصدفة خلال ٣٤ سنة من عمر عبد الناصر ، سجنده بعد أربعة أيام من هذا اللقاء المصادفة ، ثالث الاثنين بدير الحركة صباح ٢٣ يوليو ، كما جاء في روايته الأكثر من فكهية . حيث وضع مصطفى أمين في معسكر الرجعية مع الحلالى على طرف التليفون وهو . . على الطرف الآخر ينطق باسم الثورة ، بشهادة اثنين من دون جميع الضباط الذين كانت تجمع بهم قيادة الأركان . . ضابطان فقط حول هيكل . . ويشهدان بصحة روايته ، لولا عائق بسيط للأسف وهو انها ماتا : عبد الناصر وعبد الحكيم عامر* . .

□ وكنا قد أمسكنا بخناقه في واقعة من هذا اللون ، عندما ادعى في كتاب « قصة السويس » أن عبد الناصر ودعه وهو ذاهب إلى أمريكا في أكتوبر ١٩٥٢ قائلاً : « إن الكثيرين يعرفون علاقتك الوثيقة بي » . . فحاول أن يفلت في « ملفات السويس » وذلك بإجراء عملية تحميل للتاريخ البلاستيك ، رغم أنه في كتاب « قصة السويس » الصادر عام ١٩٧٦ والذي مازال في الأسواق ، أورد كلام عبد الناصر بين مزدوجين هكذا : « دليل على أنه نص منقول حرفياً من كلام الزعيم الخالد ، إما من الأرشيف الهيكلي أو الكمبيوتر إياه الذي فنن ضابط الإيقاع ، أو أوشيف منشية البكري محطة سراي القبة . . إلا أنه اضطر مرعياً إلى حذف هذا النص المتصل المصدر . فاعترف بأنه حديث موضوع مكذوب متكور واستعاض

* أصبح القاري بالرجوع هذه القصة في كتابه بين الصحافة والسياسة فهي فكهية جداً ! والصفحات من ٥٢ إلى ٥٧ .

عنه بإيضاح ورد في الطبعة العربية ١٩٨٧ يقول : « وكانت السفارة الأمريكية بالقاهرة قد
أخطرت واشنطن عن سفري وأضافت إليه أنني وثيق الصلة بـ « جمال عبد الناصر » . . . ١١
خطبت . . . ١٢ ولا نفص منها حته ١٣

ويبدو أنه توقع أن يكون الفاريء الانجليزي في مستوى ذكائنا ومن ثم سبأله :
« وعرفت مبنى السفارة الأمريكية . . هي العصفورة بتروح السفارة الأمريكية ١٤ . . فكان
أن قصر الشر ، وحذف الحديث والتفسير من الطبعة الأفرنجية ، واكتفى بطلب
« عبد الناصر » منه أن يقيم له الموقف في أمريكا .
وهذا يثبت فائدة النقد في تطوير التاريخ وتقدم فن تزويره ، وتعلم الخلد من عثرات
اللسان* .

□ وقد أعضى « مؤلف » التاريخ قراءه العرب من حكاية اتصال عبد الناصر بهيكل عقب
وصول أنباء الاجتياح الإسرائيلي لسيناء ، وحسناً فعل وإلا فإن مستشفيات مصر كلها لم تكن
كافية لعلاج حالات الضغط والسكر ولكنه للأسف نشر هذه الفضيحة في الطبعة الانجليزية
ولعلها نوع من التشفي في الزعيم الذي كان على وشك أن يفكك به لولا « حفظ » هيكل . .

قال :

« حولت لي مكالمة من ناصر على الفندق . . « الإسرائيليون في سيناء ويبدو أنهم يجاربون
الرمال ، لأنهم يحتلون موقعاً خالياً بعد موقع . . إننا نراقب ما يجري عن كثب ، ويبدو لنا
كما لو أن كل ما يريدونه هو إثارة عاصفة رمال في الصحراء ، لا نستطيع أن ندرك
ما يجري . . أقترح أنك تأتي »^{١٥}

يأتي أولاً يأتي .

والله لولا أننا لا نشك - بعد - في وطنية عبد الناصر ، ولا نتق إطلاقاً في رواية هيكل لظنا
أنها مكالمة بين جاسوسين إسرائيليين ببادلان التهانى : « اليهود في سيناء . . ولا أحد يقف
في طريقهم ، المواقع تقع في أيديهم واحداً بعد الآخر بلا نقطة دم . . خالية . . إنهم
يجاربون الرمال بعد أن سحبتهم الرجال . . تعال بسرعة ! » . .

* راجع هذه النقطة في كتابنا كلمتي للمغتربين الصادر في ١٩٨٥ ص ٣٥ وما بعده وفي هذا الكتاب
الذي بين يديك

ألا يعرف زعيم مصر والذي كان عسكرياً ماذا يريد الإسرائيليون في سيناء . . ولا يفهم لماذا يستولون على المواقع الخالية ؟ وما ذنب اليهود إذا كانت المواقع قد تركت بلا مدافعين . . هل هم من المسلمين الانتفاء لا يدخلون موقِعاً حتى يستأذنوا ؟ ولا يدخلون موقِعاً ليس مكوّناً ؟ . .

هذا هو « هيكل »

مؤرخ زمن القحط .

فتعالوا نرى ماذا أرخ . . قُتل كيف أرخ !

المراجع

- ١ - ص ١٢ من « ملفات السويس » الطبعة العربية وسرمرز هاج .
- ٢ - ص ٨ ع .
- ٣ - ص I X من الطبعة الانجليزية الصادرة بعنوان : « السويس قطع قبل الأسد . . نظرة
مصرية » وسرمرز لها بالحرف خ .
- ٤ - ص X ع .
- ٥ - ص ٤٨ ع .
- ٦ - ص ٨ ع .
- ٧ - ص ٨ ع .
- ٨ - ص ١٦ ع .
- ٩ - هامش ص ٢٧ ع .
- ١٠ - ص ١٢٨ ع .
- ١١ - ص ٣٣ ع .
- ١٢ - ص ٢٣٩ ع .
- ١٣ - ص ١٩١ ع .
- ١٤ - ص ٣٠٦ ع .
- ١٥ - ملفات السويس .
- ١٦ - ص ٤٨ ع .
- ١٧ - ملفات السويس .
- ١٨ - ص ٦٤ ع .
- ١٩ - ص ٦٤ ع .
- ٢٠ - قطع قبل .
- ٢١ - ملفات السويس .
- ٢٢ - ص ٧١ ع .
- ٢٣ - ص ٣٦٢ ع .

- ٢٤ - ص ٧٧ خ .
 ٢٥ - ص ٣٦٤ ع .
 ٢٦ - ص ٧٩ خ .
 ٢٧ - ص ٧٩ - ٨٠ خ .
 ٢٨ - ص ٨٠ خ .
 ٢٩ - ص ٨٣ خ .
 ٣٠ - ص ٣٨٨ ع .
 ٣١ - ص ١٠٠ قصة السويس .
 ٣٢ - ص ٩١ - ٩٢ خ .
 ٣٣ - ص ٤١٠ ع .
 ٣٤ - ص ١٠٠ خ .
 ٣٥ - ص ٥١٧ ع .
 ٣٦ - ص ١٦٤ خ .
 ٣٧ - الأهرام ١٢/٢١/١٩٨٦ .
 ٣٨ - ن . م .
 ٣٩ - ص ١٩٧ ع .
 ٤٠ - بين الصحافة والسياسة ص ٤٩ - ٥٠ .
 ٤١ - ص ١٧٧ خ .

الملاحق

م^١ - عندما بدأ هيكل ينشر مسلسل خريف الغضب في واحدة من كبريات الصحف البريطانية . . قال في صديق عربي كبير : هل لو أتاحت هذه الفرصة لصحفي يهودي . . أكان يستخدمها في سب ييجين أم في الدفاع عن قضايا إسرائيل ؟

وإذا كنت لم أقل كلمتي بعد في « خريف الغضب » لأنه جزء من دراسة عن السادات أتمنى أن أصدرها ولكن في عجلة وفي حدود ما يسمح به هامش أو ملاحظة ، أقول إن كتاب « خريف الغضب » لم يكن أبدا مجرد تأريخ شخصي . . بل خطة محكمة التدبير أو حلقة في الحلقة الشاملة التي أريد بها إبطال كل إيجابيات مغامرة السادات بزيارة القدس وعقد الصلح مع إسرائيل وذلك بتحطيم الصورة التي تمسدت لدى الرأي العام العالمي عن السادات : « بطل السلام » . . العربي الذي حارب وانتصر أو على الأقل أول عربي يتصبر إلى حد ما . . الوطني الذي ضحى بكل شيء حتى حياته في سبيل السلام فلم يلق من زعماء إسرائيل إلا الرفض والكيد .

وبصرف النظر عن مكونات وحقائق هذه الصورة ، فقد كانت موجودة بالفعل ، وهي استثمار موظف أو يمكن توظيفه لحساب العدل العربي أو الحق العربي المشروع . . وسيلة من وسائل تجميع

ضغط ضد « تعنت » إسرائيل وتخاذل الولايات المتحدة التي قتلت السادات سواء مباشرة ، كما تعتقد ، أو بتخاذلها وعجزها عن تحقيق سلم قائم على العدل مقابل مبادرته .

كان لابد أن تزول هذه الصورة ، وتلغى هذه الورقة ، وأن تتم الإزالة بقلم عربي مصري الجنسية ، يقول للرأي العام العالمي والأمريكي بالذات . . . السادات ليس فقط مجرد ممثل نصاب وضع الأصل ، بل « جاسوس نازي » . . . نعم « جاسوس نازي » هذا ما قاله محمد حسين هيكل عن أنور السادات . . . وإذا عرفنا أن الأمريكي أو الأوروبي يغفر أن تشرك بالله ولا يغفر أبداً شبهة النازية (انظر قضية فالدهايم) عرفنا كيف استطاع « هيكل » أن يطمئن التصور العالمي للسادات وتطلعاته السلامية في مقتل . . . وليس السادات الذي كان قد قتل وانتهى ، بل الكارث العربي . . . وبذلك خدم « هيكل » إسرائيل بأكثر مما استطاعت وتستطيع كل أجهزة الإعلام الصهيوني وهذا هو الهدف الرئيسي من كتاب « خريف الغضب » وهناك أهداف أخرى لم يحسن الوقت لإداعتها وستعرض لها في كتابنا القادم : « إعدام رئيس » . . . ولعلك خنت بعضاً مما نريد قوله ! . . . وللحقيقة والتاريخ ، فالسادات لم يكن جاسوساً نازياً بسبب تعاونه مع الألمان في الحرب العالمية الثانية ، إلا بقدر ما كان مفتي فلسطين وعزيز المصري وحسين ذو الفقار صبري والبيгдаي وأحمد حسين . . . الخ . . . بل بقدر ما كان تشرشل وروزفلت جاسوسين شيوعيين يتعاونهما مع روسيا . . . وإنما الكل كان يعمل بشعار التحالف مع الشيطان ضد العدو المباشر . . . وبهذه المناسبة من يجري لنا دراسة حول موقف عبد الناصر في هذه الفترة ، ولماذا لم يكن مع باقي الضباط متعاطفاً مع الألمان ؟

الفصل الثاني

ثورتنا التي أجهضت ...

... مهما تكن سياسة الحكومة الجديدة فالهمم أننا نخلصنا
من الوجود ...

المفكر البريطاني

١٩٥٢/١/٢٧

الجيل الذي لم يعيش سنوات ما قبل انقلاب يوليو ، من حقه علينا أن نعرفه حقائق تلك الفترة ، ومن واجبه أن يعرف . . وأن يعي ، بداية ، أن تاريخ تلك الحقبة ، قد تعرض لعملية تشويه شاملة ، وهو وضع طبيعي ومتوقع ، لأن مصدر الشرعية أو المبرر لأية ثورة أو انقلاب ، أنها ثورة أو تنقلب لتخليص الشعب من « نظام سيئ » وعندما تنجح في قلب هذا النظام وإلى أن تتحقق لها إنجازات مباشرة ملموسة ، يكون إنجازها الأكبر هو إزاحة النظام السيئ ، ومبرر استمرارها في السلطة هو حماية الوطن والشعب من خطر عودة هذا النظام البقيض ، ومن ثم يغدو الإعلام الثوري ، هو الذي يبرز مساويء العهد البائد ، وتصبح أية إشادة ولو جزئية بذلك النظام أو رجاله عملاً غير ثوري وطعناً في الانقلاب وتشكيكاً في مشروعيته ومبرراته ومن ثم محظورة ، ولا رحم الله سالفين الذي قال : « في الحرب لا مكان للموضوعية » .

فإذا ما كان التغيير ثورياً حقاً ، واستقرت الأمور ، وتحققت المنجزات ، فإن الثورات الصادقة تعيد احترام التاريخ ، وتعترف بماضي الوطن وتفتخر بأنها المكملة له ، لأن من ليس له ماضٍ يعتز به ، لن يكون له مستقبل . . فإذا اتفقنا على أنه حتى الثورات الحقيقية تضطر إلى مجافاة الحقيقة فترة ، فما بالك « بالمكانس » ؟ !

وصحيح أننا عرفنا بحدّة العبارة ، وعنّف التعبير ولكننا نعتزف - للأسف - أنه ما خطر ببالنا وصف انقلاب يوليو « بالمكنسة » مقشّة ! . . إنما جاء التعبير من وزارة الخارجية الأمريكية . . وأم الصبي أدري باسمه . .

فلا غرابة في من قبل أن يكون مكنسة تكس نظاماً - حتى ولو كان ذلك على هوى وبارادة الأجنبي - لا غرابة أن يحرص على نقي أي صفة طيبة فيما جاء ليكنسه . . وهكذا تعرض تاريخنا للتزوير والتشويه والتجهيل ، ولا حاجة للشباب للبحث والتقصي ، فكل جيل الثورة كما يسمونه ، لم يكن يعرف حتى عام ١٩٧٣ بوجود شخص اسمه محمد نجيب ، والذين سمعوا عنه من آبائهم هم بدورهم ما كانوا يعرفون لا هم ولا آباؤهم - على وجه اليقين - إن

كان « محمد نجيب » حياً أو ميتاً ، أما كتب المدارس الرسمية التي تلقن « التاريخ » ويفترض فيها أن تعلم الحقائق ، فقد حذفت من التاريخ تماماً أن محمد نجيب هذا ، كان رئيساً للجمهورية ، حتى ابن « محمد نجيب » شك في كلام أبيه وجاء إليه يقول : كيف تكذب عليّ يا أبي وتقول إنك كنت أول رئيس لجمهورية مصر وكتب المدرسة والمدرس يقولان إن عبد الناصر هو الأول .. ولعل محمد نجيب* تمثل وقتها بحكمة : « البغل في الأبريق » ! .. وتذكر بعض ما افتراه هو على التاريخ يوم كان في السلطة وقليلاً ما يعتبرون ..

وقديماً قال شوقي : أمن سرق الخليفة وهو حي .. يعف عن الملوك مكفينا أو مسجيناً .. لا أخري ولا أعرف وزن الشعر ولا أحفظه .. وهكذا أفمن أخفى رئيس الجمهورية ومحا ذكره محوا وهو حي يرزق .. يتوقع منه أن يعف عن زعماء مصر وأحداث مصر التي انقضت قبل أن يولد ؟

من هنا كان عليكم أن تقرأوا كثيراً وتقبوا وتمحصوا أكثر .. ولا تقبلوا ادعاء بغير دليل ، ولا وثيقة دون مراجعة .. فإن ثبت لكم كذب كاتب أو تحريفه فانيذوه ولا تقبلوا شهادته أبداً .. هكذا كان السلف الصالح يتعامل مع التاريخ فلا بد من المصدر ولا تقبل أحاديث الأحاد إلا بأن يكون مصدرها فوق الشك وأن تعزز بدلائل وقرائن وأن تتفق مع التصور العام ويستبعد حديث أو رواية من له مصلحة تعززها الرواية أو الحديث .. ثم هي في النهاية أضعف الحجج .. أما من ثبت عليه وضع أي تزيف حديث واحد فقد سقطت الثقة في كل أحاديثه .

نعم من حقكم أن تعرفوا ، ومن واجبا أن نعرفكم أن انقلاب يوليو لم يكن ثورة بل الثورة المضادة* التي دبرت لإجهاض الثورة الحقيقية .. فقد كانت مصر حبل بندر ثورية (كان الحزب الشيوعي يتحدث عن ثورتنا المقبلة التي باعها بعد ذلك بكرسي الوزارة في خدمة العسكر) بل نحن نعتقد أنه لو بقي الوفد في الحكم أسبوعاً واحداً بعد معركة البوليس في الاسماعيليه ، وصدرت المراسيم التي كانت قد أعدت فعلاً بقطع العلاقات الدبلوماسية وإقالة حاكم عام السودان وإلغاء شرعية الوجود البريطاني في السودان ، وإصدار الأمر للجيش المصري هناك بالمقاومة إذا ما تعرض له الانجليز لو تم ذلك لتفجرت في وادي النيل

- هذه المناسبة كنت أنا الذي تولى إعداد ونشر مذكرات « محمد نجيب » في مجلة « الحوادث » ونشرت يومها ضجة هائلة . وأذكر أن المرحوم أنور السادات أرسل رسالة خاصة إلى المرحوم سليم اللوزي يطلب تأجيل النشر بضعة شهور ، ولم نفهم حكمة ذلك ورفضنا الرجاء لتفاجأ بحرب أكتوبر ونكتشف صدق نصيحة الرجل وإن كنا لم نندم كثيراً على مخالفته .
- عاتب أحمد بهاء الدين الرجعية لأنها ناكرة لجميل ٢٣ يوليو التي أنقذتهم من الثورة الحقيقية .. وهو صحيح .. بقي أن بدلنا على ثورة أنقذت الرجعية إلا هذه ..

ثورة وطنية شاملة تحمل إمكانات تغيير وجه وتاريخ المنطقة . . على الأقل هذا ماتوقعه الأمريكيون وتؤكدته وثائقهم كما سنرى بعضاً منها .

ولم يكن وجود القصر بشكل عائقاً مستحيل التجاوز . فتورة ١٩ قامت في ظل ملك أسوأ وأكثر فجوراً وقذرة من فاروق . . وثورة المغرب قامت وحقت استقلال الوطن مع القصر المغربي أحياناً وبالقصر . . وأحياناً رغم القصر . .

على أية حال كان القصر الملكي في مصر قد شل تماماً بإلغاء المعاهدة ، كما بدأ يفقد شرعيته وتأثيره بسرعة هائلة ، فمن ناحية كان « لقب ملك مصر والسودان » الذي صدر مع مراسيم إلغاء المعاهدة ، قد قيد حركة الملك والمتعاونين معه ، وقرض نفسه عليهم بحيث استحال التنازل عنه لو أرادوا ، وإن كان الإنصاف يقتضينا القول أن أسرة « محمد علي » كانت أكثر وعياً بحبيوية وأهمية ومصيرية وحدة وادي النيل من كل الحكومات التي تعاقبت بعدها ، وإن كان السادات قد حاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، ولكن القوى المعادية كانت قد نفلدت بين اللحم والعظم . . وقد أشرنا إلى الوثائق الأمريكية والبريطانية التي تتحدث عن عقدة « اللقب » والعجز عن التغلب عليها ، لإصرار مصر كلها ملكاً وحكومة ومعارضة وشعباً على الالتزام بوحدة وادي النيل تحت التاج المشترك ، أو ملك مصر والسودان . . وهذه وثيقة عن لقاء تم بين السفير الأمريكي « جيفرسون كافري » والملك فاروق وسجله السفير - وكعادتهم - وبعث به في مذكرة للخارجية الأمريكية بتاريخ ٨ مايو ١٩٥٢ أي قبل الانقلاب بشهرين ، وربما كان موقف الملك في هذا اللقاء من حيثيات التعجيل بالانقلاب . وهذه الوثيقة من الوثائق التي لا يراها مؤرخ الناصرية ، لأنها من نوع خاص ومكتوبة بحبر سري لا يرى إلا بالعين المجردة . . وأن له ذلك !؟ . .

« تحدثت هذا المساء مع صاحب الجلالة حول رغبته في نصيحتي ، فقال إنه لن يقبل تحت أي ظرف من الظروف الاستشارات مع السودانيين قبل اعتراف بريطانيا باللقب ، وأصر على أنه إن كان عليه أن يبقى في منصبه فإنه لا يمكنه الموافقة على ذلك وقال : لا هذه الحكومة ولا أي حكومة أخرى ستبقى في مركزها ، لو وافقت على هذه الشروط ، وقال الملك : لأول مرة منذ أن توليت مناصبي ، لا أدري ماذا أفعل لو استقال الهلالي . . ففي كل مرة كان لدي وزارة جديدة ، في أحد أدراج مكنتي ، إلا هذه المرة . وفي آخر مرة قابلتك قلت لك : هذه هي الفرصة الأخيرة . وأقولها لك مرة أخرى الآن ، وأنا لا أعتقد أن بريطانيا تصدق هذا ولا أظن جماعتكم يعتقدون ذلك ولكني مضطر لأن أقول لك إنكم مستعدون إذا ما سقطت أنا . »

ثم بدأ يسرد شكواه ضد البريطانيين التي أرادت أن أبلغها لستيفنسون (السفير البريطاني . ج) فقال إن البريطانيين قد أخلفوا ٦٥ وعداً لمصر بالجللاء ، وأنه لا يستطيع الوثوق في كلمتهم ، وليس لديهم النية في الوصول إلى اتفاق ، واستعرض تاريخ السودان مؤكداً المنطلق الذي ركزت عليه من قبل ، فقال : « في مصر كان التغيير من لقب خديوي إلى سلطان إلى ملك أما في السودان فقد كان اللقب دائماً هو « صاحب » (كان اللقب : ملك مصر وصاحب السودان . . الخ ج) وهو لقب أشمل من ملك لأنها تعني « سيادة الملكية » (بكر الميم ج) فنحن لا نطلب جديداً ، بل نطالبهم باتباع نفس المنطق والتحول من صاحب إلى مالك . أنا لا أريد أن أهدد ، أوريما أنا فعلاً أهدد ، ولكن إذا استمرت الأمور على النحو الذي تسير به الآن ، فقد أراي مضطراً لحماية وضعي أو لحماية البلاد ، بأن أهاجم الانجليز علناً وأدينهم إدانة شاملة » ١٢ .

وهكذا فإن القرار الوفدي بإعلان فاروق ملكاً على مصر والسودان ، قد شل يد السراي ، وبالتالي فقدت أهميتها بالنسبة للاستعمار ، فلم تعد أداة الضغط على الحكومات والأحزاب للتنازل في القضية الوطنية ، بل أصبحت هي ذاتها أسيرة الموقف ، وعقبة ، وعنصراً من عناصر التشدد ، ولذا فعندما تأكد الأمريكيون استحالة قبول بريطانيا لوحدة مصر والسودان ، اتخذوا قرارهم بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية ، وقد وصلنا لهذا الرأي بالتحليل وذلك في مقالات « أكتوبر » وكتاب « كلمتي للمغفلين » وإذا بشهادة ناصرية تؤكد ما وصلنا إليه ، وهي شهادة الأستاذ « فتحي رضوان » الذي ظل وزيراً في حكومة عبد الناصر ست سنوات ، فقد شهد أو اعترف بأن إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية كان قراراً أمريكياً . . ولمن شاء الرجوع إليه في كتابه (٧٢ شهراً مع عبد الناصر وفي ملاحق هذا الكتاب) . . ورغم هذه الشهادة القاطعة بمحاول فاتح الملفات أن يوارى هذا السبب فيقول إن الملكية ألغيت خوفاً من تأمر الطفل أحمد فؤاد أو امرأة تدعى « نسل شاه » مع الانجليز ! . . وهو على أية حال لا يناقض شهادة « فتحي رضوان » الذي قال إن الانجليز كانوا يريدون استمرار الملكية (بدون فاروق) والأمريكان يريدون إلغائها . . ثم انتصرت وجهة نظر الأمريكان « بنص جروفر » . . أما ما يعززونفسيرنا فهو أنهم عندما ألغوا الملكية لم ينادوا « بمحمد نجيب » رئيساً لجمهورية مصر والسودان . . مما يؤكد أن إلغاء اللقب كان هدفاً . . وأن رجال ٢٣ يوليو جاءوا باستعداد للتخلي عن السودان . . وقد أكد ذلك أو اضطر للاعتراف به « محمد حسين هيكل » ، بعدما طرحناه بثلاث سنوات ، فقال : « إن إلغاء الملكية وزوال اللقب (ملك مصر والسودان) جعل مشكلة السودان أقل

حساسة . . ! » (وجاء في تقرير للمخارجية الأمريكية بتاريخ ٨ أغسطس ١٩٥٨ :
« ابلغت الرئيس (ايزنهاور) أن الموقف في مصر يتحسن كل يوم . . وهناك مؤشرات بأن
المجموعة التي في السلطة يرغبون في فصل لقب ملك السودان عن قضية قاعدة السويس » .
وفي ٥ يناير ١٩٥٣ قال وزير الخارجية الأمريكي للسفير الإسرائيلي : « نحن نريد تقوية
نجيب وقد قطع شوطاً طيباً في حل مشكلة السودان » .

ومن ناحية أخرى فإن المواجهة التي طرحها الوفد ضد الاحتلال البريطاني ، وضعت
السراي في موقف المشبه ، وخاصة عندما عين الملك « حافظ عفيفي باشا » رئيساً للمديوان
الملكي ، وكان معروفاً بموالاته للإنجليز وعدائه للوفد ، وعندها خرجت المظاهرات
الصاخبة عنجة ، وفي الجامعة هتفوا : « يسقط عفيفي وحافظ عفيفي » « يسقط عفيفي
وحامي عفيفي » والنقط مثل « الحزب الشيوعي المصري » في الجامعة ، وكان طالباً في كلية
التجارة* ، النقط الخيط أو المبادرة من الجماهير وهتف « يسقط الملك وحياة الجمهورية »
وزلزلت الأرض وانتشر الهتاف للجمهورية لأول مرة في مصر منذ ثورة ١٩١٩ عندما أعلن
النائب الوفدي جمهورية زفتي . .

وهكذا اكتملت الثورة ، ضد الاستعمار « الأنجلو - أمريكي » كما كانت الجماهير قد
حددت عدوها** . ضد السراي وفلول الرجعية ، وفي نفس الوقت كان الفلاحون في
الريف يخوضون فعلاً المناوشات التحضيرية للثورة الفلاحية الكبرى^٢ .

وحتى إذا قلنا إن الوفد - وقتها - كان بتشكيله ، وحقيقته وجوده في السلطة ، غير مهياً
لقيادة الثورة الوطنية ، فقد كان بكل تأكيد ، يفتح لها الأبواب وهذه هي الثورة التي بدأت
ضد الاحتلال الفرنسي أو ما يعرف بحملة نابليون ، واستهدفت قيام مجتمع مستقل
- ديمقراطي - صناعي . . وقد كللت تلك المرحلة بتحقيق الجلاء الفرنسي ، ثم بتنصيب
« محمد علي » واليا على مصر بإرادة الشعب .

وإذا كان من العار أن نقارن بين العملاق محمد علي ، وعبد الناصر ، فالأول انتصر في
جميع معاركه وأصبح القوة الأولى أو الوحيدة في المنطقة من اسطنبول إلى السودان . . ولم يهزم
إلا أمام بريطانيا العظمى التي كانت - وقتها - في تفوقها وجبروتها تشبه القدر ، إلا أن خطية
أو جريمة « محمد علي » شبه إلى حد ما جريمة عبد الناصر ، وهي تدمير الرأسمالية المصرية
بشقيها الاقتصادي والفكري ، وهي قيادة الأمة التي كان بوسعها أن تمتص الهزيمة العسكرية

- هو كاتب هذه السطور . وهذه أول مرة نقولها . . فمن لديه اعتراض فليقدم .
- ظل هذا هو شعار في منشورات الضباط الأحرار حتى مارس ١٩٥٢ عندما تم الاتفاق بين
عبد الناصر والمخابرات الأمريكية . فطلب عبد الناصر من خالد محيي الدين تعديل شعار
« يسقط الاستعمار الأنجلو - أمريكي » إلى « يسقط الاستعمار البريطاني » . . فقط . . وقد روي
هذه الواقعة خالد محيي الدين نفسه .

ونجح من نتائجها . وقد هزمت فرنسا في حرب السبعين وأحتلت باريس ولكن فرنسا لم تنهار ، واستأنفت مسيرتها ، وكذلك الحال مع ألمانيا في الحربين العالميتين ، الأولى والثانية ، ونفس الشيء يمكن أن يقال عن اليابان وإيطاليا . . لماذا ١٩ ؟ لأن الرأسمالية في تلك البلاد لم تدمر كطقة ومن ثم فقد استأنفت عملية البناء واحتالت لذلك ما وسعها . . ولكن « محمد علي » دمر الرأسمالية المصرية ، من ناحية « بالاشتراكية » أو ما سمي بنظام الاحتكار ، وهو اشتراكية بالثلث إذا سمحنا لأنفسنا بتسمية تأميمات عبد الناصر بالاشتراكية ، بل إن اشتراكية « محمد علي » كانت أشمل وأنجح ، فقد كانت الدولة هي الزارع والتاجر والصانع والمدرسة ، ونجح محمد علي في إقامة مصانع أكبر (نسبياً) وأكثر إعجازاً وبدون قروض . . وكان الثمن هو دمار التجار والصناع والحرفيين ، أو أسلاف البورجوازية الصناعية . كذلك دمر « محمد علي » القيادة الفكرية والسياسية للبورجوازية أو الرأسمالية الوطنية ديكتاتوريته* . وإذا كان المثقفون المدافعون عن ديكتاتورية عبد الناصر بحجة « إنجازاته » قد سقطوا في مزيلة التاريخ ، فإن قباحة موقفهم تبدو أشد بمقارنتها بموقف « عبد الرحمن الجبري » شيخ المثقفين و« أبو » التاريخ المصري الحديث . . الذي لم يغفر لمحمد علي ديكتاتوريته قط ، وقال عبارته المشهورة : لو أوتي شيئا من العدل لكان من ملوك التاريخ الكبار بل من أكبرهم . . لم يكن الجبري في هذا الموقف من رفض ديكتاتورية محمد علي يمثل شرف الفكر فحسب ، بل أيضاً يمثل عبقرية المؤرخ الذي قرأ سطور ما لم يقع بعد . . ذلك أن كل منجزات « محمد علي » قد انهارت بسبب هذه الديكتاتورية ، لأن الديكتاتورية قتلت قيادة الأمة ، وأخرجت الأمة ذاتها من الصراع . . فلما انهزم الحاكم المستبد ، أصبح الوطن متزوع السلاح . . وفتحت البلاد للإنتاج الأجنبي الذي لم يجد مدافعا ، أو لم يجد طبقة لها مصلحة في مقاومته ، وتحولت مصر إلى سوق للإنتاج الأوروبي ، وسقطت أول محاولة لإنجاز الثورة الوطنية التي لبها ومغزاها هو بناء مجتمع صناعي . .

أو كما يقال كل ديكتاتور يذهب وتذهب معه منجزاته ولا تبقى إلا سيئات ما ارتكب . وخلال الحرب العالمية الأولى ، وبسبب الحصار الذي منع تدفق الإنتاج الأوروبي انتعشت الرأسمالية المصرية (إلى جانب عوامل عديدة بالطبع لا مجال لذكرها) وتطلعت إلى الاستقلال بسوقها المصرية فكانت ثورة ١٩١٩ بقيادة الوفد ، وقد نجحت هذه الثورة جزئياً وقام بنك مصر والعديد من المؤسسات والصناعات المصرية . . ودخلت البورجوازية المصرية في صراع مرير معقد بل وبدأ في معظم الوقت كتيباً يائساً في ظل تفوق بريطانيا الساحق في الفترة ما بين الحربين ، ونجاحها في إرباك الوفد وشله معظم الوقت بمؤامرات السراي ووضاعة أحزاب الأقلية ، وما دبرته من انشقاقات في صفوفه . وأيضاً لرفض قيادته

* انظر كتابنا : « ودخلت الخيل الأزهر » ، ١٩٧٠ .

أو عجزها عن تبني أسلوب المقاومة المسلحة أي الانتقال من الصراع الدستوري العلني إلى الكفاح السري . . وخاصة بعد أن انهار التنظيم السري المسلح بعد حادثة السردار ، وإن كانت نهايته قد تفرقت قبل ذلك عندما عجز عن ممارسة الحرب الشعبية فلجأ إلى الإرهاب . ولكن قوى التاريخ ، لا تتوقف ، وقد استمرت الرأسمالية الوطنية في النمو ، سواء ثقافياً أو اقتصادياً ، وقد شهدت مصر في الفترة من ١٩٢٤ - ١٩٥١ أروع فترات تاريخها من ناحية الازدهار الفكري ، وظهر فيها شوايخ الثقافة العربية والفن العربي . . شوقي - حافظ - الراجحي - طه حسين - العقاد - المازني - بدوي - مشرفة - تيمور - عبد الوهاب . . أم كلثوم . . مختار . . الخ الخ . . وظهر عمالقة الاقتصاد واشتهروا بطلعت حرب في بنك مصر ومجموعة معجزة من الشركات المصرية بالكامل ، كلها دمرتها ثورة يوليو أو أصابها بالشيخوخة فلم يبق لها مثل إلى الآن . . (٢١ شركة من الطيران إلى السينما والنسيج الخ) كان « طلعت حرب » متفناً مصرياً واعياً ، بدأ كفاحه بكتاب وليس بدبابة . . وقد وضع كتاباً اسمه « علاج مصر الاقتصادي أو مشروع بنك للمصريين أو بنك الأمة » .

ولكن الوعي وحده لا يكفي ، فقد كان لابد من ثورة ١٩١٩ ليتمكن « طلعت حرب » من انتزاع حق المصريين في إنشاء بنك من فم الأسد البريطاني . . وغنى له شوقي ، واستمر « طلعت حرب » وطنية المصريين ، وهو إجراء مشروع ومرغوب فيه ، ويرى الدكتور « علي عبد العزيز سليمان » أن من أهم الحقائق التي طمسها الأباطم « أن البنك الصناعي الأول في مصر أنشأته طبقة كبار الملاك الزراعيين » . .

ونحن لا نرى ما يثير الدهشة والغرابة في تلك الحقيقة ، إنما يندعش من يتمسك بالتفسير الأوروبي للتاريخ ، حيث كان « الإقطاعيون » ضد الصناعة ، وكان لابد أن تظهر الطبقة الصناعية خارج أبراجهم وقلاعهم . . ومن ثم استحال أن يكون كبار الملاك مع الصناعة . . أما في بلادنا فالصورة مختلفة تماماً ، فحضارتنا لم تعرف هذا « الإقطاع » الأوروبي فقد أحترم الإسلام الملكية الفردية ، واحتفظ للإنسان الفرد بمستوى من الكرامة والحرية في أحلك العصور . .

وثانياً : منذ أن دخلت بلادنا تحت السيطرة الأوروبية ، سقطت هذه التقاسيم أو استحال قيام سور صيني بين الطبقات المصرية ، فكبار الملاك كانوا طليعة المقاومة ضد الهيمنة الأجنبية ، واحتفاظهم بالملكية الزراعية ، كان وضعاً طبيعياً لأن الأرض كانت هي المصرف الوحيد المتاح للثروات . . فلا عجب أن يتطلع كبار الملاك للصناعة ، وإن كان هذا لا يمنع تفاوت المقاومة والصلاية بتفاوت المراكز الاجتماعية .

وكان كفاح « الوفد » لصالح الرأسمالية الوطنية يتمثل في تدعيم السلطة الوطنية وأبرز المنجزات إلغاء الامتيازات الأجنبية في معاهدة ١٩٣٦ . . وأيضاً محاصرة النفوذ البريطاني ،

بالتمسك بالدستور والإصرار على أن تكون كل السلطة للمجلس النيابي المنتخب حيث
ينعدم تأثير هذا التفوذ .

وجاءت الحرب العالمية الثانية ، بدفعة قوية للرأسمالية المصرية نقلتها إلى مرحلة جديدة ،
مرحلة ما يسمى « بالانطلاقة » أو « Take off » . . . ولكن هذه الانطلاقة كانت تتطلب
إنهاء السيطرة الاستعمارية على النظام المصري . . . وبدأت كل القوى تستعد للمعركة
الفاصلة . وإذا كان المجال لا يتسع للتفصيل ، فلا بأس من الإشارة إلى الجانب العربي
الذي برز في غور ونشاط الرأسمالية الوطنية المصرية ، التي كانت قد مصرت الفكر والفن
العربي ، وبدأت خطوات ناجحة واضحة في تمصير الاقتصاد العربي ، أو ربطه بالقلب
الطبيعي والتاريخي . فكان بنك مصر هو أول بنك للعرب وبنى طلعت حرب أول فندق في
السعودية وشق له الطريق من جدة إلى مكة وبنى سينما في بيروت لعرض أفلام ستوديو
مصر . . الخ . .

وعلى الجبهة السياسية كان إنشاء « الوفد » للجامعة العربية وقبول العرب بلا جدال أن
تكون مصر هي المقر الدائم . وأن يكون أمين الجامعة مصرياً ، وهرع زعماء حركات التحرير
العربية إلى مصر طلباً للمجوء أو الدعم لنشاطهم ضد الانجليز أو الفرنسيين . . كانت الثورة
الوطنية المقبلة تبشر ليس فقط باستكمال تحرر مصر وتصنيعها . . بل وأن يكون هذا التحرر
والتصنيع في إطار وحدة عربية بصيغة ما* .

وقد أسهنا في حديث الثورة الوطنية لنكشف لماذا كان انقلاب يوليو تعبيراً عن إرادة القهر
الاستعماري لسحق هذه الثورة . سحق الرأسمالية الوطنية في مصر والوطن العربي كله . .
تسليم مصر والوطن العربي ، مرة أخرى للإنتاج الأجنبي سوقاً مفتوحة بلا مقاومة أو قوة
قادرة وصاحبة مصلحة في المقاومة . . وقد حقق عبد الناصر ذلك بالتأميم والمصادرات التي
كانت صريحة في استهدافها القضاء المبرم على الرأسمالية المصرية** وواد محاولتها إقامة اقتصاد

* كتبنا في هذه النقطه عدة مؤلفات وأخيراً اعترف وكيل الناصرية أن مصر بتوقيعها ميثاق
الجامعة : « اختارت وسعت إلى محيطها ودعت إلى الوحدة العربية » وأن القاهرة « أصبحت
ليس فقط مقر الجامعة العربية ولكن مجمع كل المطالبين بالحرية والوحدة في أمة تأكدت لها كل
اشتراطات قيام أمة » (٧١ ع) .

أي أن العروبة والوحدة العربية لم تولد مع عبد الناصر . . واكتشافه نظرية الدوائر والمنشآت . .
ولكن هيكل يعترف بذلك مرعياً ويطرف لسانه ولم يؤمن بها قلبه . . وإلا إذا كانت اشتراطات
قيام الأمة متوافرة بين مصر والسعودية واليمن والعراق . . فلماذا تكون وحدة مصر والسودان
أوهاماً . . أيها أقرب السودان أم سوريا والعراق ؟ . .

** انظر فصل الوحدة مع سوريا في « كلمتي للمغتربين » وكيف دمر عبد الناصر الوحدة من أجل
القضاء على الرأسمالية .

عربي موحد . . . كما دمر عبد الناصر القيادة الفكرية والسياسية بالاستبداد والإرهاب وفساد التعليم على نحو لم ينجح استعمار بربري في إلحاقه بعدو لدود تمكن منه ، فلما هزم عسكرياً وجاء ناله وخليفته ورفيق كفاحه وشريك هيكلي في انقلابه . أكمل السادات المهمة بفتح الباب للإنتاج ورأس المال الأجنبي . . . وخسرنا جولة أخرى في حرب الاستقلال التي نوثق أن تدخل قرنها الثالث . . . ولكن لا بأس . . . بل يحق لنا أن نستشهد بكلمة « ماو » فنقول نحن أيضاً : هذا مجرد فشلنا الرابع * على طريق النجاح .

كانت القوى الوطنية تتجمع للمعركة الفاصلة ، وفي تلك الفترة أو خلال الحرب بالذات ، ظهر ما يمكن تسميته ببدور حركة الجيش ، من بعض العسكريين الذين لم يؤمنوا بالشعب ولا بالعمل السياسي ، ومن ثم بدأوا مبكراً جداً محاولة ضرب الاستعمار البريطاني باستعمار آخر . . . وهي المحاولات التي بدأت مع الألمان بواسطة عزيز المصري وأنور السادات وحسن إبراهيم وذو الفقار صبري وبغدادلي . . . وانتهت مع الأمريكيين بزعامة عبد الناصر . . . ومعروفة بمحاولة « عزيز المصري » الحرب بظائرة إلى الألمان في الصحراء الغربية ، ولكن الطائرة سقطت**.

المهم أن هذا التيار العسكري المتأمر سيظل كامناً في الجيش حتى ينفذ « مؤامرة » ٢٣ يوليو . . . ولكن مع عدو الانجليز المنتصر . . . الولايات المتحدة الأمريكية . وكان الوفد قد قرّر قبوله للحكم في ١٩٥٢ باستكمال استقلال مصر بعد انتهاء الحرب ، لذلك تعجل الانجليز طرده من الحكم فور تحسن الوضع العسكري للحلفاء في عام ١٩٥٥ . . . بل حتى خلال فترة حكمه التي اضطروا لقبولها لتهدئة المصريين ، دبرت المخابرات البريطانية مع رجال القصر إحداث انشقاق قبضي في الوفد بقيادة « مكرم عبيد » فيما عرف بحزب « الكتلة الوفدية » ولكن المؤامرة لم تنجح ، إذ استمرت جماهير الأقباط ملتفة حول حزب الوحدة الوطنية . وثائق « إبراهيم فرج » بينما غيبانجم « مكرم عبيد » الذي لم يكن طائفيّاً ، وما كان يمكن أن يكون . . . بل أحس بالندم ، وأنه استخدم . . . فظل حائراً بدور حول نفسه وحول الوفد الذي شهد أحلى وأشرف سنوات عمره . . . وانكمش الشقاق إلى ما سمي « بالكتاب الأسود » الذي كانت تروجه السراي والانجليز للشوشرة على الوفد ، وإضعافه في مواجهة الملك والاحتلال . . . والدليل على ذلك أن هذا الكتاب لم يجد أي اهتمام بعد خروج الوفد من الحكم ، ولا كان له أي تأثير على شعبية الوفد بل اختفى تماماً من المكتبات .

• الأول ثورة مصر على البابليون والثاني ثورة عراق والثالث ثورة ١٩ والرابع إمكانية ثورة

١٩٥٦ .

•• انظر الفصل القادم .

عاد الوفد إلى المعارضة ، وانتصر الحلفاء ، الانجليز والأمريكان والفرنسيون وأيضاً الروس . . . أما الفترة من نهاية الحرب إلى عودة الوفد للحكم ١٩٥٠ فكانت أعنف خمس سنوات في التاريخ المصري ، كأنما جرى ضغط التاريخ وتكتيفه لينفجر كله في هذه السنوات الخمس . . . اغتيال رئيسان للحكومة : أحمد ماهر والنقراشي . . . واغتيال زعيم الإخوان ، وجرى عدة محاولات لاغتيال رئيس الوفد ، واصطدم المصريون بالانجليز في الشوارع فيما يشبه أيام ثورة ١٩١٩ الأمر الذي اضطر الانجليز للانسحاب إلى مدن القناة وهذه هي الحقيقة التي ينساها الجميع وهي أن مقاومة الطلبة في ١٩٤٦ حققت الجلاء عن العاصمة ومصر كلها ، وجعلت أي تدخل بريطاني مسلح يتطلب إعادة احتلال مصر .

ومع المد الثوري ظهرت تنظيمات حاولت أن تتخطى الأحزاب القائمة ، فبالإضافة إلى حركة الإخوان وإلى حد ما مصر الفتاة التي كانت من خارج مجرى حزب الوفد أو أحزاب ١٩١٩ ظهرت الحركات الخاضعة لنفوذ الماركسيين . والمعروف أن الحركة الماركسية ظهرت في مصر خلال الحرب على يد اليهود وبتشجيع من المخابرات البريطانية لمواجهة العطف الذي انتشر نحو ألمانيا . . . ورغم أن هذه الحركات انحصرت في قطاعات شديدة الخصوصية من المثقفين وبعض الطلبة وحلقات محدودة من العمال ولم يكن لها أي وجود في الريف ولا عامة المدن إلا أن المد الوطني الذي تعالى في عام ١٩٤٦ بالذات مكن الشيوعيين من الظهور في حجم أكبر بكثير من حقيقتهم إذ تسلفوا فوق أكتاف الجماهير والتاريخ معاً . . . كانت الحركة الشيوعية تضع قدماً فوق رفض الجماهير للنظام الاستعماري بأكمله والقدم الأخرى فوق السمعة الأسطورية التي خرج بها الاتحاد السوفيتي من الحرب ، فبدأ الفزم عملاقاً وأخفت ملامحه المشوهة عن عين قطاع من المثقفين .

وفي الداخل كان الشيوعيون مثل الإخوان يستثمرون بأس الجماهير من قدرة الأحزاب على تغيير الواقع الذي دام ربع قرن منذ ثورة ١٩ التي أنبتت هذه الأحزاب . . . التي بدت بدورها - بموجب دستور ١٩٢٤ كجزء من النظام ، مع تلاوت في المعارضة أو الشعبية أو احترام حقوق الشعب ولكن في إطار النظام والشرعية والدستور . . . وكلها مصطلحات أصبحت مرفوضة من الجيل المتعطش لصدام « ثوري » غير قانوني . . . وخاصة أن العريضة السياسية التي مارستها السراي وأحزاب الأقليات في الفترة من ١٩٤٤ إلى عودة الوفد (١٩٥٠) . . . أفقدت الطابع الشابة الثقة في النظام الدستوري ، وكشفت عجز الوفد عن مواجهة عبث السراي بالدستور وإرادة الناضحين . . . وقد امتد هذا الشعور حتى إلى الوفديين . وتشكلت لجنة الطلبة والعمال في ١٩٤٦ من الشيوعيين والإخوان والوفديين ، ودخلت التاريخ بإضراب ٢١ فبراير ١٩٤٦ الذي أصبح عيداً عالمياً للطلبة تخليداً للموقف المصري ، وتتابعت إضرابات الطوائف من العمال والفلاحين والمعلمين حتى رجال البوليس لأول مرة منذ عام ١٩١٩ . وبدأ وكان الثورة الوطنية أو البورجوازية مستأنف مسيرتها وأن

قيادة ما ، ستجمع أو تستخلص أفضل ما في القوى السياسية الثلاث ستفوق هذه الثورة نحو مصر المستقلة الديمقراطية الصناعية قاعدة ومركز وقطب الوحدة العربية . . . ولكن كارثة قومية كانت تتجمع في الأفق لتنفذ لا على فلسطين وجيش مصر فحسب ، بل على تاريخ ومستقبل وتطور ووجود الوطن العربي كله . . . وبالتالي كان لابد أن تضاف على قائمة مسئوليات الثورة الوطنية المصرية . . . ألا وهي كارثة إسرائيل . . .

ويبدو أنه لابد من وقفة هنا مع هذه الحرب الأولى ، لأن كل العوامل الأخرى التي نناقشها أصبحت ظواهر تاريخية وبقيت حقيقة إسرائيل التي يبدو أنها ستصاحبنا طويلاً ، وفيها تركزت كل معوقات الثورة الوطنية العربية ، فهي القيتور على أهداف هذه الثورة . . . إذ لا استقلال ولا ديمقراطية ولا تصنيع مادامت إسرائيل مصممة على أن تكون هي الدولة العظمى في المنطقة ، والعرب مادة امبراطوريتها ومجاذها « الحيوي » . . . ومن هنا خطورة المحاولات التي جرت وتجرى لإخفاء أهمية العامل الإسرائيلي ، وهو ما مارسه ويمارسه الناصريون وفي مقدمتهم « هيكल » .

ولقد تنبّهت القوى الوطنية لهذا الخطر ، بنسب متفاوتة ، بحكم تكوينها وجذورها وأيدولوجياتها ، فكان الإخوان ومصر الفتاة والوفد ضد إسرائيل ومع حرب فلسطين ، وقد اشترط زعيم المعارضة في مجلس الشيوخ وقتها للموافقة على ميزانية الحرب أن تتعهد الحكومة : « بعدم التصرف في قضية فلسطين إلا بموافقة الشعب الفلسطيني » وإنصافاً للتاريخ كان الملك والقوى السياسية الحاكمة على وعي بالخطر الإسرائيلي لا يقل كثيراً عن الوعي « الحاضر » دون التقليل من حقيقة تغلغل النفوذ اليهودي في الطبقة الحاكمة - وإن كانت النتائج تؤكد أنه كان أكثر تغلغلاً في مصر الناصرية - وقد أشرنا إلى وعي الملك بهذا الخطر ، وجلسة البرلمان التي أقرت فيها الحرب حافلة بأحاديث وتعليقات النواب والشيوخ حول الخطر الإسرائيلي ، ومن ثم فلا أساس لادعائه .

« وحتى عندما بدأت الخطوط الصهيونية في فلسطين تتضح بما لا يقبل مجالاً للشك بعد صدور قرار التقسيم فإن الحكومة المصرية لم تكن على وعي بحدود الخطر الإسرائيلي » .
ليس صحيحاً . . . وقد كان من أهم أهداف إنشاء الجامعة العربية هو مواجهة الخطر الصهيوني واتخذت الجامعة والحكومة المصرية قرار رفض التقسيم أو قيام إسرائيل ، ولكنها - أي الحكومة المصرية - كانت عاجزة .

أما الشيوعيون ، فقد سقطوا سقطتهم التاريخية التي لم يفيقوا من آثارها حتى اليوم* ولم يكن هذا الموقف منهم بفعل تبعيتهم البيغائية للاتحاد السوفيتي فحسب ، بل وأيضاً - وربما أولاً - لتغلغل العناصر الصهيونية في « قياداتهم » . . . ولم يقتصر هذا الموقف المؤبد

* ارجع لكتابتنا : الماركسية والغزو الفكري الصادر عام ١٩٦٥ .

للسهيونية على عملاء موسكو ، بل امتد ليشمل بالاحتمية عملاء الولايات المتحدة ، الظهير الأكبر لإسرائيل ، وإن كنا لا ننسى أن قيام إسرائيل كان أول نقطة اتفق فيها العملاء بعد الحرب العالمية الثانية . . . ولعل بعض المؤرخين يجد بذور سياسة الوفاق في اتفاق العاملين الأمريكي والروسي على « إزاحة » بريطانيا من فلسطين بواسطة اليهود* .

وكما حاول عملاء روسيا ، إخفاء عارهم وفضيحة الموقف السوفيتي - وقتها - بادعاء أنه البقي من تحليل خاطئ « بتقدمية المجتمع الإسرائيلي » ورجعية الموقف العربي ، فإن عملاء أمريكا والصهيونية مازالوا يرددون إلى اليوم أكاذيب إسرائيل عن طبيعة المواجهة العربية - الإسرائيلية بصفة عامة ، ودوافع العرب في حرب ١٩٤٨ .

فالبعض خرج علينا بأن حرب ١٩٤٨ كانت فخاً أعد بعناية وساقنا إليه الانجليز ، وكان الحذر - وربما الوطنية - يفرضان علينا رفض الانسحاق للخدعة البريطانية ! . . . وإن مصر لم تكن تريد هذه الحرب ، على الأقل في هذا الوقت فضلاً عن أنها لم تكن مستعدة لها .

ويقول هيكل إن ضابطاً مصرياً شاباً هو البكباشي جمال عبد الناصر ، لاحظ أنه كان غريباً أن يكون الانجليز على قاعدة قناة السويس هم الذين يفتحون لنا الطريق ونحن نتقدم عبر سيناء إلى فلسطين ، ولقد أثار دهشتي أننا كنا نتقدم لنحتل مواقع الفرقة الثانية البريطانية حول غزة في نفس الوقت الذي كانت فيه هذه الفرقة تخلي مواقعها عائدة إلى مصر ، (لاحظنا أن هذا التعجب المنسوب لبكباشي هيكل (ناصر) منقول بالنص من تعجب اللواء محمد نجيب ورد في مذكراته صفحة ٣٣٨ فعسى أن يراجعها القاري ليعرف أكثر على هذا الملفق) .

وإذا كان للبكباشي عذره في هذا الوقت بسبب نقص معلوماته السياسية ، ولأنه لم يكن قد اجتمع بعد بالمخابراتي اليهودي « كوهين » وتشف على يديه ، كما نخبرنا هيكل ، إلا أن ترديد هذا القول بعد أربعين سنة إنما يصدر من منطلق آخر أخطر من الجهل ، وهو إخفاء الدور الأمريكي ، فلا شك أن حرب ١٩٤٨ كانت في أحد جوانبها صورة للصراع الأمريكي - البريطاني .

ذلك أن « اليهود » كانوا قد عرفوا تطور ميزان القوى في الحرب العالمية الثانية ، وربطوا شراع دولتهم المنتظرة بالريح الأقوى . . . أي الولايات المتحدة ، التي كانت بدورها تعرف أهمية موقع فلسطين في السيطرة على شرق البحر الأبيض ، ومن ثم فقد نزلت بكل قواها الطرد الانجليز من فلسطين مستخدمة في ذلك اليهود ، الذين - كما قلنا - اتفقت مصالحهم مع

* يستحسن الرجوع لدراستنا عن كتاب « الانحياز » حيث وصلنا إلى قناعة بأن التأييد السوفيتي لقيام إسرائيل كان منه نسريب إسرائيل أسرار القنبلة الذرية للاتحاد السوفيتي وراجع قضية اليهوديين اللذين أعدوا في أمريكا (روزنتال) .

التطلع الأمريكي ، ومن ثم جرى جلد الانجليز وإعدامهم وفشلت كل محاولات الانجليز في تأجيل خروجهم من فلسطين ، فأعلنوا الانسحاب ، مع محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه وكانت أداة بريطانيا الأولى في الاحتفاظ « بقطعة » من فلسطين هي الفيلق العربي بقيادة الانجليز جلوب . . ومن المثير حقاً ألا يندهش عبد الناصر لكون قائد الجيوش العربية هو الملك عبد الله والذي كان يتوب عنه في القيادة الفعلية جنرال انجليزي لحماً ودماً ١٩ . . وبالطبع كانت بريطانيا تعرف أنه وإن يكن جيش شرق الأردن هو محل ثقتها إلا أن هذا الجيش وحده غير قادر على التصدي للقوات اليهودية ومنع استيلائهم على كل فلسطين ، ومن هنا كانت الحاجة إلى الجيش المصري ، وتسهيل حصوله على السلاح ، فلا غرابة ولا عجب إلا لمن يريد الاندهاش على روجه ! فلما تمت التسوية البريطانية - الأمريكية كان التخل عن الجيش المصري سواء من جانب الجيشين الأردني والعراقي ، أو بمنع السلاح من جانب البريطانيين . بل وطلب نشرل المخوف من إيدن أن يبلغ حكومة « الوفد » أنها « إذا لم تكف عن إزعاجنا فسنطلق عليهم اليهود » يلقون بهم إلى الحضيض حيث لن يخرجوا من هناك أبداً ٢ .

فإظهار الدهشة الآن من موقف بريطانيا هو في الحقيقة لإخفاء العار في موقف أمريكا ، وينفس القدر فإن التثبت بزاوية الصراع الأمريكي - البريطاني ، لإنكار البعد العربي ، هو محاولة لإخفاء الطابع الاستعماري العنصري في الغزو الاستيطاني اليهودي لفلسطين . ومن هنا جريمة أن يقول هيكل لقرائه الأجانب إن الانجليز أرادوا الدخول المصري في حرب فلسطين « لحرف أنظار المصريين عن النزاع معهم » وكان في وسع الانجليز الاعتماد على الملك فاروق الذي كان واعياً بنقص شعبيته ، وأن البلاد كانت تعاني من كساد اقتصادي (قال بعني زي حروب أوروبا لتشغيل المصانع والعاطلين أ ج) ومن ثم فإن نصراً عسكرياً هو بالضبط ما يحتاجه الملك الذي كان الآن كولونيلاً فخرياً في الجيش البريطاني وفيلد مارشال مصرياً ، وهناك أدلة على أن بريطانيا كانت مستعدة لتسليم مصر بطريقة غير عادية . . السماح بالسرقة ٣ .

وقد ناقشنا ذلك في موضعه ، أما أننا انسقنا إلى الفخ ، فلم يكن غباءً وإنما حتمية تاريخية فرضتها عدة عوامل ، أهمها أن الصدام بين الأمة العربية والصهيونية كان صداماً حقيقياً ومصرياً ومشروعاً من الجانب العربي المعتدى عليه ، والضحية لاستعمار عنصري وليس العكس كما يحاول هيكل أن يروج في الإعلام العالمي وهاهو كتابه « ملفات السويس » يتهم الملك عبد العزيز بأنه قال للرئيس روزفلت باستحالة « التعاون بين العرب واليهود في فلسطين أو في أي مكان آخر » أي أن ملك العرب والناطق باسمهم يعادي اليهود أبداً وفي كل مكان لأنهم يهود ودون إشارة لاغتصابهم فلسطين ، بينما يعرف هيكل أنه كاذب وأن النص

الأصل للكلام الملك هو الذي نشره - هو نفسه - في الطبعة العربية وهو « أن اليهود والعرب لن يتعاونوا أبداً في فلسطين والعرب يشعرون بالتهديد المتزايد » * ! . .

لمصلحة من وبأي هدف يقال هذا الكلام في الخارج ؟ . . لتبرير العدوان الإسرائيلي واتباع الموقف العربي في ١٩٤٨ بالعنصرية . . وكذلك القول بأن الملك فاروق هو الذي أراد الحرب لإلهاء الشعب عن الأزمة الاقتصادية وكسب شعبية ، نفس الكلام الذي كان يردده راديو « تل أبيب » في ١٩٤٨ . .

ومهما تكن دوافع الملك ، وكل حرب في التاريخ كانت لها دوافع وقتية أو حتى عارضة انتهازية ، ولكن ذلك لا يؤثر على جوهرها ، ودخول الجيوش العربية حرب فلسطين في ١٩٤٨ كان ضرورة وطنية وقومية وعسكرية في مواجهة حرب الإبادة التي كانت تشنها قوات اليهود بهدف طرد العرب من كل فلسطين ، وباستثناء حرب ١٩٥٦ كانت هذه الحرب تحمل أكبر فرصة لفرض الحق العربي ، نظراً للضعف النسبي - وقتها - للقوات الإسرائيلية ، عما أصبحت عليه فيما بعد ، ونظراً لأن جانباً مهماً من الرأي العام العالمي لم يكن مقتنعاً ، فضلاً عن أن يكون متحمساً لفكرة تقسيم فلسطين وإعطاء جزء منها لمهاجرين يهود أجناب عن البلاد ، وكان وزير خارجية بريطانيا متها بعداء السامية ! وكان المطلب العربي الواقعي يومها هو إعلان دولة مستقلة ديمقراطية يعيش فيها العرب واليهود متساوين في المواطنة والحقوق . . ولكن الصهيونية لم تكن أبداً لتقبل بأقل من قاعدة لامبراطورية . . ومازالت . . وقد مرت فترة ترددت الولايات المتحدة ذاتها ، أو مؤسسات فيها وشكت في إمكانية تنفيذ المطلب الصهيوني بإقامة الدولة في وجه الرفض العربي ويومها قال بن جوريون قولته المشهورة : « أعطونا فرصة أو حتى نصف فرصة وستثبت لكم أن كل ما يقال عن تضامن العرب ونصميم العرب هو أكذوبة » . ولم تكن هناك حكومة عربية تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي . وأخبار المذابح الإسرائيلية التي تبذ الأطفال والنساء العرب تناقلها وكالات الأنباء ، ووطن عربي يحتل ويمزق وتأتي أنباء احتلال اليهود لمساجد يافا وعكا . . الخ . . ولم يكن لدى الدول العربية من وسيلة « للاعتراض » على ذلك إلا الجيوش ودخول الحرب ضد الوحش الإسرائيلي . .

ولكن البعض يجلس في كرسي الأستاذية ، ويلقي نظرة متعالية على التاريخ ، ويقول : كان الأفضل أن تسلح الدول العربية المقاومة الفلسطينية وتترك لها مهمة الدفاع أو مساعدتها من خلال وحدات فدائية غير نظامية تشن حرب عصابات !

والحق أن المرء يحار في فهم هؤلاء . . هل عن جهل أو مكر يتحدثون . . ؟ ما الذي منع عبد الناصر خلال ١٨ سنة من تشكيل مقاومة حقيقية لا في فلسطين ولا في مصر . . بل كان

تشكيل المقاومة الشعبية في مصر يبدأ بعد وقف إطلاق النار ويهدف تلهية الشعب ، وقد كنت في بور سعيد بعد الاحتلال الثاني لسبنا في ظل عبد الناصر عندما جاءت البنادق وبذخيرة من نوع مخالف ، ويمكن قراءة ما فعلته أجهزة عبد الناصر بالمقاومة الشعبية في بور سعيد خلال حرب ١٩٥٦ في موضع آخر من هذا الكتاب ، وفي العديد من المصادر . كذلك لم يؤرخ بعد السجل الدموي الحياتي لما ارتكبته هذه الأجهزة في حق شباب غزة ، كلما حاول أن ينظم مقاومة لتحرير بلاده . . وكيف ظل هذا الشباب في سجون ومعقلات عبد الناصر إلى حرب ١٩٥٦ . . حيث سلمت هذه الملفات إلى قوات الاحتلال الإسرائيلي . . من الذي وضع شاعر غزة في سجن القناطر . . معين بسيسو ؟ ورفاقه . . وما جرماتهم إلا أنهم أرادوا قتال اليهود ١٩

هل يذكر هؤلاء أنه عندما تحرك الفلسطينيون من قطاع غزة في أبريل ١٩٥٤ أكد محمود رياض ، للحكومة الأمريكية ، أن حوادث الحدود في غزة هي من فعل الفلسطينيين وأن السلطات المصرية سحبت السلاح من المدنيين في القطاع ، ثم سحبت جيش التحرير الفلسطيني من الحدود وأخيراً فرضت حظر تجول في القطاع . . الذين ارتكبوا هذا رعباً من إسرائيل أوريا حرصاً على استقرار أمنها ، يعنون على فاروق وعبد الله ونوري السعيد أنهم لم ينظموا الفلسطينيين في حرب عصابات !

وهل يذكر هؤلاء أنه لما ظهرت حركة « فتح » في ١٩٦٤ ، جن جنون أجهزة عبد الناصر ووصفنها بأنها منظمة عميلة تابعة لحلف « الساتر » ! . . وأن أول شهيد لفتح قتل برصاص « الشرطة » العربية ١٩*

هذه النظم السلطوية الفوقية ، تخاف الشعب المسلح أكثر مما تخاف العدو الأجنبي ، ولا يمكن أن تفكر في تسليح الشعب أو تنظيم قوات مقاومة شعبية . . وهامي النظم التي تدعي الثورية من حولنا . . من منها شكل مقاومة مسلحة أو ترك الفلسطينيون ينظمون أنفسهم في حركات مقاومة ١٩ فهل كنا نتوقع من أنظمة أصحاب الجلالة والرؤساء العرب في ١٩٤٨ أن يشكلوا ويدعموا ويسلحوا حركة مقاومة فلسطينية ١٩ ! سبحان الله . . وما الذي كان سيمنع المصريين والأردنيين والعراقيين أن يقولوا : « عايزين من ده » لكي يحاربوا الاحتلال البريطاني . .

* انظر كتابنا الثورة الفلسطينية - محاولة للفهم ، ١٩٧٠ وكنا أول من دعا الفلسطينيين إلى إنشاء تنظيم مستقل عن النظم العربية - مقال في جريدة الحرية اللبنانية ١٩٦٣ وأول من كشف موقف غايات عبد الناصر من منظمة فتح .

وحتى إذا كان هذا « التكتيك » يبدو « ممتازاً » من وجهة النظر العربية ، فيما من اتفاقية عالمية ولا مسايق تاريخية تروحي أن الطرف الآخر كان سيلتزم بقواعد اللعبة ، أي أن يترك الدول والجيش العربية أمنة داخل حدودها ، بينما تصدر هذه الحرب إلى داخل إسرائيل بواسطة هؤلاء المتطوعين . . . وقد حاول عبد الناصر قبل ١٩٥٦ هذا الأسلوب تفادياً للحرب وحفظ ماء الوجه إزاء مطالبة الجيش والشعب والفلسطينيين بوجوب الرد على غارات جيش إسرائيل ولم يكن الباديء أبداً ولا فكر في عمل منظم طويل الأجل كما تقضي أصول حرب العصابات ومع ذلك انتهت هذه المحاولات باحتلال إسرائيل لسيناء وما جرى على لبنان بعد ذلك وما حدث في حزام الشط ، وما تتعرض له الدول الأفريقية من عدوان جيش النظام المصري في جنوب أفريقيا ، بل صيحة عبد الناصر ذاته عن ضرب قواعد « العدوان » في السعودية ، رغم أن الجيش السعودي لم يدخل قط اليمن . كل هذا يؤكد أن استراتيجية إرسال المتطوعين وتجنيد الجيوش العربية الحرب ، هي استراتيجية تنبع من أحلام الجبناء* . ولا بد أن تقضي إما إلى غزو البلاد العربية وهي غير مستعدة للدفاع فضلاً عن الهجوم ، أو اضطرار هذه الدول إلى التحول لشرطة لحساب إسرائيل ، مشولة عن أمن إسرائيل من خلال الحجر على الفلسطينيين والوطنيين الراضين في مقابلة إسرائيل ، والبطش بهم كما تفعل النظم العربية الآن . . . وكما فعل عبد الناصر طوال وجود سلطاته في قطاع غزة .

عل أية حال . . . هذه المناقشة الآن ، هي لون من سفسطة المهزومين ، فلم تكن الدول العربية قادرة قبل ١٩٤٨ على تنظيم الفلسطينيين في حرب عصابات ، والانجليز يمارسون سلطات الانتداب هناك ، ويحكمون الدول العربية المزهلة هذا العمل . فلما انسحبت بريطانيا ، لا كان الوقت يسمح ولا كان الفلسطينيون في وضع يمكنهم من مواجهة الجيش الإسرائيلي وللأمانة التاريخية فإن الصوت المصري الوحيد الذي ارتفع وقتها ضد الحرب النظامية ، وليس بعد هنا بسنة ، وبعد ما أصبحت الحكمة هي قراءة مستترة للتاريخ ، الصوت الوحيد الذي طالب بحرب عصابات قبل دخول الجيش المصري المعركة هو صوت المرحوم وحيد رافت ، الذي كان وقتها يعمل مستشاراً لوزارة الخارجية إذ قال في مذكرة رسمية : « إلا أن التدخل كما يكون سافراً بواسطة القوات النظامية للدولة يصح كذلك أن يكون مستتراً ، مقتعاً في شكل تطوع منظم وذلك بعد أن أقر مشروعية التدخل العربي استناداً للعامل الإنساني وعامل الدفاع عن النفس والكيان فضلاً عن الكرامة والعزة القومية بدفعان

* الذين مازالوا يحقدون على النظام الرجعي أنه « زج » بهم في حرب فلسطين . . . بينما كان الضباط الأشراف يستقبلون من الخدمة ويبرعون متطوعين للقتال في فلسطين . وبعد الانقلاب نوده زعيمه لإسرائيل بإعلان أنه هو وزملاءه عارضوا حرب فلسطين ! وأعرب بن جوريون عن سروره بالتصريح ٢٥ أغسطس ١٩٥٢ .

الدول العربية دفعاً إلى التدخل في القتال » (حرب فلسطين ١٩٤٨ - لواء أ . ح . د . إبراهيم شكيب) .

وباختصار كانت المشاركة العربية المسلحة في الدفاع عن شعب فلسطين أمام الهجمة النثرية اليهودية ، مشاركة مشروعة ومعتومة . . وكانت الجيوش أو الحرب النظامية هي الصيغة الوحيدة الممكنة وقتها وإلى اليوم . . حتى بعد ما خرج الفلسطينيون من قبضة النظم العربية وشكلوا تنظيمهم الخاص . .

أما أن الجيوش العربية هزمت فإن الحق أو المشروعية لا تحددهما النتائج . . ومن لم يزم أمام إسرائيل فمن حقه أن يهدف حكومة الملك فاروق بحجر . . وكما قال حاخامات إسرائيل التوسعيون لسانتها : إن كنا مقتنعين في نابلس فنحن كذلك في تل أبيب . . نقول نحن : إن التشكيك في شرعية حرب ١٩٤٨ تشكيك في شرعية كل ما بعدها من حروب ، تشكيك في الحق العربي والموقف العربي خلال الأربعين عاماً الماضية ، تشكيك في جدية الصراع العربي - اليهودي ، إنكار له ، محاولة لطمس ، وهو عين ما جاءت الناصرية من أجله ، وما نفذته بافتدار - جهد قدرتها - خلال سنوات حكمها . . لولا إلحاح التوسع الصهيوني . . « أعرب رالف بانس للسفير الأمريكي في تل أبيب عن دهشة البالغة لأن « محمد نجيب » لم يذكر فلسطين بحرف في حديثه معه » (انظر فصل المواجهة مع إسرائيل) .

وباختصار فإن الثورة الوطنية المصرية وجذت نفسها تضيق إلى مهامها - عن وعي وعن حق - مهمة التصدي للغزوة الصهيونية ، ولكن كما هو الحال دائماً ، فإن أعداء أقل أهمية فرضوا أنفسهم بشغل أكبر لأنهم كانوا الأقرب ، وهم الانجليز وأعوانهم في مصر والوطن العربي ، ولم يكن خطأ ، التصدي لهذا العدو ، فهو المباشر وقتها ، والمقيم على أرض مصر والذي يشل حركتها في المواجهة الأساسية مع إسرائيل ، ومن ثم لم يكن هناك بد من التصدي للاستعمار البريطاني وتصفيته ، ولكن الأهم ، هو أرضية التصدي ومنطلقاته فإن الوعي بأهداف وأبعاد الثورة الوطنية ، كان لا بد سينبه إلى أن المعركة مع الانجليز والرجعية المصرية تأتي في إطار المواجهة الشاملة مع إسرائيل والولايات المتحدة ، ومن ثم لا تجوز أبداً مخالفة أمريكا أو إنكار الصدام المصري - الإسرائيلي ، أو الزعم بأنه فرض علينا مرة بخدعة الانجليز ومرة بمخاطبة للعرب . . إن من يتطلع جاداً للصدام مع الامبريالية العالمية وليس مجرد مساومتها ، لا بد أن يصطدم ويأعنف الصور مع طبيعة هذه الامبريالية وكتيبة صدامها : « التوسعيون الإسرائيليون » . .

وباختصار لم يكن دخول الجيوش العربية حرب فلسطين في ١٩٤٨ هو الخطأ ، وإنما كان الخطأ أنها لم تدخل أكثر وأحكم . . وأنا لم نضع إسرائيل في رأس قائمة اهتماماتنا . . وتركنا

قيادتنا للضباط الذين انهزموا في مواجهة إسرائيل* ، بل لنفس الضابط الذي استطاع أن ينسى كل ظروف الحرب ، ليدخل في علاقة مع العدو الإسرائيلي تسمح بطلب تلقينه خبرة اليهود في محاربة الانجليز . . . أحسب أنه نصحه بالتحالف مع الأمريكيين كما فعل اليهود . . . !

وقبلنا « ثورة » نعلن أنها لم تكن مشغلة بالخطر الإسرائيلي ، ولا في خاطرها محاربة إسرائيل وتحذف فلسطين من برنامجها وشعاراتها . . . وهانحن ندفع الثمن فلا فبتو على مستقبلنا وطموحاتنا المشروعة كأمة إلا . . . إسرائيل . . .

نعود لحديثنا ، فنقول إن الهزيمة المصرية والعجز العربي والفهر الصهيوني ، أضافت كلها عنصراً جديداً لتأزم الجماهير وأزمة النظام ، كما أضافت بعداً جديداً وأساسياً للحركة الوطنية المصرية . ويات واضحاً أن الصيغة التي قام عليها النظام تتمزق تحت ضغط قوى جديدة ، وبتأثير المتغيرات الداخلية والعالمية . . . وكان أكثر وضوحاً ، عجز السراي وأحزاب الأقليات عن السيطرة على الوضع ، وحاول الانجليز - مرة أخرى كما فعلوا قبل ثماني سنوات - فتح مرجل البخار ، برشوة الشعب وسحب الوفد من المعارضة ، فأمرؤا الملك بإجراء انتخابات حرة ، وكانت هذه غلظتهم التاريخية التي طوت أعلام الامبراطورية من مصر والسودان . . . ثم الشرق الأوسط**.

ولابد من كلمة ولو موجزة هنا عن « الوفد » والدور الذي لعبه في إنضاج الظروف الثوري عام ١٩٥١ . . . فالوفد ، مهما قيل أو نسب من أقوال لبعض شخصياته ، كان مقتنعاً بأنه يدين للشعب وحده باستمراره وبمكانة زعمائه ووصولهم للسلطة أو الزعامة ابتداء من « سعد زغلول » الذي كان مجرد موظف ممتاز في الجهاز أو إن شئت في النظام الحاكم ، رافضاً

* قال تقرير إسرائيل لإهم يدهشون من وصف محمد نجيب بطل فلسطين « إن معلومات الضباط الإسرائيليين لا تتضمن أية إشارة لنجيب ولا يذكرون له موقفاً بارزاً خلال عملية فلسطين » (مذكرة وزارة الخارجية الأمريكية ١٩٥٢/٧/٣١ .

** وقد جاء في تقرير للسفارة الأمريكية ما يلي حول تفسير موقف الوفد :

« ولعل الوزارة تذكر أنه قبل الانتخابات الأخيرة ، كانت السفارة البريطانية مضائلة باحتتمالات نجاح الوفد ، على اعتقاد منها بأن حكومة وفدية ستكون أكثر استعداداً للعقد اتفاق مع بريطانيا . وإذا كانت السفارة على صواب في توقعها فوز الوفد ، فإنها قد أخطأت تماماً فيما عدا ذلك ، لأن الوفد نظراً لارتباطاته البريطانية السابقة وخاصة حادثة حصار الدبابات لقصر عابدين ، أصبح أكثر حرصاً على نفي سمعة الميل لبريطانيا ، وأكثر قسماً في معادلاته مع الانجليز وحرصاً الصحف على شن حملة ضد بريطانيا (تقرير كاثولي ١٩٥٠/١٠/٣) .

لثورة ، محترقاً للجماهير ، متشائماً من أية إمكانية للشخص من الاحتلال* . . فإذا بالشعب يتوجه زعيماً تاريخياً ، بل ويجعله مكانة تفوق مكانة السلاطين والملوك ، بل تفوق ما ناله الأبطال الوطنيون الذين نجحوا في تحرير بلادهم فعلاً . . مكانة لم تتحقق لمصري من قبله ، ولا دامت لرعيهم من بعده ، وزعامته لم تنحصر في دوائر المثقفين ، بل تخطتها للجماهير المحرومة من الثقافة بل حتى من القدرة على القراءة . . والتي يكون اهتمامها بالسياسة علامة لا تخطيء على نضج الثورة واكتيالم مقوماتها في انتظار المفجر والقيادة . . اندفعت هذه الجماهير مضحية بلقمة العيش تضامناً وحباً وثقة وولاء بسعد مصر ، سعد الذي كان بدوره أول المندehشين . . ولكنه قبل البيعة التي ما كان يتصورها ووفى للشعب ولم يفقد الثقة فيه . بصرف النظر عن المذكرات أو بصرف النظر حول تقييم دوره الحقيقي ومفاهيمه وما فرضته هذه المفاهيم سلباً وإيجاباً على الحركة الوطنية بل مسار التطور السياسي والفكري في مصر والعالم العربي . . المهم أن إرادة الشعب فرضته زعيماً وطنياً . . ونفس الشيء يمكن أن يقال عن مصطفى النحاس ، القاضي المجهول أو المنسي بكل احترام في دلالة الحزب الوطني . . فإذا به في الوفد يتربع على عرش الزعامة الشعبية التي رفعته إلى مصاف أولياء الله في بلد اعتاد أن يحول أبطاله الوطنيين إلى قدسين وأولياء . . لقد احتل الرئيس الخليل - كما كان لقبه - مكانة خالدة يتطلع إليها العديد من زعماء العالم الثالث ، وأصبحت حلماً يسعى الطامعون لتكراره ، وغصة في حلق من تحكموا في حريات الناس وأرزاقهم ، وجندت هم كل وسائل الإعلام ، ورغم ذلك لم يستطيعوا ولا اطعمأوا ولا صدقوا أنهم وصلوا إلى سفح الزعامة أو القبول الشعبي الذي تربع عليه مصطفى النحاس أربعين سنة بلا دبابات ولا إذاعات ، بل في وجه مقاومة شرسة من أعنى استعمار وأعجب الأجهزة . . ومطاردة من السلطة التي لم يصل إليها إلا لماماً ومحاولات اغتيال من القصر وأجهزته وأحزاب الأقليات وفئات عديدة من المخلصين البلهاء من الذين كانوا يأخذون عليه أنه يتمتع بهذه الزعامة ولا يقوم بحفظها في ظنهم . . أو الأشد بلاهة الذين كانوا يعتقدون أن هذه الزعامة هي العقبة التي تحول دون تحرك الشعب أو الرصد الذي يمنع وعي الشعب . . !

• هذه الحقيقة التي أكدتها مذكرات سعد زغلول ، لم نجد للأسف من يدرسها ويحللها التحليل العلمي الموضوعي . . بل منعت ما بين محاولة ابتزاز من جانب هيكل الذي أعلن أنه لو نشرت مذكرات سعد زغلول ، لأسادت إليه وثورة ١٩١٩ . . الخ ١١ وهذا يعطي فكرة عن مدى احترامه للتاريخ . . فهذا الذي يرفض نشر مذكرات سعد زغلول خوفاً على سمعة الباشا ، هل يؤمن على نشر حقائق قد يرى أنها تسيء إليه هو وصابطه ؟!

ومن الجانب الآخر فإن الأسلوب الغريب الذي مكن الدكتور عبد العظيم رمضان من الاستمرار بنشر المذكرات واحتكار التعليق عليها قد دفعه إلى موقف اعتدائي ينتشر حتى إلى المنطق المعادي ، وليس البحث العلمي ، والحقائق التاريخية ، بل وأسقطه في خطيئة الدفاع عن كرومر والاحتلال البريطاني . . طأنا أنه بذلك يدافع عن سعد أقصد ، الوفد ، !

وكان زعماء الوفد يعرفون أن ثقة الشعب هي كل رأس مائهم ، ومصدر قوتهم ومبرر وجودهم ، والدرع التي يحتمون بها كلما اشتدت عواصف الاستعمار والرجعية . . . وقد روى فاتح « الملفات » أن النحاس باشا في أول لقاء مع محمد نجيب بعد انقلاب يوليو . . . فاجأه بقوله : « أنت قائد مائة ألف وأنا زعيم عشرين مليوناً » وبصرف النظر عن كل ما قيل عن تهادن الوفد أو تخوفه من الانقلابيين الأمر الذي نكذبه هذه الواقعة التي تؤكد مدى الثقة بالشعب والتقدير الحقيقي لمركز قوة الانقلاب ، ومدى اقتناع زعيم الوفد بمصدر قوته ، وحجم هذه القوة ، ورفضه أو استحالة تصور تنازله عنها . . . وأيضاً مواجهتهم علناً ورغم دباباتهم أنهم لا يمثلون الشعب . . . ولا يعطيهم الانقلاب حق ادعاء قيادته . . .

هذا الاقتناع بأن الوفد يمثل الشعب ، بل الممثل الوحيد للشعب ، انعكس في مفهوم خاص ، تحول إلى حقيقة تاريخية هي استحالة وقوع مواجهة بين الوفد والشعب ، استحالة أن يحكم الوفد بالقمع ، فليس في تاريخ الوفد واقعة تزوير انتخابات أو حل أحزاب أو تعذيب معتقلين أو سجناء سياسيين* . كان الوفد في الجانب المقهور وهو خارج السلطة ، وكان أغلب عمره خارج السلطة تهتاله الجماهير : « بحيا الوفد ولو فيها رقد » أي أن الانتهاء للوفد يعني اضطهاد السلطة للمتمني والمزيد . . . والوفد لا يأتي إلى السلطة إلا بإرادة الشعب أو رضاه على الأقل . . . لم يكن الوفد بالذي يقبل أو يستطيع الاصطدام بالشعب . ومن هنا كان لابد أن يحدث ما حدث في حكومته الأخيرة . . . من ممارسة للحريات لم يسبق لها مثيل في تاريخ مصر ، ولا أظن أن المؤرخ بحاجة إلى إضافة : « ولم تتكرر إلى يومنا هذا » لأن هذا من تحصيل الحاصل ، إذ يذهب البعض إلى أن مصر في عهد صدقي أو الحماية . . . قد تمتعت بحريات أكبر مما منحنا خلال الثلاثين عاماً إياها . . . كان لابد أن يسمح « الوفد » وهو في السلطة لشاعر واتجاهات هذه الثورة المتجمعة بالتعبير عن نفسها وهي التي كانت تسعى إلى جولة جديدة وأخيرة مع الاستعمار البريطاني . . . الذي أصبح استمرار سيطرته أو وجوده في مصر حقيقة مخالفة للتاريخ والواقع ، مخالفة لحقائق العصر سواء بتدهور مركز بريطانيا العالمي ، أو غرور قدرات المصريين ، لم يكن من المعقول أن يخرج الاستعمار البريطاني من الهند وفلسطين ويبقى في مصر التي كانت رأسهايتها أقوى وأعرق من أي رأسالية أخرى في العالم

* وقعت بعض اعتقالات في ١٩٤٦ - ١٩٤٤ كانت أساساً بناء على طلب السلطات البريطانية المحتلة للبلاد والتي لا سبيل لمعارضتها فيما يتعلق بالمجهود الحربي ، وقد كانت هذه القوات على وشك خلع الملك فاروق ، كما خلعت الحديوي عباس وأعلنت الحماية على مصر سنة ١٩١٤ وكما خلعت شاه إيران واقتسمت إيران مع روسيا سنة ١٩٤١ . ومن ثم كانت معارضتها مستحيلة وتعرض البلاد لاحتتمالات لخارج فترة « حكومة » على المخاطرة ، ولا أقول خارج قدرة ثورة . . . لأن كل الثوار كانوا وقتها مع « الحلفاء » . . . وإن كان هذا لا ينفي اعتقال بعض خصوم الوفد إلا أن غالبيتهم لا يمكن وصفهم بالشعبية أو الثورية بل كانوا يعملون لحساب السراي بشكل أو بآخر ومع ذلك تبقى هذه نقطة سوداء وحيدة في تاريخ الوفد من ناحية الحريات حتى وإن وقعت في ظل الحرب العالمية .

الثالث ، وكانت مكانتها وثقافتها ، وجامعاتها وصحافتها ، ومسارحها ، وصناعاتها ، وحركتها الوطنية وقياداتها السياسية في مركز الصدارة في آسيا وأفريقيا . . بل وأكثر تقدماً من بعض الدول المحسوبة على أوروبا ، ولا تنظروا إلى حالنا الآن . . وكيف سبقتنا اليونان أو حتى بلغاريا . . فنحن نعيش ذبول هزيمة تاريخية أنزلها بنا الاستعمار الأمريكي والصهيوني من خلال ٢٣ يوليو . .

بقدر ما كان الوجود البريطاني ظاهرة متخلفة عنومة الزوال ، بقدر ما كان يفرض التخلف على المجتمع المصري ويشل حركته ويجعله يدور حول نفسه ويبدد طاقته ، وتؤكد وثائق هذه الفترة ، أن عقلاء الانجليز كانوا مقتنعين بحتمية التسليم باستقلال مصر والجنلاء عنها ، بشرطين : ألا يتم ذلك لحساب انتقال مصر إلى دائرة النفوذ الأمريكي الذي كان قد بدأ غزو الشرق الأوسط عبر إسرائيل والتابلاين .

والشرط الثاني . . هو السودان ، فهم لم يكونوا على استعداد للتنازل عن السودان ، فهو العمود الفقري في مشاريعهم الأفريقية التي كانوا يسمونها الامبراطورية الثالثة . والتي خططوا وتوقعوا أن تلعب في التاريخ البريطاني ، ما لعبته أمريكا ثم الهند . . وكان من المستحيل التفكير في امبراطورية أفريقية بدون السودان . . ومن ثم كان الإصرار على « احتلال » مصر هو هدف المساومة على السودان . الأمر الذي رفضته جميع حكومات مصر وأحزاب مصر عن اقتناع مضاد بأنه لا استقلال حقيقي لمصر إذا ما استمر الانجليز يتحكمون في السودان والنيل ، وعن اقتناع بأن السودان جزء لا يتجزأ من التراب الوطني ، حتي اقترح البعض تسمية الوطن الممثل « مصردان » . فالسودان كان باتفاقي جميع المصادر ، العقبة الأساسية بين مصر وبريطانيا وكان بالتالي جوهر الصدام بين الحركة الوطنية المصرية والاستعمار البريطاني ، الذي وصل ذروته في حكومة الوفد الأخيرة ، كما أصبح فلسطين جوهر الصدام مع الاستعمار الأمريكي . ولم تكن أمريكا تريد بريطانيا في السودان ، وهي إذا كانت قد استعانت « بالشرعية » المصرية في إخراج الانجليز من السودان ، إلا أنها لم تكن مستعدة للإصرار على هذه الشرعية ، ولأن حركة ٢٣ يوليو لم تكن تتبع من الحركة الوطنية المصرية ، فقد قبلت بسهولة بل وعملت على فصل السودان . .

لم يكن الوفد يريد ولا يستطيع ضرب الحركة الوطنية الساعية للصدام مع الانجليز ولا كان يطيق أن ينزول ويتركها تتخطاه خلف قيادة أخرى ، ومن ثم كان قدراً محتوماً أن يصطدم الوفد بالاستعمار البريطاني ، وهو في السلطة . . ولكنني أحب أن أتوقف هنا عند عنصر خاص ، هو وجود « فؤاد سراج الدين » في الوفد .

فهذا «الشاب»* لم يشترك في ثورة ١٩٠٤ ، وإن كان قد وعى أحداثها فهو من مواليد ١٩١٠ ولا كانت أسرته من عائلات الوفد ، ولكنه بكفائه انه النافذة حتى بين مائة مصر قبل عصر الرجال الجوف ، استطاع أن يصعد بين صفوف الوفد حتى أصبح معروفاً ومقبولاً أنه هو الوريث الشرعي والأوحد لمصطفى النحاس . ولكنه كان لديه من الذكاء ، ما عرفه به أن زعامة الوفد لا تورث ولا تكتسب بالأقدمية أو بالدور ، بل هي زعامة تصدر براءتها من جهة واحدة هي الشعب ، وبحسب مستند واحد - وقتها - « شهادة الجهاد ضد الانجليز »** .

كان سراج الدين « باشا » يريد عودة روح وظروف ثورة ١٩١٩ ليشارك مع باشاوات الوفد في محاربة الانجليز ، ويحصل مثلهم على التفويض والمستند الشرعي بزعامته . . ولذا يقف المؤرخ الماركسي حائراً مذهولاً وهو يرى « باشا » في منصب وزير الداخلية ينحرف بالانجليز ويخاطر بكل شيء ، بل ويشترك في عمليات في مستوى الشباب المتطرف من الطلبة والعمال . . مثل المشاركة في خطة للتعليم أو نصف قناة السويس ، أو تحريض العمال على الإضراب والانسحاب من خدمة قوات « الخليفة » أو خوض معركة مسلحة بقوات البوليس ضد الجيش البريطاني . وتقول تقارير الحكومة البريطانية عن هذه الفترة :

« هناك معلومات حتى عن وزراء في الحكومة حرضوا الشعب على القتل ،
 « إن لدينا معلومات بأن وزير الداخلية نفسه لديه ارتباطات وثيقة مع المنظمات الإرهابية »***

ووثائق الحكومة البريطانية تثبت أيضاً ، أن بريطانيا قررت أنه لا سبيل للمساومة مع الوفد ، وأنها كانت تطلب رأس الوفد ورأس سراج الدين ففي تقرير بريطاني بتاريخ ١٩٥١/١٠/٢٧ :

« ليس هناك أي أمل في التوصل إلى اتفاق مع الحكومة الحالية ، كما أن أية محاولة للتصالح معها ستفسر على أنها ضعف » . « يجب أن نعمل من أجل إحداث انهيار كامل للحكومة الوفد »

* فزاد سراج الدين هو الذي أمم البنك الأهلي ، وكان أعظم إجراء نحو تحرير مصر المالي قبل ١٩٥٢ ، والغريب أنني ذكرته بهذا الإجراء في نوفمبر عام ١٩٨٦ . . وشرح الباشا لحظة ثم قال لي دعنا :
 « الغريب أنني نسيت هذه المسألة فلم أشر إليها في خطابي . . »
 ولم أتعش أنا . .

وهو أيضاً الذي نوح غطاء العملة المصرية فحول جزءاً من الأرصدة الاسترلينية إلى ذهب ودولارات (٤٧ مليون دولار) .

** وهو أيضاً يعرف أنه لمع في أسوأ حكومات الوفد سمعة (١٩٤٢ - ١٩٤٤)

*** روجر آلن ١٩٥١/١١/١٧ .

نجح سراج الدين في نصف كل الجسور مع بريطانيا ، كما ألغى كل شرعية للوجود البريطاني ، وأعاد الموقف إلى نقطة البدء أو المربع رقم واحد ، عشية ثورة ١٩ وأصبح من أبطاها ولوبعد ٣٢ سنة ! . . . ووضعت بريطانيا ، بدورها ، خطة لإعادة احتلال مصر هي الخطة « روديرو » أو « RODEO » التي وضعت ضد حكومة الوفد في خريف عام ١٩٥١ ومطلع ١٩٥٢ ، ولا معنى للتمسح بها وادعاء أنها كانت ضد عبد الناصر . . . بريطانيا لم تفكر في محاربة عبد الناصر إلى عام ١٩٥٥ . . . بل كانت تفاوض عنه أمريكا وتضغط بها عليه . . . أما خطة RODEO فوضعت في عهد سراج الدين وحكومة الوفد ، لمواجهة ثورة حقيقية كانت تتطور بسرعة هائلة إلى ما يشبه ثورة ١٩ مع فاروق تقدم الوعي والتنظيم مصرياً وعربياً وعالمياً^٢ . . . وكانت حماسه الجماهير تتضاعف ووعيبهم يسجل تقدماً نوعياً كل يوم والاشتبك مع الاستعمار يدخل مرحلة ما قبل حرب العصابات المنظمة ، واستشهد الشباب من كل حزب وأيدولوجية . . . وبالطبع كان تحرك القواعد أسرع من القيادات ، والوفد يعاني من مشكلته الازلية ، وهي انعدام التنظيم أو حتى كراهيته ، وفقدان التقاليد القتالية ، واستمرار اقتناع قياداته بأنه جزء من النظام الدستوري . . . يضاعف من سوء الموقف ، أنه في السلطة فعلاً ، ونصور أنه يستطيع إنجاز التحرر بالتشريعات ، يذكي هذا الاتجاه انتصارات « مصدق » في إيران - والسهولة والحماسة التي تمت واستقبلت بها تشريعات إلغاء المعاهدة و« استعادة » السيادة على السودان . . . ولكن الشارع يغلي ويفور ، وتعلن « الجمهورية » أو تنطلق المطالبة بها في الجامعة ، ثم طرح المطلب في مؤتمر للقيادات اليسارية ، ثم محاولة احتلال قسم عابدين صباح ٢٦ يناير وأخيراً ظهور تنظيمات مسلحة في منطقة القناة ، تمارس سلطات شعبية ذاتية . . .

كانت ثورة تتجمع وتستعد من خلال ممارسة ثورية فعلية ، وكان لابد - من وجهة نظر الاستعمار العالمي - أن تجهض ، أن تضرب هذه الثورة ، قبل أن تلتد تنظيمها ، وترسخ جذورها ، ويستحيل تطويقها ، وجاء « حريق القاهرة » الذي ربما كان آخر ضربة لأجهاز مخبرات* ، أو أول عملية كبيرة للـ CIA أو من فعلها معاً ، لا أحد يجزم ، ولا ندري إن كنا سنعرف أم لا . . . لأنها أقدر من أن يعترفوا بها ، ولأن المخابرات البريطانية لا ملفات لها ، وعملياتها لا تنشر ولوبعد ألف سنة . . . فضجهم في الصندوق ، بعكس الأمريكيين قضي السوق . . . ولكننا عثرنا على هامش صغير ورد في وثائق الخارجية الأمريكية يفيد أن الانجليز كانوا يتوقعون ويسعون لما حدث في القاهرة صباح ٢٦ يناير ١٩٥٢ . . .

* لو أردنا أن نختار جهازاً واحداً يرمز إلى جرائم الاستعمار الأوروبي لغازت المخابرات البريطانية بلا منازع ، فلا حد لجرائمها ، ولكنها امتازت بالسرية المطلقة فلا ملفات ولا وثائق تنشر ولا أحد يتكلم . . . ولذلك فقد كانت كالشيطان الكل يتحدث عن جرائمه ولا مستند ضده .

فقد أشارت هذه الوثائق إلى برفية (لم تنشر !! ج) بعث بها الوزير المفوض الأمريكي هولز إلى وزارة الخارجية قال فيها : إن أنطوني إيدن وزير خارجية بريطانيا أبداه (١٩٥٢/١/٢٤) أن القوات البريطانية ستجري نزع سلاح قوات البوليس في الاسماعيليه غدا ، ويعتقد إيدن أن الحكومة المصرية ستري نفسها مضطرة للرد بطريقة ستعرض حياة الأجانب للخطر (١٩ ج) ولذا فإن البريطانيين يجرون تحريك قطع الأسطول إلى مواقع تمكنهم من إجلاء الأجانب عند الحاجة . . . بالإضافة إلى أن إيدن أصدر تعليماته للسفير البريطاني في مصر ، سيرراليف ستيفنسون لتحذير الملك من اتخاذ إجراءات تعرض الأجانب للخطر . وقد طلب « إيدن » من وزير خارجية أمريكا : « تأييد بريطانيا في الإجراءات التي ستضطر لاتخاذها لمواجهة الموقف نتيجة لما ستقوم به في الاسماعيليه غدا » كما جرى تخفيض الوقت اللازم لتنفيذ الخطة RODEO من ٧٢ ساعة إلى ٤٨ ساعة وهي الخطة التي وضعت لاحتلال الاسكندرية والقاهرة .

على أية حال إن لم تثبت هذه الوثيقة إدانة بريطانيا في تدبير وتنفيذ حرق القاهرة ، وقتل من قتل بمن فيهم رعايا بريطانيا ، فهي على الأقل توقعت ذلك وأرادته وسعت إليه بوعي كامل مضيفة بذلك صفحة جديدة في تاريخ أعداء الشعوب . . . كما ساهم أسناذ إبادة الشعوب . . . معترفاً بتفوقهم .

ومما يذكر أن وزير خارجية أمريكا احتج أو عتب على زميله الانجليزي لأن عملية الاسماعيليه « لم تتم على النحو الذي صورته له إيدن . إن الأمر كله يبدو سيئاً »^{٢٦} ! . . . ولم يكن الأمريكان أقل كراهية للوفد ، ولا أقل تشوقاً للقضاء عليه وقد رفض مشاريع الدفاع المشترك ورفض الدخول في حرب كوريا وانفردت مصر بذلك الموقف التاريخي الذي استمرت مرارته في حلق الأمريكان إلى اليوم ، وأطلق الوفد الحريات ، حتى أصبح النشاط الشيوعي شبه علني ، ومسب أمريكا مادة أساسية في الصحف ، وقد شهدت حكومة الوفد أول وآخر مظاهرة شيوعية كاملة وهي جنازة « صلاح بشري » التي نظمها تنظيم الطلبة في الحزب الشيوعي ، ووزعت لأول مرة منشورات باسم الحزب ، ولف « صلاح بشري » في علم أحمر وهتف بحياة الحزب الشيوعي* . . .

وفي اجتماع وزيري الخارجية الأمريكي والبريطاني ٩ يناير ١٩٥٢ (وهو الاجتماع الذي نعتقد أنه تم فيه الاتفاق على حرق القاهرة ج) قال الوزير الأمريكي : « إن المطلوب هو إعطاء الملك سنداً يدعمه في إتخاذ إجراء ضد الوفد » . وقال السفير البريطاني في لندن : « مهما تكن سياسة الحكومة الجديدة فالهمم أنها تخلصنا من الوفد » (تقرير ١٩٥٢/١/٢٧) .

* كانت المظاهرة كاملة من تنفيذ الرفيق من . . . فهو الذي قادها وهو الذي لف الجثمان بالعلم الأحمر وخطب على سلم مسجد الكخيايل وكان المنشور الذي وزع مكتوباً بخط يده ومطبوعاً على البلوطة !

وسجل كافري شهادته بعد نجاح المؤامرة فقال : « إن حكومة الوفد أثبتت استعدادها لتدمير مصر اقتصادياً واجتماعياً إن كان ذلك يعجل بتحقيق أهداف مصر » ١١
(تقرير إلى حكومته بتاريخ ١٩٥٢/٢/١)

وأكدت الخارجية الأمريكية أن الهدف الأكبر هو القضاء النهائي على الوفد بقولها : « إذا كان الهلالي المدعوم من الملك سينمكن من السيطرة على الأمن الداخلي بيد قوية إلا أنه من المتوقع إذا فشل في تحقيق الأهداف الوطنية المصرية أن ينهض الوفد من جديد حتى لو كان ذلك بعد فترة من الوقت » (من وكيل الوزارة إلى الوزير ١٩٥٢/٣/٣) .

اتفق الانجليز والأمريكان على « حرق » الثورة . . وإسقاط حكومة الوفد ، وكانت ضربة قاسية عنيفة بل متوحشة ولكنها غير قاضية ، وليس في التاريخ ثورة قمعت بالإرهاب وحده ، بل حتى الإرهاب لم يكن متوفراً ، وقد بحلولنا الآن أن ننتقد قبول حكومة الوفد مرسوم الإقالة ، ولكن لا مجال لذلك عند المؤرخ الأمين ، فالعاصمة تحترق والأسطول البريطاني يتحرق ، والجيش في الشوارع وهو لا مع الحركة الوطنية ولا مع الوفد ، وهذه تقارير الحكومة البريطانية تثبت ذلك : « إن القوات المسلحة المصرية لا تعتبر فقط غير مساندة للحكومة بل إنها قد أوضحت رغبتها في اجتناب أي صدام مع البريطانيين ، وتقبل وحدات الجيش في منطقة القناة إشرافنا على تحركاتها . كذلك وعد الجيش بخارج منطقة القناة بالابتعاد عن طريقنا » ١٢ .

وصحيح أن عدداً من الضباط اشترك مع الحركة الوطنية المسلحة ، إلا أن الجيش كمؤسسة لم يكن مع الثورة ، وسرعان ما استعاد دوره في خدمة النظام فور صدور الأمر إليه بالنزول لوقف الحريق ، وإقالة الوفد . . وقد شهد « هيكمل » أنه قابل « عبد الناصر » بعد حرق القاهرة بنفذ قرار حظر التجول على الشعب ١٣ .

إلا أن الوفد أخطأ بلا شك بإعلان الأحكام العرفية ، وتوهم أنه سيحكم بها لمواجهة المؤامرة ، وهكذا رفعوه في الهواء وتمكنوا منه . .

ولكن سرعان ما زالت الصدمة ، وتبين أن النظام قد تنهراً وأصبح أعجز من أن يبطش أو يرهب ، وبدأت قوى الثورة تسترد أنفاسها ، وجرت حركة مراجعة للمواقف ، وتعددت الانشقاقات والخلافات مع القيادات التي عجزت عن أن ترتفع إلى مستوى الموقف ، ونشطت التنظيمات السرية . . وجربت كل الأسلحة في ترسانة النظام من « الحكيم » علي ماهر إلى مرنضى المراغي أو حيلة الشب كما سماه السفير الأمريكي في تقرير رسمي ١٤ وثبت عجزهم بل تكشف لأول مرة حقيقة أنهم أقزام عجزة وعلى نحو فاق أي تصور ، وهكذا

بيدورجال النظام لحظة الانهيار* ، ونشط المغامرون من كل حذب وصوب ، وانتشر نشاط المخابرات الأمريكية وتدفق عليها المرتزقة والعسلاء والمتطعمون ، حتى أصبح لا ينقصها إلا نشر عنوانها في الإعلانات المبوبة ، واستعداد الوفد أرضيته إلى حد كبير ، وبدأ عقلاء النظام يتقربون إليه لكسب الشرعية ودرء انهيار النظام الذي يهدد الجميع ، حتى الملك أحس بأنه حفر قبره بيده ، وتثبيت الانجليز بالمحال ، ثم هرعوا إلى الأمريكيين يطلبون التفاهم . .

بدأ الانجليز بمحاولة إقناع الأمريكيين بما يشبه برنامج انقلاب بوليو ولكن من داخل النظام وبرجال من أمثال الهلالي ، أي توزيع الأرض ومكافحة الفساد وضرب الوفد . . ولكن الأمريكيين ، الأكثر قدرة على الحكم الموضوعي بحكم عدم شكهم بالنظام وأيضاً لاتفاق مصالحهم وخططهم مع إسقاط هذا النظام ، رفضوا كل الحجج . . فلما قال الانجليز إن الهلالي قادر على مواجهة الوضع رد السفير الأمريكي بوقاحة في رسالة إلى وزارة الخارجية ١٩٥٢/٣/٨ قال فيها :

« إنني مهوم لسوء الفهم البريطاني للوضع في مصر ا (آه بازمن ١٩ ج) فهذا الحديث عن إزالة الفساد والتحريك ضد الوفد عظيم جداً ، ولكن هذا كله لا يجيب على السؤال حول ما إذا كانت الحكومة الحالية ستعيش أم لا ؟ لأن هذا يتوقف على نتائج المحادثات المصرية - البريطانية فإذا لم تثمر شيئاً - وهو الأرجح ما دامت بريطانيا متمسكة بموقفها الحالي - فإن علينا أن ننسى أي أمل في استقرار مصر أو تحولها إلى موالاة الغرب ، بل إن احتمال الثورة والفوضى الشاملة في مصر لا يمكن استبعاده ، نحن نقرب بسرعة من نقطة اللاعودة وإذا مضت مصر في هذا الطريق فالشك كبير جداً في قدرة بقية الشرق الأوسط على الصمود » .

وتثبت الأمريكيون بحلهم وهو ضرب الثورة باسم الثورة ، إسقاط النظام العاجز وإقامة نظام شاب قادر على ضرب قوى الثورة وإعادة مصر إلى حظيرة الاستعمار العالمي ، على أن تكون هذه المرة في المدار الأمريكي ، واستمرت بريطانيا تناور ما بين دعوة الأمريكيين للمشاركة والتهديد بجعلها « ضلعة » .

واشنطن ٢ يوليو ١٩٥٢

سري

١ - قدمت السفارة البريطانية نسخة من رسالة وزارة الخارجية البريطانية للقائم بالأعمال (البريطاني ج) في الاسكندرية تأمره بالنشاور معك (أي السفير الأمريكي ج) في احتمال التصرف المشترك لإنقاذ الوضع المترتب على استقالة الهلالي والاضطراب الناجم عن عجز سري وبركانت عن تأليف الوزارة أما التصرفات المقترحة فهي :

* من أعجب ما قرأت لمؤلف كتاب « الوكالة » قوله إن من شروط نجاح الانقلاب أن « يتعاون » الحاكم مع الثأمرين بأن يكشف صدره أو ظهره لهم ليطنوه ! . .

أ - تحذير لسري وبيركات بأن لا شأن لهما بتشكيل حكومة .

ب - دعم رفض المراغي الانضمام للحكومة .

ج - الاتصال بعنفي لحنه على إقناع الملك بأن استقالة عنيفي المحتومة في الظروف الحالية بالإضافة إلى الحكومة الجديدة بصيغتها المقترحة ، ستقلل فرص التفاوض مع بريطانيا إلى درجة العدم .

٢ - بالإضافة إلى ما ورد أعلاه ، أمر القائم بالأعمال البريطاني بأن يستشير في إمكانية الاتصال بالملك وبدون كلمات تهديد تخبر الملك ببعض الحقائق الخاصة وبالذات الوضع الميئوس منه إذا ما استمر أندراوس وثابت في القصر .

٣ - السفارة البريطانية في واشنطن قالت إن وزارة الخارجية البريطانية جد حريصة أن ترسل لك التعليمات المناسبة لكي تري الملك وقالت وزارة الخارجية حرفياً : « إنه من الضروري أو الحيوي أن نعمل معا في هذا الظرف الخرج لبذل كل ما نستطيع لمنع إبعاد العناصر الرزينة في السياسة المصرية بهذا التغيير في الحكومة وبصفة خاصة إزاحة حافظ عنيفي من القصر .

وأبلغتنا السفارة أن إيدن أرسل سترايج لرؤية جيفورد (السفير الأمريكي) حيث عبر له عن الاهتمام العميق لإيدن بالوضع الذي يمكن أن يتطور إلى رجوع عناصر القصر الفاسدة والوفد إلى الحكم ويأمل إيدن في أن تتمكن من المساعدة .

٤ - إن وزارة الخارجية الأمريكية مهتمة باتجاه الأحداث واحتمال عودة العناصر الفاسدة والمتصفين ونحن نعتقد أن الملك قد تصرف بانعدام حكمة كامل ، عندما رضى لرشوة الثلاثي عبود - ثابت - أندراوس ولطالما يمنع هؤلاء بسلطانهم الحالية فلا أمل في تحقيق تقدم في مصر وإذا كان صحيحاً أن الهلالي ما كان لينجز الإصلاح ولا التطهير ، فنحن نعتقد أن الملك كان يجب أن يعطيه التشجيع والمساعدة وبالذات ضد مؤامرات القصر .

٥ - وفي نفس الوقت نعتقد لو أن البريطانيين أعطوا الهلالي خلال أربعة شهور ما يمكنه قبوله ، لتعزز مركزه وقاوم ضغط عبود وأمثاله .

٦ - لا نستطيع التورط في الشؤون الداخلية المصرية وخصوصاً أن الانجليز لا يقبلون وجهة نظرنا في مسألة لقب ملك مصر والسودان .

ثم تختم الرسالة بهذه الصيغة برفض التعاون لإنقاذ مركز بريطانيا .

٧ - نحن نعرف أنك أنقذت مركز البريطانيين أكثر من مرة ولكن كل شيء له حدود .

وبالطبع تقول المذكورة - الوثيقة : « وقد أيد كافرني وجهة نظر الخارجية بالكامل » .

كان الوقت قد أوفى للعمل الأمريكي المنفرد . . . « شمت » بريطانيا رائحة ما يطبخ . . . فأرسلت شبه إنذار لواشنطن بأنها قد تقوم بعمل عسكري منفرد ، وردت أمريكا بما يمكن اختصاره في « طظ » أو « شراب » من البحر . . . « فنحن لا نهتم حتى بخروجكم نهائياً من القاعدة ، ولن نشترك معكم في عمل ضد مصر . .

سلمت السفارة البريطانية لوزارة الخارجية الأمريكية رسالة توضح قلق إيدن العميق للوضع في مصر وتطلب من الولايات المتحدة أن تخبر الملك أن إصراره الحالي على مسألة اللقب لا يمكن أن يفضي إلا إلى كارثة له وللمصر . كما طلبت المملكة المتحدة أيضاً ، أن نسمى اللاتيان بحكومة رابعة في قبول النسوية التي يريد الانجليز تقديمها . وهذه الورقة تؤكد أن البديل الوحيد لهذه الحكومة هو احتفاظ بريطانيا بمركزها مهما كان الثمن وبالقوة إذا لزم الأمر () بالطبع هذا إنذار للأمريكان وهذا ما جعلهم يسبقون ويقدمون مبعاد الثورة لسبق أي تحرك بريطاني (ج) وعلمت السفارة البريطانية على هذه الورقة بقوتها إن الخارجية البريطانية قلقة للغاية لما تعتقد أنه صدع في الجبهة الأنجلو - أمريكية فيما يتعلق بمصر وقالت السفارة البريطانية إن الخارجية البريطانية تعتقد أن تدهور الأوضاع في مصر يمكن أن يفضي إلى كارثة إذا لم تتساند بريطانيا وأمريكا بحزم أو بقوة . . وقالت الورقة البريطانية إن الحكومة تدرس تنظيم علاقة مصر بالسودان على ضوء ما أبلغ للوزير الأمريكي في اجتماعات لندن . ولكن مستر كافري يعتقد أن هذه المقترحات سترفض على الفور .

السفارة الأمريكية في لندن في تعليقها على هذه الورقة قالت إن قلق البريطانيين حقيقي ولكن لا أمل في تغيير موقفهم الحالي بالنسبة للقب وتوصي السفارة أن نقول للمصريين بصراحة وحزم أن عليهم أن يتخلوا عن موقفهم المتطرف الحالي ويتحركوا إلى حل وسط . أما مستر كافري فيعتقد أن تبني المشروع أو الخطة البريطانية سيكون مأساة بلهاء إلا أنه وعد بحث سري باشا على الوصول إلى اتفاق مع المهدي .

« تبقى حقيقة أنه ما لم نحل مشكلة اللقب أي السودان فلن نستطيع التقدم لمشكلة الدفاع .

« الحقيقة أن المصريين يستندون إلى أسس قانونية قوية لموقفهم الحالي ونحن نعتبر أنه من غير المنتظر أن تراجع أي حكومة عن هذا الوضع . ونحن نعتبر أن استمرار وضع النجمد الحالي وعدم محاولة التقدم بحل يمكن أن يؤدي إلى زيادة استياء الجماهير وإمكانية عودة الأوضاع إلى ما كانت عليه من أكتوبر إلى يناير وفي هذه الحالة سيواجه البريطانيون الخيار بين الجلاء أو استخدام القوة وربما كان الأفضل لمصالحنا هو جلاء بريطانيا ولو خسرنا القاعدة لأن الأصل في دعوة مصر للاشتراك في نظام دفاعي عن الشرق الأوسط هو اشتراكها الاختياري وليس من خلال إرغامها بقوات أجنبية كبيرة . أما عن استخدام القوة للحفاظ على مركز بريطانيا فإن نتائج هذا الفعل بالنسبة للبريطانيين بل ولوضع العرب كله ، من الخطورة بحيث يلزم ألا نترك لدى الانجليز أي شك في استحالة قبولنا لاستخدام القوة كبديل للفشل في الوصول إلى نسوية ، وصحيح أنه من الضروري أحياناً استخدام القوة ولكن طرحها بداية كأحد الحلول هو أمر يتناقض مع مبادئ وأهداف ومصالح الولايات المتحدة » .

من وكيل الخارجية بايرون إلى وزير الخارجية .

وهكذا نتبين أنه من الخطأ القول بأن العنصر الأمريكي دخل المعادلة البريطانية - المصرية بانقلاب ٢٣ يوليو . فالصحيح أنه كان موجوداً من قبل ، داخل السراي . . . وكان الملك يحاول استخدامه في مواجهة الانجليز الذين أدركوا هذه الحقيقة ، واشتكت حكومتهم بصريح العبارة : « لا يمكن إقناع الملك بتغيير موقفه طالما يعتقد بأن هناك فرقاً بين موقفنا وموقف الأمريكيين »^٧

وهاهو السفير الأمريكي يختم رسالته التي أشرنا إليها عن مقابلته مع فاروق والتي سجل فيها تمسك الملك بوحدة وادي النيل وهدد بمهاجمة الانجليز علناً . يقول السفير : « وانتهينا بتكراره الحديث عن أن أمريكا هي وحدها التي يمكنها منع الكارثة وأنه يثق فينا . . الخ . . الخ »
كافري . .

ويبدو أن الملك يش من إقناع السفير الأمريكي فحاول أن يتخطاه إذ انتهر ابن عمه الأمير عبد المنعم* فرصة التفائه بوزير الخارجية الأمريكي في جنازة الملك جورج السادس (فبراير ١٩٥٢) فدعاه إلى الدخول في النزاع البريطاني المصري . . . ولم يكن الأمريكيون بحاجة إلى دعوة فقد كانوا غارقين في مهمة إنقاذ مصر إلى أذقانهم . . . ولوعلى جثة الملك !

ولكنها كانت محاولات محتومة الفشل فالملك كان متردداً وبلا شعبية ، بلا مؤسسات خاصة تمكنه من إدخال مصر في الفلك الأمريكي ، كما لم يكن مستعداً للمغامرة بكل شيء مع « الجاين » فهو لا يطمئن إلى استعدادهم للوقوف معه إلى النهاية ، وهو لا ينسى « غلقة » ٤ فبراير . . . كذلك كانت هناك مشكلة لقب « ملك مصر والسودان » واعتذاره للسفير الأمريكي عن اتخاذ الخطوة الأولى في مصالحه إسرائيل ، ويمكن لمن يشاء أن يضيف كراهية الأمريكيان التقليدية للملوك ومعرفتهم بصعوبة تغييرهم كلما وقعت أزمة بعكس العسكر . .

كذلك حاول الوفد أن يلعب ورقة الأمريكان ، فعين في حكومته ، وزراء معروفين بعلاقاتهم « الحميمة » مع الأمريكيين ، وخاصة أحمد حسين ، الذي كان تعيينه في حكومة الوفد** عام ١٩٥٠ يشبه تعيين أمين عثمان في حكومة الحرب العالمية الثانية ومؤشراً بدوران الفلك وتداول الدول وكان الأمريكيون بدورهم يحاولون غزو الوفد ، وكانت لهم صلات طيبة مع « محمد صلاح الدين » جعلتهم يرشحونه لنسف الوفد وعمل انشقاق فيه بالتعاون

* وكوفي. عل ذلك بتعيينه وصياً على العرش بعد انقلاب يوليو واعتبر السفير الأمريكي اختياره دليلاً على تحرد مجلس الثورة من نفوذ الإخوان .

** وليس « لكفائته العلمية أو الفكرية لمواجبة مطالب الجماهير في التجديد والإصلاح الاجتماعي » ، كما ذهب الأستاذ طارق البشري في كتابه القيم : الحركة السياسية في مصر ص ٣٠٧ .

مع هيئة التحرير لولا أن نصحبهم السفير كاهري ، بأن قبضة النحاس وسراج الدين أقوى من أن تسمح بذلك .

ولا شك أن الوفد وضع الورقة الأمريكية في حساباته وهو بخاطر متحدياً الانجليز ، متعرضاً لعقوباتهم ، وكانوا يملكون الكثير منها ، من الأرصدة^{٢٦} إلى السلاح إلى النفط . . . ولا بد أن ما كان يجري في إيران كانت له انعكاسه في تقديرات الوفد والعكس صحيح . . . ولكنها أيضاً كانت محاولات محتومة الفشل ، فالوفد قد نسف جسوره مع الأمريكيين بموقفه القذ في حرب كوريا^{٢٧} ورفضه التصريح الثلاثي ، وكافة أشكال الدفاع المشترك . . . ثم بإطلاقه الحريات . . . وأخيراً تضجيره الوضع إلى حد القيام بأعمال مسلحة ضد الانجليز . . . (اشترك فيها وزير الداخلية) . . . ثم إن عملية الإزاحة ، حتى إذا تطلبت بعض المهرجانات الشعبية ، إلا أنها يجب أن تتم في إطار محدود ونمت السيطرة الكاملة حتى لا ينفجر الموقف وتتحول إلى إزاحة شاملة لكلا الاستعماريين المتنافسين . . . وكان واضحاً أن الوفد لم يعد يسيطر على الشارع ، بل أصبح الشارع يسيطر عليه ويعمله فوق أمواجه الهادرة . . . كذلك فإن التعاون مع الوفد أو الأحزاب الأخرى كان يعني تعاوناً سياسياً مكشوفاً في ظل مؤسسات سياسية ودستورية علنية وملزمة أو محكومة بقواعد النظام الديمقراطي الموجودة وقتها ، الأمر الذي يعني شل يد أي حكومة عن عقد صفقة حتى ولو كانت أفضل الممكن ، فلا شك أن التصور الأولي التي عرضها صديقي باشا كانت أفضل من . عدة نواح . من اتفاقية عبد الناصر ولكن الشعب رفضها ، وأسقطتها الأحزاب . . . ولا يمكن في ظل نظام حزبي وبرلمان ومعارضة وصحافة حرة إعطاء تعليقات من السفارة للحكومة المصرية دون إثارة الجهاير ، وكذلك لا يمكن شطب وحدة وادي النيل أو اغمس بفيثو على رئيس الوزراء المرشح !! كان لابد لكي تتم عملية الإزاحة من ضرب الحركة الوطنية وتشيت القوى الشعبية ، وتعطيل الحياة السياسية ، وحل الأحزاب والنقابات ، ووضع السلطة في يد ديكتاتور لا يؤمن بالفصل بين السلطات . . . حتى يمكن إتمام « الإزاحة » بدون خسائر ، وهذا لا يتحقق إلا بانقلاب عسكري . . . « بمكسة » وهذا ما جعل ال CIA تلجأ للجيش ولتنظيم ناصر^{٢٨} .

وهكذا نرى أن أكثر من طرف كان يحاول كسب الأمريكان ، ولكن لا يجوز وضعهم جميعاً في سلة واحدة ، فهناك فارق بين محاولة تشرشل اقتسام الشرق الأوسط أو إغراء الأمريكان بقبول قسمته هو ، وبين محاولة ملك تأمين عرشه والاحتياط ضد ٤ فبراير آخر ، وبين محاولة مشروعة ومطلوبة لحكومة دستورية باستغلال التناقضات الدولية لتحقيق أهداف مصر . . . فذلك كله يختلف عن سعي صحنفي أو سياسي أو ضابط بالقوات المسلحة إلى المخابرات

• كذلك رفضت حكومة الوفد احتجاجاً من بريطانيا وأمريكا وهولندا والنرويج وفرنسا في ٢٥ أغسطس ١٩٥٠ على القيود التي فرضتها مصر حول الملاحة الإسرائيلية أو من وإلى إسرائيل في قناة السويس .

على أية حال كانت القوى الوطنية في المعارضة قد اتخذت موقفاً مخالفاً ، فقد وجدت رفضها لكلا الاستعماريين ، ونجمل ذلك في اللفظ الذي انتشر في أدبيات تلك المرحلة وهو « الاستعمار الأنجلو أمريكي » . . بل لا نذهب بعيداً ، إذا قلنا ، إن الحركة الوطنية كانت تركز في شعاراتها أكثر ضد الاستعمار الأمريكي وإن كانت الاصطدامات الفعلية ، تقع ، مع الاستعماريات القديمة (بريطانيا وفرنسا) ذلك أن مسار المعارضة كان يعادي أمريكا إما تضامناً مع الاتحاد السوفيتي في الحرب الباردة المستمرة في تلك السنوات ، أو عن وعي سليم بأن الولايات المتحدة هي قائدة المعسكر الاستعماري ووريثته ، وأنها تحاول إحلال صيغة أكثر قدرة على القمع محل الاستعماريات الشائخة ومن ثم فالاستعمار الأمريكي أخطر وأجدر بالثبته والمقاومة* أما بين المعارضة ، فكان يعادي أمريكا لذلك ولموقفها من إنشاء إسرائيل وما نزل بالشعب الفلسطيني والدول العربية من إبادة وطرد وهزيمة . .

وقد انعكس تفكير المعارضة بشقيها على المنظمات السياسية في الجيش بما فيها تنظيم الضباط الأحرار الذي استمر فترة يصدر منشوراته ضد « الاستعمار الأنجلو - أمريكي » إلى أن اتفقت قيادته مع المخابرات الأمريكية CIA فتقرر إعفاء الشق الأمريكي والتركيز على مهاجمة الاستعمار البريطاني وحده ويجدر بنا أن نتوقف هنا عند نقطتين :

○ هز هيكل لأعطائه ذكاء وشهامة في غياب « الملك » الذي لم يفهم قوة الأمريكيين وأنهم هم المستقبل لمن أراد أن « يتشعلق » بقطار التاريخ فيقول : « لم تكن النظم الحاكمة في العالم العربي قادرة على فهم ما يجري في العالم من حولها وعلى استيعاب دلالاته ، وليست مصادفة أن الملك « فاروق » على سبيل المثال ضمن الحكم العرب ، اختار هذا الوقت لكي يعرض على بريطانيا تحالفاً استراتيجياً طويل المدى »^٩

ولا نجد مبرراً للشهامة أو الشعالي على الذين لم يستطيعوا التحالف مع « الراجيون » ولا ربط عجلتهم « بالجاين » . . فصحيح أن اختيارات هيكل تبدو - الآن - بمنطق الشيطان ، أذكى وأربح . . ولكن المواقف السياسية والتحالفات والراجيون والجاين ، أحداث لا يحكمها الذكاء ولا حتى الاختيار الحر . . وربما كانت دعوة فاروق للتحالف الاستراتيجي مع بريطانيا هي أذكى مواجهة للخطر الأمريكي - الإسرائيلي الزاحف . وأذكى بد مدت لإنقاذ بريطانيا من المصير الذي كتبه تطورات اقتصادية وتكنولوجية وعسكرية خلال نصف قرن سابق على الانسحاب من اليونان ولكن التناقضات التاريخية بين المصالح العربية والبريطانية كانت تجعل هذا التحالف مستحيلاً ما لم يتسع الطرفان ببعد نظر يتفوق الممكن واقعياً ، فقد كان هذا التحالف يقضي التسليم بمطالب الحركة الوطنية في مصر ، أي تصفية

* يمكن الرجوع لكتابنا « الجبهة الشعبية » الصادر عام ١٩٥١ فيه عرض لا بأس به للفكر السياسي لمسار في تلك الفترة .

الامبراطورية لصالح القوى الوطنية العربية ، وليس لصالح الامبريالية الأمريكية ، كانت بريطانيا - تشرشل ، أعجز من أن تفهم أو تقبل هذا الحل ، وكانت مصالحها الأخرى وخضوعها لأمريكا ، وتشبها بالنهج الامبريالي ، تملي عليها قبول « تسوية » لصوص مع أمريكا على المقامرة بتسوية شريفة مع أصحاب المصالح الحقيقية . فلأن يد بريطانيا كانت مثقلة بالأطماع وخطايا التاريخ بقيت يد الملك فاروق معلقة في الهواء حتى قطعها الأمريكان بسيف عبد الناصر .

○ النقطة الثابتة التي نعتقد أنها تحتاج لبعض التوضيح قبل أن ندخل في مناهات الناصرية ، هي عملية مصدق في إيران ، فهناك أكثر من علاقة وسبب للمقارنة بين ما جرى في طهران وما جرى في القاهرة . . وإذا كان دور أمريكا أو الـ CIA في إسقاط مصدق قد أصبح أكثر من معروف . بل حقيقة شائعة ذائعة ، على نحو جعل البعض يصنفها ضمن أسباب الثورة الإيرانية ، لما شكلته من إهانة للكرامة الإيرانية أن يتباهى الأمريكيون بأن فرداً أمريكياً هزم نورهم ونصب شاههم على عرشه . . إلا أن أسباب إسقاط أمريكا لمصدق تحتاج إلى كلمات . . فالمعروف أن الولايات المتحدة أيدت مصدق في البداية . وأيدت حتى إيران في تأميم النفط وساعدته على مقاومة الضغوط البريطانية (رفعت أمريكا مساعدتها المالية لإيران من أقل من مليوني دولار قبل التأميم إلى ثلاثة وعشرين مليوناً وأربعمائة ألف دولار بعده . . وذلك لتخفيف آثار انقطاع مدفوعات الشركة الانجليزية . .) ومنعت بريطانيا من حسم الموقف بالبورج (حذر دين اتشيسون وزير الخارجية الأمريكي بريطانيا بأن الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة اليدين أمام غزو بريطاني لإيران . وقال مؤلف « نهاية امبراطورية » : « كان رأي ترومان واتشيسون أن إرسال البورج لفرض عقد تجاري هو عمل متخلف عن الواقع مائة سنة »^{١٠} ، وهددهم بايرود في نوفمبر ٥٢ بأنهم إذا لم يتفقا مع إيران فإن الحكومة الأمريكية قد تشتري النفط الإيراني^{١١} بل وحثت الحكومة الشركات الأمريكية على شراء النفط الإيراني وأغرتهم باستخدام سلطات رئيس الجمهورية لإلغاء قضية كانت أمام المحاكم الأمريكية ضد هذه الشركات بتهمة الاحتكار ، ومعروف أن الأزمة انتهت بحصول أمريكا على حصة الأسد في النفط الإيراني ، واستسلام بريطانيا ونسليمها بانتقال إيران إلى الدائرة الأمريكية مع الاعتراف لها بالمركز الثاني . . ولكن تبقى - كما قلنا كلمة عن الأسباب التي أدت إلى انقلاب الأمريكان على مصدق وسقوطه ويمكن تلخيص ذلك في الآتي :

○ إن أية تسوية تفرضها الولايات المتحدة تتطلب قدراً من المساومة مع بريطانيا . . ولكن مصدق الذي لم يأت للحكم بمؤامرة دبورها المخابرات الأمريكية بل كمرحلة في الصراع الطويل جداً بين القومية الإيرانية والاستعمار البريطاني .

ومن ثم لم يكن بوسع قبول أو فرض تسوية مع بريطانيا . . أو كما يقول مؤرخ نهاية

امبراطورية : « لو قبل مصدق ما عرضه عليه البنك الدولي أو الأمريكان لثقل دعباً أمريكياً ولواجه الضغط البريطاني . . ولكنه كان قد ارتبط أمام شعبه بأن أي حل أقل من السيطرة الكاملة على النفط يعني الخيانة . . »

○○ وما كان يوسع مصدق المساومة ولو أراد . . لأن ذلك كان مستحيلاً في ظل مجتمع ديمقراطي في ظروف الائتلاف الوطني ، تماماً كما فشلت كل حكومات ما قبل ناصر في قبول تسوية مع بريطانيا . ولم ينجح ناصر في فرض اتفاقية الجلاء وفصل السودان إلا بعد أن حل الأحزاب وألغي الدستور وحول الصحافة إلى نشرات حكومية ووضع المعارضة في السجن . . أما في إيران فقد استمرت الأحزاب* والصحافة والمعارضة وحرية التعبير . . ولما حاول مصدق أن يجد من حرية الحركة للمعارضين في البرلمان استجار من الرضاء بالنار ، إذ ضرب البرلمان بالشارع ومن ثم أصبح الشارع أعلى صوتاً من النظام كله ، وأبعد من قدرة « الدكتور » على السيطرة وبالتالي كان يستحيل عليه عقد « صفقة » ومرة أخرى ، حتى لو أراد**.

○○○ ويعكس ناصر الذي قدم من وقت مبكر جداً رأس الشيوعيين والإسلاميين صدقة بين يدي الطاغوت الأمريكي ، فإن « مصدق » رأى الاعتقاد على حزب « توده » وآيات الله في مواجهة الانجليز ومساومة الأمريكيين ، الأمر الذي أفرغ الولايات المتحدة وكانت تعيش حمى المكاثرة . وقد استخدمت بريطانيا وأمريكا عملاءهما في حزب « توده » لاستفزاز الجماهير المسلمة . فقد علق هؤلاء صورة لينين وكتبوا تحتها : « هذا هو إمام البشرية الحق » ! وكتب آخرون شعارات يسقط الإسلام ونجس الشيوعية ! . .

وأخيراً . . موقف شركات البترول الأمريكية التي رفضت إغراء الحكومة الأمريكية لها بشراء النفط الإيراني*** وقد يقال إن السوق كانت تواجه فائضاً في الإنتاج وقتها . وأن النفط

● وإن كان تشكيله السياسي أو الجبهة الوطنية كان يعج بعملاء الأمريكان والانجليز وزوج بته بختيار عرف بعد ذلك أنه عليل للمخابرات البريطانية ، وهذه الحقيقة ساعدت على فهم ارتباطات بعض الشخصيات التي رفعت شعار . . بختيار هو الحل . . غضب خلع الشاه عام ١٩٧٩ وكذلك في فهم تطورات تلك المرحلة التي حاولت فيها بريطانيا استعادة ما كان لها . . وهو حديث يطول جداً . .

●● لما حذر الفلوس الأمريكي ، الدكتور مصدق ، أنه سيعود خاوي الوفاض بسبب تصليه . . رد مصدق : « ألا ترى أنني بذلك أعود أقوى مما لو حملت « صفقة » أحاول إقناع أنصاري من المتطرفين بشيها ١٧ ١٩ »

●●● في نوفمبر ١٩٥٢ لمحت الخارجية الأمريكية للشركات بأنها لن تعارض شراءها للنفط الإيراني ، ولكن الشركات رفضت بل ودخلت في حرب مع « أوناسيس » صاحب ناقلات النفط المشهور لأنه حاول نقل النفط الإيراني المزمع .

الأمريكي ، وخاصة السعودي ، كان في أسعد أوقاته بغياب النفط الإيراني من الساحة ، ولكن في اعتقادي أن الشركات خافت من انتصار دعوى تأميم النفط وانتشارها . . . وفي نفس الوقت كانت ترى أن وقف إنتاج الشركة البريطانية ، كافٍ جداً للضغط عليها لقبول التسوية بالصيغة الأمريكية التي تعطيها - أي الشركات الأمريكية - حصة الأسد دون حاجة للوصول بالصدام إلى الحد الذي « بشتت » الأعداء ، ويضد أخلاق « الأولاد » . . . ولذلك لم نجد حاجة إلى التسرع بنهب البراميل وقد ضمنت حصة في الأبار . ويقول مؤرخ أمريكي : « إن الشركات لم تثق في استعداد مصدق لقبول تسوية أقل من التأميم الكامل الحقيقي » .

وهكذا فشل مصدق في تصفية الشركة البريطانية وعجز عن قبول تسوية معها بعكس ناصر الذي نجح في قبول وفرض كل ما طلبه السفير الأمريكي مراعاة « لخطره » بنص عبارة هيكل . . .

وهكذا تحتمت تصفية مصدق ، وإقامة شاء « ناصري » بضرب الشعب وقبيل « الصنفقة » وفرض الإصلاح الزراعي . . . والغريب أن الفاعل واحد !

نعود لحديثنا عن عشية انقلاب يوليو فنقول :

زاد نفوذ الأمريكان وقدرتهم على التأثير في الفترة من يناير ١٩٥٢ إلى يوليو ١٩٥٢ بسبب ضرب الحركة الثورية ، وانفراد الملك بالسلطة ، وكان نفوذهم عليه يزداد ، مع ازدياد غيظه من الانجليز ورغبة منهم ومن تدهور الوضع الداخلي ، وأيضاً لما قدموه له من وعود . . . وما أدخلوه عليه من العقلة بأنهم يدبرون له انقلاباً يطلق يده . . .

وتعزز مركز الأمريكيين في مواجهة الانجليز بسبب الفشل الواضح للأخريين ، الذين لم ينقذهم إلا حرق القاهرة ، ولكن إلى حين . . . لم يكن بوسع الانجليز الاستمرار في التعالي بأنهم أصحاب الدار ، يعرفون المصريين أفضل ، وأكثر قدرة على التعامل معهم . . . بل وجد سفير أمريكي يتحسر على « عدم فهم الانجليز للوضع في مصر ! » . . . واتجه الانجليز مرغمين إلى طلب النصيحة والمساعدة الحسنة من الصديق اللدود ، أو العدو الذي ما من صداقته بد . . .

والتأمل في وثائق هذه الفترة ، سيلاحظ على الفور أن الأمريكيين يلحون في اتجاه واحد هو خطر الثورة ، أو الفوضى كما يسمونها ، وأن سيطرة الملك وهمية ولا يمكن الركون إليها ، والأمر الثاني أن النظام القائم غير قادر على المساومة أو قبول ما يعرضه الانجليز . . . وبالطبع يمكن استنتاج ما الذي يرمي إليه الأمريكيون ، وهو حتمية إسقاط النظام ، ونفهم من حوارهم ، أن الانجليز لم يكونوا مرتاحين لهذا الحل ولا يريدونه ، فهو على أية حال نظامهم ، صنعوه على أيديهم وتعايشوا معه ، وهم معه علاقات ومعاملات ، ولا أحد يحب

المجهول ، خاصة إذا كان المطالب به والتعهد تنفيذه هو هذا اللوح المزاحم ، المعلومة أهدافه في كل مكان تقدم فيه « متطوعاً » للإنقاذ !

وهاهو وزير خارجية أمريكا دين تشيسون يلخص الاجتماع الرابع بينه وبين أنطوني إيدن وزير خارجية بريطانيا ٢٨/٦/١٩٥٢ في الآتي :

« هل أنا على صواب إذا قلت أننا جميعاً متفقون على أنه إذا كان الوضع هادئاً الآن في مصر فربما لن يكون كذلك في الحريف* . وأيضاً إن قضية اللقب (ملك مصر والسودان ج) هي أصعب مشكلة من وجهة نظر المصريين وأن العراق وباكستان واليونان اعترفوا حديثاً باللقب وربما تعترف إيطاليا وبلجيكا وتركيا »^{١٣} .

وقد يبدو غريباً أن يحرص وزير خارجية أمريكا على « تخليف » إيدن أنه وافق على احتمال « تدهور » الوضع في مصر أو عودة الثورة . . ولكن لا غرابة . . فإن الانجليز ظلوا متشبثين إلى آخر لحظة بأن الوضع غير ميثوس منه ، وأنه لا داعي لهذا القلق الأمريكي غير المشكور ! ففي الاجتماع السابق ، سأل « اتشيسون » « إيدن » ألا يتوقع تدهور الوضع في مصر في الحريف ؟ فرد سبر « رالف ستيفنسون » ، السفير البريطاني في القاهرة إنه لا يتوقع ذلك فالبوليس ثم تعزيزه بمعدات مكافحة الشعب التي قدمتها الولايات المتحدة . ربما إذا وقعت اضطرابات في جميع أنحاء البلاد فقد تكون فوق طاقة سيطرة الحكومة المصرية . ولكن هذا غير محتمل فهو يعتقد أن أية حكومة انتقالية ستحل محل حكومة الهلالي ، ربما ستركز على مشكلة إعادة توزيع الأرض وبذلك تحرف الأنظار عن النزاع الأنجلو - مصري » .

ولكن صاحب الحاجة ملحاح ، واتشيسون يريد الوصول إلى اعتراف بخطورة الوضع واستحالة معالجته في إطار النظام القائم ولا حتى بمساعدة من البريطانيين فيقول : « إنه يفضل أن يتعامل المصريون مع الاضطرابات بدلاً من البريطانيين » . ويوافق السفير البريطاني متحفظاً بأنه « مجرد معرفة أن الانجليز على استعداد للتدخل (احتلال مصر) عند الضرورة هو رادع للاضطرابات » فيصر اتشيسون : « أن استخدام القوات البريطانية في الدلتا سيكون له نتائج خطيرة في الشرق الأوسط لا يمكن حسابها . . ويرد ستيفنسون إنه لا مجال لاستخدام القوة العسكرية البريطانية إلا إذا فقدت السيطرة على الوضع أو جاء طلب تدخلها رسمياً من الملك أو الحكومة المصرية ولو أنه لا يعتقد في إمكانية صدور هذا الطلب . . فقد أخبره الملك بعد اضطرابات ٢٦ يناير أنه لن يطلب أبداً تدخل القوات البريطانية لأن مثل هذا الطلب سيصمه بأنه « كويسلنج » ولكن إذا أصبح الوضع خارج سيطرته فيعلم ستيفنسون بذلك . وهنا قال المستر إيدن إنه لا يتوقع إفلات الزمام ووافقه ستيفنسون قائلاً : إن ٢٦ يناير قد علم المصريين درساً »^{١٤} .

● موعد افتتاح الجامعة والمدارس وعيدة النشاط السياسي في مصر عادة بعد عطلة الصيف . ولذلك جاء الانقلاب في الصيف .

واستمر الدق الأمريكي :

« في اجتماع وزير الخارجية بتاريخ ١٩٥٢/٦/٢٤ سأل وزير الخارجية الأمريكي :
« أليست نهاية الطريق الحالي هو أن تخسر مصر السودان وتغسر بريطانيا القاعدة » . وقال :
« إن معلوماتنا تؤكد أن الملك ورئيس الوزراء الحالي لا يتمتعان بقدرة مطلقة لحفظ النظام
والقانون »

من نائب وزير الخارجية الأمريكي للوزير ١٤/٥/٥٢ : « إن آخر ورقة بريطانية في مصر
لعبت والنتيجة هي الجمود ونحن نرى الوضع على النحر التالي : إن قضية القناة والدفاع
لا يمكن حلها بدون حل ما لقضية السودان أي اللقب وكافري وستيفسون لا يشكان في
ذلك . والنتيجة هي عدم اتفاق يمكن أن يجدد التطرف في مصر وانهار الحكومة وإضعاف
ولاء الجيش وسلطة الملك أي إطلاق انداز الحريق في العالم العربي » .

وترفع نغمة التهديد : « بانهار عام في مصر سيجعل الأمور أصعب ليس للبريطانيين بل
ولنا أيضاً ، كما حدث في الهند الصينية ، وكما حدث في إيران وتونس ومراكش . . الخ . .
أي إضعاف القوة المشتركة التي نحاول جميعاً خلقها » .

من السفير الأمريكي في مصر (كافري) إلى وزارة الخارجية الأمريكية

سري

القاهرة ٨ مارس ١٩٥٢

« إنني مهتم بسوء الفهم البريطاني للوضع في مصر ، فهذا الحديث عن إزالة
الفساد والتحريك ضد الوفد عظيم جداً ، ولكن هذا كله لا يجيب على سؤال :
هل ستميش حكومة الهلالي أم لا . . فهذا يتوقف على نتائج المحادثات المصرية -
البريطانية . فإن لم تثمر شيئاً ، - وهو الأرجح - مادامت بريطانيا متمسكة
بموقفها الحالي ، فإن علينا أن ننسى أي أمل في الاستقرار في مصر ، أو تحول مصر
إلى موالاة الغرب بل إن احتمال الثورة والفوضى الشاملة في مصر ، أمر لا يمكن
استبعاده ، نحن نقرب بسرعة من نقطة اللاعودة وإذا مضت مصر في هذا
الطريق ، فالشك كبير جداً في قدرة بقية الشرق الأوسط على الصمود » .

○ من هذه المذكرة نتبين بوضوح أن الهدف المشترك عليه بين الانجليز والأمريكان هو
« التحريك ضد الوفد » أما الخلاف فهو : هل تستطيع حكومة الهلالي ضرب الوفد إذا
ما رفض الانجليز تدعيمها ببعض التنازلات ؟! الأمريكيان يشكون في ذلك بل يقطعون
بمعجز حكومة الهلالي عن تحقيق الهدف المشترك وهو ضرب الوفد .

○ مصر من وجهة نظر السفير الأمريكي حبل بشورة ضد المصالح الغربية . . ثورة شاملة
ثورة حقيقية . . ولا بد من إجراء ما ، يحول دون هذه الثورة . .

وفي نفس الرسالة وضع السفير الأمريكي الذي يوصف بأنه خبير في إجهاض الثورات

وتدبير الانقلابات ، وضع تقديراً للموقف في مصر بعد تولي الهلالي جاء فيه :
١ - إن حكومة الهلالي من وجهة نظرنا هي حكومة مختارة ، ومع ذلك فإنها لم تأت للحكم بإرادة شعبية بل بفعل مؤامرة سياسية ، وخاصة أن مطاردة الوفد هي هدف جانبي لهذه الحكومة وتبته أساساً عن اقتناع بأن الإنجليز يطلبون ذلك .
٢ - برنامج الهلالي عن الحكومة الصالحة أكثر جاذبية للغرب منه للمصريين الذين يعرفون

أن الإصلاح والحكومة الصالحة هي مجرد شعارات سياسية وليست حقائق .
٣ - أن كل الأهداف النبيلة للحكومة الهلالي عن مقائلتها للوفد يجب أن ينظر إليها في ضوء الحقائق التالية :

أ - الوفد والإخوان وحدهما يمتلكان تنظيمات قوية ، أما الهلالي فليس معه إلا تنظيمات جد ضعيفة للسعيدين والأحرار الدستوريين .

ب - الإصلاحات الحكومية التي ينادي بها الهلالي تنتج آثاراً يمكن للمشاعيين استغلالها في المدى القصير لأن نتائجها لا تظهر إلا على المدى البعيد ، والهلالي ليس لديه الوقت الكافي لجني ثمارها .

ج - هناك كميات كبيرة من الأسلحة غير المرخصة في يد الأفراد .
د - الطلبة المعبثون بالكراهية والسخط على استعداد لاتباع أي ناعق مضلل بعدهم بالخلاص .

هـ - الفلاحون ، وأحوالهم المعيشية معروفة إلى درجة تغني عن التذكير ، يتطلعون إلى القاهرة بعين الترقب .

و - طالما الجيش على استعداد لإطلاق النار فإن النظام يمكن حمايته في القاهرة ، ولكن إذا قرر الوفد إثارة الاضطرابات في الأقاليم فإن الحكومة لا تملك القوات الكافية لإطفاء النار في كل أنحاء البلاد ، ورغم تعزيز البوليس أخيراً فلا يمكن الاعتماد عليه ، وإذا كان موقف الجيش إيجابياً حتى الآن ، إلا أن هناك شكوكاً حول ما إذا كان صغار الضباط سينفذون بفعالية أية أوامر تصدر إليهم باستخدام القوة ضد الوفد .

ز - هناك خطر جد حقيقي بأن يقيم الوفد حلقاً غير مقدس مع الإخوان المسلمين أو الشيوعيين أو هما معاً لا تستطيع حكومة الهلالي مواجهته .

ح - يعمل الوفد الآن على تشجيع النشاط ضد القصر وصيغ الهلالي بلون العميل للقصر والانجليز ، وهذا النشاط (الوفدي) قد يسبب تدهوراً في نفوذ الملك الذي كان أحد المصادر الأساسية لاستقرار مصر بعد حوادث ٢٦ يناير .

ط - ولو أن الشرط الأول الذي وضعت بريطانيا لاستئناف المفاوضات قد نفذ ، واختفى الإرهابيون من منطقة القناة ، وإن كان ذلك ميراث كفاءة حكومة علي ماهر ، إلا أن عناصر التخريب هادئة فقط لاعتبارات سنهار إذا ما عجزت حكومة الهلالي عن تقديمها .

٤ - وعلى ضوء هذه العوامل فقد اقتنع اهلاي بأنه لا يستطيع ضرب الوفد إلا إذا أحرز نجاحاً في تحقيق الأهداف الوطنية التي تحدث في الجلاء ووحدة وادي النيل .

جيفرسون كافري
مدير الولايات المتحدة

مارس ١٩٥٢

ويشتر السفير الأمريكي فيما يبدو الآن ، وكأنه هستيريا ، ولكن وقتها ، وفي ظل الإمكانية الحقيقية لانفجار ثورة مصر الكبرى . . الثورة الصادقة ، فإن إندارات السفير الأمريكي لا يسهل وصفها بالمبالغة الشديدة .

« إذا استمر اتجاه التفكير البريطاني الحالي ، فيتوجب علينا أن نواجه حقائق الموقف ، ونحدد إلى أي مدى يمكننا في ظل التزاماتنا في شتى أنحاء العالم ، إبلاغ البريطانيين أننا مضطرون إلى فك ارتباطنا بهم في الشرق الأوسط ، لأننا نعتقد أنهم مخطئون فيما يفعلون . فإذا لم تكن مستعدين لتوجيه هذا التهديد بكل وضوح فمن الأفضل ألا نحاوله ، إذ لن يفيدنا التهويش .

« وربما كان الاعتراف المفرد من جانب الولايات المتحدة بلقب ملك السودان يمكننا وحدنا من الاحتفاظ بمصر على هذا الجانب من الستار الحديدي ! أما الخيار الثالث ، فهو الانضمام إلى البريطانيين في الاحتلال العسكري لمصر ، هذا الاحتلال الذي يقول البريطانيون إنهم لا يستطيعونه بمفردهم . ويبقى الخيار الرابع ، وهو تهينة أنفسنا لقبول حتمية الخروج من مصر والشرق الأوسط . . وإذا كان هذا هو ما سيحدث ، فأعتقد أنه قد آن الأوان لبحث تصفية استثمارنا وتقصير خطوطنا . . وكلما أسرعنا في ذلك كان أفضل ! !

السفير الأمريكي يحذر من ثورة لا تبقي ولا تذر ، يقودها تحالف من الوفد والإخوان والشيوعيين . . والغريب أنه بعد ٣٥ سنة مازال هذا هو عين الخطر الذي يخشونه . . وقد يكون بعض الخل الذي مازلنا - أيضاً - نريده . . فالتاريخ يكرر نفسه في بلادنا !

وأظن أن الأمر لا يحتاج لتحليل ولا لكبير ذكاء لمعرفة ما الذي يقترحه السفير الأمريكي ، إنه يحاول إقناع حكومته لتفنع الانجليز . أن الحلول البريطانية الترفيعية غير مجدية وفات أوانها ، وأنه لابد من قوة جديدة لها من الشعبية ومن الفجور ما يمكنها من ضرب الوفد والإخوان والشيوعيين وإجهاض الثورة المتجمعة في الأفق ، وفرض التسوية التي تقبلها جميع الأطراف المعنية بإبقاء وحماية المصالح الاستعمارية في الشرق الأوسط . . وأخيراً إطلاق يد الولايات المتحدة لتجربة أساليبها ، ووضع هذه القوة الجديدة في السلطة ، وهذا ما حدث بانقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . .

فإلى هناك . .

المراجع

- ١ - حديث مع إبراهيم باشا فرج نوفمبر ١٩٨٦ .
- ٢ - دراسة قيمة للدكتور على عبد العزيز سليمان نشرت في مجلة الأهرام الاقتصادي عدد ١٩٨٦/١٠/٢٠ .
- ٣ - الانحدار إلى السويس : شوكنبرج ص ٢٩ Descent to Suez : Evelyn Shuchbourgh
- ٤ - ص ١٦ قطع ذيل الأسد .
- ٥ - روجر آلن ١٩٥١/١١/١٧ .
- ٦ - ص ٦٩٥ ملفات السويس .
- ٧ - رسالة لوزارة الخارجية البريطانية ١٩٥٢/٧/٣ .
- ٨ - انظر أمين هويدي .
- ٩ - ص ٩٩ ملفات السويس .
- ١٠ - End of Empire. By : Brain lapping
- ١١ - الانحدار للسويس :
- ١٢ - باري روين ص ٦٨ .
- ١٣ - وثائق الخارجية الأمريكية .
- ١٤ - ن . م .

الملاحق

- م^١ - لم يحظ الملك فاروق ، إلى الآن ، بدراسة موضوعية من المؤرخين أو المحللين المصريين ، وكان هذا متوقعاً إلى حد ما في ظل الكبت الفكري الناصري ، ولكن لا يجوز استمراره بعد زوال هذا العامل ، ولنا بصدده هذه الدراسة ولكن تشير إلى هذه الحقائق :
- فاروق خلع من العرش وعمره ٣٢ سنة !
 - فاروق تعرض لحملة إعلامية واعية لتحطيم سمعته من هذه الجهات :
- الصهيونية بسبب قيادته الموقف العربي في حرب فلسطين ١٩٤٨ ، ورفضه الاعتراف بإسرائيل

ووجهه بخطرهما . وفي معاهدة له في نوفمبر ١٩٤٩ مع الأمريكيين طرح فكرة ميثاق الدفاع العربي وحدد أهدافه هكذا :

أولاً : فلسطين . . وثانياً : روسيا ، وقال إنه « يتوقع سعي اليهود إلى احتلال سيناء والقناة وأنه لن يقف مكتوف اليدين ويريد فرقة مدرعة للقتال » . وقد نشرنا محادثته مع السفير الأمريكي وأصراره على رفض الاعتراف بإسرائيل (مجلة الحوادث ١٩٧١) وفي وثائق الخارجية الأمريكية أن أبا أيان ابلغ الوزارة في ٣١ يوليو : أن خلع الملك لا بضرب إسرائيل لأن الملك تبني موقف العرب المتصلب ، كما أصدر تعليماته لسفرائه بأن يسقطوا من حسابهم أي احتمال للسلام مع إسرائيل .

انجلترا : وقد شنت حملة شعواء ضد الملك فاروق ، من ناحية لمحاورة نفوذه في العالمين العربي والإسلامي ، وبالأساس نفوذ مصر . وثانياً : لتبرير موقفها منه خلال الحرب العالمية الثانية ، وثالثاً : لمواجهة مطالبة مصر بوحدة وادي النيل تحت التاج المشترك وهو تاج فاروق ، ومن ثم فإن تشويه سمعة فاروق تشوه مكانة واحترام « التاج » وقد أشرنا في فصل السودان إلى حملة الموظفين الانجليز هناك ضد شعار التاج المشترك Joint Crown واستخدام شعار : Joint Clown للسخرة من الشعار والملك . وكيف كان حاكم السودان ومحمد حسين هيكل يروجان أن حكومة الانجليز أفضل للسودان من حكومة مصر !

وأخيراً تعرض الملك لحملة تشويه مكثفة من المخابرات الأمريكية تمهيداً لخلعه .

فإذا وضعنا كل هذه الاعتبارات في الحسبان وأضافنا إليها حاشية الملك التي كانت تضم أوباشاً ومرتزة وجواسيس لشتى المخابرات ، وفي مقدمتهم لبناني قواد من الذين يلتصقون كالبهارسيا بالملوك حتى يسلبوهم ملكهم . . ثم النظام السياسي ، وطبقة المستورزين من حثالات أحزاب الأقلية أو المستقلين الذين أغروهم بالاستبداد ، وبالاستهتار بالنظام الدستوري ، كل هذه العوامل بحاجة إلى دراسة موضوعية نقيم فعلاً دور السراي في السنوات الأخيرة ، وحجم مسئولية فاروق ورجال القصر ، وفي مقدمتهم « علي ماهر » الذي جاءت الثورة به إلى الحكم ولو إلى حين . بل لعلنا لا نطلب كثيراً من مؤرخينا لو وضعوا دراسة شاملة لدور السراي منذ محمد علي .

م^٢ - في أوائل عام ١٩٥٠ اقترح الرفيق « س . . » إنشاء حزب للفلاحين يرأسه « خالد محمد خالد » الذي كان وقتها ، يمثل شخصية أسطورية خرجت من ملفات الثورة الفرنسية ، وقد تم لقاء بين الرفيق س . . وخالد محمد خالد ووافق الأخير فعلاً على الفكرة وكان واضحاً أنه يدرك هدف الحزب الشيوعي الذي كان يمثل « س . . » في هذا الوقت ، ولكن قيادة الحزب الشيوعي جنت ونحلت عن الفكرة بل واتهمت « س . . » أنه يحاول عمل تنظيم منافس للحزب ، والاحتفاظ بالخلايا التي كان « س . . » نفسه قد كونها في الصعيد (ملوي أساساً) ومن هذا التاريخ انسحب « س . . » من الحزب الشيوعي . ولذا يرجح من يتناولون كتابات « س . . » في تلك الفترة أن يراعوا هذه الحقيقة ، فهي بلا شك متأثرة بخط الحزب ولكن لا تعبر عن رأي الحزب ولا صدرت بإيعاز منه ، بل يمكن القول إنها بلا استثناء كانت ضد إرادة الحزب وصدرت قرارات بحظر قراءتها على الأعضاء الملتزمين .

ومن الغريب أن مؤرخاً في علم وحيدة الأستاذ طارق البشري يذل جهداً لا يبرر له في البحث عن صلة كتاب « الجبهة الشعبية » بالحزب الشيوعي . مع أنه كتب على غلافه بصريح العبارة : « هذا رأي محمد جلال الشخصي ولا يعبر عن رأي أي حزب أو تنظيم » ، ومن المنع أن نفس الشخص الذي طلب وأصر على أن توضع هذه العبارة على الكتاب تبرؤا منه ، عاد بعد ثلاثين سنة يتحلل الكتاب ويزعم أنه كان من توجيهات الحزب !

صلى أبي « من جلس حيث يحب وهو صغير جلس حيث يكبر وهو كبير » . والعكس صحيح !

م^٣ - مما هو جدير بالملاحظة أن كتاب « Descent to Suez » « التردى إلى السويس » لمؤلفه « ابفيلين شو كبرج » وهو عبارة عن يوميات المؤلف في الفترة من ٥١ - ٥٦ حيث كان يشغل منصباً هاماً في وزارة الخارجية هو رئيس السكرتارية الخاصة للوزير . من العجيب أن اليوميات لم يرد بها حرف عن حريق القاهرة وكأنه لم يقع !

ذلك أن الجتلمان الانجليزي يحرق عاصمة ولكنه لا يكذب على التاريخ ومن ثم فهو يتحول إلى القرد الذي لا يسمع ولا يرى ولا يؤرخ !

م^٤ - من محاولات التزوير الصارخة حكاية الخطة « رودير » ، أساذ القبركة ، بدعي أن الخطة وضعت ضد حكومتهم (حكومة ناصر) بينما حقائق التاريخ والوثائق تثبت أنها وضعت ضد حكومة الوفد وكانت معدة للتنفيذ ليلة حرق القاهرة . وقد تعرضنا لذلك في موضعه ، ولكنه أيضاً حاول أن يخفي السبب الذي منع بريطانيا من تنفيذ تلك الخطة في عهد ناصر - أي احتلال مصر - فرها بسبب الشعب المصري والجيش المصري : « لأن الحكومة الآن في القاهرة غير الحكومة ، والشعب غير الشعب . والجيش المصري في هذه المرة سوف يكون بالكامل مع حكومته » ص ٢٤٢ ملفات .

وكان يكفي لكي تكشف كذبه وافتراءه ، أن نصفه بسؤال . . . ولماذا لم تنفذ بريطانيا الخطة قبل الانقلاب والحكومة غير الحكومة . . الخ ! هو احتياط لذلك بأن أجرى تعديلاً « بسيطاً » في تاريخ الخطة فنقله من ديسمبر ١٩٥١ إلى ما بعد الانقلاب ! !

الشعب غير الشعب . . !

ومتى كان لتلك معرفة بالشعب ! ؟

إن كنا مستحدث عن قدرة الشعب على التعبير والمشاركة والمواجهة فأي مزور يجرد على ادعاء أن الشعب « الحر » في عام ١٩٥١ كان أقل قدرة أو رغبة في مقاتلة الانجليز من الشعب الأسير الذي ألغيت أحزابه ونقابات صحافته وكنل بقياداته فألقى بالشيوعيين والإخوان والوفديين والاشتراكيين والوطنيين من أبنائه في السجون والمعطلات . . ؟ ! نعم هذا الشعب غير الشعب ، بمعنى أنه أصبح أقل قدرة على المقاومة . وهو ما تؤكد خبرة التاريخ .

أما عن الجيش فرغم كل ما قاله الانجليز وما يردده أمثالك ، لم نشك لحظة واحدة أن « جانباً » منه ، سينضم للانجليز أو يقف على الحياد في حالة هجومهم على مصر والعياذ بالله حتى عندما كان

ضباطه هم شلة ناصر قبل أن يثربعوا على كراسي السلطة . . وهل من المعقول ألا ينضم الجيش لحكومة القاهرة مهما كانت في حالة غزو بريطاني ؟ . . شعبنا كان أبيل وأصدق وعياً عندما انف حول حكومة ناصر عندما ظنت بريطانيا أن أفعالها تمكنها من غزو مصر دون مقاومة من الشعب . ولماذا اللف والدوران . . ما دمت بعد كل هذه الحيليات تطرح السبب الحقيقي ، فنقول إن العامل الذي في منتهى الخطورة ويمنع الانجليز أو منعمهم من احتلال مصر هو : أن الأمريكيين لن يكونوا مع بريطانيا بالكامل ، ص ٢٤٢ ملفات !
فلماذا التقليل والتدجيل واختراع الأسباب ؟

م ٥ - حاولت الحكومة المصرية تخفيف قبضة بريطانيا على الأرضة المصرية ، فاشترت بما قيمته ٤٧ مليون جنيه ذهباً ومستندات على الخزنة الأمريكية لئنفطة الجنيه المصري الذي عراء عسكر عبد الناصر فيما بعد . كذلك كانت بريطانيا مدينة لمصر في تقدير وزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٥٠ مدينة بألف مليون دولار . . أكرر منعاً لسوء الفهم مصر كانت دائنة وبريطانية مدينة . . أي مصر لها عند بريطانيا وبريطانيا مدينة مستلفة من مصر ألف مليون دولار تعادل الآن بحسابات هيكمل مائة بليون أو مليار أو مائة ألف مليون دولار . . ضاعت كلها وأصبحتا مدينتين بما يقرب من خمسين بليوناً . . كذلك عرضت حكومة النحاس إقراض سوريا ثلاثة ملايين جنيه وكانت القروض في ذلك الزمن الرجعي تعقد بالجنيه المصري . . أحد أقوى العملات العالمية .
كما قامت بريطانيا بإلغاء صفقة سلاح كانت قد عقدت مع مصر ودفع قسط من ثمنها . وخلال معركة الفتاة منعت وأنقصت بريطانيا كميات الوقود التي تصل لمصر .

م ٦ - في ٢٥ يونيو ١٩٥٠ بدأت حرب كوريا ودعى مجلس الأمن بناء على طلب أمريكا لإصدار قرار بإدانة كوريا الشمالية بالمعدوان وإرسال قوات أمريكية أساساً تحت علم الأمم المتحدة للقتال مع كوريا الجنوبية وطلب مندوب مصر تأجيل إعلان موقفه حتى يتصل بالقاهرة وقرر مجلس الوزراء (الوفدي) رفض القرار وانفردت مصر بهذا الموقف ، وقد روى لي « إبراهيم باشا فرج » بعض ذكرياته عن هذا الموقف فقال : « في هذه الفترة بالذات كنا تجري مفاوضات مع الانجليز وبمداخلات مع الأمريكيين فلما اتصل « محمود عزمي » ممثل مصر الدائم في الأمم المتحدة بطلب التعليمات ، وأمره النحاس باشا بالتصويت ضد المشروع الأمريكي أو على الأقل الامتناع عن التصويت ، حاولت - بقول إبراهيم باشا - أن أنفيه عن هذا الموقف خوفاً من تأثيره على المفاوضات فكان رد النحاس باشا : « يتفلقوا » . .

بل ويضيف الوزير الوفدي : « إن الصليب الأحمر طلب معونة من الأز (كانت مصر وقتها من الدول ذات الفائض الكبير في الأز . ج) فوافق صاحب المقام الرفيع النحاس باشا بشرط أن يوزع الأز المصري للكوريين على جانبي خط النار . . أي للكوريين الشيوعيين والجنوبيين . .
أما موقف الوفد من الدفاع المشترك فقد جاء في تقرير للسفير البريطاني - على ذمة هيكمل - أنه لما اقترح على سراج الدين دفاعاً إقليمياً (مقابل الجلاء عن مصر والسودان) ربما يضم تركيا أجاب

سراج الدين قائلاً : « إن هذا لن يصادف هوى في بلاده » . فلما زالت الحكومات التي تراعي هوى البلاد وجاءت حكومة تراعي « خاطر » السفير الأمريكي قبل عيد الناصر الدفوع عن تركيا . . .

أما رفض الدفوع المشترك فله قصة رواها لي فؤاد سراج الدين قال :
فور إلغاء حكومة الوفد لعاهدة ٣٦ . أعدت أمريكا وبريطانيا وفرنسا وتركيا مشروعاً للدفوع عن الشرق الأوسط ، وطلب سفراء الدول الأربع لقاء موحداً مع وزير الخارجية المصري ، لتسليمه نص البيان ، فيما يشبه الإنذار ، أو على الأقل المظاهرة الجماعية ، فهي أول مرة يتقدم سفراء أربع دول معاً ببيان إلى حكومة مصر منذ خلع إسماعيل ! واتصل وزير الخارجية « محمد صلاح الدين » بسكرتير الوفد فؤاد سراج الدين بطلب رأيه ، فرفض على الفور فكرة مقابلتهم مجتمعين وطلب من وزير الخارجية أن يجده لكل منهم اجتماعاً منفرداً ، وقد كان تتابع السفراء يتقدمون بنص البيان ، حول الدفوع المشترك وبعد اللقاءات توجه محمد صلاح الدين إلى مجلس الوزراء الذي كان مجتمعاً حيث عرض « التبليغ » الإنذاري ، وقرر مجلس الوزراء الوفدي ، رفض البيان ، رغم وجود ثباتين ألف جندي بريطاني ورغم أنه إنذار صادر من الراجحين والجاهلين معاً ! ورغم القصر المتربص . وكان قرار الرفض بالإجماع . ولو أن « صلاح الدين » كان رأيه الثريث ، لأن الرفض الفوري - في رأيه - يعني موقفاً سبقاً ، يمكن وصفه بالتمتت ، وأنه لا مانع من التظاهر بالدراسة والاستعداد للحوار ثم الرفض ولو بعد أسبوع ولكن النحاس وبقيّة الوزراء رفضوا هذه المناورة ، على أساس أنها تشكك في أصالة الموقف المصري بما تخلفه من انطباع خاطئ ، بإمكانية المساومة . وصدر تكليف لوزير الخارجية (محمد صلاح الدين) بإبلاغ البرلمان - فوراً - بالرفض .

ولكن صلاح الدين اختفى في اليوم التالي ولم يذهب للبرلمان ، وأوشكت الجلسة أن تنتفض وفشلت كل الجهود في العثور عليه . وهنا تدخل سراج الدين لإنقاذ الموقف بمناورة سياسية إذ استعان بأحد نواب المعارضة وهو المرحوم حامد العللايلي وهو « حر دستوري » ولكنه بدين لفؤاد باشا بمقعدته في البرلمان وتلك قصة أخرى ، المهم أوعز فؤاد باشا لنائب المعارضة بأن يتقدم بطلب سماح معلومات الحكومة عما يقال عن بيان سلمته الدول الأربع ! فلما تقدم النائب بالاقتراح اعترض رئيس المجلس الوفدي قائلاً : « إن الحكومة وحدها ، لها الحق في إضافة نقطة ليست في جدول الأعمال . . . ولكن رئيس المجلس والمجلس فوجئوا بفؤاد سراج الدين يرد بأن الحكومة لا تعارض تنوير المجلس ، وكان أن أبلغ المجلس والعالم كله رفض الوفد للبيان الرباعي . . . وهكذا كانت الحكومات الوطنية تخرض المعارضة على استجوابها . . . فلا يخشى المعارضة إلا من يستحي من أفعاله ومواقفه .

م ٦ - ألم يشكو تقرير السفارة البريطانية من الصحافة المحلية في عهد الوفد ، بسبب « النشر السيء » الذي يفسد أي أمل في نجاح المفاوضات « وهناك احتمال كتيب ألا وهو أن جميع ما يمكن أن أقوله في هذه الأحاديث (المفاوضات) إنما يواجه خطر ملء عناوين الصحف في اليوم التالي » . ص ١١٧ ع عن تقرير للسفير البريطاني .

كان لابد أن يحدد صلاح سالم وعبد القادر حاتم وهيكمل ما بشر في اليوم التالي لكي تنجح المفاوضات . . . وقد كان !

الفصل الثالث

.. في البدء جاء الأمريكان !

« .. الصلة بين الضباط « الأحرار » (...) وأمريكا
بدأت في مارس ١٩٥٢ ... »

علاء صبي الدين

إذا كانت جوقة الناصريين والخاصين لا يتنازع « هيكل » قد استطاعت مستغلة جهل قارئها ، أن تصوري وكأني أنا الذي اكتشفت البارود ، أعني علاقة انقلاب يوليو بالأمريكان ، فذلك كما قيل : شرف لا أدعيه ونهمة لا أنكرها . . . فليست من الغرور بحيث أسكت على هذا الادعاء مغتبطاً به ، وليست أيضاً شديد التواضع إلى الحد الذي يدفعني لإنكار ما ساهمت به في نشره وتطويره . . . فالحق أنه لا تكاد توجد وثيقة أو حكاية تتعرض لتاريخ انقلاب يوليو إلا وأشارت إلى علاقة هذا الانقلاب بالمخابرات الأمريكية ، كأمر مفروغ منه ، لا يحتاج لنقاش أو إثبات ، وبعض الدراسات عن تلك الفترة أو عن نشاط المخابرات الأمريكية بصفة عامة تورد هذه الحقيقة في الهامش ! . . . تماماً كما يتعرض أي مصدر - محترم - لما يسمى بالثورة العربية أو حركة الشريف حسين في الحرب العالمية الأولى ، فإن هذا المصدر أو الدراسة لا تجد نفسها مطالبة بتسويد الصفحات لإثبات علاقة تلك « الثورة » بالمخابرات البريطانية ، وخاصة أن لورنس وعلاقته بذلك الثورة أشهر من الشريف حسين .

وأنا أكتب هذه السطور اتصل بي طالب من مدينة « سالت ليك سيتي » في ولاية يوتا الأمريكية ، ولاية طائفة المورمون المنشقة عن الكاثوليكية وألد المعادين لها ، اتصل بي قائلاً : لقد فتحت التليفزيون فجأة (مساء الخميس الثاني من يوليو ١٩٨٧) فإذا به يعرض برنامجاً عن ثورة يوليو . . . هكذا قال - ووجدت المذيع يقول حرفياً : « ولما كانت الـ CIA (المخابرات الأمريكية) قد تغلغل في تنظيم الضباط الأحرار ، فقد تخلت الولايات المتحدة عن الملك فاروق » وسألني بدهشة . . . هل هذا صحيح ؟ ! ويقال بهذه البساطة ؟ ! فقلت له : ماذا تعرف يا بني عن لورنس ؟ قال : لورنس أوف أرابيا ؟ . . . قلت : نعم ! بعد خمسين سنة سيقول أولادك : « روزفلت أوف إيجيبت » أو « روزفلت أوف ٢٣ يوليو » ومن أجل ألا يقال إن المصريين لم يكونوا أفضل من بدو « عبدة أوثان » وعرب ١٩١٦ . . . أو على الأقل من أجل أن نبريء ذمتنا إذا قيل ذلك ، نكتب هذا الحديث . . .

ومنذ عامين دخلت مكتبة في مطار لندن أبحث عن كتاب أسأل به في الجو ، فوجدت رواية انجليزية بعنوان « امرأة من القاهرة » فاشتريته . . فإذا به من تأليف « نويل باربر » الذي كان رئيساً للقسم الخارجي بجريدة « الدليل ميل » البريطانية والذي عاش في القاهرة فترة وفي مركز سمح له بأن يلتقي بالملك فاروق وعبد الناصر والسادات ، وأصيب بطلقة في الرأس خلال الانتفاضة المجرية . أما الرواية فهي رواية تاريخية عن القاهرة من ١٩١٩ إلى ما بعد « ثورة يوليو » . . وقد لفت انتباهي ادعاءه أن جاء عرضاً في سياق فصول الرواية :

الأول : أن طائرة عزيز المصري لم تسقط بسبب خطأ الميكانيكي الذي أعدها والذي يقال إنه نسي وأغلق مفتاح الزيت بدلاً من فتحه ! وهو التفسير الذي نشأنا عليه ، بل يقول « باربر » إن المخبرات البريطانية هي التي دبرت عن طريق عميل لها كان معهم ، إسقاط الطائرة التي كان يسوقها ذو الفقار صبري شقيق علي صبري الذي تحيط به ألف علامة استفهام .

الثاني : قوله إن « ناصر » كان على اتصال بضابط المخابرات الأمريكية ستيفنسون خلال الحرب العالمية الثانية » .

وعلى الفور أغلقت الرواية وسبحت مع الأفكار . .

فالادعاء الأول مقبول ، بل إنه يزيج عبثاً ثقيلاً كان يرهق تفكيري ، فقد استحال علي أن أبلغ هذا التفسير الغريب لسقوط طائرة عزيز المصري ، هذا التفسير الذي يجعل من تاريخنا سوء حظ مزعج بل أبله . . كذلك لم أفهم أبداً كيف يخطيء ميكانيكي « الطائرة » ، هذا الخطأ وفي هذه اللحظة « بقفل مفتاح الزيت » بدلاً من أن يفتحه ! ورغم جهلي بالطائرات ، فأنا أعتقد أنه خطأ غير ممكن عملياً ، بل أشبه بالنكته ، مثل قولك : أراد أن يسرق سيارة فنسي وقفل مفتاح البنزين بدلاً من فتحه ! لأن مفتاح الزيت في الطائرة الرابضة يكون مغلقاً فيما أن يفتحه من بعدها أو يتركه كما هو وإنما لا يستطيع أن يغلقه مرتين . . !

ومن الأرجح أن المخابرات البريطانية ما كانت لتترك عزيز المصري بدون مراقبة من الداخل ، رغم كل ما تعرفه عن تاريخه وميوله ، ولا بد أنه كان لها عين قوية قادرة بجانبه ، فالمخابرات لا تكتفي بالعلم بل توجه العمل وتشارك فيه لتخريبه ، ولا بد أن هذا الصحفي الانجليزي « المتصل » قد علم شيئاً استند عليه في هذا الادعاء . وإن كان وفقاً للتقاليد البريطانية ، المرحبة وقتها على الأقل ، جعلها في شكل رواية خيالية . .

أما الادعاء الثاني فنحن لاناخذ به كدليل ، فليس هناك ما يعززه ، وقد وقفت في كتابي السابق عند إثبات اتصال تنظيم عبد الناصر وعبد الناصر بالمخابرات الأمريكية عشية الثورة ، وعلى الأرجح في مارس ١٩٥٢ ، ومازلت لا أملك دليلاً مقنعاً على وجود اتصالات مع عبد الناصر سابقة على هذا التاريخ ، ولكنني أعترف أن الشك يتزايد عندي حول حقيقة علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية ، إذ سبرى القاري من استعراض الوقائع والوثائق

استحالة أن يقبل « ضابط وطني » لجأ للأمريكيين عشية الثورة لمجرد تأمينها ضد الانجليز ، أقول يستحيل أن يقبل هذا الضابط من الأمريكيين مثل هذه المعاملة التي سنقدم بعض نماذج منها . . . فيضع السفارة الأمريكية من قيادة الثورة في منزلة السفارة البريطانية من حزب السعديين أو حتى الأحرار . فهناك مواقف تكاد تنطبق حرقاً على مسلكية زيورباشا ، وليس المفترض في أو من ضابط ثار ضد امتهان كرامة الوطن المتمثل في خضوع الملك والوزراء ، للانجليز .

الحق أن الأمر يبدو أكبر مما تحاول إثباته . . . ومع ذلك فأننا لا أخذ ما جاء في الرواية كدليل بل مجرد قرينة ، ففي الروايات التاريخية يسمح بالخيال ، ولكن في حدود الممكن بالنسبة للشخصية التاريخية ، فيستطيع « جورجى زيدان » أن ينسج من الخيال ما شاء عن قصة حب بين العباسة وجعفر البرمكي ، ولكنه لا يستطيع أن يقول إن جعفر كان كاثوليكياً وأقنعها بالتنصر وهربا إلى الدير . . . أو أن جعفر البرمكي كان عميلاً لامبراطور بيزنطة . . . الخ ولا يستطيع كاتب روائي أن يؤلف قصة عن الصين قبدعي أن « ماو » كان عميلاً لليابانيين لأن ذلك يستحيل تاريخياً وعقلياً . وكما قال الأقدمون : « التمثيل الناجح هو الذي يتعدى فيه التمثيل » كذلك فإن الرواية التاريخية تغدو بلا معنى إذا ما قامت على فرضية لا أساس لها على الإطلاق . . . لا بد أن علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية كانت حقيقة معروفة ، ومقبولة في أوساط الصحفيين البريطانيين - على الأقل - في سنوات الثورة ، ولا بد أنها كانت كذلك - ولا تزال - في الأوساط التي ألفها « نوبل باربر » روايته حتى سمح لنفسه - وهو من هو - بأن يجعلها عنصراً أساسياً في حبكة روايته . . .

وهذه كلها مجرد دردشة أو حتى ثرثرة ، ولا تدبر أحداً . . . وإنما أريد أن أقول إنني لست الوحيد الذي أثار هذه القضية ، ولا حتى الأول ، بل إنها خرجت من كتب التاريخ لتأخذ مكانها في الفن والفصص والفلكلور كبدية مسلم بها . . . وقد أوردت في كتابي السابق العديد من المصادر الرسمية والأخرى الموثوق بمعلوماتها التي أشارت إلى دور المخابرات الأمريكية في انقلاب يوليو . وخلال الفترة ما بين صدور كتابي الأول وهذا الكتاب تجمعت عندي بعض المصادر الجديدة ، بعضها كان قد نشر ولم أطلع عليه ، وبعضها نشر بعد كتابي السابق :

نخذ هذا المصدر نقلاً عن حوار منشور :

س : يقال إنه كانت هناك صلة بين الضباط الأحرار وبين الأمريكان . . ؟

ج : الصلة بين الضباط الأحرار وبين أمريكا بدأت في مارس ١٩٥٢ . . . وقد شعرت أنا بذلك قبل أن أقرأ كتاب « كولاند » من موقف عبد الناصر من الانعلاء اليساري . . . فقد بدأ في ذلك الوقت يطالبنا بالتخفيف في المنشورات ، كما بدأ يتفقد التفسير العلمي للتاريخ ، مع أنه كان يتقبله قبل ذلك ، وحتى بدأ يكتب المنشورات بنفسه بعد أن كنا نحن نكتبها ، فعل

ذلك مرة أو مرتين ، وكنت أتصور أنا أن هذا من تأثير جمال سالم عليه ، فجاء سالم دخل اللجنة القيادية من يناير ١٩٥٢ . ومن يومها بدأنا نسمع كلاماً عن الحكم الديكتاتوري وكلاماً عن التضاهم مع أمريكا وعن خطر الشيوعية من جمال سالم ، ولاحظت أن جمال عبد الناصر بدأ يسكر . من هذا يتضح أن الضباط الأحرار لم تكن لهم أي علاقة بالأمريكان في الفترة التي حدث فيها الحريق . وإنما بدأت هذه العلاقة من مارس ١٩٥٢ .

نرى من هو معلن هذا الاتهام الخطير ، الواضح التاريخ (مارس ، المتفق عليه في شتى الروايات) الواضح التفسير ، وهو التخلي وفجأة عن الاتجاهات الوطنية - اليسارية والتركيز على الشيوعية لا الاستعمار . . (وهناك نص آخر لنفس المصدر نسب فيه لعبد الناصر بعد مارس ١٩٥٢ طلب حذف الهجوم على الاستعمار الأمريكي) .

صاحب هذا التصريح ليس ليبي أشكول ولا ساداتي موتور . . بل « خالد محيي الدين » شخصياً ، عضو مجلس قيادة الثورة والمرشح لرئاسة الوزارة في مارس ١٩٥٤ وزعيم حزب التجمع ، أكبر مستودع ناصري في مصر . . وهو لم يقل هذا تحت التعذيب في سجون الإخوان بعد استيلائهم على الحكم ، ولا في حديث خاص يمكن إنكاره ، ولا في مذكراته التي منشر بعد وفاته . . بل في كتاب يباع على الأرصفة منذ سنوات ١٦

هل أستحق اللوم إن فاردني واحتدت عباراتي في الرد على بغايا الفكر عملاء الاستعمار ومن هم أحظ من الاستعمار . . وهم يتناولون عليّ في صحيفة « خالد محيي الدين » لأنني قلت نفس الشيء الذي قاله بل افتخر زعيمهم بكشفه قبل أن يقرأ « مايلز كوبلاند » ؟ كيف تقبل ضلالتهم إن لم تكن قد استوصلت بالكامل ، أن يغضوا الطرف كأنهم من « غير » ، على تصريح « خالد محيي الدين » ، ثم يلطمون الحدود ويشقون ثيابهم من دهر ويدعون الغيرة على شرف الثورة الذي دفنوه « سوا » مع خالد محيي الدين ؟

واليك شهادة من نوع آخر :

الأستاذ « محسن محمد » ببراعته في البقاء فوق سطح الصحافة المصرية المحترق ، بدلي بدلوه في الجدل الذي أثارته أنا حول علاقة انقلاب يوليو بالأمريكان ، فيأتي باستعراض لكل ما يعزز هذه الصلة بل ويضيف جديداً مشيراً بثبت هذه العلاقة ولكنه لضرورات هو أدري بها ، يبدأ بمقدمة تتناقض مع ما يقدمه هو نفسه من حقائق فيقول : إن معرفة أمريكا بالثورة لا تزيد عن أن شيئاً ما ، يجري داخل الجيش .

وإذا كنا نعرف ظروف الأستاذ « محسن محمد » وظروف نشر هذا القول في « أخبار اليوم »^٣ ونقدر له جهده وأمانته الأدبية التي جعلته يثبت النصوص كما هي ، بل ونقدر حتى فهمه وتفسيره لما أورده من نصوص ، فإننا بالمقابل ، نطالب ونمارس حريتنا في التفسير . . محتكمين إلى المنطق والعقل . . وحرفية نصوصه لنرى هل ما أورده هو نفسه من وقائع يتفق

مع ما ذهب إليه من أن « معرفة أمريكا بالثورة لا تزيد عن أن شيئاً ما ، يجري داخل الجيش وهذه هي الحقيقة بالوثائق على لسان كيرميت روزفلت ، الرجل الذي ادعى كثيرون أنه شريك في صنع الثورة . . »

قبلنا شهادتك أنت . .

ماذا قال لك كيرميت روزفلت ؟ . .

وماذا نقلت أنت عنه ؟ . .

قلت لنا بالحرف الواحد على لسان روزفلت هذا وأنت السامع والناقل وأنت مصدر ثقة . . نقلت عنه قوله : « طلب إليه أصدقاؤه أن يحضر إلى القاهرة يلتقي - كما أكدوا له - بالرجل الذي سيزيح الملك فاروق عن عرشه ويجلس مكانه . قال لهم إنه لا يستطيع كموظف في الحكومة الأمريكية ، أن يلتقي ويتحدث ويحاور رجلاً يتآمر ضد رئيس دولة صديقة حتى ولو كان ذلك الرئيس يستحق التوبيخ . وعلى هذا الأساس فقد أرجأ اللقاء إلى ما بعد قيام الثورة . وأضاف : وقعت بالزيارة في يناير عام ١٩٥٣ » .

ماذا نفهم من هذا النص ؟ . . مع مراعاة أن الرجل مازال ملتزماً ومحظوراً عليه كشف الأسرار ، بل وحذفت الرقابة كل كلامه عن مصر وناصر في وثائق الخارجية الأمريكية المخرج عنها بموجب القانون بعد مضي الثلاثين سنة المفترضة لعمر الأسرار . .

ماذا قال لشاهد النفي الجديد ؟ !

قال نائب مدير المخابرات الأمريكية لشئون الشرق الأوسط وصاحب القرار الأول في كل ما يتعلق بنشاط الـ CIA في هذا الشرق الأوسط . . والرجل المشهور جداً بإعادة الشاء إلى عرشه وقلب مصدق وإجهاض ثورة الشعب الإيراني ربيع قرن . . قال :

○ إن له أصدقاء في مصر . .

هل نسيء الظن إن افترضنا أنهم من عناصر المخابرات الأمريكية ١٢

○○ هؤلاء الأصدقاء يعرفون خالع الملك المقبل ، وهم والثقون من نجاحه في خلع الملك ، وعلى علاقة متينة معه ، تسمح لهم بالفرجة عليه ، ودعوة من يرغب ليشاهد من وما يسره . .

ولكن المسئول الكبير في واحدة من أهم المؤسسات الأمريكية ، يعرف ما في ذلك من توريط ، إذا لا قدر الله وفشلت الحطة ، واعترف هذا الرجل عند التحقيق بأنه اجتمع بالخواجاروزفلت . . ولذا رد بكل بساطة : لا . . نؤجل هذا الاجتماع إلى ما بعد الانقلاب (أو الثورة لكي لا نتفص من إسهام الزعيم الخالد !) .

ولله عباد لو أقسموا عليه لأبرههم . . . تحقق كل شيء كما نغنى الأخ روزفلت* ودبر
«الأصدقاء» وخلع الرجل المعجيب ، الملك ، وجلس مكانه وجاء روزفلت يطلب البشارة
وحق الطريق !

كل هذا يا «عثمان» محمد وتقول لنا « شيئاً ما » يجري داخل الجيش » .
لا . . . اسمع لنا** . . . إنهم يعرفون الشيء ولزوم الشيء والشيء الذي سبخلع الشيء . .
والتي ما يشتري بتفرج !
على أية حال شكراً . .

فهذا أول نص صريح من كيرميت روزفلت عن صلة «أصدقائه» بخالغ ملك مصر ،
وعن علمه بذلك وموافقه على الخلع ، واحتياطه بعدم الاجتماع معه مباشرة قبل الثورة ،
وهو تقدم كبير فني كتابنا السابق ، عرضنا شهادة شاهد النفي الأول «ولبركرين» الذي نقل
عن روزفلت نفيه أية صلة بخلع الملك ، إذ قال له «هل لو كنت خلعت الملك فاروق . .
كنت أتمتع اليوم بثقة الملوك» ؟!

عدل المتهم عن الإنكار التام وبدأ خطوة نحو الاعتراف بالحقيقة ، بدون تعذيب
ولا إكراه . . . وإنما لأن خلع المخابرات الأمريكية للملك فاروق أصبح حقيقة أشهر من أن
ينكرها عاقل .

وإذا رجع الفاريء إلى ما كتبناه في الفصول التالية والتي سبق نشرها قبل نشر حديث
روزفلت هذا بثلاث سنوات ، سيجد أننا لم نرفض تماماً «الدفع» بأنه لم يتم لقاء مباشر بين
«روزفلت» و«عبد الناصر» على أن نضع في الاعتبار ، الحث الذي طرح به «روزفلت»
المعجوز الأريب ، الصيغة ، فهو كما يقول العامة في مصر ينوء على شيء ويقسم على شيء آخر
فهو يتحدث عن «محمد نجيب» ، وهذا يعني احتمال اجتماعه مع جمال عبد الناصر وتجنب
اللقاء مع «نجيب» الواجهة والذي كانت كل الأضواء والتجسّات والمراقبة مركزة عليه .
وقد ناقشنا هذا بما فيه الكفاية في موضعه من الكتاب .

-
- بركة الشيخ التهامي الذي اعترف وأراحنا بأنه اجتمع وعبد الناصر مع المخابرات الأمريكية قبل
الثورة وأنه عمل مع هذه المخابرات لتسكين زعامة عبد الناصر . .
 - قال الأستاذ محسن محمد إنه قابل مريضاً عجوزاً في ١٤ ديسمبر ١٩٨٤ وربما يجدر أن نقال كلمة في حق
الرجل قبل أن يموت ، وإن كان قولها بعد وفاته أجدر ، فالرجل قد أنزل مصر والأمة العربية نكسة
فادحة من أجل مصالح امبريالية غريبة ، ومع ذلك فقد كان رئيس المدرسة التي أرادت استعمال
العرب بزعامة ناصر في مواجهة مدرسة «الاحتلون» التي راهنت على إسرائيل وهزم روزفلت وانتصر
الاحتلون وستفسر ذلك أكثر فيما بعد .

كذلك استعرض لنا الأستاذ محسن ، المصادر التي تحدثت عن أمريكية ثورة يوليو فقال :
في كتابه « فاروق ملك مصر » قال المؤلف باري سان كلير « إن الأمريكيين استغلوا كراهية
المصريين للاتجiliz فشحجوا حركة الضباط الأحرار أو تسامحوا معها وقال الكاتب إن إحدى
السيدات المقييات في القاهرة شاهدت أحد المسئولين في السفارة الأمريكية يجلس بجوار جمال
عبد الناصر في سينما ريفولي بالأسكندرية في ديسمبر عام ١٩٥١ ، ومن الواضح أن هذه
أكذوبة فإن جمال عبد الناصر لم يظهر علانية في ديسمبر ١٩٥١ مثل السادات ، وبذلك
لا يمكن أن يكون أحد قد تعرف عليه . . الخ » .

وهو دفع غريب ليس في مستوى ذكاء الأستاذ محسن . . فلا أحد قال إن السيدة عندما
رأته صاحت : « الله مش ده عبد الناصر زعيم الضباط الأحرار ! » .
لا . . الرواية خلاف ذلك . .

عندما أصبح عبد الناصر زعيماً ومشهوراً وصورته في كل مكان تذكرت السيدة التي كانت
تعرف موظف السفارة الأمريكية أن هذا « الزعيم » رآته مع الموظف في السينما في ديسمبر . .
الخ ولا أظن أن سيدة على صلة بالسفارات تحفظ ملامح عبد الناصر . . واللقاء في السينما
أسلوب معروف في الاجتماعات التي من هذا الطراز ، وعبد الناصر - بالمناسبة - بل وكل
أعضاء مجلس الثورة كانوا مفتونين بالسينما فتنه أولادنا بالتليفزيون ، ونصف الأحداث
الكبرى في تاريخهم وقعت وهم في « السينما أو يشاهدون فيلماً في عرض خاص بمنزلهم . .
وعفواً لهذا الاستطراد الذي ليس له علاقة بالموضوع .

نعود لاستعراض أقوال شاهد النفي الثاني :

قال : « وفي كتاب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قال الكاتب تالي : « ساعدت
الوكالة في طرد فاروق فقد كانت تعرف عبد الناصر ومناورات الخلفية » .
وقال المؤلف : « إن عملاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) والبريطانية
كانوا قريبين من الضباط الأحرار ودعموا قوتهم وأعطوا . . الخ » .

وفي كتاب باري روين : أمريكا والثورة المصرية ١٩٥٠ - ١٩٥٧ « في أواخر مارس
أصبح روزفلت على علم بالثورة المتوقعة وبدور ناصر كزعيم للضباط الأحرار ، وهي مجموعة
اعتبرتها السفارة الأمريكية منظمة تصحيحية خالصة يقتصر اهتمامها على الشؤون
العسكرية » . وفي كتاب جون رافيلانج : ارتفاع وسقوط وكالة المخابرات المركزية ، قال :
« إن الوكالة ساعدت جمال عبد الناصر في الوصول إلى السلطة . وقد نصح كيرميت روزفلت
قادة الانقلاب وموّلهم ضد السياسة البريطانية » .

« وفي كتاب « جبال من رمال » (صحته جبال بالحاء المهسلة) اعترف رجل المخابرات الأمريكية ويلبور كرين ايفلاند باشتراك الوكالة في الانقلاب * . . . ١١
صدق الله العظيم . . . سلفهم الطالح كانوا كلما تنزلت آية قالوا . . . أياكم زادته هذه إيماناً ؟ ١٢

كل هذا ولم تصدق ١٣ . . ما الذي يدفع كل هؤلاء المؤلفين الوثائقين إلى افتراء أكذوبة لا أساس لها من الصحة ١٤ ولماذا لم يقولوا مخبرات الصين أو روسيا أو حتى إسرائيل ١٥ لماذا ؟ . . مؤامرة على عبد الناصر بعد ١٥ سنة من موته ١٦

بل ويضيف حبيطة جديدة للرواية الهزلية عن إبلاغ علي صبري للملحق الجوي الأمريكي « دافيد إيفانز » الذي قابله الأستاذ محسن أيضاً في واشنتون وهو من تعريفه لنا رجل مخبرات أساساً وصل إلى مصر في أكتوبر ١٩٥١ وظل في مصر حتى يوليو عام ١٩٥٤ واستطاع أن يوثق صلته بضباط الجيش وسمعه كثيراً (قبل الثورة) * وهم يقولون : إن حكومتنا عميلة للاستعمار قال لي إيفانز : كنت أشجع الضباط على أن يمارسوا استقلالهم وأن يكونوا مصريين وكنت أثير معهم قضية القومية العربية ، وكنت أقول لهم : مهما شق الفرنسيون القتال فإنها ستبقى جزءاً من أرض مصر . وقد شجع ذلك الضباط على الثورة ، * .

معدرة للمقاريء من جيلي إذا أحس بالمهانة والغثيان . . وهذا المخبراني الأمريكي الحقير يفتخر وينشر ادعاءه في كبرى الصحف المصرية أنه هو الذي علم « ثوارنا » أن يكونوا مصريين ، وعلمهم العروبة وحرصهم على استرداد قناة السويس . . هو الذي شجعهم على الثورة ! . .

والعقاد قاطع « الثورة » واعتكف مضطهداً نفسه لأن عبد الناصر أهان شعب مصر وأهانته شخصياً عندما وقف يقول : « أنا علمتكم الكرامة » . . ومات العقاد العملاق وخلف خلف كجلد الأجرب لا يغضبون عندما يشين أن الذي علم عبد الناصر نفسه ، وصحبه الكرامة هو ضابط مخبرات أمريكي . . وينشر ذلك دليل براءة هذه العصاة ووطنيتها !!

باللعار !

أصبحنا مثل عوده أبوتايه الذي شجعه « لورنس » على الثورة ، وعرفه بعرويته . .
معدرة يا بقايا جيلي . . إذا أدهشكم أن القراء الآن لا يستيرون هذا الكلام ، ففي جيلنا وفي عام ١٩٥١ لم يكن هناك وطني شريف يسمح لنفسه بمجالسة عسكري مخبراني أمريكي يعمل في السفارة الأمريكية ، فضلاً عن تلقي دروس الوطنية منه ، ولكن للأسف ، هم

- هذه العبارة غير دقيقة وراجع ما كتبه عن الكاتب والكتاب ويبدو أن الأستاذ اعتمد على مصدر غير مباشر . . ١٧
- الأقواس والتشويد من عندنا .

هؤلاء الذين نفذوا « ثورة » يوليو ، هم هؤلاء من تولوا خلال ثلاثين سنة تعليم الوطنية وتحديد مفاهيمها وعزل مخالفهم فشاً جيل لا يرى غضاظة في تعلم الدين من أحبار إسرائيل والوطنية في كاسب ديفيد . . أما العمالة لأمريكا فتلك حلم يشوقون إليه تشوق المؤمن للوصول إلى سدرة المنتهى . . !

دعونا من هذا الرجل الذي لطمخوا به وجه تاريخنا ، وأغرقوا فيه أحلام شبابتنا . . المهم أن إيفانز أبلغ الأستاذ « محسن » ، أنه عرف بخبر الثورة قبل علي صبري وأبلغه للسفارة الأمريكية قبل قيامها بعشرة أيام . .

اعفونا إذن من حكاية من أبلغ من ١٢ أستاذ الثورة أبلغ قيادته وهي الـ CIA موعد امتحان طلبته النجباء وقبل الامتحان بعشرة أيام وتسع ليالٍ . .

لا بحق هيكل إذن أن يمز رأسه وينحت لنا نصاً بلاغياً عن الخرافة التي تقول « إن الولايات المتحدة كانت على اتصال بقيادة ثورة ٢٣ يوليو قبل قيامها وأنها كانت في سرها قبل إذاعته » .

آه ! كانت على اتصال وتدريب وتلقين وتمهيج للثورة .

آه ! كانت في سرها قبل إذاعته بشهور . . وكانت تعرف موعد إذاعته قبل عشرة أيام . . وهذا هو ما جاء به رئيس مجلس إدارة جريدة الجمهورية من أدلة على طهارة الثورة !! . .

وليس تجاوزاً للاختصاصات أن نفترض كون « إيفانز » هذا موظف المخابرات الأمريكية بشهادة الجميع ، هو من أصدقاء « روزفلت » رئيس كل من يعمل للمخابرات في مصر وأنه كان أحد الذين طلبوا من روزفلت مشاهدة الرجل المدهش الذي سيخلع فاروق . . ورغم كل ما كشفت عنه الوثائق عن قبول « محمد نجيب » - الخضوع والتبعية للأمريكان فلم يكن هو فتى الأمريكان ، وإنما تسابق على أعتابهم ليعزز مركزه وسط « جوقه » الأمريكيين التي كانت تحيط به ، وعندما أزفت لحظة الحسم ، لم يجد معه إلا الانجليز فخسر كما خسر علي ماهر من قبله . ومن ثم فكل هذه القصص عن « إيفانز » تؤكد أو ترجح الفرضية الأولى بأن الاتصال ، والإعداد كان مع ولعيد الناصر* . .

وإذا كان « كبريت روزفلت » يقول : إنه طلب تأجيل اجتماعه بقائد الثورة إلى ما بعد نجاحه في خلع الملك ، والمدرّب إيفانز يعترف بأنه عرف بالثورة قبل أن يعلم بها علي صبري ، وأنه أبلغ عنها السفارة الأمريكية قبل عشرة أيام من الليلة التي حل فيها الفتية الذين

• الأخ الكريم محمد رياض أحد الضباط الأحرار ومدير مكتب « محمد نجيب » الذي ظل على وفائه له إلى النهاية ، وكان هذا من حظه فقد جنبه الله سيئات حكمهم وعرضه خيراً . . المهم أن الأخ محمد رياض عندما جاء إلينا في مجلة « الحوادث » بمذكرات محمد نجيب . وتوليت أنا نشر حلقاتها احتج لأنني قسوت على محمد نجيب في تعليقاتي ، فقلت له ، ولم يقل عذري ، إنه مثلهم وكل ما حدث أنه أسقط من السلطة فهاجم الديكتاتورية ، وقد مارس منها كل ما استطاع وهو في السلطة ، والآن وقد كشفت الوثائق أنه لم يكن أقل منهم تروماً على أعتاب السفير الأمريكي فلملعه بقبل عذري .

آمنوا بشيطانهم إيفانز ، أرواحهم على كف العفريت . . فهل نصدق هؤلاء أم نصدق
الذيك الرومي الذي مازال يبيع إلى اليوم بأن « الثورة » كانت مفاجأة تامة للغرب ؟ لقد
كتبوا عنها التقارير بل والمقالات الصحفية قبل وقوعها وهو بصر : « فاجأت ثورة يوليو العالم
كله وكانت المفاجأة تامة ومؤلة ، كانت آخر ما توقعه الغرب من مصر » .

هل فيما قدمته « أخبار اليوم » من أدلة لا أمريكية الثورة ما يعزز هذا الزعم عن مفاجأة
الثورة للغرب أم الأخرى أن يقال إنها كانت مفاجأة من زعيمة الغرب لمصر والمصريين ؟
بقي أن نقول إن « علي صبري » الذي لم يكن من الضباط الأحرار ، والذي يقال لنا إنه
استدعي ليلة الثورة لتوصيل خبرها لصديقه « إيفانز » هو نفسه « علي صبري » ضابط
مخابرات الطيران الذي أرسل إلى واشنتون قبل الثورة من قبل النظام الملكي الرجعي وبناء
على نصيحة من « كيرميت روزفلت » لأخذ كورس في المخابرات الأمريكية ، ورشاه العليم
أن يصبح فوراً أقرب الضباط إلى عبد الناصر حتى كاد أن يكون وريثه في ثورة كيرميت - إيفانز
المعروفة باسم ثورة يوليو . . لولا تطورات لم ترصد بعد حول ذعر عبد الناصر في أواخر حياته
من كل الوثبقي الصلة بالأمريكان . . وهذه قصة أخرى .

ونتابع تقديم الشهادات التي جددت منذ صدور كتابنا السابق . وهما شاهد غريب
الشهادة ، هو الضابط السابق « حسين حمودة » وهو من الضباط الأحرار وقد جاء في كتابه
« صفحات من تاريخ مصر » : « بعد أن يش الأمريكي بالسفارة الأمريكية بالقاهرة والذي كان
بحكم وظيفته على اتصال بوزارة الدفاع ، وقد حضر كاتب هذه السطور شخصياً عدة
اجتماعات في منزل الملحق العسكري الأمريكي بالزمالك مع « جمال عبد الناصر » وكان
الكلام يدور في مسائل خاصة بالتسلح والتدريب والموقف الدولي والخطر الشيوعي على
العالم بعمامة والشرق الأوسط خاصة ، وأن الولايات المتحدة ستساند أي نهضة تقوم في
مصر ، لأن بقاء الحال على ما هو عليه في مصر يندثر بانتشار الشيوعية . وهذه الاتصالات
بالسفارة الأمريكية كانت في الفترة من عام ١٩٥٠ - ١٩٥٢ ميلادية » .
والغريب أننا وجدنا علقنا على هذه الشهادة ، التي لم تترأى اهتمام أورد من الناصريين
والمناصرين . .

وما دامت نفسا قد انفتحت إلى حد الاستشهاد بسي حمودة ، فلا بأس من الاستشهاد
حتى « بجمال سليم » سبيلوف التنظيم الناصري ، أو مدير صحيفة الحزب الناصري ، كما
وصف نفسه ، وهو ناصري معتز بناصريته إلى اليوم وقد شهد بالتالي :

« على أنه من الضروري أن نعرض لمقولة أساسية راجت بعد الثورة ولها نصيب كبير من
الصحة ، ونقوم على أساس توازن القوى ، فالمد الشعبي الذي تزايد في مصر بعد الحرب
العالمية الثانية ، وحركات التحرير التي ولدت في خضم المطالبة بالاستقلال والحكم الذاتي

للمستعمرات ، والثغابات العمالية التي تنامت قوتها ، كل هذا كان يجده نصيراً في الاتحاد السوفيتي ، وأدركت الولايات المتحدة الأمريكية أنه لا بد من كسر فرص نجاح السوفيت ، وذلك بتغيير القيادات التقليدية الفاسدة وإحلال قيادات جديدة تأتي في أثر انقلاب أو ثورة ترفع شعارات الجماهير ذاتها وتحتضنها . بل ويمكن أن تتحدى بتحقيق بعضها ، وذلك بفرض اجهاض هذا المد الشعبي . وأدرك الغرب أنه لا سبيل لإنقاذ مصر إلا بطرد قياداتها التقليدية وتغيير النظام كله ، وبحث الغرب عن البديل . . . ووجد الغرب أو الولايات المتحدة هذه الوجوه المطلوبة بين صفوف ضباط الجيش في شكل تنظيم « الضباط الأحرار » وعلى هذا أطلقت واشنطن الضوء الأخضر ليقوم الجيش بحركته في ٢٣ يوليو ص ٢١ .

ثم يعزز دعواه بالاستشهاد بأقوال لخالد محيي الدين وإبراهيم بغدادي وإبراهيم سعد الدين وأحمد حمروش . . . وكلهم كما ترى من خيار الناصريين . . . ويستج « وإذن فمقولة الاتصال بالولايات المتحدة قبل الثورة وبعدها واردة ، ولا بد أن يكون هذا هو سر رفع شعار التطهير قبل طرد الاستعمار » .

ما غلطناش ! . .

ما بلبلناش كما يكتب لنا بعض البؤساء ! هاهم كلهم ناصريون اشتراكيون ثوريون يشهدون أن ثورة يوليو عملها الأمريكيون فإن تؤفكون أو تكذبون !؟

ويعزز أهمية شهادته ، أنها لا تشككه في الثورة ، فهو يستمر يتحدثنا عن « ثورة ٢٣ يوليو » وعن « الردة » وعن مؤامرات « اقتلاع ثورة يوليو » ومحاولات « العودة إلى الوراء » ! وأي وراء أسوأ من الأمريكان !؟

وأي ردة أسوأ من تلقى الدروس على يد المخابرات المركزية (كما اعترف إبراهيم بغدادي محافظ العاصمة السابق أنه وحسن التهامي وحسن بلبل وفريد طولان وعبد المجيد فريد) كانوا يتلقون محاضرات من رجال المخابرات الأمريكية CIA في مدرسة المخابرات التي أقيمت بقصر الأميرة فائزة بمدينة الزهيرة) .

وموقف هذا الشخص ، مفهوم ، فهو من الجيل الذي رُبي في ظل ثورة المخابرات الأمريكية ، « الثورة » التي دبرت لإجهاض المد الشعبي ! هذا الجيل تعرض لعملية تجهيل أفندت الكلمات معناها في مفهومه ، فهو يمكن أن يحدثك عن « كاتب اشتراكي تقدمي ثوري متصل بالمخابرات الأمريكية » أو يقدم لك أدلة الاتصال بين شخص والمخابرات الأمريكية ثم يعلق « ولكن ذلك لا ينقص من ثورته » ! فقد علموه أن العدو هو الوفد أو الإخوان والعرب . . . والإمام البدر ، وتعلم أن الرجعي هو من يتصل بهؤلاء والعميل هو من يعترض على « محاربة » هؤلاء وترك إسرائيل تستعد أو تمارس إبادة العرب . . . ومن ثم فلا تناقض في ذهنه ولا ضميره بين التأمر مع أمريكا لإجهاض المد الشعبي ، وبين أن يكون المتآمرون اشتراكيين ثوريين !

وقد أشار محمد نجيب ٤ مرات في مذكراته إلى علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية . فمن ناحية لنا لدعي شرف أن تكون أول ولا آخر من تحدث عن علاقة المخابرات الأمريكية بانقلاب يوليو وعبد الناصر ، ومن ناحية أخرى ، فقد كان لنا فضل طرح هذه القضية في صيغة جديدة ، ليس كاتهام ولا إفشاء سر . . بل في إطار دراسة متكاملة بالوقائع والمستندات والتحليل العلمي . . مرة كفرضية ، وأعتقد أنني نجحت في إثباتها إلى درجة منعت أي كاره من أن يتعرض لها بحرف ، بصرف النظر عن مهارتات ووقاحة الرعاع الذين لا يملكون لا العلم ولا المنطق . . وهاهو الكتاب يدخل عامه الثالث وصدرت منه طبعتان ولم يجزؤ ناصري على أن ينقد - ولا أقول ينقض - حرفاً فيه . .

ومن ناحية عرضنا هذه العلاقة كنظرية تفسر مسلكية عبد الناصر في فترة باللغة التأثير - للأسف - من تاريخنا ، بل ومازالت - أي هذه النظرية - صالحة لتفسير الكثير من الأحداث^{١٢} . .

على أية حال لم تذهب جهودنا عبثاً في الكتاب الأول ، فقد اضطر مؤرخ الناصرية - كما سرى - إلى التراجع تراجعاً معيباً مفضوحاً ، فبعد التعالي على خرافة اتصال الثورة بالأمريكيين ووصف ذلك بأنه خرافة ، وجعل أمريكا شريكاً رابعاً في العدوان الثلاثي !! سقط ذلك كله بعد ما قندناه وفضحنا زيفه وعمافته . . واضطر مؤرخ أو مزيف تاريخ الناصرية إلى البدء في حديثه عن ثورة يوليو بالبداية الصحيحة التي - كما أشرنا - وضعها هو والناشر الانجليزي على غلاف الكتاب ألا وهي أن الناصرية ليست إلا فصلاً في ملحمة تصفية أمريكا للامبراطورية البريطانية والحلول محلها . . كذلك بدأ حديثه عن ثورة يوليو بالتعريف بآل روزفلت المخابراتي : « أرشيبالد روزفلت الذي هو أرشي . . وابن عمه كيرميت الذي أعاد الشاه إلى عرش الطاووس بعملية أجاكس التي نفذتها ال CIA » .

نعم تأمل كيف عدلت كتاباتنا تاريخ الناصرية وأوقفته على قدميه ، تأمل لو فتح قاريء كتاب ملفات السويس على صفحة ٥٧ لابد أنه سيذهل ويظن أنه يقرأ صفحة منقولة من كتابنا ، نقلها مؤرخ الناصرية ليفندوها ، فالصفحة تلخص الموقف في العالم العربي عشية انقلاب يوليو كالآتي :

١ - هناك مصالح ومطالب أمريكية هائلة .

٢ - هذه المصالح والمطالب في بلدان ضعيفة ومفككة وفي حالة تكيف .

٣ - وسيلة تحقيق المصالح والمطالب لا يمكن أن تكون بالقوة العسكرية فيها هو خارج عن توازنات الأمن العالمي .

٤ - وإذن فلا بد من وسائل جديدة لتحقيق وحماية هذه المصالح والمطالب :

« في هذا النطاق يمكن البحث عن دافع الولايات المتحدة إلى إقامة وحماية وتقوية إسرائيل وفي هذا النطاق يمكن البحث عن دافع الولايات المتحدة إلى إقامة وحماية نظم موالية لها .

وفي هذا المجال أخيراً يمكن البحث عن الدور الخاص والمسئولية المتميزة التي ألقيت على عاتق وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، بحروفه^١

ما الذي يمكن أن يستتجه طالب يدرس التاريخ أو المنطق وليس مؤلفاً يتحلل صفة مؤرخ . . .

المخابرات الأمريكية أو وكالة المخابرات المركزية ، كما يجب أن يثبت اسمها الثلاثي ، « تولت » أو حاولت إقامة نظام موالٍ للولايات المتحدة في مصر لتحقيق المصالح الأمريكية ، والمطالب الأمريكية في العالم العربي على حساب مصالح بريطانيا دون حاجة لاستخدام القوة العسكرية ضد بريطانيا العظمى . . أم أن سوريا وليبيا أهم من مصر . . ؟ وإذا كان الكلام يره ويبعد عن مصر فلماذا تبدأ به حديث الثورة الناصرية ؟
أولست أنت الذي رسمت خريطة العالم العربي عشية « نورتك » على هذا النحو :

○ السعودية : نفوذ أمريكي بنسبة ١٠٠٪ .

○ مصر : نفوذ أمريكي بنسبة ٥٠٪ مؤقتاً حتى يتم تهيب الأرض لما هو أكبر^٢ .

أمريكا تريد رفع نسبة نفوذها في مصر من خمسين إلى مائة بالمائة . . ووسيلتها في ذلك المخابرات الأمريكية . . ثم يأتي « بولدوزر » - كما سماه النحاس باشا - بصفي الحسين بالمائة البريطانية ، ويفتح للأمريكان عهداً في مصر وصفته أنت : « الولايات المتحدة الأمريكية - حليف بريطانيا الأكبر - دخلت المنطقة بقوة اندفاع شجع عليها وصول عناصر جديدة إلى السلطة في مصر ، يستخفون ببريطانيا ويركزون اهتمامهم على أمريكا » .

الولايات المتحدة في شوق إلى تصفية النفوذ البريطاني في مصر وأداتها في ذلك المخابرات الأمريكية ، وفجأة يصل إلى الحكم « فنية آمنوا » بأمريكا ويستخفون ببريطانيا ، تحيط بهم شبهة الاتصالات والتصلين بالمخابرات الأمريكية من فوقهم ومن تحته ، ثم لا تفسر هذه المصادفة السعيدة . .

دراويش الناصرية قالوا : إن هذا الفصد السيء كان فعلاً في نية أمريكا ، ولكن مقاومة وصلابة الشعب المصري منعت حدوثه ، بل أصابت الأمريكان بقارعة هي ثورة يوليو . . أما « هيكل » فهو يقفز ويشقلب ويلبس شتى الأقنعة لكي يتهرب من الإجابة . أما من بقيت في ضيائهم بقية حياء ، فهم يضطربون أمام حقائق الانفتاح بل الانحدام بين الناصرية والمخابرات الأمريكية ، فهم من ناحية لا يستطيعون التمسك بادعاء « الثورة المعادية للاستعمار العالمي » البريئة من النفوذ ، الطاهرة من آثار هذا الصراع الامبريالي . . لأن الوقائع والحقائق ومذكرات أو اعترافات رجال هذه الثورة التي تتوالى تنكر هذا الزعم وتنسفه نفساً ، ومن ثم فهم يسلمون بوقوع الاتصال والتطابق بين المصالح الأمريكية في الشرق

الأوسط وانقلاب يوليو ، وبمفهوم وتكتيكات المخابرات الأمريكية ، مع تشبهم بأحوال موقع لحفظ الشرف ، وهو : هل كان هذا الاتصال قبل الزواج أو بعده ؟ . . أي قبل ٢٣ يوليو أو بعد وصولهم للحكم . . ؟

وقد تبدو أنها نقطة لا أهمية لها . . — وهي بالتأكيد ليست كذلك — مادام الجميع قد اتفقوا على تلاقي المصالح الاستعمارية للولايات المتحدة في العالم العربي* مع قيام نظام يوليو واستقراره وهيمنته على السياسة العربية . . ومادامنا قد سلمنا أن انقلاب يوليو ثم نظام يوليو كان « لفترة سنوات » أداة لتحقيق المصالح الأمريكية بمنطق الإزاحة ١٩ أن يكون ذلك قد حدث عن إرادة ووعي وسبق تصميم من جانب المخابرات الأمريكية ، أو أن هذه المخابرات كانت في مثل غفلة عبد الحليم حافظ . . ففي يوم فتحت عينها وجدت « ثورة » يوليو فتعرفت عليها لتوها وقالت هذا هو « النظام الموالي » الذي كنت أحلم بإقامته ، وعلى الفور طرحت قلبها عند قدمي الثوار فكان قران بالرفاء والبنين ١٩ . . أو كما يقول مفبرك الناصرية بصورة هزلية : « في الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة - ضمن أطراف متعددين - تبحث عن « الرجل القوي » في القيادة الجديدة . كان « الرجل القوي » في القيادة الجديدة ، بدوره ، يبحث عن دور الولايات المتحدة »^٨

توارد خواطر ! فلما التقيا هتفا في صوت واحد : حبيبي . . عمال أمدور عليك وأنت هنا جنسي ! . .

هل من المعقول أن يؤجل الرجل القوي البحث عن الدولة القوية ، إلى أن يغامر بالانقلاب معرضاً كل جهوده وطموحاته بل ومستقبل « الوطن » لمقامرة البحث عن أمريكا ودورها وقبولها أن يكون هو لاعب هذا الدور ١٩ من أين حصل على ضمانة بالقبول ١٩ وهل من المعقول أن تغفل الولايات المتحدة عما يجري في الجيش ، وما يشور في البلد وتنتظر حتى ينجح انقلاب لا تعلم عنه شيئاً ثم تبدأ في البحث عن الرجل القوي لكي تحقق به مصالحها في الحلول محل بريطانيا ، من أين ضمنت أنه سيقبل أن يكون « مكنة » ١٩ أليس المعقول وقد عرفت « أن النتيجة التي يمكن أن يستخلصها المرء هي أن الولايات المتحدة رأت منطقة الشرق الأوسط غير مستقرة وبالتالي منطقة خطيرة وأن بريطانيا التي سادت المنطقة طويلاً غارقة في أمواجها ومن ثم فكان الدور على أمريكا أن تحمل محلها »^٩

هل نستكثر عليها أن تبحث عن الرجل القوي الذي « يحملها » أي أمريكا - محلها . . مادامنا قد اتفقنا على أن الغزو العسكري غير ممكن ، والمملك فاروق وتشكيته كاملة غير قادرة ١٩ ! . .

* أم ترانا سنسبها مصالح مشروعة أو حتى ثورية تحررية ١٩ لا . . هو نفسه اعترف أن « الولايات المتحدة قادمة لدورها الامبراطوري الجديد » وهي مصممة على إزاحة الامبراطورية القديمة ص ٦١ ملفات السويس . . إزاحة بريطانيا لتحل محلها طبعاً أم لوجه الله والوطن ١٩ . .

لم يأت الرجل القوي فعلاً محققاً لآمال الحلول هذه ، حتى اعتقدت الولايات المتحدة - عن حق - أنه « قد أصبح لها في المنطقة مع الظروف المستجدة ، ما ليس متاحاً لغيرها »^{١٠} وبصرف النظر عن أعجوبة أن نجد زعيمة « الامبريالية » في زعيم « الثورة » العربية امكانية غير متاحة لغيرها ! .. الا يوحى ذلك بتناقض سابق في الإرادات ...
 بتثبت « هيكل » - في الطبعة العربية - بخرافة أن اللقاء أو شهر العسل بين الثوار والامتنعار حدث بعد وصولهم للسلطة كأخر خط دفاع ، ولكنه في طبعة الخواجات لا بصر كثيراً على هذه النقطة وإنما يقول :

« قرر ناصر أن يستفيد إلى الحد الأقصى من الأمريكيين ، كان دائماً يرمز إليهم والبريطانيين بالقادمين والذاهبين « الجايين والراجلين » (كتبها هكذا : elgayin wa elrayin وظن أن القادمين يمكن أن يضغطوا على الزاهيين »^{١١} . « وهكذا قام شهر العسل في التعاون بين مصر والولايات المتحدة وجرى تدعيم الجهاز الدبلوماسي الأمريكي في مصر بحضور قوي للمخابرات CIA . ولیم ليكلاند كان موجوداً بالفعل في مصر وهو دبلوماسي شاب « لهلوية » ولعله كان يعمل للمخابرات من وقتها ، إذ أنه بالتأكيد كان كذلك فيما بعد وإن لم يثر شك وقتها حول ذلك**

« وجاء روزفلت بـ « جيمس ايكلبرغر » و « مايلز كويلاند » ، وكان واضحاً أن المخابرات الأمريكية تدير عملية منفصلة عن السفارة وأكثر فعالية***
 تدير من ياحاج !؟

بصرف النظر هل حدث هذا الالتقاء قبل أم بعد الثورة ، فهو يعترف بالثناء المصالح ، مصالح الانقلابيين واستراتيجية أمريكا في وراثة الامبراطورية البريطانية ، وتصور لنا زعيم الثورة مجرد منادي سيارات ، يقف على باب الجراج ، يخرج الراجين ويهتف بالجاين :
 هات .. هات .. خش ! .. طمعاً في البقشيش !!

- صحتها Rayheen ولكن يبدو أن « هيكل » لم يراجع الطبعة الانجليزية بل صاغها شخص لا يفهم العربية كما أشرنا من قبل .
- من المضحك - على طريقة المتنبي - أن محاولة إعفاء العلاقة بين الناصريين وال CIA قبل الثورة جعلته يحاول تبرئة « ليكلاند » والإجماع بأنه - هو أيضاً - عمل في المخابرات الأمريكية بعد زيارة علي صبري يوم الصبحية ! .. أي ثورة مشومة تلك التي تغري كل من يصله نبأها بالعمل في المخابرات الأمريكية ! .. أم أن عضوية المخابرات الأمريكية كانت وحدها السبيل للتعامل مع هذه الثورة !؟

لقد تعرضنا لـ « ليكلاند » هذا في كتابنا السابق وسنقدم المزيد عنه في الفصول التالية .

- ص ٤٢ خ وهو نص منقول حرفياً عن كتاب حيال من رمال .. ونشرناه وعلقنا عليه في كتابنا « كلمتي للمغتفلين » في معرض الرد على زعمه بأن الاتصال بين الثورة والمخابرات الأمريكية مجرد خرافة .. فجاء بثبناه بعد عشر سنوات !

يقول لنا إن عبد الناصر قرر الاستفادة من « الجايين » ، فهو يرى مصير الشرق الأوسط بين « رايحين » و« جايين » . ولو كان مناضلاً أو مقاوماً أو وطنياً لقال « الغابرين » و« الطامعين » لو كان يمثل قوى وطنية أصيلة لأبغض « القادمين » أكثر ولحاول أن يضرهما معاً أو ببعض لا أن يتحول إلى أداة في يد القادمين ومن خلال أسوأ أجهزتهم . .

على أية حال هذا الاعتراف بالأرضية والتعاون مع المخابرات الأمريكية يقال لأول مرة ، سواء اعترافاً بأن ما قدمناه من أدلة يصعب أو يستحيل نفيه ، وأخذاً بما اقترحنه أن يعدلوا دفاعهم من « غير مذنب » إلى « مذنب ولكن . . » فيعترفون بالحقيقة التي يعرفها العالم المتدبرين وهي التقاء المصالح والتعاون مع المخابرات الأمريكية .

أقول مهما تكن الأسباب والدوافع ، فإن هذا الاعتراف يشكل نقطة تحول هامة في التاريخ لانقلاب يوليو ، وإن استمر الخلاف : هل كان هذا التعاون بعد نجاح الانقلاب أو قبله ، وإذا كنا مستناقش أكثر ، فإننا نعتقد أنه يستحيل تصور « أكبر فترة تعاون بين حكومة مصرية والمخابرات الأمريكية يتم في ظل حكومة « الثورة » . . إن الألفاظ تفقد معناها ويغدو التاريخ بل والسياسة نوعاً من السريالية الهازلة . . كذلك نعتقد أنه لو كان التعاون مع الولايات المتحدة بدأ بعد الثورة وكتعاون سياسي بين حكومتين ، لما اتخذ شكل التعاون التأمري مع المخابرات الأمريكية ومن خلف ظهر السفارة الأمريكية ، الأمر الذي تسبب في جميع الكوارث التي نزلت بمصر ثم بعبد الناصر وانقلابه .

وإذا كنا قد فسرنا سر هذه العلاقة الشاذة ، التي لم يكن لها مثيل إلا في إيران بعد انقلاب كريميت ، أو سوريا فترة حسني الزعيم ، وأعني تلميز عملية مصر وسياسة مصر . . بل مصر كلها في عهد ناصر تلميزها للمخابرات الأمريكية . فرنا ذلك بأن هذه المخابرات هي التي جاءت بهم إلى السلطة ، فكان الوضع الطبيعي أن تتولى مسئولية إدارتهم إلى أن انتهت العملية كلها .

فإن هيكمل يعترف بأن الطرف الأمريكي في التعامل مع الناصرية كان المخابرات الأمريكية ويسلم معنا أنه وضع شاذ ، ولكنه يضع الوقت في البحث عن بارد العذر لتفسير هذا الشذوذ في التعامل مع أم الدنيا ، ويخرج علينا بسبته إلى مزاج الرئيس الأمريكي ! . . مع أن هذا الفعل الشاذ ، بدأ واستمر خلال حكم رئيسين مختلفي المزاج تماماً ، الأول ديمقراطي أفاق بياع كرافتات صهيوني للدرجة العمالة ، والثاني جنرال جمهوري بطل الحرب العالمية الثانية ومنحدر إلى حد كبير من نفوذ الصهيونية . . وفي عهديهما استمر الفعل الشاذ في التعامل مع نظام ناصر . . ومن ثم تستمر « مارتا » في تعداد الأسباب ، ومطلوبها واحد هو إخفاء السبب الحقيقي ، أعني العلاقة السابقة على وصول الناصريين للسلطة . . فيقول هيكمل : « وإن العمل السري لا يلفت نظر القوتين العظميين المهتمتين به مباشرة : بريطانيا وروسيا » . وهذا صحيح جداً بالنسبة لمرحلة التأمير لقلب نظام الحكم الملكي ، أما بعد أن أصبح

الناصريون في السلطة وعرف الانجليز ناصر « بتاج مبن » إلى حد أن يصرخ وكيل وزارة الخارجية البريطانية في وجه المندوب الأمريكي « تريد أن نسلم سوريا لعبد الناصر بتاج السى آي ايه ١٩ . . وبعد أن يجلد « إيدن » من المشول في السفارة الأمريكية عن دعم الناصريين : « أما « ليكلاند » فهو مع المصريين ثلاثمائة في المائة »^{١٢} .

بعد الانقلاب لم يكن هناك من مدبر لاستمرار التعامل من خلال الـ CIA إلا دور هذه الـ CIA في اقامة النظام . وفي كل بلدان العالم تعمل شتى أجهزة المخابرات ، فهذا نظام عالمي قديم الجذور ، ولكن الظاهرة المصرية اتسمت بالشذوذ والغرابة وتجاوزت الحد المتعارف عليه ، سواء في حجم ومحالات تداخل هذه المخابرات الأمريكية أو مستوى تعاملها مع الطرف المصري . . مما أذهل حتى المراقبين الأمريكيين أنفسهم كما سنرى في شهادة الأمريكي « ليفلاند » هذا النشاط الغريب اليومي بل وعلى شتى المستويات ابتداء من رئاسة الدولة . . وهو ما يؤكد مؤرخ الناصرية في ملفاته :

« مجموعة « كبريت روزفلت » وكانت غنصة بالعمل والاتصال في الميدان ومن يوم إلى يوم وكان « كبريت » بالطبع أبرز نجومها واختار لمعاونته اثنين من الدبلوماسيين هما « مايلز كويلاند »* و « جيمس ايكليبرغر »^{١٣} . .

« وأكثر من ذلك رغبة في الطمأنة فإن « كبريت روزفلت » رجا جمال عبد الناصر بتكليف مصدر واحد تجري الاتصالات من خلاله ، وكلف « عبد الناصر » مدير مكتبه « علي صبري » بهذه المهمة (ووضعت « مارتا » هامشا آخر هنا يعترف بأن « كان تصور جمال عبد الناصر أنه من خلال « كبريت روزفلت » يتعامل مع البيت الأبيض مباشرة فجوازه يؤكد أنه مستشار للرئيس وحتى مع بعض الشكوك الواردة فقد بدا أن ذلك أسلوب « ايزنهاور » في العمل ، وساعد على تقبله وجود « دلاس » وزيراً للخارجية في الوقت الذي يرأس شقيقه « اللبش دلاس » (عفاؤ آل دلاس) إدارة المخابرات المركزية الأمريكية . . وتأمل كيف يتعثر أسناد الفكرة ويضطرب في محاولة تغطية موقف عبد الناصر من كبريت روزفلت وقبوله أن يكون منه في موضع الشريف حسين أو حتى « فيصل » من لورنس . .

خذ هذه :

في قصة السويس الصادرة في عام ١٩٨١ يقول :

« وكان بين هؤلاء المندوبين ، كبريت روزفلت المشول الأول في إدارة المخابرات

■ ها ! قد اعترفنا أخيراً أن المشول عن مصر هو « كبريت روزفلت » وله مساعدان مشيان . . أحدهما « كويلاند » . . وهو هذه المرة « دبلوماسي » مش عميل زي زمان ! ولا ندرى سر تحول هيك من سب الرجل إلى احترامه . . هل ما كتبناه . . ؟ أم رسالة مصطفى أمين التي أوضحت دور وحجم الرجل . . أم ما يقوله كويلاند نفسه من أنه « اصطليح » مع هيك . . ؟! وهل باترى هذا الصليح علاقة برحلة طهران ١٩ . . الرجل مازال يدير شركة مخابرات قطاع خاص . .

الأمريكية عن الشرق الأوسط وقد وصل إلى القاهرة تحت ستار أنه مستشار خاص للبيت الأبيض . وقد عرف جمال عبد الناصر شخصيته الحقيقية قبل أن يقابله .
ولكن في « ملفات السويس » التي نشرت بعد قصة السويس بحوالي خمس سنوات ، نجد عبد الناصر ، يعكس الإنسان الطبيعي تقل معرفته بمرور الزمن فيخبرنا الراوي : « في أواخر شهر أكتوبر وصل إلى مصر المستر كيرميت روزفلت ، لكن جمال عبد الناصر لم يكن يعرف حتى هذه اللحظة حقيقة عمل كيرميت روزفلت ، فقد وصل كيرميت بحمل جواز سفر دبلوماسيا يصفه بأنه مستشار خاص لرئيس الولايات المتحدة ، واتصل الوزير المفوض في السفارة الأمريكية بالقائمقام عبد المنعم أمين ليبلغه بوصول أحد مستشاري الرئيس ترومان إلى القاهرة »^{٢٢}

وهكذا نرى أن التاريخ طوع بانه ، أو من إنتاج الشريف لليلاستيك يشككه كما يشاء .
مرة في قصة السويس « عبد الناصر » عرف كيرميت وحقيقته قبل أن يقابله ، بصرف النظر عن تاريخ المقابلة ، أكتوبر ١٩٥٢ أو بعد ذلك . .
ومرة ظل يجهل ذلك طوال ١٩٥٢ إلى أن تولى ايزنهاور في يناير ١٩٥٣ وجاء روزفلت بحمل جواز سفر جديدا . . وأيضاً في صفحة ٢٣٧ من « ملفات السويس » يعتقد بأن عبد الناصر تعامل مع روزفلت هذا . . لأن « جوازه يؤكد أنه مستشار للرئيس وحتى مع بعض الشكوك الواردة فقد بدا أن ذلك هو أسلوب ايزنهاور » . .

وقبل ذلك بمائة صفحة يقول لنا إن عبد الناصر اكتشف حقيقة روزفلت هذا فور تولى ايزنهاور وعودته بجواز سفر فيه أنه مستشار الرئيس « ص ١٧٨ ع ، أي أنه جاءه مرة بجواز يثبت أنه مستشار الرئيس الديمقراطي ترومان . . وغاب وسقط الحزب الديمقراطي ونجح الجمهوري ورجع أيضاً بجواز فيه أنه مستشار الرئيس الجمهوري . . ولم تكن هذه اللعبة تنطلي على فتى بني مر الذي فقس اللعبة على الفور فلا يحمل مثل هذه الصفة بشكل دائم إلا بتوع المخابرات .

مرة عبد الناصر عرف قبل أكتوبر ١٩٥٢ .

ومرة عرف في يناير ١٩٥٣ .

ومرة « بعض الشكوك » !

أي تاريخ هذا . . الذي لا يرتقي لمستوى الأساطير ١٩ . .^{٢٢}

كذلك صيغ وصف لقاء عبد الناصر بـ روزفلت بعبارات تتفق مع ماجد من تطورات وما ظهر من مشايخين من أمثال كاتبه . . ففي قصة السويس كانت « مارنا » تظن أن أحداً لا يعلم . . ولذلك نفت بشكل قاطع : « لم يكن هناك اتصال بين الثورة والولايات المتحدة قبل ٢٣ يوليو ، ! . .

أما في الملفات فقد اضطرت « المتهم » بعد أن استجوب وفق العرف الجاري في البلاد* إلى تعديل أقواله فأصبحت العبارة كالآتي في وصف لقاء روزفلت مع عبد الناصر وعامر وصلاح سالم : « وكان هذا أول لقاء على هذا المستوى بين قيادة ثورة ٢٣ يوليو وممثلين عن الولايات المتحدة »^{١٤}

رائع !

على أية حال بهذه الإضافة « على هذا المستوى » لم يعد هناك كبير خلاف بيننا . . فنحن لم نحدد المستوى ، وإنما أثبتنا وجزمنا بأن لقاء روزفلت هذا لم يكن أول لقاء ولا أول اتصال بين « ثورتهم » والولايات المتحدة الأمريكية . . . ولكن ما من أحد قال أو يقول إنه كان سيتم على هذا المستوى . . ناصر وعامر وصلاح . . في مرحلة العمل السري ! مستحيل بالطبع . . ويبقى السؤال . . إن كنت لازلت مؤلف قصة السويس ومربوطاً من لسانك بأنه لم يكن هناك اتصال . . فلماذا أضفت « على هذا المستوى » ؟!

وفي رسالة « مصطفى أمين » إلى عبد الناصر ، بقرر أن عبد الناصر كان يعرف مهمة روزفلت ، وأن الاتصال لم يقتصر أبداً على « علي صبري » بل كان هيكلاً بالذات ومصطفى أمين ، على اتصال دائم به وبمعاونيه . ومايلز كويلاند كان يرى متابلاً ذراع « حسن النهامي » في مدرسة الكادر للمخابرات المصرية التي أقامها المدربون الأمريكيون . وإذا كنت تزعم أن « ناصر » أمر بقصر الاتصال مع روزفلت على « علي صبري » . . فأنت منهم بالاتصال بالمخابرات الأمريكية من وراء ظهر عبد الناصر بنص اعترافك فيما ستعرض له من اجتماعاتك التي تفوق الحصر مع روزفلت ومساعديه . .

ونستقل من الكذب إلى المجون عندما يتنى كل ما قاله عن أهداف الولايات المتحدة فيقول : « أثبت الدور الأمريكي فعلاً قدرته على الضغط على لندن ولكن السؤال المعلق كان هو : ما الذي تريده الولايات المتحدة بالضبط ؟^{١٥} ،^{١٦}

بعد كل هذا ولا تعرف يا عثمان ؟!

من حقنا أن نعيب على معلم الناصرية أنه لم يعلم تلميذه عبد الناصر كما يجب ، بل تركه في حيرته مع الزير المعلق أقصد السؤال المعلق . . لماذا لم يخبره بنظرية الإزاحة وأن هذا الضغط والدعم هو لإخراج الراحين وإدخال الجاهلين . . وإذا كانت بريطانيا ذاتها - كما تفضلت وعرفتنا - تفهم وتعرف لماذا تؤيد أمريكا عبد الناصر « لأغراض تشعر الحكومة البريطانية بمقاصدها »^{١٦} فكيف لا يعرف عبد الناصر نفسه ؟!

ويا هل ترى ظل عبد الناصر في حيرته وكبريت يقدم له معلومات « عن نشاط الإخوان واجتماعاتهم في الخارج »^{١٧}

* هذا التعبير من ملفات الحملة الفرنسية - محضر التحقيق مع سليمان الحلبي مع الاعتذار الشديد جداً لسليمان .

أما اجتماع « المستوى » هذا فقد حضره أيضاً « وليام ليكلاند » .
« وظهر خلال هذه الاتصالات دور نشيط للمستمر » وليام ليكلاند « وربما كان السبب أنه
بوصفه مستشاراً شرقياً للسفارة وكان ضليعاً في اللغة العربية » *

وأظن أنه بدلاً من هذا الاستعاط تعرف القاريء من هو « ليكلاند » هذا ، من إحدى
روايات « هيكمل كريستي » . . ففي رسالة مصطفى أمين المنشورة في كتاب هيكمل : بين
الصحافة والسياسة جاء الآتي :

« وعرفني كافري بمستر « ليكلاند » وهو شاب أعور يعمل ملحفاً في السفارة واكتشفت أنه
أقوى موظف له نفوذ على كافري برغم أنه ملحق صغير بالسفارة وكان يجيد العربية إجادة
تامة ، وكان يزورني في مكنتي وفي بيتي باستمرار ، وأعتقد أنه له فضل كبير في التأثير على
كافري وعلى سياسة أمريكا في مصر » .

« وعندما قامت الثورة أبلغني ليكلاند أنه في ليلة قيامها أيقظ السفير البريطاني في واشنطن
مستر دين اتشيسون . . وزير الخارجية من النوم وأبلغه أن ثورة شيوعية قامت في مصر وأن
الحكومة البريطانية قررت التدخل العسكري فوراً وتحرك الجيش البريطاني من فايد لقمع
الثورة ، وقال لي « ليكلاند » : إن دين اتشيسون طلب مهلة للتشاور وأنه أبرق إلى كافري
يسأله رأيه ، وأن « ليكلاند » هو الذي أعد البرقية العنيفة التي على أثرها أبدت أمريكا
اعتراضها على التدخل العسكري البريطاني في مصر ، وشعرت بحكم انصالي المستمر بأهمية
ليكلاند وقوته رغم صغر سنه . وأبلغت المرحوم صلاح سالم برأيي أن ليكلاند هو السفير
الحقيقي ، وعقب ذلك حدث اتصال مستمر بين ليكلاند وبين الرئيس جمال عبد الناصر
وصلاح سالم . . وكان ليكلاند هو الواسطة بين الثورة وبين السفير الأمريكي « ، وكان يشو
منحسباً للثورة ومؤيداً لها وأعتقد أنه قام بخدمات جليلة جداً في شأن علاقات أمريكا مع
الثورة في بدء قيامها » .

أعرفت الآن لماذا ينشئ « هيكمل » بورقة التوت لستر عورتهم ، بالزعم أن « ليكلاند »
هذا انضم للمخابرات الأمريكية بعد الثورة وليس قبلها ! .

ولم أنشأ الأمر بالتفصيل في الفصول القادمة ، نقول إن أهمية تحديد توقيت اتصال
عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية ، هو أن هذا التحديد يساعد في فهم طبيعة الظاهرة
الناصرية ، ويعزز تفسيرنا بأنها مجرد افراز للصراع الأنجلو - أمريكي ومن ثم فهي محكومة
بقوانين هذا الصراع . بقصور ومحدودية ارادة وحركة أدوات هذا الصراع ، وقابلية أو حتمية
خضوع هذه الأدوات لضغوط طرفي الصراع . فلو كانت الناصرية افرازا للصراع العربي -

• شوب الأمريكيان يجيوا العربي إزاي . . واحنا كمان . . مصطفى أمين و هيكمل أصبح هما نفوذ كبير على
الثورة علشان يعرفوا أمريكاني ! ها ! ها ! .

الإسرائيلي ، لا اتخذت مسارا آخر يختلف جذريا عما ارتكبته وأدى إلى تحول إسرائيل من دولة مزعومة إلى أقوى قدرة عدوانية في المنطقة ، لو كانت الناصرية رد فعل التحدى الإسرائيلي لما بدأت عهدها بكل هذه الآمال في مصلحة إسرائيل والتعايش معها ، ولا خاضت المعارك في كل الجبهات هروبا من مواجهة إسرائيل ، ولا كان عبد الناصر يتصلب مع جميع الأطراف في حرب ١٩٥٦ ويتنازل لإسرائيل وحدها . . الخ الخ . .

ولو كانت الناصرية هي التعبير عن الحركة الوطنية المصرية الضاربة بجذورها إلى مطلع القرن التاسع عشر ، ما قبلت فصل السودان ولا تحطيم الرأسمالية المصرية ومسحق الديمقراطية ، ولكان مفهومها وممارستها للوحدة العربية بصورة مخالفة تماما . . تأمل على سبيل المثال الحركة الوطنية في فيتنام ، لأنها لم تكن مجرد ظاهرة من ظواهر التناقض الأمريكي - الروسي - أو التناقض الروسي - الصيني ولا التناقض الأمريكي - الفرنسي في الأصل . . بل التعبير الصحيح عن الوطنية الفيتنامية ومن ثم فقد استفادت من كل هذه التناقضات ، إلا أنها لم تقبل أن توظف لحساب أي طرف ، ولا قبلت المساومة على أهدافها الوطنية ، وقد كان بوسع ثوار فيتنام أن يكتفوا باعتراف أمريكي باستقلالهم في الشمال ، لينعموا بالسلام والسلطة مقابل تنازلهم عن هدف تحرير وتوحيد كل الوطن . . ولكنهم لم يقبلوا واستمروا في الحرب عشرين سنة أخرى حتى تم تحرير وتوحيد الجنوب رغم أنف أكبر قوة في العالم وهي الولايات المتحدة . . بل وهل أقول رغم أنف الصين حليفة الأمم وعدوة اليوم . . ورغم أنه لا يمكن انكار الدور الذي لعبته أمريكا في هزيمة فرنسا والدور الذي لعبته الصين في هزيمة أمريكا . . وقد استفاد ثوار فيتنام من ذلك دون أن يكلفوا الوطن أو المبادئ تنازلا لأنهم كانوا الممثلين الشرعيين لثورة ووطنية القومية الفيتنامية . . ومن هنا أهمية تحديد « الرحم » الذي استقبل « ثورة يوليو » وغذاها ثم ولدها . .

فإذا كان تعاون المخابرات الأمريكية مع حكومة الثورة ، مريبا ويشكل وثيقة اتهام ، فإن احتضان واختيار هذه المخابرات لتنظيم ناصر وتمكينه من الاستيلاء على السلطة هو الوثيقة الكبرى والدليل القاطع على نفي نسب هذا الانقلاب وبراءة الحركة الوطنية منه التي لم تلده ولا ولد على فراشها . . فله ولأمة الحجر !

ولنبدا الحديث من بدايته . .

رأى هيكل ، بمناسبة « الحديث عن دور أمريكا أو الشريك الرابع في حرب السويس » فرصة لكي يتعرض « لخرافة تقول بأن الولايات المتحدة كانت على اتصال بقيادة ثورة ٢٣ يوليو قبل قيامها . وأنها كانت في سرها قبل إذاعته »*

* وذلك في كتابه « قصة السويس » الذي كان محور نقاشنا في البداية . وقد أضفنا ما استجد بعد نشر الكتابين : « كلمتي للمعتقلين » ، و « ملقات السويس » .

وقد بدأ تعرضه لهذه « الخرافة » التي هي - للأسف - أقوى من الحقيقة - بقوله : « إن بعض الذين يروجون هذه الخرافة ، يعتمدون ، لسوء الحظ على رواية أوردتها المستر مايلز كوبلاند في كتابه لعبة الأمم ، دون أن يسألوا أنفسهم سؤالاً بسيطاً ، هو : من هو « مايلز كوبلاند » ؟ » .

ولا أظن أن القاريء لكتاب لعبة الأمم ، وما كتب عنه في الصحف الأمريكية والعالمية ، كان بحاجة إلى طرح هذا السؤال « البسيط » فالرجل قد عرف بنفسه وبوظائفه والمهيات التي عهد له بها ، واتصالاته في مصر مع هيكل نفسه والرئيس عبد الناصر والعديد من المسؤولين المصريين ، وكلها أسماء رسمية وذات صفة عليا في الجهازين الأمريكي والمصري ، وكان الأحرى بهيكل أن يرد أولاً على تعريف الكاتب والناشر بمايلز كوبلاند ، قبل أن يقرعنا على عدم السؤال ، وقبل أن يعرفنا هو بمن هو مايلز كوبلاند . . . فإن فضح الرجل كان أسهل ألف مرة ، لو قال هيكل « بصراحة » : يقول مايلز كوبلاند إنه كان يعمل في السفارة الأمريكية في الفترة من كذا إلى كذا . . . ولكن هذا غير صحيح . . . والدليل كذا وكذا . . . أو أنه كان عضواً في لجنة تخطيط سياسة الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأمريكية ، وهذه هي وثيقة من الخارجية الأمريكية تثبت أنه لم يعمل بها . . . أو أنه يدعي أنه سلم حسن التهامي ، مبلغ ثلاثة ملايين دولار هدية المخابرات الأمريكية لعبد الناصر ، وهذا تكذيب من حسن التهامي يؤكد أنه لا يعرف الرجل ، ولم يحدث أن استقبله في شقته بالمعادي . . الخ . . . لو فعل هيكل ذلك لحق له أن يقرعنا بسؤال : من هو مايلز كوبلاند ، ولكنه لا يملك أن يكذب معلومة واحدة مما قاله الرجل عن نفسه ، فلجأ إلى أساليب « الردح » المعتادة في البلدان المتخلفة . . « ذا كان عايز يشتغل ولم تقبل تعيينه ! وعندنا جوابات منه . . الخ » .

يقول هيكل : « مايلز كوبلاند - وهو يعترف بذلك في كتابه - أحد موظفي إدارة المخابرات المركزية الأمريكية الذين عملوا في مصر فترة من الزمن » . . . صحيح !! وهذا ما قاله الرجل واقتصر به ، بل قدمه كوثيقة ودليل على صدق معلوماته ، ولكن هيكل يفتقر فوق هذه الحقيقة ليستج أن لا يمكن أن يؤلف وينشر إلا بموافقة المخابرات الأمريكية ، وبالتالي « فالهدف هو تلطيح سمعة جمال عبد الناصر كجزء من حملة « الدعاية السوداء » كما يسمونها ضد الثورة وقائدها » .

نعم يؤكد أن للرجل ملفات كاملة في الحكومة المصرية تضم خطابات بإمضائه « بطلب فيها أموالاً من الحكومة المصرية لإنشاء حسابها لإدارة مخابرات » . . وهناك « تأشيرات » على هذه الخطابات بالرفض ، « وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يشكو فيها من أن جميع المصريين المسؤولين لا يقابلونه ولا يردون عليه ، بينما هو يريد أن يخدم ، ولا يطلب من مصر إلا ما يستطيع أن يعيش به ويحافظ على مستواه . وتأشيرات على هذه الخطابات بمنع دخوله إلى

مصر ويعدم حاجتها إلى خدماته ، وبأنها ليست مسئولة لا عن معيشته ولا عن مستوى معيشته .

« وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يبدى فيها استعدادة لحذف وتغيير كل ما لا ترضى عنه مصر في كتابه « لعبة الأمم » وتأثيرات عليها بعدم الرد عليه .
ويشأمل هيكل في النهاية : « ولست أعرف لماذا لا تنشر كلها أو ينشر بعضها (١٩ ج) في مواجهة ما يكتبه وينشره كوبلاند ؟ !
سؤال مهم جداً . .

وهو - بالمناسبة - ليس موجهاً ضد نظام السادات أو غيره ، حتى لا نقول بمؤامرة لتشويه سمعة الزعيم ، وأن السلطة المصرية تخفي هذه الأدلة التي تجريء ساحتها وساحة ثورته ، فالخطابات موجودة من أيام عبد الناصر على رواية هيكل - والكتاب عرض على حكومة عبد الناصر ، للتنقيح والحذف وصدر والزعيم حيي بحكم ، فكان الأحرى أن تبادر السلطات الناصرية بنشر تلك الخطابات ، إن كانت حقاً تكشف زيف كوبلاند ، ولا تعزز روايته ؟ ! وهو ما لم تفعله الزعامة الناصرية ولا حكومة السادات * . . مما يجعل سؤال هيكل يثير أكثر من سؤال . . على أن الأدلة التي أوردها السيد هيكل ، وهو طرف مباشر في الموضوع ، تؤكد صحة المعلومات التي أوردها مايلز كوبلاند ، ولا تضعفها فضلاً عن أن تنفيها . . لهذه الأسباب :

١ - الرجل كان موظفاً في المخابرات الأمريكية ، وليس موظفاً عادياً كما ستري ، ومن ثم فهو ليس بالصحفي الذي يستجج أو ينقل من مصدر آخر مثلاً ، بل هو شاهد عيان ، عاشر الأحداث . وساهم فيها ، وهو يروي ما عاشه بدقة تفصيلية مثل أين كان الاجتماع . . ومع من . . وماذا حدث عندما دق الباب وعرف أنه السفير البريطاني فخرج له عبد الناصر . . الخ ! وهو لا يروي فقط عن المصريين الذين قد لا يملكون الرد ولا ندري لماذا ، ولا عن الأموات كما يفعل هيكل ، بل عن مسئولين أمريكيين أحياء ، وهم أجهزة مهمتها الرد على كل حرف خاطيء يتعلق بهم . . ولا يعقل أن يصدر موظف كبير في وزارة الخارجية والمخابرات مثل مايلز كوبلاند كتاباً في أمريكا ينسب فيه لقاءات وأحداث واجتماعات لكبار المسئولين الأمريكيين ، كلها من نسج الخيال ، أو يزيف ما جرى فيها ولا يصدر تعليق في هذه الوقائع الأساسية ، وإن كان أكثر من مصدر قد صحح له وقائع تفصيلية . .
ولولا أنه كان موظفاً في المخابرات الأمريكية - وليس عميلاً - لما كان لكتابه أو شهادته هذه الأهمية ، التي تتبع فقط من أنه موظف في المخابرات الأمريكية .

• بل ولا نشرها هيكل الذي يؤكد لنا أنه يحفظ بكل ورقة وصلت للدولة المصرية في عهد عبد الناصر . . وأكثر من هذا فقد جاء في رسالة مصطفى أمين ، أن صلة الرجل لم تنقطع بعبد الناصر بعد انتقال كوبلاند إلى بيروت .

٢ - الرجل على صلة وثيقة بالحكومة المصرية ، ويعتبرها مسئولة - ولو أدبياً - عن الحفاظ على مستوى معيشته - إذا قبلنا رواية هيكل ولا دليل عليها إلا شهادته وهي أكثر من مجروحة - ولا يعقل أن يأتي أفاق من فرنسا مثلاً ، ليس له أية صلة بالحكومة المصرية ، ويشكو أنها لا تعطيه ما يحفظ له مستوى معيشته الذي اعتاد عليه !

هذا كلام صاحب عشم وصاحب أفضال سابقة ، وصاحب أسرار يحذر من أن « الجوع كافر » وأن ذلك قد يضطره إلى ما لا يحب « ويضرك يايه » !

ولا أحد يأتي بكتاب كله أكاذيب ، ثم يساومك على حذف بعض الأكاذيب ؟ لا ليس هكذا فن البلاك ميل . . والأستاذ هيكل خير من يعرف أساليب الابتزاز الإعلامي ، والدعاية السوداء ، والرمادي ، والكروحات . الابتزاز لا يكون إلا على « فضائح » والفضيحة لا بد لها من أصل حقيقي . ومن ثم لا يمكن إلا أن يكون مايلز كوبلاند شاهداً مهماً ، ولديه وقائع تمس سمعة النظام المصري ، وبالأذات بعض الأشخاص . وأنه وثيق الصلة بالحكومة المصرية إلى حد كتابة الخطابات واقتراح إنشاء « جهاز مخبرات خاص لهم » على ضوء ما شاهدوه وعرفوه من خبرته ، ويشكو من إهمالهم ، ويساوم على حذف بعض ما لديه من معلومات * . . هذا كله يؤكد أن « لعبة الأمم » لم تكن قصة خيالية ، وهذا ما نصل إليه من أدلة نقي هيكل . . أما الأدلة الحقيقية فصيراً علينا . .

يبقى سؤال : لماذا سمحت المخابرات الأمريكية بنشر هذا الكتاب ؟ ويبادر هيكل فيسد علينا الطريق بطرح إجابة : إنها مؤامرة لتشويه سمعة الزعيم . . ونحن لا نرفض هذا التفسير أبداً ، بل بالعكس نجد أنه محتمل جداً ، فالعلاقات منذ ١٩٦٤ أو ١٩٦٥ كانت قد تدهورت تماماً بين واشنطن والقاهرة ، والأجهزة الأمريكية المزودة للناصر كانت قد هُزمت أمام الأجهزة النفطية والإسرائيلية والبيروقراطية المعادية لنظام حكمه . . وكانت الولايات المتحدة قد اتخذت قراراً بتحجيمه إن لم يكن إسقاطه . . فلا عجب ولا غرابة أن تحاول الأجهزة الأمريكية تشويه سمعته . . ولكن الأستاذ « هيكل » وهو خير يعرف أن أجهزة المخابرات عندما تقرر تشويه سمعة « زعيم » فهي تلجأ إلى أحد أسلوبين أوهما معاً : الشائعات . . وهذه لا يعرف مصدرها ، ولا يمكن الدفاع عنها ، ولكنها تخلق التشويش المطلوب ، وهذه قد تكون كاذبة وملفقة . لا ييم . . فلا أحد يتحمل مسئوليتها . وهذا ما استخدم ضد محمد نجيب والنحاس وصالح سالم . . الخ . .

الأسلوب الثاني . . هو نشر وثائق تدّين هذا الزعيم ، ونسيء إلى سمعته ، وأحياناً نادرة - تكون الوثائق مزورة بإتقان بالغ ، ولكنها في هذه الحالة لا تنسب أو لا تصدر بشكل

• يعزز هذا قول التهامي : إن الكتاب عرض على عبد الناصر نفسه . ثم مصالحة كوبلاند في عهد السادات والسماح له بدخول مصر . وأخيراً تغيير لجنة هيكل في الحديث عنه في « ملفات السويس » فقد ذكر مركزه ودوره بكل احترام كما أوضحنا في الصفحات السابقة .

واضح من الجهة التي تريد ترويعها ، لسبب بسيط هو أن الزعيم أو المشول ، يستطيع بما يملك من سلطات ، إثبات تزويرها ، وبالتالي تفقد هذه الجهة التي أصدرتها مصداقيتها عند الناس ، وهو عنصر مهم جداً لنجاح حملاتها بل حتى أكاذيبها في الظروف الحرجة . . لا يمكن أن تصدر وثيقة علنية على لسان المخابرات الأمريكية ضد رئيس دولة تتحدث عن اجتماعه وتنسقه برجالها ، دون أن يكون لذلك أصل . . لأن الناس لن تصدق المخابرات الأمريكية بعد ذلك . . وجانب مهم من نجاح هذه الأجهزة وقدرتها في السيطرة على العملاء والمتعاونين ، هو هذه الوثائق التي تملك نشرها والتي تفقد قيمتها ، إذا طعن فيها بالكذب ، أو إذا قبلنا منطق هيكل بأنه يستحيل نشرها ، وهو المنطق الذي يغترون به بالعملاء عند بداية تجنيدهم للعمل ، بأن خطبتهم في الحفظ والصون ! .

نعود للسؤال . . لماذا نشر هذا الكتاب ؟ . .

والسؤال لابد أن يشمل العديد من الكتب والأخبار والقوائم والتقارير التي نشرت ابتداء من هذه الفترة ، وكلها تتضمن معلومات « حقيقية » عن نشاط المخابرات الأمريكية ، وأجهزتها وعملياتها . . ثبت صحتها ، أو على الأقل لم يقدم - حتى الآن - دليل ينفيها . . وفي حالات قليلة جداً قام المعنيون برفع قضايا ضد الناشرين . .

ولسنا ندعي أننا نملك القدرة على تحديد « كل » الأسباب التي تدفع المخابرات الأمريكية ، إلى نشر بعض وثائقها ، في فترة من الوقت . . فهذه الأجهزة وصلت إلى مستوى من التكيف والتعقيد ، يفوق الفهم العامي ، وأحياناً يخرج عن دائرة حسابات منظّميه ! ولكن عجزنا عن الفهم ، لا يدفعنا إلى نفي وجود هذه المخططات ، فليس كل الناس بوسعهم فهم نوعية العلاقة بين روسيا والولايات المتحدة ، ولا كيف تكون أنجولا شيوعية ، ومع السوفييت ، وحكومتها تعيش على حماية الكويتين ، ومصدر دخلها الوحيد الذي تدفع منه مرتبات الكويتين ، هو النفط الذي يملكه الأمريكيون !

ومرة قلت إن السياسة هي الآن رياضة عليا ، أو ما يسمى في المدارس بالرياضة الحديثة ، والذين يحاولون فهمها بمبادئ الحساب أو الرياضيات القديمة ، يقشلون فشلاً ذريعاً . . ولكنها علم موجود وضروري ، وهو وحده يفسر الكثير من غرائب العلم . فنحن نواجه قضايا كالفيروسات ، قد لا نستطيع رقيتها ، بل ولا نملك تحصين أنفسنا ضدها . . ولكن تجاهلها هو انتحار . .

فلنسلم أولاً أن جانباً من الإجابة ، على سؤال : لماذا تنشر المخابرات الأمريكية أو موظف سابق في المخابرات الأمريكية . . هذه الأسرار ؟ هو سؤال ، فوق مستوى فهمنا . وإذا كنا نفتح أفواهنا في بلاهة أو دهشة ، عندما نقرأ أن ثورة ٢٣ يوليو بكل شعاراتها ومغامراتها وأمجادها ، بدأت بعلاقة خفية مع المخابرات الأمريكية . . فلا يجوز أن نرفض هذه الحقيقة ، فجرد أن جانباً من الإجابة على سؤال : لماذا يخبروننا ؟ صعب الفهم . .

ثم نضيف هذه الحقائق :

١ - قانون حرية المعلومات . . . وقد صدر عام ١٩٦٦ وهو لا يمنح الشعب فقط حرية نشر المعلومات ، بل يجبر الأجهزة الحكومية على تقديم المعلومات لمن يطلبها . . . وهو النص المكمل لحرية الإعلام ، إذ أنه طالما ظلت المعلومات محظورة ، فلا سبيل لمعرفة الحقيقة ، ومن ثم لا ممارسة حقيقية لحرية الاختيار . . . وصدر هذا القانون ليس كما وصفه « وليم شوكروس » الكاتب البريطاني ومؤلف كتاب : « نيكسون - كسينغر وتدمير كمبوديا » وهو الكتاب الذي نشر أكبر مجموعة من الوثائق السرية الأمريكية عن تأمر الحكومة الأمريكية على تدمير كمبوديا رغم حيادها . . . فقد وصف الكاتب البريطاني قانون حرية المعلومات بأنه « تحية لشقة المجتمع الأمريكي بنفسه » .

نحن لا نرى ذلك . . . بل نعتقد أنه كان تعبيراً عن ثورة ، وفي نفس الوقت محاولة لإجهاض هذه الثورة ، التي تنامت في الستينيات ، ضد الأخطاء الفادحة التي ارتكبتها « المؤسسة » الأمريكية وتوجت بكارثة فيتنام ، والتي لولا هذا الانفراج ، ولولا الانفتاح الليبرالي ، الذي خفف الضغط عن المثقفين الأمريكيين ، لربما أدى إلى تغييرات أكثر عمقاً في التركيبة الأمريكية .

ولكن هذه « الحريات » التي تنابعت ، من حرية المعلومات إلى حرية الفاحشة ، وما أدت إليه من مبالغات ، لعل بعضها كان مقصوداً ومدبراً ، مثل نشر قائمة بأسماء موظفي المخابرات الأمريكية (الأمريكان) في الخارج مما أدى إلى تعرضهم لحوادث اغتيال ، ومثل نشر أو إحباط بالنشر ، لكثير من عمليات أمريكا . . . مما أدى إلى ردة فعل ستعرض لها . . .

المهم أنه في هذه الفترة من ١٩٦٦ إلى وصول ريغان للحكم وبداية الهجمة اليمينية ، لإعادة الهبة والجذبة والسرية لأجهزة الدولة ، تسربت ونشرت حقائق كثيرة جداً . . . كان الشرق الأوسط هو أقلها - للأسف - كما شهد هيكمل نفسه بأن ما نشر عن الشرق الأوسط لا يكاد يذكر إلى جانب ما نشر من أسرار ونشاط المخابرات الأمريكية في مناطق أخرى من العالم ، ولهذا أسبابه - التي تؤكد أن قبضة المخابرات الأمريكية لم تحطم تماماً حتى في هذه الفترة ، والمعروف أن هذه الأجهزة تنفن فن مقاومة الانفجارات السياسية ، أو التغييرات المفاجئة والمؤقتة وإذا كانت بريطانيا العظمى أم الديمقراطيةية فمكنت من حرق (خطأ !!) مسودة الاتفاق البريطاني - الفرنسي - الإسرائيلي ، فلم يعد لها وجود ، واستحال عثور أي محقق أو مؤرخ عليها ، فإن الموظفين المخلصين في المخابرات الأمريكية ، يستطيعون في تلك الفترة الشاذة إخفاء بعض الملفات ، أو التعلل بعدم وجودها ، أو البحث عن ثغرة في

وهناك أيضاً تفسيرات أخرى ، فالمخابرات الأمريكية تهتم بحفظ الوثائق عن عملاتها في الشرق الأوسط ، لأن العملاء يعملون في السلطة وفي الخدمة أكثر ، ولأن - وهو السبب الأهم في اعتقادي - الحرصين على الاستفادة من قانون حرية المعلومات في بلدان العالم الأكثر تقدماً ، أكثر بكثير جداً من الذين حاولوا الاستفادة منه في الشرق الأوسط ، أو من العالم العربي بالذات ، فأنشط العناصر وأقدرها وأبرزها على الساحة العربية هي صاحبة المصلحة في عدم نشر هذه الوثائق . وإلا فابن هي المؤسسة التي توجهت فوراً إلى واشنطن وطلبت هذه المعلومات ١٩ العجز والكسل واللامبالاة والجهل كلها حجبت الحقائق ، فلم ينشر إلا النذر اليسير ولأسباب عديدة ، قد تكون منها الأسباب الشخصية التي نسبها هيكلم لمؤلف « لعبة الأمم » الذي أكد ما جاء في كتابه ، أكثر من وثيقة .. منها على سبيل المثال كتاب « حبال الرمال » لمؤلف لا يمكن أن تعلق ذرة من الغبار على سمعته ، ومدافع مخلص عن الحق العربي ، والذي شهد أن كويلاند كان يقابل عبد الناصر كلما شاء كويلاند .. وكذلك ما جاء في رسالة « مصطفى أمين » الصحفي المعروف ورئيس هيكلم ، إلى الرئيس جمال عبد الناصر .. وعندما يقول مصطفى أمين لعبد الناصر في خطاب لم يتصور أنه سينشر يوماً ما : « كلفتنى أن أذهب أنا وهيكلم وأقول لمايلز كويلاند كذا وكذا .. » فإن من حقنا لا أن نصدق رواية كويلاند عن نفسه فقط ، بل وأن نطرح أكثر من علامة استفهام حول تجاهل « هيكلم » لمايلز كويلاند ، ومحاولة نفي أية علاقة به أو حتى أنه قابله ، أو أنه كان يشغل مكانة مهمة ، وعلى اتصال وثيق بالسلطة المصرية على أعلى مستوياتها ..

لماذا هذا الإنكار ١٩ إلا إن كان هيكلم يعرف أن فيه شبهة ** ١٩ وما الشبهة في الاتصال بمسئول أمريكي ؟ .. إلا إن كان مسئولاً من نوع خاص ١٩

وقد ثبت أن ما نشر في هذه الفترة عن عملاء أمريكا في أوروبا صحيح ، وأن ما نشر عن دور المخابرات الأمريكية وبالذات « كبريت روزفلت » في خلع حكومة مصدق بإيران وإعادة الشاه ، حقيقي مائة بالمائة ، ومن الحقائق المسلم بها^{٢٢} كذلك ما نشر عن دور هذه المخابرات في انقلاب حسني الزعيم ، وما نشر عن الصحف التي كانت تصدرها أو تمويلها المخابرات الأمريكية مثل مجلة « حوار » كان حقيقة مؤكدة أدت إلى إغلاق هذه الصحف وانتحار بعض العاملين فيها وهروب البعض الآخر خارج مصر وانتهاء مستقبلهم الفكري

* وقد نجحت هذه الأجهزة ، في منع نشر وثائق « الثورة » وكان المفروض أن تنشر في عام ١٩٨٢ أي في ظل الانفتاح ولكنها قررت نشر الفترة من ١٩٥٢ - ١٩٥٤ معاً وبذلك كسبت عامين وإلى أن عاد الانضباط فحذف كل ما يشير إلى الارتباط بالمخابرات الأمريكية كما ذكرنا في المقدمة .

** الشبهة تضاعفت الآن بعدول هيكلم بعد نشرنا هذا الكلام ، عدوله عن تجاهل كويلاند واضطراره إلى الاعتراف بعمليه ..

والسياسي رغم محاولات بعضهم بواسطة عملاء السبي أي إليه . وإذا كان من الممكن أن ينسرب من المخابرات الأمريكية نياً عمالة رئيس وزراء الهند ، بل ومرتبته الذي يتقاضاه من المخابرات الأمريكية ، وهو لا يزال يعمل في السياسة الهندية ١٩ بل ويعرف المبلغ الذي يصرف من المخابرات الأمريكية لأحد رؤساء الدول العربية الأحياء . وقت كتابة هذه السطور . فلماذا نستغرب نشر عمالة أحد الصحفيين وخاصة أن اتصاله بالأمريكيين وتقديره المعلومات لهم سابقة على الثورة ، وواردة في وثائق رسمية تحمل طابع وزارة الخارجية الأمريكية ١٩ . .

٢ - يجب أن نضع في الاعتبار أيضاً ، أن المخابرات الأمريكية مثل المجتمع الأمريكي ، غربية التكوين غربية الفلسفة ، قد تكون على درجة عالية في التكنيك والتكنولوجيا ، ولكنها تفتقر إلى التقاليد ، إلى شرف المهنة ، إلى الالتزام من قبل العاملين فيها ، وذلك لافتقار المجتمع كله لروح وطنية . . فلا مجال لمقارنتها بالمخابرات البريطانية أو الروسية حيث يسودها نظام أشبه بالرهبة والتبيل . . في المخابرات الأمريكية ، عدد كبير من العاملين بها ينشقون ، ويفضحون أسرارها ، ربما عن نزعات ليبرالية ، وهي صفة أصيلة في الإنسان الأمريكي إلى جانب العنصرية والغرور والإجرام والعنف . . الخ . . وبعضهم لمجرد الكسب فهم يستغلون مراكزهم للعب في البورصة ! أو عقد صداقات لتكوين شركات بعد تقاعدهم مع عملائهم في البلدان الأخرى ! ولذلك لا نستبعد أن يكون مايكل كويلاند قد تحرك بدافع انتهازية ، وأنه حاول فعلاً مساومة السلطات المصرية التي لم تصدق أنه يستطيع نشر هذه الأسرار ، أو أنه أراد أن ينشر كتاباً ناجحاً فاستغل ما لديه من معلومات وحقائق . .

٣ - يجب أن نضع في الاعتبار أيضاً أن إعلان دور المخابرات الأمريكية في تدبير ثورة العصر ، وخلق أكبر زعيم في العالم الثالث ، هو نوع من الترويج والدعاية للمخابرات الأمريكية ، في وقت كانت تتعرض فيه لحملة نقد قاسية ، وفقدان ثقة . . فقد كان يهمها أن تروج عن عملياتها الناجحة ، والأجدر أن يتساءل هيكل ، لماذا نشر « كيرميت روزفلت » عراب الثورة المصرية ، وهو ليس « مجرد » موظف في المخابرات الأمريكية ، بل نائب مدير المخابرات ، ورئيس العمليات في الشرق الأوسط كله . . لماذا نشر دوره في الانقلاب على مصدق ؟ . . هل كان ذلك جزءاً من « الدعاية السوداء » لنشوية سمعة الشاه ! . . لا . . بل دعاية للمخابرات الأمريكية ، وجذب للحكام والراغبين في العمالة . . وأيضاً من قصور وعجز النظام الأمريكي ، وقد احتج الانجليز الأعرق في فن الإفساد والتآمر على زعماء الأمريكيين علناً بدورهم في خلع مصدق .

٤ - القانون الأمريكي حتى قبل صدور قانون حرية المعلومات ، كان يحدد فترة زمنية معينة ، يتحتم بعدها نشر الوثائق ، وبالطبع نستطيع هذه الأجهزة أن تخفي إلى حد ما ، وثيقة ترى أن نشرها يشكل ضرراً فادحاً للمصالح الأمريكية ، أما العملاء الذين انتهى دورهم ، فلا أهمية لهم ، ومن ثم يقذف بهم إلى مزبلة التاريخ كالليمونة بعد عصرها . .

٥ - كما سئري من عرض كتاب « مايلز كوبلاند » أن عملية الثورة المصرية كانت من تدبير جانب معين في الإدارة الأمريكية ، وأن العملية في النهاية من وجهة نظر دافع الضرائب الأمريكي ، والسياسي العادي ، كانت عملية فاشلة خاطئة أضرت بأمريكا ولم تفدها ، ومن هنا كان من مصلحة المخابرات الأمريكية أن تدافع عن نفسها ، والكتاب كله يدور حول هذه النقطة - ولا تنس أنه مكتوب للأمريكيين ، فلا يزيد عدد من قرأه من المصريين على بضع مئات - فالكتاب يقول : إن خطة المخابرات الأمريكية في إنجاح ودعم ثورة ٢٣ يوليو كانت صائبة ، ولكن الأجهزة الأمريكية الأخرى أفستت المخطط . . وتسببت فيما حدث من تناقض ثم صدام بين القاهرة وواشنطن .

فهو دفاع عن المجموعة التي بدأت لعبة الانقلابات العسكرية في المنطقة من سوريا ومصر وإيران ثم ثلاث دول عربية أخرى - على الأقل - لا نستطيع ذكرها بسبب الجبن ولكي لا يتسع الحرق على الراتق ، وإن كان يستحيل على متوسط الذكاء إلا أن يخمنها . .

إنه جزء من حوار ساخن علني وسري يدور في المجتمع الأمريكي حول الدور الأمثل للمخابرات الأمريكية ، وهل كان تدخلها بقلب النظم وإقامة نظم هو لصالح الولايات المتحدة في النهاية ؟ بل إن كتابات هيكل هي جزء من هذا الحوار .

٦ - ثم لا يخفى التعقيد الذي تمت به عملية ٢٣ يوليو فهي كما سنشرح ليست انقلاباً أمريكياً من طراز انقلابات أمريكا الجنوبية أو الانقلابات السورية ، وقد غضب عبد الناصر جداً ، عندما ظن أن وزارة الخارجية الأمريكية تريد معاملته على هذا الأساس . .

وقد حدث انشقاق كبير في السنوات الأخيرة بين مصر والولايات المتحدة ، كما لعبت التناقضات الشخصية دورها بين العناصر المشتركة في اللعبة ، وربما كان نشر « بعض » الحقائق عن شخص « ما » ، هو فرصة أذن لصحفي كبير خرج عن أصول اللعبة بدافع الحقد الشخصي فغدر بعمل أكبر منه - تاريخياً وأقدم منه - فكان أن سربت المخابرات الأمريكية ، معلومات جديدة لحقيقة قديمة كانت قد نسبت تماماً .

٧ - وأخيراً فإن السؤال الذي يرب بالخاطر ، هو أن نشر معلومات مايلز كوبلاند ، وكرابن وغيرهما . . هل أدى إلى أي تغيير أو حتى تساؤل ، أو إضعاف لمركز ومناصب ودور الأشخاص الذين تناولتهم هذه المعلومات وأكدت دورهم في التعامل مع المخابرات الأمريكية ؟

إن هذه الأجهزة تتعامل مع البلدان المتخلفة ، كما تتعامل الإنسان مع الحيوانات لا يمه أن يتحدث بأسراره ، أو أن يتعري أمامها ، فهي غير قادرة على الاستفادة من ذلك ، ونحن نعرف مقدماً أن الكثير سيلقون بهذا الكلام جانباً ويستعيذون بالله من تشويه سمعة الزعيم الخالد . .

وقبل أن نستقل لقصة الثورة والمخابرات الأمريكية ودفاع هيكل المتهافت ، نشير إلى أن

الموجة الليبرالية قد انحسرت في الولايات المتحدة ، بزوال ذكريات فيتنام ، ومع الأزمة الاقتصادية وارتفاع معدل البطالة ، والردة المحافظة بعد موجة الانحلال ، مما أدى كله إلى انتشار موجة « وطنية » « دينية » محافظة ، دفعت بالجناح اليميني في الحزب اليميني (الجمهوري) إلى السلطة ، وبدأت حكومة ريغان تعيد تنظيم الأجهزة وتفرض احترام المؤسسات وأسرارها .

قدم ريغان مشروعاً للكونجرس باستثناء المخابرات الأمريكية من قانون حرية المعلومات ، كما كسبت المخابرات الأمريكية - في عهد ريغان - كل القضايا التي رفعتها ضد موظفين سابقين فيها أو ناشرين حاولوا نشر معلومات عن نشاطها دون موافقتها . وفي ١٩٨٠ حكمت المحكمة الدستورية العليا الأمريكية بـ ٦ أصوات ضد ٣ في قضية « سنيب ضد الولايات المتحدة » قضت بحق المخابرات الأمريكية في مراقبة ما ينشره موظفوها السابقون مدى الحياة ، للتأكد من أنهم لم يذيعوا معلومات سرية . وحكمت المحكمة أن أي شخص وقع هذا العقد عند التحاقه بالخدمة ، ولم يعرض مؤلفاته على المخابرات قبل نشرها حتى ولو كانت تتضمن معلومات غير سرية ، يكون قد خرق أو أخل بتعهده . وعلى هذا أجبر « فرانك سنيب » وهو محلل سابق لشئون شمال فيتنام في المخابرات الأمريكية ، أجبر على أن يعيد للحكومة كل ما حصل عليه من عائدات كتابه : « Decent Interval » ، وجاء في حكم المحكمة مبادئ عامة تجعل من الممكن تطبيق شروط الرقابة المسبقة على النشر على عشرات الألوف من الموظفين حتى خارج CIA الذين هم اتصال بالمعلومات المحظورة .

وكان « كارتر » آخر الليبراليين ، أو آخر مرحلة الانقلاب والتسبب ، أو إن شئت تطويق الثورة بالانفراج . . . قد أصدر قانوناً عام ١٩٧٨ بترجيح حق الجمهور في المعرفة عند تصنيف الوثائق إلى محظور ومباح ، فيقتصر الحظر على ما لا مجال للشك في خطورته على الأمن الوطني ، أما ما يحتمل الشك فيخرج عنه للجمهور .

وقد ألغى ريغان هذا القرار في ٢ أبريل ١٩٨٢ ، فأعني الموظفون من أي اعتبار لحق الجمهور في المعرفة ، وألزموا في حالة الشك بترجيح الحظر ، وألغى شرط « خطر على الأمن الوطني » .

وفي ١١ مارس ١٩٨٣ صدر قانون رئاسي أي لا يعرض على الكونجرس ، يحظر على طائفة كبيرة من الموظفين العاملين والسابقين « نشر أي معلومات قد تكون سرية » وقد لاحظ الرئيس نيكسون أن قائمة الطعام في البيت الأبيض يكتب عليها « سري » .

وقال « ريتشارد ويلر » نائب المدعي العام إن هدف تشريعات الرقابة المسبقة على النشر ، هو تقديم أسلوب معقول لمنع الموظفين الذين على اتصال بالمعلومات السرية من نشرها .

كما أصدر الرئيس ريجان ، قانون « حماية الأشخاص العاملين في المخابرات » . وهو يمنع نشر أسماء الأشخاص المتعاونين بطريقة مامع المخابرات الأمريكية* حتى ولو كانوا قد ارتكبوا جرائم معاقب عليها بموجب القوانين الأمريكية . وقد وصفه فيليب كيرلاند ، أستاذ القانون في جامعة شيكاغو بأنه أوضح عدوان قام به الكونجرس على الحرية الأولى في وثيقة الحقوق^{١٩} .

وفي أكتوبر ١٩٨٣ حكمت المحكمة العليا بحق المخابرات في رقابة أي مادة تنشر عنها ، وحذف مائتة مائتة مائتة بالأمن .

ونقرر إعادة تسجيل تاريخ المخابرات على شرط ألا يتاح لأحد خارج المؤسسة على الإطلاق ، وإلى الأبد . . . أو كما صرح المتحدث باسم الـ CIA « دال بترسو » « سيبقى هذا سرياً إلى الأبد » (واشنطن بوست ١٩/١٠/٨٣) .

ويوصف « ستانسفيلد تيرنر » رئيس المخابرات الأمريكية الأسبق « بالهمجي » لأنه كان من أنصار الانفتاح ونشر المعلومات . ووصف التشريع الجديد ، بأنه « سيحرق الـ CIA من العبء الثقيل والفريد من نوعه المثالي من « قانون حرية المعلومات » فإن الوكالة ستحتفظ بجميع ملفاتها عن العمليات تحت الحظر على مدى المستقبل المنظور^{٢٠} .

ولعل هذا يوضح أن الولايات المتحدة مرت بفترة انفلتات ولا أقول ثورة ولا راديكالية ، وأن كان طلبة أمريكا في الستينات شكلوا أكبر قوة ثورية في العالم وقتها . أدت إلى رغبة في

• وبذلك أمكن حذف أسماء عملاء المخابرات الأمريكية من وثائق ١٩٥٢ - ١٩٥٤ عن مصر وذلك بفضل مناورة تأجيل النشر حتى صدر القانون .

ونحن ندعو القاريء إلى مراجعة رسالة مصطفى أمين إلى عبد الناصر وكيف كان ديانامو الأحداث لا يكاد يمر يوم واحد في الفترة من يوليو ٥٢ إلى ديسمبر ١٩٥٤ لا يجتمع فيه مصطفى أمين بمسؤول أمريكي في القاهرة أو واشنطن . . . ومع ذلك فقد خلت وثائق الخارجية الأمريكية المنشورة عن هذه الفترة تماماً من اسم مصطفى أمين^{٢١} ما تفسر ذلك إلا أن قانون حظر نشر أسماء عملاء السي أي ايه قد طبق بحذافيره ؟ . . .

هنا كل الناصريين سيتقبلون بارتياح هذا التفسير ، ولكن لأنه لا القانون ولا المنطق يعرف زينب فإن نفس السؤال توجه حول هيكمل ، وكيفي مطالعة نشاطه فيما أسماه : يوميات أزمة في سلسلة أزمات حيث نجده مع كل تحرك قام به أمريكي في القاهرة من ٢٧ سبتمبر إلى ٣٠ سبتمبر ٥٥ - على سبيل المثال - منجده قد قابل واجتمع مع هؤلاء الأمريكيين . . . إيكلمرغر ، كيرميت روزفلت ، إيريك جوستون . . . هنري بايرون . . . الخ ونحن لا نشك أبداً في عرضه هذا ، وأنه كان على نفس المستوى وربما أكبر في الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤ فكيف سقط اسمه تماماً من الأرشيف (المنشور) للخارجية الأمريكية الذي لا يترك شاردة ولا واردة إلا أحصاها ، وكيف ورد اسمه فيها صدر قبل القانون المذكور !؟

هل من تفسير أفضل عند الناصريين !؟

معرفة ما يجري في أحشاء المجتمع الأمريكي ، ثورة الفرد الأمريكي ، أو المؤسسات الليبرالية ضد النمو السرطاني لأجهزة الأمن ، وهؤلاء هم الذين أمنوا - عن حق - بتصفية المؤسسات السلطوية الأمريكية ، لأنها إذا كانت تبني الامبراطورية الأمريكية في الخارج بهذه الأساليب القذرة ، فإنها لابد - كما تؤكد عبدة التاريخ - أن تمتد إلى الداخل وتفسد الأساليب ، وتسلب المواطن حريته وأمنه واستقلالته أو خصوصياته . . وهذا ما أكدته فضائح المباحث الفيدرالية ، وفضيحة ووترجيت ، وتغلغل المخابرات الأمريكية في الصحافة والجامعات ، وإجراء تجارب بشعة على مواطنين أمريكيين . . فرأى هؤلاء أن نشر فضائحتها وسيلة من وسائل تصفيتها أو تطهيرها ، أو تطوير أعمالها إلى مستوى أكثر أخلاقية . .

وكان هناك - كما ذكرنا - الذين نشروا هذه الأسرار ، كوسيلة من وسائل الكسب بشر كتب أو مقالات مثيرة ، وهناك من استخدموها كنوع من البلاك ميل ، أو لحساب صراعات مراكز القوى ، وهو ما حدث بالنسبة للشرق الأوسط ، فالخلاف بين وكلاء السلاح أدى إلى استعانتهم بموظفين سابقين في المخابرات الأمريكية نشروا معلومات عن عمالة وعمولات الوكلاء المنافسين . .

في تلك الفترة الشاذة في تاريخ أمريكا وتاريخ الامبراطوريات عموماً نشر الكثير من حقائق الممارسات الأمريكية المخالفة للشعارات المعلنة عن المبادئ والقيم الأمريكية ، مثل مذبحة « ماي لاي » في فيتنام ومثل كتاب « لعبة الأمم » ومثل دور أمريكا في الانقلاب الإيراني والانقلاب اليوناني والسوري . . ولكن القوى المضادة استطاعت أن تنظم حملة ضخمة لم تقتصر على الولايات المتحدة ، بل اتخذت طابعاً عالمياً ، من قبل الحكومات والمؤسسات والعملاء الذين ثاروا ضد هذا الانقلاب ، وهددوا بمنع التعاون مع أمريكا التي لا تستطيع أن تحفظ سراً . . مما ساعد على تقوية التيار الداخلي ، فأعيد الانضباط وانتهى المهرجان . . فهل نسي من القليل الذي تسرب في لحظة الفوضى ١٤

هيهات ! فقد استولى الثوار في طهران على وثائق السفارة الأمريكية كاملة ، وأعادوا لصفيها بعدما قطعت ، وبها أسماء الكثير من العملاء ، والمثير من المعلومات . . فأين هي ؟ ومن استفاد منها ؟

ألم يشاهد قوم إبراهيم أصنامهم محطمة وملقاة على الأرض مجرد نفايات ، فهل شكوا فيها ، أو كفروا بها ، فضلاً عن الإيمان بإبراهيم ؟ بالعكس راحوا يجمعون الحطام ويلصقونه لإعادة تركيب « الآفة » وكان همهم الأول وشغلهم الشاغل هو البحث « عن فعل ذلك بأهتنا » لا لمكافاته على كشف الحقيقة لهم ، بل لحرقه في النار تأكيداً لإيمانهم بالنفايات الملقاة على الأرض ، بالأصنام المحطمة . . وتأكيذاً لإبراهيم أن كل ما بذله لإثبات زيف هذه الآفة لم يزد هم إلا يقينا بالأصنام الخائلة التي تأمر إبراهيم على تشويه سمعتها !

ونأمل كل الأسماء التي وردت في كتاب « لعبة الأمم » كمتصلين بالمخابرات الأمريكية ،
تجدها مازالت بعد ١٩٦٩ في مكانها على القمة ، أو عادت للتألق بعد فترة خفوت . . . وكان
ساحراً ما ، يجدد حيويتها ويدفع بها إلى قمة الأحداث .

خذ مثلاً « حسن النهامي »* الذي بعد من الحلقة الضيقة التي كانت تعرف كل شيء ،
والتي تعاونت تعاوناً مطلقاً مع المخابرات الأمريكية وبالذات مع « مايكلز كوبلاند » حتى أنه
هو الذي عد وتسلم الثلاثة ملايين دولار التي قدمت رشوة أو هدية للزعيم الخالد . هذا
الحسن نهامي ، يتساءل رجل طبيب من الذين نكتب لهم هذا الحديث ، يتساءل في حيرة
ما الذي جعله يظهر من جديد ، ويأتي به عبد الناصر وزيراً في حكومته بعد هزيمة ١٩٦٧ ؟
والحاج « أمين هويدي » كان مديراً للمخابرات ، ويعرف أنه ما من سبب منطقي أو معقول
يجعل عبد الناصر يتخطى الأربعين مليوناً ويختار هذا الذي يتظاهر بالجنون المطلق ، وزيراً ،
والذي لا يملك أية مؤهلات - ظاهرة - تصلح لتوليها ناظر مدرسة فضلاً عن وزير ، والذي
سقط في منطقة الظل ، وهي المنطقة التي يسميها المصريون - وراء الشمس - ولا أحد يعود
منها . . . ولكنه عاد ، وأصبح وزيراً في عهد عبد الناصر بل ولعب دوراً حاسماً في تحديد خليفة
عبد الناصر ؟

الحاج أمين هويدي ، يعكس لنا بعض الطرائف عن سلوك النهامي هذا في مجلس
الوزراء ، منها أنه كان يصححهم ألا يتعبوا أنفسهم في بحث إزالة آثار العدوان ، لأنه رأى
سيدنا الخضر الذي أكد له أن اليهود سينزيمون وسيخرجون من مصر . . . ويضرب الحاج
هويدي كفاً بكف ويقول : « ولا تسألوني . . . لم استوزر عبد الناصر ؟ فهذا سؤال يضاف
إلى عشرات الأسئلة التي تحيرني ولا أجدها جواباً !!! وعزائي أنني لست وحدي في
حيرتي !!! (ص ٨٠ من كتاب : مع عبد الناصر لأمين هويدي) . . .

بئس العزاء هذا . . . وما تشفع لك كل علامات التعجب هذه ، وإذا لم يسألك القراء
التفسير فسألك ضميرك والتاريخ . . . ولست توقفت عند هذه الحيرة التي تشير إلى الشكوك
التي تغترسك مما تخشى أن تهمس به لنفسك . . . ولكنك حاولت أن تلتصم بآراء العذر ، أو
تافه التفسير لتعين هذا الدجال الذي لا يستحي في اجتماع مجلس الوزراء من السخرية من
جهود المجلس في « اجلاء العدو عن أراضينا » فينسم قائلاً : « لم نجهدون أنفسكم
هكذا . . . إنني موقن من انسحابهم ، وسيرسل الله عليهم طيراً أبابيل » وترسم على شفبه
الابتسامة الهازئة !

• نحن أول من وجه هذا الاتهام لحسن النهامي . . . ثم تنابعت الاعترافات من كتبتها طويلاً ومن
عرفوها أخيراً وبعد أن اعترف الرجل نفسه . . .

يقول هويدي ، وهو يستعيد بالله من محاولة كشف النوايا : « ربما جاء به عبد الناصر وفاء للزمالة القديمة وربما لجمع الشمل » !

وكان عبد الناصر في تلك الفترة ، قد مزق آخر بقايا الزمالة القديمة ، ويقوم بأكبر عملية تمزيق للشمل عرفتها مصر منذ مذبحه القلعة ، ما بين متحر ومسجون ، حتى داخل أسرته لم يحترم زمالة ولا مصاهرة ولا عشرة العمر والشفقة إياها ! ومن ثم فلا مجال للحديث عن عاطفة نبيلة تجعله يقبل ويصبر على هذا الرجل في ظروف ما بعد النكسة . .

وهويدي قرأ مايلز كوبلاند ، وقرأ حديثه عن السلوك غير المنطقي في سياسات الشرق الأوسط ، وأنه لا يمكن فهمه إلا بإضافة المعامل « س » أي عنصر المخابرات الأمريكية . ويعرف أن التهامي هو أحد أعمدة المعامل « س » هذا ، ولكنه يرفض أن يواجه هذا التفسير فيغمض عينيه ويصرخ كالعدراء التي يتحدثونها عن خيانة حبيبها : « مش عاوزه أعرف » ! لقد جاء حسن التهامي بعد النكسة لكي يعيد ترميم الجسور مع القوى الخفية التي ساندت النظام أطول مدة ممكنة ، إلى أن استحالت عليها الدفاع عنه . وهاهو عبد الناصر يثبت أنه مستعد للحوار ، رغم ما فعلوه فيه بحرب ١٩٦٧ . . وهاهو صديقكم في مجلس وزرائي يمارس الشبطنة على الاستهبال ، ويتحدث عن تأكيدات « الحضر » بانسحاب اليهود ، والذي معاه « الاس » يعرف من هو « سيدنا » الحضر المقصود ، ومن أين تأتي أحلام التهامي عن الفاتوم أبيبيل !

أما الرئيس السادات الذي كانت استراتيجيته تقوم أساساً ، على إقناع الأمريكان بأن النظام المصري على استعداد لأن يكون الممثل رقم واحد لأمريكا في المنطقة ، ولا داعي للبحث عن أصدقاء آخرين . . وأن مصر ثابتة وثابتة بعد علفة ١٩٦٧ . ولن تشكروا ولن تنذمر ، ولن تسام أو تتدلل ، كما فعل المرحوم ، بل أمريكيون كنا ، وأمريكيون نبقي أبداً . . السادات ٦٦ أبرز التهامي وصورة في كل مكان ومناسبة ، وأطلقه يساوم ويدير ويقاوض حتى قاده إلى كامب ديفيد ، وجلس خلفه يصلي . . وقد تحقق الهدف الذي اتفق عليه قبل ٢٥ سنة حافلة بالآلام والحداع !* . .

• وكان فؤاد سراج الدين كان يستشف المستقبل بعد أربعين سنة عندما قال : « حرام عليكم ومستولية خطيرة عليكم أمام الله أن تتركوا ٨٠٠٠٠٠٠ لاجئ ، يموتون في الصحاري والقفار من الجوع والعطش والبرد كما تعرضون أرواح المصريين وأموال المصريين في كل يوم للضياع وأنتم تعتمرون في النهاية الرضوخ لقرار التقسيم » .

حرب فلسطين ١٩٤٨
ل . ا . ح . د . إبراهيم شكيب

وبنفس التفسير يمكن أن نفهم إخراج مصطفى أمين من السجن وإحضار علي أمين من
البدو وتسليمهما الأهرام وأخبار اليوم معاً . . . وعجلت إليك ربي لترضى ! . . .

فهل أضر نشر كتاب « مايلز كوبلاند » أحداً ؟ . . .
يقرر هيكمل : « لم يكن هناك اتصال بين الثورة والولايات المتحدة قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ » ،
وقد صاغها بحذر - تحوطاً للمستقبل - فلم يقل « المخابرات الأمريكية » وهي موضوع
الحديث ، ونحن نستبعد بل ننفي أن تقوم « الولايات المتحدة » بهذا الاتصال قبل الثورة
والاتصال الذي يحمل هذه الصفة « الولايات المتحدة » هو الذي يتم عن طريق السفير
الأمريكي أو مبعوث من وزارة الخارجية . . .

لا . . . مصر ليست اليمن ، حيث يدبر القائم بالأعمال المصري ، الانقلاب اليمني
بالتليفون ، ويعطي المال والحبوب المنشطة لقائد الانقلاب بشكل شبه علني ! . . . لا . . .
في حالة مصر ، لا يمكن تصور قيام اتصال مع « الولايات المتحدة » لأن الولايات المتحدة
لا تخاطر بمثل هذا الاتصال ، لما يترتب على اكتشافه من مشاكل مع السلطة المصرية ، بل مع
الكونجرس والرأي العام الأمريكي . . .

ولكن المخابرات الأمريكية اتصلت . . . وهذا ما سبته من الوقائع والمعلومات . . . ومنها
نعمد هيكمل إخفاء حقائق لإحساسه بما فيها من إدانة مثل تاريخ أول زيارة لكبريت
روزقلت .

ويبرر هيكمل انفتاح الثورة - المدهش والمخالف لكل الشعارات والافتراضات إذا ما كانت
حقاً ثورة - ببرره (في كتابه الأول) بأن « الولايات المتحدة الأمريكية » لها وضع مختلف عن
بقية القوى الكبرى وقتها ، وكانت صورة الولايات المتحدة في ذلك الوقت من سنة ١٩٥٢
ما زالت صورة مقبولة ، خصوصاً إذا قورنت بغيرها . لم يكن لها دور استعماري في المنطقة ،
بينما كانت بريطانيا وفرنسا غارتين في تاريخ استعماري طويل وقديم . وفوق ذلك فإن
الولايات المتحدة كانت خارجة من الحرب العالمية ضد هتلر (كان قد مضى على ذلك سبع
سنوات تخلفتها فلسطين وحرب كوريا والتهديد النووي . . الخ) والعالم كله يلتفت
بالإعجاب لطاقتها الهائلة التي كسبت الحرب ضد النازية ولأسلوب حياتها الذي كانت
السينما الأمريكية ترسم صورة جذابة له .

وستلاحظ أنه قد حذف أية إشارة إلى دور أمريكا في خلق إسرائيل ، وما أثاره ذلك من
كراهية عامة ضدها في العالم العربي ، وهو مضطر لذلك حتى يستقيم دفاعه بأن الصورة كانت
أكثر من وردية في العالم العربي عن أمريكا ، ومن ثم اندفع الشبان الأغرار من أعضاء مجلس
الثورة إلى أحضان أمريكا . . . وهذا كذب بالطبع ، وإن يكن حذف إسرائيل من تحديد
الموقف مع أمريكا ، ظاهرة فسرهما « مايلز كوبلاند » بأن هذه المجموعة من الناصريين لم تكن

تعبير قضية فلسطين اهتماماً كبيراً . . . وقد رد حمروش على هيكمل في هذه النقطة فأغفل إسرائيل أيضاً عندما قال : « لم تكن صورة الولايات المتحدة عند المصريين كما حاول أن يرسمها محمد حسنين هيكمل ، في كتاب « عبد الناصر والعالم » بقوله كانت الولايات المتحدة تحيط بها كل معاني النجاح والفتنة بראה متسامية على الفشل الذريع الذي منى به الاستعماريون القدامى ، وكان الناس متجاوبين مع فكرة قيام الأمريكيين بدور رئيسي في الشرق الأوسط ، ومستعدين لقبولها . لم يكن هذا التصور صحيحاً ، فإن كافة القوى الوطنية كانت ضد السماح للأمريكيين بأداء دور سياسي بديل للدور انجلترا ، ظهر ذلك في سياسة الوفد ، وأحزاب مصر الفتاة والوطني الجديد ، والتنظيمات الشيوعية والجهادية . فقد كشفت أمريكا الستار عن موقفها أثناء عرض الترشحي لقضية مصر على مجلس الأمن ٢١ . وإذا كنا مستقصد رأي هيكمل ، فإننا لا نعارضه كما منشرح ، بل نركز على أهمية تفسيره هذا . . .

الولايات المتحدة كانت قد خرجت مهزومة فادحة في كوريا . . . وكانت سمعتها في الحضيض في العالم العربي بحجيزها لإسرائيل والدور الذي لعبته في إقامة إسرائيل . . . حتى إن تنظيم الضباط الأحرار كان يصدر منشوراته بالشعار الذي ساد الجماهير المصرية وقتها ، وهو « بسقط الاستعمار الأنجلو - أمريكي » . . . إلى أن تم الاتصال بالأمريكان وطلب جمال عبد الناصر من خالد عملي الدين حذف كلمة « أمريكي » . . . وقد أدلى خالد عملي الدين بهذه الشهادة ، وهو على أتم الوفاق والولاء والإشادة بالزعيم الخالد ، فلا مجال للشك في روايته ، خاصة وقد أبدعها كبار « الحدناوين » ٢٢ الذين ساهموا في تلك الفترة في طبع المنشورات ، ولاحظوا التغيير . . . فالحق مع حمروش * عندما قال إن « أحداً من المثقفين أو السياسيين المصريين الوطنيين لم ينظر إلى أمريكا بنظرة محمد حسنين هيكمل » . . . وهيكمل بدوره صادق ، لأنه عبر عن وجهة نظر العملاء والمتعاونين والمراهنين على دور للولايات المتحدة في مصر والعالم العربي ، لأن المثقفين اكتشفوا منذ أواخر الأربعينيات الدور الذي لعبته أمريكا في دعم الصهيونية ، وتأييد الاستعمار القديم ، ومعاداة حركات التحرر ، ثم كان احتلال اليونان وحرب كوريا التي مزقت صورة بطل الحريات ، بل وأيضاً المارد الذي ثبت أنه ثمر من ورق أمام جحافل الصينيين ، وقد زادت شعبية الوفد عندما رفض دخول حرب كوريا إلى جانب الأمريكيين المكروهين . . . ولقد رفضت الحكومة السعودية ، تعهده اتفاقية قاعدة الظهران : « لأن ذلك يستفز مشاعر المواطنين العرب لموقف « أمريكا من فلسطين » ٢٢ . . .

ولكن قيادة الأمة العربية المقبلة . لم تكن مشاعرها مستغزة والحمد لله ، بل كانت متأثرة بأفلام أمريكا . . . هكذا يقول محمد حسنين هيكمل ١١

واليك رأي الأمريكان في الأمريكان ! فقد جاء في تقرير مجلس الأمن القومي الأمريكي ، الصادر في واشنطن بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٥١ (أي قبل سبعة شهور من الثورة) ونعت عبارة سري جداً : « أصبحت الدول العربية تنظر بعدم ثقة إلى الولايات المتحدة في السنين القليلة الأخيرة بسبب مسئوليتها في إقامة إسرائيل » .

وفي اجتماع سفراء الولايات المتحدة باستمبول في الفترة من ١٤ - ٢١ فبراير ١٩٥١ جاء الآتي في تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن الاجتماع :

« إن نفوذ الولايات المتحدة في البلاد العربية ربما لا يكون في مثل سواه في عام ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، ولكنه على أية حال ليس قوياً كما كان في ١٩٤٥ أما بالنسبة لإسرائيل وليبيا فإن نفوذنا لا يزال عالياً »^{٢٣} .

بل إن عام ١٩٥١ بالذات شهد المزيد من التدهور في موقف أمريكا ، وتضاعف الموجة المعادية لها في العالم العربي كله ، ومصر بالذات لأسباب عديدة منها موقفها من إلغاء المعاهدة ، ومشاريع الدفاع المشترك ورفض تسليح مصر ، وأيضاً للدعم الذي قدمته لإسرائيل وقد ورد في مذكرة « هنري فيلارد » من إدارة التخطيط السياسي إلى مدير الهيئة الآتي :

١ بوتية ١٩٥١ سري واشنطن

التلغرافات الواردة من الشرق الأدنى تشير إلى ردود الفعل الأولية لسياستنا الجديدة الجريئة للمساعدات الاقتصادية والعسكرية للدول العربية وإسرائيل كما أقرها الرئيس (ترومان ج) في ١٧ مارس ١٩٥١ . . . وردود الفعل هذه يمكن وصفها بأي شيء إلا أنها مقبولة . . . فالمشركون العرب يتفقدون بشدة حصول إسرائيل على نفس القدر من المساعدة التي يحصل عليها كل العرب مجتمعين . . . (٢٥ مليون دولار) بالإضافة إلى أن العرب ينظرون إلى الخمسين مليون دولار التي اعتمدت لتوطين اللاجئين كوسيلة لتحرير إسرائيل من مشكلتهم . وعلى سبيل المثال قال وزير الخارجية المصري (محمد صلاح الدين ج) لكافري (السفير الأمريكي في مصر ج) أنه صعب لاقتراح ٢٥ مليون دولار لإسرائيل و ٢٥ مليوناً للعرب . رئيس وزراء الأردن ووزير خارجيتها عبرا عن « دهشتها وخيبة أملها » وزير خارجية العراق ، ركز كثيراً على عدم التوازن وانتقد بشدة غير عادية سياستنا في مساعدة إسرائيل . . . والصحافة السورية نظرت للبرنامج بالشك في أنه خطط لمحاباة إسرائيل . إن المראה الأساسية والأصيلة بالنسبة لسياستنا نحو إسرائيل ، مازالت كما هي ، ونلن كل تفكير العرب »* . . .

* وجاء في تقرير للخارجية الأمريكية بتاريخ ٥٣/١١/٦ : « إن التطورات في الشؤون العربية - الإسرائيلية قد أثرت بشكل خطير على مركز الولايات المتحدة في كثير من البلدان العربية ، فهم ينظرون إلينا ، كالدولة التي ترعى إسرائيل » .

... إلا هيكل وصحبه من رجال ثورة ٢٣ يوليو ، لم تكن في قلوبهم أية مراة ، تحول دون فتح قلوبهم والتعاون مع الولايات المتحدة في « تحرير مصر » . والحق مع هيكل ، فإن أحد المفاتيح الرئيسية لفهم تاريخ الناصرية ، هو أنها لم تنبعث أبداً من التناقض المصري - الإسرائيلي ولم يكن في أهدافها الجادة ، محاربة إسرائيل حتى يونيو ١٩٦٧

وهيكل حريص على تأكيد أن الاتصال بين الأمريكيان والرئيس تم بعد الثورة ، ولكن الصورة التي يقدمها لهذا الاتصال تثير أكثر من شبهة ، فهو يقول : « كلف أحد أعضاء مجلس الثورة ، عبد المنعم أمين بتولي عملية فتح الباب مع الأمريكيان ، فدير لقاء في منزله على التل بين جمال عبد الناصر والسفير الأمريكي جيفرسون كافري » .

ولا يفسر لنا سر هذا اللقاء الغريب ، فالثورة في الحكم ، وجمال عبد الناصر حاكم مصر ، والسفير الأمريكي هو ممثل الحكومة الأمريكية الرسمي أمام مجلس الثورة أو في بلاط جمال عبد الناصر . . فلماذا لا يستقبل عبد الناصر السفير الأمريكي بصفة رسمية أو حتى غير رسمية في مكتبه ، ويبحث معه السياسة المصرية - الأمريكية ؟! إذا كان الاجتماع باسم مجلس الثورة ، وسمعة الأمريكيان ممتازة كما شهد هيكل ، لماذا يتم الاجتماع في شقة ؟ . . وعن طريق شخص يقول المؤرخون الناصريون الآن إنه كان وثيق الصلة بالسفارة الأمريكية . . ؟ لماذا هذا الجو الغريب والمريب ؟! * . .

ويقول هيكل : « إنه في هذا اللقاء قال عبد الناصر للسفير الأمريكي إنه يريد مساعدة الولايات المتحدة في إقناع بريطانيا بالجللاء » « كما طلب مساعدة اقتصادية وسلاحاً » أما عن إسرائيل فقال : « إن إسرائيل ليست شاغله الآن ، ونظرتة إليها - على أية حال - أنها ليست خطراً يهدد مصر » .

وقد قال « مايلز كويلاند » إن نجم هيكل تألق لأنه كان بارعاً في تحلية آراء الأمريكيان ، وآراء عبد الناصر . . ومن ثم لا يجوز أن نتوقف كثيراً عند التحلية والصنعة في العرض ، وإنما يكفينا الاتفاق في الجوهر بين ما قرره كويلاند ، وما أثبتته الأحداث ، من أن السودان لم يكن في برنامج عبد الناصر فهو طلب المساعدة في « الجللاء » فقط ، وأهم من ذلك أن نقطة اللقاء بين الرئيس والأمريكان ، هي استبعاد الخطر الإسرائيلي ، قبول عبد الناصر أو تطوعه بإعلان أنه لا يشغل باله . . وهذا ما قاله كويلاند بالضبط عندما نسب إلى هذه اللامبالاة بفلسطين انفتاح قلب المسؤولين في واشنطن لاقتراح ال CIA ، تأييد الانقلاب المتظر .

• جرى تعديل هذه الرواية والرد علينا في « ملفات السويس » فاصح الاجتماع مع كبريت روزفلت رجل المخابرات وليس السفير !! وقال هيكل إن طلب سرية الاجتماع جاء من جانب روزفلت وليس عبد الناصر ، وذلك لعدم إثارة شكوك الانجليز !! وارجع إلى ص من هذا الفصل .

وإذا كان هيكمل يؤيد رواية كوبلاند وغيره عن حضور « كبريت روزفلت » إلى مصر بعد الثورة وفي تحديد صفته بأنه المشول الأول في إدارة المخابرات المركزية الأمريكية عن « الشرق الأوسط » إلا أنه يحاول إيماننا - دون أن يتورط صراحة - بأن هذه هي الزيارة الأولى لكبريت روزفلت ، وهو غير صحيح ، بل مشير للريبة ، فكبريت كما تؤكد كل الوقائع والوثائق جاء إلى القاهرة منذ ١٩٤٣ على الأقل ، وكان في مصر من يناير إلى مارس أو مايو ١٩٥٢ حيث أجرى اللقاء التاريخي مع فاروق ، ثم مجموعة عبد الناصر في تنظيم الضباط الأحرار وقرر دعم انقلاب هذه المجموعة ، والتخلي عن فاروق ، كما سنرى تفصيله . .

وهيكمل يؤكد هنا - باطمئنان - أن أول لقاء بين جمال عبد الناصر وكبريت روزفلت تم في الأسبوع الأول من شهر أكتوبر ١٩٥٢ .

ونحن لا نجادل في هذه لأننا لا نملك دليلاً قاطعاً على وقوع لقاء قبله ، فقد حرص كتاب « مايلز كوبلاند » على تعمية هذه النقطة ، ولو أنه أكد وقوع أكثر من لقاء بين كبريت روزفلت والمخابرات الأمريكية من جهة ، ورجال ثورة ٢٣ يوليو ، أو أعوان عبد الناصر . إلا أنه لم يشر صراحة لوقوع لقاء مباشر بين الرجلين ، ولا يمكننا الاعتماد على ما جاء في تقرير كبريت روزفلت الشفوي لرؤسائه من أنه وجد في مصر الرجل المناسب الذي تتوافر فيه كل الصفات المطلوبة لجعل السلطة في مصر مستقرة ، ومتجاوبة مع المصالح الأمريكية . . وربما لم يصل علم ذلك اللقاء بين الرأسين ، إلى مايلز كوبلاند . . فهو من الأسرار العليا جداً ، ونحن نستبعد أن يُقدِّم رجل في خبرة ومكانة كبريت روزفلت ، على المخاطرة بدعم انقلاب في مصر من مجرد المعلومات التي قدمها عملاء المخابرات الأمريكية ، ولقاءات مع أعوان زعيم هذا الانقلاب . . إلا أننا التزمنا ألا نأخذ بالشبهات والتصورات ، بل بالحقائق أو الأقوال المنسوبة صراحة لأشخاص محل ثقة . . ومن ثم سنسقط من أدلتنا واقعة اجتماع مباشر بين ناصر وروزفلت قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢* . .

ويشير هيكمل في هذا الموضوع إلى واقعة غريبة تثير أكثر من سؤال ، فهو يقول إن الرئيس عبد الناصر كلفه بمهمة خاصة في الولايات المتحدة في نوفمبر ١٩٥٢ وقال له « إن كثيرين سوف يحاولون الاتصال بك بحكم معرفتهم بالصدقة بيننا » (ص ٧١) .

وكل المصادر التي كتبت عن ليلة الثورة ، أكدت هذا اللقاء الغريب الشديد البرود بين عبد الناصر وهيكمل في منزل محمد نجيب ، وأن هيكمل نفاذاً بأنه لا يعرف عبد الناصر وطلب تعريفه به ، وأن عبد الناصر سأل من هذا ؟ . . الخ . . فهل يتفق ذلك مع وصول الثقة بين الاثنين في أقل من شهرين إلى حد تكليفه بمهمة سرية في أمريكا ؟ . . وهذه العبارة الغريبة ، « الكثيرون سيحاولون الاتصال بك بحكم معرفتهم بالصدقة بيننا ! » . . من

* راجع تعليقنا على هذه النقطة في ص ١٢٩ من هذا الفصل حيث اعترف روزفلت بأنه كان يعلم بالانقلاب ومديره ولكنه اعتذر عن مقابلة قائد الانقلاب . .

هم الكثيرون في الولايات المتحدة ، الذين كانوا « يعرفون الصداقة بين عبد الناصر وهيكمل في نوفمبر ١٩٥٢ » والكثيرون « في مصر » لم يكونوا يعرفون عبد الناصر ولا أهميته في الثورة في هذا التاريخ المبكر جداً فضلاً عن معرفة أهمية هيكمل ، بحكم صداقته مع عبد الناصر ١٩ . . .

لا بد أن نفترض لكي يستقيم هذا الادعاء أو لتضبر هذا القول أحد الفروض التالية :
١ - إن رواية المؤرخين عن لقاء بيت محمد نجيب صحيحة ، ومن ثم فرواية هيكمل أكذوبة كاملة ، اختلفها ، وهكذا يمكن القول إن هيكمل لديه الجرأة على أن ينسب لجمال عبد الناصر حواراً بين أقواس للتدليل على أنه نص حرفي ، وهو بلا أساس لا حدث ولا يمكن حدوثه . . وهذا ينسف كل رواياته * . .

٢ - أن يكون هيكمل صادقاً ، وهذه زفة لسان ، وتكون مقابلة محمد نجيب تمثيلية بارعة من الاثنين ، « هيكمل » الجيد التدريب ، وناصر المشهور بقدرته على الكتمان والحذر الشديد فيما يتعلق بسلامته الشخصية وسمعة السياسية . ومن ثم فالصلة بينهما قديمة ، ومن أيام حصار « الفالوجا » كما كان الشائع ، قبل نشر تلك الرواية السخيفة عن لقاء الغرباء في منزل محمد نجيب . . وعبد الناصر كان يتحدث عن « الكثيرين » الذين يعلمون كل شيء . . مثل كون عبد الناصر هو الزعيم الحقيقي للثورة ، وأن هيكمل هو صديقه الحميم . . فمن هم ؟ . . لا يعقل أنهم رجال الكونجرس ، آخر من يعلم ، ولا الصحفيون . . بل فئة خاصة . .

٣ - أن تكون رواية هيكمل صحيحة ، واستنتاجات شهود لقاء منزل محمد نجيب صحيحة ، ولكن الذين سيقابلون هيكمل في أمريكا ، هم الذين قدسوا « هيكمل » « لعبد الناصر » بعد الانقلاب ، وعملوا على سرعة قيام « الصداقة بيننا » ٢٠ .

ونحن نميل للتفسير رقم ٢ . . والصورة التي في ذهننا أن المخابرات الأمريكية عرفت من هيكمل ومصطفى أمين بوجود تنظيم الضباط الأحرار ونظم هؤلاء اللقاء بين هذا التنظيم وكبريت روزفلت . . وأن « هيكمل » كان الأوثق صلة بعبد الناصر بحكم سنه ، وبراعته في تنفيذ دور التابع الذي ربط نفسه بمصير سيده ، في نفس الوقت الذي يقدم فيه المعلومات والأفكار هذا السيد ، بينما كان « مصطفى أمين » يتمتع باحترام أكثر عند الجانب الأمريكي ، وشك وتوتر من جانب عبد الناصر . . وأخيراً فلا أدل على تناقض مشاعر رجال الثورة مع الموجة الشعبية العامة في مصر ، أنه فور قيام الثورة ، كان التصرف الطيبي من رجالها الذين لم يؤثروا من العلم إلا قليلاً . . أنهم قاموا باعتقال مصطفى وعمل أمين ، ليتدخل أولو العلم ويفرجوا عنهم مع الاعتذار - في الراديو - بعد ست ساعات ! . .

• اضطر هيكمل إلى « لحس » هذه الرواية ، وعملها في الملفات ، انظر ملحق رقم ٨ هذا الفصل ص ٢٠٧

أما أن الأوان أن تترك ثروة هيكل ونعود إلى الجذور ، وحديث المعلمين لا الصبيان ؟
لقد شاعت رائحة الدور الأمريكي منذ اللحظات الأولى للانقلاب ، عندما رأى الناس
السفير الأمريكي « جيفرسون كافري » خبير الانقلابات كما عرف منذ تعيينه في القاهرة
وكتبت عنه الصحف التقدمية ، رأوه يتصرف كمراب النظام الجديد ، ويشرف على ترحيل
الملك فاروق ويتعهد بسلامته ، ثم ربطوا ذلك بما كتبه الصحفي الأمريكي الوثيق الصلة
بالمخابرات الأمريكية « جوزف السوب » في صحف الولايات المتحدة قبل ٢٣ يوليو عن
انقلاب عسكري قادم في مصر ، وقد بعث مصري مقيم في الولايات المتحدة - وفنها - بالمقال
إلى مصر كدليل على ما تديره المخابرات الأمريكية ، ليصبح هو بعد سنوات من المفتين بثورية
الناصرية ، تماماً كالكاثب الذي استقبل كافري بعرض تاريخه في تدبير الانقلابات وإجهاض
الثورات .. ثم أفنى بأن هذا الخبير خاب تدبيره في مصر !!

ورأى الناس الثورة تبعد الصحفيين الوطنيين وتعتقلهم ، وتقرب رجال « أخبار اليوم »
المؤسسة الرجعية الموالية للاستعمار بإجماع الحركة الوطنية في هذا الوقت حتى أصبح تلميذها
البحر « محمد حسين هيكل » هو الذي يحدد الوطنية من المحيط للمحيط ! ورأوا قبول النقطة
الرابعة وتجميد قضية فلسطين وضرب المؤسسات والأحزاب والحركات الوطنية .. ثم ساد
الإرهاب وانعدمت الرؤية ، وتعقدت الرواية .. وكانت فترة التيه ..

فلما ظهر كتاب « لعبة الأمم » هربوا منه لأنهم لا يريدون أن يتذكروا .. إلى أن مات
المارد ، وحطمت الأقفال ، فبدأت تتسرب بعض الأقوال ، ولكن يسيطر على الجميع
الرعب من هول الحقيقة ، خاصة أنه ما من أحد إلا وقد تورط في ٢٣ يوليو بموقف ما أو تأييد
أو مساهمة .. نعم كلنا كنا للأسف « أشباه المثقفين » أو المثقفين المزيفين الذين توقع تقرير
المخابرات أن يهبوا لتأييد « الثورة » بغيا أو انتهازية ..

قبل على لسان خالد محيي الدين إن عبد الناصر طلب منه حذف عبارة الاستعمار
الأنجلو - أمريكي ، واستخدام عبارة « الاستعمار » فقط أو الاستعمار البريطاني ، وذلك في
منشورات الضباط الأحرار قبل الثورة ..

وكتب في حادثة الثلاثة ملايين دولار التي دفعتها المخابرات الأمريكية للرئيس جمال
عبد الناصر ، وكان هيكل قد حاول أن « يلبسها » لمحمد نجيب ففشل وإليك ما كتبه أحمد
حمروش* :

« على قدر ما طالت مفاوضات التسليح ، على قدر ما انتهت في سرعة عملية تقديم ثلاثة
ملايين دولار كمئحة شخصية من المخابرات المركزية (الأمريكية ج) إلى رئيس الدولة ،
وهي قصة أثار اهتمام الكثيرين لما أحاط بها من جدل . بدأت القصة باقتراح من عميل^{٢٩}

* وذلك قبل أن « يرتبه » أو بالعامية « يظبطه » هيكل ..

المخابرات الأمريكية مايلز كوبلاند . التي كشف أسرارها في كتابه « لعبة الأمم » عندما قال أنه لولا نشره لما لظلت خمسة آلاف سنة تغير علماء الآثار ، ذلك أنها انتهت إلى بناء برج القاهرة . ويحدد مايلز كوبلاند تاريخ إعطاء المبلغ لضابط المخابرات (أيتها ج ٩) حسن النهامي الذي أخذه وأحصاه في منزله بالمعادي ووجده ناقصاً عشرة دولارات في شهر نوفمبر ١٩٥٤ أي نفس الشهر الذي حصلت مصر فيه على الأربعين مليوناً كمعونة اقتصادية وينفي هذا التحديد ما نشره « محمد حسين هيكل » في كتابه « عبد الناصر والعالم » من القول بأن المبلغ قد سلم إلى اللواء محمد نجيب وأن جمال عبد الناصر لما علم بذلك استشاط غضباً وطلب تفسيراً من محمد نجيب الذي كان آنذاك رئيساً للوزراء . وأصر نجيب على أنه فهم أنه ليس للمخابرات الأمريكية علاقة بذلك المبلغ ، وأنه أرسل من الرئيس إيزنهاور الذي خصص اعتمادات مالية لبعض رؤساء الدول ليتمكنوا من تجاوز مخصصاتهم المقررة بالميزانية من أجل الدفاع عن أنفسهم وعن بلادهم ضد الشيوعية ، وهنا طلب عبد الناصر على حد قول هيكل إيداع المال في خزانة إدارة المخابرات وأمر بعدم صرف أي شيء إلا بإذن مجلس قيادة الثورة .

ينفي تحديد تاريخ تسليم المبلغ ذلك لسبب بسيط هو أن محمد نجيب لم يكن رئيساً للوزارة في هذه الفترة ، بل كان رئيساً للجمهورية بلا عمل حتى ١٤ نوفمبر ثم معتقلاً في المرج بعد ذلك ، وكان حسن إبراهيم وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية يحضر كافة مقابلاته ويراقب كل تصرفاته . مما يبعد تماماً فكرة عدم معرفة جمال عبد الناصر بوقوع مثل هذا الحادث .

هذا من ناحية . . ومن ناحية أخرى فإن الأمريكيين ما كانوا يعطوا مثل هذا المبلغ لمحمد نجيب وهو رجل معزول عن الحياة العامة ، تدفقت عليه الهجمات عقب إطلاق الرصاص على جمال عبد الناصر وربطت بينه وبين الإخوان المسلمين وكان على وشك أن يحاكم معهم ، هذا إذا أردنا استبعاد رأي مايلز كوبلاند كما ورد في كتابه .

وعندما قرأ محمد نجيب ما نشره هيكل في كتابه ، رفع عليه قضية أمام محكمة الجيزة واضطر هيكل للاعتذار على صفحات الأهرام ، وأثبت محمد نجيب أمام المحكمة قوله بأن الواقعة موضوع الادعاء غير صحيحة على الإطلاق . . وصمت هيكل مؤثراً الانسحاب من خطأ أساء به إلى سمعة الرجل ،* (تأمل قدرة هيكل على تزييف عشرات الوقائع في حادثة واحدة ثابت بطلانها بالتواريخ ج) .

والواقعة كما رواها مايلز كوبلاند حافلة بالتفاصيل وهي كالآتي على لسانه في كتابه المنشور بالولايات المتحدة ، والذي لولاه ، لما عرفت قصة الملايين الثلاثة ، ولا تعرض لها هيكل

* قارن هذا بما يكتبه حروش الآن في الإشادة هيكل وصدق ووزارة معلوماته . نذكر أن مصر تتج ليس فقط التاريخ المصنوع من البلاستيك بل والضمائر أيضاً ! . . .

أبدأ .. قال : إنه شخصياً عاد إلى نيويورك في أواخر صيف ١٩٥٣ « حيث قدمت اقتراحاً بإعطاء ناصر مبلغاً بصفة شخصية لتطوير حراسته وحل بعض المشاكل الداخلية الصعبة ، وأن ترسل الحكومة الأمريكية لعبد الناصر سيارة كاديلاك مصفحة ، وأحد رجال البوليس لتنظيم حرسه الخاص ، وجهاز إنذار على بيته * ، ومعدات تحطيم المظاهرات .. كما اقترح إعطاء مصر أربعين مليون جنيه وعبد الناصر ثلاثة ملايين ، وقد تمت الموافقة ، ولما جاء الخبر إلى القاهرة باعتماد المبلغين ، اعتبر السفير الأمريكي فكرة الهدية الشخصية ، فكرة سخيفة ، وقال لي إنه لن يسلم هذا المبلغ لعبد الناصر إلا أنت ، وقام كافري بزيارة محمود فوزي ، في اليوم التالي وحدثه عن الأربعين مليوناً ولم يشر بحرف إلى الثلاثة ملايين ، ولما كان موقف كافري ، قد أثار الشكوك في نفسي ، فقد ذهبت إلى « حسن التهامي » أبحت معه مسألة الثلاثة ملايين ، وقلت له إن الحكومة الأمريكية لا تلج عليكم ، وإنما أريد أن أخبرك أنها تحت تصرفكم إذا شئتم . وحسن التهامي الذي كان يشغل ضمن مناصب أخرى مركز رئيس الحرس الخاص لعبد الناصر (وهو بالمناسبة الذي أشار إليه عبد الناصر في حادثة محاولة الاغتيال في فلسفة الثورة) قال لي : « مش حنغلب في الاستفادة بثلاثة ملايين دولار خيلنا نشوفهم » ، وبعد الحصول على تأكيد شخصي من عبد الناصر بأن الثلاثة ملايين مقبولة فعلاً . أبلغت كافري الذي قال لي بلهجة حانقة إن المبلغ قد وصل هذا الصباح مع رسول من بيروت ، وبعد مشاورة المختصين بالسفارة ، اتفقنا على أن نحركي تحت الحراسة مسافة خمسة أميال إلى منزل حسن التهامي في المعادي سيبر الشبهات ، ولذلك اتجهت في سيارة أحمل حقيبتين فيها ثلاثة ملايين دولار نقداً واستقبلني حسن التهامي في منزله بالمعادي يحيط به حارسان مصريان ، دون اهتمام أو حماسة ، وبدأنا نعد النفود ، عددناها مرتين لنكتشف أنها ٢,٩٩٩,٩٩٠ دولاراً وعلق حسن أخيراً : لن نتعارك على عشرة دولارات .. وركب ومساعداه سيارة مرسيدس إلى بيت عبد الناصر » .

ثم حكى قصة برج القاهرة الذي بني من المبلغ وقال إن حسن التهامي كان يسميه « وقف روزفلت » وقد كتب العبارة بالعربية بالحروف الانجليزية ، ولكنه عندما ترجمها للانجليزية - وهو يتقن العربية ولكن بالطبع كمستشرق - ترجمها « انتصاب روزفلت » « Roosevelt's Erection » وهذا دليل أنه لم يخترع العبارة ولكن أخطأ ترجمة كلمة « وقف » .. أو ترجمها له مساعد لا يعرف ما « الوقف » و « الأوقاف » ..

ماذا تثبت هذه القصة ؟!

- « أوليفر نورث » مشغل مجلس الأمن القومي الأمريكي في عملية السلاح لإيران وحرب العصابات في نيكاراغوا ، لم يستطع الحصول على ثمانية آلاف دولار عام ٨٦ لترتيب جهاز إنذار حول بيته في واشنطن ، إذ لم يجدوا بنداً في الميزانية يسمح بصرف المبلغ . وعبد الناصر في ١٩٥٢ صرفوا له ثلاثة ملايين دولار !! أو ما يعادل بدولارات اليوم « ثلاثمائة مليون » ١

ثبتت أولاً الروحية التي يتعامل بها هيكل مع وقائع تلك الفترة وهي استعداداته للكذب الكامل ، وتزوير التاريخ وتبديل الأشخاص . . وهي ليست مسلكية خلقية ، بل شعور بالإثم ، شعور بخطورة ما تنطوي عليه الحادثة ولذلك لا يتورع عن الكذب ونقل التهمة إلى محمد نجيب ، وكان ظنه أن الرجل شاخ ، أو أن ذاكرته أو شجاعته ستخونه . . ولكن عندما جره إلى القضاء وهو يعرف أنه كاذب مزور ، وأن أمره سيفضح في المحكمة ، وأخطر من ذلك أن المحكمة قد تقلب الدفاتر ، وتفتح الملفات وخاصة أن « محمد نجيب » قد اتهمه علناً وفي كلام مكتوب ومنشور بأن المخابرات المصرية قدمت له ولعبد الناصر تقريراً بأن محمد حسين هيكل عميل للسفارة الأمريكية فلم يستطع أن يلجأ للقضاء كما فعل الطاهر الذيل محمد نجيب (في هذه الواقعة على الأقل) لذلك أثر محمد حسين هيكل أن ينسحب مرة أخرى وذيله بين رجله ، الأولى نصحه « محمود فوزي » ألا يلجأ للقضاء و « محمود فوزي » رجل أرقم يعرف السر ، وصدقه النصح ، والمرة الثانية عندما اعتذر لمحمد نجيب وتراجع . .

فهذه الواقعة لا تثبت فقط تزوير وكذب محمد حسين هيكل وإنما تشير إلى وجود سر خطير بحرص هيكل على إخفائه ولو بالتزوير .

كذلك ثبت الرواية ، وهي أن المخابرات الأمريكية قدمت ثلاثة ملايين دولار لرئيس « ثورة » ٢٣ يوليو ، ولما نتحدث هنا عن رشوة أو فساد . . فالكل متفق ونحن في مقدمتهم على سخافة العمل ، وعلى أن عبد الناصر رفض أن يمس المبلغ أو أن يحتفظ منه بدولار واحد ، ولو فعل لما استحق أن يوجد اسمه في التاريخ ، ولا شغل بالنا دقيقة واحدة . . فلا أحد يتحدث عن رشوة ولا فساد ، وإنما مغزى الواقعة هو طبيعة العلاقة بين المخابرات الأمريكية وثورة ٢٣ يوليو ، وإن استطعت أن تصدق وقوع هذه القصة بين المخابرات الأمريكية وهوشي منه أو حتى فيدل كاسترو . . فهي ثورة ووجب قطع لساننا . . فالسؤال هو لماذا اتهم المخابرات الأمريكية والحكومة الأمريكية بحماية قائد ثورة يوليو ؟ . . والمفروض والمشاع أن كل المؤامرات على حياته هي من تدبير هذه المخابرات ؟ لماذا كانت الحقيقة مخالفة تماماً للشائع والذائع في أجهزة الإعلام الناصرية ؟

لماذا ؟ . .

كذلك أورد حمروش ، نقلاً عن خالد محيي الدين ، رواية تعزز القول بأن المخابرات الأمريكية لعبت دوراً حاسماً في تصفية نجيب . إذ قال خالد محيي الدين : « إن مثل صحيفة « نوفل أوزير فاتور » قال له (خلال فترة الصراع يوم لم يكن الكثيرون في الشارع السياسي المصري يراهنون على انتصار جمال عبد الناصر واحد ضد عشرة) إن جمال سيكسب المعركة ضد نجيب ، وإن مجلس القيادة قد أعطى إشارة للأمريكيين بأنهم سيوافقون على المعاهدة وإدخال تركيا في بند السماح بعودة قوات الانجليز للمفاته » ، وسنجد في رواية كويلاند

وايفيلاند ، ومصطفى أمين ما يؤكد أن المخابرات الأمريكية رجحت كفة ناصر على نجيب . . بل إن أحد أساطين الأجهزة السرية الأمريكية بشك في تأمر هذه المخابرات مع ناصر في حادثة المنشية للقضاء على نجيب* .

وينقل حمروش سرّاً خطيراً همس له به زكريا محيي الدين وهو : « إن هذه السرعة في توقيع الاتفاق كانت نتيجة وساطة أمريكية ، كما ذكر لي زكريا محيي الدين ، استهدفت حل المشكلة بين البريطانيين والمصريين لخلق جو مناسب لربط مصر بسياسة جديدة في المنطقة » . أما « مايلز كوبلاند » فلا يهمل بل يقدم لنا قصة الوساطة كاملة واسم الوسيط . . ترى من يكون إلا عراب الثورة نفسه !؟

وتخيل هذا المشهد في « هافانا » وقد اجتمع مجلس الثورة الكوبي في الأيام الأولى للثورة ، وبعدما استقرت أقدامها ، وأعلن « فيدل كاسترو » أنه قرر تعيين رئيس المحكمة العليا رئيساً للوزراء ، فيهمس جيفارا في أذن راؤول كاسترو . . فإذا براؤول يقول : آسف لا نستطيع تعيين المرشح لأن السفارة الأمريكية تعترض عليه فهو من انصار السلام !

أو إذا شئت مزيداً من الفكاهة فتخيل حدوث ذلك في هانوي في مجلس قيادة الثورة الذي يرأسه هوشي منه ! . .

المنظر طبيعي في سايغون ، أو « سيول » عاصمة كوريا الجنوبية ، أو القاهرة للأسف ، فهذا ما يرويه حمروش عن رفض تعيين السنهوري . . قال :

« بعد قرار عزل « علي ماهر » بدأ البحث عن اسم رئيس وزراء جديد ، ويبدو أن السنهوري كان المرشح الأول « ولكن « علي صبري » همس في أذن جمال سالم ، وكان حاضراً هذا الاجتماع باعتباره سكرتيراً لمجموعة الطيران . وقال « جمال سالم » إنه يجلس السنهوري ويعرف قدرته ، ويعترف بجدارته ، ويشق في إخلاصه للحركة ، كما بدأ واضحاً في تأييده لقانون الإصلاح الزراعي ، ولكنه لا يستيع إلا الصراحة والإخلاص في عرض السبب الذي يجعله مرغماً على العدول عن ترشيحه . وكان السبب كما قال جمال سالم ، هو أن الأمريكان سوف يعترضون على هذا الترشيح لأن بعض الصحف العربية نسبت إليه في أواخر عهد الملك السابق وأثناء حكم الوفد أن له ميولاً يسارية ، وفسر السنهوري ذلك بأنه وقع نداء ستوكهولم للسلام » .

والرواية إلى هنا توحي بأنه اجتهد من « علي صبري » مشغول الاتصال بالأمريكان في ذلك الوقت ، ولكن خالد محيي الدين يكمل القصة : « إن الأمريكيين كانوا قد أبلغوا « علي صبري » بذلك عندما شعروا باقتراب السنهوري من مجلس القيادة ورجوع الأعضاء إليه في كافة مشاكلهم الدستورية » .

• أفضنا العديد من الوثائق التي تثبت تعاون الأمريكيين مع ناصر ضد نجيب في كتابنا هذا وسترد في موضعها .

فنحن أمام « فتو » أمريكي صريح على مجرد الاقتراب من موقع « نداء ستوكهلم » للسلام . . وكراهية الأمريكيان لمن يوقع « نداء السلام » في ذلك الوقت مفهومة ، ولكن رضاهم وثقتهم عن مجلس الثورة ، غير مفهومة ، أما انصياح مجلس « الثورة » لهم فهو المحير العجيب . . إذا لم نعتزف بالمعامل « س » .

وثأين « الوثائق » التي عني عنها هيكمل إلا أن تؤكد صدق رواية « خالد محيي الدين » فبعد صدور كتابنا نشرت في عام ١٩٨٦ وثائق الخارجية الأمريكية عن الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤ وجاء فيها الآتي حرفياً :

« من كافري (السفير الأمريكي بالقاهرة ج) إلى وزارة الخارجية ٨ سبتمبر ١٩٥٢ .
« أبدت اعتراضاً شخصياً (؟ ج) على أن تضم الوزارة السنهوري موقع نداء ستوكهلم للسلام أو الشيوعي براوي ، وقد احترم العسكريون اعتراضى وأبعدوا الاثنين ، وقد أخبرنا العسكر اليوم أن برنامجهم سينشر بالكامل خلال أيام » ١٢

بريطانيا العظمى وهي تحتل مصر بما يقرب من نصف مليون جندي وخلال حرب عالمية احتاجت لمحاصرة فاروق بالدبابات ووضع المدس في رأسه لتفرض وجهة نظرها في رئيس وزراء مصر ! وبعد عشر سنوات أصبحت مهمة من السفير الأمريكي تكفي لفرض وجهة نظره بلا حاجة لدبابات أمريكية فقد تولت عنها المهمة الدبابات المصرية للأسف !

لا أظن أن مصر كانت يوماً من الأيام أكثر تبعية منها في تلك الفترة ، ولا أظن أن السفير الأمريكي تمتع بمثل هذا الانصياح من حكومة شبه مستقلة .

وأيضاً قصة « يوسف صديق » الذي يعد تاريخياً وباعتراف الجميع الآن ، أنه هو الذي نفذ الانقلاب ووضعهم في السلطة ، ولولاه لما قامت الثورة ١٢ ، كان عمره في هذه الثورة قصيراً جداً . . والسبب هو الأمريكيان باريس !

يوسف صديق ، هو من المجموعة التي لم تكن لها علاقة بالأمريكان ولا علم بما جرى معهم من اتفاق ، وما كان له أن يكون ، فهو يساري ، أوحى عضوفي تنظيم ماركسي ، إذا صدقنا رواية حروش ، أو إذا أخذنا عضوية « حدتو » على محمل الجد ، ولكن لا جدال في وطنيته ويسارته ، ومعاداته للاستعمار الأمريكي . . وهكذا توجه « يوسف صديق » إلى « بني سويف » وخطب كما كان يخطب الوطنيون المصريون في عام ١٩٥٢ ، وقال « إن الحركة لا شرقية ولا غربية » . فلم تدع الإذاعة تسجيل خطابه ، واحتج أولو العلم من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، على إعلان هذا الموقف الذي أثار رجال السفارة الأمريكية ، وبعث الضيق في نفوسهم - على حد قولهم - وكان الحيداء مرفوضاً في هذه الفترة من الغرب . وتعرض « يوسف صديق » بعد ذلك لمضايقات من زملائه « أعضاء المجلس » وسرعان ما أخرج يوسف صديق من المجلس (يناير ١٩٥٣) واضطهد .

حروش ومن قبله محمد عودة ، لديهم المعلومات ، ولكنها بخشيان الاعتراف بالحقيقة التي

تؤيدها المعلومات التي يقدمونها هم ! الثاني وصف « جيفرسون كافري » :
« من أشهر مدبري الانقلابات في وزارة الخارجية الأمريكية ، ويضم سجله سلسلة طويلة من الانقلابات تقارب الثلاثين في أمريكا الجنوبية والوسطى ، وكان كافري أول سفير أمريكي في فرنسا بعد التحرير ، في فترة أزيح (فيها) دييجول عن الحكم وطرد الشيوعيون من الائتلاف الوزاري وجذب الاشتراكيون للولايات المتحدة ، وأصبحت فرنسا قاعدة لمشروع مارشال ثم لحلف الأطلسي »^{٢٤} .

هذا الذي قهر دييجول ، وطرد الحزب الشيوعي الفرنسي ، وجذب الاشتراكيين الفرنسيين لأمريكا وحول فرنسا - فرنسا ذاتها - لقاعدة ، ونظم ثلاثين انقلاباً في أمريكا الجنوبية والوسطى . . عينته أمريكا في مصر ليحرب حظه ، فخاب فآله وذهب سحره ، وبطل مكره !

ولا ندرى أيضاً علينا حموش أم يضحك على نفسه وهو يقول : « ولكن كافري جوبه في مصر بحركة شعبية متصاعدة أضعفت من فرص القدرة على إحداث انقلاب مشابه لما حدث في سوريا » !

انقلاب سوريا أمريكاني . . وانقلاب فرنسا أمريكاني . . أما مصر فهي أم الدنيا !
ولكن المعلومات تحرق أصابع حموش ، فهو يعرضها ولو من باب إعطاء كتابه مسحة منطقية ، ولكن يستعبد بآفه بعد كل فقرة ، فهو يؤكد لنا اتصال المخابرات الأمريكية بالضباط الأحرار ، ولكنه يقسم على أن جمال عبد الناصر لم يتصل شخصياً . . وهو يؤكد حدوث التقاء الأهداف ، ولكن ينفي أنهم سيطروا علينا . . حيرة التورط والندام والمشدود لغفلته التي تبينها متأخراً جداً ، أو بالأحرى لانتهازيته التي جعلته يخفي ما يعلم ، ويخدع نفسه . . يقول : « إن الولايات المتحدة كانت تقرب انتفاضات (الفلاحين) في حذر شديد ، لأنها رأت فيها إرهابات ثورة شعبية جامحة يمكن أن تنتهي إلى تغييرات اجتماعية جذرية تتناقض فتعارض في داخلها مع أهداف الاستعمار والامبريالية العالمية ، ولذا كانت فكرة الإصلاح الزراعي ، واردة في أحاديث المسؤولين الأمريكيين الذين تدفقوا على مصر بعد حريق القاهرة ، كانوا يطلبون إصلاحات اجتماعية تمنع اشتعال (ثورة) شعبية .
وانبرى الدكتور أحمد حسين أحد المقتنعين بهذه السياسة والشديد القرب من الأمريكيين يدعو إلى الإصلاحات الاجتماعية ويشكل (جمعية الفلاح) ويطلب من علي ماهر أن يدعو الملك إلى التنازل عن نصف أرضه للشعب وكون (جمعية الفلاح) و « قد اكتشف اليساريون أن مثل هذه الجمعية إنما تستهدف إطلاق البخار من المرجل الشعبي حتى لا يتفجر في وجه الاستعمار ، فأطلقوا عليها اسم « جمعية الفلاح الأمريكي » ، وذلك لما أحاطه بالدكتور أحمد حسين من سمعة تربط بينه وبين المسؤولين الأمريكيين المتدفقين على مصر .^{٢٥} ووضع من اتصالات الأمريكيين برجال السياسة المصرية أن « الإصلاح الزراعي » كان أحد العروض التي يقترحونها ، كما روى مصطفى مرعي ، عندما اتصلوا به قبل ٢٣ يوليو ورفض الموافقة

على فكرتهم في تحديد الملكية عن أي طريق يتعارض مع الدستور .

الأصمى يستطيع أن يستنتج من هذا أن قانون « الإصلاح الزراعي » الذي أصدرته الثورة كان مطلباً أمريكياً . . ولكن صاحبنا أعمى القلب ولذلك فهو يتبع هذا التحليل الذي أَرْضَى به الأذكىاء بشهادة ترضي المغفلين « ولكن لما غرقت قوات الجيش ليلة ٢٣ يوليو لم تكن فكرة القضاء على الإقطاع نابعة من فكر أمريكي « !!

ليه ؟

لنراجع ما لدينا من حقائق طبقاً لشهادته :

١ - مصر تغلي بنذر ثورة فلاحية تحمل شتى الاحتمالات ، ليس فقط تصفية الإقطاع أو كسار الملاك التصفية الثورة الجذرية ، بل - أيضاً - إطلاق تلك القوة الأسطورية التي لم تتحرك إلا بضعة شهور في ثورة ١٩ وعلى نطاق جزئي . ولو ثار الفلاح المصري ثورة شاملة ذات أبعاد وطنية وطبقية لتغير وجه المنطقة .

٢ - كان الأمريكيون ، أو أجهزتهم تندفق على مصر وتراقب هذا بحذر شديد ، وتصميم على منع هذه الثورة التي تتناقض مع أهداف الاستعمار والامبريالية .

٣ - ولذلك فكروا في حل يجهض هذه الثورة ، ويحمي أو لا يتناقض مع الأهداف الاستعمارية والامبريالية ، فطرحوا حل « الإصلاح الزراعي » ولا جديد في ذلك فقد طبقوه في كل بلد نجحوا في تنفيذ انقلاب فيه ، وآخرها إيران* . . فالانقلاب الأمريكي يقترن غالباً بالإصلاح الزراعي ، حتى يمكن اعتبار إعلانه قرينة على أمريكية الانقلاب . .

٤ - تحدث المسؤولون الأمريكيون الذين تدفقوا على مصر بعد حرق القاهرة عن الإصلاح الزراعي لمنع الثورة ، وتبني مطلبهم السياسي « الشديد القرب منهم » بل اتصلوا بمصطفى مرعي واقترحوا عليه تطبيق الإصلاح الزراعي أو تحديد الملكية « بغير الطريق الدستوري » يعني بإجراء ثوري . . فرفض . . واكتشف اليساريون ما يجري وعرفوا أنها لعبة أمريكية ، وأنها ضد الثورة ، وليست ثورة .

ثم جاءت ٢٣ يوليو ولم تكن قد أعدت للقضاء على الإقطاع مشروعاً أو خطة كاملة ، . وفجأة تبني مجلس الثورة المشروع وقتل عليه !

ثم يقسم لنا أنه لا صلة بين ذلك وبين الجهد الأمريكي لفرض الإصلاح الزراعي العظيم ! . . وموافقون . . ولكن ألا يسمح لنا أن نستنتج الاتي على الأقل :

١ - الإصلاح الزراعي لم يكن يتعارض مع الأهداف الاستعمارية والامبريالية بل على العكس كان على هوى الامبريالية الأمريكية على الأقل . فهي اقترحت قبل الثورة .

٢ - الإصلاح الزراعي كان عملاً مضاداً للثورة الفلاحية وليس عملاً ثورياً . . ويحذر أن

* بل وآخرها الفليين .

نشرح قليلاً للمنفصلين من خريجي مدرسة التجهيل السياسي ، فهم لا يعرفون الفرق بين الثورة والإصلاحية ، وبين الاستعمار القديم ، والاستعمار الجديد . .

الاستعمار الأمريكي بحكم تكوينه ومصالحه يعادي أية ثورة طبقية ، ثورة تحرر قوى الشعب وتحقق تغييراً جذرياً في النظام الاجتماعي والسياسي بما يكفل تعبئة وإطلاق طاقة الأمة في بناء الدولة والمجتمع ، تصفية المصالح الاستعمارية ، وافتتاح حصة من السوق العالمية التي تستثمرها هذه المصالح . وهذا هو جوهر الصراع بين الدول الاستعمارية والدول المستعمرة ، ويمكن أن تضاف عوامل محلية لكل بلد ، منها في حالتنا النفط وإسرائيل . .

ولذا فإن أي إجراء يحول دون الثورة ، هو أهن ضرراً ، ولاشك أن الإصلاح الزراعي ، بالأسلوب الأمريكي يحقق هذا الهدف ، لما يتخلقه من تعقيدات في العلاقات الاجتماعية والطبقية في الريف ، تشغل الجماهير عن الثورة الحقيقية . . فالعلاقة القديمة . . كانت بسيطة ومفهومة . . طبقة كبار الملاك تملك الأرض والسلطة . . وفي مواجهتها الفلاحون بلا أرض ولا سلطة . . ومطلبهم واضح : الحصول على الاثنين معاً : الأرض والسلطة . . والعدو واضح . . والصدام معه سيجر إلى الصدام مع الاستعمار الذي يسند . . ومن ثم تصبح الثورة الطبقية ، وطنية في نفس الوقت .

أما بعد قانون الإصلاح الزراعي ، فقد ارتبكت الصورة - رغم ضالة ما تم توزيعه - فقد ظهر طابور من الملاك ، ولا أحد يعرف موقعه من السلطة ولا أحد يساهم أو يشارك في السلطة ، وأيضاً لا أحد يستطيع اتهام السلطة بوضوح بأنها مع العدو . . والكل في حرب ضد بعضهم البعض . . وقبل الإصلاح الزراعي ، كان الفلاح الصغير هو قائد الثورة مرتبطاً ومنحالفاً مع فقراء الفلاحين ، ضد المالك الكبير ، أما الآن بعد الإصلاح الزراعي ، فإن العداء الذي يمزق الريف والحقد الطبقي هو بين المالك الصغير والمتاجر ، حيث أصبح المتاجر هو الذي يستغل المالك الصغير المغبون !! وبذلك يستحيل اتفاق الطبقتين على موقف من السلطة ، وهذا سر خروج الريف من خريطة الثورة في المستقبل القريب على الأقل . .

ويمكن أن نضيف أن طبقة كبار الملاك كانت قد ارتبطت تاريخياً واقتصادياً بالاستعمار القديم ، ومن ثم فإن الاستعمار الجديد يهيم تخطيطها لاقتلاع جذور الاستعمار القديم ومراكز نفوذه ، وإمكانات تحركه . .

كذلك فإن تفتيت الأرض الزراعية ، وجعلها كأرض الأوقاف لا مالك حقيقي لها ، كان في مخطط بعض الأطراف الأمريكية لتدمير منافسة القطن المصري طويل الثيلة ، للقطن الأمريكي ، وقد عرفنا أن هذا الهدف أو الخشية من المنافسة كان خلف معارضة نواب الجنوب الأمريكي للسد العالي .

على أية حال إن كنا قد كتبنا ذلك في عام ١٩٨٥ اعتماداً على التحليل السياسي والمصادر

المصرية ، فقد أتبع لنا الآن وثيقتان في مستهى الأهمية تؤكدان أن « الإصلاح الزراعي » هو قرار أمريكي عريق ، وثيقة جاد بها هيكمل على قرائه الانجليز وهي أن روزفلت ألح على فاروق في تنفيذ الإصلاح الزراعي ، ولم يتم الملك وقد أوردنا ذلك في فصل هيكمل الكذاب ، أما الوثيقة الثانية التي لم يعلمها هيكمل وما ينبغي له !

فإليك نصها :

من السفير الأمريكي ٢٠ أغسطس ١٩٥٢ سري جداً

« بدعوة منهم تعشيت الليلة الماضية مع نجيب ونسعة من ضباطه الأساسيين :

١ - أكدوا مرة أخرى رغبتهم في صداقة الولايات المتحدة .

٢ - ناقشت معهم الإصلاح الزراعي . فقالوا إنه من ناحية لابد من عمل شيء وفي الحال نظراً للثوران الشعبي بين الفلاحين ، ولكن من الناحية الأخرى فإنهم يرون إمكانية إفساد اقتصاد مصر كله لو نظروا في هذا الأمر أو بعبارة أخرى : لا يمكن إعطاء حوالي ١٧ أو ١٨ مليون فلاح شرائح من الأرض ثم ينتظرون أن يتجوا شيئاً له قيمة وهم يشعرون بالخرج لأنهم تحدثوا كثيراً عن الإصلاح الزراعي علناً » .

ورغم ذلك قبلوا أو اضطروا لإفساد اقتصاد مصر والمضطرب يركب الصعب !

ثم إليك ما نقله حموش من « كويلاند » وما أضافه ، وما اعتذر . . قال : اتصالات خارجية : « ولم يقتصر اتصال الضباط الأحرار بالقوى والتنظيمات السياسية المصرية فقط ، ولكنه امتد ليشمل أيضاً مندوبي وزارة الخارجية والمخابرات المركزية الأمريكية الذين استشارتهم منشورات الضباط الأحرار ، وانتصارهم في انتخابات نادي الضباط ، فبدلوا غاية جهدهم للتعرف عليهم ، واكتشاف آرائهم ومحاولة اجتذابهم .

وكانت حلقة الاتصال مع ضباط في المخابرات المصرية طيبة عمله تسمح له بالاتصال بالملحقين العسكريين الأجانب ، بينما هو مرتبط بالضباط الأحرار وبجمال عبد الناصر شخصياً* .

ولم تنسح حلقة الاتصال بين المسؤولين الأمريكيين وبين الضباط الأحرار رغم اعتمادهم على الصحفي المقرب منهم محمد حسين هيكمل رئيس تحرير آخر ساعة في ذلك الوقت ورئيس تحرير الأهرام فيما بعد ، لأنه لم يكن قد تعرف بجمال عبد الناصر أو غيره من قادة تشكيل الضباط الأحرار حتى ذلك الوقت أو اكتسب ثقتهم** .

• إن كان يقصد « علي صبري » فهو خطأ ، فقد اعترف « علي صبري » بأنه لم يكن من الضباط الأحرار ، وأنه قابل عبد الناصر أول مرة يوم الانقلاب أو ليكته . عل أية حال هذا اعتراف بوجود ضباط اتصال بين عبد الناصر والمخابرات الأمريكية قبل الانقلاب .

••• قارن هذه الصيغة العنوانية ضد هيكمل ثم كيف انقلبت رأساً على عقب إلى مدح هيكمل بعد لقاء مرمي مطروح .

وكان حريق القاهرة حافزاً لنشاط الأمريكيين في المنطقة فقد أرسل دين اتشيسون وزير الخارجية مندوباً عنه استعاره من وكالة المخابرات المركزية هو كيرميت روزفلت لدراسة الأحوال في مصر .

ونشرت مجلة التايم في أكتوبر ١٩٥١ مقالاً جاء فيه « أن الموقف في مصر أشبه ما يكون بالموقف في اليونان سنة ١٩٤٧ ، حين اضطرت إنجلترا نظراً لضعفها إلى سحب قواتها من اليونان ، فحلت أمريكا محلها ، واستأنفت القيام بدورها حتى لا تترك فراغاً يتسرب منه النفوذ السوفيتي . . وأمريكا أعدت عدتها للموقف منذ زمن بعيد حتى لا تفاجأ كما فوجئت في إيران ووضعت مشروع الشرق الأوسط » .

« وركزت الولايات المتحدة اهتمامها بعد ذلك على مصر ، فعينت جيفرسون كافري سفيراً لها بالقاهرة ، وهو من أشهر مدبري الانقلابات في وزارة الخارجية الأمريكية ، ويضم سجله سلسلة طويلة منها تقارب الثلاثين في أمريكا الجنوبية والوسطى (كما ذكر محمد عوده في كتابه « ميلاد ثورة ») .

« ولكن كافري جوبه في مصر بحركة شعبية متصاعدة ، أضعفت من فرص القدرة على إحداث انقلاب مشابه لما حدث في سوريا ، وقد أسرع هو وسفراء إنجلترا وفرنسا وتركيا لتقديم مذكرتهم المشتركة إلى محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصري التي تدعو إلى إقامة دفاع مشترك فور إلغاء المعاهدة . . وهي المذكرة التي أعلن مجلس الوزراء المصري رفضها أمام البرلمان » .

« ولذا كان حريق القاهرة فرصة مواتية أنعشت آمال الامبريالية الأمريكية في الشرب إلى مصر ، ووضع قبضتها على مركز الحركة السياسية فيها » .

« ولم يكن رجل المخابرات المركزية كيرميت روزفلت مندوب وزارة الخارجية الأمريكية ورئيس بعثتها إلى مصر بعد حريق القاهرة ، غريباً على المجتمع المصري ، فقد عمل في مصر خلال الحرب ، وتوطدت صلاته بالملك فاروق ، ووقف إلى جانبه خلال أزمة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وأعد له مقابلة مع الرئيس فرانكلين روزفلت خلال زيارته لمصر عام ١٩٤٥ .

« ولم يبدأ كيرميت روزفلت مهمته الجديدة من فراغ . . فإن السياسة الأمريكية كانت لها نقط ارتكاز أقامتها خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية » .

« وكان جيفرسون كافري نشيطاً في مقابلاته وعلاقاته . . فقد نشرت الصحف - مجلة الجمهور المصري عدد ٢٢ يناير ١٩٥١ - أن هناك مشروعاً لإنشاء مكتب أمريكي انجليزي مصري لمقاومة الشيوعية ، رداً على المظاهرات المعادية التي تنهف بسقوط الاستعمار الأنجلو

• انظر تفاصيل هذا الرفض في الفصل السابق .

أمريكي ، وأن مكتب الصحافة الأمريكي يعمل على كسب بعض كبار الصحفيين ويطالب بمبالغ كبيرة لزيادة نشاطه .

وكان مصطفى أمين صاحب دار أخبار اليوم قد أصدر كتاباً باسم (أمريكا الضاحكة) فيه دعابة للمجتمع الأمريكي ، يمكن مقارنته بكتاب (الانجليز في بلادهم) الذي أصدره حافظ عفيفي .

وكانت السفارة الأمريكية قد نشطت في الاتصال بعدد كبير من السياسيين المصريين في محاولة لاجتذابهم إلى صفها . . . كان حافظ رمضان لا يخفي صلته بالأمريكيين ، ويقول فتحي رضوان إن حافظ رمضان كان يتصل بمستر إيرلاند مستشار السفارة الأمريكية ، بأمل الضغط على البريطانيين كما صرح عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية بقوله : «إننا على استعداد للتحالف مع أمريكا» .

« ويقول مصطفى مرعي إن الأمريكيين قد اتصلوا به ثلاث مرات للتعاون معهم على أسس رفضها ، قال لهم إنه ضد الملك وليس ضد النظام . . وأنه مع الديمقراطية وضد الحكم الفردي . . ورفض اقتراحاً خاصاً بتطبيق قانون الإصلاح الزراعي ، وأبلغهم أنه يفضل تطوير قانون عضو الشيوخ محمد خطاب بحيث يضطر كل من يملك أكثر من ٣٠٠ فدان إلى بيعها .

« وبدل اتصال الأمريكيين بمصطفى مرعي على أنهم كانوا يهدفون لنوع جديد من الحكم كان يرفضه ، ولتشجيعه للإصلاح الزراعي بطرق غير دستورية . . وهذا يفسر سياستهم التمهيدية لقبول انقلاب يتقاضي أخطار الانتفاضات الشعبية بتحقيق بعض إنجازات اجتماعية شكلية مع تثبيت قبضة السلطة الخاضعة للامبريالية الأمريكية ، المهددة للديمقراطية الشعبية .

« وكان أحمد حسين وزير الشؤون الاجتماعية في وزارة الوفد والذي استقال منها في صيف ١٩٥١ هو أحد أصفياء السياسة الأمريكية . . يدعو لسياسة إصلاح اجتماعي تنفادي خطر الثورة . . وقد اقترح علي (علي ماهر) أن يطلب إلى الملك - مكافحة للشيوعية وتصفية للسخط الشعبي - إعلان تنازله عن أملاكه أو عن نصفها للشعب مثلما فعل شاه إيران فيما بعد أثناء معركة البترول كمقدمة لضرب الحركة الشعبية هناك . . كما أنه اعتذر عن عدم الاشتراك في وزارة علي ماهر عندما عارض في رفع شعار (التطهير قبل التحرير) .

« كان أحمد حسين يؤدي دوراً نشطاً بين الساسة المستقلين بدعوى محاربة الفساد ، وقد اتصل بعدد خرج من الوزارة الوفدية بنجيب الهلالي واتفقا على أسس التخطيط والعمل بعد التخلص من الوفد .

« ويحاول مايلز كوبلاند في كتابه (لعبة الأمم) الإيجاء بأن جمال عبد الناصر كان على اتصال بكيرميت روزفلت عندما ذكره وقد أخبر عبد الناصر بكيرميت روزفلت صراحة أنه مع

ضباطه لن ينسوا ذلك الإذلال الذي لاقوه على أيدي الإسرائيليين عام ١٩٤٨ ، إلا أن نعمتهم منسوبة بالدرجة الأولى على كبار ضباط الجيش المصري ثم بقية حكام العرب والبريطانيين ، وأخيراً على الإسرائيليين .

« ولكنه لا يوجد دليل واحد على أن جمال عبد الناصر قد اتصل شخصياً بكيرميت روزفلت قبل الحركة . . . ولو أن اتصالات بعض زملائه بالأمريكيين قد جعلته يطلب من خالد محيي الدين عدم استخدام عبارة (الاستعمار الأنجلو - أمريكي) في منشورات الضباط الأحرار ، والاكتفاء بذكر الاستعمار البريطاني ، وكان ذلك في شهر مارس ١٩٥٢ ١٣ وذلك للتأييد الذي لسه هؤلاء الزملاء ، من المسؤولين الأمريكيين في المنطقة . »
« والمفطور به أن الأمريكيين قد وجدوا في النشاط السري لحركة الضباط الأحرار بعض ما يحقق لهم أهدافهم في المنطقة ، ولكنهم لم يستطيعوا أبداً أن يكونوا مسيطرين عليه .
وبعد أن نقل حمروش ما ذكره كويلاند عن تقرير روزفلت علق :

« وإذا صح أن كيرميت روزفلت قد وصل إلى هذه النتائج فإن هذا لا يعني ارتباط تنظيم (الضباط الأحرار) بالمسؤولين الأمريكيين ارتباطاً عضوياً ، ولا يدل على أن حركتهم تتم بتوافق وتنسيق مع الاتجاهات الأمريكية ، وإنما يدل على اتساع دائرة معرفتهم ، وخبرتهم السياسية في دول تتعرض لأزمات وطنية وحركة جيوشها في مواجهة هذه الأزمات .

« نشر الكاتب الأمريكي ستيفارت السوب مقالا في صحيفة (شيكاغو صن تايمز) يقول فيه « إذا كانت بريطانيا قد استطاعت فيما مضى أن تحافظ على سيادتها على مصر بخلق الباشوات وجعلهم أصحاب النفوذ ، وبرشوتهم بعد ذلك ليكونوا أداة تسهيل مصالح بريطانيا الاستعمارية فإن هذه الطريقة لم تعد عملية ولا مجدية اليوم ، إن الشعب الفقير قد أخذ يستيقظ ويشعر بالضيق الفاحش اللاحق به » ثم أنهى مقاله بقوله : « إن الحديث عن إنعاش الديمقراطية في بلد كمصر يعيش فيه أغلبية الشعب عيشة أحط من عيشة الحيوانات ، هو لغو فارغ ، إن مصر لا تحتاج إلى ديمقراطية بل تحتاج إلى رجل فرد ، إلى رجل ككمال أتاتورك ليقوم بالإصلاحات الضرورية اللازمة للبلاد ، لكن مشكلة مصر في كيفية العثور على الديكتاتور ، فليس بين رجاله من لديه المؤهلات اللازمة للديكتاتور » .

« وكتب إحسان عبد القدوس مقالا بعنوان (إن مصر في حاجة إلى ديكتاتور . . . فهل هو علي ماهر ؟) تحمس فيه للدفاع عنه وقال إنه معروف عنه أنه يعتقد برأيه إلى حد لا يسمح معه للوزراء بالتفكير ثم قال : ومصر تقبل معه أن يعتقد برأيه إلى حد أن يصبح ديكتاتوراً للشعب لا على الشعب ، ديكتاتوراً للحرية لا على الحرية ، ديكتاتوراً يدفعها إلى الأمام ولا يشدها إلى الوراء » .

« وفي نفس الوقت تقريباً ظهرت عدة مقالات كتبها جوزيف السوب (من نادي الجزيرة بالقاهرة) قال فيها إن فاروق قد فقد أهليته ، وأن الوفد حزب لا يمكن الاعتماد عليه ، وأن

الأمل الوحيد في الجيش . . . وقد أثارَت هذه المقالات التي نشرت في أمريكا ، اهتمام المبعوثين المصريين هناك ، ودفعت الدكتور إبراهيم سعد الدين عضو الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي وممثل معهد الدراسات الاشتراكية فيها بعد إلى كتابة مقال لمجلة (الكاتب) دون توقيع ، تحدث فيه عن احتمال وقوع انقلاب عسكري .

« وكانت صحف دار أخبار اليوم هي المنبر الذي تنطلق منه الدعاية للسياسة الأمريكية ، فهي تمدح السراي والملك ، وتهاجم الوفد وتحاول التشهير به ، ثم تنقلب إلى غمز السراي عندما تتبلور السياسة الأمريكية وتفقد الثقة في قدرة الملك على الإصلاح

وفي غمرة البحث الأمريكي وراء خفايا الحياة السياسية في مصر ، ومحاولة معرفة (البطل) الذي تحدثت عنه صحف (أخبار اليوم) ، وقف جهاز اكتشافهم الحساس عند ظاهرة ، لم تكن وقتها ذات أثر كبير في حياة الجماهير اليومية ، ولكنها أظهرت بادرة مثيرة في أخطر جهاز منظم في مصر . . . وهي انتخابات نادي ضباط الجيش التي دفعت اسم محمد نجيب إلى الضوء » ١٢٠ أ هـ

نلخص ما جاء في نقل وتعليق حمروش على كلام مايلز كوبلاند :

١ - حمروش يعترف ، وهو لا يملك غير ذلك أمام الأدلة الدامغة على وقوع اتصال بين الضباط الأحرار « ومندوبي وزارة الخارجية والمخابرات المركزية الأمريكية » قبل ٢٣ يوليو ويضي أن التنظيمات الثورية ، لا تتصل بالمخابرات الأمريكية ، بل تحاول المخابرات الأمريكية الوصول إليها ، لتدميرها وتسليمها للسلطة .

ولكننا أمام تنظيم « ثوري » في القوات المسلحة . يسمى للاتصال بالمخابرات الأمريكية ! ومن الظلم البين إشاعة الاتهام هكذا بين « الضباط الأحرار » فمعلوماتنا والوقائع والأدلة تؤكد أن حلقة محدودة جداً هي التي اتصلت ، وهي التي كانت تعرف بهذا الاتصال ، بينما كان التنظيم في أغلبية الساحقة وطنياً ، لا يدور بخيال أحد من أفراده أن يتم اتصال مع المخابرات الأمريكية .

٢ - المخابرات الأمريكية اتصلت بتنظيم الضباط الأحرار ، ولم تشرب به لا إلى الانجليز ولا إلى السراي !

٣ - يتطوع حمروش فيضرب عصفورين بحجر ، يتهم هيكल بأنه كان أداة أو وسيلة الأمريكان « الصحفي المقرب منهم محمد حسنين هيكل » ١٢١ ولكنه يؤكد أن حلقة الاتصال بين المسؤولين الأمريكيين وبين الضباط الأحرار لم تتسع ، وحجته على ذلك أن هيكل « لم يكن قد تعرف بجمال عبد الناصر أو غيره من قادة تشكيل الضباط الأحرار حتى ذلك الوقت أو اكتسب ثقتهم » . قد أوضحنا وجهة نظرنا في علاقة هيكل وعبد الناصر ، وتضيف إن الأمريكان لم يكونوا تحت رحمة معرفة هيكل بالضباط الأحرار ، لأن هؤلاء باعتراف حمروش

هم الذين سعوا للاتصال بالمخابرات الأمريكية ، وفي رأينا أن أكثر من ضابط في المجموعة المتتصة بعبد الناصر كانت له اتصالات مع الأمريكان ، بينما كان دور هيكمل هو حلقة الوصل بين المخابرات الأمريكية وعبد الناصر . .

٤ - اعترف بوصول كيرميت روزفلت إلى مصر في الفترة ما بين حريق القاهرة و ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتبنى معلومات مايلز كويلاند كاملة في أن :

٥ - قرار الحكومة الأمريكية بتولي الأمور في مصر بدلاً من الانجليز .

٦ - المخابرات الأمريكية نظمت انقلاب حسي الزعيم في سوريا . « وهو أول محاولة لنقل أسلوب الحكم المفضل لدى الامبريالية الأمريكية والذي مارسه لزم من طويل في أمريكا اللاتينية . وهو حكم العسكريين الذين يقمعون الثورات والقتل الداخلي ، ويعملون مباشرة لحساب الشركات والاحتكارات الأمريكية » ١

ولم يقل لنا لماذا نضن علينا أمريكا بهذا النظام المفضل لها ١٩ وهل فعل عسكر مصر إلا هذا ١٩

٧ - تبادلت بريطانيا وأمريكا الانقلابات في سوريا . . فلماذا ليس في مصر ١٩ لا . . عيب !

٨ - ركزت أمريكا على مصر فعبث فيها كافرقي وهو خبير انقلابات كما رأينا !

٩ - الحركة الشعبية في مصر أضعفت قدرة كافرقي على إحداث انقلاب مماثل لما جرى في سوريا ، ولكن آماله وآمال جماعته انتعشت بحريق القاهرة .

١٠ - اتصالات الأمريكان مع « مصطفى مرعي » تدل على أنهم كانوا يمهّدون لنوع جديد من الحكم يتنافر مع الديمقراطية ، وتطبيق الإصلاح الزراعي بطرق غير دستورية . وهذا يقصر سياستهم التمهيدية لقبول انقلاب يتفادى أخطار الانتفاضات الشعبية . فلما وقع أنكره !

١١ - حاول الأمريكان القيام بثورة سلمية في إطار النظام الملكي وهنا غير كيرميت روزفلت رأيه ، وحروش ما زال يبنى كل معلومات « مايلز كويلاند » إلا « الحرام » ! وقرر روزفلت أن الملك حالة ميثوس منها وأنه لا سبيل لمنع الجيش من الاستيلاء على السلطة .

١٢ - بصر حروش على نفي الاتصال الشخصي بين روزفلت وعبد الناصر قبل الحركة - نحن بدورنا لا نصر عليها - ولكنه يؤكد وقوع اتصال بين بعض زملاء عبد الناصر والأمريكان أدت إلى طلب عبد الناصر (بناء على طلب الأمريكان أو لتسهيل المفاوضات لا ندرى ج) « من خالد محيي الدين عدم استخدام عبارة (الاستعمار الأنجلو - أمريكي) في منشورات الضباط الأحرار ، والاكتفاء بذكر الاستعمار البريطاني . وكان ذلك في شهر مارس ١٩٥٢ » وهو كما قلنا ينطبق مع تاريخ الاتفاق .

١٣ - « يقطع بأن النشاط السري لحركة الضباط الأحرار يحقق بعض أهداف الأمريكيان في المنطقة » ولكنه يبادر فيقسم بأنهم « لم يستطيعوا أبداً أن يكونوا مسيطرين عليه » ما علينا . . المهم اتفقت أهداف الامبريالية الأمريكية ونشاط الضباط الأحرار كما عرضته عليهم مجموعة عبد الناصر قبيل الثورة . أما حكاية السيطرة فهذه حديثها بطول جداً .

١٤ - يقول إن صبح أن كبريت وصل إلى هذه النتائج (تقريره إلى واشنتون المنقول من « لعبة الأمم ») فإن هذا لا يعني ارتباط تنظيم (الضباط الأحرار) بالمسؤولين الأمريكيين ارتباطاً عضوياً ، ولا يدل على أن حركتهم تتم بتوافق وتنسيق مع الاتجاهات الأمريكية .

دفاعه أسوأ من الاتهام !

من قال إن الضباط الأحرار ارتبطوا عضوياً بالمخابرات الأمريكية . . ١٩

حروش لا يؤمن إلا بالارتباط « العضوي » ١٩

وأين في العالم ارتبط نظام حكم « ارتباطاً عضوياً » بمخابرات أجنبية إلا إذا تصورنا حكومة من مايلز كوبلاند ومبيد « واكلبيرغر » و« هيكل » و« مصطفى أمين » وبرئاسة « النهامي » ١٩ . .

١٥ - بدأ الحديث علناً في الصحف الأمريكية عن انقلاب عسكري ، وخطأ ممارسة الديمقراطية في مصر ، ولابد أن يسبقها إعداد ورفع مستوى الشعب في ظل حكم قوي . . وهو نفس ما قاله « مايلز كوبلاند » عن الاتفاق الذي تم بين الثورة والمخابرات الأمريكية . . ما رأيكم أن نستدعي « مايلز كوبلاند » نفسه للشهادة ، من خلال كتابه « لعبة الأمم » ١٩ « لعبة الأمم » كتاب صدر في عام ١٩٦٩ مؤلفه « مايلز كوبلاند » ورغم الشهرة الذائعة التي نالها الكتاب ، والإشارة إليه ، والنقل منه في سائر المؤلفات العربية التي صدرت بعده ، وتعرضت بشكل أو آخر لنظام عبد الناصر ، أو للفترة التي تحدث عنها المؤلف ، إلا أنه ما من ترجمة كاملة أمينة قد جرت للكتاب ، ولا هو متاح للقارئ في مصر . ولا نال حقه من الدراسة والتحليل ، أو حتى الرد والتنفيذ ، وإنما اكتفت السلطات الناصرية بحظر دخوله إلى مصر . ولم يتغير القرار بعد وفاة ناصر . واكتفى الأستاذ « محمد حسين هيكل » بإصدار بلاغ من طائفة البيانات التي تعود أن يصدرها في الأهرام ، فأعلن أن الكتاب مرفوض لأن مؤلفه يعمل - باعتراقه - في المخابرات الأمريكية !!

و « لعبة الأمم » هو اسم أطلق على جهاز أقيم في واشنتون في فترة من الوقت ، تابع للمخابرات الأمريكية ، كانت تجري فيه « لعبة » أو مسرحية سياسية ، أو قل فكرة شيطانية من الألعاب المخابرات العالمية ، إذ يتخصص موظف ، شخصية زعيم من زعماء الدول التي يهم سياستها الولايات المتحدة ، وتجمع له الأجهزة كل المعلومات عن هذا الزعيم ، يوماً بيوم ، فضلاً عن تاريخ حياته منذ طفولته ، وعقده ، ومكونات نفسيته ، وثقافته ، وقراءاته

وأبطاله ، ومستشاريه . . . ومن ثم تصبح مهمة هذا الرجل أن يتنبأ بردة فعل هذا الزعيم إزاء فعل من قبل الولايات المتحدة أو غيرها . . .

وإذا كانت الإثارة هي في هذه الفكرة ، أعني قدرة هذه الشخصية على التنبؤ مقدماً بنصرف الزعيم الذي يمثله ، فإن الأهمية أو العائد في نظري هو في اهتمام وقدرة الأجهزة ، من خلال هذه اللعبة ، على تجميع المعلومات عن الزعيم موضوع الاهتمام . . . وربما تكون هذه اللعبة قد لعبت دوراً في دفع الأحداث في عالمنا في اتجاه معين ، من خلال دراسة شخصية الزعيم . ومعرفة مفتاح هذه الشخصية مثل حب المال أو النساء أو التمسك بالسلطة مهما كان الثمن ، أو كراهية مزاحم على الزعامة سواء أكان هذا المزاحم من الداخل أو الخارج ، أو معرفة نوعية العلاقة داخل المجموعة الحاكمة . . الخ .

المهم والذي يعنينا هنا ، أن « مايلز كوبلاند » مؤلف الكتاب ، كان الشخص المكلف بتمثيل أو تمثيل شخصية الرئيس « جمال عبد الناصر » ومن ثم فهو ليس الغريب المنطقل الذي صورته لنا هيكل ، لغرض أكثر من واضح . . وهو كما عرفه الناشر الأمريكي « أحد الذين ساهموا في تنظيم المخابرات الأمريكية » كلها . . . وهو رئيس المخابرات الأمريكية في مصر . . إذ المعروف أن المخابرات الأمريكية لها وحدات إقليمية تسمى « محطة » ، ومصرفي تلك الفترة كانت من أهم مراكز الشرق الأوسط كله ، وقيادة العالم العربي .

واليك كلمة الناشر على غلاف كتاب « لعبة الأمم » وقد تكون فيها مبالغة ، وإنما لا تصل إلى درجة الكذب أو الانتحال لأنها موجهة للقاريء الأمريكي أولاً . .

« مايلز كوبلاند الذي كان موظفاً في وزارة الخارجية ، والرجل الذي ساعد في تنظيم المخابرات الأمريكية ، دبلوماسي سابق ورجل أعمال ، وخبير في شؤون الشرق الأوسط . وأحياناً لاعب في « لعبة الأمم » كتب كتاباً مشيراً طريفاً عن الدبلوماسية الدولية السرية . ولكي يبرز فكرته عن لعبة الأمم اختار مستر كوبلاند واقعة تاريخية هي وصول عبد الناصر إلى السلطة ، حيث كان مستر كوبلاند لاعباً في هذه الدراما . . إنه يشرح كيف تدبر الانقلابات والاعتقالات والرشاوى ، ويسمى الأشياء بأسمائها . . ويشرح كيف تعمل الأجهزة الأمريكية مع وضد بعضها ، ويشرح بالتفصيل الجانب التأمري والمخادع الذي تمارسه الأجهزة الحكومية غير الرسمية (مثل نشاط السي آي إيه) وأن هذا الجانب هو دائماً الأكثر فعالية وإن يكن مجهولاً من الرأي العام . كما يوضح كيف استطاع قائد مصر (عبد الناصر) أن يطور قهره الخاص بلعبة الأمم .

« لكل الذين يريدون معرفة كيف تدار السياسة الخارجية فعلاً يقدم مايلز كوبلاند كتاباً وثائقياً لا خيالات فيه ، أكثر إثارة من قصص الجواسيس الخيالية .

كتاب « لعبة الأمم » يكشف المناورات والألاعيب التي تميز سياسة الدول الكبرى ، ويكشف الأفعال السرية التي لا علاقة لها بما يقوله السياسيون والرسميون للشعب » .

وفي المقدمة يقول المؤلف إن المؤرخين يعجزون مثلاً عن تفسير « لماذا أحجم عبد الناصر عن شن الحرب على إسرائيل في ظروف كان النصر فيها محتملاً ، بينما قاد بلاده إلى هزيمة محققة في ١٩٦٧ . . » ويرد على تساؤله بأن المؤرخين لا يعرفون « الفضة خلف القصة » أو ما وراء الستار ، لأن هذه القصة السرية تحجب عنهم . .

ويقول إنه عندما عرض مسودات الكتاب على أحد الدبلوماسيين نصحه بعدم النشر ، لأنه لا يجوز أن نسيء إلى صورة حكومتنا في أعين الجمهور . ولكنه لم يوافق . لعدة أسباب منها « أن من حق المواطنين (الأمريكيان ج) أن يعرفوا الحقيقة عن حكومتهم . وأن رجال هذه الحكومة هم مجرد بشر » . وأنه إذا كان المواطن الأمريكي يشعر بالفخر لأن حكومته ذات مصلحية أخلاقية عالية ، إلا أن هذا المواطن سيكون نومه أهداً إذا ما عرف أن خلف الستار يوجد له رجال قادرون على مواجهة خسة السوفييت بخسة مماثلة .

« لقد ركزت على الشرق الأوسط ومصر بالذات ، أساساً لأنني كنت هناك كثيراً كضيف لم بذعة أحد (!) ولأنني ساهمت في كثير من الدبلوماسية السرية ، التي حكمت السلوك اللامنطقي في تعامل زعماء الشرق الأوسط مع الغرب ، ودبلوماسي الغرب مع حكومات الشرق الأوسط .

وأنه أراد أن يوضح « أنه إذا كانت سياستنا الخارجية قد تعثرت بعض الوقت ، فإن السبب لم يكن بسبب قرارات غير حكيمة اتخذها المسؤولون ، بقدر ما كانت بسبب خطأ الفهم وسوء استخدام أجهزتهم في التعامل مع مشاكل لا يمكن أن نحل بالوسائل العادية ، إن الأخطاء التي ارتكبتها حكومتنا في التعامل مع الرئيس ناصر هي نموذج شديد الوضوح هنا . « أردت أن أقدم للقراء والمؤرخين في المستقبل صورة لمعالجة حكومتنا لسياستها الخارجية بالوسيلة - التي هي دائماً - الأكثر حسماً ولو كانت غير معروفة للجمهور . وقد حذف كل الأسرار المحظورة بموجب نظم الأمن الحكومية ، إلا التي أصبحت فعلاً في علم قوى أجنبية بسبب تسربها من قبل أوبقعل الجاسوسية ، أو بسبب نشرها . على أية حال لم أكن شيئاً لجرد الوفاء للجماعة »^{٢٥} .

« لأسباب عديدة فإنني اعتبر أن عمليتنا التي تشمل الرئيس ناصر ، هي أفضل حادثة تاريخية لعرض كيف تعمل استراتيجيتنا المزدوجة القيم الأخلاقية » .

« عندما كنا نجلس حول الطاولة في الفترة التي كنت فيها ألعب دور عبد الناصر ، كان يبدو لنا جميعاً أنه لا يمكن أن تستمر اللعبة بدون عبد الناصر .

« إن دراسة كيف أدركنا اللعبة مع ناصر تقدم لنا دروساً قيمة حول استراتيجيتنا في التعامل مع أمثاله » .

وهو يعتقد - وأثبتت الأحداث منذ تاريخ نشر الكتاب صدق توقعه أن « نموذج ناصر من

القادة الأفروآسيويين سيأتون باستمرار للمعب الدور الذي ستحدد معالمه في ما يلي من الصفحات .

« لأنه في هذه البلدان التي تبدو حالتها ميثوساً منها من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، ليس أمام القائد المحلي إلا أحد حلين : إما أن يصرخ بسقط الاستعمار وتمتف له الغوغاء بينما بلدهم يسير إلى الدمار ، أو أن يقبل المعونة ويرضى بمركز العميل للاستعمار أو لموسكو » .
وقال إن النموذج الناصري هو الأقدر على البقاء بين زعماء الدول المفلسة هذه ، وأن عبد الناصر كان تسعين بالمائة « ناصري » ولذلك كان أطولهم عمراً ، بينما تكروما كان « سبعين بالمائة . . . فقط . . . »

ودعنا من فلسفته وزهو كالطاووس لأنه جعل منطقة مثل الوطن العربي ، وبلداً ولد فيه التاريخ ، وقامت أول حكومة ، جعله حفل تجارب يسخر من شعبه على هذا النحو الفاضح والمزمل إلى حد البكاء . . . دعنا من هذا ، الفكرة ببساطة هي أن الدول المتخلفة لا أمل لها من وجهة نظر المخابرات أو الإدارة الأمريكية ، في الخروج من التخلف وتلبية احتياجات شعبها ، أو كما قالوا هم لعبد الناصر بصريح العبارة : « إنه لا أمل لمصر في الخروج من الفقر » .

ولذا فإن زعماء هذه الدول الذين يريدون الاستمرار في السلطة ليس أمامهم إلا استجداء الدول الغنية أو ابتزازها ، وهذا الكتاب هو دليل التعامل مع هذه النماذج ، أو خلق بعضها فعلاً عندما تقتضي الضرورة ، وفي الأماكن الاستراتيجية والظرف التاريخي المعين .

واليك المزيد من تعريف الرجل بنفسه ، ولاحظ أن هذا نشر في كتاب صدر في الولايات المتحدة ، فلا يمكن أن يكذب فيه ويدعي مناصب ووظائف ومهيات لم يقم بها ، ونحن ملزمون بتصديق ما يقوله عن وظائفه ، واتصالاته بناصر :

« في فبراير ١٩٤٧ عندما أعلنت بريطانيا استعفاءها من مهمة الدفاع عن تركيا واليونان ودعت أمريكا للحلول محلها ، « كنت من المجموعة الإدارية الاستشارية المكلفة بدراسة الوضع التنظيمية الموجودة وقتها في دائرة الاستخبارات ، ولتقديم توصيات لإصلاحها » .
« وصلت إلى مصر في يوليو ١٩٥٣ » .

« نكتي عن الانقلابات في سوريا* هي التي جعلتني الشخص المفضل في منزل عبد الناصر » .

« في يوليو ١٩٥٤ قال لي ناصر : لكي تشكل نفوذاً معتدلاً (في العالم العربي) فيجب أن تكون صاحب نفوذ » .

« وأنا وحسن التهامي كنا نتحدث مع عبد الناصر في حديثه » .
« زرت نيويورك في أواخر صيف ١٩٥٣ واقتُرحت إعطاء ناصر مبلغاً بصفة شخصية

• وهو يتكلم العربية كما قلنا .

لتطوير حراسته ، وتزويده بسيارة كاديلاك مصفحة ، وخبير لتنظيم حرسه الخاص ، وجهاز إنذار على بيته ، ومعدات لتفريق المظاهرات » .

وفي أغسطس ١٩٥٣ وكنت ذاهباً للغداء مع عبد الناصر ، طلب مني السفير كافرني أن استمزع رأيه في المفاوضات (مع بريطانيا) وقال لي : اعرف لنا أقصى مطالبه ، وأدني ما يمكن أن يقبل به ، وقل له إننا سنحفظ بهذا سرّاً فيما بيننا . وكانت هذه هي أول مرة يطلب مني أن أناقش سياسة أو بالأحرى سياسة دولية مع عبد الناصر .

ويقول إنه في هذا الاجتماع اقترح على عبد الناصر الاستعانة بوسيط أمريكي . . . « وورد اسم « كيرميت روزفلت » الذي اعتبره عبد الناصر اختياراً ممتازاً ، فلما تشككت في أن علاقته بالمخابرات قد تشكل عقبة ، قال عبد الناصر بالعكس . . . إن هذه الصلة مميزة ، فهو يستطيع أن يكون رسمياً بالقدر الذي نريده . وكان رأيه أن موظفاً في المخابرات الأمريكية ، يمتاز بأنه لا يمثل الحكومة الأمريكية ، وبالتالي فهو غير ملزم بتوضيح موقفه أو دوره الحقيقي للإنجليز ، إلا أنه في نفس الوقت يتمتع بثقة الحكومة الأمريكية ، ومن ثم فهو يعرف ما يقول ، ثم إن علاقة روزفلت الوثيقة بالآخرين دلاس * كانت مهمة أيضاً عند ناصر ، كذلك كان ناصر يعرف أن كافرني سيوافق على هذا الاختيار ، وكانت خبرة عبد الناصر السابقة (١٩ ج) مع روزفلت قد أفنعت أن روزفلت هو من النوع الذي يجيد تدبير الأمور » ٢٦ .

« وقد قام روزفلت فعلاً بدور الوساطة في عقد اتفاقية الجلاء . . . هل عرفت الآن من هو الوسيط الأمريكي الذي تحدثت عنه زكريا محيي الدين ؟ . . إنه غراب ٢٣ يوليو كما سنرى .

« وقد أخبرني كافرني ، على الفور ، بعد الغداء (مع عبد الناصر ج) بمحادثتي مع عبد الناصر ، فأبرق بالفكرة إلى واشنطن وبعد ظهر نفس اليوم ووصل روزفلت في نهاية الأسبوع ، بعد أن توقف في لندن للحصول على ملخص من وزارة الخارجية لمعرفة ما هي النقاط المهمة في المفاوضات وما هي غير المهمة .

« وفي أول اجتماع بين ناصر وروزفلت راجعا المرحلة الأولى والثانية (انظر الصفحات من ١٢٠ إلى ١٣١ من الكتاب عن الخطة التي وضعت لمسيرة الثورة بين الأمريكان وممثلي مجلس الثورة والتي تتضمن تحقيق تسوية بين مصر وبريطانيا وأمريكا (٢١ ج) ومن هنا أصبح عمله هو تحديد ما الذي يريده فعلاً البريطانيون والمصريون بصرف النظر عما يقولون . . ثم صياغة ذلك .

« لعبت دور عبد الناصر في مركز لعبة الأمم من صيف ١٩٥٥ إلى ربيع ١٩٥٧ وفي نفس

• جون فوسر دلاس وزير الخارجية ، وآلن دلاس مدير المخابرات CIA .

الوقت كنت أعمل مستشاراً لمجموعة تسمى « لجنة تخطيط سياسة الشرق الأوسط » في وزارة الخارجية الأمريكية . وهي وظيفة أعطتني الفرصة لزيارة القاهرة وعواصم أخرى في الشرق الأوسط ، حيث تمكنت من مناقشة حركات ناصر مع ناصر نفسه وغيره من القادة في الشرق الأوسط الذين تأثروا بأفعاله . وإلى جانب ذلك كنت قد عرفت ناصر نفسه منذ عدة سنوات ، وفي أفضل الظروف الممكنة ، وكنت على علاقة جيدة مع قادة الشرق الأوسط المهمين سواء الذين ضد أو مع ناصر .

« نقلت أنا » وجيم ايكلبرغر « خبر انضمام العراق لحلف بغداد إلى عبد الناصر مساء اليوم الذي وقعت فيه الاتفاقية ، وكان السفير الأمريكي بايرود قد وصل ، ولكنه لم يقدم بعد ، أوراق اعتماده . وعبد الناصر يريد أن يبحث معه حلف بغداد الذي أعلن (وهو لا يستطيع استقباله بصفة رسمية ج) فاتفق على أن يأتي إلى بيتي ناصر وبايرود وعبد الحكيم عامر وحسن النهامي للعشاء ، ثم أعقب العشاء اجتماع آخر حضره نهامي وأنا وعبد الناصر وبايرود توقفت فيه كل جوانب علاقات بلدنا » .

لعلنا ساهمنا في تخفيف بعض حيرة الحاج هويدي في البحث عن سر أهمية الدرويش حسن النهامي . . وزدنا من حيرة الناصريين في تفسير محاولة هيكل التقليل من شأن الرجل الذي يسمى ناصر إلى بيته لمقابلة سفير أمريكا . . .

« في فبراير كنت أعيش في القاهرة وأتردد على دمشق » .

« وقع المصريون والانجليز ، الاتفاقية في أكتوبر ١٩٥٤ وبعد شهر واحد أرسل البتاجون كولونيلين : البرت جيرهارد ، وويلبور (بيل) ايفلاند ، إلى القاهرة ، لبحث ما هي الأسس التي يمكن بموجبها لحكومتنا إعطاء المصريين الأسلحة التي يطلبونها لأغراض الأمن الداخلي ، على أن يعقد الاجتماع مع ناصر نفسه بحضور كبار مساعديه ، وعلى أن يكون سرياً ، وبدون محاضر . وطلب مني السفير كافري ، أن أنظم الاجتماع وأشارك فيه ، وأنقل إليه ما يحدث . ولذا فقد كان واضحاً ، أن دوري هو دور مراقب بدون صفة رسمية . وقد تم الاجتماع في الساعة الثامنة من مساء يوم ما ، في منزل حسن النهامي كبير مساعدي ناصر* ، واشترك فيه عبد الناصر ، ورئيس الأركان عبد الحكيم عامر ، والكولونيلان الأمريكيان ، والنهامي وأنا . . وكان الجوودياً وغير رسمي . خلعت فيه الجاكتات وعلقت على ظهر المقاعد ، وجرى استخدام الاسم الأول : آل . . بيل . . بل حتى « جمال » . وتناولنا وجبة بيتي رائعة ، وبعد ذلك بدأنا ما عرف بعد ذلك « بمحاولة صريحة مما اعتدنا عليه » .

• هل خطر ببال الحاج هويدي والذين دهشوا ومازالوا لدور النهامي في عهدي ناصر وعظيقت . . إن هذه هي صفته . . « كبير مساعدي ناصر » . . انعم وأكرم !

وروابته تتفق تماماً مع رواية ايفيلاند في كتابه حبال الرمال والذي ستعرضه بعد هذا الكتاب « لعبة الأمم »* .

المحادثات التي يحضرها تهامي ، ولا يسمع بها فضلاً عن أن يشترك فيها بغداددي وكمال الدين حسين . . فضلاً عن هويدي . . لا تعطيه الحق في أن يتساءل لماذا استوزر عبد الناصر هذا الوزير . . إنه حقاً لم الشمل ولكن أي شمل ؟! . . وهذا يفسر لنا الدور « غير المبرر الحجم » الذي لعبه تهامي في المفاوضات مع إسرائيل التي انتهت بكامب ديفيد . .

ويقول إن المناقشة في هذا الاجتماع كانت صريحة لدرجة أن الأمريكيان لم يستخدموا ولو مرة واحدة تعبير : « العالم الحر » كما لم يستخدم المصريون كلمة « الاستعمار » . يعني لا احنا « عالم حر » ولا أنتم ضد الاستعمار . . فلا داعي للتهريج بالألفاظ ! « في منتصف سبتمبر تسلم كيرميت روزفلت رسالة شخصية من ناصر بأنه سيوقع اتفاقية مع الروس ، وأنه إذا كان روزفلت يريد أن يحرب إقناعه بالعندول عنها فمرحباً به ، وفي اليوم التالي سافر كيرميت وأنا إلى القاهرة ، وقد قابلنا في المطار معاونو عبد الناصر وأخذونا رأساً إلى شقة عبد الناصر في أعلى مبنى مجلس الثورة » .

في ١٦ يوليو ١٩٥٥ أنهيت سنتي خدمتي في مصر ، وانتهيت مبطلاً إلى وطني ، واستغرقت رحلة العودة شهراً . وعندما وصلت أخيراً في آخر أغسطس ، وجدت في انتظاري خطابات من كل من بايرون** وناصر ، إلى جانب مراسلات من رؤسائي تخبرني بأني سأعار لوزارة الخارجية لفترة غير محدودة لتشكيل وحدة عمل تسمى « لجنة تخطيط سياسة الشرق الأوسط » .

« قضيت وقتاً طويلاً في أواخر ١٩٥٦ وبداية ١٩٥٧ أعطي محاضرات لمجموعات من الموظفين الأمريكيين ، أقوم فيها بدور عبد الناصر ، وأشرح لهم مواقفه ، وكثيراً ما كنت استدعى إلى مكتب وزير الخارجية دلاس أو نائبه هوبرت هوفر الابن ، لكي أساعدهم على التنبؤ بردود فعل عبد الناصر لبعض القرارات التي ستأخذها حكومتنا . وكنت أجعل مواقف عبد الناصر مفهومة بل ومقبولة ، حتى أن أحد الموظفين قال : أنا لا أثق في هذا الشخص ، إنه ناصري أكثر من ناصر نفسه » . . ومرة التفت إلى آلن دلاس وقال : إذا كان هذا البكباشي بناحك (أو بناعكم) سيزعجنا أكثر من ذلك فسنشطره إلى نصفين » .

« عندما سألتني « فرانك وينزير » نائب مدير المخابرات الأمريكية ، قبل أسبوع من أزمة

* ويتفق أيضاً مع المحضر الرسمي الذي كتبه الأمريكيان : جيرهارد وايفلاند ، ويلاحظ أن اسم التهامي حذفه الرقابة في وزارة الخارجية الأمريكية ولكن ورد بصفته قاتل إليه هكذا « شخص من سكرتارية رئيس الوزراء » .

** السفير الأمريكي الذي حل محل كافري .

السويس ، إذا ما كنت أتوقع أن يزعم عبد الناصر القناة رداً على رفض تمويل السد العالي .
أجبتني أنني في تمثيل دوره في لعبة الأمم ، أمت القناة فعلاً منذ عدة شهور . . ولكن ناصر لم
يفعل ولذا لا أدري ما الذي سيفعله الآن . . وعندما ناقشت مشكلة السويس مع
عبد الناصر بعد ذلك كان واضحاً أنه توقع ردة فعل أشد من جانب الأنجلو - أمريكيان . .
الخ .

« في أوائل عام ١٩٥٦ قضى الرئيس عبد الناصر والسفير فوق العادة إيريك جونسون ،
وأنا ، مساء طويلاً في حديقة عبد الناصر نناقش ما الذي يمكن لعبد الناصر أن يقوم به ،
وماذا لا يمكنه ، لمساعدة جونسون على وضع خطة حول مياه نهر الأردن . »

« مايو ١٩٥٧ استقبلت من وزارة الخارجية ، وأسست مكتب استشارات للعلاقات
الحكومية ، لشركة نفط وشركة طيران وبنك ، في بيروت في يوليو ١٩٥٧ . »
« في ١٩٥٧ كنت في واشنطن أعمل في لجنة ، يفترض أنها المشولة عن كل ما له علاقة
بعبد الناصر . . وأذكر أنني حضرت يوماً إلى المكتب صباح يوم من أيام شهر يناير لأعرف أن
مشروع ابن تهاور . . الخ . »

« عبر السنين رأيت « ناصر » أكثر من أي غربي آخر ، وإلى الآن بعدما لم يصبح من
المستطاع مفاجاته بزيارة بدون دعوة والبقاء لتناول الغداء* ، مازلت أجري معه مناقشة
طويلة مرة كل شهر أو شهرين بسترخي فيها تماماً ، ويكون طبيعياً جداً . وقد قمت بهذه
الزيارات مرات عديدة ، كمجرد علاقة شخصية أو مرات لحساب بعض الشركات التي
أعمل لها ، ومرات بعد تلقين عفيف من أطباء المخابرات الأمريكية لكي أسجل ضم أية
ظاهرة من ظواهر المرض الجسدي أو العقلي على عبد الناصر . »

« ناصر أخبرني في ١٩٦٤ أنه كف عن محاولة فهم تصرفات الأمريكيان . » ويقول إنه
أهدى لعبد الناصر مرة ، بدلة على الطراز الأمريكي فلم يعجبه ذوقها .
والآن ماذا عن الكتاب ؟

لقد وضع في بدايته قائمة بالأحداث التاريخية التي يعتقد أنها تحدد خريطة التطورات
السياسية في موضوعه وهي كالآتي :

٢١ فبراير ١٩٤٧ سلمت السفارة البريطانية في واشنطن رسالة لوزارة الخارجية حول
اليونان وتركيا تعلن انتهاء مرحلة السلام البريطاني (أي مرحلة حفظ السلام في المنطقة بقوة
بريطانيا ج) .

١٢ مارس ١٩٤٧ إعلان مبدأ ترومان .

١٤ مايو ١٩٤٨ إعلان دولة إسرائيل .

• أيام كان في منصب الممثل عن ناصر ، كان بفاعي ، فرعون مصر بزيارة في بيته بدون موعد ويعزم
نفسه على الغداء !!

٣٠ مارس ١٩٤٩ انقلاب حسني الزعيم .

٢٦ يناير ١٩٥٢ حريق القاهرة وتوجه كبريت روزفلت إلى القاهرة لتنظيم « ثورة سلمية » تحت قيادة فاروق .

مارس ١٩٥٢ كبريت روزفلت يتخلى عن فكرة « الثورة السلمية » ويجتمع بالضباط الأحرار المصريين (وهو التاريخ الذي اتفق خالد محيي الدين وحمرش على طلب عيد الناصر فيه وقف الهجوم على الأمريكان في منشوراتهم . ج) .

٢٢ يوليو ١٩٥٢ انقلاب ناصر في مصر* .

وفي شرح هذه النقاط وتسلسلها ، نقول الوثائق « إنه في عام ١٩٤٧ أبلغت بريطانيا الحكومة الأمريكية أنها لا تستطيع الاستمرار في تحمل مبلغ الخمسين مليون دولار اللازمة لدعم اليونان وتركيا ضد الشيوعية ، فإما أن تتولى أمريكا المهمة ، أو تترك للفراغ » .

وكان هذا التطور طبيعياً ومتظراً بلهفة من الولايات المتحدة ، التي خرجت من الحرب العالمية الثانية أكبر قوة في العالم غير الشيوعي ، وكانت ترى نفسها الوريث الشرعي والطبيعي والكفء للإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية ، اللتين بعجزهما تسيطران على مساحات شاسعة وثروات هائلة ، بدون مبرر بموجب قانون الغلبة الاستعمارية ، وبدون قدره على ضبط هذه المناطق وإخضاعها كما كان الحال قبل الحرب العالمية الأولى ، أو حتى فيما بين الحربين ، وكان نفط الشرق الأوسط وإسرائيل يمثلان أهمية حيوية ، وجائزة مطلوبة من قبل الإدارة الأمريكية ، وأصحاب المصالح الحقيقية ، كما كان موقع الشرق الأوسط يمثل أهمية بالغة لاستراتيجية السيطرة على العالم ، أو احتواء الشيوعية العالمية ، والدفاع عن غرب أوروبا وأفريقيا . . وربما خطر ببال الإنجليز رشوة الأمريكان بتركيا واليونان ، مقابل ترك بريطانيا تمتنع بالجزء الأقل سخونة وأكثر لبونة وأغزر نفطاً في شرق وجنوب البحر الأبيض . . ولكن أمريكا - كما رأينا - كانت عينها على ذات هذه المناطق التي تريد بريطانيا الاحتفاظ بها ، ولا أحد يدافع عن تركيا واليونان من أجل الأتراك واليونانيين فهما من أفقر الشعوب ، وزيت الزيتون لا يغني عن زيت النفط ، وإنما أهمية اليونان وتركيا في أنها الخط الأمامي في الدفاع عن « الكتز » أو الشرق الأوسط العربي وإيران . . كما أن الدفاع عنها يصبح مستحيلاً بدون عمق في الوطن العربي وإيران . .

وهكذا قررت أمريكا أن تأخذ الجمل بما حمل . . فتكونت المخابرات الأمريكية CIA سنة ١٩٤٧ ، وتشكل مركز « لعبة الأمم » سنة ١٩٤٨ ، بقول مايلز كوبلاند : « كان

* وقد فرض هذا المدخل نفسه على كل من حاولوا التاريخ « ثورة » يوليو . . أعني البدء بالحديث عن انبهار مركز بريطانيا وتطلع أمريكا لوراثتها ، وهذا ما اضطر « هيكل » للالتزام به عندما ألف للأجانب وفي « ملفات السويس » بعد أن أصبح الدور الأمريكي في قيام ثورة يوليو غير قابل للإنكار .

برنامجه هو ملء الفراغ الذي تركه رحيل البريطانيين من اليونان وتركيا ، الفراغ الذي لا يقتصر على تركيا واليونان بل الشرق الأوسط كله . وتنفيذ ذلك بأسلوب يتفق مع وسائلنا وطرقنا . . . كنا ندخل في لعبة جديدة ، اللاعبون فيها هم حكومات منطقة الفراغ ، وليس الاتحاد السوفيتي . . . وكما قال موظف كبير بوزارة الخارجية ، لم تكن لدينا أهداف بل مشاكل ، مشاكل من عزم الصهيونية على خلق دولة يهودية في فلسطين ، وتصميم العرب على منعهم ، مشاكل خلافاتنا مع حلفائنا . وفي داخل البتاجون نفسه (وزارة الدفاع الأمريكية . ج) حول الدور الذي سيلعبه الشرق الأوسط في مشاريع الدفاع . . . ومن القضايا التي أثبتت هي إلى أي مدى تدعم رسمياً شركات النفط الأمريكية التي زاد نشاطها في المنطقة ، وأخيراً تحدت أهدافنا في الآن :

١ - منع الصراعات الإقليمية من جرتنا إلى مواجهة مع السوفيت ، أي منع تحول الحرب الباردة إلى ساخنة .

٢ - تمكين حكومات المنطقة من المساهمة في العالم الحر . . .

٣ - خلق ظروف محلية مناسبة للاستثمارات الأمريكية . . .

« وكان الصراع الإقليمي الوحيد الذي يلوح في الأفق ، هو الصراع العربي - الإسرائيلي . كما كنا نعتقد أن مصالحنا التجارية تلقي الترحيب من أهل المنطقة فالنفط سيجعلهم أغنياء . . .

« وكان الموقف في نظرنا ، أنه لو وجدت قيادات غير فاسدة وذكية بما يكفي لأدراكها ما العمل الذي يحقق مصلحة بلادهم ، ولديهم عزم لإنجازه ، فإننا سنحقق أهدافنا مهما تكن . . . ولكن هذه البلاد باستثناء بلد أو اثنين كانت تفتقر إلى مثل هؤلاء القادة ، ولذا فحتى يحين الوقت لإرساء أهداف راسخة بعيدة المدى ، فقد كان علينا تركيز اهتمامنا لإيجاد الوسائل التي تضمن تولي « النوع المطلوب من القادة » كما كنا نسميهم في هذا الوقت . ونؤكد الوثائق الحكومية (الأمريكية) السرية في مطلع ١٩٤٧ على أجهزتنا الدبلوماسية والمخابراتية ، العمل على إجراء تغييرات في قيادات عدد معين من بلدان الشرق الأوسط ، وهو الأمر الذي يتجاهله المؤرخون اليوم عندما يقيمون أعمالنا في العشرين عاماً الماضية . . . أ هـ .

كان بودي أن أعلق على هذه الفقرة ، بأنها تغني عن التعليق !

١ - أمريكا قررت ملء الفراغ في تركيا واليونان والشرق الأوسط كله . . . « بوسائل تتفق

مع وسائلنا وأساليبنا . . .

٢ - اللاعبون أو المحاورون أو الطرف الآخر ، ليس الاتحاد السوفيتي ، غير الموجود وقتها في المنطقة ، بل حكومات المنطقة ، وهذا يعني بوضوح بريطانيا وفرنسا . . . فيها الحكومة ، وما تحتها مجرد أدوات تتفاوت نسبة تبعيتها وانصياعها وكفاءتها ، وهي بالتأكيد موجودة على مائدة اللعب ، ولكن من يريد أن يلعب في مصر أو العراق ، يخفي خطأ فادحاً إذا لم يعرف

أنه يلعب أساساً مع بريطانيا ، ونفس الشيء عن فرنسا بالنسبة لمراكش والجزائر وتونس . . الخ .

وهذه النقطة مهمة جداً ، ولو أنها طُمت في تاريخ المنطقة عن وعي لأنها مفتاح فهم « ثورية » بعض الثوريين ، بل حتى ماركسية بعضهم ، فالانجليز مثلاً لم يترددوا في إطلاق الشيوعيين في العراق ، وتسليمهم الحكم في عدن لمنع وقوع البلدين في يد الأمريكان . . وهذا سبباً عدنا على فهم بعض التصرفات التي تبدو غريبة في ظل المفهوم الساذج الذي يتصور أن الصراع الأول في المنطقة ، كان في تلك الفترة ، بين الغرب والاتحاد السوفيتي أو بين أمريكا والاتحاد السوفيتي .

وأهمية هذا الاعتراف أيضاً ، هو تحديد طبيعة الوسائل ، فإذا كانت الولايات المتحدة تسعى إلى احتلال بلد أو منطقة في دائرة نفوذ « حليف » مثل بريطانيا أو فرنسا ، فإن الموقف يختلف عنه في حالة ما إذا كان البلد في دائرة نفوذ الروس ، لأن أسلوب الاستيلاء يختلف بالطبع ، ففي الحالة الأولى يستحيل الضرب المباشر ، يستحيل غزو البلد أو مقاتلة بريطانيا ، أو حتى الهجوم الرسمي عليها إلا في ظروف نادرة ، عندما يخرج أحد الأطراف عن قواعد اللعبة . . كما حدث في حرب القناة عام ١٩٥٦ ، إذ جاءت بريطانيا بالأسطول لقلب حكومة عبد الناصر وإعادة غزو المنطقة ، وهنا اختل ميزان القوى في اللعبة ، وكان لا بد من تدخل أمريكا . . أما فيما دون ذلك فإن « وسائلنا وطرقنا » هي قلب الحكومات العميلة لبريطانيا العظمى ، وإقامة حكومات « صديقة » للولايات المتحدة ، ومن ثم تصدر قرارات « شرعية » بنصفية مصالح بريطانيا وتعزيز مصالح أمريكا ، ولا تملك بريطانيا أن ترد إلا بانقلاب مضاد كما حدث في سوريا ، أو بمحاولة « خبطة » اللعبة بإحداث انقسام داخلي ، أو الرضوخ وطلب إعادة تقسيم المنطقة مع الاعتراف بحق أمريكا في نصيب أكبر مما خرجت به بعد الحرب العالمية ، كما حدث في إيران .

٣ - نفقز على حكاية ليس لنا أهداف لأن ما ذكره كمشاكل هو أهداف . . مثل إفشال تصميم العرب على منع قيام إسرائيل . على أية حال ، لقد اعترف بأنهم وضعوا أهدافهم في ثلاثة مطالب تغطي كل شيء : منع تحول الشرق الأوسط إلى منطقة مجابية ساخنة مع الاتحاد السوفيتي ، وفي إطار هذا الهدف المحدد بدقة كأول الأهداف ، يمكن أيضاً تفسير موقف أمريكا من أحداث أكتوبر ١٩٥٦ . . والهدف الثاني يغطي مشاريع الدفاع المشترك وغيرها . . أما الهدف الثالث فصارخ الرضوخ : خلق الظروف الملائمة للاستثمارات الأمريكية . .

٤ - الصراع الإقليمي المقبل هو الصراع العربي - الإسرائيلي . . الاستثمارات الأمريكية كل ما تحتاجه هو قيادة ذكية ، تفهم مصلحتها في الارتباط بالاستثمارات الأمريكية ، غير فاسدة برشوات الانجليز والارتباطات بهم ، ومن ثم ستري المصلحة العامة التي ستعمر

الجميع . .

وبالطبع هذا كلام استعماري مخابراتي يعمل لحساب مصاصي دماء الشعوب وفي أكثر الأجهزة دمية وإجراماً . . فلا يجوز أن نتوقف عند « إصلاحاته » وشعار « التطهير » الذي سي طرح في بلادنا وسيسجن وينكل ، تحت شعاره ، بكل الوطنيين . . ولا أدل على كذبه ، من أن البلدين اللذين نالا « بركة » التغيير كانا أكثر بلدين في العالم العربي ديموقراطية وتقدماً ، وأقلهما فساداً . . مصر وسوريا . . وأهم من ذلك أقدر بلدين على تحقيق الطفرة أو التغيير المنشود شعبياً ووطنياً ، ومن أجل هذا كان التركيز عليهما . . ١

٥ - حتى يتوافر الوقت للاستعمار الأمريكي لخلق قواعد راسخة وطبقات متعاونة ، ومصالح استراتيجية متشابكة كذلك التي خلقها الانجليز والفرنسيون في أكثر من قرن ، فلم يكن أمامهم إلا أن يدفعوا بالأسلوب التأمري « قيادات من النوع المطلوب » للسلطة ويحدثون بهم التغيير المطلوب ، سواء تصفية الحركة الوطنية ، وتصفية القواعد والمصالح الأنجلو - فرنسية ، أو إرساء المصالح الأمريكية ، وخلق قاعدة واسعة تقبل هذه المصالح . . وانظر كيف استقبل نيكسون في مصر بعد ٢٢ سنة من ارتقاء « النوع المطلوب » . . بينما لم يكن مسئول أمريكي يجزؤ على زيارة مصر أيام القيادات « الفاسدة » وخرب رئيس الولايات المتحدة « تيودور روزفلت » بالطماطم عندما زار مصر قبيل الحرب العالمية الأولى . .

ويخرج المؤلف لسانه للمتطهرين الأمريكيين في الشبكات الذين أبدوا ارتبايحهم من تدخل الأجهزة الأمريكية في الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى ، بعدما كشف أسرار الانقلابات التي دبرتها أمريكا ، ومنها انقلاب سوريا وإيران ومصر . . يخرج لسانه ، ويقول لهم : « طالعوا الوثائق الرسمية » فهي تثبت أن الحكومة هي التي طلبت منا (أجهزتنا الدبلوماسية والمخابراتية) بالعمل على تغيير قيادات عدد معين من بلدان الشرق الأوسط . . فلماذا يتجاهل ذلك المؤرخون عندما يبدون ما يقيمون أعمالنا . . ؟ لقد نفذنا التعليقات . . وكيف كنا سنغير القيادة في بلد لا يخضع لحكمنا ولا سبيل لغزوه بالأسطول . . إلا بالتأمر السري والانقلاب أو الثورة ؟ . .

وفي اجتماع مشترك لوزارة الخارجية و رئاسة الأركان الأمريكية بتاريخ ٢ مايو ١٩٥١ جرى هذا الحوار الذي نقله من الوثائق المنشورة لوزارة الخارجية الأمريكية .

جنرال كولبنز ممثل وزارة الخارجية : « كل ما قلته اليوم يوحي إلى أنك تقترح علينا أن نستولى على الشرق الأوسط (أو نتولى الأمر فيه) Take Over in the M.E. .
مستر ماكجوي : هذا يتوقف على ما تريد تحقيقه في المنطقة . إذا كانت لدينا القوى اللازمة ، فقد يكون من المرغوب فيه أن نتولى الأمر ، ولكنني فهمت أنه ليس لدينا القوى اللازمة .

جنرال فاندنبرج : إن هؤلاء الناس في الشرق الأوسط يفهمون منطق القوة أكثر منا ، لقد كنا دائماً نرفض استخدام سياسة القوة في علاقاتنا الخارجية ، بينما هذه الدول معتمدة على القوة . نحن نحاول أن ننفذ أغراضنا في الشرق الأوسط عن طريق الرشوة ، وهذا سيؤدي إلى إفلاسنا ، وأكثر من هذا يحرمنا من استخدام القوة . ربما يجب أن نستخدم العصا الغليظة ، ونستخدم قوتنا ، وربما يجب أن نثلي على هذه الدول ما يجب أن نفعله على الطراز العتيق أكثر مما نحققه باستخدام برامج المساعدات . بإرسال أسطولنا وتحليق قاذفاتنا سنحصل على تعاون أكبر وتكلفة أقل

جنرال براونلي : يجب أن نعترف أن الزمن تغير ولم يعد من الممكن استخدام القوة بالطريقة القديمة .

مستر ماثيو : نحن في عصر جديد لا يجعل استخدام القوة بالأسلوب القديم مجدياً^{٢٧}

وهكذا أمكن إجماع الجنرالات ذوي الأدمغة الحديدية ، وإفهامهم أن الاستيلاء سيتم ، وباستخدام القوة ولكن بالأسلوب الحديث . . أسلوب « الكاراتيه » وهو فن استخدام قوة الخصم في قهره . . فلا حاجة لإرسال الجيش الأمريكي لضرب الحكومة في شيلي ، الجيش الشيلي بقليل من التآمر والرشوة والدعم ، يقوم بالمهمة ، بل وهو أجراً على إراقة الدم ، والفنك بالمعارضين ، ونعمي سلامة « الأولاد » الأمريكيين ، ونفي أميركا يدها بيضاء من دم الشعب الشيلي ، بل لا بأس من إظهار غضبها على الحكم الديكتاتوري في شيلي . . هذا هو الاستعمار الجديد . .

ثمانون ألف عسكري بريطاني في مصر لم يستطيعوا إجبار الشعب المصري على قبول الدفاع المشترك عن تركيا ولا فصل السودان ، ولا كان يوسعهم حل حزب الوفد ، ومحكمة وزير الداخلية الذي تأمر وهو في السلطة على نسف قناة السويس لإخراج الانجليز من مصر . . ولكن ذلك كله تحقق على يد الجيش المصري ووسط هتاف الجماهير وباسم الثورة الخالدة ١٩٠٥ فمن خدم أميركا أكثر . . الجنرالات المهورسون الذين كانوا يطالبون باستخدام الأسطول والطيران ١٩٠٥ أم رجال المخابرات الأمريكية الذين وضعوا « النوع المطلوب » في قمة السلطة المصرية ١٩٠٥

جاء في تقرير لنائب وزير خارجية الولايات المتحدة بعد جولة قام بها في الشرق الأوسط عام ١٩٥١ : « باستثناء إسرائيل فإن جميع الأنظمة السياسية في الشرق الأوسط ، هي أنظمة رجعية أو يمينية بالمقارنة بنظامنا »^{٢٨} .

فلا تملأوا الدنيا صياحاً بكلمات « رجعي » و « يميني » وكأنكم اكتشفتم البارود أو اخترعتموه . . فهي من ملفات الاستعمار الأمريكي ، وكل غزوة استعمارية ، وصفت القوى الوطنية الحاكمة بالرجعية والنخلف والفساد لشرر غزوها ، والقضاء عليها . . وكل

عملاء الاستعمار ، كانوا يتحركون تحت شعارات التقدم واليسارية . .

ويقول كوبلاند : « في محاضرة خلال برنامج مشترك لوزارة الخارجية والمخابرات جاء فيها « إن السياسيين في سوريا ولبنان والعراق ومصر ، يبدو كأنهم انتخبوا للسلطة . . ولكن أية انتخابات ؟ الفائزون جميعاً هم من مرشحي القوى الأجنبية وكبار ملاك الأرض الذين يحددون لمزارعهم وفلاحهم كيف يصوتون . أو الأغنياء الأوغاد الذين يستطيعون شراء الأصوات (حزب تابع للشرق . . الخ الاستعمار والإقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم . . تخيل لك أنك في المعهد الاشتراكي وليس في دهاليز أكبر قوة امبريالية عرفها التاريخ ج) . ولكن شعوب هذه البلاد أذكاء وهم ميل طبيعي للسياسة . وإذا كان هناك جزء من العالم يصرخ طالباً الإجراءات الديمقراطية فهو العالم العربي . »

ولكن مايلز كوبلاند ومجموعته ، كما سنرى ، كان رأيهم أنه مع ضرورة التأكيد على رغبتهم في منح الديمقراطية للبلاد العربية إلا أن الشعوب العربية غير ناضجة لها . . ولا بد من إجراءات جذرية تمهد لها ، وسنرى ذلك يطبق حرفياً في برنامج وشعارات وممارسة كل « الثورات » الأمريكية النكهة في المنطقة .

« عندما تتعارض « الأخلاق » مع مصالحنا الحيوية ، فإن الخسارة ستكون بالتأكيد من نصيب الأخلاق . بمعنى أننا لا نتردد في إزاحة القائد الذي نعتقد أننا سنخسر معه ، وأن هذه الخسارة ستضر مصالحنا الوطنية ، لنضع مكانه قائداً ، تكون لدينا معه فرصة أكبر للتعاون . وكانت وجهة نظر الأمريكيين - وإلى حد ما البريطانيين - أنه من بين كل نماذج القيادات التي يمكن أن تظهر في أفريقيا وآسيا ، فإن النموذج الناصري هو الطراز الذي يتيح لنا أكبر فرصة لكسب لعنتنا ، أو على الأقل ، تقليل الخسائر . فاحراز مكسب ضد واحد من زعماء سوريا الدجالين ، هو نصر أجوف ، لأنه سرعان ما سيقلب ، ويحل محله شخص أسوأ . أما ناصر فهو الذي بوسعنا أن يتحمل الخسارة ، ويستطيع إلى حد ما أن يتلاءم مع نصرنا بحيث لا يصبح من الضرورة هزيمة له * .

تماماً كما حدث في هزيمة سيناء ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ، وانتكاسة ثورة العراق ، والانفصال ، وحرب اليمن ، إنه يستطيع أن يتخذ قراراً غير شعبي تكسب منه نحن الاثنين ، بينما جماهيره تراه بمنظار آخر . . مثل عقد صلح مع إسرائيل . . أو فتح خليج العقبة ، أو تجميد الحدود عشر سنوات ، أو قبول الدفاع المشترك أو فصل السودان .

وهكذا تحددت خريطة العمل السياسي الأمريكي المطلوب في الشرق الأوسط : قلب الحكومات القائمة ، وفرض حكومات جديدة تنفق والمواصفات المطلوبة . . وهي : زعيم

* يقصد زعماء سوريا في الخمسينيات .

يحكم حكماً مطلقاً وله من الشعبية ما يمكنه من فرض القرارات والإجراءات أو بمعنى أصح قبول طلبات الأمريكيان التي يرفضها شعبه ، والتي يعجز أي سياسي آخر في ظروف عادية عن طرحها على الشعب .

وهذا الزعيم على ضوء المعلومات والحقائق والتحليل الواردة في كتاب لعبة الأمم صفاته هي :

١ - « كنا بحاجة إلى زعيم عربي ، يتمتع بسلطة في يديه أكبر مما أتيح لأي حاكم عربي قبله . . . » سلطة اتخاذ قرار غير شعبي ، « كما اعتدنا أن نكرر ، والقائد الوحيد الذي يمكن أن يستحوذ على هذه السلطة ، هو قائد متمعش للسلطة ، متطلع للسلطة من أجل السلطة . لقد ذهب بعض موظفي الإدارة (المخابرات الأمريكية ج) إلى أن نقطة الخطأ في حسني الزعيم أنه كان يحنون سلطة ، ولكن الدراسة العميقة أثبتت أنه على عكس ذلك لم يكن راغباً في السلطة كما يجب ، أو كان راغباً فيها لأسباب خاطئة . فقد كان يكفيه أن نهب له واقفين إذا دخل وتناديه بأصاحب السعادة ، لكي يقبل دور الدمية الأمريكية ! نريد شخصاً تعطشه للسلطة ، أقل تفاهة ، وكنا على قناعة أننا ما إن نساعد هذا الشخص على تولي المنصب ، فيجب أن نتخل عن أي حق أخلاقي في الجدل حول عقدة السلطة عنده ، ولو أننا بالطبع يمكن أن نشير هذا الموضوع يوماً ما لأسباب تكتيكية .

٢ - نحتاج لشخص ليس مثل حسني الزعيم ، بل على استعداد لاقتسام انتصاراته مع أتباعه ، ولذلك كان علينا إلى جانب دراسة الزعيم المقترح ، أن ندرس أيضاً معاونيه ، النخبة التي يتركز عليها ، بل والصف الثاني تحت النخبة والقاعدة في الصف الثالث ، على أساس أن يبقوا جميعاً حزمة واحدة مرتبطة بالمصالح المشتركة والأهداف » ١٦٢ .

وبدأوا يستعرضون الشرق الأوسط لاختيار المكان الذي يبدأون فيه لعبتهم ، أي الانقلاب العسكري . . .

« قررنا أن نمشي قبل أن نجري وأن يكون تدخلنا في الشؤون الداخلية لدولة مستقلة هو تدخل متواضع ، ويتوافر أكبر مبرر ، وبدون مساعدة ، أو حتى معرفة البريطانيين . . . ولكن أين نحاول ذلك ؟ . . .

« مع الأتراك واليونانيين ؟ . لم يكن لنا معهم أي خلاف ، كانوا يريدون ما نريد ولديهم قيادات مناسبة ، إلى حد أن لعبنا معهم كانت لعبة تعاون .

« مع الإيرانيين ؟ كنا نزيد قيادتهم أيضاً . . . كانت لعبتنا معهم ٩٠٪ منها تعاون ، في البداية على الأقل » .

لاحظ أنه في تركيا واليونان كانت بريطانيا قد انسحبت من هناك وسلمتها بيضة مقشرة ، فلم تكن هناك معركة نفوذ ، بالإضافة إلى أنه لم تقم في البلدان حركة وطنية لعدم وجود استثمار ، وإنما كان الخطر المائل هو الخطر الشيوعي ، أو السوفيتي . . . وبالتالي كانت الطبقات الحاكمة في البلدين متجاوبة للغاية مع الدور الأمريكي .

وإيران ١٩٤٩ كانت مشكلتها مع الروس الذين كانوا يشيرون الشعب على الحدود وفي كردستان . . ولم تكن الحركة الوطنية قد تبلورت بعد وحول مطلب محدد ضد شركة النفط البريطانية . .

يكمل مايلز كوبلاند :

« إنها الدول العربية التي كنا معها على خلاف كامل ، والسبب - في اعتقادنا - هو سوء قياداتهم ، واعتقدنا أنهم تحت قيادة أكثر استنارة ، وأكثر فعالية ، سيصبحون حلفاء لنا فالعرب لديهم كل المبررات للخوف من السوفيت ، وليس منا ، وكان الواجب عليهم أن يرحبوا بجهودنا في حمايتهم ، وشركاتنا النفطية ستجعلهم أغنياء . وسيكونون المستفيد الأول من تسوية سلمية للقضية الفلسطينية . ومن ثم فإن رفض قيادتهم النظر للأمور بهذه النظرة ، كان مبرراً كافياً لدى مخططينا لكي نطرح بهم ، أو بالأحرى نمكين شعوبهم من الإطاحة بهم . فإذا كانت القيادات الوطنية في أي جزء من العالم ، تشكل مبرراً لتدخلنا في شئونها ، فإننا رأينا أنها هي هذه القيادات العربية » .

فلنا إن الكتاب موجه للأمريكيين ، ومؤلفه ، رغم كل البراعة في التأمر ، يمثل أكثر أجزاء الامبريالية الأمريكية تخلفاً ورجعية ووحشية وعنصرية . . ولذا لا تعيننا مبرراته ، ونظراته الذاتية للمصالح التي ستعود على الدجاجة من وحدة المصير مع الشعب . . ! المهم هو الواقع الذي سجله ، وهو وجود خلاف بين القيادات في العالم العربي من ناحية (٤٩ - ١٩٥٢) والولايات المتحدة والغرب عموماً من الناحية الأخرى . والأسباب التي يطرحها صحيحة تماماً :

١ - رفض هذه القيادات أن تتعاضد عن العدوان الجاثم على أرضها وسيادتها ومصيرها منذ عشرات السنين ، وهو عدوان الاستعمار الغربي ، والعدوان الوليد المتمثل في إسرائيل ، للحجري وراء المشاريع الأمريكية الموجهة ضد الخطر السوفيتي المزعوم ، ولذلك كانت هذه القيادات تنادي بالحياد ، ورفضت كل مشاريع الدفاع المشترك الموجهة ضد السوفيت ، وارتفعت الأصوات تنادي بمعاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي . .

٢ - هذه القيادات لم تكن مستعدة لتقبل نتيجة حرب ١٩٤٨ التي انتهت باغتيال وطن عربي ، وتشريد شعب عربي وهزيمة مذلة لسبع دول عربية ، أو إن شئنا لم تكن تستطيع أن تفنن شعوبها بقبول هذا الواقع الذي ساهم الغرب وبالذات الولايات المتحدة في تقريره . والسياسة الأمريكية قد ارتبطت بوجود إسرائيل وحماية هذا الوجود ومن ثم فلا حل إلا ضرب العرب ، ضرب قياداتهم « الغيبة » التي لا ترى مزايا الحل السلمي .

٣ - العرب لديهم نظرة خاصة للنقطة لا ترتاح إليها الشركات الأمريكية ، السوريون يعارضون مد خط التابلاين في أرضهم ، والمصريون والعراقيون والسعوديون ، يتحدثون

عن استغلال الشركات ويطالبون بوظائف أكثر للعرب ، ويطالبون نصيباً أكبر في العائدات ، وشروطاً أفضل وطنياً لعقود الامتياز ، فهناك تناقض أساسي وجذري لا يجبر بين مصالح الشعوب العربية ، ومصالح ومشروعات الأمريكيين في العالم العربي . والعرب لديهم نوعان من القيادات :

○ قيادات وطنية ثورية ، واعية بذلك ، رافضة له ، راغبة في التغيير الحقيقي بإزالة الاستعمار وإسرائيل وامتلاك الثروة العربية . . وهذه القيادات من الطبيعي أن تستهدف السياسة الأمريكية فسمها واستنصاها . ومنع أية فرصة لاستمرارها في العمل السياسي ، فضلاً عن وصولها للسلطة .

○○ والنوع الثاني ، هو القيادة التقليدية الحاكمة فعلاً ، وهي قيادات محبة للأمريكان ، مخلصه لهم ، تمنحهم ثقتها الكاملة ، معادية للسوفييت ، شاكرة جهود الشركات الأمريكية . . وهي حتى وإن كانت تكره اليهود ، وتخاف من قيام وطن قومي لليهود ، ورغم تعودها قبول الظلم الأمريكي ، فهي تستفزع ما نزل بشعب فلسطين وتتحسب لما يمكن أن يحدث في بلادها ، إلا أنها مستعدة للسكوت ، كما سككت وتسكت على استعمار وطنها هي . . ولكنها قيادات عاجزة عن فرض السكوت على شعبها . عاجزة أكثر عن القبول الرسمي هذا الوضع ، بل أحياناً تضطر للمزايدة على منافسيها ، لترضية شعوبها ، وإخفاء المشاكل الداخلية . . ومن ثم فالأوضاع في بلادها خطيرة ، تهدد إما بثورة حقيقية ، تتسلم فيها القيادة ، قيادات النوع الأول ، كما حدث في الصين وفيتنام . . الخ أو بنهار الوضع وتظهر حالة فراغ غير محسوب العواقب والاحتمالات ، أو على الأقل فإن هذه الأوضاع غير المنضبطة تثل القوى الراجعة في التعاون مع الأمريكيين ، وتعطل المشاريع الأمريكية .

فهذه القوى ، وإن كانت تحكم تحت المظلة الأمريكية ، أو الغربية عموماً إلا أنها بعجزها ، تخلق مناخاً يهدد مصالح الولايات المتحدة ، وتشكل عبئاً على الولايات المتحدة بعجزها وتلقفها للجماهير . . أو كما قال إيدن شامتاً . . لقد سقطت القيادات السياسية التقليدية في مصر لأنها تبنت شعارات الجماهير .

وقد قال مايلز كوبلاند إنه عندما تتعارض المصالح والأخلاق ، يلغى بالأخلاق في أول بالوعة ، وإنهم لا يترددون في الإطاحة بالقائد الذي لا يسمح لهم أو لا يتحمل انتصارهم عليه . . وهكذا أطاحوا بشكري القوتلي والملك فاروق رغم صداقتها للأمريكيين ، بل استغلوا هذه الصداقة وهذه الثقة البلهاء من جانب الرئيس السوري والملك المصري في إحكام خطة الإطاحة بهما . .

وكان الحل ، هو الذي طبق في أمريكا اللاتينية عشرات المرات : (كافر وحده بشهادة الناصري المجهول اشترك ودبر ثلاثين انقلاباً !!) انقلاب عسكري يطيح بهذه القيادات العاجزة ، ويأتي بقيادة لا تتعفف عن التعامل مع الأمريكان ، ولا تتردد في ضرب وسحق

القوى الوطنية المعارضة . وهذا الأسلوب كان يتم في بعض البلدان في شكل حكومة عسكرية يمينية مفضوحة لا يميها حتى سرعائها ، وآخر نماذجها هو حكومة « زاهدي » في إيران ثم حكومة العسكر في شيلي . وهذا اللون ميمها كانت استبداديته ويطشه ، قصير العمر ، وأيضاً محدود النفوذ ، ففي خارج دائرة بطشه البوليسية يكون مفضوحاً منبذاً .

أما الصيغة الأكثر قدرة على الاستمرار والتي أثقن الأمر يكون صناعتها بعد تجربة سوريا فهي الصيغة الثورية ، الانقلاب المدعوم ، الذي يركب موجة ثورية موجودة فعلاً لتصفية الثورة الحقيقية ، يتبنى شعارات الجماهير ليستأصل الماديين المخلصين بها ويبس أمريكا كلما ستحت مناسبة ، بينما يصفي كل الاتجاهات والتشكيلات والمؤسسات التي تشكل خطراً حقيقياً على المصالح الأمريكية والاستراتيجية الأمريكية .

وكما أن هذا الطراز أكثر نفعاً وأطول عمراً ، فهو أيضاً أكثر تعقيداً وأفدح ثمناً ، وغالباً ما يتقلب في النهاية على مبدعيه ، كما حدث في قصة فرانكشتين ، أو قصص ألف ليلة . . . لأنه كما سرى في تحديد مايلز كوبلاند ، لابد أن يحكم مستنداً إلى قوة قمع لها شعبية وبالتالي فهو يحتاج إلى تقديم وجبة يومية للجماهير ، ليست مادية فحسب ، وهو ما تنكفل به المعونات الاقتصادية ، (منذ أزمة لبنان عام ١٩٥٨ إلى ١٩٦٦ قدمت أمريكا لمصر نصف مليار دولار (دولارات الستينات) وهذه المساعدات تبرر للجماهير على أنها الجزية تدفعها أمريكا عن يد وهي صاغرة ، خوفاً من غضب الزعيم !) وإثماً يحتاج أيضاً إلى وجبة روحية أو معنوية ، إلى استمرار تغذية الانتهاج الثوري الديماغوجي للجماهير ، استمرار اقتناع الجماهير بأنه المكافح الثوري - الوحيد - ضد الأعداء ، حتى يقطع الطريق على ظهور قائد حقيقي ، أو متعاون آخر منافس ، وتنحصر الوكالة فيه ولأن من شروط قيامه واستمراره ، تجنب مقاتلة العدو الحقيقي ، فلا بد أن تتركب له أو يصنع هو طواحين الهواء التي يتصر عليها باستمرار وسط تهليل الجماهير . ويتساءل السذج المخلصون ، لماذا يبعثر الجهد في المعارك الجانبية ؟ لماذا لا تركز الجهود على العدو الواضح المعروف ؟ . . . لماذا هذا الخلاف وعدم الاتفاق ؟ ! ولا يدرون أن هذا هو عين المطلوب .

ونظرة إلى تاريخ النظم الثورية في العالم العربي تجدها جميعاً قد انضقت على حقيقة واحدة ، هي الإصرار على أن الطريق إلى فلسطين يمر عبر الرجاء الصالح أو طريق اللبانة في السموات ، أو الثورة الاجتماعية أو الاشتراكية ، أو هزيمة الامبريالية العالمية وانتصار الثورة التحررية في كوستاريكا ، أو قصور الرجعية . . الخ المهم أن الطريق إلى القدس لا يمكن أن يكون عند ثوار مايلز كوبلاند ، عبر حدود

إسرائيل . . أي الصدام المباشر مع إسرائيل . . هم باستمرار يحضرون للمعركة ولا يسمحون لإسرائيل بجرهم إليها . . الخ . .

فالشعار لا يتغير ، وهو إزالة إسرائيل ، ولكن الدليل الماكر المتأمر يطوف بالجهاهير في مجاهل الصحراء حتى يموتوا جوعاً وعطشاً وملاً وبأساً وجنوناً فيندفعون لأول « كاسب » . .

المهم أن الزعيم بحاجة إلى البقاء على أكتاف الجماهير ، ومن ثم لا بد أن يستمر في الصراخ ضد العدو ، وهذا يدخل علاقته مع العدو - الصديق في دوامة ، سرعان ما تفقد الأطراف اللعبة السيطرة عليها . . وعندها يتحتم التخلص منه . .

والصورة - كما لخصها مايبلز كوبلاند - أوضح قال : « كان المهرجان ضرورياً لدفع الدول الكبرى لتقديم المساعدات ، ولكن المساعدات مطلوبة أكثر لاستمرار المهرجان . . وأخيراً لم يكن استمرار المهرجان ممكناً » . . وفي « أواخر ١٩٦٦ قال صحفي أمريكي كبير لدبلوماسي مصري . . نحن لم نعد نعتبر ناصراً ولا حتى ظاهرة مزعجة على الإطلاق » .

فهو على المسرح ليحصل على المساعدات ، وهو ينفق المساعدات لكي يبقى على المسرح حتى يصل إلى نقطة ترى الدولة الكبرى المعنية أن نفقاته أكبر من عائده . . فتعطيه « علفة » كما قال الرئيس جونسون للسفراء العرب وهو يخاطب « كلبه » ١٧٢ بعد هزيمة ١٩٦٧ .

المراجع

- ١ - ص ٣٧٤ وما بعدها من كتاب A Women of Cairo, by : N. Barber.
- ٢ - حريق القاهرة : جمال الشرفاوي . الناشر دار الثقافة الجديدة ص ٧٨٥ .
- ٣ - أخبار اليوم ١٤/٢/١٩٨٧ .
- ٤ - حرقياً : أخبار اليوم ١٤/٢/١٩٨٧ .
- ٥ - ص ٨٨ و ٨٩ : صفحات من تاريخ مصر : حسين حمودة - الناشر : الزهراء للإعلام وقد علقنا عليها في رسالة التوحيد - ١ -
- ٦ - ص ٥٧ ملفات السويس .
- ٧ - ص ٥١ ن . م .
- ٨ - ص ١٦٤ ن . م .
- ٩ - ص ٤٧ قطع ذيل الأسد .
- ١٠ - ص ٢٣٤ ملفات السويس .
- ١١ - ص ٤١ قطع ذيل .
- ١٢ - ص ٢٢٩ ملفات السويس .
- ١٣ - ص ٣٢٧ قطع ذيل .
- ١٤ - ص ١٦٦ ملفات .
- ١٥ - ص ٢٧٧ ملفات .
- ١٦ - نفلا عن هيكل .
- ١٧ - ص ٣٤٢ ملفات .
- ١٨ - واشنطن بوست ١٩/١٠/١٩٨٣ .
- ١٩ - ن . م .
- ٢٠ - هيكل : حرب السويس ص ٦٨ .
- ٢١ - حمروش .

٢٢ - وثائق الخارجية الأمريكية عن عام ١٩٥١ .

٢٣ - ن . م .

٢٤ - حروش عن عوده من « ميلاد ثورة » !!

٢٥ - ص ١٣ لعبة الأسم .

٢٦ - ن . م ص ١٣٩ .

٢٧ - وثائق الخارجية الأمريكية .

٢٨ - ن . م .

اللاحق

م^١ - أخذ مثلاً علاقة « محمد حسين هيكल » بالثورة الإيرانية الإسلامية ، لا أظن أنه بوسع أحد ابتداءً من آيات الله إلى أدنى مستوى في دماء الناصرية ، أقول ليس بوسع أحد منهم أن يكتب سطرًا في تفسير أو تبرير علاقة هيكل بالثورة الإسلامية أو شبهة انتهائه أو تلافيه أو اقترابه منها . . . ومع ذلك فقد قابل « هيكل » الإمام الحسيني في باريس . وكان على حد قوله الوحيد الذي اتسمت الثورة على الاطلاع على الوثائق التي ضبطت في السفارة الأمريكية بـ طهران وفيها أسماء عدد من عملاء المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط .

هذه العلاقة أمرضتي - حتى وإن كان الإمام الحسيني قد رفض أن يفايله على انفراد في طهران - فالتشك في طهارة الإمام الحسيني والثورة الإسلامية لا مجال له على الإطلاق ، وبغض القوة ، البقية في أمر هيكل . فكيف ولماذا يلتزمان ؟
وبدأت الحقائق تتجمع . .

الذي رتب دخول « هيكل » على الإمام في باريس هما بازدي وقطب زادة اللذان سيطرا على الإمام والوضع في بداية الثورة ، حتى بدا وكأن كل الأمور طوع وإرادتهما ، وقد عرف فيها بعد وأعلن من المصادر الإيرانية والأمريكية أن الاثنين كانا يمثلان الجانب الأمريكي وقد أعدم الثاني وأبعد الأول .

وكانا يحيطان الإمام بسور حديدي خلال إقامته في باريس وعلى الطائرة وفي الأسابيع الأولى من الثورة ، وقد استطاع المشايخ الذين قرأوا لي أن يفرضوا عليها مقابلي للإمام وأن أكون الصحفي العربي الوحيد الذي يسافر على طائرته ولحسن الحظ سافر معنا « بازدي » و « قطب زادة » . . ولعل هذا هو الذي منع تنفيذ خطة جنرال « خسرو داد » بنسف الطائرة في الجو ، بل يقول مدير مكتب السافاك في نيويورك (وعميل الـ CIA بعلم الشاه واعترافه)^١ ، يقول إن المخابرات الأمريكية أمرته بأن يبلغ مدير السافاك الذي كان باقيًا وقتها أن يتخذ ما شاء من الإجراءات ضد الجنرال لمنعته من التعرض للطائرة . . وبالطبع لم تكن سلامة العميلين هي

وحددها من نجاة الطائرة ، فالأمور أعقد من ذلك ولو كانت مصلحة أمريكا في نسخها لما ترددت ولكن في اعتقادي أن آمال مخططى السياسة الأمريكية تفتحت بغير حد عندما نجحوا في زرع الموالين في مكانة بازدي وقطب زادة حول زعيم أضخم ثورة إسلامية ، الذي جاوز الثمانين من عمره ، ومن ثم أصبح من الممكن جداً ، في تقدير الأمريكين - أن تعود الـ CIA لتحكم إيران بزخم جديد وإيمان وحاسة ثورة كاملة ! ..

وفي طهران اصطدمت صداماً مباشراً مع « قطب زادة » حول الموقف من بلد عربي ، وغادرت طهران منهشاً .. فلما تكشفته علاقته بالمخابرات الأمريكية حل نصفه للغز هيكل .. وبقي النصف الآخر لماذا استدعوه هو ليطلع على وثائق المخابرات الأمريكية المضبوطة ، لماذا لم يقدموها للصحفيين الإسلاميين المؤيدين وما أكثرهم .. لماذا لم ينسروها مرة واحدة وبكافة وسائل الإعلام .. لماذا تسريب بعض الأسماء وكتمان البعض ، وبعض المعلومات .. ولولاً وأخيراً وثالثاً ورابعاً .. لماذا « هيكل الاسخريوطي بالذات ١٩ »

حتى جاءت قصة صفقة الأسلحة الإيرانية التي دبرتها المخابرات الأمريكية والإسرائيلية ونشر ما جرى فيها من اتصالات على يد عناصر جهازى الـ CIA والموساد مع رجال الثورة وآيات الله .. وانحل نصف اللغز الثاني ..

آيات الله أحسوا أنهم لابد أن يخوضوا الباطل خوفاً وصولاً إلى الحق الذي يؤمنون به ويريدونه ، هم بحاجة إلى الإفراج عن الأرصدة ، إلى معلومات إلى قطع غيار .. وكلها لدى الشيطان الأكبر .. وصندوق الشيطان الأكبر سقط في يد المؤمنين ، والشيطان يعتقد أنه قد مزق وأتلف الجزء الأكبر والغز الباقى .. ولذا عندما طُلب بصفقة .. أراد أن يعرف ما الأوراق التي في يد الطرف الآخر ليقدر الثمن وكان أن انتدب خبيراً للاطلاع والتبليغ والتقدير ..

هذه فرضية ، حتى إذا كانت في مستوى فرضية بطليموس التي قيل إنها بخطئها كانت تفسر ظواهر حركة الأفلاك في وقتها أفضل من النظريات التي اعتمدت مركزية الشمس .. إلا أنني أرجو أن يتفرغ دارس لترتيب التواريخ وتقصي هذه القضية .. وإذا كان قد عرف الآن وأعلن أن أول مجلس ثورة شكل في إيران كان يضم عضواً عاملاً - على الأقل - في المخابرات الأمريكية CIA* .. فلا شيء يثير الدهشة ..

م* - اعترف « هيكل » في ملفات السويس باهتمام روزفلت بنظام الحكم في مصر ، وتردده عليها قبل الثورة .. وأنه كانت له علاقات قوية مع عناصر قيادية محيطة بالملك فاروق .. وأنه باقتراح من روزفلت ذهب عدد من الناس معظمهم من البوليس في الفترة من ٤٩ إلى ١٩٥٢ إلى أمريكا للتدريب على مقاومة الشيوعيين والهدامين ، وذلك في الطبعة الأفرنجية ص ٥٠ خ .

(١) « شاهد » منصور ربيع زادة .

• راجع كتاب « شاهد » الذي أشرنا إليه

ونسي هيكل أن يقول : « وبعض الجيش » منهم علي صبري نائب رئيس الجمهورية وزعيم اليسار الناصري ! هو أيضاً كان أحد الذين بعثوا أيام فاروق للتدرب على محاربة الشيوعية في « جامعة لانجلي » (موقع المخابرات الأمريكية في ضواحي واشنطن اسمه لانجلي) ! وتأمل عبارة ماركسي آخر لا تدرى أين تدرب يقول : « كبريت روزفلت الذي زار مصر بعد حريق القاهرة وحاول أن « يصلح » من شأن الملك فاروق عبثاً ، (تحريف عبد الناصر ص ٣١) .
باصلاح !

يجدر أن يسموها « إصلاحية المخابرات الأمريكية » !
إيه يا حمرة الماركسية أين خجلتك ؟

م^٣ - وهناك تناقض آخر جدير بالتأمل ، فقد يكون وراءه معادلات جديدة في السياسة المصرية وما يدبر لها باسم الناصرية . ذلك أن الشائع والذائع ، والمقرر علينا في تاريخ الناصرية ، أن « علي صبري » بسبب علاقته بالسفارة الأمريكية من قبل الثورة ، هو الذي كلف بإبلاغها صباح الانقلاب ، وقد ورد ذلك في صحيح هيكل المعروف باسم « قصة السويس » الصادر عام ١٩٨١ في الصفحة ٦٨ بالحرف الواحد :
« وحين كلف قائد الجناح - وقتها - علي صبري بأن يتوجه إلى السفارتين البريطانية والأمريكية وأن يبلغ اثنين من الملحقين سبقت له معرفتهما اجتماعياً ، وكان هذا هو الاتصال الأول » .

ولكن بعد لقاء المهلبتون الشهير ، ومصالحة هيكل وعلي صبري (١٩٨٦) وربما ما هو أكثر من مصالحة ، صدر مرسوم تعديل التاريخ على يد « الأخ الأكبر » فجاء في ملفات السويس : « وربما كانت حياة عبد المنعم أمين ، الاجتماعية قبل ٢٣ يوليو وصلاته بعدد من الدبلوماسيين نتيجة لما هي السبب الذي دعا « جمال عبد الناصر » إلى أن يكلفه صباح ٢٣ يوليو باخطار السفارة الأمريكية بنوايا الحركة وأهدافها » !

وهكذا انطلت المهمة من علي صبري ، وحلها الإنسان عبد المنعم ، ولو أن خطاب التكليف وصل متأخراً ٣٤ سنة ! على أية حال مازلنا في حرف العين !

م^٤ - في سبتمبر ١٩٧٩ بعد سقوط الشاه . . نشر كيرميت روزفلت كتاباً بعنوان « الانقلاب المضاد » : الصراع للسيطرة على إيران . اعترف فيه بدوره في خلع مصدق . ولكن بعد الاستيلاء على السفارة الأمريكية سحب الكتاب من السوق وأعدمت سبعة آلاف نسخة هامش ص ٣٥٦ من حبال الرمال .

م^٥ - كنا قد كتبنا هذا الكلام في « كلمتي للمغتفلين » الصادر في عام ١٩٨٥ وفي ٨ يونيو ١٩٨٦ أكد عميد الصحفيين الأمريكيين تحليلنا حول ما يقال عن خطورة كشف عملاء المخابرات

الأمريكية ، ففي هذا الوقت كانت هناك حملة شعواء من اليمين الأمريكي ضد الصحافة لأنها تكشف الأسرار والعملاء مما يهدد مصالح ومؤامرات الولايات المتحدة وأجهزتها السرية . . . فرد عليهم رئيس تحرير واشنطن بوست بالآتي :

« من بين الأسرار التي تمحجب عن الرأي العام الأمريكي بحجة الأمن العام ، قصة ظهرت في واشنطن بوست في ١٨ فبراير ١٩٧٧ تحت عنوان : المخابرات الأمريكية دفعت الملايين لحسين ملك الأردن ، وكما جاء في تحقيق « بوب ودوارد » فإن أموالاً تقدر بالملايين ، خارج إطار المساعدات العسكرية والاقتصادية قد دفعت نقداً للملك بواسطة الـ CIA تحت الاسم السري أو الحركي « مافيش لحمة » . . . وكان جيمي كارتر قد أصبح رئيساً منذ شهر ووافق على مقابلتي أنا وبوب ودوارد عندما طلبنا استمراجه رأي البيت الأبيض قبل نشر القصة . وقد باغتنا الرئيس بأن اعترف بصحة القصة ، فضوت علينا الجدل في هذه النقطة . وقال إن الدفع قد توقف وأدهشنا بقوله إنه لم يعرف بالأمر إلى أن طلبت واشنطن بوست رأي البيت الأبيض في النشر ، رغم كل التقارير التي قدمت له من وزير الخارجية هنري كيسنجر ومدير المخابرات جورج بوش . ولم يطلب منا الرئيس أبداً عدم نشر القصة ولو أنه أوضح بجلاء أنه يسمى ألا تنشر . . . وأخبرنا أنها لو نشرت ، فإنها قد تجعل التقدم الذي يرجوه للشرق الأوسط أكثر صعوبة . . . وقد اختلفت وجهات النظر حول ما يخدم مصالح الولايات المتحدة أكثر ، أن نكتم النبأ أو أن يعرف العالم أن ملكاً يقبض من المخابرات الأمريكية . . . وهانحن بعد نشر النبأ لا نجد ما نوقعه المعارضون . . . فما زال حسين ملكاً . . . وجورج بوش نائباً للرئيس وجيمي كارتر رئيساً سابقاً ، (واشنطن بوست ١٩٨٦/٦/٨) .

لا شيء بهم . . . ولا أحد يتأثر في دول متخلفة ، وشعوب لا تملك حرية العلم ولا حق التعبير . . .

م - بعد أن كشفت الوثائق وهذا الذي نشرناه ، علاقة التهامي بالمخابرات الأمريكية ، انبالت فلول الناصريين وبقية أبنام صلاح نصر على التهامي والسادات وبما أن التهامي ثبتت عمالته ، فلا بد أن السادات الذي احتضنه هو أيضاً عميل !

والجيل البائس الذي لا يعرف التاريخ إلا من خلال قراءة هؤلاء المزورين ، يظن أن التهامي هو من أقارب السادات أو تحمار الانفتاح أو الإقطاعيين الذين كان عبد الناصر يحاربهم . . . مع أن الذين كتبوا عن التهامي من معاصريه وزملائه في انقلاب يوليو أبرزوا حقيقة تمكن حسن التهامي في عهد عبد الناصر ، وتساءلوا بما لا يخفى على لبيب عن سر سكوت عبد الناصر عليه . ولعل الجيل الجديد لا يعرف أن حسن التهامي هذا هو أقرب رجال ٢٣ يوليو إلى عبد الناصر ولزم من سابق على انقلاب ٢٣ يوليو فهو الذي اشترك معه في محاولة الاغتيال السياسي التي حاولها عبد الناصر قبل الثورة وقد أشار إليه عبد الناصر في كتابه فلسفة الثورة (محاولة اغتيال حسين سري عامر) . وبعد الانقلاب كان محل ثقة وساعده الأمين في تصفية تكتل محمد نجيب . خالد محي الدين ، فيما يعرف بأزمة مارس ١٩٥٤ ولمن شاء الرجوع لجميع الروايات والمذكرات التي كتبها الناصريون سيجد الدور البارز لحسن

التهامي في انتصار مجلس الثورة في ١٩٥٤ وأوكل له عبد الناصر مسؤولية التعامل مع المخابرات الأمريكية كما ورد في مذكرات مايلز كوبلاند مدير محطة المخابرات الأمريكية في مصر من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٨ وقد جاء في هذه المذكرات أن اللقاءات السرية جداً مع عبد الناصر كانت تتم في فيلا حسن التهامي بالمعادي وعلى مائدته التي يمدح فيها كوبلاند وجاء في هذه المذكرات أن حسن التهامي هو الذي تسلم مبلغ الثلاثة ملايين دولار التي تبرعت بها المخابرات لعبد الناصر لتعزيز حراسته ضد مؤامرات الاغتيال التي كانت تدبر ضده وتسلم التهامي المبلغ نقداً وعداً أمام المندوب الأمريكي فوجده بنقص عشرة دولارات . . المهم رفض عبد الناصر أن يأخذ المبلغ لنفسه وأقيم بالمبلغ أو بجزء منه برج الجزيرة الذي أصبح يسمى في الأوساط العليا : « وقف روزفلت » إشارة إلى كيريت روزفلت نائب مدير المخابرات الأمريكية والأب الروحي « ثورة » يوليو وكان من الطبيعي أن يتربع حسن التهامي في البرج ، وهذا الذي قاله كوبلاند نأكد اليوم بشهادة ضباط يوليو إذ قبل إن التهامي كان يفخر بأنه صاحب الفضل في بناء البرج !

ومن فوق برج الجزيرة . . الله الله على فجرها . . كلفه الزعيم الخالد بالتجسس على أعضاء مجلس الثورة فتجسس عليه هو أيضاً . . ومن استرعى الذئب ظلم وأخرج بالقوة من البرج . . الخ وتساءل الجميع لماذا لم يعاقبه الزعيم . . ولكن السؤال الأخطر هو الذي أثاره أمين هويدي أنه بعد أن اغتفى التهامي عام مرة أخرى إلى الأضواء وفي منصب وزير . . في مجلس وزراء عبد الناصر . . أكرر عبد الناصر وذلك في حكومة إزالة آثار العدوان .

الكتاب الناصريون أخفوا كل هذا وتشبثوا بعلاقته مع السادات . . وهذه لا تشكل لغزاً ولا تحتاج لتفسير فقد أجبت عليها منذ سنوات فالسادات لم يلبس أبداً ثوب الثوري عدو أمريكا ، بل صرخ بأعلى صوته أنه بتاع الأمريكيان ، وكانت استراتيجيته تنحصر في إقناع الأمريكيان بأنه أفضل من يخدم مصالحهم في المنطقة . والسادات كان يلبس مشهوراً ويأتى بحركات قاضحة في الطريق العام لكي يقبض عليه بتهمة العمالة للأمريكان ، فهذا كل رأساله وحيلته . في ظنه . للخروج من الورطة التي وصلت إليها مصر . . فاحتضان السادات للتهامي مفهوم . . ولكن يلاحظ في حالة السادات فارغان :

الأول : أنه رغم استعانة بعناصر المخابرات الأمريكية المعشقة في النظام المصري وأيضاً الوافدة في تنفيذ انقلاب مايو أو ما أسماه الحركة التصحيحية . . إلا أنه بعكس عبد الناصر سرعان ما تخلص من هذا الإطار وفتح قنواته على الأجهزة العلنية الأمريكية ولذا فإن من يؤرخ علاقة السادات بالأمريكان يجدها أساساً بين وبين كينجسجر أشهر سياسي أمريكي ومستشار البيت الأبيض العلني والحقيقي وليس بموجب جواز سفر مزور كما هو الحال في علاقة ناصر بكيريت روزفلت .

الثاني : أن السادات طرح من أول يوم تعاونه مع الولايات المتحدة كاستراتيجية سياسية معلنة ورسمية للدولة وكوسيلة لتحقيق مكاسب لمصر في إطار المواجهة مع إسرائيل ولذلك تحقق في عهده أكبر دعم أمريكي لمصر في مواجهة إسرائيل وتحفظت أكبر خسارة لإسرائيل . . ولعلنا نضيف هنا أنه بقدر ما كانت هذه السياسة مفيدة للموضع العربي - المصري العاجز - في ظل أوضاعه الراهنة - عن

إزالة الخطر الإسرائيلي بقدر ما كانت ضارة به شخصياً . . . وحسبك مقارنة بين نهايته . . . هو الوحيد الذي قاتل إسرائيل وبأدائها بهجوم وقتل من اليهود أكبر عدد بعد الحرب العالمية الثانية والذي استرد منهم سيئاته . . . وبين نهاية البطل الذي لم يحارب إسرائيل بل نفذ لها كل استراتيجيتها ومات وهي في أكبر اتساع امبراطوري حققت دولة في حجمها وفي مثل هذا الوقت منذ الفتح العربي . . .

ولكن لماذا عبد الناصر ؟ لماذا أخرج التهامي من خلوته مع سيدنا الحضر وعبته وزيراً ١٢ لا تفسير إلا ما قلناه في الرد على هويدي .

وكجزء من الدفاع عن النفس أو « حلاوة الروح » فقد نشر « حسن التهامي » بعض اعترافات بقصد الإساءة لعبد الناصر ولا ندري لماذا . . . إلا أنه من أخلاقيات هذه المجموعة التي كانت تعرف أنها تشترك في أكبر عملية « نصب » تمت في تاريخ العرب . وبالطبع جاءت هذه الاعترافات غامضة مشوشة ركبكة اللغة ، أشبه بسجع الكهان ، قليلة المصادر أو بلا مصادر ، ورغم ذلك فإنها لا تغلو من فائدة ، ولا تنس صلة التهامي الوثيقة بعبد الناصر ، وستضرب صفحاً عن اتهامه لعبد الناصر بالعمالة لإسرائيل ، فكما قلنا أكثر من مرة ، هذه لم يقم عليها الدليل الحاسم بعد . . . ولكنه يعترف بتعاونه مع المخابرات الأمريكية لفرض زعامة عبد الناصر ، وإن اعتذر بأنه كان من المغرور بهم إذ ظن أن ذلك كان لحساب مصر^{١٣} !

وقد أشار حسن التهامي إلى دوره في خلع وضرد « جلوب » من الأردن وإلى أن هذا الدور كان بغير علم عبد الناصر (ص ١٩٢) أو هذا هو تصور التهامي ، وهذا الادعاء يعزز ما أشرنا إليه في هذه الطبعة عن ظهور وثائق جديدة تؤكد أن الأمريكان كانوا خلف طرد « جلوب » من الأردن . لأن التهامي لم يكن ليدير عزل جلوب لوجه الله أو استجابة لتعليمات الحضر ، خاصة وقد عرفنا أن علاقة التهامي بالمخابرات الأمريكية سابقة على علاقته بسيدنا الحضر وأقوى في اعتقادنا .

ويؤكد حسن التهامي أن « مايلز كوبلاند » أبلغه أنه عرض مسودات كتاب لعبة الأمم على عبد الناصر (ص ٣٦٩) وهذا يتفق مع رواية هيكل وإن اختلف التفسيران ، وربما كان أهم ما أفرج عنه التهامي ، هو الصور التي نرى فيها ليس فقط كيرميت روزفلت بتصدر صور مجلس الثورة كصاحب بيت بل وإلى جانبه « مايلز كوبلاند » الذي حاول « هيكل » في البداية التفرير بالمغفلين مغتلاً من شأنه . . . فإذا به في أكثر من صورة إلى جانب قادة الثورة . . . بصفة إيه بالوخ هيكل ١٤

وقد استأثر بانتباهنا وثيقة نشرت بالزئكوغراف هي مذكرة كتبها لعبد الناصر بعرفته فيها بالمؤسسات الأمريكية التي اكتشفها خلال رحلته في أمريكا وهي لا تحتاج لتعليق حول مستوى هؤلاء الذين أضاعوا مستقبلنا وأزروا بتاريخنا ، عندما قبلوا أن يلعب بهم عتالة السياسة الأمريكية .

(١) ص ٨٢ من كتاب « لعبة الأمم وعبد الناصر » محمد الطويل . الناشر المكتب المصري الحديث سنة ١٩٨٧ وتكمل النصوص التالية في هذا الخامس من هذا المصدر إلا إذا وردت إشارة بخلافه

سطور من مذكرة للنهامي مرفوعة لعبد الناصر :

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الوزراء

« في خلال الحديث الذي دام لبضع ساعات مع « جونز » أمكنني العلم بالآتي :

١ - أن في أمريكا « أربعة » جهات (وهذا الجهل بقواعد اللغة يؤكد صحة وثورية الوثيقة فلزم « التتوين » ! ج) تتنازع الاختصاص ولكل منها سياسة منفصلة قد تتعارض مع سياسة جهة أخرى ولكنها في مجموعها تكون السياسة العامة للحكومة الأمريكية وهذه الجهات هي :

أ - الكونجرس :

واختصاصاته محلية داخلية (! ج) وأهم ما يشغل بال هذه الفئة هو إعادة انتخاب حزبهم والتصويت على كل ما يساعدهم في ذلك لكسب الرأي العام في أمريكا وللدعاية المباشرة (الجرائد والخطب) تأثير مباشر على الرأي العام في هذه الفئة .

ب - وزارة الحرب الأمريكية (البتاجون) :

وتهتم برسم سياسة أمريكا لكسب الحرب المقبلة وهذه الخطوط تؤثر على اتجاه الجهة الثالثة وهي وزارة الخارجية الأمريكية .

ج - وزارة الخارجية

وتختص برسم سياسة أمريكا من وجهة النظر العالمية دون الدخول في تفصيلات الدول المحلية إلا إذا أصبحت ذات تأثير على السياسة العالمية ص ٤٠٥ .

الخ . . الخ . .

وفي التقرير قضايا نحتاج بالطبع لمراجعة وتمحيص ولكنها لا تخرج عن السياق العام الذي وصلنا إليه ، وتؤكد شتى المراجع ، فرجل المخابرات « جونز » بطلب من النهامي ، أو يوحى هو للنهامي أنه يستطيع التأثير على وزارة الدفاع الأمريكية لإعطاء مصر السلاح بدون مقابل ص ٤٠٨ وأن الاتصالات الأولى مع الروس حول السلاح كان يرجى منها في ظن ناصر إثارة غيرة الأمريكيين فيعطونه هم السلاح . وأن رجل الـ CIA يحثه على تنظيم دعابة مصرية في أمريكا لمواجهة دعابة اليهود ويبدى استعداده للمشاركة في إعداد هذا البرنامج (٤١٠) وارتياح أمريكا لدور عبد الناصر في باتندونج ورأى روزفلت بأن « عبد الناصر هو الرجل القوي الوحيد في المنطقة الذي يمكن الاعتماد عليه » وأن روزفلت يبعث بتقرير إلى أمريكا بهذا المعنى ، وقد وجدنا نص العبارة في ملفات الخارجية الأمريكية ، وفيها أن السفارة الأمريكية أكدت للنهامي أنها أبلغت كل الرؤساء والقباط الذين اتصلوا بها يطلبون قلب عبد الناصر ، أن أمريكا تستمر في مساندة هذا النظام وأن السفارة لا تستطيع إبلاغ الأسماء لعبد الناصر لأنها ملتزمة بحق واحد هو الإبلاغ عن يدبر انقلاباً بالفعل . .

م^٧ - « حدثوا » هو اختصار اسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني وهو تنظيم ماركسي كان يرأسه اليهودي هنري كوريل وظهر في نهاية الحرب العالمية الثانية . وكان أحد حروش عضوا فيه ، وأفشى قرار الثورة هم يوم الانقلاب وربما كان هذا سر عدم ثقة عبد الناصر به . وأيضاً لأنه صوب من تنفيذ المهمة التي كلف بها في الأسكندرية .

ثم انظر كيف يتلون هؤلاء الكتاب تلوناً يجعل الحرباية . وكيف يشتمعون بضمير مطاط وذاكرة لا تسحي . فهذا الكاتب . بعدما تمت صفقة ما مع هيكمل . عاد هو نفسه يتلمس لهيكمل العذر بل ويسلم بصحة ما زعمه هيكمل وأنكره عليه قبل سنوات . ففي زفة عودة هيكمل نفل حامروش في روز اليوسف بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٨٦ نفس النص عن هيكمل ثم علق عليه هذه المرة بكل ثوبه وعبة : « هكذا كان ينظر هيكمل مثل غيره من بعض الناس إلى أمريكا » وهو الذي قال قبل ذلك « حاول هيكمل » و « لم يكن هذا التصور صحيحاً فإن كافة القوى الوطنية كانت ضد . . . الخ » « وأن أحداً من المثقفين . . . الخ » ص

الآن حروش المدجن يقول : وهل هيكمل إلا من غزية إن غوت غزية غوى !

وهذا الذي غمز هيكمل بصلاته مع الأمريكان بدافع عنها الآن : « ومع ذلك بقي هيكمل على صلة طيبة بالأمريكيين ولم يكن مطلوباً منه . فيما أتق . أن يقوم بدور مغاير » .
« ولا شك أن هذه الصلة الوثيقة بالأمريكيين قد سخرت لمصلحة مصر » (روزا ٨٦/٢/١٥) .

م^٨ - وقد أحس « هيكمل » أننا أمسكنا به متلبساً . وأوقعناه في مطب حقيقي . حول معرفة الكثيرين في أكتوبر ١٩٥٢ بعلاقته مع عبد الناصر . فاضطر إلى التراجع وتعديل التاريخ البلاستيك أو الصلصال فرغم أنه في كتاب « قصة السويس » . كما أشرنا ونقلنا في كتابنا كلمتي للمفصلين ص ٣٥ أورد كلام عبد الناصر بين مزدوجين « هكذا » أي أنه نص منقول حرفياً من كلام الزعيم ومن الوثائق الهيكلمية أو أرشيف منشة البكري محطة سراي القبة ! . . . إلا أنه في طبعة ٨٦ من التاريخ المتفح غير القصة واعترف أنه حديث موضوع مكذوب . فحذفه واستعاض عنه بإيضاح يقول : « وكانت السفارة الأمريكية بالقاهرة قد أخطرت واشنطن عن سفره وأضافت إليه أنني وثيق الصلة بـ « جمال عبد الناصر » . . . أما في الطبعة الانجليزية فقد خشي أن يكون القاري الانجليزي في مستوى ذكائي (١) ومن ثم سبأله : وعرفت منين السفارة الأمريكية باشاطر . . . هي العصفورة بتروح السفارة ؟ » لذلك قصر هيكمل الشر وحذف الحديث والتضير شاماً من طبعة الفرنجة واكتفى بطلب عبد الناصر منه أن يقيم له الموقف في أمريكا !

م^٩ - نعرض على كلمة « عميل » هنا لأن مايلز كويلاند أمريكي وموظف كبير في المخابرات الأمريكية . والمرء لا يكون عميلاً عندما يعمل في مخابرات وطنه . وكون نشاطه ضد وطننا . بل حتى ضد المبادئ الإنسانية والمعلنة للمجتمع الأمريكي لا يعني ولا يبيح لنا أن تصفه بالعمالة بل هو بالفهم الأمريكي « من الوطنيين » .

م^{١٠} - المحرم الدكتور راشد البراوي . أول من دعا للاشتراكية العلمية في الجامعة وللأسف لم

أحصل على هذا النص إلا بعد وفاته ، ولعل نشره أو اطلاعه عليه ، كان يرد له بعض ما عاناه من هذا الفيتو ، فقد دمروا مستقبله وأثاروا ضده حملة شائعات منحطة بأنه كان يخفي الأموال في المرتبة ! فهل بقيت بقية من شرف في « الماركسيين » فيطالبون بمنح جائزة الدولة لاسم الرجل الذي ترجم رأس المال للعربية . . أم مازال الفيتو الأمريكي ضده ساري المفعول !

م^{١١} - كان لي الشرف أن أكون أول من فضح زيف الإعلام الناصري الذي حاول الانتفاص من قدر الرجل ودوره يوم ٢٣ يوليو ، إذ زعم هذا الإعلام أن تحرك « يوسف صديق » المبكر يوم الانقلاب ، وهو الذي أنقذ انقلابهم ، زعموا أنه كان خطأ من جانبه ، تحول إلى حظ حسن ! . . وقد ظل هذا التفسير هو الذي يتردد ٢٣ سنة حتى فندته في مقال لي بمجلة أكتوبر عام ١٩٨٥ : « لو عاد التاريخ يوماً . . » وقلت إن الرجل عرف بتسرب نبأ الانقلاب فلم ينتظر ساعة الصفر ولا هرب كما فعل الآخرون ، بل خاطر بالتحرك قبل الموعد ونجح بل وألقى جنوده القبض على مشبوهين كانوا بالملابس المدنية يراقبان الموقف ، وتبين أنها جمال عبد الناصر حسين وعبد الحكيم عامر ! . . والحمد لله أصبح هذا الذي قلناه هو الحقيقة المعترف بها .

م^{١٢} - وقد شهد « مصطفى أمين » (والنعم) في مراثيته لأحمد حسين « هذا ، أنه أي مصطفى بك سمع منه « لأول مرة الدعوة إلى الإصلاح الزراعي » والمطالبة بتحديد الملكية وكان يؤكد في كل مكان وينذر بأننا إذا لم نعط الفلاحين والعمال حقهم في الحياة فسوف تقوم ثورة في مصر » .

وقد انتهز هيكمل وفاة « أحمد حسين » وأنه لم يترك « وثائق » فانهال عليه بالنهم من « سبق الاتصال بكبريت روزفلت » (قبل الانقلاب وتشريع إباحة الاتصال . ج) إلى إساءة مفاوضة الأمريكان . . الخ . .

أما لرد على سؤالنا لماذا اختار عبد الناصر من الثلاثين مليوناً هذا الأحمق حسين وحده ليكون سفير الثورة في أمريكا مع أنه كان وزيراً سابقاً وشغل منصباً . . الخ في عهد الفساد . . الخ . . فيرد هيكمل علينا بأن عبد الناصر :

« أحسن أنه يريد سفيراً في واشنطن يستطيع مخاطبة* الأمريكيين . . ولفت نظره الدكتور « أحمد حسين » وزير الشؤون الاجتماعية الذي كان على صلوات قديمة بالأمريكيين . وقد اختاره عدد من رؤساء الوزراء قبل الثورة مباشرة للعمل معهم ، وفي تفكيرهم أنه يصلح كهزمة وصل مع الولايات المتحدة الأمريكية وكان علي ماهر (باشا) قد اختاره معه في أول وزارة تألفت بعد الثورة ، ثم استقاه اللواء « نجيب » عندما ألف وزارته في سبتمبر ١٩٥٢ . كما أنه كان قد تعرف مبكراً على « كبريت روزفلت » وقرر جمال عبد الناصر أن يعث به سفيراً في واشنطن وترك له حتى اختيار معاونيه ولم يكن جمال عبد الناصر راضياً عن كل اختيارات أحمد حسين لكنه لم يعترض على أحد منهم فقد أراد له أن ينجح في مهمته وبالطريقة التي يراها »^١ .

لقد قرأنا الكثير عن حيل « ميكافيلي » الدنيئة ولكننا لم نسمع أبداً أنه نصح أميره بأن يبعث عميلاً للسلطان التركي سفيراً له في بلاد السلطان ١٩ . . . ولكننا نعرف من مايلز كوبلاند أنهم بعدما وضعوا « حسني الزعيم » في السلطة عينوا له سفراء في الخارج . . . ونعرف الآن أن السفير الأمريكي كان يملك منع تعيين رئيس الوزراء والوزراء فهل نستكثر عليه « النصح » بصفة « شخصية » اسم من يصلح سفيراً في بلاده ١٩ ؟

م ١٢ - لاحظ أسلوب حمروش فهو يحدد شهر مارس وهو الشهر الذي يقول مايلز كوبلاند إن الاجتماع والاتفاق تم فيه بين المخابرات الأمريكية والضباط الأحرار فكأنه يريد أن يوعز بالتهمة ويتصل من مسؤولية الاتهام في نفس الوقت .

م ١٣ - معظم الذي أورده حمروش وكأنه من تأليفه منقول من كوبلاند ، إلا أنه ينقله ولم يبدون إشارة يعتبر موافقاً عليه وكذلك ما نقله من مذكرات محمد نجيب .

م ١٤ - لا أظن أنني عرفت معنى « الفرق » مثلما فعلت وأنا أقرأ الحمروش بعدما جلس على شاطئ البحر في الإسكندرية مع هيكمل ، كتب يرد على روحه الآتي : « ولعل هذه المظاهر هي التي دفعت البعض إلى توجيه الاتهامات هيكل بأنه كان قريباً من الأمريكيين بأكثر مما يجب » .

وهيكمل براءة أو بجماعة بنى أنه كان في طبيعة هؤلاء فبرد : « وما أظن أن هذه الاتهامات تستقيم مع رجل صفحته مفتوحة في كتاباته وما أظن أيضاً أن الكاتب يجب أن يرد على هؤلاء الذين حاولوا الإساءة إلى هيكل » (روز اليوسف ١٥ / ٢ / ١٩٨٦) وقد أكد لنا نزاهة هيكل بأنه عنده كمبيوتر وفديو وأجهزة تسجيل ! . . .

يكون حد ثاني يكتب لهم كتبهم ولذلك ينسبون ما قالوه ١٩ ومرة أخرى بضحكتنا عندما بدافع عن اتصالات هيكل التي كان هو من بين من أشاروا إليها متفقاً أو متهاً فيقول : « وأظن أن صلات هيكل ببعض كبار المسؤولين الأمريكيين يجب أن تحسب له وليس عليه . فليست هناك دولة متحضرة تحاول أن تضع كتابها في قبور مزممة تحول دون انصافهم بالشخصيات العامة العالمية والكاتب السوفيتي المعروف (جون لويبي) يؤدي دوراً سياسياً يكون مؤثراً في بعض الأحيان خلال صلاته الشخصية ببعض المسؤولين في الغرب (روز اليوسف ٥ يناير ١٩٨٧) .

واللي ما يفهمش في الطب يقول دي اتصالات وحياة سيدي لويبي . عقبالك !

م ١٥ - وهذا لا يعني المشاركة في السلطة والقرار ، بل في الغنيمة ، وانظر كيف قامت في مصر طبقة أو بالأحرى قبيلة اسمها « الضباط الأحرار » ، لها امتيازات خاصة ومراعاة ، ورتب فيما بينها حتى عند التقاعد وشغل الوظائف المدنية . وانظر كيف تضامن مصطفى كامل مراد مع جمال ضد نجيب : « لأنه لما نسب الجيش حمروح فبن لازم ندافع عن لقمة العيش . . . كنا خائفين على أنفسنا حديث في (روز اليوسف) .

م ١٦ - هذه رواية مشهورة عندما ذهب السفراء العرب لمقابلة الرئيس الأمريكي جونسون بعد هزيمة ١٩٦٧ . . . فأخذ جونسون يتحدث كلبه قائلاً : جاري المشاعب يزعج جيرانه ياكلني العزيز فأعطوه علفه . . . والآن يريدني أن أتدخل وأنفذه .

الفصل الرابع

حكاية أول زعيم ... !

« وأصبح ليكلاند (مندوب المخابرات الأمريكية)
صديقاً للضباط الأحرار من جماعة ناصر من خلال محمد
حسين هيكل ... »

جايملر كويلاند
مدير محطة الـ CIA
بالقاهرة

نعود لقصة مايلز كوبلاند عن البحث عن بلد ينفذون فيها انقلابهم قال : « كانت العراق هي الاحتمال الأول . لكونها دولة برليسية ، تحكمها حكومة مكروهة من الشعب ، وحيث من الممكن أن نرضي ضمائرنا بأننا لا نفعل أكثر من فتح الطريق أمام حكومة « شعبية » (الأقواس من المؤلف الأمريكي وواضح السخرية من أخلاقيات المنافقين الأمريكيين الذين يريدون استغلال الشعوب بأساليب شريفة أو نظيفة إيج) ولكن العراق كان البلد الذي يستحيل فيه على فريق سياسي مدرب ، فضلاً عن جهاز ناشيء مثلاً ، أن يمس بدون علم البريطانيين .

« أما السعودية فلم تكن ناضجة بعد للديمقراطية (لقد حاولنا أن نجد صيغة أفضل للتعبير عن ذلك فلم نجد) ١٢ . . لبنان - الأردن - مصر - استبعدت كلها لأسباب أخرى وهكذا لم يبق أمامنا إلا سوريا » .

ثم قصة طويلة مملّة عن كيف حاولوا إقامة حكم شعبي ديمقراطي هناك عن طريق التدخل في الانتخابات اعتماداً على كافة الوسائل المتاحة من الإرساليات إلى رشوة سائقي التاكسي . . . ومن شاء الرجوع إلى ذلك فهي في صفحة ٤٥ وما بعدها وهي لا تعيننا لأنها خارج موضوعنا .

ويقول إنهم اقتنعوا بعيب محاولة الطريق الديمقراطي في التغيير ، وعكفوا على تدريب أنفسهم للعمل الحاسم . . أي الانقلاب العسكري واستغرق ذلك من ١٩٤٧ - ١٩٤٨ . .

ويقول إنه « يقدم تجربة سوريا لأنها أصبحت نموذجاً - بذكر دائماً - للدعوة إلى الامتناع عن التدخل في شئون الدول المستقلة ، وأيضاً نموذجاً يُدرس لكيفية التدخل ، وما الأخطاء التي يجب تجنبها في العمليات الأخرى . وأخيراً لأنها توضح أهمية اختيار الشخص المرشح للعملية » .

« في هذا الوقت كانت الإدارة الأمريكية تعتقد أن الفراغ الذي يتركه الانسحاب البريطاني ، وإتمامنا بتأييد الصهيونية بجعلنا أقصى آماتنا هو تقليل الخسائر » .

« كان الوزير المفوض في السفارة هو « جيمس مايكل كيلى » والمسئول السياسي « دين هيتون » وعمره ٢٤ سنة ، ورجل العملية في السفارة هو الماجور ستيفن مييد الذي سيعرف بعد ذلك باسم الكولونيل مييد* . . . أما مدير العمليات السرية فهو أنا «**» .

« أرسلت إلى دمشق في سبتمبر ١٩٤٧ بتعليمات لتنظيم اتصالات غير رسمية مع الرئيس القوتلي والشخصيات البارزة في الحكومة السورية ، لإقناعهم « بتحرير » النظام . وقد نجحت في الجزء الأول من المهمة ، وهو خلق علاقات شخصية مع الرئيس ومعظم المسئولين ، أما النصف الآخر فقد فشلت ، إذ ثبت لنا أن القوتلي وجماعته غير مستعدين لتحرير النظام ، وأنهم سيستمرون على « عمالهم » في مواجهة الانفجار السياسي الخطير الذي كان يخيّم على الأفق . وقال « كيلى » ليس أمامنا إلا أحد خيارين ، كلاهما غير مرغوب فيه : إما أن يقوم سياسيون انتهازيون بانقلاب دموي مدعوم من السوفييت ، أو يستولي الجيش السوري على الحكم بدعم منا ، ويحفظ النظام إلى أن نتمكن من تنفيذ ثورة بيضاء . وكان « كيلى » كارهاً للحل الثاني ، ولكنه قال إنه على الأقل سيحفظ الدماء . ويقدم للعناصر الواعية في المجتمع فرصة عادلة ، ضد العناصر المشاغبة ، وكانت العملية هي انقلاب حسني الزعيم في ٣٠ مارس ١٩٤٩ . إذ قام « فريق عمل » بقيادة الماجور مييد بتسمية علاقة صداقة مع حسني الزعيم الذي كان وقتها رئيس أركان الجيش السوري ، واقترح عليه فكرة الانقلاب ، ونصحوه بطريقة التنفيذ وأرشدوه خلال الترتيبات والإعداد للانقلاب*** . كانت المساهمة في الحدود التي أثارت شك القيادات السيامية السورية وحدها ، والتي استبعدت بعد ذلك (أي الشكوك ج) باعتبارها من الوسوسة السورية التقليدية . . . كما جاء في تقارير الصحفيين الغربيين والطلبة الذين استجوبوا الأطراف المعنية ، وفحصوا الوثائق فبالنسبة للعالم الخارجي كان الانقلاب عملية سورية كاملة ، ولو أن المعنيين استجوا فيها بعد - وعن حق - أن « الزعيم » هو غلام أمريكي . . .

« إن تفاصيل تنفيذ الانقلاب لاتهم موضوعنا ولكن هذه بعض الملاحظات : « أبلغت وزارة الخارجية الأمريكية بالانقلاب القادم عندما أصبح احتمالاً جدياً . وإذا كانت التفاصيل لم تبلغ لها ، فلأن وزارة الخارجية هي التي قالت إنها تفضل ألا تُحاط بالتفاصيل . كذلك تم « تجاهل تدخلات « جماعة الماجور مييد » الممهدة للانقلاب . وكان رد وزارة الخارجية : إذا كان « الزعيم » يميل لتغيير الحكومة ، فإن وزارة الخارجية لا ترى

* وسيلعب دوراً بعد ذلك في مصر الناصرية .

** مايكلز كوبلاند .

*** وفي القاهرة سيكون « ابغائر » هو الذي تولى نفس المهمة مع « الزعيم » المصري أو الزعماء . . . إقناعهم بالانقلاب .

سياً لشيء منه ، طالما تعتقد أنه سيعود للحياة البرلمانية متى أصبح ذلك ممكناً من الناحية العملية » .

« ولكن الزعيم لم يكن بنوي ذلك ، فقد أوضح لنا أن أهدافه هي :

- ١ - وضع السياسيين الفاسدين في السجن .
- ٢ - إعادة تنظيم الحكومة على نحو أكثر فعالية .
- ٣ - إجراء الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية المطلوبة .
- ٤ - القيام بعمل بناء حول المشكلة العربية الإسرائيلية .»

وكانت هذه النقطة (إسرائيل) هي الكفيلة بإذابة أية معارضة ممكنة من وزارة الخارجية (الأمريكية) .

وما دام الرجل قد اعترف لنا بأنهم يمارسون الخسة والكذب ويذبحون الأخلاق ، فلا حاجة لإضاعة وقتنا في عرض مبرراته لاغتتيال الديمقراطية ، وتأكيده أنه يبتهم كانت متجهة لإقامتها ! ولنحاول استيعاب ما قاله حتى الآن :

١ - انقلاب حسني الزعيم ، أو أول انقلاب عسكري في العالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية كان من تدبير وإعداد وتنفيذ المخابرات الأمريكية ، أو مجموعة العمل الأمريكية في دمشق . .

٢ - الانقلاب ولوائه حصل مسبقاً على مباركة وزارة الخارجية الأمريكية ، إلا أن الوزارة رغبت في أن تبقى بعيدة عن التفاصيل ، ومن ثم فعندما تصبح بعض الدجاجات عندنا فرحة ، لأنها وجدت برفقة صباح الانقلاب تخطر فيها السفارة وزارة الخارجية بالانقلاب ، فتتهافت : إن هذا دليل جهل الأمريكيان بالموضوع ! فمن حقنا أن نبشع في رثاء . ذلك أن السلك الدبلوماسي الرسمي يحرص على تجنب التورط في عمل من هذا الشأن ، من ناحية حفاظاً على « شرف » الجهاز السياسي ولأن عدداً من العاملين فيه ، من أهواة ، أصحاب القيم والمثل والمبادئ ، مثل الفتى « دين هتون » . ومنعاً لوجع الدماغ يفسى هؤلاء خارج اللعبة ، ومن ناحية أخرى ، أكثر عملية ، هي تجنب الفضيحة والأزمة الدبلوماسية في حالة فشل الانقلاب ، وكشف الاتصالات . . ومن ثم لا نستبعد أن يكون السفير الأمريكي في بلد معين هو الأقل علماً بما يدبر ضد هذه الحكومة من مواطنيه وبعض موظفي سفارته . . وإن كنا في حالة مصر نعرف أن السفير كافردي كان على علم ، ولعب دوراً أساسياً ، إلا أننا نستبعد اشتراكه مباشرة في الاجتماعات التحضيرية مع الضباط الأحرار* .

* في الانقلاب على مصدق ، كان السفير الأمريكي لوري هاندرسون يعلم كل شيء ، ولكنه اشترط أن يكون خارج البلاد خلال عملية التنفيذ حفاظاً للمظاهر .

٣ - وإن تكن أهم نقطة في عقد استخدام زعيم الانقلاب ، هي وعده باتخاذ موقف « إيجابي » من وجهة النظر الأمريكية - في الصراع العربي - الإسرائيلي . . . إلا أننا سنجد جوهر البرنامج الأول الذي وضعته مجموعة شبه الهواة في أول تجربة انقلابية لها في العالم العربي ، متجده في كل البرامج القادمة في الحركات الأكثر إتقاناً وحكمة . . . محاربة الفساد . . . اعتقال السياسيين بتهمة الإفساد . . . الإصلاح الاجتماعي . . . تنشيط أو زيادة كفاءة الجهاز الحكومي . . . تأجيل الديمقراطية . . .
هذه هي القصة .

إلا أن رجل المخابرات الذي أقسم كاذباً في مقدمة الكتاب أنه لم يحجب سرّاً بسبب شرف المهنة . . . يخفي هنا عدة عناصر أخرى شديدة الأهمية في الموضوع ، فلم تكن رغبة أمريكا في قلب نظام الحكم السوري ، ووضع رجلها في السلطة ، لمجرد ضمان تهدة أكثر الجبهات خطورة مع إسرائيل بحكم قربها وتحكمها في الأماكن الأهلة من إسرائيل ، وأيضاً بحكم أن سوريا كانت البلد العربي الوحيد في دول المواجهة - ولم يكن التعبير قد ظهر بعد - التي لا تخضع مباشرة لقوات احتلال غربية تضمن سلوكها عند الضرورة القصوى ، إلا أن الانقلاب كان مرغوباً فيه لسيين آخرين على الأقل :

١ - خط النابلاين . . . كانت بريطانيا تتمتع بامتياز خاص على شركات النفط الأمريكية العاملة في الشرق الأوسط ، وهو تحكمها في طرق النفط إلى أوروبا الغربية ، السوق الوحيدة وقتها لهذا النفط ، لأن أمريكا لم تكن تستورده ، واليابان لم تكن قد أصبحت عملاقاً صناعياً بعد ، وكانت تعتمد على نفط الشرق الأقصى والنفط الأمريكي . . . كانت بريطانيا تسيطر على قناة السويس ، طريق ناقلات النفط القادمة من الكويت والسعودية والخليج . . . كما كانت تسيطر على خط النفط الوحيد الذي يصب على البحر الأبيض . . . أو خط الآبي بي سي . . . وكان من الطبيعي أن تفكر شركات النفط الأمريكية (أرامكو) في مد خط ينقل النفط السعودي إلى البحر الأبيض ، دون المرور في قناة السويس ، وذلك عبر سوريا . . . واستمات الانجليز في منع ذلك ، مستغلين عدااء الجماهير للولايات المتحدة لموقفها من إسرائيل والحساسية التاريخية لدى الشعوب العربية إزاء الامتيازات الأجنبية وخاصة المرتبطة بدولة كبرى ، وأيضاً استفادوا من استماتع السياسيين السوريين بامتياز السعودية والعراق . . . بالإقرار المبدئي للاتفاق ، ثم إلغاء الإقرار ، والقبض من هنا وهناك . . .

ولتنشيط ذاكرة المخابراتي كويلاند ، المدربة على نسيان « القبائح » ننقل له هذا النص الناطق من تقرير « العلاقات الدولية للولايات المتحدة » عن عام ١٩٤٩ والصادر من وزارة الخارجية الأمريكية صفحة ١٠٩ حرفياً :

« أبلغت دمشق في ١٤ فبراير أن الاتفاقية الخاصة بامتياز شركة النابلاين قد أقرتها الوزارة السورية في الأسبوع الماضي ، وقيل إن الرئيس شكري القوتلي أبلغ الوزير المفوض

(الأمريكي) كيلي أنه مطمئن لإقرار البرلمان للاتفاقية ، وأن هذا الإجراء ضروري كخطوة أولى نحو التعاون الاقتصادي والسياسي المطلوب مع الغرب (برقية ٦٩ ، ٨٩٠ د ١٤٤٩ - ٢ / ٦٣٦٣) ولكن اعتراضات شتى ثارت بعد ذلك بين الحكومة السورية والتابلاين وقامت مظاهرات معادية للتابلاين من الطلبة ، وعلى ذلك قررت الحكومة السورية تأجيل طلب موافقة البرلمان على الاتفاقية (برقية ١١ / ٤ مارس ٨ الساعة ٢ بعد الظهر من دمشق - ٨٩٠ د / ٣ - ٨٤٩) ثم قلب الحكومة السورية في ٣٠ مارس بانقلاب قاده الكولونيل حسني الزعيم وللمعلومات الإضافية انظر هامش صفحة ١٦٣٠ . حكومة حسني الزعيم أقرت اتفاقية التابلاين وصدقت عليها بمرسوم تشريعي رقم ٧٤ في ١٦ مايو (برقية رقم ٢٨٤ / ١٧ مايو الساعة ٨ مساء من دمشق ٨٩٠ د - ١٤٤٩ - ٥ / ٦٣٦٣) . وفي مذكرة داخلية لوزارة الخارجية الأمريكية بعنوان التطورات الاقتصادية الجارية ، جاء فيها : إن تصديق سوريا على اتفاقية التابلاين ، أزال آخر عقبة كبرى في طريق تشييد الخط المتعاقد عليه من زمن طويل . . . والمشروع الآن ينتظر أن يكمل في عام ١٩٥٠ متأخراً سنة عن الوقت الذي كان محدد له ، وقد تأخر إقرار الاتفاقية من جانب السوريين عدة شهور من ناحية لعدم رضاهم عن موقف الولايات المتحدة من فلسطين .

« وعندما يتم الخط فستكون طاقته ما بين ٣٠٠ ألف - ٤٥٠ ألف ب / ي وسيتمد مسافة ١١٠٠ ميل من السعودية إلى البحر الأبيض في ميناء صيدا بلبنان »^{٢٤} ويشير التقرير أيضاً إلى شركة أخرى « شركة خطوط الشرق الأوسط » « ميكو » تقدمت بمشروع خط أنابيب ينقل نفط إيران والكويت إلى البحر الأبيض عند طرسوس ليبيع لشركة ستاندرد أويل وشركة نوبلجورسي وسوكوني فاكوم . . . وقد تعثرت المفاوضات ثاماً كما حدث مع التابلاين مع الحكومات السورية ، إلى أن جاء إلى الحكم الكولونيل حسني ، فوقع الاتفاقية في بونية مع ميكو . . . (الزعيم يوقع على كله ولكن المشروع قتلته العراق . . . انظر ص ١١٠) .

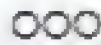
خط التابلاين معطل ، والحكومة السورية تساوم ، والبرلمان لا يصدق ، والمظاهرات المعادية في الشوارع . . . والحل بسيط جداً . وضع الحكومة في السجن جزاء وفقاً على معاكستها ، وحل البرلمان وتحريم الاشتغال بالسياسة على أعضائه بقانون العزل السياسي على الذين « أفسدوا » . . . وتمنع المظاهرات وسجن الطلبة . . . ويوقع « الزعيم » الاتفاقية ، أو بمعنى أصح ، يصمم على القرار الذي كتبه له المدربون الأمريكيون ، وبما أنه هو السلطة التشريعية والتنفيذية معاً بلا فصل سلطات ، بلا وجع دماغ ، فهو يصدق على نفسه^{٢٥} !!

العنصر الثاني الذي أغفله المخبراتي ، هو الخوف من اتحاد سوريا والعراق لأن ذلك لو تم فيضع سوريا تحت نفوذ بريطانيا المتجذر في العراق . . . وكان موقف الولايات المتحدة واضحاً من هذا الموضوع ، وهو المعارضة النامة ، ومن يتتبع تاريخ الانقلابات السورية الأولى ، يمكن أن يحدد أمريكية الانقلاب أو بريطانية ، من معارضته أو تأييده للوحدة مع

العراق (انظر الصفحات من ١٦٣٠ وما بعدها في التقرير السنوي لوزارة الخارجية الأمريكية عن عام ١٩٤٩) .

أما عن إسرائيل . . فقد بدأ الأمريكان بتنفيذ البند الخاص بها في العقد الذي أبرموه مع « حسني الزعيم » . وجاء في تقرير لندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة بتاريخ مبكر جداً ١٢ مايو ١٩٤٩ « إن المفاوضات جارية بنجاح مع السوريين وبانش (رالف بانش ج) مقتنع بإمكانية موافقتهم على الخطة وكل المشكلة هي رغبة الزعيم في إجراء ما ، بحفظ ماء وجهه . . مثل انسحاب إسرائيل أو تخفيض واضح للقوات » .

وفيما يلي بعض الوثائق التي تلقي الضوء على موقف « الزعيم » من المشكلة الفلسطينية :



« من وزير الخارجية الأمريكية إلى المفوضية في سوريا .

واشنطن ١٣ مايو ١٩٤٩

سري

٢١٢ برقيتكم ٢٥٦ في ٢٨ أبريل ١٩٤٩ في ٢ مايو . لاحظنا باهتمام التقدم الذي أبلغت عنه حول موقف « الزعيم » من توطين اللاجئين العرب . وهذا أول دليل واضح على رغبة السوريين في قبول عدد كبير من اللاجئين ، وخاصة أن سوريا هي البلد العربي الوحيد باستثناء الأردن التي يمكنها أن تمثل مثل هذا العدد في وقت معقول . وإذا أمكن استثمار هذه الفرصة فسيمكننا كسر ظهر مشكلة اللاجئين . يجب أن تستهزأ أول فرصة لبحث الأمر مع « الزعيم » مع التأكيد اللازم على أن رغبته في قبول ربع مليون لاجيء تعتبرها الوزارة مساهمة إنسانية ، وسلوك رجل دولة لحل تلك المشكلة . وعبر عن الأمل في أن يستخدم « الزعيم » نفوذه لدى الدول العربية الأخرى لاتخاذ مواقف بناءة مماثلة في حدود قدراتهم للمساعدة على تصفية المشكلة تصفية نهائية .

« من الوزير المفوض في سوريا « كيلي » إلى وزير الخارجية .

دمشق ١٩ مايو ١٩٤٩

سري

« مع اقتناعي برغبة « الزعيم » في إعطاء تنازلات سخية ، في القضايا الأخرى مثل اللاجئين وتحويل القدس والحدود إلا أن الزعيم لا يمكن أن يسلم كل شيء بلا مقابل ، وهو الموقف الذي تطلبه إسرائيل فيما يبدو . لأنه لو فعل ذلك فقد يكلفه هذا منصبه ويزيل أفضل أمل حتى الآن في قبول سوريا إجراء تنازلات لتحقيق تسوية للمشكلة الفلسطينية » .

« وبخصوص مشكلة اللاجئين يجب أن يكون مفهوماً أن تعبير الزعيم عن رغبته في قبول ربع مليون لاجيء كان مشروطاً بتسوية عامة للسلام . وكل الذين ناقشوا الأمر مع الزعيم تأثروا بإخلاصه وجديته وسعة أفقه بالنسبة لإسرائيل . (فرق شاسع من الموقف العنيد

الخروج للحكومات السورية السابقة^{٢٢} ولكن حماسه يبرد في وجه الأدلة المتزايدة على شراية إسرائيل . وهكذا إذا كان الزعيم يحاول على الأقل أن يرتقي إلى مصاف كمال أتاتورك ويستجيب للنقوذ المعتدل ، فإنه لسوء الحظ تتزايد الأدلة على أن بن جوريون ليس « فينزيلوس »^{٢٣} . على أية حالة يجب أن تفهم إسرائيل أنها لا تستطيع أن تأخذ الكعكة كلها (حدود التقسيم والمناطق التي استولت عليها بخرق الهدنة ، القدس ، توطين اللاجئين العرب) ربما استجد نفسها قد كسبت فلسطين وخسرت السلام . (لقد تطوع حسني الزعيم بإبداء استعداداته للاجتماع مع بن جوريون) .

« وإذا ما تأكد للعرب أن إسرائيل مستمرة في سياسة رطل اللحم كاملاً وزيادة ، فإن هذا سيدفعهم ببطء ولكن بتصميم إلى صلب عودهم وتجميع جهودهم سياسياً واقتصادياً على الأقل إن لم يكن عسكرياً الآن - من أجل صراع طويل المدى ، وإذا ما استفادوا من أخطاء الماضي ، فإن وضع إسرائيل سيغدو أصعب بكثير ، مما لو اغتسم ساسة إسرائيل من بُعاد النظر ، الفرصة السانحة الآن للتفاوض على تسوية بشروط معقولة . إسرائيل ومزيدوها في الأمم المتحدة سيعانون أكثر من الدول العربية إذا ما استمر الموقف الجامد حالياً » .

مندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة (أوستين) إلى وزير الخارجية (الأمريكية) .

نيويورك ٢٣ مايو ١٩٤٩ سري

« قال بانث إنه يريد عقد اجتماع بين بن جوريون والزعيم ، فهو يعتقد أنه لم تعد هناك أهمية تذكر لاجتماعات الممثلين الإسرائيليين والسوريين الحاليين .

« ولكن بانث كرر أن حسني الزعيم يجب أن يحصل على مقابل من إسرائيل بسبب وضعه الداخلي ، كما أبلغ بانث شاريت ، أن الإسرائيليين يجب ألا يتوقعوا انسحاباً سورياً إلا إذا كانوا مستعدين لعمل بعض التنازلات » أوستين^{٢٤} .

جاء في برقية الوزير المفوض من دمشق أن حسني الزعيم أمر الوفد السوري في مفاوضات الهدنة بإبداء المزيد من التساهل حيث أنه جد قلق للوصول إلى حالة (Modus Vivendi) تعايش سلمي مع إسرائيل في أقرب وقت ممكن . وقد حذر مستر كيلي (الوزير المفوض) أن حالة الجمود الحالية يمكن أن تستمر ما لم توجد وسائل يمكن بها استعادة ثقة السوريين في قدرة الأمم المتحدة على ضبط إسرائيل ، وبدون ذلك فإن الحكومة السورية ستكون نافرة - وهذا مفهوم - من إعطاء تنازلات يكون لها ردود فعل سيئة في الداخل عليها . إلا أنها ضرورية للوصول لاتفاق مع إسرائيل . (برقية ٣٢٧ - ١٦ يونية من دمشق ٧٦٧ ن . ٩٠ د ١٦٤٩/٦) .

نشطت الجهود الأمريكية ، ونمت أحلام عقد سلام بين سوريا وإسرائيل* ، وكان للموظفين الصغار في وزارة الخارجية الأمريكية عذرهم في هذه الأحلام ، فلأول مرة يتوافر لهم « حاكم عربي » هم وضعوه في السلطة ومن ثم مستجيب إلى أقصى حد ممكن لأوامرهم بشأن هذا السلام ، وكان هؤلاء الموظفون يعرفون أو يظنون أنهم يعرفون سيطرة أمريكا على الإسرائيليين . ومن ثم حاولوا الإسراع في عقد السلام ، وهو ما لا تريده إسرائيل التي حاولت أن تثبط جهودهم بالتعنت فلما أصروا ، قامت باحتلال المناطق المنزوعة السلاح في القدس . وسبذكرونا هذا باعتداءات ١٩٥٤ و ١٩٥٥ التي تمت في ظروف مشابهة تماماً ، ولا العرب يتعلمون ولا الأمريكيان يكفون عن خداع العرب ، وخداع شعبهم .

وكتب « كيبي » المسكين : (ولاحظ الفرق بين لهجة الدبلوماسيين الأمريكيين وقتها ، وتحيزهم الفاضح لإسرائيل الآن ج) :

« وكما هي العادة في غطرستهم الغبية ، فإن العدوان الإسرائيلي الأخير لم يدمر مفاوضات الهدنة السورية - الإسرائيلية فحسب ، بل نفخ في كل الأبواق العربية . ولما كان هذا رأي « الزعيم » ، فأنا لا أرى معنى لتسليمه رسالة وزارة الخارجية ، ولا في حثه على قبول مقترحات بانث ، حتى توجد الوسائل التي تحجر إسرائيل على احترام تعهداتها وسلطات الأمم المتحدة . إن الضغط على سوريا في مواجهة احتلال إسرائيل لدار الحكومة في القدس سيبدو للسوريين كدليل جديد على تهمة تحيزنا لإسرائيل ، ويضعف النفوذ الذي ما زال لنا » .

وقد تدخلت الحكومة الأمريكية وسحبت إسرائيل قواتها من دار الحكومة ، وعادت وزارة الخارجية تأمر « كيبي » بإجبار حسني الزعيم على قبول مقترحات بانث . وقد كان . وبقيّة الوثائق تكشف نهالك « الزعيم » على عقد تسوية مع إسرائيل ، وصراخ الدبلوماسيين الأمريكيين في دمشق ، مطالبين حكومتهم بذلك جهد لإقناع الإسرائيليين بقبول بعض التنازلات الشكلية ليتمكن عقد هذه التسوية . . ورفض إسرائيل الفاطم لاي تنازل ، بل لاي تنازل شكلي يمكن فعلاً من عقد هذه التسوية ، ويستطيع الفاري ، إذا راجع الوثائق المنشورة في فصول « إسرائيل » و « سوريا » في التقرير المذكور (يقع في ١٨٥٢ صفحة مطبوعة) أن يستنتج رغبة إسرائيل في منع التسوية أو الصلح مع سوريا وليس فقط رغبتها في الاحتفاظ بما لديها ، وهو أمر قد يبدو غير مفهوم في عام ١٩٤٩ ولكنه مفهوم الآن . فإسرائيل لها أهداف في صميم الأرض السورية ، وعقد صلح وقيام سلام عام ١٩٤٩ يعطل تحقيق هذه الأهداف . وهذا أيضاً يفسر لماذا فشلت النوايا السلامية لنظام بوليو فليس عن صلابته بل تصلب إسرائيل .

* نفس الوضع حرفياً مع عبد الناصر إلى ١٩٥٥ .

مصري

دمشق ١٤ يوليو ١٩٤٩

« إن إخلاص الزعيم للسلام لا مجال للشك فيه ، ولولمجرد أنه يعرف أن مشاكل فلسطين تعترض طريق أحلامه . وإذا كانت المفوضية هنا (دمشق) تشارك الاعتقاد بأنه لا يستطيع أن يتحدى مشاعر الشعب السوري فيما سيعتبر استسلاماً بلا مبرر لأطماع إسرائيل ، إلا أنه حساس جداً من فكرة أنه يفقد مبادرة ودية من الولايات المتحدة ، ليس فقط لتوطين اللاجئين بل والنازلي في الخلافات الأخرى مع إسرائيل . وفي رأي المفوضية أنه من مصلحة السلام في الشرق الأوسط الاستفادة من تعاون الزعيم . . إلخ » .

رفضت إسرائيل بحث أي مشكل أو تسوية ، وألحت على الاجتماع المباشر بين الإسرائيليين وحسي الزعيم وفي لوزان ، وبالطبع لم يكن أمام الإدارة الأمريكية إلا الضغط على الجانب اللين . . فألحت في عقد اللقاء ، وحل الجيش السوري المشكل بإعدام حسي الزعيم في ١٤ أغسطس ١٩٤٩ . .

فيكون قد قضى في السلطة مائة وخمسة أيام ، أنجز فيها للأمريكان اتفاقية التابلاين ، قبول توطين اللاجئين ، الأمل في فرض تسوية سلمية إذا ما توافر حاكم مطيع مثله ، شرط أن يكون في بلد أقوى تأثيراً ، وأن يستمر في الحكم فترة أطول . . وتعلم فيه الأمريكيون فن قلب النظم العربية . .

نسمع الآن قصة الانقلاب السوري من أحد صناعه : مايلز كوبلاند . .

سجل « هيتون » الضابط السياسي في السفارة ، وأصغره سناً ، وأكثرهم على ما يبدو اقتناعاً بالشعارات الأمريكية المعلنة خلال الحرب العالمية ، والتي لم تكن قد جفت بعد في ذاكرة الشباب المثالي ، بل وربما أكثرهم حكمة ، إذ سجل اعتراضه على الانقلاب قائلاً بنصي شهادة كوبلاند : « أريد أن أسجل للتاريخ ، قولي بأن هذه هي أغنى ، وأقل الأفعال تقديراً للمسئولية ، يمكن أن تصدر من بعثة دبلوماسية مثلنا ، لقد بدأنا اليوم سلسلة من هذا النوع لن تنتهي أبداً . وقد أرسل تقريراً بالطبع إلى وزارة الخارجية ، يضع الآن تحت أكوام من التراب وإن كانت نبؤته قد تحققت . »^٣

المهم أن وزارة الخارجية يتفق الثعالب الذي تعودناه من الخضارة البيضاء تمنعت حوالي شهر عن الاعتراف بالانقلاب ، « لأن خبرتنا المريرة مع الانقلابات العسكرية في أمريكا اللاتينية . . إلخ » وإشفاقاً على الديمقراطية ، وأيضاً لكي لا ينكشف الملعوب إذا ما اندفعت للاعتراف . . وبعد ثلاثين سنة ما زالت أوراق الخارجية الأمريكية المنشورة بيضاء الساحة ، ترفض الاعتراف بدورهم في الانقلاب . . وما جره على سوريا من دماء لم نجف ولن نجف أبداً ما لم يقطع دابر التفكير السلطوي في الجيش والضباط المغامرين .

« اعتقدنا في المفوضية الأمريكية أننا فتحنا باباً للسلام والتقدم ، فقد كانت استجابة الزعيم « لاقتراحاتنا الودية » (أقواس المؤلف) قبل الانقلاب إيجابية إلى درجة لم يخطر معها ببالنا ، أن الأشياء ستتغير فيها بعد ، وقد استمر الحال كذلك إلى أن وصل الاعتراف الرسمي من حكومتنا ، وقد يبدو مشيراً أن أقول إن المارجوميد ، قضى اليوم الثاني للانقلاب في تعريف الزعيم : من يجب أن يكون سفيره في لندن* وَمَنْ مِنَ الضباط يجب وضعه في مناصب دبلوماسية ، وما الغذاء الذي يجب أن يقدم للرئيس القوتلي في السجن لكي لا تهيج فرحته . ولكن فور الاعتراف انقلب « الزعيم » إلى رجل آخر وبدأ ذلك بأن أبلغني أنا ومييد بضرورة أن نهب واقفين إذا ما دخل علينا ، وألا نخاطبه بلفظة أنت « Tu » - وهو أي الزعيم لا يعرف إلا الفرنسية - بل بضمير أنتم Vous أو تقتصر على : « سعادتك » . وباستثناء هذه الرسميات استمرت العلاقة ودية إلى نهاية عهده ولكن يوماً بعد يوم كان يتضح أكثر وأكثر أننا أخطأنا في نقطة ما ، وأنه لا بد أن نفكر في البديل في حالة سقوط الزعيم ، الأمر الذي أصبح مؤكداً »^٩ .

نصرف المبتدئون الأمريكيان مع « حسني الزعيم » تصرف رجال المافيا مع « البرافان » الذي يضمونه في مواجهة شركائهم ، أو مع رئيس جمهورية الموز الذي تعبته الشركة الأمريكية من خلال انقلاب عسكري . المدرب الأمريكي يعطيه التعليمات ابتداء من ترشيح السفراء واعتقال الضباط إلى قائمة طعام سجن المرة . وكما رأينا لم يقتصر الحديث على الكبة النية وحدها ، فليس بالحيز وحده يجيا الأمريكيان ، حدثوه عن إسرائيل واستجاب ، وعن التابلاين ووقع وصدق ، وتفهم من سياق القصة ، أنهم كانوا يجلسون وقد مذوا أقدامهم على الطريقة الأمريكية ورئيس جمهورية سوريا وزعيم انقلابها وديكتاتورها ومعتقل زعمائها ، وخالب لب الغوغاء والمغفلين من الشباب العربي ، لأنه نأرهم من الخيانة ، ورفع كرامة الجيش السوري . . . إلخ^{١٠} . هذا الزعيم يدخل فلا يتحرك المدرب الأمريكي ولا يكلف نفسه الوقوف لرئيس جمهورية أورئيس وزراء سوريا ، بل لعله كان يضع حذاءه في وجهه ، كما كان المندوب البريطاني يفعل مع فيصل الأول ملك العراق . ولكن كان على الأمريكيان أن يتعلموا أن الكرسي له ثقله ، وأن سوريا في ١٩٤٧ غير العراق في ١٩٢٠ - ولذلك ثارت كرامة « الزعيم » وطالبهم على الأقل بالوقوف عندما يدخل عليهم ليوقع اتفاقية التابلاين أو ضم لبنان ، أو اعتقال السياسيين الفاسدين مطايا الاستعمار . . . وثارت حية الضباط لكرامة الجيش والدولة مع قليل من المنشطات البريطانية ، فقتلوا الزعيم وجاء الحناوي إنجليزياً ، لينقلب عليه الشيشكي . . إلخ .

• هل هذه الشهادة تلقي الضوء على سر اختصار عبد الناصر لاحد حسين سفيراً في واشنطن ١٩

ومن ١٩٤٩ إلى ١٩٥٢ سيتعلم الأمريكيان الكثير ، وسيصبحون أكثر ذوقاً في معاملة « الرؤساء » ولا شك أن مصر غير سوريا ، وجمال عبد الناصر لا يمكن قياسه بحسب الزعيم . . ولكن استمرارنا لحظات ومشاهد في الرواية المصرية ، نجعلنا نساءل . . أين رأينا هذا الشهيد من قبل ؟ من يشبه هذا البطل . . ؟ نعم سنرى ملامح تلك العلاقة بين المدرب الأمريكي و « الزعيم » . . رفع الشكيف . . إعطاء النصائح في صيغة المدرس أو المربي . . الشخط أحياناً . . بما لا يتفق والعلاقات الدبلوماسية العادية . .

يكفي أن نذكر أن « زعيماً » عربياً ثورياً جاء بهذه الطريقة وعومل بهذه الطريقة . . ولكنه فشل في أن يسمر في الحكم لأسباب عديدة شديدة التعقيد ، أولها سوريا ذاتها ، وآخرها أنه لم يكن له تنظيم في الجيش السوري . .

بقية قصة الزعيم معروفة : « أحاط بمنزله عدد من الضباط يتقدمهم واحد اسمه الخناوي ولكن القائد الحقيقي كان أديب الشيشكلي ، وقتلوا حسني الزعيم ودفنوه في المقبرة الفرنسية » وأخبرني الشيشكلي فيما بعد : « لقد أسدينا لكم معروفاً بدفته كعميل فرنسي » . استمرت الجماهير السورية تهتف لسنوات طويلة : « بدنا نحكي ع المكشوف » وهم لا يدرون أن زعماءهم « الثوريين » يمارسون ذلك منذ وقت مبكر جداً ولكن . . مع الأمريكيان !

الدروس التي استفادتها المخابرات الأمريكية من تجربة سوريا هي :

- ١ - المشكلة ليست في تغيير الحكومة بل في ضمان استمرار هذا التغيير إلى نهاية الطريق . أصبح المطلوب سلطة قادرة على الاستمرار .
- ٢ - الوضع الأمثل هو الارتباط بتنظيم انقلابي موجود فعلاً ، له تشكيلاته وله عناصره المخلصة ، وله قوة دفعه ، وتصميمه على الاستيلاء على السلطة ، لأن الصفقة مع قائد جيش بمفرده انتهت بمقتله وحيداً . .
- ٣ - عدم التسرع في فرض نوية للقضية الفلسطينية ، فقد عرفت الأجهزة الأمريكية حقيقتين :

الأولى : هي أن حكومتها غير راغبة أو غير قادرة على الضغط على إسرائيل .

والثانية : هي أن إسرائيل لا تريد نوية سلمية . . ومن ثم فلا داعي لحرق القيادة « الصالحة » بالإصرار على دفعها في طريق الاستسلام لإسرائيل أو الصلح مع إسرائيل ، يكفي منع الحرب مع إسرائيل ، وإزاحة القضية الفلسطينية من برنامج العمل ، إلى برنامج الشعارات . . ومع التبريد والحديث عن السلام يفتح الطريق للنوية .

وهنا يقول مايلز كوبلاند : « ولو أننا لم نحب ذلك كثيراً ، إلا أنه كان لابد لنا من أن نعرف بأنه ما من قائد بوسعه أن يقود شعباً عربياً إلا إذا كان هناك خوف عام يؤثر على هذا الشعب . فالمصريون توالى عليهم قيادات خلال عدة قرون أجنبية وفاسدة . ولذا فكل

القيادات - في نظرهم - مريبة ومشبوهة . وكان قادة العالم العربي يستخدمون الخوف من إسرائيل لتحقيق مستوى من الوحدة الوطنية . ورأينا أنه ما من سبيل لتجنب استخدام نفس الوسائل في مصر ، على أساس أن الخطر ضئيل في أن تتطور الأمور على نحو يخرجها من يدنا ، نظراً للهزيمة الفادحة التي تلقاها الجيش المصري على يد الإسرائيليين في حرب ١٩٤٨ فضلاً عن أنه لم تكن هناك فرصة كبيرة للنجاح في إبراز قائد لا يستخدم القضية العربية - الإسرائيلية .

هذه نقطة على قدر بالغ من الأهمية ، بل هي مفتاح فهم كل ما جرى ويجري حولنا في المنطقة .

لأسباب التي ذكرناها ، نخلل الأمريكيون عن محاولة فرض الصلح العربي - الإسرائيلي . . وهذا يعني استمرار القضية ، ولذا قرروا استثمار ذلك ، فلكني تستمر زعامة القائد الذي سيمنع المعركة مع إسرائيل ، لا بأس ، بل من الضروري أن يحدث ليل نهار عن المعركة ، ويسحق أية معارضة تحت شعار : « لا صوت يعلو على صوت المعركة . . » وبهذا يتجنب المعركة ويبقى شعبه صابراً متحملاً في سبيل المعركة . . وحسابات الأمريكان لم تخطئ ، إطلاقاً فخلال المدة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ لم تتطور الأمور أبداً على نحو يخرجها من أيديهم ، فلم تقم مصر بأي هجوم على إسرائيل ، وإنما كانت الحروب كلها من ناحية إسرائيل . . وهذا ما لا سيطرة للأمريكان عليه ، أو بالأحرى لا خطر فيه على الأمريكان . .

يقول تحت عنوان :

« البحث عن قائد حقيقي في مصر ١٩٥١ - ١٩٥٢ »

وكتب تحتها : « ابحث عن لاعب حقيقي وليس مخلب قط »

هذا هو عنوان الفصل الذي يتحدث فيه عن عملياتهم في مصر هكذا يوضح وصراحة . . ولكن البعض لا يؤمن حتى بدخول الأصعب في جرحهم هم . يقول :

« الكثير من موظفي الخارجية الأمريكية ، كانوا ما زالوا على اعتقادهم بأن الانتخابات الحرة يمكن أن تأتي بقيادات صالحة ، حتى في العالم العربي الأكثر فساداً في كل الشرق الأوسط ، ولكن « دين اتشيسون » وزير الخارجية نفسه ، لم يكن متأكداً من ذلك ، فرغم أنه في العلن كان يتحدث بالأسلوب الدبلوماسي التقليدي ، إلا أنه في السر كان يؤمن بأن استخدام وسائل غير تقليدية لمساعدة القوى الطبيعية ، مسألة تستحق التجربة ، وعليه استعار من المخابرات المركزية الحديثة التشكيل وقتها ، كيرميت رورفلت ، لرئاسة لجنة سرية عالية المستوى من المتخصصين ، بعضهم من وزارة الخارجية وبعضهم من وزارة

الدفاع ، والبعض جيء بهم كمستشارين من رجال الأعمال المعنيين ، ومن الجامعات ، ولا أحد من المخابرات إلا « كيرميت روزفلت » . ومهمة اللجنة دراسة العالم العربي ، وبالذات الخلاف العربي - الإسرائيلي لتحديد المشاكل وتحديد الأولويات ووضع الحلول . . أي حلول ، سواء اتفقت أو تعارضت مع قواعد السلوك المفترض للحكومات . وخلال شهر أو أكثر طرحت عدة أفكار ، كلها غير تقليدية ، البعض اقترح فكرة إبراز زعيم إسلامي لتعبئة حركة دينية ضد الشيوعية ، ومضى إلى حد اختيار زعيم ديني عراقي لإرساله في رحلة في العالم العربي ، والفكرة في حد ذاتها لم تسبب أضراراً ، وتنفيذها علم اللجنة الكثير . . .

« في مطلع ١٩٥٢ أعدت لجنة الخبراء تقرير حال كاملاً عن لعبة الأمم في الشرق الأوسط ، وأصبحنا مستعدين لعملية كبيرة . وكان الضغط الدولي كبيراً بحيث رأينا أنه لا يمكن تأجيل العمل أكثر من ذلك . »

« وفي النهاية استقر رأينا على أن « مصر » هي نقطة الانطلاق . فقد كانت مصر بلداً تستحق الأولوية في حد ذاتها ولتنفيذها على الدول العربية الأخرى مما يجعل أي تحول فيها للأحسن (الأحسن من وجهة نظرهم هو عين السوء لنا . ج) سيكون له صداه في العالم العربي .

« وكان في رأينا أن العملية ليست أكثر من « رقة » ليس فقط لطبيعة الأهالي وسياساتهم بل لأنه كان لنا بعض « المديرين » الذين ثبتت خبرتهم ، ولهم معرفة جيدة بالبلد بما فيهم « كيرميت روزفلت » نفسه . »

نحب أن نشير هنا إلى نقطة أشار إليها كويلاند وهي قوله إن رئيس المخابرات الأمريكية في مصر كان يتمتع بغطاء عنصري « Ethnic » . وفسر ذلك بأنه يعني أن الشكل وجواز السفر واللغة تمكن ضابط المخابرات من الاختلاط بالمحيط العام . وهذا يعني أنه كان مصرياً أو على الأقل من جنسية شديدة التشابه مع المصريين . . ونحن نرجح الفرض الأول ، ونعتقد أنه أحد الأسماء التي لمعت جداً في عهد عبد الناصر . وخاصة أنه قال في موضع آخر إن هذا الشخص كان « أيضاً رجل عبد الناصر » مما يحصر شكوكنا في ثلاثة أشخاص !

« وكانت مهمة روزفلت بالتحديد عندما جاء للقاهرة يبحث عن الزعيم المنشود ، هي أن يحاول أولاً تنظيم « ثورة بيضاء » يكون فيها الملك فاروق نفسه مشرفاً على تصفية النظام القديم واستبدال الجديد به ، وبذلك تجهض القوى الثورية التي كان عملاء المخابرات الأمريكية قد اكتشفوها قبل سنتين ، والتي كانت التقارير تؤكد أنها على وشك الانفجار . ثانياً : في حالة فشله في إجراء هذه الثورة السلمية ، فعليه أن يبحث حوله عن احتمالات أخرى . . رجل واجهة نوجهه من خلف الستار ، أو رجل قوي ، أو خليط من الاثنين . »

نتحفظ هنا على المهمة ، فصحيح ظل « كيرميت روزفلت » « بحرك ويترك » في ما سُمي

بالثورة السلمية ، ولكن في اعتقادي أنها كانت مناورة على فاروق ، لتخديره ، وطمأنته من ناحية الأمريكان ، وليس مع هم بالتغلغل في أجهزته ، حتى يمكنهم التجنيد بداخلها . وإبعاد العناصر التي لا أمل في تعاونها . . . وتعود هذه الأجهزة على تلقي الأوامر منهم ، ومن ثم يمكن شلها في اللحظة الحاسمة وحساب الانقلاب الحقيقي . . . بقول :

« كيرميت روزفلت حفيد الرئيس نيوودور روزفلت وابن عم آرثر روزفلت وكان يتمتع بشهرة عن شجاعته البدنية ، وهي تثير إعجاب سكان الشرق الأوسط إلى جانب صلاحته الوثيقة مع كل القيادات الثورية والتضلعية في الدول العربية وإيران . . . وقد انضم صراحة للسي آي ايه (المخابرات الأمريكية ونكتب هكذا CIA ج) ليجد أن المغامرات فيها مقبلة ونادرة . ولذلك عندما أصبح صديقه القديم الجنرال « بيدل سمث » مديراً للمخابرات فقد رتب انتدابه في الجهاز الخاص لوزير الخارجية دلاس ، لتنفيذ مهام من طراز الروايات والأفلام * كانت آخرها عملية أجاكس في أغسطس ١٩٥٣ ، عندما نظم وحده تقريباً الإطاحة بمصدق ، وإعادة الشاه الذي كان قد هرب إلى روما . وكانت الثورة السلمية في مصر ١٩٥١ - ١٩٥٢ هي أول مهمة لروزفلت . وكان الملك فاروق قد ازداد إعجابه بروزفلت خلال الحرب العالمية (الثانية ج) في الفترة التي كان البريطانيون يضغطون فيها عليه تحت فوهة المسدس حقيقة لا مجازاً ، لكي يبعد العناصر المؤيدة للمحور من حكومته ويستبدل بها عناصر من اختيار الانجليز . وبينما كان فاروق يغلي في قصره عاجزاً ، زاره روزفلت يوماً ، تقريباً لتسليته ، ووعدته بأن تعقد مع مصر ، بعد انتهاء الحرب ، صفقة جديدة وتصبح مصر مستقلة فعلاً ويصبح هو أول حاكم لمصر المستقلة خلال ألفي سنة . . . (قالوا نفس الكلام مع تغيير بسيط : « أول حاكم مصري من ألفي سنة » . . . وكلا القولين فاسد كاذب لا أساس له من التاريخ ج) .

« وكان فاروق يحب هذا النوع من الكلام . وأحب روزفلت إلى حد استقباله بحماسة عندما رجع كيرميت إلى مصر عام ١٩٥٢ . . . ومن الناحية الأخرى لم يكن فاروق هو الشخص الذي يبحث عنه روزفلت ، فصحيح أنه لم يكن غيباً ، إلا أنه كان يفتقد التركيز ، في اجتماع كان يبدي إدراكاً واعياً لما يجري في بلده . وبالذات لما يؤثر على نظامه . ويوافق على علاجات روزفلت بكفاءة رجل أعمال في بتسبرج . وفي اليوم التالي يخفي في واحدة من مغامراته الجنسية . ونسى أن ينفذ بعض الإجراءات التي وافق على ضرورتها لتحقيق خطة روزفلت ، وفي الأسبوع الثاني ، وبفعل أي عامل وقتي ، يتخذ قراراً يفسد الخطة » .

• ولم لا . . . وهو خلال ١٣ شهراً أزال عرشاً وأقام عرشاً !

« أقام روزفلت في مصر خلال شهري يناير وفبراير ١٩٥٢ وخلالهما قام فاروق بالتالي :
١ - تمأشئ مع مشروع روزفلت الذي يقضي بأن يدبر أقوى رجلين في الوزارة ، المرتضي
المراغي وزكي عبد المتعال أزمة تجبر رئيس الوزارة على الاستقالة . وفي نفس الوقت يكلف
بوليسه السري بجمع أدلة تثبت أن الوزيرين عميلان للمخابرات الأمريكية »

٢ - وافق على تعيين نجيب الهلالي وهو رجل يتمتع باحترام لكفاءته ونزاهته كرئيس
وزراء . وقد دعاه إلى الوزارة بطريقة لا يمكن أن تسمح له بقبولها ، وليس إلا بعد أن رجاء
روزفلت على انفراد باسم الثورة السلمية مشيراً إلى أن الثورة لن تبقى بيضاء إذا ما استمر
الملك في عناده .

٣ - وافق على أن يقوم الهلالي بتطهير الحكومة ويخرج كل الموظفين الفاسدين ، ويحل
محلهم موظفين من اختياره .

وطبعاً نذكر شعار « التطهير قبل التحرير » و « محاربة الفساد » وكلها كانت شعارات
هزلية على لسان الهلالي باشا وفي نظام فاروق ، ولكن نفس الشعارات مستخدم في ظل ٢٣
بوليو ، وسينسى الناس أنها الاستمرار لخطة الثورة البيضاء . . .

« في مايو ١٩٥٢^٩ نفّض روزفلت بديه يائساً ، ووافق مع السفير الأمريكي في القاهرة
« جيفرسون كافري » أن الجيش وحده هو الذي يستطيع وقف تدهور الوضع وإقامة حكومة
يستطيع الغرب أن يتفاهم معها . . . (أين الذين يترثرون عن مفاجأة السفارة بالانقلاب
والرجل ذكر علم السفير وبالاسم !؟ ج)

« كافري الذي كان أقدم سفير في الجهاز الدبلوماسي الأمريكي ، كان يعرف مصر
جيداً ، وكان يعتمد على اثنين : الليونانت كولونيل : « دافيد ايفانز » مساعد الملحق
العسكري ، ووليم ليكلاند الضابط السياسي .

« كان روزفلت نافرأ من الانقلابات العسكرية ، بعدما شاهده من آثارها على سوريا ،
ولكنه وافق على اللقاء بالضباط الذين رصدتهم المخابرات الأمريكية على أنهم قادة التنظيم
السري الذي عرف أنه يدبر انقلاباً . . . وهذا ما فعله روزفلت في مارس ١٩٥٢ . . أي
أربعة شهور قبل انقلاب ناصر . وناصر الذي كان قد عرف باستكشاف المخابرات
الأمريكية لتنظيمه كان مستعداً للقاء . ورتب وضع عدد من ضباطه في طريق روزفلت ،
هؤلاء الضباط الذين كانوا بعيدين عن مركز الحركة بما يتيح الاستغناء عنهم ، ولكن في نفس
الوقت يمكن الاعتماد على قدرتهم على الكلام المناسب ، وحفظ الأسرار الأساسية لتنظيم

الضباط الأحرار . . . وقد تمت ثلاثة اجتماعات من هذا النوع . . . وفي الاجتماع الثالث حضر واحد من أقرب معاوني ناصر وأكثرهم تمعناً بشقته : *

« One of Nasser's most trust lieutenants » « إن الاتفاق الكبير الذي تم بين روزفلت وهذا الضابط الذي كان يتحدث باسم عبد الناصر يستحق الذكر حقاً . . . ففي ثلاث قضايا عامة تم الاتفاق في الحال : الأولى هي أن الجماهير لا تثور بسبب سوء الحالة الاقتصادية . وكان روزفلت قد دخل في جدل طويل مع وزارة الخارجية الأمريكية حول هذه النقطة إلى حد أنه وزع عليهم نسخاً من كتاب : « كران برنتون » الذي عنوانه : « تشريح ثورة » ليدعم رأيه بأنه ما من ثورة في التاريخ لها أسباب اقتصادية في جذورها . وبالتالي فإن حكومتنا لا نستطيع التخلص من زعيم لا نحبه بمنع الفصح عن شعبه . ناصر كان يعرف في هذا الوقت ما سيشته خبرته الشخصية فيما بعد ، وهو أنه مهما منعت الولايات المتحدة المساعدات الاقتصادية بهدف إضعاف مركزه ، فإنه يخرج أقوى من قبل ، وشعبه يحمل الحكومة الأمريكية مسؤولية تجويعه وليس ناصر . »

« النقطة الثانية هي أن الجماهير المصرية لا يتحمل أن تثور لأي سبب . كانت هناك حركتان ثورتان : الإخوان والحزب الشيوعي ، تعتقدان أن الشعب المصري بما فيه الفلاحون والعمال والأفندية في المدن وحتى المهنيين اقتربوا من درجة الغليان ، ويمكن دفعهم تحت النداء المناسب للثورة ، ناصر لم ير هذا الرأي ، وقد طرحت هذه النقطة بين روزفلت ومثلي عبد الناصر عندما قال أحد هؤلاء المثليين « إن من سيحكم مصر سيواجه مشكلة تلبية المطالب العديدة للشعب المصري » . . . وهنا قال رئيس المجموعة التي تنطق باسم ناصر ، أول جملة كاملة في تلك الليلة : « بالعكس . . . إن مشكلتنا هي أن الشعب لا يريد كفاية » ثم استمر : « إن معظم المصريين عاشوا آلاف السنين على الكفاف ، ويمكن أن يعيشوا ألف سنة أخرى على هذا الحال » إنهم غير مهيبين للثورة ، ولا مهيبين للاستفادة القصوى من حياتهم بعد الثورة . ولذا بعد الثورة سنحاول جهدنا دفعهم لذلك ، ولكن ليس لدينا وقت لتحقيق ذلك قبل الثورة » . وهكذا لم يكن هناك مجال للحديث عن ثورة ديمقراطية أو شعبية^{١٢} . وكان مفهوماً من اللحظة الأولى أن الجيش المصري سيمسك بالبلاد ، ويختار الوقت والظروف التي تضمن تأييداً سياسياً وشعبياً في المدن ، أما بقية البلد فسيجري كسبها فيها بعد . . . »

* لا توجد ملفات هيكل هذه الرواية عندما نلجح إلى الاتصال غير المباشر . . . وتأمل إذا فليل زعيم حزب سياسي موهباً في السفارة البريطانية اعتبر ذلك خيانة فماذا عن اجتماع ضابط في الجيش سرّاً مع الأمريكيين !؟

« وأخيراً تم الاتفاق على أنه في مستقبل العلاقات بين الحكومة المصرية الجديدة ، وحكومة الولايات المتحدة ، فيقتصر استخدام عبارات من طراز « إعادة المؤسسات الديمقراطية » أو « الحكومة القائمة على تمثيل حقيقي للشعب » ستقتصر على الوثائق المتاحة للعمامة ، أما فيما بيننا فيقوم تفاهم مشترك على أن شروط قيام حكومة ديمقراطية غير متوافرة في مصر ، ولن تتوافر لعدة سنوات طويلة . . وأن مهمة الحكومة الجديدة هي توفير هذه الشروط وهي :

- ١ - شعب غير أمي .
- ٢ - طبقة وسطى كبيرة ومستقرة .
- ٣ - شعور من الشعب بأن هذه هي حكومتنا ، وليست مفروضة من الفرنسيين أو الترك أو الانجليز أو الطبقة العليا المصرية .
- ٤ - إرساء قيم ومثل حقيقية ، تضمن قيام ونمو مؤسسات ديمقراطية حقيقية وليس مجرد تقليد مستورد من الولايات المتحدة أو بريطانيا .

« وقد اتفق روزفلت ومثلوا ناصر (الكلام ما يزال المايلز أكويلاند) على أن الرأي العام الأمريكي والكونجرس وبعض الصحفيين وبعض موظفي الخارجية الأمريكية ، وغالباً ما يكون وزير الخارجية نفسه من بينهم ، سيدأون على الفور في النجاح بالشعارات القديمة ، وفي نفس الوقت تأكدوا أن أية محاولة سابقة لأوانها لتطبيق الديمقراطية ستضع البلاد مرة أخرى في الفوضى السابقة ، أي انتخابات بين مرشحين مدعومين من بريطانيا وأمريكا ضد مرشحين مدعومين من الروس (لعلنا نكتشف الأصل الفلسفي لحكاية حزب تابع للشرق وحزب تابع للغرب ج) و ٢٤ مليون فلاح من ٢٨ مليوناً ، ينتخبون وفقاً لتوجيهات الإقطاع بينما يتفجر سخط المدينة في شكل اضطرابات ، وتصبح إثارة الشعب هي الوسيلة الوحيدة للحصول على نفوذ سياسي ، فيضم الشباب للإخوان أو الحزب الشيوعي كمنخرج لنشاطهم المكبوت » .

« وهناك نقاط كان من الصعب الاتفاق عليها ، ولكنها شكلت - رغم ذلك - فهماً مشتركاً للدواعي التي ستكون خلف الانقلاب القادم » .

« وهناك نقطة أخرى جديرة بالاهتمام هي موقف ناصر من إسرائيل فالسياسيون والكتاب والمواطنون العاديون في أي بلد عربي ، وكذلك معظم الدبلوماسيين الغربيين الذين يزورون شتى البلاد العربية سيقولون لك إن استرداد فلسطين يأتي على قائمة الأولويات لأي بلد عربي ، حتى أن صحفياً في مستوى محرر « الدليل للجغراف » ظل لعدة سنوات يصر على أن هزيمة مصر ضد إسرائيل كانت عنصراً فعالاً في تفكير الذين دبروا « الثورة المصرية » . ولكن بعد خمس سنوات من حوار المعسكرات ، ومعادنات شخصية مع مئات الضباط قرر ناصر ومعاونوه العكس . لقد تبينوا أنه قد يكون من المفيد لخدمة هدف آخر ، الحديث عن تعبئة

موارد مصر لتصحيح ما حدث في فلسطين ، ولكن مثل هذا الحديث في ١٩٥٢ هو عمل طائش ومضر إذا ما استخدم لإثارة ثورة في مصر .

« وقد اعترف ناصر لروزفلت أنه هو وضباطه امتنعوا على يد الإسرائيليين ، ولكنه أكد أن غضبهم كان ضد : « ضباطنا الكبار » . . . العرب . . . الانجليز ثم الإسرائيليين على هذا الترتيب »^٥ .

أظن أن هذه جرعة كبيرة نحتاج لوقفة طويلة جداً .

١ - في أواخر عام ١٩٥١ أو مطلع ١٩٥٢ استقر رأي لجنة الخبراء على تجربة الانقلاب في مصر وكلفت « كيرميت روزفلت » بهذه المهمة للمصفات العديدة التي يتمتع بها . ومنها صلاته ومعرفته بمصر وملك مصر .

٢ - كان للمخابرات الأمريكية شبكة واسعة في مصر يرأسها شخص مصري أو سهل اندماجه بين المصريين وهو في نفس الوقت ، رجل عبد الناصر !!

٣ - ظل كيرميت في مصر شهرين يدرس النظام القائم بلحجة تدبير ثورة سلمية تحت رعاية الفاروق . واستطاع التغلغل في أجهزة الأمن وشليها أو بلبثتها ليلة الانقلاب .

٤ - اكتشفت المخابرات الأمريكية تنظيم الضباط الأحرار ، وهذا يعني بوضوح أنها لم تنشئه بل كان تنظيمًا مصرياً وطنياً في مجموعته ، وإن ضم عناصر من شتى المخابرات المحلية والعالمية ، كما هو الحال في كل التنظيمات السرية . . . وهذه نقطة على جانب كبير من الأهمية ، فالضباط الأحرار غير « إخوان الحرية » ، الضباط الأحرار وعلى كل المستويات ، تنظيم وطني مصري ، ضم عناصر وطنية ، لو خطر ببالهم أن بعض رفاقهم يجتمع بالأمريكان ، فضلاً عن مخابرات الأمريكان لا تخذ التاريخ مساراً مخالفاً !

٥ - شعر جمال عبد الناصر ، أو أبلغ عن طريق وسطاء الخبير ، باهتمام الأمريكان ، فوافق بذلكه السياسي النادر ، وشبهه للسلطة الأشد ندرة ونميراً ، على مقابلتهم . . . ومرة أخرى هذا يعني أن عبد الناصر لم يخترعه الأمريكان ولا فرضوه على التنظيم ، وإنما فرضوا انتصاره واستمراره في السنوات الأولى حتى استقر وانطلق معتمداً على تنظيماته .

٦ - تدرجت اللقاءات حتى وصلت إلى اجتماع على مستوى أكبر معاوني ناصر ، أو على الأقل الذي يتمتع بأكثر قدر من ثقته . وهي اجتماعات كانت واضحة وصریحة بين الضباط الأحرار ، أو مجموعة ناصر من جانب والمخابرات الأمريكية من الجانب الآخر للاتفاق على برنامج الانقلاب أو الثورة كما حلاهم تسميته . . .

٧ - كل اتفاق . . . كل مفاوضات . . . إنما تدور حول : ماذا تعطيني وماذا تريد مني . . . ولا نظن أن استنتاج بنود الصفقة عسير علينا . . . الضباط الأحرار يريدون دعم المخابرات الأمريكية لنجاح الانقلاب . . . أما كيف . . . ؟ فهذه من النقاط التي حجبتها المؤلف ، والتي لن يكشف عنها السار أبداً ، لأنها سر المهنة الذي يستخدم في أكثر من بلد ، ولأنه يكشف

أسماء لا يريدون لها أن تكشف . . كذلك طلب الضباط الأحرار تقديم تأمين أمريكي ضد احتمال تدخل بريطانيا ودعم أمريكي بعد نجاح الثورة .
في مقابل ماذا ؟

إما أن نخرج في مسيرة للسفارة الأمريكية نشكرها على اهتمامها بتحرير الشعب المصري ، أو تساميل بجندية : ما الذي تعهد الضباط الناصريون بدفعه مقابل وضعهم في السلطة ؟
٨ - اتفق « الثامرون » - يستحيل علينا من باب الذوق أن نصف كيرميت روزفلت بالثوري ، فهذا يسيء إليه طبعاً ولذلك لم نستطع أن نقول « الثوريون » . . على أن مصر غير ناضجة للديمقراطية وأنهم لن يتمكنوا بثرثرة المسئولين الرسميين الأمريكيين عن ديكتاتورية الحكم ، فأمام الحكومة الثورية مهمة طويلة تستغرق الأجيال حتى تنوافر الظروف لقيام الديمقراطية ، مثل محور الأمية ، وخلق طبقة وسطى . . ولعل هذا يفسر حرص الثورة على عدم محور الأمية ، واهتمامها بضرب الطبقة الوسطى * !!
.. نكتة ! ..

٩ - فلسطين لم تكن قضية الثورة ، ولا شغل الضباط رقم واحد ، وهذه قضية معقدة وأعترف أنني لم أستوعبها تماماً في الكتاب السابق ، فجاء تعليقي ساذجاً اعتذارياً رغم اقتناعي أن الناصرية - كما قلت - ليست إفرازاً للصراع المصري - الإسرائيلي غير أن ما نشر من وثائق عن تصريحات ومواقف ضباط الثورة من إسرائيل قد أكد أن هذه المجموعة كانت أقل فئات المجتمع المصري إحساساً بالخطر الإسرائيلي وعداوة لإسرائيل ، بل لا نذهب بعيداً إذا قلنا إن الملك فاروق كان أكثر إحساساً بخطر إسرائيل وأكثر تصلباً في رفض التعايش معها من محمد نجيب وعبد الناصر وسرى ذلك بالوثائق فيما يلي من صفحات هذا الكتاب .
على الأقل الملك شن حرباً ضد إسرائيل ، وهو الأمر الذي لم يفعله ناصر قط !
١٠ - هذا الجزء مكتوب بمكر شديد ، فهناك حوار بين ناصر وكيرميت ، ولكن هناك أيضاً إيماء ولوبالسالب أن عبد الناصر لم يقابل كيرميت روزفلت ، وعلى أية حال هذه نقطة لا تركز عليها كثيراً ، كما أشرنا ، فمن المؤكد أن اجتماعاً واتفاقاً قد تم بين ناصر وكيرميت روزفلت سواء مباشرة أو عن طريق رجل عبد الناصر وموضع ثقته .
يقول :

« وعندما رجع كيرميت روزفلت من القاهرة قبل الانقلاب بشهرين (يعني مايو - ج) قدم تقريره إلى وزير الخارجية دين اتشيسون قال فيه :
١ - إن الثورة الشعبية التي تنحسبها وزارة الخارجية ، ويعمل لها الشيوعيون والإخوان ، ليست في الحبان .

* بل إن دالاس صرح بأنه لا بد من مرور فترة تتخذ فيها إجراءات معينة . .

- ٢ - لا توجد وسيلة لمنع الجيش من القيام بانقلاب ، أحيانا ذلك أم كرهناه .
- ٣ - إن « الضباط » الذين ينتظر قيادتهم للانقلاب ، لديهم دوافع عادية ، بعكس الطموحات التي ينسبها إليهم المراقبون الدبلوماسيون . الأمر الذي يزيد من فرص انتصارهم ، بل ويجعلهم أيضاً مفاوضين معقولين بعد استيلائهم على السلطة . .
- ٤ - إن الحكومة الأمريكية ستقبل إبعاد فاروق وربما إنهاء الملكية كلها . وإن كان لا مانع طبعاً من صدور احتجاج رقيق لإراحة الضمير To humor the pure in heart » وسبكون من المستحسن أن يبدي السفير كافري بعض الاهتمام بسلامة فاروق الشخصية . (وهذا يوضح أن نيل « كافري » كان بالانفاق أو بالتعليقات ، وليس كما استنتج مؤلف حبال الرمال ج) .
- ٥ - بعد الانقلاب ستمنع حكومتنا - ماعدا في الظاهر - عن حث القيادة على إجراء انتخابات أو إنشاء حكومة دستورية وما أشبه . وستقيم علاقتها مع الحكومة الجديدة في ضوء الاقتناع بأن المؤسسات الديمقراطية يجب أن تبنى من الصفر .
- ٦ - لا يجوز أن يستج أحد في حكومتنا من كل هذه الاجتماعات التأمرية التي تمت قبل الانقلاب ، أنه انقلاب .

That for all these conspiratorial pre- coup meetings, no one in our Government must get the Idea that it is our coup

بل ستكون عملية داخلية Indigenous ، حرة « تقريباً » (الأقواس من عندنا) almost من نفوذنا . ويمكننا مساعدتها فقط بعدم معارضتها ، أما فيما يتعلق بالحاجة إلى عدو يوحد الجماهير فلن تكون إسرائيل هذا العدو ، بل الطبقات العليا المصرية ، وثنا أو أبينا الانجليز أيضاً .

« وكان لدى روزفلت الكثير ليقوله عن نوعية القائد المنشود أو بالأحرى الذي سيبرز من الانقلاب ، ثنا أو أبينا . فقال إنه يوافق مبدئياً على الحاجة إلى زعيم محبوب . ولكن ظروف مصر الخاصة في هذه اللحظة تفرض قائداً أقل جاذبية مما قدرنا ، إلا أنه قادر على السيطرة ، بل سحر مجموعة صغيرة من الرجال . وهي المجموعة التي قابل روزفلت ممثلها .

ثانياً : سواء نجح هذا الشخص في أن يكون زعيماً شعبياً ، أو ظل مجرد قائد لحلقة ، تفرد بدورها البلاد ، فإن صفات هذا القائد لا يمكن أن تتفق والمقاييس الغربية لرجال الدولة . وإذا لم نكن نعرف كيف نتعامل مع هذا الطراز ، فيجب أن نتعلم . وإذا لم يتنصر الشخص الذي نراهن عليه فسيكون هناك شخص آخر من نوعه ، وآخرون في البلاد الأخرى التي تمر بنفس الظروف . . .

وقال إن كبريت روزفلت « حاول - وهو أمر طبيعي - أن يسجل أقل المعلومات

والتفاصيل الممكنة في تقاريره المكتوبة لوزارة الخارجية الأمريكية ، لكي لا « يرعب » لجان التحقيق التي قد يشكلها الكونجرس في المستقبل » .
وهذا ما أشرنا إليه في قدرتهم على إخفاء المستندات وإن تشدقوا فترة بحرية المعلومات ،
وحق الكونجرس في أن يعلم كل شيء .
ويضيف :

« ولذلك لم تكن هذه التقارير توضيحاً صريحاً لمحاولات العثور على قائد منعتش للسلطة ويتمتع بكفاءة قيادية بونابرتية ، ولديه القدرة على توحيد شعبه حول الخوف . ولكن تقارير كيرميت الشفوية كانت أكثر صراحة . فقد أخبر رؤساءه أن أي شخص منعتش للسلطة ، لن ينتظر حتى يدعو متأمر أمريكي لهذه السلطة ، أما عن الصفتين الأخريين المطلوبتين ، فليست من النوع الذي يظهر على السطح في اختبار كشف افية . . ولكن المحصلة التي خرج بها من اجتماعاته في القاهرة هي أن : « شخصاً ما في مصر ، مرتبطاً بالضباط الذين قابلهم ، لديه فكرة متقدمة جداً لما يتطلبه الاستيلاء على السلطة في مصر والاحتفاظ بها ، وأن هذا الشخص ، سيفعل ذلك ، وأن كل ما نأمله هو أن ملاحظات روزفلت قد وصلت هذا الشخص ، وأن تفاهماً مشتركاً يمكن تنظيمه عندما يحين الوقت ، ولاشك أن هذا الشخص ، سيفهم ماذا نريد ، وما الثمن الذي سندفعه في المقابل . . وبناء على ما تجمع لدى روزفلت من هؤلاء الضباط الذين قابلهم فإن عرضنا قد قبل عن طيب خاطر »
eminently . . .

ونتم الانقلاب

« كان كل شيء على ما يرام . . لم تصدر تصريحات عنيفة من الطراز الذي تعودناه من الانقلابات السورية ، بل كان التركيز على القضايا التي نهم أية قيادة ناضجة : محاربة الفساد ، بناء حكومة أكثر كفاءة . . إصلاح الأحزاب السياسية ، ولا شيء عن إسرائيل :
« Nothing was said about Israel »

وعندما نطابق ذلك مع ما حدث فعلاً ، فإن من حقنا أن نشك في النظريات التي طرحت بعد ذلك ، عن أهمية التنمية قبل حرب التحرير ضد إسرائيل . . والتكنولوجيا قبل الحرب . . الخ . . الأمر أبسط من ذلك ، إنه اتفاق . . عقد ، وموقف . . اتخذ بناء على طلب « المتج » الأمريكي ! . . تجمع الشعب على كراهية الأغنياء المصريين بدلاً من إسرائيل . . وإن كانت إسرائيل يمدوانها لن تتيح الفرصة أبداً لكي ينساها الشعب أو تتجاهلها « الثورة » !

يقول كوبلاند : « قد تمادي » محمد نجيب « في حديثه فقال : إنه غير مهتم بفلسطين ، ولكنه عاد فالتصّل بالسفير كافرّي بعد بضع ساعات ، وطلب سحب التصريح ، واستبدل به

آخر أقل رواجاً في السوق الأمريكية ، ولكنه أكثر التفاء مع ناصر وما كنا نعرف أنه ضروري لكسب الحكومة الجديدة القبول الشعبي * .

« كان كل شيء يدل على أننا قد ضلنا إلى الطريق ، لاعباً جديداً تنطبق عليه المواصفات التي نريدها » كانت واشنطن الرسمية سعيدة ، official washington was De-
lighted

وبعض الماعز عندنا لا تزال سعيدة ، فخورة بالثورة التي فاجأت الاستعمار وقلبت خططه ، وسودت ليله ونهاره ؟! هل يمكن أن نشترك في السعادة من حدث تاريخي واحد كل من واشنطن الرسمية والقاهرة الشعبية في ذلك الوقت على الأقل . . ؟
ويقول : « ولو أن كبريت أخذ عبد الناصر بقوله إنه ليس قائد الحركة الثورية ، إلا أن أعضاء السفارة في القاهرة ، وبالذات « وليم ليكلاند » الضابط السياسي بالسفارة اكتشف على الفور أن نجيب ليس إلا الواجهة لعبد الناصر . وقد أصبح ليكلاند صديقاً للضباط الأحرار من جماعة ناصر من خلال « محمد حسين هيكل » ** الذي أصبح فيما بعد أقرب أصدقاء ناصر ومحل ثقته ولكنه وقتها كان مجرد محرر يعمل في صحيفة يملكها صديق ناصر « مصطفى أمين » ١١٢ . ومن خلال هيكل قابل « ليكلاند » عدداً كبيراً من قيادات الضباط الأحرار بما فيهم ناصر . وخلال الشهور التي تلت الانقلاب كان يرحب بهم باستمرار في شفته المظلة على النيل . وبينما الشعب المصري في الخارج يبتف لنجيب ، كانت السفارة عبر « ليكلاند » قد بدأت تتعامل مع ناصر باعتباره الرجل الوحيد الذي يملك القرار ، واستمر السفير يقابل نجيب أحياناً في زيارات رسمية أو لتسليمه رسائل من واشنطن ، وخاصة إذا كانت من النوع الذي لا يتم السفير بضياعه ! . أما العمل الحقيقي بين الحكومتين الأمريكية والمصرية فكان يتم بين ليكلاند وناصر ، أو بالاحرى بين « ليكلاند وهيكل وناصر » ١٢٢ .

« بعد الانقلاب نجب روزفلت وأعضاء لجته الخاصة ، أي اتصال مباشر مع ناصر ، وكانوا سعداء بمراقبة التطورات في مصر من بعيد ، وكان هذا من ناحية لتجنب شبهة المؤامرة معه . ومن ناحية أخرى ، لأن الأمور كانت تجري في الاتجاه الذي خطط له . وليس إلا بعد وصول ايزنهاور للسلطة (١٩٥٣) حتى أننا قررنا أن نكرس اهتماماً مباشراً لتقدم ثورة ناصر . كانت رغبة شخصية من ايزنهاور ، أن نقوم بدراسة هذا اللاعب الجديد بدقة . أولاً

• ملفات الخارجية الأمريكية التي نشرت بعد كتاب كويلاند بـ ٨ سنوات وبعد كتابنا بستين أكدت هذه المعلومات عن موقف محمد نجيب وسيرى الفاري ، ذلك .

••• ليكلاند تعرف أو صادق ضباط الثورة من خلال هيكل . . هل عرفت الآن ، لماذا يتظاهر هيكل بالغفلة وينكر معرفته إذا كان ليكلاند بدأ رجل غابرات أم جندوه على كبر ١٩ . .

لتأكد أنه يمضي كما توقعنا . وهكذا فعشية زيارة جون فوستر دلاس للشرق الأوسط قرر دلاس (. . أيها ؟ ج) : « لقد حان الوقت لنرى : « الأولاد دول حيطلع منهم إيه » . وهكذا أمر روزفلت بإرسال : « رجل عسكري للقاهرة ليقومهم (من التنظيم ج) واختار روزفلت « ستيف ميد » رجل الانقلاب السوري » .

ويبدو أن مجموعة مايلز كوبلاند لم يسعدها التدخل في شئونهم . أو التفشيش على شغلهم ، وربما دسوا للرجل عند عبد الناصر ، على أية حال كوبلاند يدعي أن « وصول ميد » أثار عبد الناصر ، إذ اعتبره دليلاً على أن وزير الخارجية دلاس يعتقد أن ثورته لا تختلف عن انقلابات أمريكا الجنوبية » .

ومع ذلك فإن دراسات ميد مثيرة والحوار « النظري » في دوائر المخابرات الأمريكية يفوق في ثورته مناقشات هيئة التحرير في ذلك الوقت ، كما يبدو أثره واضحاً في مناقشات التنظيم الطليعي فيما بعد !!

« قال كيم روزفلت لدلاس : « لا يمكن أن نحقق ثورة بدون ثورين » !!
أما نظرية ميد فهي : « إن سوريا لا يستقر بها انقلاب بسبب كثرة الانقلابيين . أما مصر فلم تكن ثورة ، ولا انبثقت من ثورين ، بل نتيجة تخطيط وتنظيم عبد الناصر ولذلك سيعيش انقلابها ، وهؤلاء الفتية (أعضاء مجلس الثورة) يعتبرون أنفسهم عصاة » روين هود ، كتب « ميد » ذلك إلى روزفلت وأضاف إنه « يسعدهم أن يوصفوا بأبطال الثورة ولكن لم أجد فيهم واحداً يستطيع أن يصف لي ماهي الثورة ، إنهم غير مهتمين بالسياسة الحسن حظ ناصر ، وحسن حظنا جميعاً . . فهم يطلبون ويحتاجون لشخص يخبرهم كيف يفكرون وماذا يفعلون . . ولن تكون هناك مشكلة في التخلص منهم » .

وهذا صحيح تماماً . . ويفسر كيف تلاعب أصحاب الحظ الحسن بالدرأوش من طراز بغداددي وكمال الدين حسين وأمثالهما من الذين لم تكن لهم خلفية سياسية ، وكيف « جن » صلاح سالم فور أن تعلم السياسة ، وكيف قال ناصر بصريح العبارة لخالد : « لا مكان لك في مصر ، لأنه كان يعرف « شوية » سياسة مع الكثير من السداجة !

قال « ميد » في « فلسفة الثورة » غير المنشورة :
« إن انقلاب ناصر لم يسقط النظام بل أقامه ، فالعمل السري قبل الانقلاب لم يكن يستهدف بناء قوة ثورية تستولي على السلطة ، بل إلى وضع رجاله في مراكز السلطة حتى يتمكنهم أن يصدروا الأوامر عبر التسلسل الوظيفي المشروع . وكانت المشكلة هي في إيجاد مركز له يعادل دوره في التنظيم السري ، ولكن محمد نجيب ، حل هذه المشكلة (برئته العالية ج) وإن كان قد سبب نتائج عكسية » .

« قال ناصر للجنترال كابل نائب مدير المخابرات الأمريكية إنه اختار الاعتماد على الضبط والربط في الجيش في تنفيذ الحركة » .

« مييد الذي حاول إقناع حسني الزعيم بخلق تركيبة مرتبطة بانقلابه اعتبر ما فعله عبد الناصر يجب أن يكون دليل عمل لأي محاولة أخرى . . وهو كيف تدبر انقلاباً وكيف تدعمه بعد النجاح » .

« إن ناصر كان يعلم أن الانقلاب سيعتمد على الجيش ، وعلى قبول البلاد للجيش ، وكان يعلم أن كل أشباه المثقفين ، والسياسيين المتطرفين والمتعصبين من كل نوع سيصفقون للثورة ، ويعتبرونها فرصة لفرض « إصلاحاتهم » ، وإذا سمح لهم فستظاهرون ويعطون انتطباعاً بحسبوية زائدة ، بل حتى ادعاء تمثيل قطاعات من الشعب . إلا أن كبح إغراء ضمهم للثورة كان ضرورياً ، فكل قيسمهم هي في الشعب الذي يثرونه . إن العامل المشترك في رجال الثورة ، أنهم لا ثوريون ١٣٢١ . فقد كانوا ينظرون إلى ناصر باعتباره الرجل القادر على بناء جيش قوي وإعادة الضبط والربط إلى صفوفه . أي تحقيق الصورة التي كانت في أذهانهم عندما انضموا للجيش » .

« إن رجال تنظيم الضباط الأحرار يعادون المثقفين ١٣٢٢ ، والفوضى ، والسيب ، وضد التحرر الاجتماعي ، والانفتاح الجنسي وغيرها من مظاهر مصر الملكية » .

« أهم عنصر - في رأي مييد - في مناعة النظام الناصري ، هو اقتناع ناصر بأن تدعيم مركزه يجب أن تكون له الأولوية على أي هدف آخر . وهذا التصميم جعل عبد الناصر يأخذ خطوات حيرت المراقبين الغربيين ، على سبيل المثال ، لقد سمح باستمرار وضع أدى إلى أضرار بالغة ، بعلاقات مصر مع السودان ، لمجرد أن ذلك يمكنه من إدانة أحد معاونيه الذي كان قد أصبح قوياً لدرجة خطيرة (هذه نقطة مهمة جداً يجب أن نرجع إليها في فصل السودان وما اكتشفه صلاح سالم من أنهم يعملون على فصل السودان . ج) ولكن « مييد » دافع عن ذلك بأنه سلوك ضروري ، ويجب ألا تنزعج من حدوثه » .

« أما رأي ناصر عن « القيادة » أو « النخبة الطبيعية » فقد وصل إلى حكومتنا ليس عن طريق « مييد » بل عبر قناة « هيكلم - ليكلاند » . وقال عبد الناصر للسفير الأمريكي : « إن إعطاء الشعب المصري الحرية قبل الألوان ، يعادل إلقاء أولادك في الشارع » . « كان يعتقد أنه يحتاج إلى حرية مطلقة في التصرف دون مبالاة بالرأي العام » .

« وهذه الآراء لم تنزعج » ستيف مييد « خبير استمرارية الانقلابات ، ولكنها أزعجت كيرميت روزفلت ، وعندما أبلغه « مييد » أن « ناصر » بعيد تنظيم القيادة لكي يقيم ديكتاتورية فاشية عسكرية ، عمل روزفلت على إرسال « جيمس ايكلمبرجر » ١٣٢٣ أحد علماء السياسة في وزارة الخارجية والذي كتب دراسات ممتازة عن النظم العسكرية في الدول المتخلفة . وكان روزفلت قد اقترح مساعدات اقتصادية ضخمة لمصر ، وعلى وشك أن

يطلب مساعدات عسكرية . وكان يعتقد أن الدراسة التي سيقدمها « ايكلمبرجر » ستمكنه من إقناع الوزير دلاس بسياسات عبد الناصر ، وإذا لم يكن بوسعه الدفاع عن هذه السياسة فيحاول إقناع عبد الناصر بتغييرها .

« وقد عين كافري ايكلمبرجر للعمل معه مباشرة بعيداً عن جهاز السفارة ، ونظم إمداده بمعلومات الخارجية والمخابرات . وكان على ايكلمبرجر أن يقدم تقرير موقف وتوصيات ، أما القرار الأخير فكان لكافري . وقد أجرى ايكلمبرجر مناقشات طويلة مع أعوان ناصر من العسكريين والمدنيين ، وبالذات محمد حسين هيكل المخبر الصحفي الذي كان خلف كتاب عبد الناصر : « فلسفة الثورة » . . ومع ناصر نفسه .

ومن محصلة هذه الاتصالات والاستجابات والفحوصات - يقول لنا مايلز كوبلاند - تم إعداد عدة دراسات ترجم بعضها للعربية . وأرسل إلى عبد الناصر كأهم المشاكل التي تواجه الحكومة الجديدة وأساليب معالجتها ، وأهم هذه الدراسات ، واحدة بعنوان « مشاكل السلطة لحكومة سورية » ١٦٠ (وقد وضعها كوبلاند في ملاحق كتابه ومن شاء الرجوع إليها « للاستفادة » فليعمل ج) وقال : « وترجمت للعربية ، وعلق عليها ، عدد من معاوني ناصر ، ثم ترجمت مرة أخرى للإنجليزية ليضيف إليها ايكلمبرجر وينقح ، وهكذا من الانجليزية للعربية وبالعكس حتى ظهرت النسخة الأخيرة منسوبة لـ « زكريا محيي الدين » ، وتقبلها العالم بما في ذلك السي آي ايه على هذا الأساس !!

وقال كوبلاند :

« ولندكر أن جوهر القضية في دعمنا لناصر هو أن يصبح لنا في السلطة في واحدة من أهم الدول العربية ، القائد الذي تتوافر له السلطة الكافية لفرض قرار غير محبوب مثل توقيع السلام مع إسرائيل . ولذا فإن أول خطوة في برنامجنا وبرنامج ناصر هي فرض سلطته هذه ، ولو بالقوة » ١٦١ .

وعندما اعتذر ناصر لجونسون المبعوث الشخصي للرئيس الأمريكي عن عدم استطاعته إقناع شعبه بقبول مشروعات جونسون لاقتسام مياه الأردن مع إسرائيل ، فسأله جونسون كيف يكون قائداً صالحاً إذا كان يوافق شعبه ؟! رد عبد الناصر : « إن أولى مهام القائد هي أن يبقى قائداً ، فإذا تمكن من ذلك يستطيع وقتها أن يدبر كيف يكون صالحاً . . وأنا أعرف أن الغوغاء في بلادي إذا تركوا لغرائهم فيضرون أنفسهم . . ولكن هذا لا يعني أنني أستطيع تجاهل عواطفهم دائماً » .

وفسر كوبلاند ذلك بأن سياسة عبد الناصر ، هي اللعب بشعارات الجماهير العاجلة التي لا تثل مصالحها الحقيقية لكسب الوقت حتى ينمو فيهم الوعي بمصالحهم الحقيقية ، على أن يتم ذلك بالتناسق مع امتلاك الوسائل لتحقيق هذه المصالح .

وإذا كان التعاون التنفيذي بين المخابرات الأمريكية ورجال عبد الناصر ، قبل الانقلاب ويوم الانقلاب لا يزال من الأسرار ، وربما يبقى كذلك ، خاصة إذا لم نعرف من هذا الشخص العجيب الذي كان رئيساً « لحظة » المخابرات الأمريكية في مصر ، والذي كان في نفس الوقت رجل عبد الناصر . إلا أن المعلومات أكثر عن التعاون الوثيق بين الأمريكان ونظام عبد الناصر بعد ٢٣ يوليو ، وفي الميدان الذي يعتبر من أخص خصائص السيادة ، والذي يستحيل تصور وقوع التعاون فيه بين استعمار وثورة . . بل حتى بين دولتين تحرص واحدة منها على سيادتها وأمنها واستقلال قرارها . . وأعني ميدان الأمن والمخابرات فضلاً عن الإعلام والعلاقات الأمريكية - المصرية . .

فلما جانب الدراسات والمحاضرات والتعليقات التي يحفل كتاب كويلاند بنماذج منها^{١٨٢} . . توجد اعترافات ناصرية تزيد هذا التعاون فبالإضافة إلى رواية حمروش التي نقلها عن فريد طولان والتي تقتصر على تقديم الأمريكان ، منذ اللحظة الأولى خبرتهم لتنظيم المخابرات ، وإنشاء المعهد الاستراتيجي في برج الجزيرة الذي دفعت المخابرات المركزية الأمريكية ثمن إنشائه (!) وكانت تدرس فيه محاضرات المخابرات المركزية الأمريكية عن طريق شركة بوز آلف هاميلتون^{١٨٣} لضباط المخابرات والمباحث وذلك حسب رواية فريد طولان مدير المعهد بالإضافة إلى هذه الشهادة بالجذور الأمريكية للمخابرات الناصرية ، ظهرت شهادات جديدة أكثر صراحة فقد اعترف بعض رجال المخابرات أنهم كانوا يدرسون في هذا المعهد على يد رجال المخابرات الأمريكية . وإن « مايلز كويلاند » كان يحضر أحياناً للفتيش^١ وكان يُرى دائماً متباطئاً ساعداً « الألفة » حسن النهامي !

« كان النموذج الأمريكي هو المثال الذي تهدي به أجهزة المباحث والمخابرات في ذلك الوقت . وقد تسربت أجهزة المخابرات الأمريكية إلى بعض ضباط هذه الإدارات ، كما حدث عندما ذهب البكباشي أحمد حلمي مدير قسم مكافحة الشيوعية بالمباحث العامة إلى أمريكا لعمل غير معروف دون استئذان أو إبلاغ الجهات المختصة ، إذ كان قد أبلغ أنه يقضي أجازته السنوية في قبرص وشوهد هناك مصادفة ، ولما علم « زكريا محيي الدين » بذلك أصدر قراراً بإحالة إلى الاستبداع ، حيث بقي لمدة عام ، وانتقل بعد ذلك إلى أجهزة البوليس العادية بغير محاكمة . حدث التسرب الأمريكي رغم أن وزارة الداخلية لم تحتفظ في المباحث العامة سوى بأربعة ضباط فقط من رجال البوليس السياسي السابقين ورغم أن العسكريين فرضوا إشرافهم على وزارة الداخلية منذ الأيام الأولى^٢ »

إن الخراج رجال السراي والانجليز من المباحث العامة ، وسيطرة العسكريين المتحالفين مع الأمريكان ، كان الشرط الضروري لتوافر المناخ الصالح للتسرب الأمريكي . وهذه غلطة قاتلة تسقط فيها هذه الانقلابات ، إذ أن الانفتاح والتعاون الصريح مع أجهزة

المخابرات الأمريكية أو الأجنبية يعطيها شعوراً كاذباً بالاطمئنان^{١٢} ، إن هذا الأجهزة لن تلعب من وراء ظهرها ، ولن تحاول تجنيد عناصر داخل أجهزتها المحلية ، وهذا وهم ، لأن المخابرات الأجنبية تنتهز هذا المناخ ، وهذا الانفتاح ، لزرع عناصرها ، وتدمير العناصر الوطنية المعارضة في أجهزة الأمن . . . ولعل هذا يفسر لنا السهولة التي يتم بها الانقلاب الأكثر أمريكية فيما بعد ، أو حتى اغتيال رئيس الدولة أو اعتقاله من أقرب المقربين له أو من يظن أنه أخلص أعوانه . . . إن فترة التعاون مع المخابرات الأمريكية ، قد أدت إلى تسرب لا يعلم أحد مداه ، من جانب هذه المخابرات داخل مؤسساتنا ، وخاصة أن الذي يقبض عليه متلبساً - إن صحت رواية حمروش - يعاقب بالاستبداد سنة ثم يعاد للخدمة معزراً مكرمأً بلا محاكمة ، في وقت كان العمال يشفقون فيه لأنهم يطالبون « ثورتهم » بتحسين أحوالهم ، وكان من يضبط بتهمة إعطاء بعض الطعام لأسر المعتقلين من الإخوان يسجن ربع قرن^{١٣} . ويقول حمروش : أرسلت الحكومة المصرية عدة بعثات تدريبية في أعمال البوليس والمخابرات مثل الصاغ حسين عرفة رئيس المباحث الجنائية العسكرية المعروفة بالبوليس الحربي الذي حصل على فرقة في معسكر كامب كوردون بولاية جورجيا . وهذا مثل وحيد لعشرات من الفرق .

وحمروش حزين أو غائب لأن « الثورة المحبوبة » استعانت بأسوأ العناصر ، من أعوان النظام المنهار بل التغايات التي كانت الحركة الوطنية قد عزلتهم تماماً مثل نجوم دار أخبار اليوم . . . ومثل « حسين عرفة » الذي كان يتولى حراسة الملك فاروق في الكباريات ، من خطر الضباط الأحرار . تولى بعد الثورة حماية هؤلاء الضباط من الشيوعيين ولكن بعد التدريب في أمريكا ويقول حمروش : « حاولت حركة الجيش أن تواصل لعبتها السياسية في التسرب داخل صفوف الشيوعيين ، كما فعلت ذلك مع الإخوان المسلمين ، فكلفت بذلك « حسين عرفة » رئيس المباحث الجنائية العسكرية » : « لعبت المخابرات المركزية (الأمريكية) دوراً كبيراً في إفساد العلاقة بين التنظيمات الشيوعية المعبرة عن آمال الفلاحين والطبقة العاملة وبين حركة الجيش التي فرصت نفسها بقوة السلاح مثلة للطبقة الوسطى » .

الأمريكان وعبد الناصر بعدان بشكوين طبقة وسطى بعد عمر طويل ، والسيد حمروش يفتي بأن حركة الجيش هي حكم الطبقة الوسطى !؟

ويستعرض حمروش نماذج شديدة النجاح في تغلغل رجال الثورة في الأحزاب السياسية وتزويقها من الداخل ، وهو لا يريد أن يقول صراحة ، إن الفضل في ذلك لنفس القوى التي استطاعت استئصال التنظيمات الشيوعية ، لأن رجال الثورة كانوا بلا خبرة تقريباً ، فكيف يتمكنون من تزويق أحزاب أعرق وأحفلى بالخبرات ؟ بل إن التنظيم السري للإخوان كان

• قال بوب ودوارد في كتابه « المحمي » إن المخابرات الأمريكية تغلغلت في مصر على جميع المستويات .

أقوى وأكثر انضباطاً من تنظيم الضباط الأحرار ، مع فارق الدبابات والنصيحة الأمريكية . . . والشبوعيون كانوا أخير بطن النسل . . . حموش وأمثاله لا يريدون الإفراج بفضل المخابرات الأمريكية في التمكن لثورة بوليو . . . وهذا من قلة الوفاء الذي انتقده « أمين هويدي » بحق . وإن كان هو لم يتسم بالوفاء على الوجه الأكمل ، وإلا لأشاد بالمساعدة « الأخيرة » « النيلة » التي قدمتها المخابرات الأمريكية حامية « الثورات » وفائدة معسكر الشعوب الخشاشة ! . . .

وقد شهد « محمد حسين هيكل » بواقعة مدرسة الكادر هذه التي أقيمت بإشراف وتدريب المخابرات الأمريكية ، وكانت النواة لجهاز المخابرات المصري ، تماماً ، كما حدث مع جهاز « السافاك » الإيراني إذ يقول « منصور رفيع زادة » رئيس مكتب السافاك في نيويورك وعضو الـ CIA في نفس الوقت : « في ١٩٥٧ أنشئت « السافاك » باتفاق من الـ CIA والمخابرات البريطانية والموساد (مخابرات إسرائيل) وتولى الموساد التدريب على الأعمال المكتبية وكانوا ينظرون بأنهم أساتذة أوروبيون أما الـ CIA فقد تولت كافة عمليات التدريب » وإن كان لا يفوته أن يقول إنه بعد التدريب لم تطأ قدم أجنبي مفر السافاك !! (ولزمت إيه الأجنبي مادام قد تم تدريب القرد ! . .) .

وبحدثنا هيكل عن الأربعة الذين تم تدريبهم على يد الأمريكيين ليؤدوا مخبرات الثورة . . . فيقول إنهم : « كمال رفعت » و « لطفي واكد » و « حسن التهامي » و « صلاح دسوقي » وأنهم ذهبوا إلى الولايات المتحدة لكي يحصلوا على تدريب مخبرات خاص بحيث يسهل عليهم التعامل مع أساليب الاتصال الجديدة . . . وكان ذلك باقتراح من كبريت روزفلت وترشيح عبد الناصر ، (ص ٣٢٨ ع) .

هل حدث أسوأ من ذلك أيام الحماية وملش ؟!

ويدي هيكل دهشة من أن « معظم هؤلاء بعد تجربتهم المباشرة مع النشاط الأمريكي في مصر تحولوا إلى أقصى اليسار بل أصبح من بينهم أبرز أقطاب اليسار في مرحلة لاحقة » . سترك هذه فهي ليست موضوع بحثنا ، ويكفي أن نندهش بدورنا هل كان يتوقع من « كادر » تدريبه المخابرات الأمريكية للعمل في مصر الناصرية أن يعلن إيمانه بأمريكا ويؤيد غزوها لجوانبها ولا يبيع لبنان تشكلس ؟! هل هذه أصول الشغل ياكاتب « الثورة » العربية - الأمريكية ؟! . . .

ويبدو أن عصاة الأربعة هذه مثل حكاية العميان والفيل ، ففي شتى الروايات يختلف الأربعة . . . إبراهيم بغدادي أحصاهم : هو وحسن التهامي وحسن بلبل وفريد طولان وعبد المجيد فريد كانوا يتلقون محاضرات من رجال المخابرات الأمريكية CIA في مدرسة المخابرات التي أقيمت بقصر الأميرة فايزة بمدينة الزهراء ، وهناك رواية أخرى .

« وأثناء تطوير وإعادة التنظيم أمكن للزميل حسن النهامي عضو المخابرات والذي كان على علاقة بأحد رجال المخابرات الأمريكية واسمه مايلز كويلاند أن يستدعي مجموعة خبراء أمريكية (كذا) في علم المخابرات . فقامت المخابرات المصرية بتجهيز منزل أمين لهم بالقرب من شارع الهرم وتكونت المجموعة المصرية من أربعة ضباط مخابرات فقط لعقد ندوات مع طاقم المخابرات الأمريكية في جميع أوجه التخصصات لمدة ثمانية أشهر . وكان المفروض أن يتلقى حسن النهامي المحاضرات معهم ولكنه كان يحضر من وقت لآخر بمصاحبة مايلز كويلاند وهو المؤلف المشهور لكتاب « لعبة الأمم » .

وكانت هذه المجموعة التي تدربت على يد خبراء المخابرات الأمريكية التي اقترحت « تنظيماً عرضوه على زكريا محيي الدين في ١٢/٣/١٩٥٣ » وصدر القرار بإنشاء هذا التنظيم باسم المخابرات العامة في مارس ١٩٥٤ »

○ ويضمهم من هذه الروايات أن الدراسة بدأت مبكراً جداً في أوائل عام ١٩٥٣ على الأكثر .
○ ورغم أن الصياغة توحي بأنها دروس خصوصية نظمها « الألفه » حسن النهامي ، إلا أن رواية « هيكل » الأعلام تؤكد أن المشروع كان باقتراح من كيرميت وتوشيج عبد الناصر ولا أظن أن النهامي كان يستطيع إحضار مدربين أمريكيين من الـ CIA لتدريب رجال المخابرات للثورة بدون علم صاحب الثورة .

○ أن مايلز كويلاند كان موجوداً مهياً ومشرفاً من وقت مبكر جداً . .
○ أن النهامي كان يتمتع بمركز خاص مثل أبطال الرياضة في المدارس مما يسمح له بالتزويغ من الحصص ! . .

○ أن أكثر من « أربعة » كانوا يدرسون على يد الأمريكيين . . أربعة كمال رفعت وأربعة بغدادية وأربعة النهامي . . الخ . . وهذا هو المفروض والمتوقع في تشكيل مخابراتي أن لا يعلم العامل فيه إلا ما يتعلق به . .

○ يبدو أن التعاون مع الأمريكيين وتقبل التلميذ على الـ CIA كان على نطاق أكبر مما تصورنا في البداية . وهذا يتطلب إعادة النظر في تقييم تنظيم الضباط الأحرار . وربما أحس « هيكل » بما وصلنا إليه فبادر يقول : « وبشكل ما ، فإن جمال عبد الناصر لم يكن مقتنعاً بما يجري »^{١١}

لعن الله من جره إلى هذا ومن أجبره ومن أقنعه بقبول هذا الأسلوب وهذا السلوك الذي أدى إلى خراب مصر وضياع العرب ربما إلى خمسين عاماً قادمة !

يقول كويلاند : « يجب أن نتذكر دائماً ، في تعاملنا مع عبد الناصر أن قاعدة القمع هي كل شيء بالنسبة له ، ولذا يجب ألا ندهش عندما نجده بعد كارثة أبشع هزيمة في التاريخ

العسكري الحديث ، قد جلس هو ومعاونوه يفكرون لا في إعادة بناء مصر ، بل في كيفية استعادة الثقة في الجيش . . *

هذه هي رواية « مايلز كوبلاند » عن بداية انقلاب ٢٣ يوليو . . وعن الاتفاق الذي تم قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بين المخابرات الأمريكية ممثلة في « كيرميت روزفلت » منفذ الانقلاب على مصدق في إيران - فيما بعد - وبين رجال عبد الناصر . . ثم بعض الوقائع التي قدمها عن التعاون بقلب مفتوح بين عبد الناصر ورجاله والمخابرات الأمريكية بعد نجاح الانقلاب . . ولا شك أن هذا التعاون وعلى هذا المستوى هو دليل « المعرفة السابقة » إذ أن « الثورات » عندما تصل إلى السلطة بجهد ذاتي ورغم أنف الاستعمار والرجعية ، لا تفتح من اليوم الأول على هذا التحومع أخطر جهاز استعماري . .

• الحقيقة أن هذه النقطة بالذات قد روعتني خلال أحداث المذبحة والتنجي وما بعدها ، وقد كنت على مقربة من خط النار أقصد وقف إطلاق النار ، وعلى بعد كافٍ من القاهرة لكي أناسل (في بورسعيد) . . وأذهلني أنه وسط ألقاض وطن وتاريخ وأمة لم يفقد عبد الناصر لحظة واحدة سيطرته على اللعبة ومراعاته في تحريك القطع للتخلص من عامر وإحكام قبضته . وقتها قلت : هذا الرجل لا تحري في عروقه قطرة دم مصرية أو هو وحش سلطة لا أعصاب له !

• شاهد فقهي ٨٨

ورغم كل الأدلة التي قدمناها على صدق رواية « مايلز كوبلاند »* . . إلا أننا أحببنا أن نعززها بمصادر أخرى ، حتى لا يبقى في النفس شك ، وقد عثرنا على كتاب مخبراتي آخر ، من جهاز منافس للمخابرات الأمريكية ، لم يقدر له شهرة مايلز كوبلاند ، وربما كان السبب في اعتقادي ، أنه أخذ جانب العرب في عرضه للصراع العربي - الإسرائيلي ، وحمل إسرائيل المسؤولية الكبرى في إفشال محاولات السلام في المنطقة وأثبت أن إسرائيل لم تفكر يوماً تفكيراً جدياً في السلام مع جيرانها . بل كانت تفضل مفاوضاتهم بالسلاح دائماً . . ولذا كان من المحتوم أن « يدفن » هذا الكتاب ويواريه النسيان . .

والكتاب أيضاً حملة قاسية ضد المخابرات الأمريكية ، فهو يتهمها بأنها كانت أحد الأسباب الرئيسية في إفشال السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ، بل وفيما جرى من تدهور في هذا الشرق الأوسط . . لأنها - في رأيه - تجاوزت مهمتها التقليدية ، وهي : جمع المعلومات ، وتورطت في الانقلابات ، وتغيير الحكومات ، وتوجيه السياسة الداخلية للدول العربية ، وتمثيل السياسة الأمريكية بدلاً من المؤسسات الدستورية الأمريكية العلنية ! . . والكتاب مع « نيل مقاصده » ، أو على الأقل صدقه ، يتميز بالسذاجة ، فهو يشامر مع

* هذا ما كتبناه من ثلاث سنوات ، وأظن بعد رسالة « مصطفى أمين » وبعد اعتراف هيكمل بأن « كيرميت روزفلت » المذنب السامي الأمريكي قد جاء « كوبلاند » لإدارة العملية في مصر ، وبعد كل النصوح التي وردت في كتب النهامي وهيكمل وغيرهما عن دور كوبلاند ، لم نعد بحاجة إلى المزيد للتأكد من أهميته وحقيقة دوره وصدق رواياته .

السياسي السوري ميخائيل العليان ، على قلب الحكومة السورية ويدفع له نصف مليون ليرة
لرشوة ضباط الجيش السوري والصحفيين . . ثم يسأله في براءة : « وهل سندفع أيضاً
للسياسيين السوريين . . أم أن غيرتهم الوطنية وحرصهم على إنقاذ وطنهم فيه
الكفاية ؟ » . .

ويعلق هو نفسه بأن المأمر السوري ، « نظر إلى نظرة أمي عندما كنت أعملها على
روحي ! »^{١٢}

ولذلك فرغم أنه كان داخل العملية ، إلا أن المخابرات الأمريكية اعتبرته دائماً من الغرباء
أو « الظهورات » يقول : « من محادثات مع مندوب CIA اقتنعت بأنهم يعتبروني متطفلاً
يستحسن أن أبتعد عنهم » .

فهو أساساً من جهاز منافس هو « المخابرات العسكرية » التابعة لوزارة الدفاع . . وحتى
في العملية الكبرى التي اشترك فيها وهي تدبير انقلاب في سوريا عام ١٩٥٦ والذي فشل فيها
فشلاً مدوياً ، ودفع سوريا خطوات أبعد في الاتجاه المعادي للغرب والمصادق للاتحاد
السوفيتي . . حتى في هذا الانقلاب ، أخفيت عنه الكثير من الحقائق كما يعترف هو نفسه :
« استتجت أن هناك جوانب من العملية لم أحظ بها علماً ، ولم أغضب ، إذ لم يعدني أحد
باطلاحي على كل ما تفعله المخابرات CIA في عملية سوريا »^{١٣} مع أنه كان في قلب
العملية ، وكان يعمل بعقد - وقتها - أو متدبئاً من وزارة الدفاع للمخابرات الأمريكية . .
وهو الذي كان ينقل الأموال كل ليلة إلى القصر الجمهوري في عهد شمعون لشمويل تزييف
الانتخابات التي كانت السبب في ثورة لبنان عام ١٩٥٨ . . وهو الذيفاوض ناصر على قبول
الدفاع المشترك وهدده بأن حلف بغداد سيضم كل الدول العربية ويترك مصر وحيدة . .
وعمل في سياسة الأحلاف من عام ١٩٥٣ .

وقد فشلت مؤامراته* ، وثبت خطأ تحليلاته ، وحطم ناصر و « أصدقاءه » حلف بغداد
وعزلوا العراق ولم تعزل مصر . . وهو يعتقد أن المخابرات الأمريكية أورد رجال ال CIA هم
الذين أفلسوا جهوده ، وهو يحملهم مع إسرائيل ، أو حتى قبل إسرائيل ، مسئولية فشل
السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط .

* قبل الآن للاعتقاد أنها كانت مؤامرة « فشك » لدفع سوريا إلى أحضان عبد الناصر متعاً لاستيلاء
الشيوعيين على الحكم أو قيام حكم متحالف معهم في دمشق : فقد ارتكب في هذا الانقلاب كل
الأخطاء المحفوظة . والأمريكان الذين نقلوا أول انقلاب في سوريا ، وأخرجوا عبد الناصر منها
بالانقلاب . . لا يمكن أن يكون هذا أسلوبهم إلا عن قصد .

وهكذا فإذا كان كتاب « لعبة الأمم » هو دفاع المخابرات الأمريكية عن دورها في الشرق الأوسط ، وبالذات عن مراهقتها على عبد الناصر و « ثورة » ٢٣ يوليو ، واعتذارها بأن مخططاتها كان سليماً وعبرياً ، وكان أخرى به أن ينجح لولا أخطاء وخبطات أهواء من بيروقراطي وزارة الخارجية والتاجون ، والسياسيين في الكونغرس والبيت الأبيض . . الذين أفسدوا اللعبة ودفَعوا عبد الناصر إلى الصدام مع الولايات المتحدة . . فإن كتاب « حبال من رمال » الذي ألفه « ولير كراين ايفيلاند » الذي كان يمثل جهازاً آخر منافساً هو المخابرات العسكرية ، هو وجهة النظر الأخرى فقد شن - كما قلنا - هجوماً صارخاً على المخابرات الأمريكية لأنه يبنى وجهة النظر التي كانت هامة في أروقة وزارتي الخارجية والدفاع خلال الخمسينيات والستينيات ، إلا أن النجاح الهائل للمخابرات الأمريكية في قلب حكومة جواتيمالا ، وإعادة الشاء إلى عرشه ، « وطرح عبد الناصر زعيماً للقومية العربية » . . كان يخرس هذه الأصوات ويطلق يد المخابرات الأمريكية ، ولكن في النصف الثاني من الستينيات بدأت الانتقادات والاعتراضات تصبح مسموعة أكثر ، حتى كانت السبعينيات ، وطُرحت المخابرات CIA وعملياتها وأسلوبها للنقاش بل التجريح العلني ، وفتحت ملفاتها ، وطالب السياسيون والرأي العام بحسابتها . . وارتفع صوت أصحاب الشعار القديم القائل بأن سياسة الولايات المتحدة الخارجية لا يرسمها وينفذها إلا الأجهزة المسؤولة أمام السلطة التشريعية ، وأن مهمة المخابرات هي جمع المعلومات فحسب . . ويرد رجال المخابرات بأن هذه بالطبع مبادئ نظرية ، فإن إغراء تحريك الأحداث بضربة مخبرانية ، مثل اغتيال زعيم مناوي ، أو قلب حكومة لا أمل فيها ، أو دعم زعيم متعاون . . ودفعه للسلطة . . يظل أقوى من أن يخضع للاعتبارات الدستورية والتقاليد التي لم تتجاوز الكتب والبيانات الرسمية . .

وهذه الأزمة بين الواقعية والشرعية ، تنفجر عادة ، كلما قبض على الولايات المتحدة متلبسة بفعل قبيح يتناقى مع السياسة المعلنة فضلاً عن المبادئ التي يدعيها النظام الأمريكي . . مثل تشكيل وتسليح جهاز الإرهاب الليبي أو عملية إيران أو اغتيال السفير التشيلي . . الخ . .

المؤلف « ولير كراين ايفيلاند » يعود مجدداً فيطرح هذه الشعارات عندما يقول :
« من المستحيل فهم استمرار فشل السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ، دون أن نأخذ في الحسبان ، سوء استخدام CIA (من اختصار اسم المخابرات الأمريكية وسنكتبها أحياناً السي أي ايه أو CIA) فعسى ألا يشق ذلك على القاريء ج) لمسؤولياتها واختصاصاتها في تلك المنطقة ، وإلى أي مدى أهمل مديروها ، تقدير المعلومات التي حصلت عليها ، وإلى أي مدى اعتمدنا على قدرة المخابرات الأمريكية في تنفيذ عمليات تآمرية واستغينا بذلك عن ضرورة وضع سياسة خارجية راسخة ، ودبلوماسية تقليدية ولذا فإن ما أكتبه عن نشاط

المخابرات الأمريكية وفشلها لا يقصده أن يكون مثيراً بل مجرد جزء من الحقيفة حول مشكلة وجودنا في الشرق الأوسط»^{١٤} .

ويقول : « وسرعان ما عرفت أن المخابرات الأمريكية تحت « آلن دلاس » . كان لديها قابلية محدودة للاستفادة من المعلومات عن العلاقات العربية - الإسرائيلية . لأنه تحت رئاسة « آلن دلاس » كان خبراء المخابرات الأمريكية مشغولين بالعمليات السياسية ، وأقل اهتماماً ، من المخابرات العسكرية ، بالمهام الروتينية الخاصة بجمع المعلومات ، عن الواقع القائم فعلاً . . إن تحليل الـ CIA لا شك في كفاءتهم ، ولكنهم كانوا في المرتبة الثانية داخل الـ CIA بالنسبة لزملائهم العاملين في الخدمة السرية »^{١٥} .

أي أن النجاح الذي حققته عمليات التآمر ، ونتائجها السريعة والمثيرة ، جعلت الجهاز كله يهتم بهذا اللون أكثر من جمع المعلومات وإصدار التحليلات . . فهدمت ثملك تغيير الواقع بشراء حفنة من الضباط ، أو بعشرة آلاف دولار كما نفتخر مجموعة كبريت روزفلت التي اشتركت في قلب حكومة مصدق ، وإقامة أقوى عميل لأمريكا لمدة ربع قرن . . أو حتى بمليون دولار كما جاء في كتاب روزفلت نفسه ، مادام يمكن تغيير الواقع بهذه السهولة ، فلماذا إنفاق الجهد في دراسة المجتمع الإيراني ، على طريقة الانجليز قبل مائتي سنة !؟ وهكذا تراجع قسم التحليل والمعلومات ، وأصبحت الشهرة والحظوة من نصيب العاملين في الميدان وفي قسم المؤامرات . . وهذا زعم المؤلف بالطبع . . ولا ثملك نفيه أو إثباته وإن كنا نعتقد أن قسم المعلومات ربما لم يقصر ولكن « التنفيذ » يعلم ما يجب لا ما يدرس له !

يقول : « عندما أصبح « فريستردلاس » وزيراً للخارجية و « آلن دلاس » شقيقه مديراً للمخابرات الأمريكية . فإن كل رؤساء المخابرات العسكرية وأيضاً إدجار هوفر (مدير المباحث الجنائية ج) تخوفوا من أن تأخذ العمليات السرية للـ CIA الأولوية على مهمة جمع المعلومات . وقد تحققت المخاوف عندما قامت المخابرات الأمريكية بتوجيه من آلن دلاس ، بتغيير الحكومة في إيران ١٩٥٣ وقلب النظام في جواتمالا ١٩٥٤ بالإضافة إلى أن عمليات الـ CIA بدأت قبل أن يصبح آلن دلاس رئيساً ، وأصبح لها وجودها ، مما جعل من الصعب على الولايات المتحدة التخلي عنها » .

وقد ختم كتابه بأمنية تقول : « أمل أن تنفرغ الـ CIA لمهمتها الأصلية وهي جمع المعلومات ، وتجنب إغراء العلاج السريع ، بتدبير انقلاب ، وهو الأسلوب الذي كلف الولايات المتحدة غالياً في الشرق الأوسط . . لقد شبعنا من هذا الدواء » .

وسنجد خلال استشهاداتنا من كتابه ، عشرات الأمثلة على التناقض بين موقفه هو والجهة التي كان يمثلها ، وبين الـ CIA ورجالها وأساليبها . . وليس يعنينا تناقض الرجلين أو الكتابين ، وإنما نهتم بما يظهر من حقائق على ضوء خلافهما . . وقد اخترنا هذا الكتاب بالذات لأنه ينتهي « في هامش إحدى صفحاته » دور المخابرات الأمريكية في قلب النظام

الملكي ، ويرى ساحة السفير الأمريكي كافر من هذا الغدر ، بل يشيد بأخلاقه
بعبارة ، إن كان صادقاً فيها فهو حقاً شديد السذاجة ، ويستحق ما ناله من فشل في كل
مهماته ، وإذا كان نخدعنا بها فهو يستحق حقاً نظرة أخرى من نظرات أمه ! إلا أن إجابة
كبريت روزفلت ، التي رد بها على سؤاله الساذج ، والتي استشهد بها هو على انعدام دور
المخابرات الأمريكية في انقلاب ٢٣ يوليو . إجابة تكشف مدى تقديرهم لتفكيره وروح
الفكاهة عند كيم هذا ، وقارن إجابته هنا بإجابته على سؤال محسن محمد بعد خمس
سنوات ١١ غير أن الرجل بلا شك صادق في رواية « ماراه » وكان الأخرى به ألا يصدر
أحكاماً قاطعة فيما ليس له به علم ، ففي عام ١٩٥٢ كان هو لا يزال في المدرسة يدرس اللغة
العربية ، متديباً من القوات المسلحة للعمل في المخابرات العسكرية ، وقد رأينا أنهم في
المخابرات الأمريكية لم يطلعوه على كافة أسرار العملية التي لعب فيها الدور الرئيسي ، فكيف
كانوا سيطلعونه على ما لم يشهده ولا دور له فيه ؟!

المهم قال في هامش صفحة ٩٧ - ٩٨ التالي حرقياً :

« نسب كوبلاند في كتابه لعبة الأمم ، الفضل لكبريت روزفلت في قصة الثورة السلمية
التي مكنت فاروق من التنازل عن العرش دون أن يصاب بأذى ، ونظم إحلال سياسيين
محله ، وأن روزفلت وافق على انقلاب عسكري مدعياً لرأي كافر بأن الجيش وحده يمكن
أن يواجه تدهور الحالة . وهذا لا يتنافى فقط مع أخلاق كافر ولكن أيضاً عرفت أن انقلاب
٢٣ يوليو فاجأ الـ CIA تماماً ، وأول معلومات جاءت عبر ليوتنانت كولونيل إيفانز مساعد
الملحق الجوي بالسفارة الأمريكية ، الذي كانت له اتصالات مع ضباط مجلس قيادة الثورة .
وعبر وليم ليكلاند السكرتير الثاني بالسفارة* . كافر أصر على توديع فاروق حتى خرج من
مصر وبذلك حظي باحترام مجلس الثورة الذي رأى هذا الدبلوماسي البارز لا يتعامل إلا مع
الرئيس الشرعي للدولة^{١٦} . ولولا أن المخابرات CIA قد وجدت في « ناصر » عميلاً آخر
ممكناً مثل الشاه . لاستمر كافر يتعامل مع نجيب ثم مع ناصر مقدماً النصيح الطيب** .
الذي ربما جنب الولايات المتحدة الكوارث التي حدثت فيها بعد*** . . .

• لاحظ ما قاله كوبلاند عن قناة هيكل ليكلاند التي نقلت رأي عبد الناصر عن النخبة وارجع إلى
ما قاله مصطفى أمين عن ليكلاند هذا . . . في الثورة . . . مع الاعتذار لأن هشام ولكل ثورة . . .

••• لعمل المستر بيرداه بعد الاطلاع على ما أفرج عنه من وثائق السفارة ليجد أن السفير كافر كان في
مقدمة من توسعوا هذا الخبر في عبد الناصر .

•••• نظريته أن « الثورة » قامت بعيدة عن المخابرات الأمريكية ، ولكن بعد قيامها رأت المخابرات
الأمريكية إمكانية تحويل ناصر إلى عميل مثل الشاه فدعته فجد نجيب واستقلت بالعمل معه من وراء
ظهر السفارة والمستقر !

وفي عام ١٩٧٢ ناقشت مع كيم روزفلت الادعاء بأن الـ CIA ربت سقوط فاروق . وكان روزفلت وقتها يربح من شركة تمثل الشاه وبعض العرب في واشنطن ، وكان كيم قد أصبح متواضعا فرد على سوالي بأنه ما كان ليحصل على ثقة زبائنه من الملوك لو كان فعلاً خلع الملك فاروق ، . . . !

هذا ما قاله . . وهو كما ترى لا يستند إلى دليل ، أكثر من عدم علمه ، فهو لم يقدم دليلاً واحداً على مفاجأة السي أي ايه بالانقلاب ، بل بالعكس إن علم إيفانز وليكلاند وهما من رجال المخابرات يجعل علم رئاستهما أمراً مؤكداً . بل إن إيفانز بشهادة محسن محمد كان يجرضهم على الثورة ولم يفسر كيف يكون الانقلاب مفاجأة أي عملية وطنية مصرية ، وكيف نجح السي أي ايه بسرعة في « ناصر » إمكانية شاه آخر ١٩٠٠ . أمارد كيم روزفلت الذي كان يعمل في استثمار أموال الملوك وتقديم الاستشارات لهم ، فهو رد طبيعي ومتوقع فيما كان روزفلت بالذي يفخر في ١٩٧٢ بأنه هو الذي أهدى المنطقة « إعصار عبد الناصر » ولا كان هناك من سبب يدفعه للاعتراف بذلك لهذا الغريب الذي قرر روزفلت - من قبل - عدم إعطائه المعلومات عن العمليات التي كان إيفيلاند نفسه يقوم بها والذي أنشل رجاله في الـ CIA . . مهمته في مصر على الأقل .

ورغم ذلك فنحن نقبل إيفيلاند كشاهد نقي ، لأن روايته وشهادته بما شاهدته وسمعه عن تلك الفترة تدعم رواية كوبلاند إلى أقصى حد ، وبالذات لأنه شاهد نقي . . وهو الذي قال على أية حال الآتي :

« منذ أوائل الخمسينيات جند كيرميت روزفلت ومحطة السي أي ايه في القاهرة ، ثلاثة من الصحفيين المصريين البارزين « كمملاء » للمخابرات الأمريكية هم : محمد حسنين هيكل والأخوان أمين . . مصطفى وعلي . . وأن ناصر كان يعرف ذلك^{٢١٢} »

وهو الذي قال إن المخابرات الأمريكية هي التي أقامت « صوت العرب » من الناحية الفنية بتزويده بالمعدات الميكانيكية ، ومن الناحية الدعائية بالخبراء في الدعاية . . وهذه أشياء رآها وسمعتها بنفسه ، ومقارنتها بما جاء في كتاب مايلز كوبلاند ، ورسالة مصطفى أمين ، وشهادات الناصريين والضباط والأحرار يستطيع أبسط الناس أن يكون فكرة عن مدى سيطرة المخابرات الأمريكية على الأحداث التي جرت في مصر ابتداء من عام ١٩٥٢ ومدى التعاون بين نظام ٢٣ يوليو وهذا الجهاز . . وكما قلنا ألف مرة ، ليس الهدف اتهام أحد ، ولا إثارة أحد ، وإنما محاولة لفهم التاريخ ، والاستفادة من دروسه وعبره^{٢١٣} . .

قال في شرح ارتباط المخابرات الأمريكية بالمخابرات الإسرائيلية ونشاط كيم روزفلت في الشرق الأوسط .

« خلال عمل « جيمس انجلتون » في المخابرات (O.S.S) في الحرب العالمية الثانية ، كون علاقات مع مجموعات المقاومة اليهودية في لندن ، وتم تبادل المعلومات بعد ذلك مع الموساد ، وأصبحت الـ CIA تعتمد على الموساد (المخابرات الإسرائيلية ج) اعتماداً كبيراً ، في معلوماتها عن الدول العربية . وفي إيران كان كيرميت روزفلت خبير آلن دلاس في الشرق الأوسط منشغلاً ببناء « السافاك » لضمان عدم خلع الشاه مرة ثانية* . والآن عرفت أن إلحاح روزفلت على أن مصر - جمال عبد الناصر ، يمكن استخدامها لخدمة أهداف أبعد للولايات المتحدة في الشرق الأوسط ، ينظر إليه (أي لهذا المطلب ج) بحذر من قبل معظم خبراء وزارة الخارجية . ولكن الأخوين دلاس كانا موافقين على السماح لروزفلت بأن « يدبر رأسه » (أو يجرب محاولته ج) مع ناصر في الوقت الحاضر . وإذا وضعنا في اعتبارنا سيطرة فوستر دلاس على استراتيجية الولايات المتحدة الخارجية ، فقد كان ذلك يعني إعطاء موافقة حكومية على خطط روزفلت بالنسبة لناصر»^{١٧}

بدون انفعال ! ماذا تعني هذه الفقرة ؟

١ - كيرميت روزفلت نائب مدير المخابرات الأمريكية لشئون الشرق الأوسط ومنفذ الانقلاب الأمريكي في إيران ، و « صديق » مصطفى أمين من الحرب العالمية ، والذي عن طريقه قدمت المخابرات الأمريكية خدمات لها مردود مالي « لأخبار اليوم » بنص رسالة مصطفى أمين . . .

٢ - هذا الكيرميت روزفلت يراهن على أنه سيستخدم مصر الناصرية لمصلحة أمريكا .

٣ - خبراء وزارة الخارجية يشكون في نجاح هذه العملية .

٤ - آلن دلاس مدير المخابرات وجون فوستر دلاس وزير الخارجية ، وهما بلاشك أكثر

علماء بحجج وإمكانات روزفلت ، وافقوا على إعطاء فرصة لروزفلت لامتحان « اختراعه » في مصر . . . ١٩

أليست هذه علاقة طيبة جداً مع المخابرات الأمريكية ؟

كيف قامت هذه الآمال إلى حد المراهنة عليها في خاطر نائب مدير المخابرات الأمريكية

والرجل الذي يلعب في السياسة المصرية ، وصديق الملك فاروق منذ الأربعينيات ١٩

كيف لم تساوره هذه الآمال لا هو ولا غيره عن هوشى منه أو ماوتسى تونج أو كاسترو

• اعترف مدير مكتب « السافاك » في نيويورك بهذا الدور للأمريكان في إقامة السافاك وهذا الافتتاح على الأمريكان والثقة قبهم إلى حد قبول الشاه تعيين عميل الـ CIA مديراً لمحطة السافاك في أمريكا . . . وقد دفع الشاه ثمن هذا التعاون غالياً ، فعندما صدرت الإشارة من أمريكا بالتدخل عنه ، وجد كل عناصر « السافاك » تعمل ضده ! ولا نندي ما الذي يجعل قبول الشاه وضيافته القريب على يد رجال الـ CIA عمالة ، ونفس الفعل من ناصر وضيافته ثورية ١٩

وساورته - دون سابق معرفة - مع ثورة « فاجأته تماماً » ١٩ . . . وبلغ من قوة أسبابه في هذه الآمال أن وافق وزير خارجية أمريكا والمدير العام لمخابراتها على إطلاق يده ليستخدم « مصر - عبد الناصر » في خدمة أهداف الولايات المتحدة ١٩ . . .

بدأ اتصال المستر « ولركراين ايفلاند » بمصر بعد توقيع اتفاقية الجلاء ، وله فيها ملاحظة في منتهى الدقة . إذ قال إن أول مشاريع الدفاع الغربية عن الشرق الأوسط هي المعاهدة التي وقعها عبد الناصر مع بريطانيا في ٢٤ أكتوبر ١٩٥٤ . . . لأنها أعطت بريطانيا الحق في العودة إلى مصر إذا ما وقع عدوان على تركيا . . . أو المنطقة العربية . . . وهذه سترجع لها في فصل الأحلاف . . .

المهم يقول : « أخير » محمود فوزي « السفير الأمريكي » ، إن مصر قررت بعد دراسة مكثفة ألا تطلب سلاحاً من أمريكا (ج ؟) ولكنها تطلب زيادة المعونة الاقتصادية . وقد أثار التقرير ثائرة ممثلي الـ CIA في مجلس تنسيق العمليات O.C.B وقالوا إن السفير الأمريكي ليس له مذاخيل (entree) مع رئيس الوزراء ناصر . وأن جميع المفاوضات الأمريكية الخاصة بالمساعدة العسكرية - على حد قوفهم - كانت تدأ بين ناصر وكيرميت روزفلت بناع الـ CIA ٢٢٢ وأفراد محطة ١٨ الـ CIA في القاهرة . وبناء على ما ذكره « روزفلت » فإن « ناصر » يريد مناقشة صريحة لإمكانات تقديم مساعدة عسكرية لمصر . وأن الـ CIA دبرت إعطاء ناصر ٣ ملايين دولار من المصروفات السرية . وكذلك اقترحت CIA تقديم معونة عسكرية لمصر في حدود أربعين مليون دولار ، وبما أن هذه الترتيبات كلها سرية ، فإن الأمر لا يتطلب إرسال بعثة عسكرية للعمل في الجيش المصري ، كما يقضي قانون الأمن المشترك الأمريكي . على أنه وفقاً لخطة الـ CIA فإن مفاوضين باسم البتاجون في ثياب مدنية ، سيرسلون لمناقشة عقد اتفاقية رسمية مع مصر لتأمين مساعدة عسكرية بمبلغ ٢٠ ، ١ مليون دولار مقررّة فعلاً لمصر . . . »

الشرح :

١ - خبير « غريب » أرسله كافري يزعم فيه على لسان « محمود فوزي » أن مصر لا تريد (في أكتوبر ١٩٥٤) معونة عسكرية . ولما عرض الأمر على اللجنة المشتركة للمخارجية والدفاع والمخابرات الأمريكية ، غضب مندوبو الـ CIA ورفضوا هذه المعلومات ، وقالوا إن كافري لا يعلم شيئاً وليس له اتصال مفتوح مع ناصر الذي يعرف ويدبر كل شيء (لم يكن نجيب قد خلع رسمياً ولكنه كان قد فقد كل سلطاته حتى الشكلية من نهاية مارس ١٩٥٤) . *

• انظر تفاصيل أكثر عن هذا الموضوع في كتابنا هذا فصل صفقة السلاح .

٢ - جميع المفاوضات الخاصة بالسلاح مع ناصر لا تدار عن طريق السفارة ، بل عن طريق رجال المخابرات الأمريكية .

٣ - الـ CIA هي التي خططت إعطاء ناصر ٣ ملايين دولار من المصاريف السرية وبذلك تتأكد قصة مايلز كويلاند حوفاً . وهذه هي الملايين الثلاثة الشهيرة التي بنى بها عبد الناصر برج القاهرة ، وإن كانت هناك رواية تقول إن البرج تكلف مليوناً فقط ، ولا يعرف أين ذهب المليونان .

٤ - المخابرات الأمريكية كانت تعرف استحالة قبول عبد الناصر بعثة عسكرية للإشراف على إنفاق المعونة ، فاقترحت إعطاءه أربعين مليوناً بطريقة ما ، لا تتطلب هذه الشروط .

٥ - تقرر إرسال مندوبين من وزارة الدفاع الأمريكية في ثياب مدنية للتباحث مع عبد الناصر .

قال :

« وعند إعداد توصياتي لوزير الدفاع حول اقتراحات الـ CIA أوصيت بمعارضتها باعتبارها معارضة للقانون ، وقد وافقوا على عرضي ورفع إلى اجتماع مكتب التنسيق . وكان اعتراض الرئيسي هو أن مصر أبلغت أن حاجتها ما بين خمسين ومائة مليون دولار أسلحة كمساعدة . ولذلك فإن الملايين المقترحة من الـ CIA كقرض أو تحلية sweetener لا اعتقد أنها ستؤثر على ناصر خاصة عندما يعلم أن ٢٠ . ١ مليون فقط متاحة كمعونة عسكرية . وأن من هذه الـ ٢٠ . ١ مليون تقترح وزارة الخارجية اقتطاع ٨ ملايين وإعطاءها لاثيوبيا ، وعلى ضوء ما رأيته من غضبة باكستانية ، لأنهم نالوا أقل مما يجب . اقترحت أن نقبل رفض فوزي خلال القنوات الدبلوماسية العادية . وإن هذه العمليات السرية قد تتردد علينا . وفي اجتماع « مجلس تنسيق العمليات » رفضت توصياتي وانتصرت موجة الـ CIA السائدة ، وأكثر من هذا أوصى مجلس وزارة الدفاع باختيار ضابطين للتوجه سراً إلى مصر لمقابلة ناصر بترتيب من الـ CIA أما الأدميرال ديفيز الذي كان يزورني ، ولكنه يعرف مني بحسن الانحناء فقد قال لي : « إذا لم تقدر على هزيمتهم ، فدعنا ننضم إليهم ونفتح أعيننا على أموالنا » . وتقرر أن أكون أنا أحد الضابطين اللذين يقابلان ناصر ، وأن أشرح الضابط الآخر . . . وقد وافق ديفيز على اقتراحي بتعيين الكولونيل « آلن جبر هاردي » الذي كان صديقاً لبايرون والذي كان قد نقلني إلى وزارة الدفاع . ولأن رحلتي للقاهرة تعني اشتراكي في عملية نظمها الـ CIA ، فقد بدأت برؤية « بايرون » وكيل الخارجية المساعد ، لأسأله هل الوزارة (الخارجية ج) تؤيد فعلاً ، أن يدير رجال العمليات السرية في الـ CIA الدبلوماسية الأمريكية في مصر ؟ . . . وعندما سألت بايرون إذا ما كان الأخوان دلاس يدبران فيها بيتها صنع وتنفيذ السياسة الأمريكية الخارجية ؟ . . . أذكر أنه ضحك . . . »

١ - واضح أنه كان يفود المعارضة ضد المخابرات الأمريكية في مكتب تنسيق العمليات . . وزارة الدفاع تبنت توصيته بإلغاء خطة الـ CIA والدخول في مفاوضات رسمية علنية مع عبد الناصر . ولكن مكتب التنسيق كان أعلم ، ولذلك رفضت توصيته ، وتقرر إرساله مع ضابط آخر لمصر للمفاوضة سراً مع ناصر بترتيب المخابرات الأمريكية وفي نطاق خططها ، وداخل إطار نفوذها .

٢ - كانت المعارضة منشرة بهذا الأسلوب ، ولانفراد رجال السي آي ايه بنوجه أو تنفيذ سياسة أمريكا في مصر فهو يقول صراحة لوكيل الخارجية المساعد والذي سيصبح سفيراً في مصر ، إن الأخوين دلاس يعملان خارج المؤسسة الشرعية أو خارج القنوات التقليدية للدبلوماسية الأمريكية . وبايرود يضحك !

وهو يقول إن « بايرود » كان معارضاً لإسرائيل قطالاً اليهود بإخراجه من الوزارة ، ولكن دلاس مدير المخابرات وروؤفت اقترحا تعيينه في مصر ، حيث حولته المخابرات الأمريكية إلى « طرطور » كما يفهم من عرض كويلاند وإيفلاند ومصطفى أمين وبغدادني . الخ . . قال إيفلاند إنه سأل لويس جونز الرجل الثاني في السفارة الأمريكية بالقاهرة عن الأحوال في سفارتنا ، فقال إن وضع بايرود شبه يائس ، وأنه يشاء . . من يمثل الولايات المتحدة في مصر ، وفي التعامل مع عبد الناصر . . هو . . أي السفير . . أم المخابرات الأمريكية ؟ ! لأن مايلز كويلاند كان يرى الرئيس المصري كلما حل له ، وكان بعده بما يفوق قدراته على التنفيذ والطاغم الضخم للمخابرات الأمريكية في مصر يتعامل مع الحكومة المصرية على كافة المستويات تقريباً ، كما يتعامل مع الصحافة المصرية ذات النفوذ . وقال « جونز » إنه كان من الأفضل ترك مفاوضات السلاح لكافري ثم بايرود ، لتفادي إعطاء ناصر انطباعاً خاطئاً بقدرة المخابرات CIA على اكتشاف حيلة لتفادي توقيع مصر لاتفاقية المعونة العسكرية .

وقد أورد « كويلاند » أكثر من قصة عن إهمال وتخطي المخابرات للسفير الأمريكي بايرود ، لأنه كان من خارج اللعبة ، ولأنه كان من منتقدي سياسة الانحياز لإسرائيل ، وأشهر هذه القصص المتداولة في صحافتنا والكتب العربية عندما فوجيء السفير بوجود « كيرميت روزفلت » في القاهرة على مأدبة عشاء ، عندما دخل متأبطاً ذراع الرئيس عبد الناصر دون أن يكون لدى السفير الأمريكي (بايرود) ولا مجرد علم بوجوده في القاهرة . وقد انقلب وأثار حادثة ضرب موظف بالسفارة ، والقصة موجودة في كتاب كويلاند (الصفحات من ١٦٦ - ١٦٥) أما إيفلاند فيضيف تعليقاً صغيراً يوضح طبيعة العلاقات التي كانت سائدة بين الـ CIA والسفير . . قال « وعرفت من كويلاند أن بعض صغار الموظفين المصريين اتهموا الملحق العمالي بالسفارة بالتجسس وضربوه علفة أمام البوليس

المصري الذي وقف متفرجاً ، فسألت إيكلمرجر : هل هو من رجالك ؟ (المخابرات)
قال : لا ؛ لو كان من رجالي ربما لم يكن بايرود يستاء !
٣ - كانت الجهة صاحبة الكلمة النافذة في شئون مصر هي المخابرات ، ولذلك فإن
الأميرال نفسه ممثل وزارة الدفاع لم يجد ما يقوله غير « إذا لم تقدر عليهم فانضم إليهم » . .
وهنا نسال بكل أدب . . ما السبب في إعطاء الـ CIA كل هذا التفوذ أو البذ المطلقة في
مصر الناصرية . . ألا يعني ذلك أن هم رحيداً يخوضهم التحدث بهذه الثقة ، ويعطيهم الحق
في طلب إطلاق يدهم ؟

قال :

« ليسنا ثياباً مدنية ، لأن ناصر كان قد تخلص لنوره من ٨٠ ألف عسكري ، ولم يكن
يتحمل وجود عسكريين أجنب جدد . وسافرت أنا وجير هاردت من بيروت إلى لبنان حيث
انتظرنا عدة أيام حتى نصل موافقة المخابرات الأمريكية على متابعة السفر للقاهرة . وقد
حاولت أن أثني جير هاردت عن الحديث مع ناصر عن التحالف العسكري ، مشيراً إلى
المحاولات الفاشلة السابقة لبريطانيا لجر مصر إلى قيادة الشرق الأوسط ومنظمة الدفاع عن
الشرق الأوسط . . وقلت ناصر سيرفض أي حديث عن مبادلة السلاح بمحالفه الغرب . .
ويجب - فقط - أن تناقش الأحلاف الدفاعية إذا ما أثار ناصر الموضوع . وفي هذه الحالة يمكن
أن نشير إلى المشاكل السياسية الموروثة في الجامعة العربية وميثاقها الدفاعي الذي من خلاله
حاول العرب عبثاً أن يتحدوا في مواجهة قيام إسرائيل . والأفضل أن تناقش كيف تستخدم
مصر الخمسة ملايين دولار المصروفة من المصروفات السرية لدعم مجلس الثورة وتحسين
الامن الداخلي ، ثم نستكشف مع ناصر موضوع رغبته في الحصول على الـ ٢٠ مليون
دولار منحة سلاح التي قررتها وزارة الدفاع .

« وفي اليوم التالي عرفنا أن الرئيس نجيب انهم في محاولة لاغتيال ناصر الذي أصبح من
المتوقع - الآن - أن يتولى الرئاسة . وخنث أن المخابرات CIA قد احتجزتنا في بيروت لأنها
كانت تتوقع اضطرابات في مصر ، ورغم امتناني لقيام المخابرات بوظيفتها في جمع المعلومات
إلا أنني تساءلت : ترى هل تأمرت الـ CIA مع ناصر للتخلص من محمد نجيب ؟

الشرح :

١ - كان الجو في مصر متوتراً ضد أي مظهر عسكري أمريكي أو قل ضد أي وجود
عسكري غربي ، وعلى أساس أن مدنياً أمريكياً لن يحس به الكثيرون فقد جاءا في ثياب
مدنية .

٢ - وصلوا إلى بيروت فاحتجزوا هناك بأمر الـ CIA ومنعوا من التقدم إلى القاهرة .

٣ - في اليوم التالي كانت محاولة اغتيال عبد الناصر وانتهام نجيب . . إلخ . .

٤ - استنج على الفور ، لأنه يفكر برأسه وليس بعصا حمزة الببوني ، أن الـ CIA

احتجزتهما في بيروت لأنها كانت تتوقع اضطرابات في مصر ، وأحس بالامتنان والشكر لأن المخابرات الأمريكية ، ما زالت تجمع المعلومات ، ومن ثم عرفت بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر قبل وقوعها . . . وباعتبار « الانفتاح » الذي تحدث عنه « الإخوان في أمريكا » بين ناصر والمخابرات الأمريكية اشتم الرجل بحاسته المخبرانية أن شيئاً ما قد « طبع » فتساءل هل تأمرت الـ CIA مع ناصر للإطاحة بنجيب ؟ . . وهذا الظن ، أو هذا الذي طرحه الرجل وكأنه « تخمين » من ذكائه ، أكدته رواية خالد عمبي الدين وحمروش ، بل وتؤكد رواية « مصطفى أمين » في رسالته لعبد الناصر عن قرار خبراء المخابرات الأمريكية بأن « نجيب » لا يصلح ! . .

على أية حال نطرح سؤالاً أبسط من ذلك . . هل يعقل أن المخابرات التي كانت لها كل هذه الصلات مع ناصر والتي كانت تراهن عليه ضد شكوك ونشأؤم أو تربص الأجهزة الأمريكية الأخرى ، هل يعقل أن تعلم بمؤامرة على حياته ولا تبلغه بها ليأخذ حذره ؟ ! ومن ثم هل لنا أن نقول إن عبد الناصر لم يفاجأ تماماً عندما أطلقت الرصاصات إياها وهو على المنصة في ميدان المنشية ؟ .

بل بعد ما نشر من وثائق حتى على لسان « هيكمل » تبين أن « كبريت » وبالطبع جهاز الـ CIA الذي كان يرأسه كان يعطي عبد الناصر معلومات عن نشاط الإخوان في خارج مصر فهل يظن عليه بمعلومات عن داخل مصر ؟ ! وشهد النهامي أنه كان هناك اتفاق بين السفارة الأمريكية وعبد الناصر بإبلاغه عن أية محاولة لتنفيذ انقلاب ضده . وأخبرنا هيكمل أن مندوب الـ CIA خرج مهزولاً من اجتماع مع المخابرات البريطانية ليحذر عبد الناصر من مؤامرة يدبرها الانجليز لاغتياله . . أعترف بعد هذا كله لم يعد لسؤالنا معنى . ولكن السؤال الجديد ، وقد عرفنا من مذكرات الإخوان أن عبد الرحمن السندي وجماعة المنشقين في الإخوان والجهاز السري التابع للسندي كان متصلاً ومتعاطفاً ومرتبطاً بعبد الناصر ، فهل نشهد أن تكون العملية قد نظمت بالاتفاق مع هذا الجهاز ليكون الفاعل فعلاً من « الإخوان » ثم فتك عبد الناصر كما هو المنتظر بالإخوان جميعاً : الذي انصاع والذي عصى . . سؤال . . خاصة وقد جاء في اعترافات مدير السافاك السابق أنهم كانوا ينظمون مثل هذه العمليات لنشر جو من الإرهاب يمكنهم من البطش بالحريات واعتقال أو حتى إعدام المعارضين . . ولا تنس أن المدرب واحد في الجهازين السافاك الإيراني والسافاك المصري * . .

* يقول بعض قدامى جهاز المباحث الجنائية العسكرية ، إن الصاغ « حسين عرقه » هو الذي اصطحب « محمود عبد اللطيف » إلى ميدان المنشية ، وهو رأي الصاغ الذي أطلق النار على المنصة . أو على الأقل هذا ما كان يتردد وقتها داخل الجهاز .

وقال :

« في مطار القاهرة قابلنا مايبلز كوبلاند » بتاع « محطة » الـ CIA في مصر ، وخلال ثرايرنا في الجوازات والجمرك والحجز لنا في سميراميس ، كان كوبلاند يستخدم اسم عبد الناصر بلا حساب أو تكليف . ومن أجل السرية انتقلنا من سميراميس إلى منزل كوبلاند في المعادي^{٢٤٢} . . . تحدثنا مع مايبلز وجيمس إيكلبرجر عن محطة الـ CIA في القاهرة ، وعلمت أن كوبلاند يعمل تحت غطاء تجاري بعكس إيكلبرجر الذي يستتر تحت غطاء العمل في السفارة ، مايبلز يمثل شركة استشارات بوز ، آلن هاملتون الدولية^{٢٤٣} . وهو الذي يتعامل باستمرار مع ناصر إلا عندما يكون كيم روزفلت في القاهرة . . . ولمح كوبلاند إلى أن روزفلت هو الذي صنع رئيس مصر الجديد ، ويبحث معه سياسة الولايات المتحدة أكثر مما فعل مع الشاه الذي حرص كوبلاند على تذكيرنا بأنه أنقذ بواسطة روزفلت .

الشرح :

- ١ - مايبلز كوبلاند وجيمس إيكلبرجر ممثلاً أو مديراً محطة الـ CIA في مصر وهذه معلومات أكدها كتاب كوبلاند ورسالة مصطفى أمين . . .
- ٢ - مايبلز كوبلاند يتحدث باسم عبد الناصر في مطار القاهرة والجوازات ويسرّب المصريين يصلته بالرئيس المصري . . .
- ٣ - كوبلاند هو المختص بالتعامل مع الرئيس ناصر ، إلا عندما يحضر المعلم الكبير روزفلت ، عندئذ يقابل روزفلت أو يتعامل هو مع ناصر ، والناس مقامات . . . وهذا يختلف تماماً عن الصورة التي قدمها لنا محمد حسنين هيكل عن مايبلز كوبلاند فالرجل كان - في تلك الفترة - أكثر اتصالاً وأكثر قرباً للزعيم المصري من هيكل . . .
- ٤ - في عنوان مراعاة الـ CIA على الزعامة الناصرية ، وفي عنوان التعاون بين ناصر والـ CIA وفي غرفة مغلقة ، ومع ممثلين لوزارة الدفاع وكتب تنسيق العمليات ، أي أعلى سلطة أمريكية في العمل السري ، يقول لهم مايبلز كوبلاند إن روزفلت هو الذي صنع رئيس مصر الجديد . . .

هل يعقل أن تكون هذه مجرد كذبة لا أساس لها من اختراع كوبلاند ؟

ربما . . . ولكن ما الذي رآه إيفلاند فعلاً ؟ . . .

قال :

« كنت أريد أن أعرف شيئاً عن مقابلتنا مع ناصر ، فسألت كوبلاند ، إذا كان كيم روزفلت سيحضر ليرافقنا في المقابلة ، فرد على الفور : لا . . . واستمر لكي يريني حجمي

• هذه ترجمة Station وربما كانت كلمة مركز أكثر فصاحة . ولكن « محطة » أكثر دلالة ، فهم هم في كل بلد مجموعة مقيمة وفأ رئيس واسمها محطة أو Station .

الحقيقي فقال : « إن وزير الخارجية بدخرو روزفلت للمهام الكبيرة . وسيحضر عندما تتم الموافقة على إبلاغ ناصر بالمعونة الكاملة . » وعضضت على لساني لكي لا أصرخ : ولماذا يكون للمخابرات CIA دخل في المعونة ، أليس هذا من عمل السفراء الأمريكان ١٩ . وكنت لا أزال أعض على لساني عندما استمر « كوبلاند » قائلاً : « إن كيم - كما تعرف - هو الذي رتب خلع فاروق » وهو الآن قد رفع ناصر إلى مركز القيادة للبلد ، « وبادرت بالقول بأنني لا أعرف . » ونحن هنا فقط لمناقشة ٦٦ كيف ستبقى مصر الملايين الخمسة على معدات الأمن الداخلي . . . فرد باستهزاء . . . آه ١١ هذه ١٩ . أحمد حسين السفير المصري في واشنطن سيسلم قائمة بهذه الأشياء للبتاجون . .

« سألت كوبلاند عن الثلاثة ملايين المخصصة من المخابرات CIA . . . وإذا ما كان سيعتمد صرفها فعلاً للهدف الذي خصصت له ؟ . . . نظر إلى نظرة كأنني غر ساذج يحتاج لمن يعرفه حقائق الحياة وقال : بيل ! . . . هذا المبلغ اعتمد فعلاً . . . وأنا في انتظار إشارة من المالية في بيروت لكي يبعثوا لي المال لأسلمه لناصر في بيته ؟ . . . قلت وكيف كان ذلك ومكتب تنسيق العمليات لم يوافق على المبلغ إلا منذ أسبوعين . قال : « نعم ، ولكن كيم وآلن دلاس يعرفان أنها قادمة ، وقد بعثت بالخبر لناصر لتقوية معنوياته بعد محاولة الانقلاب » . . . وعندما سألت هل هانك بايرود يعرف ذلك ، على أساس أنه كسفير جديد ، ربما يود أن يكون هو الذي ينقل الخبر لناصر . . . رد كوبلاند . . . « إن بايرود يستطيع أن يستمر كوكيل وزارة فعلي للمنطقة بينما ناصر والمخابرات CIA يقومون بالعمل نيابة عنه » .

ورغم أنني سمعت ما فيه الكفاية فقد سألت هل يتوقع ناصر أننا هنا لنناقش معه منحة ال ٢٠ مليون دولار . فرد كوبلاند إن ناصر سيعتبر هذا المبلغ البسيط إهانة . وسيسلم لكما قائمة أسلحة بخمسين أو مائة مليون دولار . . . وعندئذ تساءلت - مع نفسي - هل شجع مايلز ، ناصرًا على أن يصدق أننا ستأزل عن الرقم الذي حددناه ومستقبل التفاوض على زيادته ؟

« مهما تكن الحقيقة ، فقد أخبرت كوبلاند أن ٥, ٥ مليون من هذه ال ٢٠ مليون ستذهب لأثيوبيا ، وربما تأخذ باكستان الباقي . وقال كوبلاند هناك وسائل أخرى للوصول إلى ميزانية وزارة الدفاع ، وعليك أنت و « آل » أن تكونا مستعدين للكلام في مبالغ أكبر عندما تقابلان ناصر مساء الغد » . .

الشرح :

١ - استمر كوبلاند يتباهى « بعملة » معلمة في مصر فهو الذي « رتب إقالة فاروق » وهو الذي رفع ناصر إلى مرتبة القيادة في مصر . . . وربما انفعّل ايفيلاند لأنه لا يعرف هذا الخبر الذي لم يعد سرا بل يذكر عرضاً وبدون اهتمام وتسبقه عبارة « زي ما أنت عارف » فصاح : « لا مش عارف » !

٢ - مندوب البتاجون أو المخابرات العسكرية غاضب لأن المخابرات CIA تتدخل في أمور المساعدات العسكرية وهي من اختصاص وزارة الخارجية والدفاع .
٣ - المخابرات الأمريكية كانت تعد عبد الناصر بمبالغ كبرى كمعونة لمصر وبطرق تعفيه من سخافات ومذلة الكونجرس والخارجية والبتاجون ، وخاصة أنه كما يقول كان يستحيل عليه وقتها أن يوقع اتفاقية دفاع مع أمريكا ، غير التي وقعها في الأيام الأولى للثورة ، ويستحيل عليه أكثر أن يقبل وجود مشرفين عسكريين أمريكيين في الجيش المصري . .

وموقف المخابرات CIA هنا لا يخرج عن أحد الاحتمالات الآتية :
أ - أن يكون عن اقتناع فعلاً بقدره آلن وأخيه فوستر دلاس على إقناع المؤسسة الأمريكية بأهمية مصر الناصرية وبالتالي إطلاق يد أمريكا في الدفع والدعم .
ب - أن يكون هدف رجال المخابرات CIA هو كسب الوقت بتهذئة عبد الناصر بالوعود الكاذبة .

ج - أن يكون هناك مخطط أكبر ، للصهيونية فيه حصة كبيرة ، يهدف لاستفزاز الزعيم المصري ، عندما يكتشف أنهم خدعوه ، وأنه عومل معاملة غير شريفة ، مما يدفعه إلى أحضان السوفييت . .

٤ - الثلاثة ملايين الشهيرة لم تكن قد صرفت ولا وصلت أثناء وجود الرجل في مصر ، واعتمدت قبل أسبوعين فقط . وهو وصل مصر بعد محاولة اغتيال جمال عبد الناصر والحديث عن تقديم « محمد نجيب » للمحاكمة بتهمة التآمر ضد الثورة ، مما يظل بل يفتأ عين رواية محمد حسين هيكل التي حاول فيها أن ينكر تقديم المبلغ لعبد الناصر وهي الرواية التي تراجع هو عنها على أية حال . .

٥ - عبد الناصر كان عنده خبر بالمبلغ قبل وصوله . ولا تثبت كثيراً بحكاية أنهم أبلغوه بذلك لتقوية معنوياته بعد محاولة الانقلاب . . إلخ . .

٦ - واضح تشبث المخابرات بسيطرتها في مصر وأنها لا تنوي أن تتيح فرصة للسفير الجديد بابرود لممارسة مهمته . . وواضح أكثر أن « ناصر والسي آي ايه » يعملان « كتيمة » أو فريق واحد يعمل نيابة عن السفير الأمريكي وبكفاءة أكبر !!

قال :

« عندما عدنا إلى الفندق تحسنت أن أحدث جير هاردي بأي شيء عما قاله كوبلاند خشية أن يبرق إلى واشنطن طالباً إعفاءنا من المهمة . كنت مقتنعاً بقدرتنا على التعامل الجيد مع ناصر ، ولم أكن راغباً في تضيق هذه الفرصة ، فقط لو عرفت ماذا وعدته المخابرات CIA وما شعور « ناصر » الفعلي إزاء مهمة البعثة العسكرية الاستشارية . .
« في مساء اليوم التالي وفي الساعة المحددة ، أنا وجير هاردي قابلنا « مايلز كوبلاند » في

مدخل الفندق . وما زلنا غير متأكدين من مقابلة ناصر ، فقد سألت كوبلاند عن الترتيبات فقال : « ستقابله في بيت واحد من الصبيان Junior » . . .
ونسألت بدهشة : صبي ؟ . . من هذا بحق الجحيم . . ربما عسكري مراسلة أو حتى خدام رئيس الجمهورية ؟ . . قال كوبلاند : يستحسن أن أخبرك بعض الشيء عن هذا الصبي : هو ماجور (صاغ ج) في الجيش وأحد الذين يتمتعون بأكبر قدر من ثقة عبد الناصر ، وهو مسئول كبير في البوليس السري ، والرجل الذي ينظم اجتماعاتي مع ناصر في معقل المخابرات CIA^{٢٧٢} . . الذي سذهب إليه . واسم هذا الصبي « الحقيقي » هو صاغ حسن التهامي . . ومنجبه . وأضاف مايلز « على ألا تأخذه على محمل الجحد كثيراً . .^{٢٨٢} .

« وعندما دخلنا الفيلا من الباب الخلفي حيانا الماجور تهامي . . ثم جاء ناصر وعامر » .
١ - الرواية مطابقة لرواية كوبلاند .
٢ - دور التهامي وصلته بعبد الناصر تحمل بعض الراحة لنفس الحاج هويدي الحائرة . .
٣ - اللقاء كان في بيت التهامي الذي هو CIA safe house . . مقر الـ CIA غيباً المخابرات . . الأمريكية ؟ !
جلسنا على مائدة الطعام وخلع ناصر جاكته وربطة عنقه قائلاً : إننا نحسن أن نفعل نفس الشيء حتى نتحدث في راحة ، وأخرج عليّتي سجائر « كنت » وقدم لنا عامر قائمة السلاح .

وحكاية الجاكات وردت في رواية كوبلاند* . . وقد تحدث « الوفد الأمريكي » عن ضرورة مصاحبة السلاح الأمريكي لبعثة عسكرية ، وقال عبد الناصر : « إنه لا يمكنه الاستمرار سياسياً إذا سمح للضباط الأمريكيين والجنود بأخذ مواقع على أرض مصر » . .
فقد تخلفنا لتونا من ٨٠ ألف عسكري بعد ٣٢ سنة من « الاستقلال الاحتلالي » ، و « المحاولة الأخيرة للاعتداء على حياته ترجع إلى حد ما إلى الاتفاقية التي تتضمن عودة الانجليز في ظل ظروف معينة » . . « ومقتنعاً بكلامه اقترحت إرسال بعثة صغيرة في ثياب مدنية ، ولكن ناصر ضحك من سخافة أو سذاجة الفكرة . .

وأخطأ جبر هارديت فبدأ مناقشة حول الأمن الإقليمي والدفاع عن الشرق الأوسط ضد السوفييت ، ولدهشتي بدا أن ناصر يسحب في الكلام لسمع أكثر . . وخلال ٢٥ دقيقة تحدث آل عن حلف الأطلنطي ، وحلف جنوب شرق آسيا . . والحاجة إلى الدفاع عن الشرق الأوسط . . وقد قاطعه ناصر باقتراح التوجه إلى الطعام . . وبعد الوجبة الشهية التي

• كما تأكدت هذه الحقيفة - كما ذكرنا في موضع آخر - في تقرير وزارة الخارجية الأمريكية الذي نشر بعد ثلاثين سنة .

اشتهر بها مطبخ حسن التهامي بإجماع كل مؤرخي تاريخ الناصرية مع السي أي ايه . . قال ناصر وعامر الرأي المصري المعروف بأنه لا يمكن إقناع الشعب المصري أو الشعوب العربية بالخطر الروسي والتغافل عن الخطر الإسرائيلي الدائم الساخن يوماً . . وقال ناصر « إنه لم ير أي عداء روسي إلا لمنظمات الدفاع التي نقيعها حول الاتحاد السوفيتي » وجرت محاولة استفزازية من جانب ايفيلاند لعامر ، ولكن عبد الحكيم رد عليه رداً أسكتته ، وإن كان للأسف لم يلتزم بالحجة التي قام عليها هذا الرد^{٢٩} .

إلا أننا نحب أن نضيف هنا نقطة توضيحية جاءت في كتاب « لعبة الأمم » عن هذه المقابلة : قال : « كان بيل ايفيلاند خلال زيارته للقاهرة مع آل جبر هاردي قد حذر عبد الناصر من أن مصر ستجد نفسها وحدها خارج حلف الشرق الأوسط . ولكن لا أنا ولا ناصر ولا كافري صدقناه فلما وقعت العراق الحلف (حلف بغداد) طلب مني أن أتوجه مع ايكلمبرجر لإبلاغ ذلك لعبد الناصر » . ثم تفاصيل القصة في مكانها من هذا الكتاب^{٣٠} . المهم قال عبد الناصر بعد أن سمع الخبر : « إن جميع الأمريكيين الذين اتصلوا به بما فيهم كافري ، أقنعوه بأنهم ستركبون له الوقت الكافي لبناء منظمة عربية إقليمية غير مرتبطة « علناً » بالغرب ، ولكنها « بناءً » إلى درجة تمكنها من الانضمام سريعاً لخطط الغرب ، في حالة وقوع خطر مشترك . أما حسن التهامي الذي كان حاضراً ، فقد بدأ يفقد أعصابه ، ولكن ناصر هدأه ، وظل الاثنان جالسين صامتين حتى انصرفت أنا وايكلمبرجر »^{*} وقال كوبلاند في نفس الصفحة « إنه هو وايكلمبرجر كانا ضد حلف بغداد » .

وقال : « مشاريع الدفاع والأحلاف والترتيبات العسكرية كانت نابعة من تفكير متخلف يمثل إيزنهاور وجهازه من الرسميين ، من بقايا الحرب العالمية الثانية ، وهو توقع غزو عسكري ، كالذي شنته ألمانيا ، ومن ثم فإن الدفاع ضده يقتضي مواجهته باستحكامات عسكرية » .

وقال كوبلاند : « إن فكرة منظمة للدفاع عن الشرق الأوسط كانت قد تحولت إلى خطأ تاريخي anachronism والسبب الوحيد الذي جعلها مطروحة للنقاش ، هو أن الوزير دلاس - رغم ذكائه - لم يستطع التخلص من الفكرة » .

وكما سترى في فصل « الأحلاف » فإن أمريكا كلها كانت ضد حلف بغداد ، وليس فقط المخابرات الأمريكية التي كان لها - على أية حال - فضل الريادة ، لأنها باعتبار طبيعة عملها هي التي تكتشف وتتوقع التغيرات العالمية المقبلة ، بينما تغيير السياسة الرسمية ، ومفاهيم الدبلوماسيين والمسؤولين الرسميين التقليديين يأتي في مرحلة تالية ، وعلى ضوء تحليلات

* تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن هذا الاجتماع ألزم عند نشره بعد ثلاثين سنة بالقانون الذي يحظر ذكر أسماء المتعاونين مع المخابرات الأمريكية ، لم يشر إلى اسم حسن التهامي .

المخابرات CIA . . وكانت المخابرات CIA قد توقعت « التعايش » أو الوفاق وأن المرحلة القادمة ستكون مرحلة المزاومة السياسية وليس الغزو على الطريقة الألمانية ١ . . ومن ثم لم يكن يهيمها في قليل ولا كثير مسألة الأحلاف بل كرهتها كرهاً شديداً وهاجتها ببذاءة . . وبذلت جهداً كبيراً في تحطيم حلف بغداد ، من ناحية لأنه كان يمثل نفوذاً بريطانياً ومن ناحية أخرى لأنه كان يسبب لها مشاكل مع الأصدقاء المتعاونين . . وعذراً عن هذا الاستطراء السابق لأوانه . .

يقول ايفيلاند : « استمع لنا ناصر بصبر ، ولكني أحسست ، إما أنه يتوقع معجزة من المخابرات CIA أو أنه وافق على مقابلتنا بحكم الكرم العربي ليس إلا . . » .
« غادرنا المنزل وأنا أتمنى أن لا تكون الـ CIA قد أقنعت الرئيس بقدرتها على تلبية مطالبه دون الحاجة للتوقيع . . لأنه إذا كان ذلك قد حدث فإننا سنجد في مواجهتنا عربياً شديداً الغضب ، عندما يكتشف أنه لا « كيم روزفلت » ولا « آلن دلاس » ولا حتى « فوستر دلاس » يمكنه أن يغير له القوانين الأمريكية » .

« وكما قلت إنني كنت أتمنى لو وضع حد لدور المخابرات CIA في مفاوضات المعونة العسكرية والعودة إلى الدبلوماسية التقليدية ولذا لم يكن من دواعي سروري أن أرى في اليوم التالي كوبلاند مستخفاً كعادته متباهياً أمامنا بما تفعله السي آي ايه لدعم ناصر ونظامه . ففي شقة حديثة تطل على النيل عرفنا به « فرنك كيرنز » وهو مقاتل من CIG عمل مع « مايلز » وقدمه لنا كمراسل لـ C.B.S.* . وطبقاً لما قاله لنا كوبلاند فهو جزء من محطة المخابرات CIA في القاهرة ويعمل تحت غطاء صحفي وكان واضحاً أنه لا يهتم بعمله الصحفي هذا . . » .

« ايكليجر أيضاً كان حاضراً وقال كوبلاند إنه انضم إلى CIA من وكالة والتر تومبسون للإعلان . وايكليجر يعمل الآن « رجل الفكر » ومهمته هي اكتشاف الوسائل التي تزيد شعبية حكومة ناصر في مصر والعالم العربي . . وأضاف كوبلاند إن الـ CIA توجه المصريين في مبادئ الصحافة والإذاعة . وقد أحضرت عدداً من الألمان لتدريب المصريين بما فيهم أوتوسكوروزني الشهير الذي أنقذ موسوليني . ولكن الألمان كانوا متجاهلين ولا يدفع لهم كفاية ولذلك كانوا مستائين ويريدون الانصراف .

« ومنعشاً لأخبارنا بالمزيد ، وصف لنا كوبلاند المعدات الإذاعية الجديدة التي تقيمها

* شبكة إذاعة وتلفزيون في أمريكا وكان المتبع في تلك الفترة استخدام الصحفيين ورجال الإعلام كجواسيس للـ CIA أو إعطاء هذه الصفة كغطاء للعمل . وقد قامت ضجة كبيرة في الولايات المتحدة بعد أن فضحت « لجنة تشرش » هذه الحقيقة ، لما تشكل من خطر على سلامة الصحفيين الأمريكيين . ولكن لا نظن أن المخابرات عموماً ستكف عن استخدامها .

المخابرات CIA في مصر ، والتي ستكون - كما قال - أقوى إذاعة في الشرق الأوسط ، وكان يقصد صوت العرب ، الذي عمل حقاً بنجاح رائع ، حتى أننا وجدنا أنفسنا في النهاية مضطرين ، إلى تمويل محطات في بلاد أخرى لمواجهة هديتنا (لمصر) التي انقلبت ضد مصالحنا . كان واضحاً أن المخابرات الأمريكية قد بدأت عملية جبارة في مصر* ، ربما أكبر واحدة من نوعها منذ إنشاء المخابرات CIA . وكنت على يقين أن الحكام المحافظين في العراق والأردن ولبنان والسعودية والسودان لن يسعدوهم ذلك . .

« ويبدو أنه لا نهاية للمفاجآت التي يمكن أن يقدمها كوبلاند ، وما أزعجني حقاً هو صغر سن وطيش الأشخاص الذي كان واضحاً أن يدهم قد أطلقت في العمل . لم يكن هناك وجه للشبه بين ما رأيته في مصر ، وما تعلمته في واشنطن عن كيفية رسم وتنفيذ حكومتنا لسياستنا الخارجية . كان ما رأيته في مصر مثيراً للربح حقاً . وتعجبت كيف يتماشى سفير من الجيل القديم مثل كافري مع هذا . . . » « وعندما تحدثت في تلك الليلة مع نائب كافري في السفارة ، وهو دبلوماسي ممتاز ، أعرفه من واشنطن ، سألتني إذا كنت قد رأيت عملية ايكلبرجر - كوبلاند . . ١٩ ومن هجة سؤاله تأكدت أنه يرى مناولات المخابرات الأمريكية مغامرة خطيرة كما رأيتهما . .

نتوقف قليلاً فالجرعة كبيرة حقاً !

١ - أظن أن الرجل قد رد على نفسه عندما نفى أن يقدم كافري على التآمر على فاروق . فيها هو يشهد بأن كافري يتعاون ويتماشى مع نشاط السي أي إيه وإن تعجب من فعله .
٢ - استمر المؤلف في نقد تدخل المخابرات CIA في تحديد وتنفيذ السياسة الأمريكية ، وكرر خشبته من وعود الـ CIA التي أشرنا إليها والتي أدت فعلاً لإغضاب عبد الناصر عندما لم تتحقق .

٣ - قال له كوبلاند وتأكد هو أن المخابرات CIA توجه الصحافة والإذاعة المصرية ، وهناك خبير مقيم (أشار إليه مصطفى أمين وهيكمل) هو ايكلبرجر مهمته اكتشاف وسائل تدعيم زعامة عبد الناصر . . وأن المخابرات CIA هي التي قدمت المعدات الفنية لإذاعة صوت العرب الذي سيصبح أكبر قوة مقاتلة في تصفية الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية ، وأبجد ياعرب كوبلاند أبجد .

٤ - وفقاً لقانون اللعبة ، كما حددها كوبلاند ، فقد كان من الطبيعي أن يهاجم « صوت العرب » أمريكا ، وأن تقوم أمريكا بتزويد بعض البلاد العربية بإذاعات أخرى لمواجهة « صوت العرب » ، وبصرف النظر عن أية نتائج أخرى ، فإن مجرد انشغال الدول العربية بحرب الإذاعات فيما بينها ، لا يضر أمريكا بأية حال .

• اتيس هيكمل نفس العبارة دون الإشارة للمصدر .

٥ - اقنع « ايفلاند » بما رأى وسمع ولمس في مصر ، أن المخابرات الأمريكية تقوم بأضخم عملية في تاريخها منذ إنشائها ، وهي لا يمكن أن تكون عملية تجسس طبعا ، وإلا لما تخوف من نتائجها ولا تخوف عليهم ، وأي اطمئنان على جاسوس أمريكي أكثر من رؤيته يخلع جاكته أمام رئيس الدولة ، ويتعشى معه ، ويناديه « جمال » وهو ما لم يحظ به أمين هويدي في حياته . .

ما لاحظته وجزغ منه مندوب التجار هو « عملية إدارة مصر » التي كانت تقوم بها المخابرات الأمريكية (تاريخ الزيارة هو أكتوبر ١٩٥٤) . وحق له أن يتخوف فقد كانت الأولى من نوعها في تاريخ أمريكا . . والثانية في التاريخ كله ، منذ أن نظمت المخابرات البريطانية في ١٩١٦ ثورة الشريف حسين وسمتها الثورة العربية الكبرى ! . . . وجاء الأمريكان بالثورة العربية الأكبر^{٣١} . . وقد شارك ايفلاند مخاوفه الرجل الثاني في السفارة بأنها « مغامرة خطيرة » . إنها عملية من نوع خاص خارج نطاق أعمال المخابرات المعتادة . . كوبلاند ينظم ويسجل اجتماعات ناصر بالأمريكيين الرسميين والمخابرات تبني « للثورة » محطة إذاعة تضمن وصول الوعي الثوري إلى أقصى أرجاء الوطن العربي ، وطاقم المخابرات يوجه الصحافة المصرية . . والإخوان على المشائق والشيوعيون مضربون عن الطعام في سجن القناطر . . ومن المحيط الغادر إلى الخليج الفاجر ليك يا عبد القادر ! . .

ولكن ما يحز في النفس حقاً ، هو جزع الأمريكي لصفر من الأولاد الأمريكان الذين يديرون مصر الناصرية !

لعبوا بنا العيال الأمريكان ، ومكنوا صبيتهم من الفرعة والطغيان بشعب السبعة آلاف ستة حضارة !

قال ايفلاند :

« في اليوم التالي أبلغنا كوبلاند أنه لا ضرورة لاجتماعات أخرى مع ناصر (كوبلاند هو الذي أبلغهم ج) فالمطلوبات أرسلت للسفير أحمد حسين في واشنطن وسيتبعها طاقم من الضباط المصريين خلال أسبوع لمناقشة التفاصيل مع الفنيين ، وسألت هل غير ناصر رأيه في مسألة قبول المستشارين العسكريين ؟ رد مايلز : لقد أخطأتم بمناقشة ذلك أمام عبد الحكيم عامر لأن « الفني » (حسن نهامي ج) هو الرجل الذي سيعد ناصر إلى واشنطن للحديث عن البعثة العسكرية وكيف يمكن معالجة هذا الموضوع بطريقة أهدأ . سألت هل يعني هذا أن ناصر لا يزال مهتماً ، رد كوبلاند . . بكل تأكيد . .^{٣٢}

« لم يسألنا كافري ، ولم نتطوع بإخباره عن مقابلتنا مع ناصر ، ولو كنا نثرثر أو نشاهي لا اعتبرنا مثل كوبلاند ورجال الـ CIA . . واعتقد أن تقاعده القريب هو الذي جعله يتغاضى عن أعمالهم » .

١ - الرجل كما هو واضح مفتون بكافري يتلمس براءته بالشبهات . . فلا يسعفه الخال . . وأخيراً وصل لتفسيره أنه ضاربها صارمة ، باعتبارها رايح أو تارك العمل الدبلوماسي قريباً . . ويارايح كتر من المخابرات CIA !

٢ - وواضح أنه حاقد على كويلاند لأسباب عديدة ، منها أن كويلاند ، أحبط مهيئته في مصر ، وألغى مواعده مع عبد الناصر مع أن عبد الناصر قال له « بكرة نتكلم في اتفاقية الدفاع المشترك » ولكن هاهو « كويلاند » يصفعه : لا داعي للاجتماع مرة أخرى مع ناصر . . وبالطبع وصلت التقارير إلى واشنطن بأن ناصر رفض أن يقابلهم مرة ثانية ، وهذا دليل فشل أوسوء انطباع المقابلة الأولى . . وتأمل كيف يلغي كويلاند اجتماعاً أراداه ناصر !!

٣ - ربما يكون « كويلاند » ثرثاراً . . وربما يكون متباهياً ، أو حتى مستمتعاً بإغاظه منافسيهم من الأجهزة الأمريكية الأخرى ، ولكن هذا يجعله متبهاً بإفشاء « أسرار وحقائق » ولا يمكن أن يعطي معلومات بمثل هذه الخطورة لممثلين رسميين ، لوزارة الدفاع وجهازين على الأقل من أجهزة المعلومات والتجسس لا يعقل أن يقول لهم - كذباً - نحن نوجه الصحافة المصرية ، وهو يعرف أن هذا الكلام سيثبت في تقاريرهم الرسمية ، وسيستخدم ضداهم عندما تدور المناقشات حول الدور الذي تلعبه الصحافة والإذاعة المصرية . .

لا يمكن أن يكون ذلك محض اختلاق وكذب . . ثم نسأل أنفسنا ما الصحافة ذات النفوذ وقتها ومن كان يسيطر عليها . . ؟ مصطفى أمين وهيكمل وليس فيهما من يصل إلى مرتبة زوجة قبصر ولا حتى عشيقته ! وقد جاء في اعترافات مصطفى أمين ، أن رجال المخابرات الأمريكية كانوا شبه مقبحين في « أخبار اليوم » وفي مكتب هيكمل أو مكتبه هو ، معظم الوقت .

ويتختم ايفيلاند ملاحظاته في القاهرة قائلاً : « بالنسبة للأسلحة التي تطلبها مصر لمواجهة هجمات إسرائيل المتصاعدة ضد المدنيين المصريين ، والمنشآت والتشكيلات العسكرية المصرية في غزة وسيناء ، فأنا واثق أن « الموساد » (المخابرات الإسرائيلية) كانت على علم تام بمهمتنا في مصر ، ونظمت عن طريق اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة وقف المنحة . على أية حال كنت واثقاً أن الـ CIA أقل قدرة وأقل تأهيلاً من وزارة الخارجية لتحديد احتياجات الجيوش الأجنبية للمعدات العسكرية » .

هل يمكن أن نخترق قشرة الصراع الغني للأجهزة الأمريكية ، لتساءل بدورنا هل الموساد ، اكتفت بتحريض اللوبي الصهيوني ، لإفشال أضخم محاولة ارتباط عربي - أمريكي ؟ أم أنها وهي التي اعترف المؤلف ايفيلاند نفسه بتدخلها مع المخابرات الأمريكية ، دفعت الموقف من الجانب الآخر ، باستفزاز عبد الناصر ضد الولايات المتحدة ، وإغرائه بالاتجاه للاتحاد السوفيتي . . وما الدور الذي لعبه أصدقاء ناصر من موظفي محطة المخابرات

CIA في القاهرة ، وصداقة عبد الناصر مع المخابرات CIA في هذا الشأن ١٩ سؤال . .

والرجل يشهد بوجود « تلاعب » في واشنطن أدى إلى قطع المعونة عن مصر . . قال إنه بعدما سافر من مصر نسي الأمر تماماً إلى « أن مر علي تقرير دوري في مكتب تنسيق العمليات يقول إن مصر كان مخصصا لها ٣٥ مليون دولار منحة عسكرية ، وليس ٢٠٠ مليون فقط . . وأن هذا المبلغ قد ألغى لأن ناصر رفض توقيع اتفاقية المعونة العسكرية مع الولايات المتحدة . . وصحت دعشاً : هل هذه إشارة إلى تقرير ١٩ ؟ وبغضب شديد رحت أبحث عيشاً عن نسخة من التقرير الذي أعدته وقدمته ليوقع عليه جبر هارديت (زميله في رحلة مصر والأعلى منه رتبة ج) فلم أجد له أثراً ولا إشارة . . لا في ملفات الخارجية ولا الدفاع ولا مكتب التنسيق . . اختفى * ١١ ثم يأتي مكتب الشؤون المصرية في وزارة الخارجية - الذي غنى لي الفضل في مهمتنا - وينسب رسمياً لناصر رفضه عرض بعثتنا ، بل ويجعله مبلغاً أكبر مما كنا نعلم ! . . وقد حاولت في سنة ١٩٧٨ بموجب قانون حرية المعلومات أن أحصل من وزارة الخارجية والدفاع على وثائق عن بعثتنا إلى القاهرة وعندها تأكدت أن تقرير ١٩ لم يسجل قط في ملفات وزارة الدفاع وربما لن يعرف أبداً من الذي استخدم رحلتي للقاهرة لمنع المعونة العسكرية عن مصر . . لقد فسروا لي لماذا لم يأخذوا بنصحتي عن إيران . ولكن بالنسبة لمصر أيقوني في ظلام دامس .

وأخيراً فقد طلبت بريطانيا في عام ١٩٥٦ وضع حد للعبة الأمم في الشرق الأوسط ، وشكلت لجنة مشتركة من الأمريكيين والانجليز للتمهيد لاجتماع قمة بين ايزنهاور وايدن ، وكان المندوب البريطاني فيها هو وكيل وزارة الخارجية البريطانية لشؤون الشرق الأوسط « ايفيلين شوكرجج »* وحسب النظام البريطاني فإن هذا الوكيل يكون عادة أهم من الوزير وأكثر اطلاعا على أسرار السياسة من الوزير الذي يتغير بتغير الحكومة . . وكان الوكيل يطلب قلب نظام الحكم في سوريا وضمها للعراق تمهيدا لقلب عبد الناصر ، وبالطبع كان الأمريكان يسخرون منه كما سرى في مكان آخر . . ولكن نورد هنا هذه القصة . . قال ايفيلاند مؤلف كتاب حبال الرمال والذي كان يتولى التنسيق مع المندوب البريطاني إنه على الطائرة قال لوكيل الخارجية البريطانية « ايفيلين شوكرجج » : « إني قلق من محاولة العراق

• يعزز روايته ما جاء في ملفات الخارجية الأمريكية بعد ثلاثين سنة من أنهم عثروا على التقرير في ورقة « دشت » بلا أرقام ولا حافظة ! . .

•• نشر شوكرجج هذا في عام ١٩٨٦ مذكراته التي انتهت في ١٩٥٦ فلم ترد هذه القصة ولعل العمر يطول به لو تسمح له الفوائح للتعليق وإن كانت يومياته المنشورة تؤكد رغبة ايدن المحمومة في تصفية عبد الناصر ولو بالسلم أو حتى خنقه بيديه !

الاستيلاء على سوريا عبر انقلاب أو بالقوة ، فرد علي شو كبرج غاضبا : « أظن أنك تفضل أن يستولي على سوريا ، ناصر بناع السي آي ايه » وهذا هو النص الأمريكي :

Perhaps you'd prefer to have the CIA's Nasser in control of syria instead ? »

أظن أن وكيل وزارة الخارجية البريطانية لا يمكن أن يقول هذه الصفة عن رئيس أكبر دولة عربية ، وفي حديث على الطائرة مع ممثل الولايات المتحدة الأمريكية بدون أي أساس !؟ . . . ولمجرد إغاضة الناصريين بعد ثلاثين سنة !

على أية حال لقد أسقط في يد المؤلف في النهاية ، فقبل الحقيقة المسلم بها داخل جميع الأجهزة الأمريكية وقتها فقال بالحرف الواحد :

« وعندما اعتصر الكونجرس آلن دلاس في سؤاله حول أسباب فشل الـ CIA في التنبؤ بانقلاب العراق ، وكيف استطاع ناصر الاستفادة من الثورة اللبنانية وإخضاع مشروع ايزنهاور . ولأن دلاس لم يكن راغبا في نقده سياسة أخيه ، كما لم يكن راغبا في الاعتراف بأن المخابرات الأمريكية ساعدت على فرض عبد الناصر كرمز للقومية العربية فإنه لم يتردد في نسبة مشاكل الشرق الأوسط لروسيا ، وتعهده بأن تبذل الوكالة (المخابرات) كل جهد في طاقاتها لحصر انتشار النفوذ الشيوعي » .

That the CIA had helped to establish Nasser as a symbol of Arab
« Nationalism.

وقال عن « ايكلمبرجر » ولأن جيم ايكلمبرجر كان أحد المجموعة clique التي تفتخر بأنها اخترعت ناصر « invent » المؤيد للغرب . فإني لم أدهش عندما قال لي إنه ما من دليل على الإطلاق ، على أن الرئيس المصري عميل للسوفييت إلا أنني لم أقدر على معارضته عندما قال (ايكلمبرجر) إننا نحتاج مع ذلك ، لمعارضة سياسات ناصر علنا ، ويجب علينا مواجهة أعماله بطريقة تترك مجالا للمناورة معه عندما يكتشف في النهاية أن الدب الروسي يمكن أن يعصره بين أحضانه .

وقال :

« كانت الصحافة البريطانية تتهمنا (الأمريكان ج) بأننا أدركنا ظهورنا لحلفائنا البريطانيين وتنضامن مع عملائنا المصريين والسعوديين الذين تعاهدوا على إخراج بريطانيا من الشرق الأوسط » .

وقال : « في مطار القاهرة قابلني شارلس كريمانز الذي عملت معه لما كان في المخابرات CIA في وظيفة كبير محللي الشرق الأوسط في المجلس الوطني للتقديرات . قال كريمانز إن قرار فوستر دلاس غير المناسب بإرسال جورج آلن قد أغضب ناصر الذي ضمن إنذاراً . . . وأن المخابرات CIA تحاول الآن عبثا تهدئته » .

« ولما قال لي كرمباز إنه يتعامل مع وزير الداخلية المصري وأنه كثيراً ما يرى ناصر نفسه ، سألته مازحاً إذا ما كان يعلمها كيف يسيطران على العالم العربي ، فوجئت به يرد عليّ بجديّة تفوق ما كنت أتوقع ، إذ قال . . إن هذه كانت فعلاً خطة المخابرات CIA الأصلية ، ولكن الوكالة CIA تحاول الآن توجيه مصر إلى ميادين مطابقة لأهداف الولايات المتحدة » .

« وفكرت في نفسي : هذا هو واحد من أهم المحللين في المخابرات CIA وأستاذ جامعي سابق في القاهرة ، والآن يشغل نفسه بالعمل السري السياسي بدلا من جمع المعلومات حول ما أهداف ناصر الحقيقية » .

هذه أقوال شاهد النفي . وأظن أن أية محكمة في العالم حتى ولو كانت محكمة الدجوي ستكون كافية به كشاهد إثبات^{٣٢} .

المراجع

- ١ - تقرير العلاقات الخارجية المنشور سنة ١٩٨٠ ص ١٠٠٠ .
- ٢ - ن . م ص ١٠٤٦ .
- ٣ - ص ٥٢ لعبة الأمم .
- ٤ - ن . م .
- ٥ - ن . م من ص ٥٧ إلى ص ٧١ .
- ٦ - ن . م ص ٧٤ .
- ٧ - ن . م .
- ٨ - حمروش .
- ٩ - التنظيمات السرية في عهد عبد الناصر ص ٢١ .
- ١٠ - مجلة الوطن العربي ١٩٦٨ .
- ١١ - ص ٢٣٩ ملفات السويس .
- ١٢ - حبال من رمال ص ٢٠٣ .
- ١٣ - انظر الصفحات من ١٩٩ - ٢٠١ ن . م .
- ١٤ - ص ١٣ وهو يقول إنه اعتمد على قانون حرية المعلومات في تأليف كتابه .
- ١٥ - ص ٦١ حبال الرمال .
- ١٦ - ن . م .
- ١٧ - ن . م ص ١٦١ .

الملاحق

- م^١ - أقواس المؤلف الأمريكي . . وهي طبعاً غير ناضجة لهذا النموذج من الديمقراطية الذي قدمه سوريا بانقلاب الزعيم ، ولحصر بانقلاب ٢٣ يوليو !!
- م^٢ - وجاء في كتاب حبال الرمال أن شركة النابلاين تأسست عام ١٩٤٥ ، وعهد في تنفيذ الخط

شركة أمريكية ناشئة في ذلك الوقت هي شركة « بكتل » التي ستصبح من كبرى شركات المقاولات العالمية (وستخرج منها وزير خارجية أمريكا ج) . ولكن المشروع تعثر بسبب حرب فلسطين . ثم رفضت حكومتا لبنان وسورية التوقيع على اتفاقية الخط عام ١٩٤٩ (ص ١٧٨) وحتى هذا الكاتب الشريف يتعمد إغفال الإشارة للظروف السعيدة التي أدت في النهاية إلى التوقيع السوري على الاتفاقية في عهد الزعيم السوري بعدما رفضت في كل عهود الرجعية ! .

وأول دفعة شحنت في أنابيب التابلاين كانت في نوفمبر ١٩٤٩ . . بعد مقتل الزعيم بحوالي ثلاثة شهور . . فهل تذكر أمريكي واحد أن يدهن قبر « الزعيم » بالزيت أو حتى ينقله إلى المقبرة الأمريكية ؟ !

قلّة وفاء !

م ٣ - ويقول مايلز كوبلاند إنه ليس إلا في ظل الوحدة ، ورئاسة جمال عبد الناصر حتى أنه تم « حل الخلاف المزمع بين سوريا (الإقليم الشمالي) والتابلاين » . وكان مديرو شركات النفط يقولون إنهم يفضلون التعامل مع مسئول مصري حتى ولو كان معادياً على التعامل مع العرب الآخرين ولو كانوا أصدقاء ، ص ٢٦٠ .

م ٤ - نص البرقية لم يرد في الوثائق ، ولكن ورد ملخص لها في صفحة ٩٦٢ بقول : حسني الزعيم كجزء من تسوية شاملة تتضمن تعديلات عملية في الحدود ، أبدى استعداداً لقبول ربيع مليون لاجيء فلسطيني إذا ما منح مساعدات أساسية للتنمية . بالإضافة إلى تعويضات للاجئين والبرقية ٢٥٦ أضافت أيضاً أن رئيس الوزراء (الزعيم) عادي يكرر رغبته في تصفية مشكلة فلسطين باتباع سياسة خذ وهات . على شرط ألا يطلب منه إعطاء كل شيء بينما الجانب الآخر يأخذ كل شيء . « إن هناك فرصة حقيقية لتسوية سريعة للمشكلة الفلسطينية فقط إذا ما عقدت الحكومة الأمريكية المعزم على دفع الإسرائيليين لمواجهة الوضع بروح المساومة المنصفة والواقعية » . (ص ٩٦٢) . ومن المثير أننا نجد نفس الموقف تتخذه حكومة ناصر من مشكلة اللاجئين والموافقة على توظيفهم مقابل مشروعات تنمية ! (انظر فصل المواجهة مع إسرائيل) .

م ٥ - مادح نفسه إبليس ، فالزعيم لم يكن يفعل أكثر من ترويض ما يضعه كاتب الرسالة في فمه ، حتى الاعتراض وطلب تنازلات مقابلة هو من حكمة الأمريكيين وليس من وطنية الزعيم .

م ٦ - رئيس وزراء اليونان في التسوية التي عقدت بين تركيا واليونان عقب الحرب العالمية الأولى .

م ٧ - كنا لا تزال طلبة عندما وقع الانقلاب السوري الأول ، وأذكر يومها الصديق المرحوم ر . ش . الذي دخل معي في حوار أنهاء بقوله : مهما يكن رأيك فقد دخل « حسني الزعيم » التاريخ ، وسرعان ما قتل حسني الزعيم وعرفنا من أي باب دخل وكيف انتقل فوراً إلى مزبلة التاريخ ، ولكن أخشى أن يظن بعض الشباب أن نجاح رجال انقلاب ٢٣ يوليو والدفاع عنهم إلى اليوم ، وكذلك المعز الذي يعيش فيه بعض الصحفيين الذين باعوا أنفسهم للمخابرات الأمريكية أو البريطانية أخشى أن يظن هؤلاء أن « الجريمة تفيد » ، ولهم أقول إذا كان هناك ثواب وعقاب ، فإن الله لا يجرم بعد الشرك به جرماً أكبر من خيانة الوطن ، فإن كانت الدنيا مصاليح وما نحيا إلا هذه

الحياة الدنيا ، قيسى الشرف ، يبقى ما تتركه لأولاد وأحفاد سيجملون اسمك ويسواجهون ما تكشفه الملفات ولا بد أن ينكشف . . أما حياة الفرد الخائن ذاتها فهي غير مأمونة ، وقد رأينا ما أصاب بعض الذين باعوا ضمائرهم عندما كشف أمرهم أو انتهت خدماتهم ، إن المخابرات التي استخدمتهم تتخلص منهم كما تتخلص من الصراصير والذباب . . وعبرة التاريخ كله تؤكد أن الخائن هو الخاسر وأن كسب الفرد لا يتحقق من بيع الوطن . .

م^٨ - حتى السبعينات كان مرتضى المراغي يعتقد كما صرح للمؤلف ج . ك أن الانقلاب كان بعدله هو ١١ بينما يصفه تقرير السفارة الأمريكية بأنه آخر Ace in the hole عند الملك

م^٩ - هنا اضطراب أوليس غير واضح . . فهو قال في المقدمة إن روزفلت ينس في مارس ، ووافق على مقابلة الضباط الأحرار وإن كنا لا نفهم لماذا تمتنع رجل مخابرات عن مقابلة الضباط الأحرار حتى ولو كان لا يزال مخلصاً للملك ؟ على أية حال نحن لا نعلق أهمية كبيرة على حكاية أماله في الملك فقد جاء بعد حرق القاهرة ، ولم يكن مجنون واحد يراهن على الملك بدولار . . المهم أنه ثابت من الوقائع أنه قابل الضباط الأحرار في مارس ، وأن الانقلاب اتفق عليه وتقرر في مايو ١٩٥٢ ويمكن مطابقة ذلك على بعض التواريخ في مذكرات الضباط الأحرار .

م^{١٠} - معذرة لو أطلنا في نقل هذا الكلام ، ولكنه يعطي فكرة عن « ثقافة » و « فاشية » المتحدث الرسمي باسم ناصر . . كما يعطي فكرة عن طبيعة الحوار وتطور أسلوب الاستمرار ، فهم يتحدثون عن « الثورة » ويشرحون الثورات . . وهم يدبرون القضاء على الثورة والثائرين !

م^{١١} - وهذا يعني أن معرفة « ليكلاند » هيكل سابقة على معرفة الأمريكي بالضباط ، وتساءل هنا هل يمكن أن يطلع عبد الناصر صحفياً في « دار أخبار اليوم » على اتصالاته بالمخابرات الأمريكية ويشركه في اجتماعاته معهم على هذا النحو ، مهما يكن حجم ونوع الصداقة التي استمرت فجأة بينهما . . إلا إذا كان « هيكل » في سر الاثنين قبل إعلانه ١٩ . .

وما معنى وصف كوبلاند لمصطفى أمين بأنه صديق ناصر ومنى بدأت هذه الصداقة وحول ماذا ١٩ . .

م^{١٢} - علاقة هيكل بالسفارة الأمريكية قبل ٢٣ يوليو أكثر من معروفة وواضحة من كلام كوبلاند ولكن كيف أصبح مثل عبد الناصر في أخطر المهام وهي العلاقات المصرية - الأمريكية ، وهذه السرعة ، وبعد أن أصبح جمال عبد الناصر في السلطة ١٩ هذا هو لغز أبي الهول . . هل فرضه الجانب الأمريكي كوسيط ، أم أن علاقته بعبد الناصر سابقة على ٢٣ يوليو وأن ناصر كان يعرف ويستفيد من علاقة هيكل بالسفارة الأمريكية ١٩ سؤال يضاف إلى حيرت الخائرين . .

م^{١٣} - وهم حقاً « لا ثوريون » ويتضح ذلك من سلوكهم ، فهم في البداية لم يبدؤوا غضاظة بل قبلوا دون اعتراض التعاون المطلق مع المخابرات الأمريكية ، وجلسوا في « براءة » يتعلمون أصول مكافحة « العدو » على يد مدربين من هذه المخابرات التي كان يعادىها كل الشرفاء والوطنيين في العالم كله . . أما هم فلم يظرف لهم ضمير في نفس الوقت الذي كانوا فيه يحكمون مصر بحجة محاربة العملاء والنشوء الأجنبي ، وكانوا يحكمون بالسجن والإعدام تلفيقاً بتهمة الاتصال بالأجنبي الذي

يتعلمون على يديه محاربة هؤلاء الذين أعدموهم وشردوهم ! ثم يصعب جداً أن تجد شخصاً منهم لم يتقبل الفساد ويحصل على جرعة منه ولو شقة من الحراسة . ثم نأمل ما فعله النوار في الصين وكوبا وما فعله هؤلاء بمصر ، لتأكد من صحة تحليل المدرب : إنهم يمتازون بعدم الثورية !

م^{١٤} - ومرة أخرى نتأكد ملاحظته أو فراسته ، فقد تعرض المثقفون المصريون لأبشع امتحان وأسوأ معاملة في ظل العسكر الناصري ، بما لم يشهده أي عصر من العصور من إعدام إلى ضرب بالسياط إلى تعين « صول » مدير كبرى المؤسسات الصحفية ، وجعل المثقف تابعاً للمضابط . . . وأيضاً إن أكبر وأخطر تدهور ثقافي في تاريخ مصر حصل في عهدهم .

م^{١٥} - وهو الذي سيمه ايغلاند أبولوجي أو مفكر النظام الناصري والذي تخصص في زيادة شعبية الرئيس عبد الناصر في العالم العربي !!
عجبي !!

م^{١٦} - الآن نعرف لماذا كان عبد الناصر لا يحب الأسكندرية . لأن الموقف يحتاج إلى اسكندري أصيل ليعلق على تأليف المخابرات الأمريكية في حل مشاكل الحكومة الثورية التي تحكمنا يا ولداة !
م^{١٧} - ص ٩٣ . وقد أوضحنا أن المثل الذي يضربه باستمرار هو الصلح مع إسرائيل ، ولكن هناك قرارات أخرى غير شعبية قررها عبد الناصر بهذه السلطة .

م^{١٨} - دراسة « قام بها أمريكي لا أستطيع الإفشاء باسمه لحساب صلاح سالم عن الوسائل التي تعين عبد الناصر في إيقاظ مصر . وهذا الأمريكي استعان بدراسة ممتازة وضعتها سيدتان من مكتب الدراسات الاجتماعية في جامعة كولومبيا » ص ١١٢ . « في يناير ١٩٥٤ جاء إلى مصر « بول لينبرجر » أكبر خبير في البتاجون في الدعاية السوداء والرمادية . وخلال العشر سنوات التالية كانت اكتشافات المخابرات الأمريكية بجررها لينبرجر وتحويل إلى الكولونيل « حاتم » ، مع الدراسات التي قام بها الباحثون الذين اختارهم صلاح سالم ، طورت بمساهمة ملاحظات من عبد الناصر نفسه ، على ضوء خبرته وتحوّلت إلى دراسة ضخمة وضعها عبد الناصر في حوز حريز في درج مكتبه . وقال إن حضور « بول لينبرجر » هذا كان بتشويق بين ناصر وكافري وأن أول أعماله كانت تحطيم سمعة محمد نجيب . « مدير المخابرات الأمريكية في مصر طلب من واشنطن إقناع الإسرائيليين بمدح الإخوان . باعتبارهم القوة الوحيدة القادرة على خلع عبد الناصر . وهذا ما يعرف في التاكثيك المخبراتي « بمدح العدو لتثويبه سمعته » ص ١٨٥ .

م^{١٩} - وهذه هي الشركة الوهمية التي كان يستر وراءها « مايلز كويلاند » رئيس المخابرات الأمريكية في مصر . وهي التي دربت رجال المخابرات والمباحث المصرية على حماية الثورة ، وتخريب « الكوادر السياسية لبناء الاشتراكية » !!

م ٢٠ - وفي هذا المجال ولزيادة الاطمئنان فإن المخابرات الأمريكية بدأت علاقتها مع عبد الناصر بأن قدمت له أسماء بعض المتعاونين معها ، وتم التخلص من بعضهم بينما اتفق الطرفان على استمرار التعامل مع بعضهم كضباط اتصال موثوق بهم من الطرفين . وقد قال مؤلف كتاب « حبال من رمال » الذي استشهد به هيكل على أهم نقطة - في نظره - في كتاب « ملفات السويس » قال إن محمد حسين هيكل ومصطفى أمين جندتهما المخابرات الأمريكية كعملاء وكان ذلك بعلم عبد الناصر وقد أشار مصطفى أمين إلى هذا الدور الذي كان يلعبه بعلم عبد الناصر في رسالته إليه . وأيد « هيكل » أن عبد الناصر كان يعلم بارتباط مصطفى أمين بالأمريكان وأنه ينقل من هنا هناك ومن هناك هنا . . . وبقي أن يتكلم مصطفى أمين .

م ٢١ - ص ٣٢٠ حبال الرمال - وفور قراءة هذا النص نشرناه وطالبنا الأستاذ « هيكل » برفع دعوى ضد المؤلف صيانة لشرفه وشرف المهنة التي نتسب إليها . . فلم يرد ، وقد أعدنا النشر في « رسالة التوحيد » . . فلم يرد فتقدمنا بيلالغ على يد محضر لثقابة الصحفيين ، اعتقاداً منا أنه أمرهم نقابتنا فعلاً أن تدافع عن شرف « أشهر » صحفي مصري . وعرضنا أن نطلب النقابة من الأستاذ « هيكل » أن يرد على هذا الاتهام الصريح المنشور بأنه هو ومصطفى أمين جندتهما المخابرات الأمريكية وأن يتقدم للقضاء الأمريكي ضد المؤلف والنشر بطلبهما بإثبات دعواهما أو الاعتذار ومصادرة الكتاب ودفع التعويض . وطلبنا من النقابة إذا اقتنعت بزيغ الاتهام أن تتضمن هي بدورها مع الأستاذ « هيكل » في رفع القضية مادياً وأدبياً وأبدنا استعدادنا للترحيل بما يسهل ذلك . . فلم ترد النقابة . بل وجهت الدعوة إليه ليحاضر في الوطنية . وأخيراً استشهد الأستاذ « هيكل » بكتاب « ايفيلاند » ذاته دليل اطلاعه على الاتهام وسكوته ! . .

م ٢٢ - وأخيراً لمن سبأل لماذا لم تطالب « مصطفى أمين » برفع نفس القضية أقول لأن « مصطفى أمين » صادر ضده حكم بذلك من محكمة مصرية . ومن ثم سيقول له القضاء الأمريكي : ارفع قضية في مصر أولاً . .

م ٢٣ - أشار المؤلف إلى مايلز كويلاند في مقدمته ضمن المراجع التي أفادته وشكره على ذلك ووصفه بأنه « خريج محترف للمخابرات الأمريكية » .

م ٢٤ - ترجمنا of the CIA إلى « بناع » السي أي ايه لأنها أدق جداً من أبة لفظة قسيحة أخرى دون أي تحيز ضد الفصحى لغتنا الشريفة الخالدة يا ذن الله .

م ٢٥ - كتبها MAHDI وهو خطأ ربما يرجع إلى إتقانه اللغة العربية الفصحى !!

م ٢٦ - وهي التي درست رجال المخابرات والمباحث الجنائية المصرية في مطلع العهد الثوري !

م ٢٧ - وقال إن هذه هي طريقة كويلاند في « تليس » عهده الخبر بقوله - كما نعرف بالطبع -

م ٢٨ - هذا هو اجتهدنا في ترجمة CIA safe house ولم نفهم كيف يكون بيت التهامي بيت الـ CIA الأمن ؟!

م^{٢٨} - وقال ايفيلاند معرضاً بأسلوب كوبلاند في الحديث عن التهامي : « ولكي يعرف القاري أي « فتي » كان هذا . . فقد عرفنا نحن فيما بعد أنه أكبر مساعدتي عبد الناصر إلى وفاته » ثم عين نائباً لرئيس الوزراء للقصر الجمهوري في عهد السادات ، وأخيراً هو الذي اجتمع في الرباط سرّاً مع موسى دبان لترتيب الاتفاقات التي سبقت رحلة السادات التاريخية في ١٩٧٧ إلى القدس . وحضر مقاضات كامب ديفيد مع الرئيس كارتر كمستشار للسادات « هامش ص ٩٩ .

م^{٢٩} - لما سأله الأمريكي ما هي خبرته كصاغ رقي إلى لواء في قيادة الجيوش العربية ؟ قال عامر : إن العدو المستهدف هو إسرائيل ، وهذا يعني أننا ندافع عن أرضنا ، ومن ثم نحن نحتاج إلى الوطنية أكثر من الخبرة . وهذا صحيح لو أنهم فعلوا واعتصموا بإطلاق الروح الوطنية للشعب المصري .

م^{٣٠} - قال كوبلاند : إنه استرق النظر إلى جواز بيل ايفيلاند وعرف أنه زار لبنان والعراق والأردن واستتجت من معرفتي بالعلاقة الوثيقة التي تربط ايفيلاند بشمعون وتوري السعيد والملك حسين أنه عمل على إقناعهم بنوع من الأحلاف الدفاعية عن الشرق الأوسط ص ١٤٩ لعبة الأمم . لاحظ تجسسه ولاحظ أن ايفيلاند لم يخبره . . كما لم يخبرنا الوغد النبيل ولو بعد ٢٥ سنة !

م^{٣١} - صحيح نظمت المخابرات الأمريكية وشركات النفط وغيرها أكثر من ثورة في أمريكا اللاتينية ، ولكنها كانت محدودة وفي مجال تنفرد فيه أمريكا غالباً بالعمل . كما لم نحاول هذه الثورات التطلع إلى نشر دعائنها خارج حدودها ، وطواها النسيان فور اختفاء قائد الانقلاب أو انتهاء أعمال الشركة .

م^{٣٢} - هل يفهم من هذا أن عبد الحكيم عامر لم يكن داخل اللعبة بالكامل ؟

م^{٣٣} - وقد تفضل الأستاذ « هبكل » وصحح لنا اسم هذا الشاهد فكتبه « ولبور » وله الشكر . . ثم استشهد من كتابه هذا « حبال من رمال » وهذا يعني أنه قرأ الكتاب واعتبره وثيقة في ما يرضيه ، فلا أقل من أن يبقى أو يفتد أو يرد ما لا يقبله أو ينكره كما فعلنا نحن ، وفي الكتاب كما رأينا اتهامات خطيرة تخصه شخصياً وتخص عبد الناصر والتاريخ الذي يحاول تسجيله ، ولكنه أثر السلامة فلم يتعرض لذلك بحرف . .

والسكوت علامة الرضا . . ولكن للبكر ! . .

قبل الطبع

. . . أبلغني سفير دولة عربية أن المرحوم « حسن صبري الخولي » الضابط والممثل الشخصي للرئيس عبد الناصر اعترف له أنه شخصياً (أي حسن صبري الخولي) قد حضر بعض تدريبات « محمود عبد اللطيف » على تنفيذ عملية المنشبة ! أي أن محمود عبد اللطيف كان تحت إشراف المخابرات الناصرية قبل الحادث وجرى تدريبه عليه بمعرفةهم ! أما أن أن يتحرك الإخوان لإعادة فتح التحقيق في مسرحية المنشبة الدموية . . أين ورتة عبد القادر عودة والشهيد يوسف طلعت بطل حرب فلسطين ومعارك الفتاة ؟

الفصل الخامس

الدبة والزعيم .. ورسالة مصطفى أمين

« .. وعرفت أن قادة الثورة يعلمون جيداً أن كل هؤلاء
من المخابرات الأمريكية ولكنهم يرون المصلحة في
الاتصال بهم .. »

من مصطفى ..
.. جمال ..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾

صدق الله العظيم

فصل / ٣٣

وأماننا الآن شاهد من نوع خاص ، ملء السمع والبصر . . يحتاج المرء إلى كل وطنيته وموضوعيته ليحاكمه ويدينه . . ولو كان هذا الحديث يكتب منذ ثلاثين سنة أو أكثر ، لما تردد القلم لحظة واحدة ، ولا أحسست إلا بالفرحة والنشوة وأنا أشرح جثة مصطفى أمين السياسية ، ولكن السنوات لعبت بنا جميعاً ، وقامت بيتا علاقات يمكن بكثير من التجاوز وصفها بالإنسانية ، أو الاجتماعية* ، وأصبح يحز في القلب أن توجه إليه تهمة الخيانة والعمالة ، وخاصة أن الرجل نسيج وحده ، كفاءة نادرة ، وجلد على العمل لا مثيل له في تاريخ الصحافة أو الكتابة . . ثم كانت حادثة سجنه بتهمة العمل للمخابرات الأمريكية ، وهو ما يتفق الجميع على وصفه « بالغدر » لأنه كما قلنا يومها ، إن « الثورة » التي لم تعتقل مصطفى أمين في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لا يمكن تبرير موقفها منه في ١٩٦٥ وبعدما كان في قلب تحريكها السياسي لأكثر من عشر سنوات .

ثم إن الرجل قد بلغ من العمر عتياً ، وهو متعدد المواقف والنشاطات واشتهر بالدفاع عن الديمقراطية حتى أصبح نجماً شعبياً ، وخاصة في تحدي السلطة منذ أواخر عصر السادات . . وإن كانت هذه أيضاً محل تساؤل ، إلا أن الرجل أحد القلائل الذين أنزلوا بمصر ضرراً فادحاً منذ أن تآلق في سماء الصحافة المصرية ، ولو مات أو متنا قبل أن نعرف علاقته بالمخابرات الأمريكية لصار غصة في حلقنا . . فقد كان نجاحه على الرغم من الإرادة الوطنية المصرية ، وبدفع أمريكي كما كنا نشك وكما جاء في اعترافاته . وقبل يوليو ١٩٥٢ كان الشارع السياسي مجمعاً على خيائته وتأميره على الحركة الوطنية . . وكان كيداً للوفد لحساب السراي ، عملاً يتفق ومصالح الانجليز والرجعية المصرية وضد النطلع الشعبي ، فلما قرر الأمريكان الإطاحة بالملك ، أسف في التشنيع

* وذلك بعد أن انكشف أمره وزال عطره .

عليه وخاصة بفضيحة أمه وأخته في أمريكا ، والتي يمكن أن تفهمها الآن ، ولم متأخراً جداً ، على ضوء ما عرفناه عن تأمر المخابرات الأمريكية ضد الملك فاروق ، فأغلب الظن أنها دبّرت هذه الفضيحة ، وأغوت أخت الملك وأمه ، ثم أطلقت عليها ، الصحافة ، وقد لقينا في النهاية المصير النعس الذي يلقاه كل من يقع في شرك تلك الأجهزة التي لا تعرف الوفاء ولا الضمير . . . غير أن سخط الناس واحتقارهم فاق كل حد عندما انتهت « أخبار اليوم » على سيرة وسمعة وتاريخ الملك فاروق نفسه بعد الثورة ، لا حباً في الملك بل لما في الموقف من خسة ونذالة ، من كاتب هو أول من مجد الملك وأكثر من أكل على مائدته . . . و « مصطفى أمين » هو الذي قاد المعركة الإعلامية ضد الأحزاب وضد الديمقراطية وضد الدستور ، وهو الذي دس الأخبار الملفقة التي مكنت الديكتاتورية من البطش بالأحزاب ثم بمحمد نجيب ، وهو الذي صنع أسطورة الزعيم وشن الحملات البذيئة ضد ملوك وروساء العرب .

ومصطفى أمين كما تكشف الوثائق اليوم ، كتب وتعامل مع السفارة البريطانية ، ونوجه إلى تلك السفارة يوم حرق القاهرة يدبر لهم مع القصر إقالة حكومة الوفد ، وهو الذي كان حرباً على الحركة الوطنية في فترة إلغاء المعاهدة حتى كادت الجماهير أن تحرق أخبار اليوم لولا استعانته ببعض العمال المتأجورين ، والذين كان يدفع لهم بسخاء من الموارد الخفية التي اعترف بها في رسالته لعبد الناصر والتي كانت تندفق عليه بسبب علاقته بالمخابرات الأمريكية .

ومهما يكن رثاؤنا للرجل ، فلا مجال للمقوسه عليه ، لأن ما جناه ضد وطنه يجعل أية عقوبة أقل مما يستحق .

اعتقل « مصطفى أمين » في ١٩٦٥ عندما وصلت العلاقات الناصرية - الأمريكية إلى الصفر ، ونال مصطفى أمين جزاء سنار أو صدق فيه الحديث الشريف : من أعان ظالماً على ظلمه سلطه الله عليه . فأتمت داره الصحفية وعزل من رئاسة تحريرها ، بل ومنع من الكتابة فيها ، وراجع مقالاته غلمان الحركة الشيوعية المنحلة . . . وأحسن أن الأرض ملغومة ، وأنه قد يكون الكلب الذي يذبح لإرهاب الفرد ، فترامى على المندوب الأمريكي للمخابرات يطلب مساعدته على الخروج وتهريب أمواله ويلج عليه في طلب المزيد من الضغط الأمريكي لإرجاع ناصر إلى صوابه . . .

وكان عبد الناصر قد ضاق ذرعاً باللعبة مع الأمريكان ، وتدهورت أسهمه في بورصة الحرب الباردة وصراع النفوذ فقبض الأمريكان بدهم ، واستبد به الروس . . . وحز في نفسه تصرف مصطفى أمين ، ونسي ما فعله مصطفى أمين من أجله ، وما فعله هو بمصطفى أمين فأمر باعتقاله بتهمة التجسس ، ولم يكن تنفيذ ذلك بالأمر الصعب . . .

وفي التحقيق أو السجن كتب مصطفى أمين رسالة مطولة لعبد الناصر ، وإن كانت

أجزاء منها يتحدث فيها عن عبد الناصر بضمير الغائب ، مما يؤكد رأينا في أن الرسالة قد تعرضت لرقابة ما ، وأنها تجمع بين اعترافات في محضر التحقيق ورسالة استعطاف لعبد الناصر . .

وجهة ما قد تكون المخابرات العامة أو أقرباء عبد الناصر* أعطوا الرسالة لصحفي ناصري الذي نشرها في جريدة العرب بالمقدمة التالية :

« وقد كتب مصطفى أمين اعترافاً تفصيلياً في مذكرة طويلة أرسلها إلى جمال عبد الناصر ولا يمكن أن يدعي أنه كتبها تحت ضغط ، لأنها تحمل تاريخ حياته ، وقصة ارتباطه بالمخابرات الأمريكية التي بدأت قبل الثورة بسنوات ، وفيها يحكي كثيراً من التفاصيل حول الذين جندهم للعمل معه من المحررين بعلمهم أو بدون علمهم ويعدد المكاسب التي حصل عليها من المخابرات الأمريكية . . . »^١
ونحن نوافق على هذا حرفياً ، ولا نتصور كذب مصطفى أمين على عبد الناصر في مثل هذه الرسالة وفي وقائع يعلمها عبد الناصر .

كذلك نوافق حرفياً لأول مرة في حياتنا ، على قول « هيكल » أو اعترافه بأن الأستاذ « مصطفى أمين » كان هو الصحفي المعبر عن السراي واتجاهاتها ، وقد ظل هذا الوضع قائماً حتى سنة ١٩٥٢ .

بالضبط هذا ما قلناه قبل ثلاثين سنة فحرمنا من جائزة الملك فاروق مرتين ! وما قاله « أبو الخير نجيب » فنكلوا به تكتيلاً !

فقط . . أين كنت أنت يا أستاذ هيكل في تلك السنوات التي كان فيها مصطفى أمين يعبر عن السراي ؟ . . ألم تكن معه في « أخبار اليوم » بل نجمها الصاعد المثلث ؟ ألم تكن شريكاً في صحيفة السراي ورئيس تحرير مطبوعاتها مرة بالفرد ومرات بالجزء . . الآن فقط عرفت أن أخبار اليوم أسستها المخابرات الأمريكية ونحن كنا نداول هذه الحقيقة على المفاهي في الأربعينيات ؟**

* وقد نشر « هيكل » نفس الرسالة معدلة نوعاً ما في كتابه « بين الصحافة والسياسة » وقد قضا بتصحيح ما نقلناه عن النص القديم اعتماداً على نص هيكل باعتباره المصدر الأصلي .

** كان الأستاذ « أمين صفوت » المحامي قد عمل في دار أخبار اليوم في فجر حياته العملية ، قبل انقلاب يوليو واستطد بالطبع مع « محمد حسين هيكل » ورغم إعجاب علي أمين بعمل الأستاذ صفوت إلا أنه قال له بصريح العبارة : « لابد أن تعرف إن محمد حسين هيكل هو أحد الأعمدة التي تقوم عليها هذه الدار . . » وقد هدم هيكل الدار . . أما آن الأوان أن يعيد مصطفى أمين قصة « شمسون » فيحكي القصة كاملة قبل . . أطال الله عمره وألفظ ضميره وطهر قلبه من أوهام الولاء لمن تركوا تلميذه ينهش لحمه وفرضوا عليه السكوت ! وقد قلت دائماً =

هل يعقل وأنت الصحفي العالمي الطائر من كوريا إلى إيران محلل السياسة الدولية والفائز بجائزة الملك فاروق مرتين . . بل أنت أنت لك المجد الذي جعل الموقف عتبة ٢٣ يوليو وفي سيارة ، واستخلصت أن بريطانيا لن تهاجم الثورة إذا ما قامت ، وأخذ عبد الناصر بتحليلك واتكل على الله وعليك وقام بانقلابه فغبرت مشورتك وجه التاريخ . أيعقل بامسئدي أنك لم تشم رائحة المخابرات الأمريكية في أخبار اليوم إلا في سنة ١٩٨٤ . .

عيب !

الآن جئت تقول : « الدار دي ريجتها مستكى »*

وأحب أن أقول إن مؤسسة ضخمة مثل أخبار اليوم . وبالمهدف الذي قامت من أجله لم يكن من المعقول أن تقتصر على صحفيين عملاء ، ولكن في الفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٢ على الأقل لم يكن من المعقول أن يتألق فيها ويلمع صحفي وطني فضلاً عن ثوري يدبر انقلاباً . . أما بعد ذلك وخاصة في نهاية الخمسينيات فقد اختلطت الأمور واستوصلت أو أبعدت الأعلام الثورية . . وانضبط الجميع فلم يعد ييم من يكتب ماذا . . كذلك أتحدى أي مؤرخ أو محلل سياسي للفترة ما قبل ١٩٥٢ يوافق على أن ضابطاً وطنياً ثورياً بمعادى الانجليز والسراي يمكن أن يتجه إلى دار « أخبار اليوم » ومحمد حسين هيكل لخلق صلة من أية نوع . . لقد كان الوطنيون يتحاشونها كالجرب . .

كذلك نتك بنص رافع أورده العالم الخبير الأستاذ هيكل تعليقاً حول تقرير للسفير البريطاني جاء فيه : « تلقى أحد أعضاء هذه السفارة مكالمة تليفونية من علي أمين يسأل إذا كانت هناك صحة للتقارير التي تحدثت عن تحركات واسعة النطاق للقوات البريطانية » .

فعلق لا فـض قـوه ولا عـدمنا اعترافاته :

« ليس متصوراً بالطبع أن يكون الأستاذ « علي أمين » قد اتصل بشخص في السفارة لم يعرفه من قبل لئلا هذا السؤال الخطير ، وليس مقصوداً أيضاً أن لا يذكر السفير في تقريره اسم المشو الذي جرى معه الاتصال . . ومن هنا يمكن استنتاج أن الشخص الذي اتصل به الأستاذ علي أمين يعمل في السفارة ولكنه ليس في الأقسام السياسية الظاهرة ، التابعة لسلطة السفير وإذن من هو وتحت أي غطاء يعمل ؟ » (حرقياً من كتاب بين الصحافة والسياسة) .

== إنه ما من شيء يخفف ذنب مصطفى أمين إلا أن يكشف كل شيء عليه وعمل أعدائه . . ليعرف الشباب الحقيقة . . فهل يفعل ؟ . .

• المثل المصري : أكل واتكى وقال دا رحته مستكى ! والمستكى في التعبير الفلاحي هي « الجلة التي تصنع من روث البهائم ، أجلك الله !

وحنقاً لولائك باجرادة ما وقعت باعصفور ..

الله أكبر !

من فمك أدبتك يا إسرائيل ، روزفلت ايكلبرجر ليكلاند ايفانز جونز .. وما رأيك أن جميع اتصالات عبد الناصر بالسفارة الأمريكية وردت في مجموعة وثائق ١٩٥٢ - ١٩٥٤ تحت عبارة : اتصل « بموظف السفارة » أبلغني موظف السفارة أن « ناصر » أو أبلغ ناصر موظف السفارة « .. وبأي صفة كنت أنت تتصل وما الغطاء الذي كانت تعمل تحته خلية النحل المخبرانية بالسفارة وحوها .. تستكثر على « علي أمين » الذي كان يسرحك من كوريا إلى إيران أن يعرف موظف مخابرات في السفارة البريطانية وأنت قبل حرق القاهرة بثلاثة شهور تتعشى في بيت موظف بالسفارة الأمريكية وتعرضه على حكومة مصر وسياستها ؟ !
حقاً اللي زي علي أمين ماتوا ..

ونزید إن « عمالة » وارتباط مصطفى أمين بالقوى الأجنبية كانت حقيقة معروفة وشائعة ومقررة في مصر منذ ظهور « أخبار اليوم » وكان باعة الجرائد ينادون على صحيفة « أخبار اليوم » : « اقرأ جريدة السفارة البريطانية » أو « الأمريكية » ! وقلنا إن رجال الثورة لم يعتقلوا من الصحفيين في الساعات الأولى إلا مصطفى وعلي أمين ، حتى جاء الأمر من الذي عنده علم من الكتاب الإبليسي بالإفراج .. بل وأصبح مصطفى أمين كما هو ثابت من نص الرسالة التي اتفقنا جميعاً على قبولها بلا تحفظ .. أصبح مستشار عبد الناصر ومحل ثقته والصحفي الأول في مصر إلى أن نازعه مكانه نلميذه والذي كان بلا تاريخ وطني ، بل تحبط به شبهة أكدتها التقارير والمذكرات فيما بعد ؟ !

لماذا اختار عبد الناصر مصطفى أمين ، وأخبار اليوم من دون الصحافة المصرية كلها ليجعلها صحيفة الثورة ؟ !

لماذا أعطى عبد الناصر الثقة مدة ١٣ سنة لجاسوس معروف للأمريكان ؟ ! هذا سؤال لم يطرحه الذين سعدوا بالرسالة نكابة في مصطفى أمين ، فقتلوا الذبابة ولكن على جمجمة الزعيم !



وهذا بعض ما جاء في الرسالة الوثيقة مما يتصل بموضوعنا :

« وأحب بامانة الرئيس أن أروي لكم بأمانة كيف بدأت علاقتي بالأمريكيين قضي سنة ١٩٣٥ عين والذي وزيراً مفوضاً في واشنطن وسافرت معه وأقيمت في السفارة المصرية بواشنطن .. وكنت أرغب في أن أدخل كلية لدراسة الصحافة » .

« وبعد عودتي من أمريكا واشتغالي بالصحافة التقيت بالكثير من أصدقائي الأمريكيين ، وفي تلك الفترة التقيت بارشي روزفلت ، وكيم روزفلت . وكان روزفلت يؤلف كتاباً عن النفط في الشرق الأوسط وكنا نلتقي باستمرار مع هؤلاء جميعاً وكنا نتحدث في شئون الحرب

وشئون الشرق الأوسط . . والتفت في ذلك الوقت بالسفير الأمريكي بالقاهرة وكان يدعوني باستمرار للغداء والعشاء معه ، وكان له عدة بيوت في القاهرة ، وكان لا يهمل أمر مصر إطلاقاً . . وفي أثناء ذلك أمكنني أن أعرف منهم عدة أخبار هامة أفادتني صحفياً . . واستمرت علاقتي واتصالاتي بالسفارة الأمريكية بالقاهرة وموظفيها وحدث في سنة ١٩٤٧ أن طلب مني المرحوم النقراشي باشا رئيس الوزراء أن أكون واسطة الاتصال بينه وبين الأمريكان .

ثم تولى مستر تاك منصب سفير أمريكا وكانت علاقتي به قوية جداً . وكنت أقابله باستمرار . وفي تلك الأيام تغيرت سياسة أمريكا وأصبحت لها سياسة مستقلة في المنطقة بعد أن كانت تعتمد على أن تكون ذبلاً لبريطانيا في المنطقة . وكثيراً ما نقدت قبل ذلك سياسة الأمريكان في أنهم يتلقون تعليماتهم من السفير البريطاني في القاهرة ، وكانوا أشبه بالمتومنين مغناطيسياً لا يصدقون إلا ما يقوله لهم الانجليز !!

« ثم حدث بعد ذلك أن توثقت علاقتي بمستر كافري السفير الأمريكي الجديد وكنت أقابله باستمرار وكان مقتنعاً برأيي بأن مصلحة أمريكا هي مصلحة الشعوب العربية في الوقت نفسه وهي أن تؤيد أمريكا خروج المنطقة من النفوذ البريطاني وكان يكره الانجليز كراهية شديدة . وعندما يسمعي أنتقد تصرفات الانجليز في المنطقة ، يهتز طرباً وكأنه يسمع قطعة موسيقية ولكنه يعطف على الملك فاروق . وكان الملك قد وثق علاقته به وكان يفهمه أنه يستشير في كل المواضيع وأنه يأخذ رأيه قبل أن يفعل أي شيء . »

« ولما تولى نجيب الهلالي الحكم عرفت أن الملك فاروق أخذ رشوة مليون جنيه من أحمد عبود باشا ليقبل نجيب الهلالي من الوزارة ، وأخبرت كافري بذلك فلم يصدق ثم تحرى الخبر بطريقته الخاصة وتأكد أنه صحيح . ثم زار كافري نجيب الهلالي وقال له إنه تأكد أن الملك قبض فعلاً مليون جنيه ليقبل الهلالي من رئاسة الوزارة . وعندما استقال نجيب الهلالي راح يصرح للناس بحكاية رشوة المليون جنيه وهذا الموقف هو الذي جعل كافري يغير رأيه في الملك ويرى أن بقاءه على العرش كارثة . »

ما غلطناش !!

١ - المنطقة في دائرة النفوذ البريطانية والأمريكان موافقون على ذلك ، ولهم اتصالاتهم بمصطفى أمين .

٢ - الأمريكان خلال الحرب العالمية وما بعدها بدأوا يعملون لورثة الامبراطورية البريطانية ، واختفى الطاقم المتلمذ على بريطانيا ، ظهر الطاقم الذي « يكره بريطانيا كرهاً شديداً » ومنهم السفير « كافري » صديق مصطفى أمين الذي هو صديق كبريت روزفلت كما نرى من عام ١٩٤٤ .

٣ - كافر علقته قوية بالملك وفاروق يثق فيه ثقة مطلقة . .

٤ - في وزارة الهلالى أي مارس ١٩٥٢ نقض كافر يده من الملك وقرر أن بقاءه على العرش كارثة . . كارثة لمن ؟ . . ولماذا هذا الاهتمام البالغ بمصر وكوارثها من السفير الأمريكى ؟ وما هذا البساط الأحمر بين صحفي مصري والسفير الأمريكى . . ؟ . . وما العلاقة بين رأي السفير الأمريكى في العرش ومن يقف على العرش ، بحملات أخبار اليوم ضد الملك والفساد والوفد . . ثم يماجرى للعرش بعد ذلك ومن « محاسن الصدف » أن يستمر كافر ومصطفى أمين على علاقة بمنزلة بمن خلع الملك وورث العرش ومنع الكارثة !!

قال مصطفى أمين لعبد الناصر :

« وأذكر لسبائككم أنني التقيت بمستر كيم ، ومستر ارشي ، ووزفلت في عام ١٩٤٤ وذلك في مكنتي في مجلة الاثنين التي كنت أراس تحريرها والذي قدمني لها هو الدكتور فؤاد صروف عميد الجامعة الأمريكية في ذلك الوقت وجرى الحديث في ذلك اليوم عن أن « كيم » يؤلف كتاباً عن منطقة الشرق الأوسط والبتروال العربي وأنه سيستغرق عدة سنوات لإعداد هذا الكتاب . .

« وقد سألتني خلال هذا الحديث عن رأيي في سياسة أمريكا في المنطقة . فقلت له إن أمريكا لا سياسة لها ، وأنها تسير في ركاب الانجليز ضد الشعب المصري . .
« وكان « كيم » وقتها يرتدي ملابس العسكرية كضابط في الجيش الأمريكى ولا أذكر رتبته ولم يتكلم « ارشيلد » في أثناء مناقشتي مع « كيم » وكان يرتدي أيضاً ملابس عسكرية كضابط للجيش الأمريكى . . . »

« وكان هذا سنة ١٩٤٤ ولم يحدث بعد ذلك أن تقابلت مع أحدهما أو مندوب عنها كما لم يحدث في خلال هذه المقابلة أي اتفاقات أو ارتباطات بمواعيد لاحقة . . » ثم حدث أن أقام مستر كافر مأدبة عشاء أو غداء لا أذكر ، وكان ذلك بعد سنة ١٩٥٠ فتقدم لي خلال هذه الدعوة « كيم » ويده في يد مستر كافر السفير الأمريكى وكان في هذا الوقت شخصاً مدنياً . وسألني « كيم » إذا كنت أذكره وكنت في ذلك الوقت صاحب جريدة أخبار اليوم ومجلة آخر ساعة . وكنا نهاجم سياسة الوفد والنحاس ، فأجبتني أذكره وأن شكله لم يتغير ، وتحدثنا على ما أذكر في استنكار سياسة أخبار اليوم بمهاجمة النحاس وأن هذا يضر الموقف الدولي ، ولا يساعد على مقاومة الشيوعية في المنطقة .

فقلت له إن الفساد هو الذي يؤدي إلى نشر الشيوعية وأنا نحارب الفساد وانتهت هذه المقابلة أيضاً دون ارتباط ولكنني أذكر هنا أنني شعرت بأهميته غير العادية بالطريقة التي كان يتكلم بها يد السفير وكان « كافر » مشهوراً بالعجرفة والرسمية . .
وبعد تشكيل وزارة علي ماهر بعد حريق القاهرة في ١٦ يناير ١٩٥٢ كنت موجوداً عند

رئيس الوزراء في ذلك الوقت ودخل السكرتير يعلن وصول مستشار الرئيس ايزنهاور وقد بدا علي علي ماهر الاهتمام بالضيف الكبير وطلب مني الانتظار في غرفة السكرتير حتى تنتهي زيارة هذا الشخص فإذا به كيم روزفلت ولكني لم أحضر المقابلة وعلمت بعد ذلك من رئيس الوزراء أنه كان يتحدث في موضوع استئناف المفاوضات مع إنجلترا وكان هذا أول اتجاه لأمريكا للتدخل في سياسة مصر .

وذهبت بعد ذلك إلى إحدى الحفلات ووجدت أن كيم موجود فيها فتوجهت إليه بعد أن عرفت من علي ماهر أهميته وتحدثت إليه عن مقابلة رئيس الوزراء وقد ذكر لي أن أمريكا مهتمة باستئناف المفاوضات التي انقطعت بين مصر وبريطانيا وأن لندن مستعدة أن تذهب إلى نصف الطريق وانتهت المقابلة .

وكان كيم قد حضر إلى مصر في هذه المرة في مهمة قصيرة لا تزيد على يومين ثم قامت الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحضر كيم إلى القاهرة أيضاً في مهمة الاتصال بقيادة الثورة ولم أقابله هذه المرة ولكن عرفت بحضوره من بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة .

وزاد تردده علي القاهرة بعد ذلك في مهام قصيرة وقد قالته في أغلب المرات والحقيقة إنني كنت أسمى إلى لقائه عندما أعلم بحضوره وكنت أجمع به في حضور الأستاذ محمد حسين هيكل وكنا نتغدى معا في بيتي وقد توطدت علاقتنا وكانت مناقشنا تدور حول المشاكل التي تدور في الأذهان ، وجرى حديث أيضاً عن محمد نجيب ورأينا أنه لا يصلح وكانت هذه المرحلة خلال الفترة سنة ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ .

وكان كيم روزفلت على اتصال وثيق بالثورة وكان يقوم بنشاط واسع في هذا المجال لدرجة أنه كان في ذلك الوقت صاحب أقوى نفوذ بين الأمريكيين في مصر بما فيهم السفير الأمريكي .

ثبت الرويا !!

١ - كيم روزفلت جاء إلى مصر قبل الثورة مرتين على الأقل . . مرة بعد ١٩٥٠ وارجع إلى ما قاله ايفيلاند عن تجنيد الصحفيين المصريين البارزين الثلاثة ، ومرة بعد حريق القاهرة ، وقد جاء في المرة التالية بغطاء كبير ومهم يستوجب الثقة وهو ما حدث إذ تلقاه « علي ماهر » باحترام وأخرج مصطفى أمين من الغرفة ، وهو لا يدري أنه صديق قديم لمصطفى أمين من ٨ سنوات على الأقل ! . . كما حاز ثقة الملك فاستسلم لمشروعه السوفي عن الثورة البيضاء . . كما حاز ثقة المجموعة الناصرية في تنظيم الضباط الأحرار . . كيف لا وهو مستشار ايزنهاور !

٢ - أما حكاية أنه أقام في مصر يومين ، فلما أنها معلومات « مصطفى أمين » أو تنقيح من « الجهاز » الذي سرب هذه الرسالة للنشر لليل من مصطفى أمين ، والثابت من الروايات

الأخرى أن كيم روزفلت أقام في مصر من فبراير إلى مايو . . (١٩٥٢) .
٣ - اجتمع روزفلت ومصطفى أمين ومحمد حسين هيكل في أغلب المرات التي زار فيها
كيرميت مصر بعد الثورة . .

٤ - اتفق رأي كيرميت روزفلت « بمثل » المخابرات الأمريكية ، ومصطفى أمين وهيكل
متملا . . ١٩ . . على أن محمد نجيب « لا يصلح » محمد نجيب يوك ! . . محمد نجيب NO
good . . من هو كيرميت روزفلت ليقرر صلاحية رؤساء مصر الثورة ١٩
هل من جواب عند الثوريين ١٩

٥ - « كان كيم على اتصال وثيق بالثورة » .
« وكان يقوم بنشاط واسع في هذا المجال » .
« لدرجة أنه كان في هذا الوقت صاحب أقوى نفوذ بين الأمريكيين في مصر بما فيهم السفير
الأمريكي » .

الراجل قضى في مصر يومين قبل الثورة . . ومخابراتي أمريكي . . وجاء بعد نجاح
الثورة ، فكيف أصبح له هذا النفوذ القوي ، وهذه السلطة الوثيقة ، وهذا النشاط
الواسع ١٩ . .
فجأة ١٩

لا بد أن نقبل رواية مايلز كوبلاند فهي التفسير الوحيد المقنع للحقيقة العجيبة التي أثبتتها
اعترافات مصطفى أمين الذي يقول أيضاً :
« استمرت علاقتي مع كيم روزفلت على هذا عندما يحضر في مأموريات قصيرة وكانت
مأمورياته متعددة في مهمات تتعلق باتصالاته مع رجال الثورة وكنت في كل مرة يحضر فيها
أقابل معه وذلك إما عن طريقي بالمادة في الاتصال أو هو يتصل بي في بعض الحال . وكنا
نجتمع أيضاً في منزلي في وقت الغداء في حضور الأستاذ حسين هيكل وكان الأستاذ هيكل
يشغل وظيفة رئيس تحرير الأخبار وأخبار اليوم في ذلك الوقت . . ولا تزال علاقتي به كما
تعلمون قائمة بمعنى أنه إذا حضر اتصل بي * .

أقرر هنا أن اتصلاقي مع كيم روزفلت لم تحدث إلا في خلال فترات حضوره في القاهرة
والمرات التي سافرت إلى أمريكا . وكنت في كل مرة أسافر فيها إلى أمريكا أحرص على
لقائه . . وفي بعض المرات لم أقابله ، ** .

« أما بخصوص مسر ليكلاند والذي ذكر في المرحوم صلاح سالم أنه يعتقد أنه ضابط
مخابرات أمريكي والذي شككت من بعض تصرفاته وأسئلته أنه يعمل بالمخابرات وقد عرفني
عليه السفير الأمريكي كافر في خلال إحدى حفلات السفارة والذي كنت أتناقش معه في

* يعني أنه كان يحضر للقاهرة إلى ١٩٦٥ تاريخ القبض على مصطفى أمين ١٩

** لا مؤاخلة يكون مشغول مع مصطلقات آخرين !

المسائل السياسية . وكان هذا الرجل ذا نفوذ على السفير ومصدر قوة لا تتفق مع وظيفته في السفارة وكان على علاقة وثيقة بأعضاء مجلس الثورة في مصر . استمرت مقابلاتي مع ليكلاند وكانت تتم إما في مكنتي بدار أخبار اليوم أو في مكتب الأستاذ حسين هيكل بأخبار اليوم .

وتعرفت أيضاً في هذه الفترة بمستر مايلز كويلاند ضابط المخابرات الأمريكية وكان يعمل بسفارتهم بالقاهرة وعرفني به نائب مدير مكتب الاستعلامات الأمريكي بالقاهرة في ذلك الوقت وكانت علاقتي به جيدة وكان يحضر إلى مكنتي وأحياناً في منزلي .

واستمرت علاقتي مع مايلز كويلاند كل فترة وجوده بالقاهرة وبعد أن انتقل إلى بيروت وعمل مديراً لإحدى الشركات الأمريكية هناك . . . ولأزلت ألقابلي مع مايلز كويلاند كما تعلمون سيادتكم في كل مرة يحضر فيها إلى القاهرة أو أتوجه إلى بيروت . وإن كانت مقابلات بيروت لم تزد عن مرتين وكان يطلب مني خدمات وهي أن أتوسط لدى سيادتكم في مسائل تجارية ولم أتحدث إلى سيادتكم بخصوصها وهي بشأن شراء مصر لماكينات حسابات الحكومة السرية على حساب المعونة الأمريكية . . .

وفي بعض الأحيان يكتب إلى طالبا تحديد موعد لمقابلة سيادتكم وكانت محادثتي مع مايلز كويلاند تنصف بنفس الأسلوب وهي المناقشات السياسية وهويطوف المنطقة بعد سفره إلى بيروت ولاحظت عند مقابلي الأخيرة له في بيروت أنه واسع النشاط والاتصالات وأنه يتنقل بين السعودية ولبنان ومصر وتكلم معي في موضوع وذكر أن من مصلحتنا أن ننسحب فوراً من اليمن ورأيت في عمل كويلاند الحالي أنه عملية مخابرات منظمة باسم شركة .

وفي سنة ١٩٥٦ قدمني الأستاذ محمد حسين هيكل إلى مستر وليام دورات ميلر الملحق السياسي بالسفارة الأمريكية وهو كما علمنا فيها بعد أحد ضباط المخابرات الأمريكية وكان اتصالي به خلال فترة تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي وما بعدها . وكنت أطلع سيادتكم يومياً على هذه الاتصالات وكنت سيادتكم تسمونه « ريكا » وقد أصبح الآن منذ عهد كينيدي نائباً لمدير الاستعلامات الأمريكي وهو منصب كبير جداً هناك وأنا لازلت على اتصال به عندما يحضر للقاهرة .

« وعندما وقع العدوان كنت أنا ومحمد حسين هيكل على اتصال يومي بل وعدة مرات في اليوم بمستر ميلر وكنا على اتصال مستمر بسيادتكم . وكنا نبلغ أمريكا باستمرار أثناء المعركة بطريقة سريعة غير الطريقة الدبلوماسية وجهة نظر بلادنا وذلك عن طريق ميلر كما تعلمون وتذكرون أن فكرة البوليس الدولي ولدت أثناء اجتماعنا في أخبار اليوم بحضور محمد حسين هيكل » .

لعل الرقيب جر وميكوف قد وجد الإجابة على تساؤله ولو بعد ما يقرب من ثلاثين سنة . . وهو : « ما الذي يجبر عبد الناصر على قبول البوليس الدولي ؟ ! »

إنها فكرة المخابراتي الأمريكي ومثلي ثورة يوليو . . مصطفى أمين ومحمد حسين
هيكمل . . ولا فخر !!

يقول مصطفى لعبد الناصر :

« ثم تفضلتم وأوفدتموني في مأمورية أثناء العدوان في أمريكا لنشر صور العدوان وفي
واشنطن علمت بأن الولايات المتحدة مترددة في قبول وجهة نظرنا بالجللاء بلا قيد ولا شرط
وقعت بعدة اتصالات وصلت بفضلها إلى حل ، وهو أن أكتب مشروع تصريح ندلون به
سيادتكم من القاهرة ينشر في أمريكا وعلى أثره تزيد الولايات المتحدة موقفنا ، وأرسلت
لسيادتكم المشروع تلغرافيا ، وحرصت في مشروع التصريح أن يعبر عن رأي سيادتكم ،
وليس فيه ذرة من التفريط في أي حق من حقوق الوطن ولكنه في الوقت نفسه يزيل المخاوف
التي ترددت في الأوساط الحكومية نتيجة المناورات البريطانية والفرنسية » .

وفي أمريكا بعد وقف إطلاق النار ١٩٥٦ قال مصطفى أمين للأمريكان : « يجب أن
تعمل أمريكا على الإسراع في الجللاء وبعد ذلك تقدم مساعدات لمصر وفي هذه المناقشات
أقترح أن أقابل آلن دلاس مدير المخابرات المركزية حتى نتكلم في موضوع أثر العدوان في
انتشار الشيوعية وقال إنه سيدبر لي هذا اللقاء .

وتقابلت مع كيرميت روزفلت وأخبرته بما حدث فقال إن هذا أمر مستحيل ثم حدث أن
اتصل بي (كيم) وقال لي إن أوامس دير موعداً لك مع مدير المخابرات المركزية وقابلت مستر
آلن دلاس في مكتبه لمدة ١٥ دقيقة وقد شرحت له وجهة نظر بلادنا باختصار ورغبنا في
الإسراع بجللاء قوات العدوان في أسرع وقت وأن أي تأخير سيؤدي إلى كارثة .

وقدمت تقريراً بذلك إلى سيادتكم فور عودتي شرحت فيه كل هذه المقابلات واحدة واحدة
ونص ما جرى فيها . وفي سنة ١٩٥٨ التقيت عند الأستاذ محمد حسين هيكمل بمستر جويدن
يونم وهو يتولى منصب الملحق السياسي بالسفارة الأمريكية وكنا نتقابل في أخبار اليوم ونتقابل
في المنزل إذا كانت معه زوجته ولكن مقابلات المكتب أكثر بطبيعة الحال . وكنت أتناقش معه
في نفس الموضوعات التي كنت أتناقش فيها مع سابقه واستمرت علاقتي معه حتى غادر مصر
وفي سنة ١٩٥٨ أيضاً كنت على اتصال بمستر روبرت انشوتس وكان رئيس القسم السياسي في
السفارة الأمريكية وكان يتميز على زملائه بأنه كثير الأسئلة بطريقة ملفنة وكنا نتناقش في
الموضوعات السياسية والوحدة مع سوريا ولم يكلفني بإرسال أي معلومات للرئيس بل كان
يقوم بهذا يونم وكان روبرت انشوتس يقابلني في مكنتي وفي بيتي ولم يحدث أن لاحظت أنه
يعرف علاقتي مع يونم ولم يحدث أن تقابل ثلاثنا معاً .

وفي أثناء ذلك عرفني مراسل جريدة نيويورك تايمز بالقاهرة في فندق كوزموبوليتان بمستر
« جون سيدل » الملحق السياسي للسفارة وأعتمد أنه ضابط مخابرات أمريكي واستمر هذا في
القاهرة لفترة أربع سنوات وكنا نتفق على مواعيد المقابلات . وكانت المقابلات تتم في المكتب

أو في المنزل وإن كان أغلبها يتم في المنزل وكانت مناقشتنا عن المعونة الأمريكية والشئون السياسية المختلفة .

وتذكرون سيادتكم أنه هو الذي أبلغنا نبأ الانقلاب الذي سيقوم به زياد الحريري في سوريا قبل قيامه بوقت قصير وهو أيضاً الذي كنت أحصل منه على برقيات الشفرة التي كنت أقرأها باستمرار لسيادتكم عن الموقف في العراق وفي الدول العربية .

وعرفني مستر ميدل بضابط المخابرات الأمريكي بروس اردبل الذي حل مكانه في بيته في المعادي بعد سفر الأول .

وهذا النص يفيد تسليم رجال المخابرات مصطفى أمين ، لبعضهم فعند انتهاء مهمة أحدهم وقدم آخر يتسلم هذا العهد ! . .

كما نفيد الكثير عن خفايا الاتصالات التي كانت جارية مع الأمريكان لإزالة آثار العدوان (١٩٥٦) وتحقيق أكمل نصر عربي !

وعرفنا كذب « هيكल » عندما يدعي أن عبد الناصر في ١٩٥٥ قرر وقف الاتصالات مع المخابرات الأمريكية ، فهذا نحن في نهاية ١٩٥٦ والاتصالات على قدم وساق بل إن القناة الحقيقية التي كانت على اتصال مع أمريكا خلال العدوان هي قناة المخابرات مع مصطفى أمين وعلي أمين أو عبرهما . . بأي صفة ؟ هه ؟ !

وعرفنا من هو « مايلز كوبلاند » وكيف استمرت علاقته الطيبة مع الزعيم إلى القبض على مصطفى أمين ١٩٦٥ . .

وعرفنا أن « هيكل » بدوره يقدم مصطفى أمين لرجال المخابرات الجدد مثل « وليام دورات ميلر » و « جويدن يونم » وهو ضابط الاتصال بعبد الناصر « الذي يوصل المعلومات للرئيس » .

وعرفنا مستوى العلاقة بين « الجاسوس » مصطفى أمين كما يحلو للناصرين تسميته وبين الزعيم الحالد ، فهو يعامله كما كان جعفر البرمكي يعامل الرشيد لولا أن هارون كان حراً ورشيداً فقطع رأس جعفر وعلقها . . مصطفى أمين « يكتب بياناً في سياسة مصر وحول سيادتها على أراضيها ومياهها ويرسله لعبد الناصر للتوقيع ! . . هل عرف ذئاب الناصرية أن أسنانهم لن تنفذ في لحم مصطفى أمين إلا عبر جثة عبد الناصر . . ؟ !

وعرفنا أن « البوليس الدولي » هو اقتراح عرضه المخابراتي الأمريكي وقبله مصطفى هيكل وحسين أمين باسم مصر . .

وعرفنا . . كذب هيكل مرة ثانية * ، عندما ادعى أن عبد الناصر أمر علي صبري بالامتناع عن مقابلة آلن دلاس وأبرزها هيكل كأنها نوبة شرف . فيها هو مبعوث عبد الناصر

* المرة الأولى عندما عدل أقواله في الطبعة الفرنسية .

الشخصي يطلب وبلح وينال مقابلة ألن دلاس ويمن بها على سيده : « وقدمت تقريراً بذلك إلى سيادتكم فور عودتي » .

وعرفنا أن المخابرات الأمريكية كانت ملتزمة مع النظام الناصري إلى أوائل الستينيات إلى حد تزويد عبد الناصر بأنباء الانقلابات في سوريا ، ولعل « زياد الحرييري » إن كان حياً يعرف من الذي وشى به . وأن أميركاً لم تكن تتأمر مع حلف بغداد على عبد الناصر بل كانت تبلغه أخبار العراق . .

وعرفنا أيضاً أن مصر الناصرية كانت تحصل على معلوماتها عن الدول العربية من البرقيات السرية الواردة بالشفرة للمخابرات الأمريكية ؟

يقول مصطفى أمين :

« وعرفني كافري بمستر ليكلاند . . وعندما قامت الثورة أبلغني ليكلاند أنه في ليلة قيامها أبقظ السفير البريطاني في واشنطن ، مستر دين اتشيسون وزير الخارجية (الأمريكي) من النوم وأبلغه أن ثورة شيوعية قامت في مصر وأن الحكومة البريطانية قررت التدخل العسكري فوراً وتحرك الجيش البريطاني من فايد لقمع الثورة . وقال لي ليكلاند إن دين اتشيسون طلب مهلة للتشاور وأنه أبقى إلى كافري يسأله رأيه ، وأن ليكلاند هو الذي أعد البرقية العنيفة التي على أثرها أبدت أمريكا اعتراضها على التدخل العسكري البريطاني في مصر ، وشعرت بحكم اتصالي بأهمية ليكلاند وقوته رغم صغر سنه وأبلغت المرحوم صلاح سالم برأيي أن ليكلاند هو السفير الحقيقي ، وعقب ذلك حدث اتصال مستمر بين ليكلاند وبين الرئيس جمال عبد الناصر وصلاح سالم وبعض رجال الثورة ، وكان ليكلاند هو الواسطة بين الثورة ، والسفير الأمريكي وشعرت أن ليكلاند في اجتماعاتي معه المتكررة كثير الأسئلة .

وأنه يتظاهر بالخوف وبأنه لا قيمة له بينما شعرت أنه صاحب أكبر نفوذ على السفير وأكثر علماً بالسياسة الأمريكية من جميع موظفي السفارة الأمريكية الذين اجتمعت بهم .

وقد أبلغني صلاح سالم أنه يشعر بل بعضه أن ليكلاند من المخابرات الأمريكية وأن رأي رجال الثورة أنه من جهاز المخابرات الأمريكية ، وطلب مني أن أسأله بيبي وبينه عن ذلك فسألته عن ذلك فنفى بشدة وقال إنه طلب أن يشتغل بالمخابرات ورفض ذلك .

وكان ليكلاند يسألني أسئلة كثيرة جداً ولكنه كان يبدو متحمساً للثورة ومؤيداً لها ، ولم أشعر في علاقتي الوثيقة به أنه كان يخدعني أو يضللني أو يوهمني بأنه مع الثورة وهو في الواقع ضدها . وأعتقد أنه قام بخدمات جليلة جداً في شأن علاقات أميركا مع الثورة في بدء قيامها .

وكان ليكلاند يحضر إلى أخبار اليوم يوماً وفي بعض الأحيان يتناول الغداء معي أو أتناول العشاء عنده .

وكان أهم ما يسأل ليكلاند عنه هل هناك بين قادة الثورة من له ميول شيوعية وعرفت منه

أن الانجليز كانوا يقولون هم باستمرار إن لديهم معلومات مؤكدة بأن عدداً من أعضاء مجلس الثورة من الشيوعيين ، وأن اتجاهاتهم كلهم ضد الغرب ، ومن ليكلاند عرفت أن الانجليز يؤكدون أن يوسف صديق شيوعي وأن خالد محيي الدين شيوعي ، بل إن أنور السادات شيوعي أيضاً . وكنت على صلة بأنور السادات فأكدت لليكلاند إنه إذا كان تفكير خالد محيي الدين مثل أنور السادات فلا يمكن أن يكون أحد في مجلس قيادة الثورة من الشيوعيين بل إنني على العكس أرى أن مجلس الثورة ضد الشيوعية .

« وقد انزعج الأمريكيون عندما أفرجت الثورة عن المعتقلين في أول قيامها^{١٢} . وكان الانجليز يؤكدون هم أن كثيرا من الذين أفرجت عنهم الثورة من الشيوعيين وكان الانجليز يعتبرون كل من يهاجمون سياستهم من الشيوعيين .

وقال لي « ليكلاند » إنه واثق ومتأكد من أن الثورة ليس اتجاهها شيوعياً وأن الانجليز مغفلون وأنه غير صحيح أنهم خبير من يعرف المنطقة وأنه جعل كافرني يكتب تقارير يهاجم هذه الآراء التي كانت تقدمها السفارة البريطانية في واشنطن إلى البيت الأبيض ، وإلى وزارة الخارجية الأمريكية وشعرت بأن ليكلاند وكافرني أمكنهما أن يلقيا ضد كل محاولات المخابرات البريطانية لتشويه صورة الثورة أمام واشنطن .

وفي هذه الأثناء كان يحضر إلى مصر من وقت إلى آخر كيرميت روزفلت وكان كيرميت يقابلني وكان يقابل الرئيس جمال عبد الناصر وكانت مقابلاتي لكيرميت روزفلت تعلم الدولة وعوافتها النامة .

وقد علمت من الرئيس جمال عبد الناصر أن كيرميت من المخابرات الأمريكية وأنه عضو بارز فيها وأبدت فزعي من ذلك ، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر وافق على استمرار صداقتي بكيرميت روزفلت ، وكنت أخبر الرئيس عبد الناصر باستمرار عن كل ما يقوله كيرميت روزفلت وعن جميع الآراء التي يبديها في مقابلاته معي .

« وكنت أيضاً على اتصال مستمر بمستر « وزرزي » ومستر « بين » الموظفين بقسم الاستعلامات الأمريكية وكنت على صلة وثيقة ومستمرة بهما وكنت أشعر من استئتما أنهما أيضاً من رجال المخابرات وعرفني مستر « وزرزي » على ما أذكر أو المستريين بمستر « ايكل بيرجر » وكنت على اتصال مستمر بمستر مايلز كوبلاند الذي كان على صلة دائمة بالرئيس وذكرنا محيي الدين .

وفهمت من أحاديث المسؤولين أن قادة الثورة يعلمون جيداً أن كل هؤلاء من المخابرات الأمريكية وأنهم واثقون من ذلك ولكنهم يرون أن المصلحة في الاتصال بهم وخاصة أنه تبين بوضوح أن المخابرات الأمريكية هي صاحبة السلطة الحقيقية في أمريكا وأنها أقوى نفوذاً من وزراء الخارجية الأمريكية . وأنها قادرة على رسم السياسة فإن كثيراً من الأشياء التي كنا نطلبها من أمريكا أو بسأل عنها كانت تصلنا عن طريق المخابرات الأمريكية قبل أن نعرفها

بواسطة السفير الأمريكي في القاهرة بعدة شهور .

ومع علم المسؤولين المصريين وتأكيدهم بأن هؤلاء جميعاً من المخابرات الأمريكية فإنهم كان يصرون دائماً أن هذا غير صحيح وأن هذه معلومات خاطئة وأن وظيفة كبريت روزفلت مثلاً هي أنه مستشار سياسي لرئيس الجمهورية ولم يتحدث مرة واحدة أن اعترف واحد منهم في أي حديث لا مباشرة أو غير مباشرة بأنهم من المخابرات الأمريكية .

« وكان لدينا اعتقاد أن كثيرين جداً من موظفي السفارة الأمريكية في القاهرة من المخابرات الأمريكية وكان يحدث في بعض الأحيان أن يكون أحد الموظفين من غير المخابرات ثم تظهر كفاءته فلا تلبث المخابرات الأمريكية أن تجده فيها » .

« وحدث في عام ١٩٥٤ أن حدثت أزمة محمد نجيب وعلمت أن محمد نجيب اتصل بشخص من المخابرات الأمريكية اسمه مستر تي* وأن هذا الشخص كان ملازماً لمحمد نجيب طوال الوقت وأفهم محمد نجيب مستر تي أن أعضاء مجلس الثورة كلهم شيوعيون وأنه يريد أن يخلص البلاد منهم وأنه يرغب في تأييد الولايات المتحدة له في معركته في مجلس الثورة .

« وكانت الحكومة البريطانية تزيد محمد نجيب كل التأيد وتعتقد أن مصلحة بريطانيا في الخلاص من جمال عبد الناصر وأصدقائه .

« وكان كويلاند بخبرني هو واكيل بيرجر عن تقارير تصلهم باستمرار من المخابرات البريطانية تؤكد أن جمال عبد الناصر هو الخطر الحقيقي ضد الغرب وأن مصلحة الغرب في بقاء محمد نجيب وأن المصلحة أن يبدأ انقلاب محمد نجيب بحكم مؤلف من الوفد والإخوان المسلمين والشيوعيين ثم بعد ذلك يتخلص الغرب من الشيوعيين ويبقى محمد نجيب الذي أكد لهم مستر تي أنه سيكون أصدق صديق لأمريكا وبريطانيا وأنه إذا انتصر فريق جمال عبد الناصر فإنه سيصبح خطراً على مصلحة أمريكا وبريطانيا لا في مصر وحدها بل في الشرق الأوسط كله » .

« وقد وقفت أخبار اليوم في هذه المعركة ضد محمد نجيب ونشرت مقالات في الأخبار بعنوان (سلاطة روسي) عن مشروع حكم محمد نجيب بوزارة من الوفديين والشيوعيين والإخوان المسلمين ونشرت أخبار اليوم الحديث السري التليفوني الذي جرى بين محمد نجيب ومصطفى النحاس وقد أحدث نشر الحديث ضجة كبرى في الرأي العام وأسقط محمد نجيب بين الجماهير .

* تي ، هذا هو الذي قال « مايلز كويلاند » عنه إنه ألف كتاباً له « محمد نجيب » . .

كلهم كانوا يتسابقون على اغتصاب المخابرات الأمريكية كما حدث من بعض الحوادث فور وقوع الاحتلال البريطاني قبل سبعين سنة

« وكان كوبلاند وايكل بيرجر على ما أذكر يتصلان بي في تلك الأيام باستمرار ويفابلاني يومياً . وكنت أطلع المسؤولين على المحادثات التي تبذل من أجل تأييد محمد نجيب . ولقد شعرت يومها بأن نفوذ شخص مايلز كوبلاند أقوى كثيراً من عدد من كبار السفارة الأمريكية الذين كانوا يجمعون على وجوب تأييد محمد نجيب لأن الانجليز والمخابرات البريطانية أقدر على الحكم على الحالة في مصر عنهم .

« وقد حدث خلاف خطير بين الرأيين في هذا الشأن وكان في أحد الأيام أن بدا ذلك بانتصار مؤقت لمحمد نجيب وحل مجلس الثورة وأخبرني كوبلاند أن رجال السفارة البريطانية في القاهرة كانوا يشادلون التهاوي ولقد كانت واشنطن نفسها مفتتحة برأي الحكومة البريطانية بحتمية انتصار محمد نجيب وضرورة تأييده .

« وكان رأيي الذي أبديته دائماً لكل من سألني منهم أن السلاطة الروسية التي بدعو إليها محمد نجيب ستتهي بأن يستولي الشيوعيون على الحكم وأنه من مصلحة أمريكا أن يتولى الحكم جمال عبد الناصر وهو عدو للنفوذ الأجنبي في المنطقة من أن يتولاه عميل شيوعي يحول كل المنطقة إلى مستعمرة روسية .

« وفي سنة ١٩٥٦ عندما حدث تأميم قناة السويس كنت على صلة بيل ميلر وكان الرئيس عبد الناصر على علم بهذا الاتصال . وكان ميلر يحضر إلى مكنتي يومياً وكنت أبلغ الرئيس يومياً بما يقوله ميلر وكان الرئيس يسميه على ما أذكر ازمرلدا أو اسم آخر لا أذكره . . . وسألت الرئيس لماذا يسميه هذا الاسم فقال إنه اسم رواية قراها عن فتاة تسمع باسمها باستمرار ولا تراها .

« وكان بيل ميلر بطلعني باستمرار على كل الأنباء والبرقيات الهامة التي تصل إليه كما كان يفعل كوبلاند وايكل بيرجر الذي كان من وظيفته في السفارة أن يطلع على البرقيات السرية .

« وحدث سنة ١٩٥٤ أن أخبرني ايكل بيرجر أنه أطلع على برقية سرية جداً وصلت على التومن السفير الأمريكي في تل أبيب وألح في أن لا أخبر الرئيس بهذا الأمر وقال إنه لو عرف أن هذه البرقية تسربت فسوف يفقد عمله .

« وأسرعت على الفور وأخبرت الرئيس عبد الناصر بما حدث واهتم الرئيس بهذا النبأ وطلب معلومات أوسع عن هذه العملية الخطيرة ومكانها .

« واتفقنا أن أذهب أنا ومحمد حسين هيكل ونقابل مستر بايرون السفير الأمريكي واستطعنا أن نعلم أن الخبر صحيح مائة في المائة .

« وأحضر بايرون البرقيات السرية التي وصلت إليه وتفاهمت أنا وهيكل أن يشغله هيكل بالحديث بينما أنا أنقل البرقية وفعلاً استطعت أن أنقل نص البرقية وقدمناها للرئيس جمال عبد الناصر فأصدر على الفور أمره إلى الجيش المصري بالاستعداد لهذا العدوان المفاجيء . وتم العدوان في موعده . وكان الجيش المصري مستعداً له ولقن الجيش المصري يومها درساً

للبهود ، وقد شكرني الرئيس جمال عبد الناصر يومها على هذا العمل الذي قمته به وقال إنني قدمت خدمة كبرى لبلادي .

الشرح

١ - نحن هنا أمام واقعة مهمة تحسم جدلاً دار طويلاً حول من الذي منع القوات البريطانية من التدخل لضرب الثورة ، والملوك مازال في البلاد . . مصطفى أمين « يعترف » بأن مثل المخابرات الأمريكية في السفارة هو الذي أبق بقوة أو بشدة يطلب شل يد بريطانيا عن ضرب ثورة « الشعب المصري التحريرية » . . ودين اتشيون استخدم كل قوة الولايات المتحدة لمنع بريطانيا من ضرب الثورة . . ولا يوجد شارع واحد في مدينة نصر باسم المخابراتي ليكلاند ، ولا باسم دين اتشيون . . ونحدثنا أمين هو يدي عن الوفاء ؟ أين هو ؟!

يوم ٢٣ يوليو . . ضباط الجيش لا يعرفون أسماء ولا اتجاهات أعضاء مجلس قيادة الثورة باستثناء محمد نجيب وأنور السادات . . فكيف عرف هذا المخابراتي « الأعور » ميول واتجاهات هذه الثورة واطمأن على أنها تمثل مصالح أمريكا ، ومن ثم تستحق أن تجازف الولايات المتحدة بعلاقتها مع بريطانيا ، بل وبما كان لها من نفوذ في القصر الملكي ، وينصح بل يطلب بشدة التدخل لمنع الانجليز من عرقلة المسيرة ؟ كيف عرف هذا « الأعور » وخاطر مستقبله السياسي ، ومستقبل المصالح الأمريكية ؟ حقا كل ذي غاهة جبار . . أوريا كان هو الأعور الدجال !

٢ - تأكد كلام ايفيلاند بأن المخابرات الأمريكية كانت مطلقة اليد في مصر ، وتفوق السفارة نفوذاً ، وحرية في التعامل مع الثورة و تمثيل الولايات المتحدة ، وهو وضع اتفق الجميع على شذوذه ، ولا مثيل له إلا في مصر . . لماذا ؟!

لصلة خاصة بين المخابرات وهذه الثورة ، حتمت وبررت إطلاق يد « الواصلين » من موظفي المخابرات CIA . .

٣ - أصبح ليكلاند هو الواسطة بين الثورة والسفير الأمريكي .

٤ - شهد مصطفى أمين أن ليكلاند كان متحمساً « للثورة » وقام بخدمات جليلة جداً في شأن علاقات أمريكا مع الثورة في بدء قيامها . .

كيف ولماذا انشرح قلب هذا « الأعور » بسرعة ، وأمن قبل أن يتبين كثير من المصريين حقيقة « الثورة » ؟

٥ - كانت العلاقة بين ليكلاند المخابراتي الثوري هذا ومصطفى أمين تفوق « قليلاً »

علاقة صحفي بموظف أمريكي ، فهو لا يكاد يفارقه ، في تلك الأيام من بداية الثورة « يزوره يوميا وإما يتغدى هذا عنده أو يشعش هو عنده . . يعني كما نقول إيهين في إيه . . والمخابراتي مهتم بالثورة ، فلماذا الاهتمام بمصطفى أمين ؟ لا جواب حتى نعتبر على الحلقة المفقودة بين الإنسان الثوري والفرد المخبراتي ؟! وهيكمل هو ثالثهما باستمرار وهذا ما قاله مصطفى أمين لعبد الناصر الذي يعلمه .

٦ - كان الأمريكان يعتقدون أن يوسف صديق شيوعي وكذلك خالد محيي الدين . . والحمد لله سرعان ما خرج الاثنان من مجلس الثورة وأخذوا الشرور راحا . . واستطاع كافري و « ليكلاند » الوقوف ضد كل محاولات المخابرات البريطانية لنشويه صورة الثورة أمام واشنطن . . الحمد لله . . ويكتفينا شر الدساسين !
٧ - انزعجت أمريكا من الإفراج عن المعتقلين ؟!

ليه ؟! وماذا يتوقع من ثورة إلا أن تفرج عن المعتقلين من النظام السابق ؟ على أية حال لقد خفف من الزعاجها أن الثورة احتفظت بعدد من الشيوعيين كرمز لموقفها ولطمانه المتزعجين . .

٨ - في هذه الأثناء كان كيرميت روزفلت يتردد على مصر ، وكان يقابل الرئيس جمال عبد الناصر . وكانت مقابلات مصطفى أمين مع روزفلت بعلم الدولة . وهذا بالطبع ما أكدته الكتابان ، كما أن « إيفيلاند » شرح النقطة الأخيرة وهي علم الدولة ، فقد أكد علم عبد الناصر بصلة مصطفى أمين وهيكمل بالمخابرات ، وأنه قبل استمرار هذه العلاقة على أن تكون بعلمه . وهو ما يعرف في علم المخابرات « بالعميل المزدوج » مع فارق أن الطرفين بل حتى الأطراف الثلاثة هنا تعرف أن الكل يعرف . . وهي لعبة شديدة التعقيد راهن فيها كل طرف على غباء الطرف الآخر . . ويمكن القول إن العلاقة كانت مفيدة لكل الأطراف ، والمصارحة كانت ضرورية لكسب الثقة وافتتاح النظام الناصري . . كما يمكن القول إن تطور ميزان القوى داخل هذا المثلث جعل هيكمل يتجاوز مصطفى أمين عند عبد الناصر ، فقد كان أقرب سنا وأكثر حيوية ، « وثقافة » إلى حد ما ، وخبثا جعله يظهر التفاني في الزعيم والإيمان به ، بينما ظل مصطفى أمين يعامل عبد الناصر كتلميذ أو حتى كما كان يعامل الملك فاروق واستمر رهانه الأكبر على الأمريكان . وتدهور وضع مصطفى أمين ، مما جعله يزداد اعتمادا على الأمريكان ، ونفورا من عبد الناصر فانتصر عليه هيكمل ، الذي عرف من أول لحظة أن مستقبله كله هنا وهناك مرهون بعبد الناصر ، فلا قيمة له عند الأمريكان إلا بقدر قربه من عبد الناصر . . حتى تربص عبد الناصر بهيكمل ونوجس هيكمل من عبد الناصر وتدخل القدر « العجيب » أو قوة خفية فعمجلت نهاية ناصر . . وبقي هيكمل « يؤرخ » على قبره !^{٢١}

« وافق الرئيس عبد الناصر على استمرار صداقتي بكيرميت روزفلت » .

٩ - الرئيس جمال عبد الناصر يعرف أن كبريت روزفلت عضو بارز في المخابرات الأمريكية .

١٠ - ظهر اسم ايكل بيرجر . . ومايلز كويلاند ، وقال مصطفى أمين في اعترافه بين يدي صلاح نصر وجمال عبد الناصر . . والراند لا يكذب أهله وهو في السجن ! . . « وكنت على اتصال مستمر بمستر مايلز كويلاند الذي كان على صلة دائمة بالرئيس وزكريا محيي الدين » .
يعني كويلاند ليس بالنكرة ولا طالب وظيفة ، كما تحدث عنه « المدعو » بل كان على صلة دائمة بالرئيس . . وهذا كلام يقال للرئيس في خطاب شخصي . . فلا مفر من تصديقه . . ولا مفر من الشك في حكمة تجاهل هيكل لذلك في رده على ما يلز كويلاند !؟ . (والشك أكثر في عدوله الآن عن هذا التجاهل) .

وأكد مصطفى أمين أن « قادة الثورة كانوا يعلمون جيداً أن كل هؤلاء من المخابرات الأمريكية ، وأنهم فضلوا التعامل مع الولايات المتحدة عن طريق قناة الـ CIA . . وهذا الموقف كما يثير التساؤل حول أسبابه ، يلقي الضوء على التطورات التي حدثت بعد ذلك ، ويعزز رواية « لعبة الأمم » و« حبال الرمال » .

وفي نفس الوقت ورغم معرفة كل الأطراف ، فإن « مصطفى أمين » يؤكد أن جميع الموظفين الأمريكيين أنكروا دائماً أنهم من المخابرات ، وهذا يكذب ادعاء « هيكل » بأن الحكومة الأمريكية أبلغت عبد الناصر أنها تفضل أسلوب الاتصال عن طريق المخابرات الأمريكية . . وهو قول باطل لأن « الحكومة » الأمريكية لا تفعل هذا ، لا تعترف رسمياً باستخدام الـ CIA لأن ذلك ضد العرف والقوانين بل الدستور الأمريكي الذي يجعل السياسة الخارجية من اختصاص الرئيس ومن خلال وزارة الخارجية ، فهي كانت عملية سرية غير رسمية فرضتها الظروف الخاصة التي جعلت رجال الـ CIA بأنثون برجال الثورة إلى الحكم ومن ثم كان من الطبيعي أن تستمر الصلة ، مع تجاهل المؤسسات الدستورية الرسمية بل وأحياناً استكارها .

١١ - وهذه نقطة مهمة أخرى كان بدور حوطا الخمس والتحليلات ، وهي أن « محمد نجيب » كان يتمتع بتأييد الحكومة البريطانية ، التي كانت أيضاً ترغب في التخلص من جمال عبد الناصر . وقد نقل رجلا المخابرات CIA في مصر « كويلاند » و« ايكل بيرجر » هذه المعلومات لمصطفى أمين وهو بدوره اتخذ الموقف المنطقي بعد كل ما سبق ذكره ، هاجم محمد نجيب وجند أخبار اليوم ضده ، ونشر الحديث الذي جرى بين محمد نجيب ومصطفى النحاس وهو الحديث الذي « أسقط محمد نجيب بين الجماهير » وأكد مصطفى أمين « إن من مصلحة أمريكا أن يتولى الحكم جمال عبد الناصر » .

ونصادف أن كان هذا لمصلحة جمال عبد الناصر ومن رأي فريق المخابرات الأمريكية في مصر !!

وهذا يعطي بعدا جديدا لأزمة « محمد نجيب » فقد كانت في أحد جوانبها أو أهمها : صراعا أمريكيا - بريطانيا . . فالانجليز حاولوا الالتفاف وأخذ حصص في الثورة^{١٩}، ولكن الأمريكان مثل الفريق لا يحبون الشريك . .

هل يفيد التذكير بحجز المخابرات الأمريكية الوفد العسكري الأمريكي في بيروت « في انتظار اضطرابات في مصر » (أكتوبر ١٩٥٤) وشكوك مؤلف « حبال الرمال » أو مثل المخابرات العسكرية الأمريكية في « نامر » المخابرات CIA مع ناصر للإطاحة بنجيب . وهذا هو « مصطفى أمين » يتشجع عند عبد الناصر بالدور الذي لعبه هو والمخابرات الأمريكية في ترجيحه على محمد نجيب . . ؟

وإذا كان « مصطفى أمين » قد ساهم في « المعركة » ضد نجيب بمقالاته فلماذا تصور أن المخابرات CIA اكتفت بالدعاء للسلطان ناصر بالنصر كعميلان دار السلطنة ١٩*
١٢ - أكد مصطفى أمين (بصرف النظر عن الحبكة الروائية والتي بدورها تثير أكثر من سؤال إذ كيف ولماذا يسمح السفير الأمريكي لصحفيين مصريين بالاطلاع على البرقيات السرية الواردة للسفارة ١٩ . . إلا إذا كان الباطل أحمدى جداً ١٩) . . المهم أكد مصطفى أمين رواية بغدادى وغيره على أن المخابرات الأمريكية أبلغت مصر بعدوان إسرائيل منتظر . .

يقول مصطفى أمين :

« كان جهاز المخابرات البريطاني يعمل باستمرار على أساس أن الرئيس عبد الناصر خطر على مصالح بريطانيا الاستعمارية والاقتصادية في المنطقة وليس لأن عبد الناصر يمثل خطراً شعبياً . . وكان مايلز كويلاند وميلر زويبرجر وكيرميت روزفلت يقولون لي إنهم مقتنعون بهذا الرأي وكانوا يقولون إن المخابرات البريطانية تحاول تضليل أمريكا لمصلحة بريطانيا » .
وهذه تضاف إلى نقطة الصراع الأمريكي - البريطاني ، وأن مصر الناصرية في تلك الفترة وربما إلى عام ١٩٦٥ كانت تمثل الطرف الأمريكي .
« وكنا في جميع اتصالاتنا هؤلاء نعلم أنهم متصلون بجهاز المخابرات الأمريكية وكانت الدولة تعلم بهذه الاتصالات وتعرفها تفصيلا » .

« وعندما أوفدني الرئيس جمال عبد الناصر في مهمة إلى أمريكا أثناء العدوان ، قابلت كيرميت روزفلت عدة مرات في حضور الدكتور أحمد حسين سفير مصر في واشنطن في ذلك الوقت ويعلم الرئيس جمال عبد الناصر ، وعرفت أن المخابرات الأمريكية فوجئت بالعدوان وأنها لم تعلم عنه من لندن أو باريس وإنما علمت به من تل أبيب ، وفي أيام العدوان الأولى كان

* نقدم بعض المعلومات والوثائق في موضوع خلع نجيب وعلاقة ذلك بالصراع الانجليز - أمريكي وانحياز ال CIA لعبد الناصر .

بيل ميلر يزورنا يوميا في أخبار اليوم ، وأحيانا بقابلنا أكثر من مرة في اليوم ، وكان السؤال الذي يسأله دائما واحداً لا يتغير وهو : هل نستطيع الصمود وكم ساعة نستطيع أن نلّف على أقدامنا ، وكان يسأل هذا السؤال أكثر من مرة في اليوم . . . وكان يقول لو صمدت مصر ثلاثة أيام فسوف تخسر بريطانيا المعركة .

« وكنت على صلة مستمرة ودائمة بالليل وبالنهار تليفونيا بالرئيس جمال عبد الناصر وكنت أبلغه أولاً بأول بكل كلمة يقوها « بيل ميلر » في مقابلاته العديدة المتكررة . »
« وقبل قيام العدوان البريطاني - الفرنسي الإسرائيلي على مصر كانت الولايات المتحدة بجميع أجهزتها على جهل تام بهذا العدوان ، وكان « بيل » يتردد علينا باستمرار في أخبار اليوم ويؤكد هذا ويقول إن أمريكا لا توافق على هذا العدوان ومادامت هي لا توافق ، فلن يقوم العدوان . »

وهذا صحيح كله . . . ومن المهم الرجوع إليه في حديثنا عن العدوان . . . فالولايات المتحدة فعلاً جهلت تدابير العدوان ، فقد كتبت بريطانيا عنها الأنباء لأنها كانت معركة حياة أو موت ، كما لا يستبعد أن تكون عيون وأصابع « الموساد » داخل المخابرات الأمريكية قد تعامت وسدت آذان هذه المخابرات ، وجعلتها غافلة ، وربما تتحمل المخابرات CIA مسئولية استرخاء عبد الناصر ورفضه أن يصدق جميع الأنباء التي وصلت إليه من مصادر شتى عن العدوان ، مما أثار دهشة ونقد المؤرخين وتشاء حكمة الله أن تبريء ساحة الرئيس وعلى لسان أحد ضحاياه ، فالرئيس كان مقتنعاً بمنطق « بيل » وهو أنه مادامت أمريكا لا توافق على العدوان فلن يقع ! وهذا المنطق هو إحدى خطايا الانفتاح على المخابرات CIA والقناعة بقانون « القوتين الأعظم » وأنه يتحكم في كل شيء ، أي انكار الإرادة الذاتية للقوى الأصغر وإمكانية تحريكها المستقل في ظروف خاصة . . . وقد أخطأ « بيل » في تقديره ، وأخطأ عبد الناصر في حساباته ، وربما كان هذا من حسن حظنا جزئياً* . . . ونفس الخطأ ارتكبه الشريف حسين الذي ظل إلى أن فقد عرشه يعتقد أن بريطانيا تستطيع أن تأمر ابن سعود بالتخلي عن أهدافه وانتصاراته !

وهذه الفقرات من اعترافات مصطفى أمين تلقي الضوء على موقف أمريكا خلال حرب السويس واهتمامها بالصمود المصري لكي يفشل العدوان ومن ثم يتبين سخافة اتهام أمريكا بأنها كانت شريكة في العدوان الثلاثي وأن هذا الاتهام المنهات إنما قصد به تغطية حقيقة العلاقة بين مصر الناصرية وأمريكا ، وأيضاً خطأ الاستدراج للمخطط الإسرائيلي الذي أراد ونجح في خلق صدام مصري - أمريكي بعدما وقفت الولايات المتحدة بكل ثقلها ضد إسرائيل في عدوان ١٩٥٦ . .

* إذ لو تخوف عبد الناصر من ردة الفعل البريطانية ربما لم يؤمم القناة .

قال مصطفى أمين :

« واستطعنا أن نعرف أن ايزنهاور غاضب من أن العدوان تم وراء ظهره ، وأن إيدن استغله ، وكانت هذه المعلومات مفيدة جداً أثناء المعركة » .

« وكانت تجري المباحثات بشأن وقف إطلاق النار وإرسال البوليس الدولي إلى مصر في مكثي بأخبار اليوم بحضور محمد حسين هيكل » .

ثاني !

« وكنا نبلغ عبد الناصر أولاً بأول كل المعلومات ونقوم بمهمة الاتصال بين الرئيس جمال عبد الناصر وايزنهاور حتى إن الرئيس جمال عبد الناصر قال يوماً إن أخبار اليوم أصبحت وزارة خارجية تحت الأرض ، وكنا نشعر وقتها أن رسائلنا تصل إلى ايزنهاور بهذه الطريقة أسرع كثيراً مما لو أرسلت بطريق السفير » .

وربما يفسر هذا الكثير من السلوك الغامض أثناء العدوان . . ويذكر مصطفى أمين الرئيس عبد الناصر بأنه هو الذي أمره بشن حملة شعواء على الشيوعية خلال أحداث ثورة العراق والحلاف الناصري الحروشي في المعروف (١٩٥٨ - ١٩٥٩) .

« وكنت على اتصال يومي بسيادتكم وكنت أبلغكم تفصيلاً كل مقابلاتي مع الرجال الأمريكيين الذين اتصلت بهم وكل ما كنت أحصل عليه من أنباء ومعلومات وأسرار بحيث كنا نعرف أولاً بأول كل الأنباء التي يهنا أن تعلم بها سواء ما يجري في أمريكا أو يجري في المنطقة العربية وكنتم سيادتكم تطلبون مني الاستفسار عن مسائل معينة أو إبلاغهم مسائل معينة وكان الأستاذ سامي شرف يتصل بي ويطلب مني أن أحصل على معلومات معينة من أصدقائي الأمريكيين وأعتقد أنني كنت أحصل على بيانات تهم بلادي في فترات عصية قلقة » .

« وحدث بعد تعيين الأستاذ خالد محيي الدين رئيساً لمجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم أن قررت إيقاف اتصالي بأي أمريكي وسألت الأستاذ سامي شرف في ذلك فطلب إلي الاستمرار كما أنا » .

ويعرفنا مصطفى أمين : أن « أرشي روزفلت » ابن عم كيرميت « هورجل ال CIA في لندن » وهو الذي قابل مصطفى أمين عام ١٩٤٤ في مجلة الاثنين وكان واسطة الخبر هو الدكتور « فؤاد صروف » عميد الجامعة الأمريكية في ذلك الوقت * وكانت مقابلة مباركة إذ بعدها بفترة بسيطة ظهرت « أخبار اليوم » كأقوى مجلة أسبوعية في العالم العربي وبدأت مسيرة النجاح المذهل ، وإن كان مصطفى بيك قد فسر لنا بعض أسبابه في هذه الوثيقة الخطيرة ، عندما تحدث عن « ثمن الصلة » :

• وهذا يدل على أن الصلة عريقة بين ال CIA والجامعة الأمريكية . والحق أن القليل كتب أو عرف عن دور هذا ال « فؤاد صروف » .

« سيادة الرئيس :

وأحب أن أثير سؤالاً هل كان المقابل الذي حصلت عليه من اتصالاتي بالمخابرات الأمريكية أو الأمريكيين المسئولين يساوي ما قدمته لهم ؟
والجواب على ذلك أنني لم انتقاض ثمن هذه الصلة مالا أو مرتباً شهرياً أو سنوياً إنما جاء المقابل في الصورة الآتية فقط .

(١) أخبار أمدني بها المسئولون الأمريكيون ورجال المخابرات الأمريكية خلال هذه السنوات العديدة . وكنت أقوم بنشرها بأخبار اليوم وباقي صحف الدار وتنشر بها دون باقي الصحف الأخرى التي تصدر في القاهرة أدت إلى زيادة توزيع صحف أخبار اليوم وبالتالي أدت إلى زيادة إيراداتها ومن هذه الأخبار خبر مفاوضات الهدنة بين الحلفاء والنازيين وكانت تجري سرا في أوروبا في ذلك الحين وكانت أخبار اليوم أول جريدة سبقت بنشر هذا النبأ ، كذلك خبر عن أول تفصيلات عن اختراع القنبلة الذرية كذلك خبر عن موعد ومكان فتح الجبهة الثانية في أوروبا وكذلك خبر عن موعد الهجوم المتظر الذي سيقوم بها هتلر على روسيا وكذلك خبر مفاوضات إيطاليا بالتسليم للحلفاء في نهاية الحرب العالمية الثانية وكذلك أول خبر عن أن الروس يعرفون سر القنبلة الذرية .

(٢) وبهذه الصلة حصلت على امتيازات لإصدار مجلة المختار . وهو يدور على أخبار اليوم مبلغاً طائلاً سنوياً وقد وافقتم سيادتكم على أن نحصل على امتياز إصدار هذه المجلة .
(٣) وبهذه الصلة حصلت على امتياز طبع مجلة الصداقة وهي تدر على أخبار اليوم مبلغاً كبيراً سنوياً .

(٤) وبهذه الصلة حصلت لأخبار اليوم وصحفها على إعلانات من شركات أرامكو وبنان أمريكان وكانت كل الصحف الأخرى كالأهرام مثلاً تأخذ نفس القدر من الإعلانات .

(٥) وبهذه الصلة حصلت على ورق من أمريكا لمصر بحوالي ٢ مليون جنيه وهو الذي تسلمته الحكومة المصرية ولكنني كصاحب أخبار اليوم استغدت من هذا الورق لأنه وزع على الصحف بنسبة توزيعها وحصلت أخبار اليوم من الحكومة على نسبة كبيرة من هذا الورق وكان الورق الذي اشتريته من الحكومة أرخص من ورق السوق فربحنا بطبيعة الحال .

(٦) حاولت أن أستفيد من هذه الصلة بشراء مطابع جديدة من أمريكا وطلبت منهم أن يعاونوني في أن أحصل على قرض من بنك التسليف والاستيراد الأمريكي بشراء مطبعة وكان المبلغ المطلوب حوالي ١٠٠ ألف جنيه فلم يوافق البنك لأنه يطلب ضمانات الحكومة المصرية ولأن تقاليد البنك هي عدم تقديم قروض للمصنف .

(٧) بهذه الصلة أمكنني أن أوفد أم كلثوم لتعالج في أمريكا بالذرة دون مقابل .

(٨) وفي الوقت نفسه حصلت لبلادي على معلومات من الأمريكيين هامة وخطيرة عن موعد هجوم إسرائيل سنة ١٩٥٤ ونوهتم سيادتكم بفضل هذه المعرفة في كسب المعركة وجمع

الأخبار عن الحالة في سوريا بعد الانفصال وانقطاع وسائل الاتصال بالإقليم السوري وجمع الأخبار عن الحالة في العراق بعد نزاعنا مع عبد الكريم قاسم وجمع أخبار عن الموقف في السعودية بعد الأزمة التي وقعت بيننا وبين سعود وأنا الذي أبلغت سيادتكم بنياً المؤامرة التي يقوم بها الملك سعود مع أحمد أبو الفتح وسعيد رمضان وبعد أن أبلغتكم هذه المعلومات ومصدرها عرفت من سيادتكم أنكم بوسائلكم الخاصة عرفت تفاصيل وأسرار هذه المؤامرة .

ورسالة من هذه الفقرة الآتي :

١ - صلة مصطفى أمين بالمخابرات الأمريكية أو الأمريكية كان سابقة على الثورة أي منذ الحرب العالمية ، وأنهم كافأوه في تلك الفترة بالأخبار التي تدر عليه الربح ، من خلال إنجاح صحيفته وتفوقها . وهو يسمى ذلك « ثمن الصلة » أي أنه كان يقدم لهم خدمات خلال الفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٢ . ترى ما هي هذه الخدمات والتي شكلت صحيفة سوابقه التي أتاحت له كل هذه الخطوة وكل تلك الثقة في ظل الثورة ؟ ! أغلب الظن - وأغلب إثم - أنه كان يجندهم للثورة وبالذات لتنظيم الضباط الأحرار !!

٢ - إن مكافأة الصحفي العميل ، عند هذه الأجهزة لا تأخذ - دائماً - شكل أموال تدفع له ، بل خدمات تجعله الصحفي الأول بلا مجهود كبير منه ، وقد تشمل إزاحة المنافسين . وهذا بالطبع يشمل مصطفى أمين وغيره من الذين نراهم يطفون عند السطح بلا مبرر مهني .

ولنفق هنا قليلاً مع الرسالة وتعليق « هيكल » عليها فنورد هذه الملاحظات :

١ - لا يمكن فصل هيكل عن مصطفى أمين في كل أحداث الرسالة من يوم الانقلاب إلى أوائل الستينيات ، ففي كل الاتصالات واللقاءات مع عناصر المخابرات الأمريكية يوجد « هيكل » .

« مصطفى أمين » يذكر ذلك بوضوح وصراحة ويتبعها بأن « اتصالاتنا معهم كانت يعلم الرئيس وموافقة » ، وهو بالطبع لا يعني الاتصال كمندوب للرئيس بل يعني الاتصال الذي يحاكم عليه . . . ولا يمكن بالطبع أن يكذب « مصطفى أمين » على عبد الناصر في رسالة استعطاف وهو في أحلك الظروف وفي قبضة الوحش . . . وحتى « المافيا » يعرفون أن الكذب مستحيل في مثل هذه اللحظات . إذ لا شك أن عبد الناصر الذي يعرف « دبة النملة » وخاصة عن هيكل لا بد أنه يعرف إذا كان هيكل يحضر أولاً يحضر اجتماعات مصطفى أمين ووروزفلت أهم أمريكي يتردد على القاهرة وقتها . ومن ثم لو كان ما يقوله مصطفى أمين على هيكل ، مجرد أكاذيب ، لاستشاط عبد الناصر غضباً من هذا الذي يغرر به حتى وهو في السجن ، وأصبحت الرسالة بلا معنى ! ومصطفى أمين أذكى من أن يجهل هذا ، وهيكل أيضاً أخبث من أن يرد على هذا المطب بأنه كذب واختلاق ، وهنا استعان البهلوان بكل ما في

الجواب من حبل وكان أن أعلن أن « مصطفى أمين » كتب هذه « الأكاذيب » عن اشتراكه معه في « الاتصال » المغيّب بالمخابرات الأمريكية وهو يعتقد أنه صادق !!

إزاي ؟ .. بسيطة خالص .. اتهم « مصطفى أمين » بأنه مجنون ، يكذب حته .. حته .. وفي النهاية يصدق نفسه .. ولكن اقرأ هذا الاعتذار من فم « هيكمل » أحل :

« ولكن ما أثار استغرابي هو بعض الوقائع التي استشهد بي على صحتها .. كان الأستاذ مصطفى أمين يروي قصة ، ثم يعود في اليوم التالي ليرويها وقد اختلف فيها تفصيل واحد ، ثم يعود بعد أسبوع ليرويها وقد اختلف تفصيلان وتحول المتواليات الحسابية إلى متواليات هندسية ، وتفقد القصة في آخر طبعة منها علاقتها بالطبعة الأولى ، لكن كثرة التكرار تولد نوعاً من الاقتناع الحقيقي لدى صاحبه بأن ما يقوله هو صدق ، كذلك يجبل له .. وهكذا فإن الأستاذ « مصطفى أمين » حين قدم الوقائع أمام جمال عبد الناصر - في رسالته الوثيقة - لم يكن يظن أنه يكذب - كما قال بنفسه - وإنما كان يقول ما يتصور هو أنه صحيح بصرف النظر عن الحقيقة . وإذا فنحن أمام ظاهرة مثيرة للتأمل : لا نحتاج إلى مجرد رجل أمن بضبط الوقائع ، ولكنها تحتاج أيضاً إلى عالم نفسي يحلل الدوافع » .

فكل هذه الاجتماعات التي حددها مصطفى أمين باليوم وموضوع المناقشة ومن حضر من الطرف الأمريكي مع هيكمل كلها تغيلات .. وحالة نفسية .. ومادام « هيكمل » يكتب لقراء في مستوى « سجاح قمر » فليكتب ما يشاء* .

٢ - هيكمل هو ابن دار « أخبار اليوم » البكر ، ففي الوقت الذي كان الشباب يتفجر وطنية التحق هو بصحيفة الاستعمار البريطاني في مصر ، ثم في عام ١٩٤٦ انضم « لأخبار اليوم » ومرة أخرى كان طلبة المدارس يعرفون أن « أخبار اليوم » هي صحيفة القصر والسفارتين البريطانية والأمريكية .. ومن ثم فعندما « يتحنجل » الأستاذ « هيكمل » الآن ليقول لنا إنه « يشك » في أن تكون المخابرات الأمريكية أنشأت أخبار اليوم ، نقول له قديمة ، هذه حقيقة مقررة في جيلنا من أربعين سنة ، وأنت كنت منهم ثالثهما وورثتهما وابنيها البكر . وأنتك إذا تقرر الآن « كان الأستاذ مصطفى أمين من ٢٩٤٤ إلى ١٩٥٠ الصحفي المعبر عن السراي واتجاهاتها وظل هذا الوضع حتى سنة ١٩٥٢ ، نقول فلماذا رضيت أن تبقى من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٢ أي ثلاثة أرباع المدة ، في خدمة صحيفة السراي والمخابرات الأمريكية أم عرفت ذلك الآن فقط بعد دراسة أرشيف أخبار اليوم ؟! »

وكيف ارتبطت بهذه الصداقة الحميمة مع جواسيس ؟! .. المضحك أنه يقول الآن بعد أربعين سنة إن « مراسلي أخبار اليوم في الخارج وقت إنشائها كانوا - كما يبدو لنا الآن - طرازاً غريباً من الصحفيين » !!

• الغريب أن « مصطفى أمين » يروي نفس المرض عن « هيكمل » الظاهر أنهم بدرسيه في مدرسة الكافر إياها !

لم تتبين ذلك وهم يعملون كمراسلين لك وأنت رئيس تحرير آخر ساعة والأخبار وأخبار اليوم . . . ولماذا مراسليها في الخارج فقط ؟ أليست المهمة الأولى لدار صحفية تنشئها المخابرات الأمريكية هي العمل في الداخل ؟!

الآن عرفت أن « فؤاد صروف » عميل ، وأن « المختار » كانت مجلة استعمارية المنشأ والهدف ؟! أتمنى أن يسأل الجيل الجديد والديه ماذا كنا نقول عن « المختار » في الأربعينيات . . . وكيف لا تزال الشبهة تطارد كل من كانت له صلة بها . . . وأخيراً لم يستأذن « مصطفى أمين » من جمال عبد الناصر على إعادة طبع المختار في سنة ١٩٦٠ فوافق سيادة الرئيس ! هل من الأمانة أو احترام القاريء أن تستشهد بعمالة « مصطفى أمين » - وهي ثابتة - بأن « المختار صدرت فيما بعد عن دار أخبار اليوم » وذكر الأستاذ مصطفى أمين في رسالته - الاعتراف ، أن ذلك كان بين الفوائد التي حصل عليها من صلاته الأمريكية ! وتقفر فوق « اعترافه » بأنه استأذن الرئيس فأذن الله . . . ؟! أم أن هذه من التخييلات ، فلا مصطفى أمين استأذن ولا عبد الناصر وافق ، ولا المختار صدرت فعلاً في ١٩٦٠ أو « فيما بعد » لكي تنهرب من التاريخ وحفائقه المخزية لكم جميعاً ؟!

٣ - إن الرئيس عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأنور السادات ، كلهم كانوا يعرفون موقف وسياسة وارتباطات « مصطفى أمين » ودار « أخبار اليوم » . ورغم ذلك أغلقت صحف مصر الوطنية وشرد من شرده سجن من سجن حتى كتب « علي أمين » بشت في « أبو الخبر نجيب » لتكبل محكمة الثورة به . وظل هو وتوأمه يتربعان على عرش الصحافة المصرية مشرفين وموجهين للاتصالات المصرية - الأمريكية خلال حرب ١٩٥٦ . . . لماذا ؟!

من الذي أخرج مصطفى أمين من السجن وأعطاه مقاليد الصحافة . . . ؟! لماذا تحتاج « الثورة » إلى « عميل » يتصل لها بالرئيس لإيزتهاور ؟! لماذا لا يتصل زكريا محيي الدين ؟! عبد الناصر لم يتم ولا وجد وقتاً ليقابل أحمد بهاء الدين ولو مرة واحدة في حياتها ! مصطفى أمين يكتب بيانات عبد الناصر بل ويرسلها إليه للتوقيع .

لماذا هذه الثورة مشبوهة الاتصالات ، كل اختياراتها نصب في النهاية في قناة المخابرات الأمريكية من أحمد حسين سفيرها في واشنطن إلى مصطفى أمين وهيكمل والتهامي . . . إلخ . . .

٤ - ومرة أخرى أوحى عشرة ، أعترض هذا الجيل الذي اختلطت الأمور عليه فلم يعد بدري معنى كلمة جاسوس وعميل . . . بعد أن سيطرت على مصر حكومة جاءت بها المخابرات الأمريكية ، وأصبح اسمها حكومة « الثورة » ! . . . ففقدت الكلمات معناها ، وتأمل كيف كتب « هيكمل » كتاباً كاملاً يثبت فيه أن مصطفى أمين وعلي أمين جاسوسان .

مصطفى أمين نجان مصر مع الأمريكيين ، واستعدى الحكومة الأمريكية ضد مصر* ، وأعطاهم معلومات ساعدت على العدوان الإسرائيلي . . أما علي أمين . بنص تصريح الزعيم « يعمل في المخابرات البريطانية »** . ورغم ذلك ، أم نقول ، وبسبب ذلك انظر كيف التقى ممثل الناصرية بجاسوس الانجليز . .

« ووصل علي أمين إلى مكتبى وكان لقاء بعد فراق تسع سنوات حافلة ! كان فرحى بلقاء الأستاذ « علي أمين » حقيقياً وأشهد أنني شعرت بنفس الشيء من جانبه . . ثم طاف به مبنى الأهرام . . ثم « سألنى الأستاذ « علي أمين » : « أين يستطيع أن يذهب طول نهاره ، إن جو الصحافة المصرية أوحشه . . وقلت على الفور : « إن الأهرام تحت تصرفه وسوف أخصص له مكتباً بجوار مكتبى يجلس فيه كما يشاء ويستقبل فيه من يشاء . . وقام مرة أخرى يقبلني متهدجاً بالثناء . لم يتغير شيء من الطفل الكبير الذي عرفته منذ سنوات طويلة ! » بحروفه .

لم يتغير شيء حتى وإن كان الطفل الكبير لعب استغابة مع المخابرات البريطانية ١٩ . . وانظر ماذا كتب يوم الإفراج عن جاسوس أمريكا والنسب في العدوان أو الماسهم فيه . . « إن الصحافة المصرية تتلقى القرار بالإفراج عن الأستاذ مصطفى أمين بعرفان بالجميل عميق . . ذلك لأنه لا جدال في أن الدور الذي قام به الأستاذان مصطفى أمين وعلي أمين هو حلقة في حياة وتطور مهنة الصحافة في مصر » . بعد كل ما قلته ١٩ بش الصحافة وبش التطوير ونعس من دور . . وحفاً كما قلت : « هي مخططات قوى عظمى تلعب بمصائر ومقادير شعوب وتحاول فرض سيطرتها على الآخرين وترويضهم وإفقادهم الثقة بكل شيء حتى يصبحوا على استعداد للقبول بأي شيء » ثم إعادة تشكيل أفكارهم وأحلامهم بوسائل عديدة تبدأ بالكلمة والصورة وتنتهي بالمدفع والدبابة ٢ .

• من الطريف أن هذه التهمة ذاتها وجهت إلى الأستاذ « هيكل » ولكن من السفير الأمريكي السابق في القاهرة والأستاذ بجامعة بوسط ، عندما علق على « خريف الغضب » فقال إن هيكل ذهب إلى أمريكا وحرص السياسيين الأمريكيين في اجتماع خاص ضد مصر والسادات وقال السفير : ولا شك إن السنر هيكل يعرف أنه يوجد قانون في الولايات المتحدة يعاقب من يستعدى حكومة أجنبية ضد حكومته . .

• نقل هيكل عن عبد الناصر أنه قال « إن مصطفى أمين كان من أهم مصادر المعلومات للأمريكان في الظروف التي سبقت التدبير للعدوان » ص ٣١٦ وبالطبع يوجد شاهدان على ذلك هما سعيد فريجة ، ومحمد محبوب . . وبالطبع متوفيان كما هو الشرط للقانون لشهود بيوه هيكل هذا

صدقت . . . ولكن لا تشمت بنا . . . إن كنتم قد هزمتكم جيلنا بالمدفع والديابة فقد هزمتكم بالكلمة وغدا يأتي جيل يهتق على قبوركم وصحافتكم وديابات أنت بكم وأصداعت الوطن . . .

وبعد . . .

نعتقد الآن أنه باستثناء الحصول على محضر اجتماع المخابرات الأمريكية والضباط الأحرار في مارس أو مايو ١٩٥٢ ، لا يمكن أن تتوفر أدلة منطقية أقوى حجة وأبلغ دلالة مما أوردناه في هذه النصوص الثلاثة على اختلاف مصادرها . . . وبقي أن نستفيد من هذه الحقيقة في تفسير قرارات ومواقف وسياسات عبد الناصر . . . وإذا كان الإرهاب يستهوي الكثير من المؤرخين والمعلقين ، وهو عن حق يشكل قاعدة النظام الناصري ، والمعبى الصادق لتقييم النظم ، وهو أيضاً الحقيقة التي اتفق عليها « الثامرون الثوريون » باعتبارها ضرورة لإجهاض الحركة الوطنية في مصر ، وفرض الزعامة المطلقة للقائد الجديد الذي سيستخدم هذه الزعامة بما يعود بالفائدة على بلده والمنطقة والأمريكان . . . بل كان أول الشروط التي وضعتها المخابرات الأمريكية للقائد المستظر ، هي أن يكون مجنون سلطنة ، يعشق السلطة ولا يسمح بمشاركة فيها ، وعلى استعداد لتدمير كل شيء في سبيل أن يبقى في السلطة ، وقد ذكر كويلاند ذلك صراحة . . .

وإذا كنت قد تعرضت بالطبع لهذه الديكتاتورية ، وهذا الشبق للسلطة ، وما أدى إليه من تصفيات في القيادة ، بل إلى مناورات ومؤامرات يبدو معها ميكافيل وكأنه أبو موسى الأشعري . . . إلا أنني ركزت على ما يوصف بأنه « انتصارات » أو ما يحاول كتاب الناصرية ، والمخابرات الأمريكية وضعه في الكفة الأخرى ، لموازنة ما نزل بمصر والعرب من خسائر .

وأود أن أتوقف هنا لحظات لأترك بعض الوثائق تتكلم وهذه الوثائق مما نشر في الكتاب الدوري لوزارة الخارجية الأمريكية . نفس الكتاب الذي أذهل الأستاذ هيكل « المذهولين » خلقه^{٢٢} بنشر بعض من وثائقه . أما الوثائق التي سأقدمها أنا للفاريء فهي من النوع الخاص الذي قلت عنه إنه من نوع عجيب ، لا يراه الأستاذ هيكل ولا يشير إليه ، لأنه لا يرى إلا بالعين المجردة .

وأخيراً أنه إلى حقيقة عجيبة الإيجاء والدلالة ، وهي أن هذا الكتاب الصادر عن وزارة الخارجية كسجل يومي لنشاط ومعلومات سفاراتها في العالم كله ، لا توجد فيه ولا رسالة ولا برفية ولا مذكرة واحدة في الفترة من ٢٢ يوليو إلى ٢٨ يوليو ١٩٥٢ لا من القاهرة ولا من أية جهة في العالم إلى واشنطن أو بالعكس إلا رسالة واحدة بتيمة من السفير الأمريكي في « لندن » بتاريخ ٢٣/٧/٥٢ يقول فيها إنه سمع بانقلاب في مصر وأنه يرسل عن ذلك تقريراً . . . ولا أثر للتقرير !

وإذا رفضنا تفسير هذه الظاهرة المدهشة بأن الرقابة رأت أن برقيات وتقارير تلك الفترة تكشف ما لا يجوز - بعد - كشفه ، فليس أمامنا إلا قبول تفسير هزلي ، وهو أن السفارة الأمريكية بل والخارجية الأمريكية أصيبت بالصاعقة لهول « المفاجأة » فظلت مسخخة من مساء يوم ٢١/٧/١٩٥٢ إلى ٢٨/٧/١٩٥٢ تماماً كما خلت الوثائق من أية إشارة من السفارة إلى حادث « المنشية » كأن السفير لم يسمع به ، أو قال عنه ما لا يجوز نشره حتى اليوم ! بصراحة . . نحن نتوجس شراً كبيراً من استمرار حرص الأجهزة الأمريكية على إخفاء وثائق انقلاب يوليو . .

إنا لمنزعجون مما يبيتون . .



تقرير مكتب الشرق الأدنى (الخارجية الأمريكية ٢٨/٧/١٩٥٢) .
« لا يوجد نفوذ شيوعي في الجيش أو قليل . . ولا دليل على وجود عناصر شيوعية في التحرك الأخير ، ولكن الشيوعيين عادة يحاولون استغلال أي تغيير ، الإخوان المسلمون لهم قوة في القوات المسلحة ، لا بد أن يكون لهم نفوذ في الانقلاب الأخير لأن أهداف الانقلاب تتفق مع أهداف الإخوان في محاربة الفساد . ولأن عدداً من قادة الانقلاب هم أعضاء في جماعة الإخوان . أما الوفد فكان يتخذ موقف المراقب خلال الشهور الستة الأخيرة بعد حرق القاهرة ، وقد عاد النحاس وسراج الدين إلى القاهرة ووصفوا نجيب بأنه « منقذ الوطن » ولكن تبقى أن يُعرف إلى أي مدى سينفذ حزب الوفد وهو الأهم عندهما .



« إن اقتراح تشكيل « صلاح الدين » لحزب وفد جديد يتعاون مع النظام الجديد اقتراح غير مناسب لأن تنظيم الوفد وأمواله يخضعان لسيطرة حازمة من سراج الدين والنحاس وعبود (١١ ج) كما أن الجيش لن يهتم بهذا الأمر طالما ظلت له السيطرة على الوضع » .
٧ أغسطس ١٩٥٢ من كافري إلى وزارة الخارجية رداً على اقتراحها .



« من السفير الأمريكي كافري إلى الخارجية الأمريكية ٧ أغسطس ١٩٥٢ » العلاقات بين الوفد والنظام الجديد ليست على ما يرام كما غنى النحاس وسراج الدين . عندما عادا للقاهرة . والجيش الذي كان يخشى قوة الوفد في البداية بعد نجاح الانقلاب زال الكثير من هذا الخوف وأصبح الموقف يشر بمصر بلا وفد »

وطلبت وزارة الخارجية الأمريكية من السفارة في القاهرة « دراسة عن تأثير الإخوان وإمكانية تعاون صلاح الدين والعناصر الوفدية الشابة مع النظام الجديد » بريقة ٢٣٠ إلى القاهرة بتاريخ ٤ أغسطس ١٩٥٢ ورد السفير بأن « اتجاهات الحركة لا تتفق مع اتجاهات الإخوان مثل موافقتهم على الدفاع عن الشرق الأوسط ، واتجاههم للغرب في طلب السلاح

والمساعدات وقبول الأمير عبد المنعم* كأحد الأوصياء الثلاثة على العرش .

من السفير الأمريكي إلى وزارة الخارجية ١٩٥٢/٨/٢٠ . .

بدعوة منهم ، تعشيت الليلة مع نجيب وتسعة من ضباطه الأساسيين .

١ - أكدوا مرة أخرى رغبتهم في صداقة الولايات المتحدة . . إلخ . .

٢ - ناقشت معهم الإصلاح الزراعي ، فقالوا إنه من ناحية لا بد من عمل شيء وفي الحال بخصوص الفوران الشعبي بين الفلاحين . ولكن من الناحية الأخرى فإنهم يرون إمكانية إفساد الاقتصاد المصري كله لو تطرفوا في هذا الأمر أو بعبارة أخرى لا يمكن إعطاء حوالي ١٧ أو ١٨ مليون فلاح شرائح من الأرض ثم تتوقع أن ينتجوا شيئاً له قيمة ، وهم يشعرون بالخروج لأنهم تحدثوا كثيراً عن الإصلاح الزراعي علناً . .

٣ - اعترفوا بأنهم تسرعوا في الإفراج عن الشيوعيين وقد قاموا باعتقال بعضهم .

٤ - أما عن الإخوان المسلمين فقط اعترف لي محمد نجيب « على أفراد من الآخرين ، أن هناك بعض الخطر من ناحيتهم لأن عدداً من الضباط والجنود ينتمون للإخوان ولكنه يعتقد أنه يمكنه السيطرة على الوضع .

٥ - أكدوا أنهم سيواصلون جهودهم لإضعاف الوفد .

٦ - أنهم يعتقدون أن حوادث كفر الدوار الأخيرة محرك من الخارج ، وأنهم لم يقرروا بعد إعدام الرجل الذي حاكموه وقد سألتني نجيب رأيي هل يشنقه أو يغير الحكم إلى السجن المؤبد ، وقد نهبت من الجواب**» .

كافري

٢٠ أغسطس ١٩٥٢

من وزير الخارجية الأمريكية إلى السفارة الأمريكية بالقاهرة :

« إننا نعتقد أن الدعم المادي والأدبي للنظام المصري الحاضر هو أفضل سياسة مدروسة يمكن اتباعها لتحقيق أهداف الغرب والولايات المتحدة في مصر والعكس أيضاً . . وهي :
١ - « اشتراك مصر في مشاريع الدفاع ٢ - حل النزاع المصري البريطاني ٣ - السلام مع إسرائيل . »

« أنشيسون »

١٩٥٢/٩/٣٠

• لا تنس أنه هو الذي طلب تدخل أمريكا من وزير خارجيتها في جنازة الملك جورج السادس . .

••• دمه في رقبك مرتين . .

من وزير الخارجية الأمريكي إلى مدير هيئة الأمن المشترك .

واشنطن ١٩ فبراير ١٩٥٣
سري جداً

« إننا نعتقد أن بقاء الجنرال نجيب في السلطة هو أمر حيوي للغاية بالنسبة لمصالحنا »
جون فوستر دلاس

• • •

من وزير الخارجية الأمريكية إلى الجنرال محمد نجيب :
« إن شجاعته في حل مشاكل مصر الداخلية والخارجية أثارت إعجاب الشعب الأمريكي ، إن حل مشكلة السودان في خلال شهر ، وهي التي سمعت العلاقات البريطانية المصرية على مدى نصف قرن ، لدليل شجاعته وصره وكفاءته كرجل دولة . »
دلاس

١٩٥٣/٣/٢٤

• • •

« إن الشعور العام للشعب في هذه المنطقة (الشرق الأوسط) هو أكثر عداء للغرب وأكثر استعداداً للتعاطف مع أعداء الغرب بأكثر مما نحب أن نصدق . »

كافري
أول يونيو ١٩٥٣

• • •

ومرة أخرى ينقل السفير الأمريكي حديثاً بين ناصر وموظف السفارة (١٩) ولكنه يضيف : « وبهذه المناسبة فقد لاحظ صحفي مصري جيد الاطلاع أن الإخوان المسلمين كانوا سيثيرون اضطراباً في المنطقة منذ مدة لولا سيطرة ناصر على الوضع . »

كافري لوزارته

١٩٥٣/٦/٢٢

• • •

« احتمالات استمرار مجلس الثورة في الاحتفاظ بالسلطة ؟ منازة في الوقت الحالي بافتراض أنه لا تقع اغتالات لأعضائه البارزين وعدم حدوث تدهور اقتصادي خطير .
القوى الأساسية المؤيدة هي : القوات المسلحة ، الحرس الوطني ، هيئة التحرير ، البروليتاريا في الريف والمدينة متعاطفة مع النظام عموماً .
المعارضة : الأحزاب السياسية القديمة ، الطبقات العليا ، بعض الساعطين في الجيش والبوليس وجهاز الحكومة ، بعض التشكيلات من رجال الأعمال والعمال والشيوعيين ولكن قوات مجلس الثورة كافية لقمع عناصر المعارضة . »

كافري
٤ فبراير ١٩٥٤

من السفير كافردي إلى وزارة خارجيته

القاهرة ٥ أبريل ١٩٥٤

سري

٥ - لا يوجد على مدى الرقيا حكومة بديلة يمكن أن تكون مرغوبة من وجهة نظر الغرب
(بالغين المتوقعة ج) مثل الحكومة الحاضرة ١ .

○○○

قال جمال عبد الناصر اليوم في عادية مع السفير الأمريكي ١ إنه يقدم لأول مرة لبريطانيا
قاعدة عسكرية في مصر لأن معاهدة ١٩٣٦ لا تعطيهم قاعدة ١ .

١٩٥٤/٧/١٥

○○○

٢٨ سبتمبر ١٩٥٤

سري جداً
مذكرة من مشول مكتب تنسيق العمليات . عن الاجتماع لبحث مشكلة المساعدة
العسكرية لمصر حضره الآتية أسماؤهم :

عن الخارجية جون جيفرسون

لويس برشتنج

وليم بوردت

وليم جودل

رينشارد بيل

كيرميت روزفلت

لورمان بول

المريستاس

ماكس بيثوب

عن الدفاع

عن المخابرات CIA

إدارة العمليات الخارجية

مكتب تنسيق العمليات

١ - وقد قام مستر روزفلت ومستر بيل بعرض الوضع في مصر بإيجاز .

.....

• هكذا وردت نصف صفحة لفظ ومعناها حدثت من قبل الجهات الأمنية في الولايات المتحدة لأنها
ما زالت في عام ١٩٨٦ تفرج تحت السود أو الاحتمالات التي تتيح الحذف أو ترجمه طفا للفقاهون
وهي :

١ - يمكن أن تهدد المفاوضات الدبلوماسية التي قد تكون جارية ،

وقد أشرنا إلى أنه لوحظ أيضاً اختفاء أبنة وثائق أو تقارير عن محاولة اغتيال
« عبد الناصر » في المنشية فلم يرد عنها شيء !

ولكن في ١٥/١١/١٩٥٤

من السفير (كافري) إلى وزارة الخارجية

« ما يشير الانتباه أن « الأهرام » نشرت اليوم أن وثائق الإخوان التي ضبطت تضمنت
خططاً لجر الحكومة إلى معركة حقيقية في فلسطين أو مع الانجليز في القتال لتمكين الإخوان
المسلمين من تنفيذ انقلاب في القاهرة »

○○○

١

« يمكن أن تعقد الحكومات الأجنبية والأفراد الشقة الخاصة في وزارة الخارجية من ناحية قدرتها على
حفظ الأسرار »

« يمكن أن تسبب إمارة لا تدبر لها الأشخاص أو مواضع من بلاد أخرى »

عن الانجليز ونجيب .. الخ

بعد أن نشرنا كتابنا « كالمتي للمغفلين » وكشفنا فيه مدى الدعم الذي قدمته الولايات المتحدة لانقلاب ٢٣ يوليو ضد الانجليز ، ومدى التعاون الذي قام بين رجال هذا الانقلاب والمخابرات الأمريكية ، لم يعد بوسع بياغ الناصرية أن ينكر هذه الحقيقة ، فاعترف بها ولكن تحت غطاء أنها المناورة المشروعة باللعب على التناقض ، وهذا تفسير مقبوس من تحليلنا ، مع حذف جزء هام جداً ، وهو أنه لم يكن كذلك ! لأن كل حركة وطنية مطالبة وقادرة على الاستفادة من التناقضات ، على أن يكون ذلك سياسة وليس مؤامرة ، وبشرط أن تكون حقا حركة وطنية ، وليست من صنع أحد أطراف الصراع وبالذات جهاز المخابرات وقد شرحنا ذلك بما فيه الكفاية في أكثر من موضع . . وإنما نعرض هنا بعض الوقائع في ضوء ما كشفت عنه الوثائق المتاحة .

إذا كان تأييد تشرشل للانقلاب بشكل علامة استفهام في بعض الكتابات التي تعرضت لهذه الفترة . فلا جدال في أن الانجليز فوجشوا بالانقلاب ، وأنهم لم يكونوا « جد متحمسين » له . . ولكن يبدو أنهم اقتنعوا في الأيام الأخيرة باستحالة سيطرتهم على الوضع بغير احتلال القاهرة والألكندرية والدخول في مجابهة مسلحة مع الشعب والحكومة . . ونحن نرجح أيضاً أن اتصالاً تم مع تشرشل نفسه أقنعه بأنه لا يملك خياراً غير قبول الحل الأمريكي أو على الأقل ترك الأمريكيين يحرقون أصابعهم في التجربة^٢ وسواء كان ثمن تأييد الانجليز للانقلاب هو ترشيح « علي ماهر » أو أن توليه رئاسة الوزارة كان مقصوداً لطمأنتهم أن الأمور لم تخرج نهائياً من جعبتهم ، لأن « علي ماهر » من النظام الذي اعتادوه واعتادهم ، وهو بلا حزب ، ومن ثم لا بد أن يبحث عن سند ، في مواجهة العسكر ، وقد صح ما توقعه الانجليز ، فيما إن أحس « علي ماهر » بضعفه أمام محمد نجيب وعسكره وأدرك اعتمادهم على الدعم الأمريكي حتى التفت إلى بريطانيا وتقدمت بريطانيا لمساعدته فكانت نهايته !

ففي مذكرة من وزارة الخارجية الأمريكية إلى السفير الأمريكي بالقاهرة ، تخير الوزارة سفيرها أن بريطانيا طلبت من واشنطن تنبيه العسكر إلى ضرورة إعطاء ماهر فرصة لإجراء إصلاحات معتدلة وأن تبلغهم أن الولايات المتحدة ستستاء جداً لو اتخذوا إجراء ضد علي ماهر وأن ايدن يرى مخاطر إجراء إصلاح زراعي غير مدروس على الاقتصاد المصري والتركيب الاجتماعي كما سيفضي إلى سيطرة العناصر الأكثر تطرفاً ، كذلك لفت الانتباه إلى الاعتقال الجزائي ، وضم الوزارة لعناصر متطرفة ووفدية . . .

وختمت الرسالة بهذه النصيحة : « إن التنسيق بين سياسة بريطانيا وأمريكا أهم اليوم من أي وقت مضى وأي تصرف يفهم منه المصريون أنه مسايمة من الولايات المتحدة سيشتجع المتطرفين على حساسنا . ويرى ايدن أن المصريين يعتقدون أن الولايات المتحدة قد أطلقت يدهم ببيان الخارجية في ٣ سبتمبر . وأن الولايات المتحدة تخطيء تماماً إذا تبنت توصيات كافري . إنني أرجو الولايات المتحدة أن تعيد النظر في احتمال أن يؤدي تشجيع العناصر المتطرفة في مصر في هذه المرحلة إلى تكرار أحداث الحريف الماضي . ففي رأيي أن الوضع الحالي في مصر خطير ويحتاج إلى معالجة حذرة من الولايات المتحدة ومنا » .

ولكن كافري كان « مالي يده » و « الأولاد » - كما كان يسمى قيادة الثورة - في جيبه ، لذلك جلس حقا على كرسي الأستاذية وقال : « إن تكتيكات وزارة الخارجية البريطانية خاطئة ومرارا وتكرارا تنأت لهم بسوء العاقبة وهم في هذه المرة غطثون أيضاً » .

كانت الأمور قد وضحت ، وعرفت بريطانيا رقم تليفون « مجلس الثورة » في واشنطن فأصبحت الشكوى والاحتجاج والنصائح توجه إلى « ولي الأمر » وعرف الانجليز أن « اللي له ظهر لا يضرب على بطنه » . . . فلما شعروا بالنية لإزاحة علي ماهر تدخلوا . . . وهاجموا « الإصلاح الزراعي » وهو أمر منطقي تماماً مع ما قدمناه من أسباب حول تأييد الأمريكيين لهم ، فكما أشرنا كانت ملكية الأرض والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية القائمة عليها هي من صنع وفي خدمة النظام الاستعماري البريطاني . ولذلك كان الأمريكيان يريدون هدم ذلك كله وإحلال علاقات جديدة توافق نظامهم حتى الرغبة في إضعاف مزاحمة القطن المصري للقطن الأمريكي تفسر معارضة الانجليز . فلا ننس أن بريطانيا كانت المسودة الأولى للقطن المصري لمصانعها الذي تشتريه بالسترليني ، أما القطن الأمريكي فلا سبيل إليه إلا بالقطع النادر - وقتها - وهو الدولار .

ولكن علي ماهر يراخ وتشكل حكومة برئاسة « محمد نجيب » أي العسكر وثيادر أمريكا على ضوء معلومات سفيرها بإعلان تأييدها للتغيير الوزاري (بيان ٣ سبتمبر ١٩٥٢) وبدون مشاورة مع بريطانيا التي لا تزال تعثر من الناحية الشكلية صاحبة السيادة على مصر ، أو على الأقل حليفة أمريكا التي لا تجوز مفاجأتها بموقف منفرد ، بناء على مشورة كافري المضرة

جدا . . . وأن هذا سبقه المصريون بأنهم تحت الحماية الأمريكية ومن ثم يشجعهم على تحدي بريطانيا . . .

ويرد السفير الأمريكي بأوضح وأوقع عبارة يعلن فيها . . . إنه مسرور من إسقاط علي ماهر لأنه عرّى الانجليز :

« إن سقوط علي ماهر ، جعل البريطانيين في مصر في العراء ، فالعسكر ليس فقط لا صلة لهم بهم ، بل يعتقدون أن بريطانيا تحاول تخريب حركتهم . كذلك فإن أي مدني تعامل في الماضي مع البريطانيين بروح التفاهم قد قبض عليه . . .
أما عن اتهامات الانجليز فقد فندها كالآتي :

التشكيل الوزاري والمتطرفون : « حقا ليس من المستحسن وجود أشخاص عرقيين المتطرف عديمي الخبرة مثل فتحي رضوان ونور الدين طراف في الوزارة ، أو ممثل للإخوان مثل الباقوري . . . إلا أن الباقوري من الجناح الأكثر اعتدالا في الإخوان ، ورضوان وطراف مجرد اثنين من ستة عشر . وقد أبديت اعتراضا شخصيا على ضم السنهوري (موقع نداء ، استوكمهم للسلام) أو الشيوعي براوي . وقد احترم العسكر اعتراضي وأبعدوا الاثنين . وقد أخبرنا العسكر اليوم أن برنامجهم سينشر بالكامل خلال أيام ،

كافري ٨/٩/١٩٥٢

ثم أشفع ذلك بمذكرة أطول في ١٠ سبتمبر ١٩٥٢ يور فيها سرعة إعلان التأييد الأمريكي فقال :

« لقد كان من الضروري أن تتحرك بسرعة لتسوية العلاقات والثقة مع الحكومة الجديدة وخاصة أنه لم يقع تغيير في أهداف حركتهم الإصلاحية ، التي أبدناها في بيان وزير الخارجية . وكل ما جاء في المذكرة البريطانية هو خارج الموضوع (أشار السفير (الأمريكي ج) إلى أن ملكية علي ماهر حتمت سقوطه) .

« أما عن ادعاء البريطانيين عن اعتقالات جرافية في القاهرة فإننا نؤكد أن الحقيقة مخالفة تماما . لقد ضرب العسكر عدوهم الرئيسي وهو : الوفد ، .

« أما ادعاء أن نجيب أسير العناصر المتطرفة فقد أخبرت البريطانيين صباح اليوم أن هذا ادعاء غير صحيح ، وكذلك ادعاء ابدن بوجود خطر تجدد الإرهابيين وسوء الفهم بين مصر والدول الغربية ، فهو مجرد تخيلات لا أساس لها من الصحة ، وبصفة خاصة نحن نتوقع أن ترفض الوزارة (وزارة الخارجية) تعريض ابدن بأن الولايات المتحدة تشجع العناصر المتطرفة في مصر . إن الولايات المتحدة تشجع حركة إصلاحية يفوقها ضابط شريف* برأس

* وبينما يتحدث الأمريكان عن الضابط الشريف المصلح لم ينس نشر مثل مرة واحدة في خطباته ووصف رئيس مصر إلا بلقب « الديكتاتور » وحكومة مصر « الديكتاتورية العسكرية » وذلك بالطبع =

حكومة مدنية ، وهو قبل كل شيء ، يسيطر على الوضع في مصر . . . ونعتقد أنه يمكن إقناعهم بأن مركزهم في مصر سيكون أكثر أمناً إذا ما أقامت الولايات المتحدة الآن ، ثم هم (الانجليز . ج) فيما بعد ، علاقات ثقة مع حكومة مصر .

كافري

ولكن الحكومة البريطانية تقدم احتجاجاً رسمياً على « افراد » أمريكا بإعلان تأييد التغيير الوزاري : « إن هناك خلافاً في تقدير الوضع في مصر وكان من الممكن جداً في الوقت الذي تمتدح فيه واشنطن النظام المصري ، أن تصدر لندن بياناً مخالفاً » .

ولم تهتم الخارجية الأمريكية بل قالت : « إنها تثق تماماً في تقديرات كافري للوضع في مصر . ولو اتبعنا سياسة التحفظ التي تطالب بها لندن ، لما كان ذلك في صالح أحد ولا البريطانيين أنفسهم . بل كنا سنلقي ماء « بارداً » على العلاقات الوثيقة القائمة ، بما يضر مصالح أمريكا وبريطانيا معا ، إن الولايات المتحدة لا ترى نظراً في نظام نجيب ولو أنه يتعجل الإصلاح ويستحق تشجيعنا » .

« اتشيون »

وزيادة في توثيق العلاقات ، وطلب المزيد من التشجيع اتصل أحد المفاتيح ، القائمقام عبد المنعم أمين عضو مجلس الثورة ، الذي لم يكن من « الضباط الأحرار » وإنما أدخل ليلة الثورة وإلى قمة القيادة فوراً لصلته بالأمريكان ، كما يقول مؤرخو الناصرية بكل نجاح . . . وبدوا أن المخابرات الأمريكية لزيادة التأكيد اشترطت بعض التعيينات ، لأشخاص كانوا أبعد ما يكون عن « التنظيم » . . . فلما اطمأنوا إلى « صدق » تعاون عبد الناصر وسيطرته على التنظيم . . . سمحوا له بأن يصفي جميع المزارحين وخاصة في السوق الأمريكية .

وبهذه المناسبة نحب أن نوضح أننا إذا قبلنا مقولة أن عبد الناصر هو منشيء تنظيم الضباط الأحرار ، فذلك في إطار الحديث عن التنظيم الذي استولى على الحكم في ٢٣ يوليو ، لأنه كما قررت عشرات الكتب لم يكن لا التنظيم الأول ولا الوحيد . . . أما التنظيم الذي نفذ انقلاب يوليو فكان فعلاً برئاسة جمال عبد الناصر وأن عدداً كبيراً من التنظيمات السابقة أو المعاصرة تحولت إلى روافد تصب في هذا التنظيم أو تبددت في الصحراء . . . وحتى لو سلمنا بأن نسبة كبيرة ممن انضموا لهذا التنظيم لم ينضموا بسبب عبد الناصر بل بجاذبية الأسماء المشهورة ، أو انضموا عن طريق تنظيمات سياسية أخرى وبنية خدمة أهداف هذه التنظيمات مثل الإخوان الذين كان يمثلهم العير والوند فلم يمثلوا في مجلس الثورة . . . أو الشيوعيون مثل يوسف صديق

للشعرش بالآب الروحي الأمريكي فإنا كانت بريطانيا استعمارية فإن أمريكا ليست أفضل بل تزيد « ديكتاتورا » ، وعسكريا كيان !

وخالد محيي الدين ، حتى لو سلمنا بأن عنداً كبيراً لم يكن يعرف عبد الناصر وانضم بانطباعات مختلفة تماماً لفكر ناصر وتصورات وأهدافه إلا أن دخول هؤلاء التنظيم ، كان يضعهم ، ولو لم يعرفوا تحت قيادة عبد الناصر . وصحيح أنه عندما تم الانقلاب وانكشفت الأسماء لم يكن عبد الناصر لا أكثرهم ثقافة ولا جماهيرية ، إلا أنه كان أقدرهم على التآمر ، وأهم من ذلك أو ثقتهم صلة بالمخابرات الأمريكية ، وبالتالي وضعت تحت تصرفه قدرات هذا التنظيم الشبطني المهول وقتها ، وهكذا أصبحت مقاومته عبثاً ومعارضته انتحاراً ، وانتصر بسهولة مذهلة أسطورية على قوى وشخصيات تفوقه في الخبرة والمعرفة مرات ومرات . . ولا شبه لذلك إلا السهولة التي تم بها انقلاب السادات على كل مراكز القوى والحكم في مصر . . بنفس الخليف أو العصا السحرية . . وللمرة الثانية كان هيكل هناك ! نعود لحديث عبد المنعم أمين . . الذي توجه للسفارة الأمريكية وأبلغها الآتي بنص عبارات تقرير السفير :

« إن المجموعة العسكرية معادية تماماً للشوعية ومع الولايات المتحدة . وإنهم على استعداد لإعطاء تعهدات سرية عن الأهداف البعيدة المدى بما فيها قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط . وسألني ما التعهدات المطلوبة وهل تعد مقبولة لو صدرت من محمد نجيب . . وأكد مراراً وتكراراً أن مصر لا توابا عدوانية لها إزاء إسرائيل » .

كافري

١٩٥٢/٩/١٨

وهنا جاءت وثيقة العار أو وثيقة « المكينة » فقد ردت وزارة الخارجية :
« وبالإضافة إلى التعهدات السرية فإننا نعتقد أنه من صالح مصر أن تتخذ بعض الخطوات التي تطنش الرأي العام في هذا البلد (أمريكا) وغيرها ، مثل تأييد الأمم المتحدة في كوريا ، وتعويض البلاد المعنية عن أحداث ٢٦ يناير . . وهذه الخطوات التي لن تكون صعبة في حد ذاتها بالنسبة للنظام ، إلا أنها ستكون دليلاً علنياً جديداً بأن النظام الجديد هو في الحقيقة « مكينة جديدة » وقطع صلته بالماضي * . . ١٩٥٢/٩/٣٠ .

وهكذا ظهرت المكينة الثورية أو المكينة الناصرية . . وبدأت ما سماه الناشر الانجليزي « الملفات السويس » دراما إخراج بريطانيا من الشرق الأوسط وإدخاله في دائرة الهيمنة الأمريكية ، أصبحت كل الأوراق في يد « كافري » . . الذي حذبه « هيرمان فينر » مؤلف كتاب « دلاس والسويس » أهدافه في تلك المرحلة فقال : « ويعتبر كافري من السفهاء

• بالنسبة للتعهدات السرية اعتقد كما سئري من الوثائق أنها تتعلق بإسرائيل وبالذات إلغاء قرار حكومة الوفد بمنع مرور النفط والبضائع من وإلى إسرائيل عبر قناة السويس . فقد نفذ عبد الناصر ذلك واقترح سفيره في باريس أن توقع إسرائيل اتفاقية ١٩٨٨ التي تنظم استخدام القناة !

الغلائل الذين سببوا المتاعب للانجليز فقد كان يخدم المصالح الأمريكية حسب تعليمات وزارة الخارجية وكان من بين المهام الملقاة على عاتقه المصالح المتضاربة للانجليز والعرب في مصر . وقبل كل شيء ، خروج الانجليز من قاعدة القناة . وقد التحق بالسلك الدبلوماسي في عام ١٩١١ . وفي القاهرة تأثر الرجل بالغ التأثر بالمشاعر القومية المصرية ، كما حوت في نفسه مظاهر الفساد وعدم كفاية حكم الملك فاروق . بعث كافري لوزارة الخارجية الأمريكية طالباً منها مساعدة الثورة على تحقيق أهدافها ، وقال إنه ينبغي حمل الانجليز على ترك قاعدة القناة ، وأنه ينبغي إذا لزم الأمر خروجهم من غير أي شرط لأنه ما من زعيم مصري يستطيع سياسياً منح أية امتيازات للامبرياليين .

وفي الحقيقة إن هذا كان تقدير الأمريكيين في البداية . أو قل طموحهم . وهو إخراج بريطانيا من مصر والسودان ، من قناة السويس بلا قيد ولا شرط ، والوصول إلى تسوية في السودان تكفل صورة من صور الاتحاد مع مصر بما يسمح بالوجود الأمريكي هناك ، وما يرضي المطالب الوطنية في مصر والسودان بعض الشيء وعلى هذا الأساس بدأت مفاوضات السودان بين واشنطن ولندن في الواقع وإن كانت قد جرت بين وفد مصري وآخر بريطاني . . . وكانت أمريكا في المركز الأقوى لأنها كما قال مؤرخ الناصرية « تمسك بمفتاح من أهم المفاتيح في عملية المفاوضات كلها » وهو نظام الحكم المصري . وكان « كافري » مصمماً على إخراج البريطانيين عمراً ، مطمئناً إلى أنهم لا يقدرّون على أي تحرك مضاد في مصر . . . ولكن بريطانيا لم تكن تجهل هذا الوضع ، وأيضاً لم تكن خاوية اليدين من الأوراق . كانت هناك المصالح العالمية التي تجبر أمريكا على الوقوف عند حد معين في تصعيد صدام علني مع بريطانيا حليفها الأول ، وهناك مصالح أمريكية في مواقع أوقضاها ثملك فيها بريطانيا حرية الحركة . . . ولم تتردد بريطانيا في استخدام أي سلاح وهي تقاتل بحق ، ما بدا وقتها معركة الامبراطورية الأخيرة . . . فهددت بالانسحاب من كوريا ، وتصعيد خلافها مع أمريكا حول الصين ، بل والتقرب من روسيا ووصل الأمر إلى حد الإسفاف بتهديد تشرشل بأن سياسة أمريكا ستؤدي إلى انتصار الاشتراكية في بريطانيا !

وقد أورد مؤلف الناصرية بعض النصوص التي تؤكد دور السفارة الأمريكية في هذه المفاوضات ، وإحساس بريطانيا أنها تفاوض أمريكا ، وأن السفارة أو القسم المصري في وزارة الخارجية الأمريكية هو الذي يحرض ويدعم المفاوضات المصري . فقد روى عن « سلوين لويد » وزير خارجية بريطانيا أنه كان يرى أنه لا بد من تأجيل المفاوضات مع مصر حتى تجري مفاوضات مكثفة مع الأمريكيين لتنسيق موقف الدولتين العظميين (بريطانيا والولايات المتحدة) تجاه مصر ، وحتى لا تتضارب المواقف بينهما لأسباب من سوء الفهم يرجع معظمها إلى تصرفات غير مشؤلة كما حدث في الماضي وشرح مؤلف ملفات السويس ذلك بقوله : « وكانت الإشارة صريحة إلى دور بعض الدبلوماسيين في السفارة الأمريكية »

وقال : « كانت لندن غارقة حتى الأذنين في مفاوضات مع الولايات المتحدة » من أجل أن يختفي « عنصر كافري » كما كان يسميه أيدي «^١ ويسجل مغبطاً أنه لما « وصل ابلان إلى واشنطن وجد لديهم خططا وليس مجرد أوراق »^٢

وهكذا أصبحت واشنطن دار الخلافة وايزنهاور الباب العالي ، وكافري الباشا التركي في ذروة قوة الدولة العلية . وأصبح على من يريد حماية مصالحه في مصر أن يدفع الجزية أولاً في اسطنبول - واشنطن . بل إن إقامة علاقة بين حكومة الثورة والسفارة البريطانية ، أصبحت تحتاج لإذن أو ترخيص من السفارة الأمريكية وقد أشرنا إلى فضيحة لجوء الوزير البريطاني للسفارة الأمريكية لشكته من مقابلة رئيس مصر ، وتولى رجل المخابرات الأمريكية في السفارة « إقناع » أو إجبار الرئيس المنع على مقابلته . . وفي تقرير السفير كافري يوم ١٨/٩/١٩٥٢ سأل « عبد المنعم أمين » : « إذا كان الوقت قد حان لإقامة اتصال مع السفارة البريطانية وإن كان بالطبع لن يصل إلى مستوى علاقتنا ، فقلت له : اعتقد ذلك وسأطلب من ستيفنسون (السفير البريطاني) أن يعين ضابط اتصال من السفارة مع العسكر ، تماماً كما كان باشاوات مصر يستأثرون دار المشدوب السامي البريطاني قبل إقامة علاقة مع أية دولة . . أو كما كانت تنص معاهدات الحماية مع مهرجانات الهند !

وراحت بريطانيا تهدد باحتلال مصر . . وكتب تشرشل لايزنهاور « لا مجال للظن بأننا سنحتاج دعمكم العسكري أو الأدبي أو المالي لاحتلال القاهرة والاسكندرية » .

٥٣/٢/١٨

ورد عليه ايزنهاور : « إن أي حل لمشكلة القناة يجب أن يلقى قبولا من المصريين ، وإلا فإن نجيب سيلحق بمصري آخر منفي الآن في إيطاليا » .

وقال كافري للإنجليز إنهم بموجب المعاهدة يجب أن يغادروا البلاد خلال ثلاث سنوات . .

وكتب تشرشل رسالة مطولة إلى ايزنهاور ١٩/١٢/٥٣

« إنني مترجع جداً من مجرد تصور إعطاء مساعدات اقتصادية أمريكية لمصر في نفس الوقت الذي تقوم بيننا فيه خلافات حادة . إن هذا سيكون له أثر سيء جداً في بلادنا على العلاقات الأنجلو - أمريكية ، وقد تستخدم المعارضة الاشتراكية هذا الموقف للمطالبة بضم الصين الشيوعية للأمم المتحدة ، أو المقارنة بين مساعدة مصر والتجارة مع الصين وهو الأمر الذي يتعرض لانتقادات السناتور مكارثي غير العادلة ، مما يشير كثيراً من الرفض هنا . أرجو أن تفكر في مصر في إطار الصورة العامة لعلاقتنا . ونحن لن نتأزل بعد اليوم ، وقد تنشب الحرب في أية لحظة » (بين بريطانيا ومصر . ج) .

وفي اليوم التالي رد ايزنهاور :

« بناء على طلبكم لم نمنع فقط المساعدة العسكرية عن مصر بل حتى المساعدة

الاقتصادية . . . وتقول إن الاشتراكيين سيستعمرون بالمرارة للمساعدة الأمريكية الاقتصادية لمصر لأن أمريكا تعترض على التجارة مع الصين ، والذي أعرفه أنكم مازلتם تتاجروا مع الصين ونحن لن نحاول أكثر من مد يد المساعدة لبدء تنمية اقتصادية ، وهل أنت مستعد إذا أوقفنا المساعدة الاقتصادية لمصر أن تقف معنا بحزم في معارضة ضم المعتدين الصينيين للملايين إلى مجلس الأمم المحبة للسلام ، ولو حتى إلى أن تسحب الصين قواتها الغازية وتوقف عن دعم . . . الخ »

ايزنهاور ١٩٥٣/١٢/٢٠

وأبلغ ايدن واشنطن : أن مصر هي أكثر الموضوعات قابلية للانفجار في العلاقات البريطانية - الأمريكية ،

١٩٥٣/١٢/٢٢

وعاد تشرشل يجرد ناعم ويطن تهديداته :

« إن قضية مصر تبدو تافهة بالنسبة للمشاكل الكبرى التي نواجهها هنا ، ورغم ذلك فقد تسبب نكسة عميقة وخطيرة في العلاقات الأمريكية - البريطانية وهذا يشكل كارثة بالنسبة لنا جميعا . وسواء انحزت ضدنا في مصر أم لا ، فإن هذا لن يؤثر على دعمنا لكم الذي نعتقد صوابه في موضوع الصين ، ولكن سيصبح من الصعب علينا أنا وايدن أن ندعمكم في الشرق الأقصى ، إذا ما كان علينا لا مواجهة معارضة الاشتراكيين وحدهم بل وأيضاً مواجهة شعور عام في سائر البلاد . وهناك أشياء قليلة لا نستطيع القيام بها معا . فهناك خسوف ألف بريطاني في مصر وعند مداخلها . »

تشرشل ١٩٥٣/١٢/٢٢

ورد ايزنهاور يقترح صفقة ومساومة على حساب إيران ومصر وهكذا يفعل الامبرياليون : « أنت تعلم بالطبع أنه إذا كان بوسعنا الوصول إلى ترتيبات كاملة وناجحة في إيران . . . فهذا سيطلق بدنا هنا في مواجهة أية معارضة نحاول إضعاف دعمنا لجهودكم الهادفة للوصول إلى اتفاق مناسب في مصر . »

ايزنهاور لتشرشل ١٩٥٣/١٢/٢٣

وفي نفس اليوم تساءل الانجليز : هل يرغب المصريون في العودة إلى طاولة المفاوضات ، ورد وزير الخارجية الأمريكية بثقة من له الأمر : « نحن قادرون على إعادتهم إليها . »

١٩٥٣/١٢/٢٣

ولم يقل إن شاء الله !

كانت مصر إحدى ورقات اللعب على مائدة الامبرياليين في تقسيم العالم وإعادة توزيعه ،

وكانت الورقة في جيب أمريكا . . . وبريطانيا لديها ما تعطيه وأيضاً ما تحجبه ، والضبط على مصر أسهل ، فالعسكر يعتقدون أنهم بحاجة إلى الدعم الأمريكي على جميع المستويات ، وعبد الناصر لم يدعم مركزه بعد ، وهو لا يستطيع تحدي بريطانيا وعصيان أمريكا في نفس الوقت ، ومن هنا انتهت كل الأزمات تقريباً بضغط أمريكي على مصر وتنازل العسكر لبريطانيا . ولم يكن الانجليز تحت رئاسة تشرشل يريدون اتفاقاً ، بل كانوا يأملون في سقوط النظام أو الاتفاق على التخليص منه مع الأمريكيين كما حدث مع مصدق ، ولما بدأ الخلاف بين « محمد نجيب » وعبد الناصر ، واضطر « محمد نجيب » إلى الاعتماد على الوفد والإخوان بعد كل ما ارتكبه ضدهم وحاول جاهداً إقناع الأمريكيين بأنه مستعد لتلبية جميع الطلبات ، فقبل بالرفض لأن عبد الناصر كان رجلهم المفضل ، وجد نجيب نفسه حليفاً للانجليز . . . على كره من الطرفين . . .

واكتشف الانجليز في « محمد نجيب » رجلاً أعلى مستوى وأكثر عمقا من ناصر «
٦٤١ / ٧٤ / ٢ - ٢٥ - ٥٤ . ٢٥ فبراير ١٩٥٤ .
ورد عليهم كافر في إن ناصر وهو مازال في السادسة والثلاثين من عمره يعلمو بكنفه ورأسه فوق نجيب في القدرة وقوة الشخصية » .

كافري ٢٦ فبراير ١٩٥٤

وكل فتاة بأبيها معجبة ؟ أم نقول بعملها ؟
وبينما اعتقد الانجليز - بفقر معلوماتهم بعد نصفية عناصرهم* - أن الثورة « خلصت » وأغلقوا ملفات المفاوضات وانصرفوا (بركة ٢ / ٤ / ١٩٥٤) أكد « كافر في » العلیم أن النصر مضمون لناصر وانهال باللعن على « محمد نجيب » ومن يخالفه :
من السفير الأمريكي (كافر في) إلى الخارجية الأمريكية

سري وعاجل
٢٦ مارس ١٩٥٤
أظهر نجيب استعداداته للعمل مع أسوأ العناصر في البلاد بما في ذلك الوفديون والإخوان

- أبدت مذكرات « إيفلين شوكرج » هذه الحقيقة ، وأن حاكم السودان كان بموافقة تشرشل بديل كل جهد ممكن لمنع الاتفاق مع مصر وقد وصل تشرشل إلى أفكار جنوبية مثل اقتراح إشراك الإسرائيليين في احتلال مصر ولكن الوضع تغير باستقرار الحكم لناصر وإطلاق يد أيدن الذي نبي سياسة كسب مصر الناصرية . . . لينقلب أشد جنوباً وحققاً على ناصر من تشرشل .
- اعترف « شوكرج » في يومياته « التحذير إلى السويس » أنه في عام ١٩٥٦ كانت السلطات المصرية قد صفت جميع عملاء بريطانيا في مصر .
ولكنه أورد نصاً غريباً يقول إنهم خلال أزمة ناصر ونجيب كانوا يأملون في التفرج على يد حكومة من عبد الناصر وعلى ماهر تخلصهم من نجيب !

المسلمون والشيعيون للبقاء في السلطة ولذا فإن أي قرار آخر لمجلس الثورة كان يعني
الصدام مع هذا الحلف غير المقدس »

كافري

كان السفير الأمريكي يفسر سبب صدور قرارات ٢٥ مارس التي تعهدت بإعادة الحريات
والدستور والبرلمان وإنهاء حكم العسكر ، وبينما كانت مصر كلها تصدق ، كان السفير يعلم
أنها مجرد مناورة وخطوة للوراء لفقرة أو انقضاخ على « الحلف غير المقدس » فكتب
لحكومته :

« إن مجلس الثورة سببتهز أبة فرصة للسيطرة على الوضع وتثبيت القيادات الثورية
النظيفة » ١٩٥٤/٣/٢٦
« إن ناصر رجل عرف بالجرأة والمكر ، ولا تثبط عزيمته نكسة ، ويعتمد على عنصر
المفاجأة » ٦٤

كافري

٥٤/٣/٢٣

ولابد أن كافري وأصحابه كانوا يعرفون فضل المجاهدين على الفاعدين ولذلك لم يكتفوا
بالدعاء لناصر والاطمئنان لكفاءته ، فقد قامت مظاهرات « صاوصاوا » أشهر خائن في
تاريخ الطبقة العاملة ، ومما يثير الانتباه تعدد أوجه الشبه بين هذه المظاهرات المفتعلة وبين
عملية « اجاكس » في طهران التي نظمها « كبريت روزفلت » نفسه للإطاحة بمصدق . .
ويمكن لمن شاء تفصي هذا الموضوع . . أما النكتة حقا فهي رسالة كافري عن هذه المظاهرات
فقد بدأ تقريره بقوله :

Good natured crowds

« جماهير طيبة القصد بدأت مظاهرة مؤيدة لمجلس الثورة » .

وامتدح براعة مجلس الثورة في عزل نجيب وهو بالطبع يقصد اللعبة التي كان لمصطفى
أمين فيها دور البطولة ونعني اتهام « نجيب » بأنه رجل الأحزاب ، ولا يجوز أن يفسر إغفال
« كافري » الإشادة بدور مصطفى أمين بأنه من مرضى قلة الوفاء الذي يشكو منه
الدرويش . . بل لأن « قانوناً صدر في عهد ريجان يحظر نشر أسماء عملاء الولايات
المتحدة ! »

قال كافري : « استطاع مجلس الثورة ، بحكمة ، أن يجعل عودة الأحزاب هي القضية
وليس خلافهم مع نجيب . ولذا يمكن القول إنهم حصلوا على تأييد سلمي ضد عودة

الأحزاب الفاسدة ، إن سمعة نجيب تدهورت بآبناء اتصاله مع العناصر الوفدية ،*

كافري ١٩٥٤/٣/٣٠

وقد زعم « سلوين لويدي » ، أن « عبد الناصر قال له : « إن نجيب لم يكن معادياً بما فيه الكفاية للانجليز ومن ثم كان عليه أن يتآمر ضده »^٦

أما كافري فقال : « لم يخف نجيب معارضته لاتفاقية السويس ولو كان يوسعه لالغاها لتحقيق كسب شخصي » ١٩٥٤/١١/١٥

ويضرب القوى الوطنية أو المعارضة وتصفية نجيب ، واستعادة ناصر وصحة السيطرة الكاملة على الموقف ، عائد الانجليز إلى مائدة المفاوضات وأصبح عبد الناصر أكثر استعداداً لقبول ضغط الأمريكيين وأقدر على ترضية خاطر كافري^٧ فهذا اللون من الحكم - للأسف - كلما زاد بطشه بمواطنيه كان أكثر استعداداً للتخريط في حقوق الوطن^٨ وهكذا قبل عبد الناصر استمرار القاعدة ٧ سنوات ، أو بالأحرى وبصع عبارته ، أعطى الانجليز قاعدة لسبع سنوات ، ولم تكن معاهدة ٣٦ تعطيهم هذا الحق ، وقبل الجلاء في ١٩٥٦ هو اعتراف بعدم إلغاء المعاهدة اعتراف بانتصار الإرادة البريطانية على الإرادة المصرية ، وهكذا انكست الراه التي ارتفعت في ٨ أكتوبر ١٩٥١ عندما تحدثت مصر بريطانيا العظمى وألغت المعاهدة بقرار منفرد ، تماماً كما انكست راية الإرادة الوطنية في إيران بالإطاحة بمصدق وإعادة الشاه ومدرية الانجليز والأمريكان . . ومن الغريب أن كبريت روزفلت كان هنا وهناك . . كذلك خان عبد الناصر إجماع الشعب على رفض الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط قبل عودة الانجليز إلى القناة إذا ما وقع عدوان على الدول العربية أو تركيا . .

ورغم ذلك فقد خرج عبد الناصر أيضاً الصحيفة أمام التاريخ من ذلك كله ، بل واستحق - عن حق - شرف محقق الجلاء ولورغم أنه ، فقد أحرقت حرب ١٩٥٦ اتفاقية الجلاء بكل عبورها وشروطها ، إلا التنازل الأخطر والأفدح والأبغى أنشأ وهو فصل السودان . .

وإذا شئنا أن نختم هذا الحديث ، عن الحلول الأمريكي محل الانجليز ، وكيف كان الناصريون وعملاء أمريكيائهم هذه العملية وما زالوا . . فلا أبلغ دلالة وأقبح تعبيراً مما قاله « هيكلم » في الطبعة الانجليزية « لملفات السويس » قال أخزاء الله : بعيد أن أورد حادثة لجوء عالم الآثار البريطاني إلى السفارة الأمريكية خلال العدوان الثلاثي ، وتدخلت السفارة

* والشكر واجب لمصطفى أمين ودار أخبار اليوم الذين روجوا هذه الأنباء ولكن أين كان هيكلم . . ماذا لا يمكنني لنا عن دوره في هذه الفترة ١٩

•• راجع رسالة السفير الأمريكي الذي توقع تساهل ناصر بعد تحاجه في ضرب الإخوان « كما تؤكد معلوماتي عن هذا اللون من الديكتاتوريين » ١١

الأمريكية لحمايته هو ومجموعاته من الآثار . . وفوت له الحماية وهذا ما ورد في النص العربي ، كما أشرنا ، إلا أن « الأستاذ » أضاف في الطبعة الأفرنجية أن الأمريكيان أخذوا مجموعة الآثار لأنفسهم ، وعلق بالآتي : « وهكذا كانت أمريكا تلبس الحذاء الذي خلعتة بريطانيا » !

أخزأك الله * !

جعلت مصر حذاء تتبادلته أقدام المستعمرين . .

أطال الله عمر الشفي حتى يأتي جيل يعلمك ما الحذاء وقيم يستخدم . . !

الافلاء يوبند بعضهم لبعض مدو !

ولو أن خلاف ناصر مع الولايات المتحدة ، لا يقع زمنا في إطار هذا الكتاب ، إلا أنني وجدت من الضروري أن أعرض بإيجاز لتطورات هذا الانفصال ، حتى تكتمل ملامح الصورة . فكما قلنا - كانت نقطة الخطأ هي في قبول دور « الكنسة » لصالح الولايات المتحدة الأمريكية ، أو قبول التعاون والتعامل من خلال المخابرات الأمريكية ، الأمر الذي أدى إلى محاولة تغطيته بخلق معارك إعلامية ضد الولايات المتحدة وسياستها المعلنة ، وبالتالي إعطاء القوى المعادية لمصر مادة لإثارة المؤسسات الدستورية والرأي العام في أمريكا ضد مصر وعبد الناصر وما يتبع ذلك من ردود فعل أشرنا إليها . . وبعد صفقة السلاح ، كانت هذه القوى المعادية تشكل أساسا من بريطانيا وإسرائيل . . ورغم كل ما شرحناه ودللنا عليه من موافقة الـ CIA على صفقة السلاح ، بل وقبولها من جانب القيادات العليا في الولايات المتحدة ، والاتفاق التام بين عبد الناصر والمسؤولين الأمريكيين سرا وعلنا ، عل أن هذه الصفقة لن تؤثر على العلاقات الطيبة بين النظام المصري وواشنطن ، بل والأمل في استثمار الصفقة لتحقيق « هدف إيجابي » وهو تبريد الموقف مع إسرائيل أو إعطاء دفعة للجهد الأمريكي التي كانت جارية في هذا الوقت لعقد الصلح مع إسرائيل مع كل الآمال المعلقة على النظام الناصري في « جر » النظم العربية إلى هذا الصلح . . وكان يمكن أن تستمر هذه الآمال وتلك الجهود لولا عاملان :

○ الجماهير العربية التي تعادي الولايات المتحدة ، برعبيها الفطري السليم وبحكم تناقض مصالحها مباشرة مع المصالح الأمريكية ، أو من خلال الدعم الأمريكي للاحتلال الصهيوني للأرض العربية في فلسطين . . هذه الجماهير رأت في صفقة السلاح ، عملا « معاديا » للولايات المتحدة ، وخروجها من دائرة نفوذها ، فالتجرتأيدها معبرا عن هذا الفهم ، راغبا

• انظر فصل التاريخ البلاستيكي

في المزيد ، فأرضنا على « ناصر » هالة من الوطنية المعادية للولايات المتحدة ، لم تكن في نيته ولا رغبته ولكنه لم يكن بالذي يرفضها أو يصححها ، فكما قلنا كان هذا اللون من الزعامة هو رأس ماله في لعبة السلطة ، ولعبة الأمم معا . . .

وقد قوبلت هذه الموجة بالقلق والتوجس من قبل « أصدقاء » ناصر في الولايات المتحدة .

○ وهنا نتنقل للعامل الثاني ، وهو أعداء « ناصر » وهم في تلك المرحلة الانجليز والإسرائيليون .

« الانجليز » كانوا يرون فيه عدو بريطانيا رقم واحد لأنه يصفي الامبراطورية في الشرق الأوسط والعالم العربي . . . والإسرائيليون لأسباب عديدة ، أهمها في تلك الفترة ، أنه يزاوهم على مركز الصديق الأول للولايات المتحدة في الشرق الأوسط ، وأنه بسبب هذه العلاقة مع الولايات المتحدة ، يشجع الأخيرة على المضي في مشروعات الصلح والإصرار على فرض هذا الصلح على إسرائيل ، وقد ذكرنا أن أكبر خطر كان يهدد المؤسسة الصهيونية في ذلك الوقت ، هو فرض الصلح أو السلام عليها . . . قبل أن تتم توسعها الأرضي . . . ولذلك كان هذا المناخ الذي اجتاحت العالم العربي ، والتصريحات « البطولية » في الإعلام المصري والغربي ، مائة مناسبة جدا لأعداء ناصر ، استخدموها لإقناع الرأي العام الأمريكي والمؤسسات الدستورية الأمريكية بخطرورة ناصر وتواصل عداوة العرب التي لا حيلة معها ، وأيضاً في إحراج الذين يعلمون الحقيقة وإقناعهم أو إجبارهم على التسليم بخطأ لعبة المخابرات الأمريكية .

وكما قلنا ، أحس هؤلاء بما يدبره أعداء ناصر وأعداء التعاون الأمريكي - المصري ، وماسببه الصدى الإعلامي للصفقة من تأثيرات سلبية في واشنطن ، فاندفعوا بمحذرون وينصحون . . . وإليك بعض الأدلة من كتاب « هيكمل » نفسه :

« نقل أحمد حسين عن السفير الأمريكي في موسكو « شارلز بوهلين » (الذي كان في زيارة عمل لواشنطن (أبريل ١٩٥٦) « أن بريطانيا وإسرائيل تحاولان إقناع الولايات المتحدة بالوقوف معها ضد مصر بحجة أن مصر قد فتحت الباب للشيوعية في الشرق الأوسط ، ولكن حتى الآن لم تنجح جهودهما ، إلا أن المجموعة التي داخل وزارة الخارجية والتي ترى أن إسرائيل هي وحدها الصديق الحقيقي لأمريكا تكسب المزيد من الأرض ، وكذلك فإن « جيمس انجلتون » الذي ينادي باستخدام إسرائيل ، ترجح كفته الآن في السبي أي ايه على كفة روزفلت الذي لا يزال يعتقد بإمكانية استخدام بعض الدول العربية »^٩ .

من حقنا أن نستعير مقولته اللاتينية ضد مصطفى أمين : بنفسه قالها ! . . . نعم بنفسه . . . تياران في المخابرات الأمريكية ، تيار يراهن على إسرائيل لأسباب جدمعروفة ، وتيار يراهن

• لنا تعليق على هذه النقطة في نهاية هذا الفصل .

على مصر بتزعمه كيرميت روزفلت . . يؤمن بإمكانية « استخدام » بعض الدول العربية . .
مثل من ولماذا . . يخرجه الاعتراف الصريح حتى للخواجات . .

المهم أن موقف مجموعة روزفلت المدافعة عن ناصر « بناع الـ CIA » - كما سماه وكيل الخارجية البريطانية - أصبح حرجا ، فهم فضلا عما يواجهونه من المعارضة الدائمة من قبل اللوبي الصهيوني في الكونجرس ، يتعرضون الآن لمعارضة متزايدة ومتصاعدة من وزارة الخارجية التي تطالب بأن يصبح لها دورها الطبيعي في الشرق الأوسط ، وأن يستمع لها في تقرير العلاقة مع المنطقة ومصر ، فلا تترك للمغامرات عناصر المخابرات الأمريكية . . بل وأيضاً فإن الـ CIA ذاتها لم تعد تفق كلها خلف « روزفلت » ، فصحيح إن نجاحه في إعادة شاه إيران ، وتنصيب ناصر زعيماً للقومية العربية قد أعطاه سمعة أسطورية ، أجبرت المدرسة الإسرائيلية على الانزواء فترة شهر العسل مع الناصرية ، ولكن الحملة الهستيرية التي شنتها أجهزة بريطانيا وإسرائيل وانصارهما ، جعلت المدرسة الإسرائيلية يشتد عودها* . وتقف على أرض أكثر صلابة وتتعالى حجتها في طلب تصفية هذه المغامرة المحتومة الفشل بحكم التناقض الأصيل بين القومية العربية وبين المصالح الامبريالية . . والاعتماد على إسرائيل ، التي هي بتكوينها وظروفها وأهدافها ، مرتبطة مع المصالح الأمريكية . . ومرة أخرى نتركه بقولها بنفسه :

« ولكن الـ CIA (المخابرات الأمريكية) وهي الأداة التنفيذية الرئيسية للسياسة الأمريكية في المنطقة أصبحت هي ذاتها منقسمة الآن . فقد نقل « كيرميت روزفلت » من القاهرة إلى بيروت (الله ! ماحدث قال لنا إن مقره كان في القاهرة ؛ سنوات من عمر « الثورة » ج) حيث رأس المكتب الذي يدير العمل في سوريا ولبنان تحت ستار مكتب استشارات ، وأخذ معه إيكلمبرجر وكوسلاندا (أي نقلت من مصر المجموعة الناصرية ج) . .

ويكمل هيكل : « كان روزفلت لا يزال يأمل بدور أكثر إيجابية لمصر ولكن المسؤولين الآخرين في مقر الـ CIA في واشنطن يقودهم « جيمس انجلتون » وصلوا إلى قرار بأنه لا يمكن تحقيق شيء بواسطة العرب وأن البلد المبشر بالنسبة لطموحات الوكالة (CIA) هي إسرائيل . وكان « انجلتون » قد عمل مع جماعات صهيونية خلال الحرب ، وأخيراً بعد إقامة إسرائيل ، عمل مع الموساد وكان مسئولاً عن تسريب المعلومات التي مكنت إسرائيل من تنفيذ برنامجهم بنجاح »^١ والعبارة بحاجة إلى تعديل لأن مجموعة انجلتون مرتبطة

• وفي الوقت الذي كان الإعلام الناصري يعطي خصوم « روزفلت » كل يوم حجة على خطأ المراجعة على عبد الناصر ، تجد إسرائيل تدعم « انجلتون » فقد أعطته نسخة من خطاب خرنشوف السري ضد ستالين واعتبر ذلك أعظم انتصار للـ CIA في تلك الفترة وتبد بالطبع لحساب صديق إسرائيل « انجلتون » حتى أصبح من ألمع نجوم الـ CIA إلى أن سقط في السبعينيات .

ونراهن على إسرائيل من البداية وإنما فشل عملية روزفلت في مصر هو الذي رجح كفتها وحجتها عند القيادة الأمريكية . كذلك لا أقر قوله أن المخابرات الأمريكية هي الأداة التنفيذية الرئيسية للسياسات الأمريكية في المنطقة ، لأن هذه الصياغة يقصد بها تبرئة المذهب بإدانة الجميع ، فلا أحد يقول إن الـ CIA كانت الأداة الرئيسية لتنفيذ السياسة الأمريكية مع إسرائيل ، رغم التعاون بين الموساد والـ CIA فلم تكن واشنطن تسمح ولا إسرائيل تقبل أن تدير الـ CIA السياسة الأمريكية أو تمثل الدولة الأمريكية خارج إطار المهام المنقطة عليها لأجهزة التجسس ، والتي تراقب وتضبط إذا تجاوزت الحد ، وإذا كان هناك تعاون فهو في إطار التخابر أما التعامل السياسي فمن خلال المؤسسات الدستورية . . . وهذا الفارق بين دور السي أي ايه في مصر وإسرائيل هو السبب الأساسي - في رأينا - الذي أدى إلى فشل عبد الناصر ونجاح زعماء إسرائيل في إقامة تحالف مع الولايات المتحدة بخدم مصالح إسرائيل أساسا .

إسرائيل تحالفت مع أمريكا علنا ، وفي إطار استراتيجية مقبولة من المؤسسات الدستورية والأغلبية العظمى من شعبها ، أما مصر فقد تحالفت سرا وعلى شكل مؤامرة ، مازالت تزلف المجلدات في نفيها إلى اليوم * ١ ومن ثم دخلت مصر في دوامة محاولة إخفاء هذه العلاقة

• والحق أن بعض هذه المحاولات يهبط إلى مستوى قبح من ناحية الخبث . . . وذلك لأن هيكمل وسيد . عاطلان أدبيا وثقيا من الموهبة أو الخلفية . . . انظر هذا الموقف القرامبي الذي يبله هيكمل عن تلمذه وسيد :

يقول إن عبد الناصر صدم صدمة كبرى بالدور الذي فُعلت به المخابرات الأمريكية CIA في إيران . وعرف أن العفل المدير للانقلاب وطله الخبثي هو كبريت روزفلت ، الذي كان يعرفه ويلفاه كثيرا في القاهرة ، وعندما اكتشفت لديه صورة ما حدث في طهران فقد بدا ولاسابع غير قادر لو راغب في أية اتصالات مع الولايات المتحدة ، (٢٨٠ ع) .
بالطهارة والبراعة !

كان عبد الناصر يتحسر قائلا : « ماذا جرى في الدنيا . . . وماذا اغترى النفوس » ١٩ ولأنه لم يكن يستطيع الحديث بالفصحى فيسكمل : « حد بصدق باناس . . . راجل محترم ابن ناس مثل كبريت روزفلت ، قيمة وسيمة وصاحب مركز . . . نائب مدير دبر راهبات الساكر كبر المعروف باسم السي أي ايه . . . يعمل في الخير بدعم ثورة مصر التحررية . . . يذني نفسه إلى حد التأمر على قلب الزعيم الوطني مصدق . . . ومن أجل ماذا . . . حفنة براميل من المدعوق الجاز ؟ ! باللهول . . . طب والنسي ما أنا مكلم حد أمريكاني . . . (وبالطبع تستطيع أن تحصي لمكمل عشرات الاجتماعات التي أجراها الرئيس مع أمريكان في فترة الفجر في المضاجع هذه . . . أو لعل عبد الناصر كان يجتمع بهم ويقول : إني تلوت للرحمن صوما . . . !) .

ثم تصل إلى ذروة التراجيديا الأمريكية - الناصرية :

« ولم يكن له جمال عبد الناصر ، أن يستسلم طويلا لشعوره بالصدمة و « الفرق ، والعلاقات مع أمريكا أهم من أن يضحى بها تماما من أجل ما حدث في إيران » (٢٨١ ع) .

بالمزاينة ضد أمريكا في الإعلام ، والمواقف العالمية المسرحية . . فكانت المؤسسات الدستورية الأمريكية والرأي العام الأمريكي الذي لا يعرف نشاط « روزفلت » بنحاز شتاً فشيئاً إلى جانب إسرائيل وضد مصر استناداً إلى المواقف المعلنة . . وهو بالضغط عكس ما حاوله السادات ونجح فيه إلى حد بعيد . .

لقد عمل « انجلتون » مع الموساد ، ولكن عبد الناصر هو الذي عمل مع الـ CIA ومن ثم استخدمت إسرائيل اتصالاتها بالـ CIA لمصلحتها ، واستطاعت أن تعارض سياسة أمريكا وتتحداها ابتداء من قرار العدوان على مصر في عام ١٩٥٦ رغم إنذارات ايزنهاور إلى تصفية الوجود الأمريكي في لبنان بالدم كما حدث في اغتيال بشير الجميل * والمارينز والغناء المعاهدة التي فرضها شولتز لضمان انسحاب إسرائيل من لبنان . . الخ بينما كان « عبد الناصر » يخضع مصالح مصر الأساسية لطلبات وتوجيهات الولايات المتحدة عبر ارتباطه بالـ CIA لأن شعب إسرائيل يضع حكمه في السلطة ويغلبهم ، أما في مصر فإن المخابرات الأمريكية هي التي وضعتهم في السلطة .

وبالطبع فإن ما حدث بعد ذلك بين عبد الناصر وواشنطن ، له أكثر من سبب ، وله جذوره التاريخية والحضارية والجيوبوليتكية والدينية ، فهذه مجرد ملاحظات ماذمنا بصدد الحديث عن دور رجال المخابرات الأمريكية في تقرير مصير الدول . . العربية . . طبعاً ! منذ سبعين سنة والعرب يتحدثون عن نتائج هبوط أو صعود نفوذ المكتب العربي ولورنس . . وتأثير ذلك على « الثورة العربية » الهاشمية . . وهامو يتحدث عن تأثير هبوط أسهم « روزفلت » على الثورة العربية الناصرية ! ومن بين يسهل الهوان عليه ! ولمن شاء

= وهكذا عصر عبد الناصر على ضميره ليعونه لذهب الفرف وتابع علاقته مع كبريت روزفلت بمحطم ثورة إيران ، وبثورة مصر ! . . وليس روزفلت بأول دكتور « هيكلم » ومستر « هايد » والطريف أننا لو وجدنا هايد و« هيكلم » في اسم واحد لكان « هيكلم » !

ورغم هذه النخبة الأدبية التي رسمها هيكلم عن عذاب ضمير ناصر فإننا نتوقع أن تأتي الطبعة القادمة من دائرة المعارف البريطانية بحالة من اسم « هيكلم » ككتاب مسرحي أوروبي ، فالذنب ذنبه لأنه غلب العاطفة القومية على شهوة الفن فوارعها عن قراء الانجليزية كما توارى المنور خراها . . وهكذا انفرد بمعرفة هذه النادرة قراء العربية الذين كتب عليهم أن يقرأوا للمنور ما توارى عن القراء المنحصرين !

• كنا قد وصلنا بالتحليل إلى أن إسرائيل هي التي اغتالت بشير الجميل بعد أن ساعدته على الوصول للسلطة لأنه - في رأينا - وقتها أثر أن يعتمد على أمريكا في مواجهة إسرائيل ليكون زعيماً لبنانياً عربياً ومحمو وصمة العمالة لإسرائيل . . ولكن كتاب « المخفي » أعلن أن المخابرات الأمريكية حدثت بشير هذا عندما جاء إلى أمريكا ليدرس منذ عدة سنوات وقبل ظهوره على المسرح السياسي في لبنان ، فالمخابرات الأمريكية هي التي فضت بكارنه السياسية وما كانت إسرائيل لتسمح بمزاحم أمريكي في لبنان .

الرجوع للملفات الخلافات بين المكتب العربي والمكتب الهندي وآلام لورنس ويقاوم تأثيرها على تاريخ العرب بالخلاف بين المجموعة العربية والمجموعة الإسرائيلية وآلام روزفلت فليقبل !

وإذا كانت هذه السنوات - كما قلنا من قبل - قد شهدت علو صوت المجموعة الانجليزية ضد عبد الناصر ، إلا أن المجموعة الإسرائيلية ، هي التي كانت تحفر بعنق . وتتابع الأحداث بسرعة مما أدى إلى تأجيل الخلاف المصري - الأمريكي بل أعادت الالتحام بين واشنطن والقاهرة في أعلى صورة ، وذلك بعدوان ١٩٥٦ ، الذي كان ذروة هذا التلاحم وأيضاً نقطة انحداره . .

وستقف هنا لحظات قبل أن نتقل للمعدوان ، ستقف عند نقطة يحاول المريب أن يلعب بها ويضلل ، وهي عداوة بريطانيا لعبد الناصر ومفاوضاتها أو ضغوطها على الولايات المتحدة للتخلص منه ، فهذا الذي يكتب التاريخ « بخفة » لاعب الثلاث ورقات يخلط خلطاً معيياً ومريباً بين بريطانيا وأمريكا ، ويجعل من شكليات الدبلوماسية وطبيعة العلاقة المعقدة بين واشنطن ولندن ، مدخلاً للتضليل والإيهام بأن أمريكا وبريطانيا كانتا تربدان - على حد سواء - التخلص أو اغتيال عبد الناصر . . !

ومرة ثالثة ستركه بقولها بنفسه :

« ولعل مما يعطى دلالة على طبائع الأمور في هذا الوقت أن جورج ألن (وكيل الخارجية الأمريكية) (وصاحب قصة الإنذار إياها) سلم أحمد حسين (السفير المصري) يوم ٨ مايو ١٩٥٦ ملفاً عن الحملات التي ينظمها البريطانيون ضد ناصر شخصياً . وأبلغ أن هنري لوس صاحب مجلتي : « لايف » و « تايم » أخبر دلاس أنه عندما كان « لوس » في لندن قال له تشرشل إذا كان ناصر سيفقد بريطانيا نفط الشرق الأوسط فيجب أن يذهب ناصر ، وقال أحمد حسين إن آلن يعتقد أن بريطانيا مستعدة للقتال في سبيل مصالحها معها كان الثمن . وإن أمريكا ستضطر إلى إعطاء دعم سياسي لبريطانيا حتى لاتسلم المنطقة للروس » .^{١١}

هاهي أدق اتصالات البريطانيين تبلغ للسفير المصري ليحذر « البطل » . . نعم « البطل » وقرأ هذه :

« أحد رجال السفارة البريطانية في أمريكا ألقى محاضرة في إحدى الجامعات الأمريكية وصف فيها عبد الناصر بأنه « عدونا رقم واحد » ولكن عميد الجامعة اعتذر للسفير المصري وقال له « لانتهم يمثل هذا الهجوم على الرئيس ، فالبريطانيون استخدموا دائماً هذه اللهجة في

• استشهدنا في مواقع عديدة من هذا الكتاب باعتراف « هيكل » بالدعم الأمريكي لعبد الناصر ضد الانجليز .

الحديث عن أبطال الاستقلال . لانس أن جورج واشنطن كان يوماً ما عدوهم رقم واحد .^{١٢}

ولذلك فإننا نسمح القاريء عذراً ، إذا قلنا إننا نواجه مزوراً استباح كل شيء . . . وذلك في تعرضنا للوثيقة التي وضعها في نهاية ملفاته ، بعد مهرجان مما اعتاده النصابون في الموالد : « فتشوني . . إديه فاضيه . . مافيش حاجة في كمي . . ! اشهدنا ياسي لافندي وإنت يا شابه . . ! الخ . . »

فقد قدم ماسماه بـ :

« تقرير مخابرات أمريكي يكشف بالكامل خطط الانقلاب والغزو والقتل » بحروف سوداء وعناوين من طراز « المرأة التي أكلت ذراع جوزها » ثم مقدمة تقول بحروف سوداء خاصة :

« هذه الوثيقة من أخطر الوثائق على طريق السويس - أو هكذا أتصور - وقد وصلت متأخرة عن موعدتها المقرر ولكن المهم أنها وصلت (هذه الجملة من كلام بتوع الثلاث ورفات وليس لها أي معنى ، فنحن لانعرف أن هناك مواعيد لوصول التقارير الأمريكية ليكل . . . وسنرى أنها وصلت قبل موعد نشرها الرسمي ! إذ أن القانون الأمريكي يمنع نشر الأوراق الرسمية قبل مرور ثلاثين سنة فموعد نشرها يبدأ من ١٩٨٦ . . ولكنها سلمت قبل موعدتها ، أخرجت من ملفاتها المختومة بخاتم « سري جداً » « لايفتح قبل ديسمبر ١٩٨٦ » . . وأعطيت ليكل لترجمها ونشرها ثلاث مرات خلال عام ١٩٨٦ . . مرة في الطبعة الانجليزية مختصرة ومتواضعة وبدون صرخات : الحقوني يا زباين . . ومرة على صفحات الأهرام وفي الملف العربي باهتسبوريا الفاجرة . . بل المضحك المبكي أننا سنرى أن هذه الوثيقة بالذات وصلت على غير موعد . . يقول : « وربما كان بين الأسباب التي تضيف أهمية خاصة هو أنها ولأول مرة فيها أعرف وثيقة داخلية من وثائق إدارة المخابرات المركزية الأمريكية ووثائق وزارات الخارجية نذاع بعد أجل معين ثلاثين سنة أو خمسين سنة ولكن وثائق إدارات المخابرات لاترى النور على الإطلاق . »*

ولأن مقدمة الوثيقة أو الإعلان عنها يفوق حجمها فلا مفر من أن نختصر ، وخاصة أنها منشورة بالعربية مرتين : مرة في الأهرام ، ومرة في ملفات السويس ، لمن شاء الاستمتاع .

باختصار ما الذي يريد ايها المناه . . ؟

يريد القول بأن اجتماعاً قد عقد للتسيق بين الانجليز والأمريكان على مستوى المخابرات

* ليس السؤال لماذا أعطى العاملون في الـ CIA « هيكل » هذه الوثيقة التي يدافع بها عن عبد الناصر أكثر إلحاحاً من لماذا بذل موطف سائق في المخابرات كثنياً عن انحازته في صنع زعيم الأمة العربية ؟ أم أن وثائق الـ CIA مباحة ليكل مثل وثائق منسوبة البكري ؟!

في ربيع عام ١٩٥٦ (حذره في طبعة الخارج أواخر فبراير ١٩٥٦ . . وكتاب حبال الرمال أشار إلى هذا الاجتماع وهو صادر من خمس سنوات وقد أشرنا إلى ذلك في كتابنا السابق . .) وكان هدف الاجتماع هو إزالة عبد الناصر وما يريد إثباته أن الأمريكيان والانجليز كانوا متفقين على هذا الهدف فكيف يكون عبد الناصر أمريكانياً . . ؟

يقول : « ولم تكن المخابرات الأمريكية على وفاق مع المقدمة ولكنها كانت متفقة مع النتيجة . . الخلاص منه . . »
وهذه سفسطة .

فالقضية هل كانت الولايات المتحدة أو بالدقة المخابرات الأمريكية متفقة مع بريطانيا على اغتيال عبد الناصر ؟ !

يقول : « وفيها كما يتضح من السياق أن المخابرات البريطانية قررت العمل على قتل جمال عبد الناصر » .

وبقراءة الوثيقة لا توجد إشارة إلى قتل عبد الناصر .
ولكننا نؤكد أن تصفية عبد الناصر كانت هدفاً ملحقاً في رأس ايدن وقد منا في الكتاب السابق أكثر من دليل وتصريح على أن هذه الرغبة الجنونية كانت أهم ما يشغل بال ايدن . .
وقد أثبتنا قول مسئول بريطاني : « إذا لم نتخلص من ناصر فقد يفكر ايدن في قتله هو نفسه » ! فلا جديد يتحفظ به هيكل :

يقول : « الوثيقة تظهر الخلاف في ذلك الوقت بين مختلف هيئات المخابرات البريطانية ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، والخلاف ليس على الهدف النهائي ولكن على الأساليب » .

ثم تهويشة (ألا بانضة) عن ترك الوثيقة أمانة في يد مركز الترجمة والنشر في الأهرام الذي ترأسه سكرتيرته نوال المحلاوي - الطاعنة في عبد الناصر - « ضلانا لحيدة المعاني وحتى الألفاظ » .

تمام . . هات يا حاوي . .

ماذا في الوثيقة أو الصفحة ونص إن استطعت فهمها . . ؟ !

اجتماع هينيري نظمه الانجليز لإفهام الأمريكيان أن صبرهم قد نفذ من رجل الأمريكيان جمال عبد الناصر . . وإلا فلمماذا يستأذن الانجليز من الأمريكيان في قتل عبد الناصر ؟ !

وقد سجل مندوب المخابرات الأمريكية في الاجتماع دهشته من أن الانجليز قالوا صراحة : « إن بريطانيا مستعدة أن تحارب معركتها الأخيرة . . وأيا كانت التكلفة فسكون الكاسيين » .

« لماذا يوجه هذا الإنذار للأمريكان إلا لأنهم ولي أمر هذا المشاغب أو كما نقول بالبلندي . . « لم الواد بتاعك اللي أنت مسرحه وإلا حاطرباً الدنيا وزي ما مجرى » . .

وبالدبلوماسية : مصالحنا مهددة وامبراطوريتنا تنهار ونحن نعلم أنكم وراء ذلك كله معتمدين على رجلكم عبد الناصر . . فإما أن تقبلوا التفاهم وقسمة جديدة للعالم العربي وليس إخراجنا بالكامل . . وإلا فلن نقبل أن نرى الامبراطورية تصفى ونقف مكتوفي اليدين . . سنضرب في سوريا وفي السعودية سنستعين بالشيطان . . بأي وسيلة . .

وهل يعقل أن تنسق أمريكا مع بريطانيا : « وضع سوريا تحت الهيمنة الهاشمية » أو « عمل انقسام في الأسرة السعودية » . . وهل لأن هذه الشعارات نوقشت في الاجتماع مثل اغتيال عبد الناصر يعني أن الأمريكان والانجليز متفقان في هذه الأهداف وتتخذ حجة في تفسير العلاقات والمعادلات . . ؟ ألا يتهم مندوب المخابرات البريطانية السي آي ايه في مصر بأنها تضللهم وترسل لهم معلومات هي مجرد : « زبالة » هل هذا مناخ ثقة تصل إلى حد تنسيق اغتيال ناصر . . ؟

وإذا شاء هيكمل وغوغاء الناصريين والناصرين الجدد^{٧٢} فسيزيدهم أدلة على كراهية الانجليز وستثير هنا نقطة جديدة فرضت نفسها على تفكيرنا منذ عام ١٩٦٧ بعد التحالف الأمريكي - الإسرائيلي الذي تسبب في هزيمة ١٩٦٧ والإخلال الخطير في ميزان القوى بالمنطقة لصالح الاستعمارية الإسرائيلية وضد المصالح القومية والحياة لصر . . وقتها كنت أول من طرح شعار التحالف مع أوروبا ، وأذكر مقالتي في أخبار اليوم التي قلت فيها : إن أوروبا التي أقامت إسرائيل لمنع قيام قوة عربية في شرق البحر الأبيض تشكل خطراً على مصالحها في أفريقيا وغرب آسيا ، قد فوجئت بأن ما نخشاه قد تحقق ، ولكن في شكل قوة عربية وليست عربية . . وأذكر أنني كنت وقتها في زيارة « للخليج » وكانت بريطانيا قد أعلنت قرار انسحابها من الخليج . . ورفعت قرار الخطر على دخول المصريين إلى مشيخات الخليج أو بالذات ساحل عمان . . وسمى إلى مندوب إذاعة الشارقة يطلب حديثاً ، وكانت مؤسسة بريطانية طالما تبدلت في نفاق الاستعمار البريطاني وتبريره والتناول على مصر وعبد الناصر وفوجي ، مندوب هذه الإذاعة بأنني أقبل دعوته وأدعو إلى تحالف مع بريطانيا ، لأنه لم تعد بيننا وبينها مشكلة بعد قرار الانسحاب من الخليج وانسحابها بالفعل من جنوب اليمن ، وأن الخطر الآن - وقتها - هو شاء إيران وأمريكا وإسرائيل ومن ثم فالاستراتيجية الممكنة هي التحالف مع بريطانيا . .

لا أقول هذا من باب المن وإظهار العبقرية ، بل لأن كتاب « إيفلين شو كبرج » وكيل الخارجية البريطانية في تلك الفترة والذي صدر منذ شهور قد فجر هذه القضية في تفكيري مرة أخرى عندما قال إنه بعد اتفاقية الجلاء فكرت بريطانيا في التحالف مع عبد الناصر . . وأعترف أن الدنيا دارت بي . .

لو أن عبد الناصر لم يكن مرتبطاً بالأمريكان ، لو أن عبد الناصر كان واعياً بالخطر الإسرائيلي ، وقبل هذا التحالف ، أو على الأقل رفض أن يستخدم كمخلب قط أمريكي

ضد بريطانيا . . هل كان يقع عدوان ١٩٥٦ وكارثة ١٩٦٧ . . نعالوا نسمع أولاً ما يقوله الانجليز .

يقول شو كيرج : في ٢٧ يوليو ١٩٥٤ كان الوفد البريطاني يحتفل مع ناصر ومعاونيه تحت سفح الأهرام ببداية مرحلة جديدة في التعاون بين البلدين . ويقول إنه « بعد الاتفاقية بدأت بريطانيا تضع استراتيجية أساسها التحالف مع العرب أو بالذات مع ناصر وذلك يتضمن فرض صلح على إسرائيل أو دفع الأمريكان للتقدم بمشروع صلح ، ولم تكن هناك معارضة كبيرة في أمريكا ، وتم وضع خطة سميت ألفا Alpha وقبلت من الحكومتين وعرضت على ناصر من قبل السفير الأمريكي في أبريل ١٩٥٥ ولم يكن استقبال ناصر لها سيئاً . » ويقول : « إنني اعتقدت ومازلت أن « ايدن » حاول وضع سياسة في الشرق الأوسط ، على أساس تعاون مشترك مع مصر ، التي كانت وقتها أكثر الدول العربية تأثيراً ، وتسيطر على الصحافة والإذاعة وتزود الكليات والمدارس العربية بالمدرسين . وأعتقد أن تصميمه على الوصول إلى تسوية معهم حول القناة بنيت على أساس ذلك النصور ، ولكن في السياسة لا يكفي وجود أفكار سليمة على المدى البعيد » ، وذوي أنهم قالوا لعبد الناصر عقب توقيع المعاهدة . . « أن الأوان لشكف عن سينا ، فقال : لا بد لي من عدو وقد كنتم هدفاً مناسباً وبقي أن نجد هدفاً آخر » !!

وقد تدخل « ايدن » شخصياً لحث البنك الدولي وحكومة أمريكا لتمويل السد العالي ، وقد رأينا أنها كانت فعلاً كونسرتيوم لبناء السد وكانت ترغب بشدة في أن يكون السد من نصيبها .

وكانت خطة « ألفا » تتضمن إعطاء مصر ممراً إلى الأردن ، وكان الحديث يدور حول ممر آخر إلى لبنان ، وقد رفض اليهود أي حديث عن تنازل ، ولكن الجو العام في البيت الأبيض وهوايتهول وداوننج ستريت كان معادياً ليس لإسرائيل بل حتى لليهود . . ونحن نعرف أن العواطف والأيدلوجيات في السياسة البريطانية هي التعبير عن المصالح والخدمة الاستراتيجية المطروحة ، فكل الحب والعطف الذي تفجر من أجل اليهود في الحرب العالمية الأولى وإلى قرب نهاية الحرب العالمية الثانية أو بالتحديد إلى عام ١٩٤٣ تحول إلى ندم على وعد بلفور . والاعتراف بأنه كان خطأ ساقنهم إليه العاطفة حتى أن « هارولد ماكميلان » قال : « يبدو أن أفضل حل هو أن نبعد اليهود عن المنطقة ونسكنهم في مدغشقر »^{١٣} .

« وكبير كباترك » من كبار رجال الخارجية البريطانية قال لمؤلف « الانحدار إلى السويس » : « إن اليهود محكوم عليهم بالدمار على المدى البعيد لأنهم لا يستطيعون تعلم التعايش مع جيرانهم . ويوماً ما ستوقف الأموال الأمريكية والمساعدات الأمريكية ، كذلك

١٣ لقد صدر وعد بلفور تحت تأثير عاطفي وتأثير الحرب وعدم إدراك أهمية المنطقة وكان يمكن أن تفهم ذلك عام ١٩٤٣ ولكنه لم يحدث . . ٢٦٤ من مذكرات وكيل الخارجية البريطانية .

فإن البحر الأبيض لن يكون مفتوحاً إلى الأبد ، وعندها سيكون اليهود مجرد فئران في المصيدة »^{١٥} . وذهب أيدن في خطابه في « بلاك بول » إلى حد حذف أية عبارة ثناء على اليهود من الخطاب . وقال شوكرج عن هذه الأيام : « في كل يوم كان نير إسرائيل حول عتقنا يجذبنا عميقاً إلى الوحل »^{١٦}

وعلى شاطئ « الأطلنطي » الآخر كانت الإدارة الأمريكية كما قلنا ، أكثر الإدارات رغبة وقدرة في الضغط على إسرائيل ، خاصة إذا ضمنت بريطانيا معها . . . وقد أبدت أمريكا الخطة « ألفا » . . . وفي الاجتماع الذي عرض فيه الانجليز تصورهم لأسلوب تنفيذ الخطة ، قال دلاس لهم : يجب إقناع العرب أنهم إذا لم يستطيعوا عقد السلام مع إسرائيل الآن سيفقدون أفضل فرصة ، لأن جهود الأمريكيين في تبريد اليهود خلال العامين الماضيين ، لا يمكن استمرارها وخاصة عندما تقترب الانتخابات ، وأيضاً إن الضمان الأمريكي المطلوب لن يكون الحصول عليه سهلاً إلا إذا كان العرب يعملون للسلام فعلاً ،

واشتكى دلاس للانجليز من نفوذ اليهود في أمريكا ، وقال لهم إن التبرعات الخاصة الوحيدة المعفاة من الضرائب وتدفع لجهة غير أمريكية هي التبرعات لإسرائيل ، إلا أنه أضاف إن لدينا ١٢ شهراً للعمل شيء قبل أن تبدأ حملة الانتخابات ويستحيل وقتها عمل أي شيء . « وأيدن » بدوره اعترف بنفوذ اللوبي اليهودي في مجلس العموم »^{١٧} .

أما الرئيس « ايزنهاور » فقد أصر على أن يعلن « ألفا » لكي يربط بها الحكومة الأمريكية قبل الانتخابات ، حتى يجنبها مزايدة الذين يتسوقون أصوات اليهود و « خاصة من أفريل هاريمان مرشح الديموقراطيين الذي كان يتلقى اليهود »^{١٨} .

كانت بريطانيا في حالة من اليأس والجزع على مصيرها ، لم تمر بها منذ كانت في انتظار أسطول الأرمادا . . . زمن البصابت أو اليزابيث الأولى ، وهذه هي نوعية التفكير الذي كان يسيطر على مخططي سياستها في عام ١٩٥٣ :

« القانون الدولي والمزاج العالمي للرأي العام كله في اتجاه معادٍ للعوامل التي جعلتنا أمة عظمى ، أعني نشاطنا خارج حدودنا . . . وهانحن خطورة خطورة سندفع إلى الوراء إلى داخل جزيرتنا حيث نموت جوعاً »^{١٩} .

في ظل هذا المناخ ، أو قل في ظل هذا الوضع ، وبريطانيا تواجه خطر التصفية أو الموت جوعاً ، كانت إمكانية التفاهم مع مصر قائمة وممكنة ، صحيح أنه لم يكن هناك أي أمل في « إقناع » اليهود بقبول تسوية ، ولكن المناخ كان سيتحول إلى صالح مصر والدول العربية إذا ما حاولت أن تفرض التسوية العربية ، في ظل عداء بريطانيا لإسرائيل ، وخرج أمريكا أو امتيائها من اليهود . . . وحتى إذا لم يشر هذا الوضع إلا تحجيد إسرائيل ، فقد كانت هناك

• يوميات ٧ يناير ١٩٥٣ إيفلين شوكرج السكرتير الدائم لوزير الخارجية البريطانية وقتها

إمكانية تسليم بريطانيا بالدور المصري المشروع في ما بقي لها من مناطق نفوذ في العالم العربي ، وقبولها أن يتم انسحابها على نحو يملأ الفكر المصري والاقتصاد المصري الفراغ الذي ستتركه . . لا أمريكا ولا إسرائيل . . ولكن .

تحركت قوتان لنسف هذه المحاولة أو الحلم كما سماه « شو كبرج » عندما قال نسفت كل خطط التحالف مع مصر بافجوم على حلف بغداد . .

شنت مصر حملتها على حلف بغداد ونسب إليها طرد جلوب وإهانة سلوين لويد . . والتأمر في ليبيا على قلب الحكم الموالي للانجليز واحتضان إمام عمان . . إلخ . . وكان عملاً « عبثياً » تحويل بريطانيا من راضية في مخالفة مصر وتكرار عملية الجامعة العربية في عام ١٩٤٣ على مستوى أرقى يتفق ووعي العرب ومكانة مصر في عام ١٩٥٤ . . تحويلها إلى عدو لدود بحالف إسرائيل لتدمير مصر . . !

طرد جلوب في أول مارس وفي ١٢ مارس ١٩٥٦ قال إيدن لسكرتيره : « إما بريطانيا وإما ناصر » . .

وصدر الأمر للمخابرات البريطانية ببحث كافة وسائل اغتيال عبد الناصر ذكر بعضها « بيتر رايت » في كتابه الذي أثار وما زال أزمة في بريطانيا وهو « صياد الجواسيس » : « استخدام غاز أعصاب وقد وافق إيدن في البداية على الخطة ولكنه تراجع بعد ذلك لما حصل على موافقة الفرنسيين والإسرائيليين على الاشتراك في عمل عسكري . . فلما فشل الغزو وأجبر على التراجع عاد إلى سلاح الاغتيال ولكن في هذا الوقت كانت كل عناصر المخابرات البريطانية في مصر قد صفت ووضعت خطة جديدة لعملية تستعين بضباط مصريين مرتدين ، ولكن الخطة فشلت . »

ها نحن ندعم حجة هيكمل في رغبة بريطانيا في اغتيال « عبد الناصر » ولكن هل ذهب مندوب المخابرات الأمريكية لتسقي هذه المهمة ؟ وهل صحيح لأنهم تحاوروا في خطر عبد الناصر ووافق الأمريكان على أنه « مضر » يعني الاتفاق في الأهداف ؟ لا . . إن كل طرف كان يعرف أن الآخر يقول غير ما يعني . ولكن الدبلوماسية والمصالح المتشابكة في أكثر من نقطة ، والمتشعبة في بعض المناطق ، والمتناقضة إلى حد القتل في مناطق أخرى ، تجبرهم على استخدام قدر من التفاهل المتبادل ، فتقول بريطانيا : رغم دور المخابرات الأمريكية في قيام ناصر وثقتها فيه إلا أن هذه السياسة ستؤدي إلى دخول الروس والشيوعية للشرق الأوسط . . بينما استطاعت بريطانيا بمكانتها وهيبتها ومعرفتها بالمنطقة والقوى السياسية فيها ، استطاعت أن تحتفظ بها منطقة مغلقة للغرب . . ولكن انظروا إلى سياستكم . . السلاح الروسي يتدفق إلى ٣ بلدان عربية والبقية تأتي . . ويرد الأمريكان بأن السياسة البريطانية أو الاستعمار البريطاني لم يعد يلائم العصر ، وهو السبب في كل الاضطرابات ، والثغرة التي سينفذ منها الشيوعيون ، وأن عبد الناصر ولو أنه عقد صفقة سلاح مع روسيا

إلا أن سجنونه تضم أكبر عدد من الشيوعيين في أي بلد وهو الذي صنع الحركة الشيوعية في مصر وحجمها إلى ما يلغي أي تأثير لها في الوطن العربي .

ولقد قلنا في كتابنا السابق ، وقبل أن تنشر هذه الوثائق ، إن بريطانيا في ذلك الوقت ، كانت تعتبر عبد الناصر والملك سعود ألد عدوين لها في المنطقة ، الأول بزعامته وقبل ذلك بمكانة مصر وامكاناتها ، والثاني برصيد عبد العزيز ومكانة الأرض المقدسة وأموال النفط . ولم يكن لدى بريطانيا قوات محلية ، تأتي لها بناصر وسعود مفيدين كما فعلت كشافة عمان في « تركي عطيشان »* وبريطانيا تعرف أن تسير الأساطيل ضد ههما يعني الصدام مع الولايات المتحدة مباشرة ، كما حدث فعلاً عندما نفذ صبر بريطانيا فشتت حملة ١٩٥٦ وانتهت بكارثة لها . .

وفي هذا الاجتماع الذي يهش به هيكمل ، قال مندوب بريطانيا « جورج يونج » لـ « ايكلمرجر » مندوب أمريكا - ناصر : « إذا أردت الحق فإن كلاً من ناصر وسعود لابد من تصفيتهما »^{١٧} . . فهل يسمح كاتب - حسن الخلق - لنفسه أن يستج من ذلك تأمر أمريكا على اغتيال الملك سعود ؟!

إنها طريقة من طرق المساومة . . ولقد وصل الانجليز والأمريكان فيها بعد إلى مساومة ثم نسوية ، ولكن ليس قبل انقلاب العراق . . فاتفقوا بعد الانقلاب على تطوير عبد الناصر أو كما قال كويلاند : « لقد عملنا على تقليل نفوذ عبد الناصر . بجهد أكبر مما فعلنا عند بناء هذا النفوذ ، وكنا في هذه المرة أكثر علانية »^{١٨} . .

فمن الذي أنكر بغض الانجليز لعبد الناصر . . ولكن لماذا ؟ . . ولمصلحة من بعد اتفاقية الجلاء ؟! . . ونحن لا نحاول أن نجلس في كرسي التاريخ . . فإن هذه المعادلات تبدو صحيحة وسهلة بعد زمانها بثلاثين عاماً ، ولا يمكن إغفال عنصر الشعور الوطني الذي كان يشتهي مطاردة بريطانيا إلى جزيرتها ويحمل لها حقداً عمراً أكثر من مائة عام منذ أن تصدت لمحمد علي . . ولا اغراء تحرير البلاد العربية ، ولكن الأمر لم يكن في اعتقادي يحتاج لعبقرية تاليران ، بل لو كان قرار عبد الناصر قراراً مصرياً لاكتشف أهمية التحالف مع بريطانيا كما فعل « بن جوريون » عدو الانجليز الأكبر الذي لم يتردد بالمخاطرة بصداقة أمريكا وحالف عدوة أمس البعيد والقريب لكي يحقق مصلحة إسرائيل . . ولكن عبد الناصر لم يفعل ، فجر قضية حلف بغداد ، تم صفقة السلاح وأخيراً تأميم قناة السويس ، وإسرائيل من جانبها أكملت له سياسته بالعدوان المتكرر الاستغوازي الذي دفعه إلى السوفيت . .

نعود للمثيقة التي للأسف استطاع الدجال أن يمججونا لمناقشتها مع أن قضح نهافت ادعائه

أسهل مما يظن ويكفي أن نسأل من هو مندوب أمريكا في الاجتماع وماذا فعل ؟
والجواب : هو جيمس ايكلبرجر الذي تبين (فيما بعد) أنه كان مسئولاً عن محطة وكالة
المخابرات المركزية في مصر* وأن غطاءه الرسمي لهذا العمل كان إرساله إلى القاهرة بوصفه
الوزير المفوض للسفارة الأمريكية فيها ،^{١٩} و « فيما بعد » هذه لنا عليها تحفظ . . ففي النفس
منها شيء وشبهة . . فقد ورد في رسالة مصطفى أمين ذكره ايكلبرجر ، هذا أكثر من مرة . .
حبك منها الآن - مؤقناً - :

« وكان مايلز كوبلاند وميلر وايكلبرجر وكيرميت روزفلت يقولون لي إن المخابرات
البريطانية تحاول تضليل أمريكا لمصلحة بريطانيا (باتهام عبد الناصر بالشيوعية) .
« وعرفني المستريين بمستر ايكلبرجر وكنت على اتصال مستمر بمستر مايلز كوبلاند وفهمت
من أحاديثي مع المسئولين أن قادة الثورة يعلمون جيداً أن كل هؤلاء من المخابرات الأمريكية
وأنتهم وانفون من ذلك . ولكنهم يرون أن المصلحة في الاتصال بهم » .

« ثم سافرت أنا ومحمد حسنين هيكل إلى أمريكا في مهمة أوفدنا إليها الرئيس في أمريكا
أثناء عرض مسألة تأميم القناة . . واتصلنا بكيرميت روزفلت وايكلبرجر . . وكنا في جميع
اتصالاتنا هؤلاء نعلم أنهم متصلون بجهاز المخابرات الأمريكية وكانت الدولة تعلم بهذه
الاتصالات وتعرفها تفصيلاً » . . إلخ . .

هل يكفي هذا للشك في « فيما بعد » هذه . . لا . . سببين من رواية هيكل نفسها أن
عبد الناصر كان يعلم بأن « ايكلبرجر » هو رجل المخابرات الأمريكية وقت انعقاد هذا
الاجتماع ! . .

لكننا قبل أن نقدم الدور الذي لعبه إيكلبرجر في الاجتماع نحب أن نقدم المزيد من
المعلومات عنه ، ومن شاهد ارتضى مؤرخ الناصرية شهادته واستشهد به في ملفاته . . وهو
« إيفيلاند » مندوب البتاغون الذي فاوض عبد الناصر عام ١٩٥٥ قال :
« ايكلبرجر هو أحد المجموعة Clique التي تفخر بأنها اخترعت ناصر invent المؤيد
للغرب » . .

هذا عن السؤال الأول . . أما السؤال الثاني فهو :
ايكلبرجر رجل بل مدير محطة المخابرات الأمريكية في مصر ، وصانع جمال عبد الناصر

* اعترفت الآن أن مصر كان بها محطة للـ CIA وفي كتاب قصة السويس لم نشر بحرف إلى ذلك ، فلما
فصحنا وجودها وفضحنا تترك عليها . . اعترفت الآن وقد أنكرت من قبل !

•• أوردناه في كتابنا « كلمتي للمغفلين » ١٩٨٥ ص ١٠٥

الزعيم . . هل حقاً ذهب يأكل « وحيد » في هذا الاجتماع . . أم ذهب ممثلاً ومندوباً ومذاقياً وجاسوساً للزعيم ؟
من قمك أدينك بإسرائيل . .

« ومن الظواهر التي تستحق الدراسة أن « جيمس ايكلبرجر » عاد بعد اجتماعات لندن إلى القاهرة وحاول تسريب معلومات إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » مقادها إن الانجليز قد يحاولون التخلص منه شخصياً ، وأنهم جسوا نبض الجهات الأمريكية المختصة فيما إذا كانت مستعدة للتعاون معهم لتحقيق هذا الهدف وأن الرد الأمريكي كان نصيحة فهم أن يصرفوا النظر عن مثل هذه التصورات الخطيرة . . ووصلت هذه المعلومات المتسربة إلى جمال عبد الناصر ودعته إلى التساؤل عن الهدف من وراء تسريب هذه المعلومات إليه وهل القصد الأمريكي هو الدس لبريطانيا أو أن الهدف هو محاولة تخويله ؟ »
هذا هو النص العربي ، أما النص الانجليزي فهو بلا حذف ولا ظواهر ولا دراسة ولا تزيف ولا إخفاء ولكن هكذا :

« ولقد الزعج ايكلبرجر بما قيل في هذا الاجتماع إلى حد أنه سرب الكثير منها إلى القاهرة وربما كان هذا آخر اتصال مفيد حصلت عليه مصر من التنظيمات السرية الأمريكية »^{١٩} .

اعتراف هنا بأنه اتصال مفيد بصرف النظر عن آخر أو أول فكل الخاطئين إذا ضبطوا أقسموا أنها آخر مرة ! يعني عارفين ومتصلين . . وكان « ايكلبرجر » مندوباً وعينا للزعيم الخالد ، ورغم كل الاحتياطات فقد رأوا زيادة في الاطمئنان تحذير الزعيم الخالد من إصرار بريطانيا على إثبات أنه لا خلود لبشر ؟ ! فأرسلوا له ايكلبرجر يقول : إنى أرى أن الانجليز يذبحونك ! بل لقد بلغ من قلق الأمريكان على حياة « البطل » أنهم زيادة في التأكيد ، استخدموا قناة ثانية للإبلاغ للزعيم وهو السفير المصري بواشنطن : « زارني مسئول كبير مطلع ، معروف لنا بمبولة الطيبة نحو مصر والعرب وفهمت منه أن الانجليز الآن في حالة خوف والترعاج ويتصرفون تصرفات عصبية غير متزنة . . وقد ذكر لي نفس المصدر أنه لا يستبعد أن تلجأ إسرائيل لعمليات الاغتيال الاجرامية ضد القادة في مصر »^{٢٠} .

ألا يحق لنا أن نعتبر المندوب الأمريكي في هذا الاجتماع كان يمثل عبد الناصر ، وبإدراكه بطلانه على أهم سر في ما تصفه بأخطر اجتماع مع المخابرات البريطانية ؟ ! أهذه هي وثيقتك ؟

حقاً القانون لا يحمي المغفلين ولكن قد يحمي النصايين ؟

أرجو أن تكون قد نجحنا في إلقاء بعض الضوء التمهيدي على أسباب انهيار عملية روزفلت - ناصر وسنقدم المزيد في ما يلي من صفحات ، إلا أننا نؤكد هنا أننا يجب أن نرفض أي ادعاء بأن الخلاف بين عبد الناصر والأمريكان كان بسبب مواقفه التحررية أو معارضته لسياساتهم الامبريالية وإنما هو أساساً حول أسلوب معاملتهم وانتصار المدرسة الإسرائيلية في

الإدارة الأمريكية وبفعل إسرائيل التي لم تكن تريد مزاحماً على حجر الأمريكيان والتي كانت ترى في استمرار ارتباط ناصر بالأمريكان أو ارتباط الأمريكيان به ما يعرفل مشاريعها التوسعية في المنطقة واستراتيجيتها التي تهدف لتحطيم مصر . ومرة أخرى أرجو ألا يستنتج فقيرالعقل أن ناصر بذلك كان خطراً أو عدواً لإسرائيل . . بالعكس كما برهنا لو أرادت إسرائيل أن تقيم في مصر نظاماً يخدم أهدافها في تلك المرحلة ما استطاعت أن تتخيل فضلاً عن أن تقيم نظاماً أفضل من نظام عبد الناصر . ولكن العقبة الوحيدة كانت في ارتباطه بالأمريكان وكان المخرج الذي نفذت منه إسرائيل هو صيغة هذا الارتباط .

المراجع

- ١ - جريدة العرب (لندن) ١٧ يناير ١٩٨٤ .
- ٢ - ص ١٦٤ ملفات السويس .
- ٣ - ص ٢٢١ ملفات السويس عن تقرير عن مقابلة بين حفي سفير مصر في بريطانيا وسلوين لويد .
- ٤ - ملفات السويس .
- ٥ - ن . م ص ٢٢٥ .
- ٦ - سلوين لويد .
- ٧ - انظر ملفات السويس ص ١٧٦ .
- ٨ - قطع ذيل الأسد ص ١٨٣ خ .
- ٩ - ن . م ص ١٠٦ .
- ١٠ - ن . م ص ٨٦ .
- ١١ - ن . م ص ١٠٧ .
- ١٢ - ن . م .
- ١٣ - ص ٢٩٨ التحذار للسويس شو كبرج .
- ١٤ - ن . م . ص ٢٣٧ .
- ١٥ - ن . م .
- ١٦ - ن . م .
- ١٧ - ص ٤٠٤ ملفات السويس .
- ١٨ - لعبة الأمم ص ٢٠٨ .
- ١٩ - ٩٢٤ ملفات السويس .
- ٢٠ - ن . م ٤٠٦ .
- ٢١ - قطع ذيل . . . ص ١٠٤ .
- ٢٢ - ملفات ص ٤٠٦ .

الملاحق

- م^١ - هذه النقطة تأكدت بنشر تقرير السفير الأمريكي بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٥٢ عندما تمشى بدعوة من نجيب وضباطه التسعة . . إذ قال في ملخص حديثه مع قيادة « الثورة » :

٣ - اعترفوا بأنهم أسرعوا في الإفراج عن الشيوعيين وقد قاموا باعتقال بعضهم ، الخ وارجع لنص التقرير في موضعه من كتابنا هذا .

م^٢ - أحد أفراد مافيا الناصرية ، الذين تتذبذب مواقفهم من بعضهم البعض مثل تذبذب بندول الساعة ، يلقي الشك حول علاقة هيكمل بعبد الناصر عشية وفاة الزعيم بما يوحى بأن مؤرخ الناصرية إن لم يكن قد ساهم بطريقة ما في « قتل » الزعيم فقد كانت وفاة الزعيم حدثاً سعيداً بالنسبة له ، وطاقة فرج فتحت له في مأزق صعب ساقه إليه الزعيم وشرطته . .

يذكرنا حمروش بقرار الرئيس عبد الناصر بنحجيم « علي صبري » بعدما شاع أن الاتحاد السوفيتي يتأمر معه على الإطاحة أو الأحرى وراثة عبد الناصر ، فكانت فضيحة الجمرك المشهورة ، عندما أصر موظفو الجمارك على تفتيش حقائب الرجل الثاني في مصر وقتها . . ويمتلئ الكاتب الناصري بهذه العبارات الصادقة للأسف : « كانت الإجراءات التي اتخذت ضد علي صبري دليلاً على أن ثقة جمال عبد الناصر فيه قد تبددت نهائياً ، وأنه أثر تحطيمه بفضيحة تتصل بالسلوك وهو الأمر الذي يثير مشاعر الجماهير . . وكان الإجراء مذبذباً ومتعمداً ومثيراً لأكثر من علامة استفهام » (روزا - ٢٢ / ١٢ / ٨٦) .

مفهوم

رئيس عصاة أراد التخلص من معاون يتزايد نفوذه فدير له قضية مخدرات . . ! . . وهذه الواقعة وتفسيرها تلقي الضوء على مدى شرف وإخلاص ادعاء علي صبري الناصرية والتفاف الناصريين حوله اليوم !

ولكن عبد الناصر أيضاً ، كان فيها يبدو قد قرر تحجيم هيكمل وربما التخلص منه ، وكما كانت سيطرة « علي صبري » على الاتحاد الاشتراكي والجهاز المحيط بالزعيم ، هي رمز قوته ومصدر هذه القوى ، كذلك فإن رمز سيطرة هيكمل ومركز قوته ، كان وضعه على رأس « الأهرام » إلى جانب وفوق الدولة ، حيث احتكر دور صوت الزعيم المعبر عن إرادته والمؤثر على فكره ، وهكذا كان « هيكمل » ومصر كلها تفهم هذا الوضع ، وكان رؤساء الوزارات يطلبون من سكرتيرته موعداً ، وكانت هذه تنصرف بكبرياء وقحة ، وغرور وصلف لم يعرف إلا في معاونات لويس الرابع عشر المستعصات بخضوع الدولة والشعب لإرادتهن . . المستمدة من رضاء الملك - الشمس . . وهكذا كان « هيكمل » يرفض أي منصب ولو كان رئيس الوزراء لأنه في هذه الحالة سيناوي بصدقي سليمان وعزيز صدقي . . الخ . . وكانت سكرتارته والمقربون منه يفهمون ذلك . . وأراد عبد الناصر أمراً لا تفهمه ، ولكنه اتخذ إجراءين متفكر للناصرية المدافع عن هيكمل في أيام المولد وتفسيرهما . .

« ربط هيكمل بالوزارة (٢٦ / ٤ / ١٩٧٠) بضعف من قدرته على الحركة والمناورة ويضعه تحت سلطة الرقابة الشعبية في مجلس الأمة . وخلال هذه الفترة كانت أجهزة الأمن قد سجلت حديثاً دار في شقة لطفي الحوي ونوال المحلاوي السكرتيرة الشخصية لهيكمل وهما يشادلان مع بعض الأصدقاء حديثاً حول تعيين هيكمل وزيراً يجمع بين نقد الإجراء متسوجاً ببعض السباب وأصدر عبد الناصر أوامره باعتقال لطفي وزوجته ونوال المحلاوي واستمر الاعتقال عدة شهور . وكان ذلك الإجراء

صدمة هيكمل وإضعافاً لمركزه فهو لم يستطع أن يفعل شيئاً للمعتقلين وهم من أقرب الناس إليه ولكنهم ضبطوا متلبسين بتهمة الهجوم على رئيس الجمهورية الذي يضم هيكمل في كتف حمايته ولذا كان موقفه حرجاً ، (حروش - روزا ٨٦/١٢/٢٢) .

وكما أوضح كان التسجيل بأمر عبد الناصر ، فلم يكن في مصر من يجري على وضع أجهزة تسجيل في مسكن مدام بوميادور إلا بأمر عبد الناصر ، كذلك كان الاعتقال بأمر عبد الناصر . . . أما سكرتيرة هيكمل ولطفي الحولي ببيع الناصرية الآن فقد سبها عبد الناصر . . . بمعنى شتموه لأنه ضرب « هيكمل » .

وكان اعتقال سكرتيرة هيكمل بعد محاولة إخراجها من الأهرام أخطر إجراء يمكن أن يتخذه عبد الناصر قبل الدخول في حرب سافرة مع هذا الذي يعرف كثيراً جداً ويذكر أو يحدد دائماً بأن أوراؤه موجودة في الخارج ، وربما الذي كان أيضاً يمثل آخر قناة مازالت مفتوحة على أصدقاء الأوس أو الخصم والحكم .

وكانت هذه بالطبع نقطة تحول . . . وأول منعطف في علاقة عبد الناصر بهيكمل ، وفي لحظة غامضة وستراد غموضاً في تاريخ عبد الناصر ، لحظة لا نستطيع أن نأجزم هل كان وعي الزعيم بتدهور أم بيعت من رقائه . . . هل كانت تصرفات ذنب جريح محاصر بتلفت حوله بفزع بنوهم في كل ظل يقترب منه خطراً قاتلاً فيأدر بعضه . . . أم عاد صفاء مرحلة الشباب وبدأت مراجعة النفس ، وقرر التخلص من الذين ورطوه وورطوا الوطن وحطموا مجده ولوثوا اسمه وتاريخه . . . !؟

لا أحد يستطيع أن يعرف فكلا الاحتمالين ممكن ، وكلا الاحتمالين له أدلة ضده ، والذين يعرفون لن يتكلموا ، وإذا تكلموا فيهدف نحو هذه الفترة نهائياً من تاريخ الناصرية أو بالأحرى من تاريخهم مع الناصرية ، ولعل مزيجاً من الاحتمالين كان يسيطر على تصرفات الزعيم . . . المهم أن هذه هي اللحظة التي كان بحق فيها « هيكمل » أن يتوجس وأن يتمنى الخلاص من الزعيم وشبح مصطفى أمين وما فعله به الزعيم يترامى له . . . وبشاه العلیم أو الصدف أو إله الحظ الذي بصاحب هيكمل منذ بدء رحلته في صحيفة الاستعمار البريطاني ثم الدار التي نشأت بمعونة المخابرات الأمريكية ، يشاء حظ « هيكمل » أن يسقط الزعيم كما مات ستالين في الوقت المناسب تماماً قبل أن يضد مذبحه ضد اليهود ، وكما كان الياباوات يموتون قبل تطهير مجمع الكرادلة . . . ونشأ « الصدف » أن يكون هيكمل هو أقرب الناس إلى السادات ، و « مهندس » انقلابه كما اعترف هو متفاخراً ، هذا الانقلاب الذي وضع رجال عبد الناصر في السجن ، وأعاد مصر إلى بيت الطاعة الأمريكي الذي كان عبد الناصر بلا شك قد نشرته في أواخر الستينات . . . (ولا ننسى أن السادات أيضاً كان قد اقترب من مفصلة الزعيم بفضيحة الفيللا إياها) .

أسئلة كثيرة لا يحاول أحد أن يجيب عليها . . . لماذا ضرب عبد الناصر هيكمل . . . !؟ كيف كان أقرب الناس إلى هيكمل يسبون عبد الناصر !؟ . . . لماذا مات عبد الناصر في أسوأ مرحلة من علاقاته مع هيكمل ؟ . . . من الذي جمع بين هيكمل والسادات ؟ . . . هذا المجمع الذي كان ضرورياً لنجاح الانقلاب العجيب ، والذي لا مفر لنجاحه إلا بتدخل قوى غير متوقعة !؟ . . . والذي يبدو أن

مضديه أحسوا بهذه الشبهة فحاولوا نفيها بادعاء « الشرعية » وأن تكون السادات رئيس الدولة ضمن نجاحه وتمكنه من اعتقال وزراء الداخلية والدفاع والإعلام . . . وقائد الجيش والمخابرات . . الخ ! ! . . ولم يفسروا لنا كيف لم تنجح الشرعية في حماية فاروق ، ولا محمد نجيب نفسه * ١٩ . .

ونعود إلى حروش الذي يختم وشايته بقوله : « ويتضح من ذلك أن جميع الأقوياء في هذا الوقت لم تكن الأرض ثابتة تحت أقدامهم » . . هل يريد أن يقول إن الأقوياء اقتلعوا مصدر الزلازل ؟ ! ويقول : « ومن حقنا أن نسأل : هل كان ممكناً هيكلاً أن يستكين إلى علاقة ودية مع هؤلاء الذين اقتحموا مكتبه واعتقلوا بعض أقرب الناس إليه » . .

ومادمت قد أكدت أن ذلك تم بأمر عبد الناصر فعن حقنا أيضاً أن نسأل : هل كان « هيكلاً » بالذي يستكين حتى يطش به عبد الناصر ؟ ! . . ولو فعل به ما فعله مع مصطفى أمين لوجد استجابة عامة أكبر وقناعة بعدالة ما فعل . . فهل تغدى « هيكلاً » و « علي صبري » وأنور السادات وآخرون من خلفهم لا نعلمهم بعبد الناصر قبل أن يتعشى بهم ؟ !

ثم لم يشأ السادات أن يكون تحت رحمة « هيكلاً » أو كما كان يقول دائماً في تفسير خلافه معه : « أنا مش عبد الناصر » ! فالسادات كان أكثر ثقافة من عبد الناصر وهيكلاً معاً . . وأيضاً كان أعرف منها في العمل السياسي . . وأهم من ذلك أنه لم ينظر أبداً لعلاقته مع أمريكا كفعل فاضح يجب ستره ، أو نجاسة يستحب خوضها « بقباب » ومن ثم لم يكن بحاجة إلى وسيط . . فضلاً عن أسباب أخرى لا مجال لذكرها الآن جعلت « هيكلاً » يتقلب على الرئيس الذي يتحمل المسؤولية الكاملة في نجاح انقلابه على الناصرية والناصريين .

وليست هذه أول مرة يقتل الكهنة الصنم ويتاجرون في الأسطورة !

م ٣ - ولنا ملاحظة هنا : دار « أخبار اليوم » هي بالأساس المعبرة عن اتجاهات السياسة الأمريكية ولكن من ١٩٤٤ إلى ١٩٥٠ كانت هذه السياسة لا تعادى الملك ولا تختلف اختلافاً حاداً مع الانجليز ومن ثم استطاعت أخبار اليوم أن تمثل الجميع وتتنطق بلسان الجميع . ونحن لا نستبعد أن يكون « روزفلت » - وكان تأثيره كبيراً جداً على الملك - خلف الأموال التي ساهمت بها السراي في إنشاء « أخبار اليوم » وهذه طريقة « المخابرات الأمريكية » التي كشفتها التحقيقات ، وهي أمر العميل القني بالدفع للعميل الناشي* ، أما بعد ١٩٥٠ فقد تحولت السياسة الأمريكية إلى الرغبة في القضاء على الملك ، وعذراء الانجليز وبالطبع كان على أصحاب « أخبار اليوم » أن يحافظوا على علاقتها بالانجليز والسراي لأن هذا يخدم السيد الأكبر ، ولكن « أخبار اليوم » بدأت تشن حملة على النظام كله ، وتشوه سمعة الملك وتمكن مراجعة ما نشرته حول فضيحة أخته وأمه في أمريكا . . و « مصطفى أمين » هو الذي اخترع أو وشى للسفير الأمريكي بحكاية قبول الملك رشوة المليون

* اعتاد « هيكلاً » في زمن الأمين أن يطلق أكاذيب فتطغىها البيغاوات وتتحول إلى حقائق . منها قوله في كتاب « حريف الغضب » أن والد خالد الأسلامبولي سمي ابنه خالداً على اسم المحروس خالد جمال عبد الناصر أي أن والد خالد الأسلامبولي الذي يسمي ابنه « سمية » ويعتز بتاريخ وجهاد وإسلام « سمية » لم يعرف خالد بن الوليد حتى يتشتم اسم خالد في خالد عبد الناصر . . عشت ومن تلقوا عنك !

جنبه من عبود ونحن نتفق مع رأي هيكمل في أن السفارة البريطانية كانت تتلقى معلومات « مصطفى أمين » بشيء من الحذر والشك لأن الانجليز كانوا يعلمون أنه يعمل للأمريكان . أما الملك فكان في غفلة الثقة بالأمريكيين وخاصة « روزفلت » .

م ٤ - كثر الاهتمام بما نخرج عنه الإدارات الأمريكية والبريطانية والفرنسية من وثائقها المتعلقة بالعالم العربي . . . وبالتالي كثر الجدل حولها . . . الذين لا تعجبهم اكتفوا بحك الجرح الوطني ، بقولهم « هل نأخذ تاريخنا من أرشيف وزارة المستعمرات البريطانية ؟ » وهو سؤال جهول ، يكمن خلفه من تصيبيهم هذه المذكرات بذكر وقائع ودوا أو ظنوا أنها تحيت من التاريخ . . . أما الذين يؤيدون نشر هذه « الوثائق » فمعهم من يعتبرها وثيقة لا تختمل الكذب أو حتى النفاش وينسى أنها « وثيقة » للجهة التي أصدرتها ، فهي وثيقة أمريكية أو بريطانية ولكنها ليست « وثيقة » عربية . . . وأن ما جاء بها ليس شهادة مؤرخ ، ولا حتى رواية صحفي ، بل جزء من عملية صنع التاريخ على مزاج الطابع المستعمر . . . أي أنها عمل سياسي بالدرجة الأولى ، ومن ثم يجب الحكم عليها في إطار هذا الفهم . . .

ونحن نعتقد بحق المواطن العربي ، وخاصة الدارس في الاطلاع على كل هذه « الأوراق » وليست الوثائق . لأن هذه الأوراق ، من خلال الاستفادة منها ، والرد عليها ، أو تفنيدها ، تظهر « الوثيقة » العربية ، على أن يتسلح القاريء أو الباحث العربي بهذه الحقائق :

١ - أن السفير أو الموظف الأمريكي أو الأوروبي لا يكذب على حكومته وليس له مصلحة وقت كتابة الخطاب في إساءة سمعة المتعاونين معه ، فإذا قال إنه اجتمع مع محمد حسين هيكمل أو مصطفى أمين فالاجتماع حدث بنسبة تسعة وتسعين بالمائة . . . وعلى من شاء أن يثبت العكس .

٢ - السفير أو الموظف الرسمي للدولة الاستعمارية لا يتحدث ولا يكتب « كاستعماري » في رواية مدرسية فهو لا يقول في رسائله على سبيل المثال : « ومن أهدافنا الاستعمارية التفرقة بين المسلمين والمسيحيين وذلك بالدس بينهما وقد استعنت في ذلك بعميلنا فلان ، لكي ينشر شائعات مغرضة » لا . . . إنهم يكتبون بروح من يؤدي رسالة لوطنهم وللإنسانية والتقدم بل وللبلد الذي يحتلونه . . . وهم يكتبون وعيونهم على التاريخ ، لأنهم يعرفون أن معظم هذه الرسائل (ولا تقول كلها) ستشر ولو بعد مائة سنة . . . لذلك يكتب : « ولما كانت مسئوليتنا التاريخية والحضارية هي حماية الأقلية من طغيان الأغلبية ، فقد رأيت مساعدة جهود الكاتب المتحرر فلان ، الذي لمست فيه حباً شديداً لوطنه واعتزازاً بدينه أو طائفته ونفهاً طيباً لمسئولياتنا المؤقتة في وطنه » .

فلا يجوز أن يأتي قاريء ويأخذ من الوثيقة دليل وطنية « فلان » هذا . أو يستشهد على فساد الوفد من نص يكتبه المسئول عن محاربة الوفد في السفارة البريطانية يقول : « ولما كان الوفد غارقاً في الفساد فإنه حاول تغطية ذلك بافتعال معركة مع الدولة الخليفة (بريطانيا) . . . هذا لا يصلح للاستشهاد على فساد الوفد ، وإنما يستدل به على ضيق الانجليز من مواقف الوفد الوطنية ، وأن الصدام كان حقيقياً ، وليس من تدبير الانجليز . . .

كذلك يجب ألا تؤخذ هذه الوثائق بمعزل عن ظروفها وفهم الحقوق السائق للاستعمار في ذلك الوقت وأيضاً مسؤولية رجل الدولة الموجود في تلك الظروف وباختصار أن هذه الوثائق صحيحة

غالباً فيما يتعلق بالوقائع والنقل ، عرضة للمنتقد الشديد فيما يخص بالصياغة أو التفسير .

م^٥ - « كلما اطلعت على الأنباء الواردة من مصر أعجبني برنامج نجيب ، ونحن لم نحصل على شيء ذي قيمة من الوفد أو الإخوان المسلمين . وقد تكون هناك سياسة مناسبة تشترك فيها الولايات المتحدة لإنجاح نجيب » ، تشرشل ٢٦/٨/٥٢ عن ملفات السويس .

م^٦ - وكان « ولیم لیکلاند » ما غيره قد قابل عبد الناصر في منزله يوم ٢١/٣/١٩٥٤ وأبلغ السفير أن عبد الناصر أكد له أن مجلس الثورة لن يخضع لخصومه . وأن نجيب هو أكبر مشكلة أمام المجلس وأن الصدام محتوم . ولما قلنا له إن نجيب يعارض ضم تركيا (ضمن شروط السماح للإنجليز بالعودة إلى القاعدة) لوى وجهه مستهزئاً وقال إن نجيب يحاول زيادة شعبيته بأية وسيلة وقال إنه سيرك الوضع بتدهور لتلقين البلد درساً وأكد أنه لن تكون هناك انتخابات .

كافري

تقرير ٢٢/٣/١٩٥٤

م^٧ - أما جمهور هيكل فهم :

الناصريون الذين حكموا مع عبد الناصر وشاركوا في كل جرائم نظامه ، بل كانوا هم أساساً الذين ارتكبوا هذه الجرائم وهؤلاء من ناحية يخشون المحاسبة ، ومن ناحية تأخذهم العزة بالإثم أن يعترفوا بما ارتكبوا . . . وأيضاً وإن لم يكن أقل أهمية أنهم حصلوا على امتيازات مما اغتصبوه باسم السلطة ، فالذي انتقل من باب الشعبوية إلى شقة أو حتى فيلا على التيل في الزمالك لا يستطيع أن يستكر علناً نظاماً تخطى به شخصياً الطبقات وأعطاه ما لا يستحقه وما جعله إلى الآن يتميز مادياً على كل جيله بلا مبرر . . . وأولاد مثل هذا الشخص هم في الغالب ناصريون أو على الأقل يعتقدون بأن سليلياتهم لا تقلل من إيجابياتهم ! وهم في الحقيقة يقصدون « المنجزات » التي أصابت أسرهم وليس ما تحقّق للوطن أو بقية الجيل الذي كان يعتمد في الأتوبيسات ، وهم يذهبون إلى المدرسة في سيارة حكومية يقودها صول من رئاسة الجمهورية ! أو تضيق ثلاجتهم بالفراخ فيوزعونها على ثلاجيات الجيران المساكين الذين يشترون الدجاجة لمريضهم من السوق السوداء أو يضربون بالكرايبج في طابور الجمعية . . . أما فرائخهم فتصلهم رغداً من جمعيات القوات المسلحة أو رئاسة الجمهورية . . . وبينما تلقى زملائهم من أولاد الشعب أو الرجعية التعليم المزيف في الجامعة المجانية تعلموا هم في الجامعة الأمريكية أو في الخارج وبينما عيّنت الاشتراكية زملاءهم بمرتب مخجل في القطاع العام عادوا هم ليجدوا « بابا » الاشتراكي قد ترك القطاع العام المخرب المخرب بالفتح والكسر وفتح مؤسسة أو شركة أو بتكا وحجز للناصرى الصغير مكاناً بارزاً ومرتباً انفخاحياً . . . مثل هؤلاء يحتاجون هيكلاً للدفاع عن إيجابيات النظام الذي فرض اشتراكية الفقر على جيلهم وميزهم هم بكل مزايا القطاع الخاص مع مرتبة الشرف في الفكر الاشتراكي ، وهذا الفريق يضم عناصر تعمل لحساب جهات أجنبية وتفكر أو على الأقل تزعم هذه الجهات أنها تسمى لإعادة الناصرية وهي التي وصفها تقرير المخابرات في عام ١٩٧١ أن الشعب يكرها كراهية التحريم . . . ولكنهم يعتمدون على ضعف الذاكرة وقد ظهرت آثار التحويل في دور نشر فتحوها وصحف يصدرونها

ومنتظمات إرهابية قالت عنها الصحافة الأجنبية إنها تدار من قبل عناصر كانت تعمل في أجهزة الأمن الناصرية .

وهناك عناصر ارتبطت بجهات عربية لا تمت للشعارات المنسوبة للناصرية بصلة ولكنها - أي هذه الجهات - تلبس رداء الناصرية الآن لمجرد الاستمرار في عداوة مصر وتبرير منع دعمها عن مصر وعزل شعبها عن مصر فهي في زمن عبد الناصر كانت تناصبه العداء لأنه اشتراكه شيوعي غريب انقلابي طامع في بترؤهم . . الخ قلنا مات عبد الناصر وتغيرت سياسة مصر وفقدوا مبرر الجفوة والاستئثار بثروة النفط انقلبوا هم ناصريين واستمروا في الكيد لمصر لأنها خانت المبادئ الناصرية !! ولا شك أن المؤرخ بعد مائة سنة سيقلب على قفاه من الضحك وهو يسمع عن شيخ كويتي يخرج على السادات لأن صحافة مصر تهاجم عبد الناصر بينما في صحافة الكويت والصحافة الممولة بأموال الكويت قبل إن عبد الناصر أمه يهودية . . وفي حياته ! ولم يكن لشيوخ الكويت من عدا إلا عبد الناصر في حياته ولا أظنهم أبغضوا أحداً مثلما أبغضوه . . ولكنها كما قلت استراتيجية دائمة لتبرير موقفهم النذل من مصر ومحتها فهم مرة لا يعطون ويغذلون لأن مصر ناصرية ! ومرة لأنها خانت ذكرى الزعيم الخالد . . ويمكن القول إن بعضهم يتصرف بامتنان حقيقي للرجل الذي كان له فضل تغريب تيار الوحدة العربية ومن ثم بقيت هذه الكيانات المخالفة لكل حقائق التاريخ وكل مصالح القومية العربية والتي لا مبرر ولا هدف من وجودها إلا ملء خزائهم بأموال يفسقون فيها ويعمر بدون على أنغام قريب الأطرش يعني لهم عن المارد العرب الفحل في فراش المعمر والقرمز في ميدان القتال أو العطاء الحضاري . . وهؤلاء يتبنون هيكل ويفرضون الناصرية على الأقلام التي استأجروها . . وقدما قال لينين عن بعض البورجوازيين المتمرسين : إنهم يعتقدون الماركسية لتبرير حياتهم . . وحبك من ناصري يعمل مستشاراً لشيخ الكويت ويكتب خطب السادات ! ويرتعد رعباً من هيكل وحققاً على كاتب هذه السطور ينطوع بالشهادة بأن كتاب هيكل أحسن من كتابه هو ومن أي شيء سيكتبه جلال كشك واقتلون واقتلوا مالكاً ممى . .

وقد ظهرت طبقة من الناصريين لم يكن لهم أي ذكر في عهد عبد الناصر وهم خليط عجيب . . منهم من كان يعمل في أجهزة صلاح نصر والمباحث العامة ومن ثم لم تكن لديه فرصة للظهور وخاصة أن الميدان كان مزدهراً بكبار الكتاب الناصريين فلما خلت الساحة وسمع لهم بالحركة رفعوا أعلام الناصرية وموقفهم شديد الغرابة فهم يدافعون عن صلاح نصر وناصر . . بينما ناصر وضع صلاح نصر في السجن بنهمتي التآمر والفساد والإفساد وصلاح نصر هدد علناً في بلكوته منزله بنفض حقيقة عبد الناصر وأن الوثائق الرهيبة موجودة في خزائن بالخارج وهامي مذكراته تقول في ناصر ما قال مالك في الحمر . . فهذا الفريق يدافع عن المخالعات وصلاح نصر من باب الوفاء والمصالح والدفاع عن تاريخه أو ما تورط فيه . . ويدافع عن ناصر لتغطية عمرة الدور الذي لعبه فهو يدعي أنه كان عن إيمان بدور الزعيم ورسالته . . وأيضاً لأن الناصرية الآن تدر عائداً طياً سواء من المؤسسات الناصرية أو شيوخ النفط الناصريين وصحافتهم أو المخابرات الليبية والسورية . .

وهناك فريق يعضون ناصر وهيكل ولكنهم يعرفون أو عرفوا أن لدى هيكل وثائق ضدهم فلزموا الصمت أو انقلبوا بشكل مضطوح من الهجوم عليه إلى مدحه بلا حياء . .

وخذ مثلاً الأستاذ إبراهيم سعده فقد بدأ في عهد السادات بتشر حملة ضد هيكل . . وإذا به يكل يخرج من أضيائه وثيقة تقول إن إبراهيم سعده كان ضمن تنظيم مصطفى أمين الذي يجمع له الأخبار ، ليس هذا فحسب بل وكان في سويسرا لحساب المخابرات المصرية باتفاق مع صلاح نصر . . . وصحيح أن عودة هيكل للمكتبة في أخبار اليوم كانت بموجب قرار علوي جداً . . . إلا أن ما نشره هيكل عن الأسلوب الذي وجهت إليه الدعوة ليكتب كان طامح الإذلال للأستاذ إبراهيم سعده الذي فضحه هيكل بأنه كان طوال عهد عبد الناصر يعمل لحساب صلاح نصر . . . بل وأفهمه أن لديه الكثير فإذا به يقبل أن يكتب عنه هذا : « قالت المحررة في أخبار اليوم للأستاذ هيكل هل تقبل أن ترد على مكالمة هاتفية من إبراهيم سعده ورد هيكل : أنا لم أتعود أن أوصد بابي لمن بطرقه مهما كان فعله . . »

ونستمع في هذه الأيام بعرض هزلي للثقاق والتدليس وامتهان الكلمة والمواقف عندما يشيد « إبراهيم سعده » بوطنية محمد حسين هيكل وهو الذي سباه « مستشار السوء » عندما كان إبراهيم سعده ينافق السادات ومصطفى أمين ويهاجم عبد الناصر وهيكل ، حتى لوح له « هيكل » ببعض المستندات كما ذكرنا . . فلما تغيرت الريح وعادت تهب في شراع هيكل ، وبدأ « سعده » يقدم فروض الطاعة إذ به يكل نفسه الذي كشف أن سعده لم يكن « صحفياً » بل غيباً يعمل لحساب « صلاح نصر » على الأقل . . يخاطب « سعده » بهذه العبارات :

« عزيزي إبراهيم . . قرأت مقالك « عني » باهتمام شديداً في ذلك شأن غيبي من قرائك الكثيرين الذين تعجبهم . . ذكائك باد وحبوبة الشباب فيه يغطي والظلم مطيع . . تعرف بالطبع أنني واحد من قرائك المهتمين (قراء إليه لم يقل . . المقالات أم التقارير ؟) . . فمنذ أتاحت لي الظروف فرصة صداقتك ، بيتنا « جسور من التقدير والمودة أحرف أنها متبادلة » (أخبار اليوم ٨٧/١٢/١٩) .

ومنى كان العمل للمخابرات بقصد ودأ بين هؤلاء ؟ . .

وهناك عناصر كانت في خدمة النظام الناصري مائة في المائة ولكن هذا النظام لأمر ما ، كان يستخدمها وفي نفس الوقت يبعدها رغم أنها لم تكن تفتقر إلى الكفاءة ولا الطائي في خدمة النظام وهذا أمر يحيرني ويجعلني أتساءل ماذا كان لدى عبد الناصر شخصياً ضدها ؟ . . تسأل معي : هل تصدق مثلاً أن أحمد بهاء الدين في كفاءته ومكانته واتصالاته والمناصب القيادية الكبرى التي تولاها في الإعلام الناصري لم يقابل عبد الناصر مرة واحدة في حياته ! لم يشأ عبد الناصر أن يمن عليه بلقاء واحد خلال ثمانية عشر عاماً كان يبدو فيها - ولأسباب عديدة - المثلث الأول في الصحافة المصرية بل العربية وأكبر الأسماء بعد جيل أصحاب الصحف وهيكل . . بل هل تصدق أن بهاء هو أكثر كاتب مصري كتب عن ساطع الحصري بل أكاد أجزم أنه أكثر عربي قرأ ساطع الحصري ، وأنه إذا كان عبد الناصر قد سمع بساطع الحصري فمن كتابات بهاء . . ولكن عندما اجتمع ناصر وساطع الحصري كان الذي حضر الاجتماع هو هيكل وليس بهاء ! ولكن الأمر يصل إلى المأساة فعلاً وإلى علامة استفهام بحجم التاريخ كله . . عندما يروي لنا بهاء الليالي المذلة التي قضاها في موكب عبد الناصر في زيارة سوريا فقد تغلج جميع الصحفيين الكبار عن متابعة الرحلة وصمد ثلاثة - وفقاً

لرواية بهاء - هم : هيكل بالطبع وناصر النشاشيبي الذي كانت له مهمات خاصة يكلفه بها جهاز عبد الناصر^١ والثالث هو أحمد بهاء الدين . . وذهبوا كما يقول إلى قرى نائية ليس فيها مبنى حكومي ولا دار ضيافة فكانوا يستولون عرضاً في أي مكان . . لا يفصله عن عبد الناصر إلا بطانية في شكل حائط . . وفي كل ليلة يستدعى عبد الناصر هيكل ويسهر معه إلى أن يغشاهما النعاس ولم يفكر ليلة واحدة في طلب بهاء المتحرق شوقاً وأملًا في أن يذكره سيده وهم في هذا الخلاء ! وانتهت الرحلة كما انتهت حياة عبد الناصر ولم يجد خمس دقائق تستحق أن تخصصها لرؤية من عبته مشرفاً على دار الخلال وروز اليوسف معاً . . ماذا كان لدى عبد الناصر ويعرفه هيكل مما يجبر كاتباً على الدفاع عن حاكم كان هذا ملكه معه . . ؟

١ - أكد ناصر النشاشيبي في مذكراته هذه الواقعة ولكن مقابلات ناصر للنشاشيبي معروقة كما كلفه بتوصيل أموال ورسائل إلى لبنان .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾

صدق الله العظيم

فصل / ٣٣

كل القرارات لصالح إسرائيل !

لو كان الذي يحكم مصر يهودياً . لما خدم إسرائيل
بأكثر مما فعل عبد الناصر .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾

صدق الله العظيم

فصل / ٣٣

ياسف « هيكل »^١ في قصة السويس ، لأن الذكرى العشرين لما يسميه « حرب السويس » قد مرت دون أن يحتفل بها كما يجب ، ويرى أن السبب هو « أن التقويم السياسي الجديد في مصر يعتبر حربها هزيمة ضمن الهزائم التي لحقت بالحرب في مواجهتهم المستمرة مع إسرائيل وذلك خلط بلا نهاية » . . . ولذلك قرر هو أن يحيى الذكرى ، وله الحق ، فقصة حرب سيناء كانت نموذجاً للتضليل الإعلامي الذي دفعت الأمة العربية ثمنه فادحاً بعد عشر سنوات ، ومن ثم فعودة المجرم إلى مكان الجريمة أمر طبيعي ومتوقع ، ويضرب دائماً إلى ضبطه وإدائته بإذن الله كما مستحاول . . .

ويشكو فاتح ملفات السويس : « وما يثير العجب فعلاً أن هناك في مصر من وصفوا « السويس » بأنها كانت هزيمة ، في الوقت الذي يعتبر فيه شركاء العدوان الكبار على مصر ، بريطانيا وفرنسا ، أنهم هزموا في السويس ، وأن موقعتها الكبرى كانت نهاية الامبراطورية بالنسبة لها ، ولقد كانت النقطة التي احتل فيها التوازن هي الخشية من نسبة السويس إلى جمال عبد الناصر ، وبالتالي يكون انتصارها إذا حسب له ريشة على رأسه » ! (أهرام ١٩٨٦/٩/٢٦)

وأتمنى أن يعرفنا كاتب هذا القول بالمصري الذي قال إن عبد الناصر أو مصر هزمت أمام بريطانيا وفرنسا في معركة تأميم القناة . . . أتمنى أن أعرفه !
أنا شخصياً لا أعرف أن مثل هذه الفرية صدرت من مصري أو في مصر . . . وفي « ملفات » حافلة بالوثائق . . . كنا نتمنى لو أنه استشهد بفقرة واحدة لكاتب مصري أو حتى لكاتب يهودي ونشرت في مصر تقول إن عبد الناصر هزم في معركة التأميم أو أن بريطانيا وفرنسا لم تهزما !

« في زمن فقد الجميع فيه المصداقية » - كما يقول - كنا نتمنى لو أمسك بخناق من زعموا هذا الزعم ودلنا عليهم ! ولكنه لم يفعل ولن يفعل ، لأنه اتهام باطل ، وادعاء مصطنع ،

يهدف تحقيق مغالطة وتضليل المصريين عن الجانب الآخر من القضية ، الجانب الذي أصبح اليوم - للأسف - هو الجانب الأهم . فإذا كان باطلا ادعاء « هيكل » أن البعض ينكر النصر في معركة الناميم حقاً ولمنع عبد الناصر من أن تصبح على رأسه ريشة ، فالحق كل الحق أن هناك في مصر من قال ، وما زال يقول إن إسرائيل لم تنتصر في حرب ١٩٥٦ . . . ١ . . مع أن إسرائيل تصفها بأنها كانت « النصر في حرب حق الوجود » أي أن انتصارها على مصر في ١٩٥٦ نفى الشك الذي كان موجوداً حول إمكانية وجودها واستمرار هذا الوجود . . . وعبد الناصر شخصياً ، بكى على كتف عبد اللطيف بغدادى وقال : « هزمني جيشي » . . . وسجلت حقائق التاريخ ، نتيجة المعركة لحساب إسرائيل : احتلال ميناء خمسة شهور . . . تدمير كل السلاح المصري - السوفيتي ، إنزال ضربة مؤسفة بالجيش المصري وثقتة بنفسه وقيادته . فتح خليج العقبة بكل ما ترتب على ذلك من نتائج . تأمين حدودها وتوحيد الجيش المصري وإخراجه من المواجهة عشر سنوات . . . ومع ذلك فهذا « البعض » يحاول أن ينكر هذا النصر . . . والنقطة التي اختل فيها الشرف هي أن انتصار إسرائيل ، هو بطحة على رأس عبد الناصر مع أن هزيمة بحجم هزيمة ١٩٥٦ لا يمكن أن يجعلها رأس فرد واحد ، بل هي أكبر وأفدح من عار فرد واحد ، إنها عار وحزن ومأساة جيل بأكمله ، ونسأل الله ألا تكون قد كتبت قدر ومصير أمة كاملة .

لقد شهد فاتح الملفات ، على نفسه ، وعلى كل من على رأسه ريشة ، عندما اعتبر « حرب السويس » كما يسميها ، مجرد حلقة في سلسلة من ثلاث حلقات هي : « حرب السويس . . . حرب ١٩٦٧ . . . حرب ١٩٧٣ » . وفي حدود معلوماتنا وإلى أن يثبت العكس أرشفي التاريخ الناصري ، فإننا لم نحارب بريطانيا وفرنسا لا في ١٩٦٧ ولا في ١٩٧٣ . . . ومادامنا قد زعمنا وجود سلسلة من حلقات ثلاث فلا بد من البحث عن العنصر المشترك وإلا كان ذلك مجرد عبث بالفارسي وتغريب بالناشر وخطط لمعارك لا صلة بينها . . . والعنصر المشترك هو إسرائيل . . . وهي التي تجعل الربط ممكناً بين ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ . . . بل هو يعتبر أن هذه المرحلة من الصراع على الشرق الأوسط انتهت بعدما جرى في حرب ١٩٧٣ أي الصلح مع إسرائيل . . . وهذا يعني أن الصراع يبدأ من إسرائيل وينتهي بإسرائيل . . . وحتى إذا قبلنا حذفه من تاريخ الصراع على الشرق الأوسط حرب ١٩٤٨ . . . فلا يمكن تصور تزوير التاريخ بحذف إسرائيل أو تقليل دورها وما حققته في الحديث عن « السويس » . . . لا يمكن أن يكون بريثاً الاستمرار في شرب أنخاب نصر الناميم ، الذي أصبح حدثاً تاريخياً ، ونواري نصر إسرائيل الذي استمر معنا وخطط مصيرنا وسيظل معنا إلى أجيال قادمة . لقد اندثرت تأثيرات ، بل ذكريات معركة الناميم من ذاكرة « هيكل » نفسه ، باعترافه ، حتى لسي ذكرى مرور ثلاثين عاماً عليها كما نسي من قبل ذكرها العشرين . . . حتى اضطر ناشره الانجليزي إلى تذكره ، واستعان على إقناعه بأنها تستحق الكتابة ، « بتجنيد » الانجليز والفرنسيين والأمريكيين والألمان واليابانيين (تعذر وصول ياجوج وماجوج بسبب السد) !

مامعنى أن نستمر في الحديث عن قطع ذيل الأسد البريطاني ، ونغفل أو نتغافل عن حديث الذئب الإسرائيلي الذي اقتحم بيتنا . . ١٩ ما معنى أن نستمر في دق طبول المجد بتحويل بريطانيا إلى دولة من الدرجة الثانية لحساب أمريكا وروسيا ، ونعتمد التهوين من النصر الإسرائيلي الذي حول مصر إلى دولة من الدرجة الثانية في الشرق الأوسط ١٩ . . ليس عجيباً ومريباً أن نحتفل بإخراج بريطانيا من الشرق الأوسط في نفس الوقت الذي نطالب فيه بعودتها هي وأوروبا لمعاونتنا في مواجهة أمريكا وإسرائيل المستبدتين بالشرق الأوسط ١٩

إن كتابة التاريخ إن لم تكن لتفسير الحاضر وإثارة الطريق للمستقبل ، فهي بالتأكيد لا يمكن أن تكون تزييراً للماضي . . وتضليلاً عن جذور الحاضر وقضايا المستقبل ! ولكن هيكल نخبرنا أن « انتصار السويس - وكان انتصاراً - يستحق الدراسة والتأمل » و « لعل أزعج أنه كان « أكمل » انتصار في تاريخ العرب الحديث ، بل إنه كان أكمل انتصار في تطبيق نظريات الحرب المحدودة منذ ظهرت هذه النظريات في أعقاب التعادل النووي بين القوتين الأعظم » .

ولا ندري إذا كان يصدق نفسه بأنها كانت « أكمل » انتصار في تاريخ العرب ، بل وعلى الصعيد العالمي في تاريخ الحروب المحدودة ، فلماذا يحتاج الأمر إلى شهادته بأن يضع بين قوسين « وكان انتصاراً » ١٩ !

ليس هكذا يكتب المؤرخون عن « أكمل » انتصار . . ويؤلفون الكتب لإثبات أنه كان انتصاراً . . فلما من كاتب فيتنامي يؤلف كتاباً عن « ديان بيان فو » أو عن حرب فيتنام يبدأ بقوله إن النصر الفيتنامي « - وكان انتصاراً - » ١ . . هذه جملة اعتراضية جذيرة بكاتب أمريكي ، وهو يقصد بها أن أمريكا « انتصرت » في فيتنام ، ومن ثم يشرح ويحلل ويثبت أنه رغم ما يبدو من هزيمة عسكرية إلا أن الولايات المتحدة حققت . . الخ . . أو أن يكتب مؤرخ ألماني « أن نصر العلمين - وكان انتصاراً » ثم يشرح ويخترع . . أما المؤرخ الانجليزي فلا يحتاج لأن يقسم على أن « العلمين » كانت انتصاراً . .

بهذه الجملة اعترف « هيكل » أن الأمر موضع شك ، وأنه يحتاج إلى كتاب يقع في ٣٠٤ صفحات لإثبات أنه كان انتصاراً وليس هزيمة كما هو الشائع والمعروف والمستقر في أذهان المصريين وخاصة بعد أن كشفت بعض الحقائق بعد هزيمة ١٩٦٧ التي نجد اليوم من يقول عنها أنها كانت « أكثر انتصاراً » من حرب ١٩٧٣ . . وكله عند عرب الناصرية انتصار !

فكتاب هيكل أو دعواه خير بحتمل الصدق والكذب وسناقش ما جاء فيه لنرى هل نجح في إثبات أنها « ليست هزيمة من ضمن الهزائم التي لحقت بالعرب في مواجهتهم المستمرة مع إسرائيل » . . وسنكتشف أنه حكى عن كل شيء من باندونج إلى كريشنامون بينما لم

يخصص للمواجهة مع إسرائيل في سيناء إلا ستة سطور من كتاب يضم أكثر من تسعة آلاف سطر بينما يخصص لنفسه خط شركة نفط العراق البريطانية* ١٢ صفحة ! . .

وعلى أية حال لقد وعدنا بكبح انفعالاتنا ومناقشة الوقائع :

وأول خطأ يقع فيه أو قفزة بهلوانية بفاجتنا بها هي نظرية الحرب المحدودة ، إذ يعلن أن نصر السويس « كان أكمل انتصار في تطبيق نظريات الحرب المحدودة » . ثم يستعرض لنا تعريفات كسينجر وكلاوزفيتز . . وينسب خلقه ويضرب لنا الأمثال فيقول : إن حرب فيتنام : كانت - على سبيل المثال - حرباً محدودة ، ولم يكن هدف الشعب الفيتنامي أن يكسر إرادة المجتمع الأمريكي أو أن يفرض عليه مشيئته ، كاملة ، وإنما كان هدفه أن يرغم الولايات المتحدة على فك قبضتها عن فيتنام الجنوبية ليسهل كنس نظام « فان ثيو » وتحقيق وحدة فيتنام شمالاً وجنوباً . . و « كان أسلوب الشعب الفيتنامي هو الكثير من المقاومة السياسية والكثير من التعبئة المعنوية والقدر الكافي فقط من استعمال القوة المسلحة في حمى توازن القوة العالمية حتى تصل الولايات المتحدة إلى نقطة تجد فيها البقاء في فيتنام أكثر تكلفة من الجلاء عن فيتنام » .

« وهكذا كان

(وضعها هيكل في سطر وحدها فالتزمنا بالنص ج) .

« وكانت حرب السويس من هذا النوع من الحرب المحدودة » .

فهمنا من هذا العرض أن « الحرب المحدودة » هي التي تستهدف تحقيق هدف محدود بدون « كسر إرادة الخصم أو فرض مشيئة المتصر عليه كاملة » .

والسؤال . . ما دخل ذلك في التعادل النووي ونظريات هنري كسينجر ؟! فهذا اللون من الحروب معروف منذ بداية التاريخ . . فلم يكن التاريخ كله حروباً شعارها فناء الخصم أو تسليمه بلا قيد ولا شرط ولا حتى حروب « رأس كليب » . . فهذا الشرط لم يعرف إلا في حروب الاحتلال من دولة متفوقة على دولة أضعف بنسبة فادحة ، وكانت تنتهي بإفناء إرادة المهزوم وإخاذه بجهاز المنتصر ، ثم طرح على ألمانيا واليابان في الحرب العالمية الثانية ، أما حروب المتكاثنين فكانت دائماً لتحقيق هدف محدود ، مثل تعديل الحدود ، أو الحصول على امتياز أو منع أحد الطرفين من التدخل في شئون الطرف الآخر . . أو الاتفاق أو الاعتراض على تقسيم طرف ثالث . . ومن ثم جعلها نظرية جديدة وربطها بكسينجر وكلاوزفيتز والتعادل النووي . . هي جعجعة طاحونة هواء ، طحينها الجهل والتضليل . . !

فيتنام حرب محدودة من طراز السويس . . وبما أنه قرر أن حرب السويس هي أكمل انتصار في الحروب المحدودة ، فهي أعظم من انتصار الشعب الفيتنامي على امبراطورية

* راجع ما ورد في كتابنا هذا عن تسف هذا الخط المزاحم للخط الأمريكي .

كانت تحتله ما يقرب من ثلاثة قرون : (فرنسا) ، ثم على أكبر قوة عسكرية عرفت لها البشرية وإحدى القوتين « الأعظم » : أمريكا . . .
انتصار الشعب الفيتنامي كان انتصاراً ساحقاً ماحقاً ، لا مساومة في جزئية واحدة من أهدافه :

إخراج الأمريكان . . .
« كنس » فان ثيو ونظامه (كنس هذه لإثبات ثورية هيكل ونفي حكاية التعاطف مع الأمريكان) *

فرض وحدة البلاد تحت إرادة ونظام الشمال .
ضم كمبوديا . . وإظهار العين الحمراء للصين .
ومع ذلك فنصر السويس أكمل من نصر فيتنام ؟
ربما . . . !! فقد حرموا من الخطب والأغاني والمقالات و«تقاتل » بيننا الجيش قد صدرت إليه الأوامر بالانسحاب : « كل رجل على مسئولته »^{١٩} ربما ينتقص من نصر الفيتناميين أنهم لم ينجبوا « هيكل » يؤلف عن انتصار الفرنسيين ! . .
كيف يمكن أن نناقش كاتباً يقول في عام ١٩٧٧ والدم لم يجف بعد من أرض فيتنام ، « إن الشعب الفيتنامي لم يستخدم القوة المسلحة إلا بالقدر الكافي ، وإنما كان اعتماده على المقاومة السياسية والكثير من التعبئة المعنوية » ؟^{٢٠}

يخجل لنا أنه يتحدث عن فيلم غاندي ، أوجهاز التعبئة الذي كان يديره عبد القادر حاتم واشتكى منه عبد الناصر حتى قال له : « أنت مفروض ترفع معنوية الناس وليس تخذيري وتخويني أنا » .

شعب فيتنام الذي قاتل عشرين سنة ، وقدم ما لا يقل عن ثلاثة ملايين شهيد وألقي فوقه عشرة أضعاف ما ألقى من قنابل في الحرب العالمية الثانية وقاتل بكل ما وصل إلى يده من سلاح وبالأظافر والأحجار والتحل والنمل والنعابين . . يقال عنه : « كان لا يستخدم القوة المسلحة إلا بالقدر الكافي » !

أين القوة المسلحة التي كانت لدى الفيتناميين ولم يستخدموها إلا بالقدر الكافي . . الكافي لماذا ؟^{٢١} لخزيمة العدو أم لإثارة شفقته ؟

أين المعركة التي هرب الفيتناميون من غرضها بحجة أنهم لن ينجوا للمعركة وأن أمريكا لن تفرض علينا أرض المعركة ولا زمانها كما يقول الثوريون العرب ، والعدو داخل مخادعهم وسكينه تنحر في نخاع شعبهم ؟^{٢٢}

* ونضيف الآن أن كنس ومكنسة وكنس وكناس مصطلحات سكنت في وزارة الخارجية الأمريكية خلال التعامل مع « أبطال » ٢٣ يوليو .

هل كان بوسع الفيتناميين ضرب نيويورك بالطائرات مثلاً ولم يفعلوا لكي لا تتحول الحرب المحدودة إلى حرب شاملة ؟
هل عرف التاريخ حرباً أكثر دموية وأكثر اعتماداً على المقاومة المسلحة بين امبريالية وشعب صغير مثل حرب فيتنام .

هولاً يفهم معنى الحرب المحدودة ، فتلک الحرب لم تكن محدودة ، من جانب الفيتناميين ولا كان يمكن أن تكون أكثر شمولاً مما أرادوها وخاصوها وانتصروا فيها .
كان هدفهم الانتصار الكامل على أرضهم . . تحرير وطنهم وتحرير إرادتهم ورفع يد الأمريكان عن وطنهم وتصفية وجودهم وعملياتهم وتوحيد هذا الوطن في ظل النظام الشيوعي الشمالي . فهي حرب شاملة .
في الهدف
وفي التطبيق

وانتهت بتعطيل إرادة الخصم فعلاً وكسر إرادة النظام الأمريكي أو المجتمع الأمريكي أو ما شئت فيما يتعلق بموضوع الحرب التي يخوضها الفيتناميون ، فلا كان بوسعهم ولا من أهدافهم فرض إرادتهم على المجتمع الأمريكي لإزالة النظام الرأسمالي في نيويورك أو وقف دعم أمريكا لإسرائيل . . أو فصل فلوريدا وضمها إلى كوبا . . لم يكن هذا من أهدافهم ، ولكن لا يعني هذا أنها « حرب محدودة » أو أنها لا تهدف إلى كسر إرادة الخصم . . هذا ابتذال للغة والفهم .

الحرب المحدودة* - وتعلمكم وتأكل من عرق جبيننا - هو تعبير متداول بين العملاقين ، أي الصراع في رقعة محدودة دون السماح للقوى المحلية أو لتطور الأحداث بجرهما إلى مواجهة شاملة ، مثل الحرب في كوريا ، وفيتنام ، فهي حرب محدودة ، ولكن ليس من جانب الكوريين ولا الفيتناميين . . ومثل الحروب العربية الإسرائيلية منذ ١٩٦٧ . . فهذه حروب شاملة من وجهة نظر الفيتناميين والإسرائيليين - على الأقل - ولكنها حرب محدودة في استراتيجية وممارسة الدولتين النوويتين . . فمعظم الحروب التي نشاهدها منذ نظرية « حافة الهاوية » هي حروب محدودة ولكن من وجهة نظر الكبار وبحساباتهم . أما القول بأن فيتنام أرادتها حرباً محدودة لكي لا تجر روسيا والصين لمصادمة نووية مع الأمريكان ، فهو نموذج للتفكير الذي أضاع الوطن جرباً وراء السلام العالمي ! لو كانت فيتنام تستطيع جر روسيا لضرب نيويورك بالقنابل الذرية لما بخلت بشمن أو فعل لإحداث ذلك .

* بعد أن فضحنا جهله في تعريف الحرب المحدودة ، وأدعاه هيككل كما كان البدو يفعلون مع العار فلم تظهر هذه النظرية في ملفات السويس قلالاً حيث ألفت .

وهكذا قبل أن تنتقل إلى الصفحة الثالثة في الكتاب نجد هذه الأخطاء والأصاليب .

- ١ - خطأ في تعريف الحرب المحدودة تاريخيا واستراتيجيا .
- ٢ - خطأ في وصف حرب فيتنام بأنها حرب محدودة من جانب الفيتناميين .
- ٣ - خطأ فادح في الزعم بأن الفيتناميين اعتمدوا على المقاومة السلمية واستخدموا المقاومة المسلحة في نطاق ضيق « بالقدر الكافي » .
- ٤ - خطأ في وصف نصر السويس بأنه أكمل من نصر فيتنام دون أن يذكر لنا وجها من وجوه النقص المزعوم في النصر الفيتنامي : هل وافقوا على تحديد ونزع سلاح فيتنام الجنوبية ووقف العمليات العسكرية أو غارات « الفدائيين » الفيتكونج عليها ؟ . . هل وافقوا على حرية الملاحة في خليج تونكين وتجميد الوضع عشر سنوات ؟!
- هل تشاجر هوشي منه مع عامر جياب . . « أسحب الجيش وإلا أخليه » . .
- هل ضربت طائرات فيتنام على الأرض ودمر السلاح الجوي في يوم واحد وكان العدو يقدر له ما لا يقل عن يومين ؟!

الاحترام واجب ، حتى من مثل هذا الكاتب ، للشعب الذي هزم الأمريكان وأذهم في أكبر بل وأول هزيمة عسكرية كاملة للولايات المتحدة في تاريخها الامبراطوري باعتراف الأمريكان أنفسهم . . بما فيهم أساتذتك . . وأخيرا ما الهدف من هذا الحديث « عن الحرب المحدودة » وأهدافها ؟ هل مصر هي التي شنت الحرب على بريطانيا وفرنسا وإسرائيل حتى نقول إنها انتصرت في تحقيق هدفها بمحدودية الحرب ؟ من الذي شن الحرب على الآخر ؟ وفق تحديده تكون « السويس » فعلا أكبر نصر لإسرائيل لأنها كانت حربا محدودة وهي التي شنتها ولم تكن بنص عبارته تستهدف القضاء على عبد الناصر ولا كسر ارادته وإنما فك قبضته عن خليج العقبة وكسر سلاحه . . وقد حصل ! . .

لقد أنصف هيكل خصومه عندما فر حزنهم وتفورهم من الاحتفال بذكرى « حرب السويس » بأنهم يعتبرونها هزيمة من سلسلة الهزائم في المواجهة العربية - الإسرائيلية وهذا هو بالضبط التصنيف الذي يطرحه الرأي الآخر ، وإن كنا نحن نعتبرها واحدة من أهم وأخطر هذه الهزائم ، بل لعلها كانت الحاسمة رغم ما يبدو من بشاعة ونتائج هزيمة ١٩٦٧ . . وكان المفروض إذن من مؤلف انتصار السويس أن يرد أو يفند هذه النقطة فيثبت أن حرب السويس لم تكن هزيمة مصرية في المواجهة العربية - الإسرائيلية لا أن يتحدثنا عن انتصاراتنا في باندونج وحلف بغداد . . أو حتى أن يركز الحديث على تأميم القناة وهزيمة العدوان الأنجلو - فرنسي ، فلا أحد يجادل في انتصار عبد الناصر في معركة تأميم القناة ومواجهة الغزو الأنجلو - فرنسي وإن كان الجدل طويلا في أسباب وظروف هذا الانتصار . . وإنما السؤال المطروح وباعتراف الكاتب نفسه هو : هل انتصر عبد الناصر في المواجهة مع إسرائيل عام ١٩٥٦ . . ؟

ولذا فإن « الخلط المريب » هو الخلط بين قضية تأميم قناة السويس ومحاولة بريطانيا وفرنسا إعادة عجلة التاريخ إلى الوراء والرجوع إلى منطقة الشرق الأوسط ، التي أصبحت من أحصنة العملاقين النوويين ، هذا من جهة وبين الغزوة الإسرائيلية كجزء من « المواجهة المستمرة » بين العرب وإسرائيل .

هما قضيتان منفصلتان وإن اجتمعتا في الزمان والمكان لفترة قصيرة شاذة في حساب الزمن ، وخارج حركة التاريخ الطبيعية . .

تأميم قناة السويس إجراء وطني مصري تمتد جذوره إلى منتصف القرن التاسع عشر منذ أن شق في قلب الوطن نموذج الاستغلال الإمبريالي في أشنع صوره وكان التأميم إجراء وطنيا في مواجهة النظام الاستعماري القديم المنحدر من القرن التاسع عشر والذي لم يعد له مكان في النصف الثاني من القرن العشرين وفي الشرق الأوسط بالذات كجزء من عملية التحول التاريخي التي بدأت في الحرب العالمية الثانية ، وهي زوال الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية كجزء من النصفية الشاملة التي كانت تتم على يد الثورة الجزائرية وحزب الاستقلال والملك في المغرب والبرلمان السوداني ، والقصر والزعماء الفلسطينيين في الأردن وحاكم البورمي السعودي ، وإمام عمان ، ومظاهرات الوطنيين ضد سلوين لويدي في البحرين . . الخ .

والغزوة الأنجلو - فرنسية ، لم تكن أكثر من عمل من خارج التاريخ ، فيه كل رعب ومخاطر وسخافة الديناصور وحنمية هزيمته وانقراضه .

أما الغزوة الإسرائيلية وإن تمت تحت مظلة الأنجلو - فرنسية فكانت منعطفاً جديداً ونقطة تحول ذات أبعاد حاسمة وشديدة الخطورة ، قلبت موازين الصراع العربي - الإسرائيلي وحكمت السلوك العربي خلال العشر سنوات القادمة مما مهد بل حتم هزيمة ١٩٦٧ .

هذا ما أردنا توضيحه قبل أن نناقش معركة القناة ومعركة سيناء . .

أما الحديث عن الانسحاب الأنجلو - فرنسي من بورسعيد واحصاء دخل قناة السويس ثم تعميم ذلك للقول بأن « العدوان الثلاثي » لم يحقق أغراضه وأن عبد الناصر انتصر على الثلاثة . . فهذا ليس سياسة ولا تأريخاً وإنما لعب بالثلاث ورقات في زاوية مظلمة من شارع الفكر السياسي العربي .

إسرائيل لا كانت في شركة قناة السويس ، ولا كانت تريد إرجاع شركة قناة السويس ولا مصلحة لها في أن تكون قناة السويس عتية بالمساهمين الأنجليز والفرنسيين^{١٢} ، وإسرائيل لم تكن تمر في قناة السويس في عهد الشركة الأجنبية . ومنذ تاريخ سابق على انقلاب ٢٣ يوليو . . فقد أصرت مصر ووافقت الشركة على أن القناة كممر مالي يخضع للسيادة المصرية تماماً كمدخل خليج العقبة ، ولم تستطع إسرائيل أن تمر لا في الخليج ولا في القناة قبل

« الثورة » و « التحرير » حتى فتح لها عبد الناصر الخليج ، وفتح لها رفيقه ونائبه السادات القناة .

استخدمت إسرائيل أزمة القناة ، لتحقيق أهدافها الثابتة وتنفيذ مرحلة من مخططاتها الدائم ، ونفذت ذلك بنجاح تام يكاد يصل إلى مائة في المائة ، بصرف النظر عن طموحها الذي استعر عندما فوجئت باحتلالها ثمن الأراضي المصرية في مائة ساعة . . فهي التي يحق لها أن تدعي النصر الكامل والأكمل في الحرب المحدودة .

لأن إسرائيل لم تكن تطمع في هذا الوقت في فرض إرادتها على عبد الناصر في القاهرة ، ولا حتى في ١٩٦٧ فكوت إسرائيل في عبور القناة وعندما سأل الفرنسيون موشي ديان في عام ١٩٥٦ . . « هل لديك نية لعبور القناة ؟ » رد على الفور بالنفي . . «

بل ونصحهم هو » بأن احتلال القاهرة يخلق تعقيدات سياسية حادة يستحسن تجنبها » وفي عام ١٩٦٧ هرع السادات فزعا لعبد الناصر بدعوه للانسحاب إلى الصعيد لأن بيانا عسكريا مصرية صدر بعبور إسرائيل القناة فرد عليه عبد الناصر بلا مبالاة : « أقعد يا أنور . . إسرائيل لن تعبر ولا تريد العبور » (انظر كتاب البحث عن الذات) .

ولم يكن لإسرائيل في ١٩٥٦ ولا في ١٩٦٧ ولا في ١٩٧٧ نية في عقد صلح أو سلام مع مصر أو العرب قبل إتمام مخططاتها التوسعي بضم « كل أرض إسرائيل وملحقاتها » . ولو عرض عبد الناصر عليها السلام في حرب السويس لرفضته لأن ذلك كان سيعرقل أو حتى يمنع مخططاتها في ضم الضفة والجولان وجنوب لبنان . . وأخيرا سيناء . . بل لعل من أهداف حملة سيناء ١٩٥٦ وأد المحاولات التي كانت تدور بخاطر الأمريكيين والانجليز لإجراء تسوية للمسألة الفلسطينية تقوم على تنازل الإسرائيليين ، فهم وحدهم كانوا الطرف المطلوب منه التنازل في هذا الوقت ، مقابل القبول العربي بوجود « الكيان » الصهيوني . . ومنذ النصر الإسرائيلي في سيناء ١٩٥٦ انتهى أي حديث عن القدس الجديدة أو المشاركة في ميناء حيفا ، أو إعادة الصحراء النقب للعرب أو مشروع تقسيم ١٩٤٧ أو حتى ما احتلته إسرائيل من المناطق المتروعة السلاح .

وصحيح أن سيناء هي أهم هدف توسعي إسرائيلي* ولكنها أيضاً وربما هذا السبب ، آخر هدف يتحقق . . وبعد سلسلة استنزاف للقعدة العربية ، وتصفية الدور المصري والإمكانات المصرية إلى الصفر ، وهذا لا يتحقق إلا بسلسلة هزائم عسكرية وسياسية كانت السويس واحدة منها كما كانت حرب وهزيمة ١٩٦٧ .

وإسرائيل تقبل مرغمة ، الانسحاب من سيناء أكثر من مرة ولكنها لا تتخلى أبدا عن هدفها في ضمها فهي وحدها التي تكفل تحولها إلى إسرائيل الكبرى .

* مساحة سيناء تبلغ ضعف مساحة إسرائيل (٣٠ مليون دونم) .

والغريب أن هذا الفهم كان واضحاً عند العسكريين السوريين في وقت مبكر جداً فقد جاء في مذكرات بغداددي أنه في الأسبوع الثاني من أكتوبر ١٩٥٥ حضر إلى منزل جمال عبد الناصر سعيد الغزي رئيس وزراء سوريا واللواء شوكت شقير رئيس هيئة أركان حرب الجيش السوري وكان الأمير فيصل بن عبد العزيز حاضراً (والبغداددي طبعاً ج) وقال جمال إن إسرائيل لو أحبت أن تتوسع أو القيام بعمليات حربية فإنها في هذه الحالة تفضل أن يكون التوسع على حساب سوريا أو لبنان « فرد عليه شوكت شقير : « إن إسرائيل لن تقوم بهذه العمليات إلا بهدف وهذا الهدف هو إجبار الدول العربية على الصلح معها . وهي إن احتلت دمشق ذاتها فهي تعلم أن هذا لن يجبر الدول العربية على الخضوع لها وطلب الصلح معها ، ولكنها تعلم أنها لو هاجمت مصر ودحرّت جيشها ، وهو أقوى جيش عربي ، ففي هذه الحالة فقط يمكنها فرض شروطها على الدول العربية »^٤

واللواء شقير معذور في تقليله أهداف إسرائيل إذ ظن أنها لا تريد أكثر من فرض الصلح وهو كان يتحدث قبل هزيمة ١٩٥٦ عندما لم يكن يخطر ببال عربي أن إسرائيل تطمح في أكثر من الاحتفاظ بما حصلت عليه . إلا أن اللواء عبر عن فهم سياسي متقدم ولو أنه يبدو بدوياً ، غير أن القيادة المصرية - لأمر ما - غفلت عنه ، وقد رد عبد الناصر على اللواء بقوله : « إن إسرائيل اليوم تفكر بدلاً من المرة عشرات المرات قبل أن تقدم على مهاجمة مصر لعلمها بقوة جيشها ومدى استعدادها وهي الآن لن تقامر على كيانها »^٥

واضح أن الحديث كان يدور حول « الكيان » ذاته وقد تأدب الجالسون فلم يشيروا إلى الهجوم الذي شنته إسرائيل على مصر قبل أربعين يوماً فقط من هذا الحديث المملوء « ثقة » بالنفس . . !

ووافق السوريون على عقد اتفاقية عسكرية مع مصر لمنع إسرائيل من « المقامرة على كيانها » بالهجوم على سوريا التي أصبحت محمية بالجيش المصري ، ولكن البغداددي « الخبيث » يقول : « ولم تمض فترة طويلة على توقيع تلك الاتفاقية العسكرية بين سوريا ومصر ، حتى أراد بن جوريون - على ما يظهر - أن يشكك سوريا في قيمة هذه الاتفاقية فدفع بقوة عسكرية من الجيش الإسرائيلي لمهاجمة بعض مواقع عسكرية للجيش السوري قرب بحيرة طبرية حوالي منتصف شهر ديسمبر ١٩٥٥ ، وقد قتل في هذا الهجوم حوالي خمسين جندياً سورياً ، وقامت مصر بإبلاغ سكرتير عام هيئة الأمم . . إن أي اعتداء (ثاني ج) على سوريا . . إلخ » .

المعزوفة المعروفة والتي لم تطبق أبداً . .

باختصار إن أي دراسة جادة تحتم الفصل بين معركة تأميم القناة ومعركة سيناء ولو أن هذه الدراسة الجادة أجريت في ١٩٥٧ وواجهنا نتائجها بشرف ومسئولية ، ربما لتجنبنا كارثة ١٩٦٧ بل ونكبة الانفصال وخطية حرب اليمن ، ولدخلت المواجهة المصرية - الإسرائيلية

ومن ثم المواجهة العربية - الإسرائيلية مرحلة جديدة لصالح العرب . ولكن التزوير الذي جرى عمداً في ١٩٥٧ بدق طبول النصر المزعوم يراد له أن يستمر اليوم من أجل المزيد من التخطيط والتدهور في تلك المواجهة المصرية والأبدية بل إن التزوير يمتد إلى ظروف معركة تأميم القناة بإخفاء الدور الأمريكي الحاسم في هزيمة المخطط الأنجلو - فرنسي .

نحن إذن ، نرفض « الخلط التام »* كما نرفض البهلوانية بالحديث عن انتصارات هوائية . . وإنما نحصر الموضوع في قضيتين : القضية التي طرحها هيكل وهي : المواجهة العربية - الإسرائيلية . . . والقضية الثانية هي تأميم القناة والغزو الأنجلو - فرنسي . . . وهذا ما سنناقشه بالتفصيل . . ولكن لنبدأ باستعراض المنطق الناصري كما يقدمه هيكل الذي مازال يحتل مركز الفيلسوف والمنظر لهذا المنطق رغم الجهود المنافسة لدكاترة الجامعة الأمريكية .

يقول : « إن جوائز الحرب كانت ثلاثاً : قناة السويس وفي يد من هي ؟ وصحراء سيناء وفي يد من هي ؟ وقطاع غزة وفي يد من هو ؟ وبعد انتهاء المعارك كانت هذه الجوائز كلها في يد مصر . . القناة سليمة تحت سيطرتها وإرادتها وصحراء سيناء جزء من سيادتها وقطاع غزة أمانة في عهدها ، وإذن كان انتصارها كاملاً » .

وهذه الجوائز بالطبع ونتائجها هي من إعداد مؤسسة هيكل لتصنيع وتعبئة التاريخ . وليست جوائز الحرب . الهدف الأول كما قلنا لا يجوز خلطه بموضوع التحدي الذي طرحه وهو هل كانت « حرب السويس » هزيمة في سلسلة الخزائم في المواجهة العربية - الإسرائيلية وسناقشه بالتفصيل . .

أما عن المواجهة فإن هدف إسرائيل كان الآتي :

- ١ - فتح مضيق تيران أي خليج العقبة للملاحة الإسرائيلية .
- ٢ - تدمير السلاح السوفيتي الجديد .
- ٣ - تخطيط القدرة العسكرية المصرية ونقل الوضع العربي من تصور القدرة على إزالة إسرائيل ووضع المطالب باستئناف الحرب العربية - الإسرائيلية التي توقفت في عام ١٩٤٩ إلى وضع الدفاع واستبعاد فكرة « الهجوم » على إسرائيل .
- ٤ - نزع سلاح قطاع غزة ومنع النشاط العدائي منه .
- ٥ - تعويد مصر عسكرياً لأطول فترة ممكنة حتى يتم استعداد إسرائيل لمعركة « الامبراطورية » الإسرائيلية فحرب ١٩٥٦ كانت كما وصفتها جولدا مائير « حرب حق الوجود » أما حرب ١٩٦٧ فهي حرب « حق الهيمنة » . . كانت إسرائيل تحتاج هذه الفترة حتى تصبح المبادرة في يدها فتتخذ هي زمان ومكان وصيغة المعركة .

* وفي نواتنا قالت : إن الخلط مثل أكل الموز بالعمل وهو من فعل يات . . الخ .

ونحن « نرغم » وعلينا البينة أن الأهداف تحققت بالكامل ، وأن القيادة المصرية هزمت في هذه المواجهة بالكامل . . . بل وإن عبد الناصر نفسه هو أول من أدرك هذه الحقيقة يوم طاف وهو يركي بين حطام الجيش المصري على شاطئ « القناة » في نوفمبر ١٩٥٦ وأراح رأسه على كتف « عبد اللطيف بغدادلي » وهو يردد بالانجليزية « هزمتي جيشي » . . . فهل يريدنا هيكمل أن نصدق ونكذب عبد الناصر ؟!

منذ صفقة السلاح الروسي ، والإسرائيليون يستعدون للحرب ضد مصر ، ويقول موسى ديان إنه خطب في جنوده في أبريل ١٩٥٦ فقال لهم : « ليس لدينا صفقة سلاح تشيكية ولا بريطانية ولا أمريكية . . . فالبلاد التي لديها السلاح ترفض التعامل معنا ومع ذلك فهناك أمة واحدة نستطيع أن نعقد معها صفقة رابحة . . . هي أمة إسرائيل . . . إن ما نحتاجه هو صفقة إسرائيلية يمكننا أن نكشف القوة الدفينة لشعبنا » *

ويقول إنه كان بعد خطة لاحتلال غزة لتصفية النشاط « الإرهابي » (الفدائيون) وفتح خليج العقبة من نوفمبر ١٩٥٥ ولكن مبعوث الرئيس الأمريكي كان في ذلك الوقت يتفاوض عبد الناصر وبين جورريون^٢ ولذلك طلب منه بن جورريون وقف الخطة حتى يناير ١٩٥٦^٢ .

ولم يكتف موسى ديان بالطبع بعقد صفقة مع الروح المعنوية في إسرائيل بل نجحت جهودهم في عقد صفقة مع فرنسا في نهاية يونيو ١٩٥٦ للحصول « على سلاح يمكننا من مواجهة نوعية السلاح المصري الجديد إن لم يكن حجمه » . فالتسليح الفرنسي والاستعداد الإسرائيلي سابق على تأميم القناة ، لأن إسرائيل تعيش فعلاً هذه المواجهة الدائمة العربية - الإسرائيلية وتتحين الفرص لضرب ضربتها ، وتوظف كل حدث لمصلحتها في هذه المواجهة ، أما نحن فتحدثت عنها فقط في الخطب وندعو الله ليل نهار أن يمنحنا إياها فلا يستجاب لنادعائنا .

ويقول : « لم يكن بن جورريون مفتوناً بفكرة ضم قطاع غزة أو شبه جزيرة سيناء ، بل كل ما كان يريده هو السيطرة على الساحل الغربي لخليج العقبة ومضيق تيران أي شرم الشيخ فلو فتح المضيق للملاحة الإسرائيلية لأصبحت ابلاات ميناء كبيراً وهذا يعني الحياة لكل الشعب » .

وقبل سفر الوفد الإسرائيلي إلى فرنسا للاتفاق على الحملة أبلغهم بن جورريون بالتوجيه التالي :

- وخلال ١٧ سنة من حكم عبد الناصر عقد صفقات مع شتى أمم الأرض إلا شعب مصر وأمة العرب فلم يكن بين وبينهم إلا التوجس والفرص وفقدان الثقة المطلق ، عبد الناصر يعتقد ويصرح أن السلاح بالحرية سيهض التورة . وآخر مواقف الشعب من الحكم قبل حرب ٦٧ هي إشاعة الدم .

١ - إسرائيل لن تشن حرباً بمفردها .
٢ - هدفنا هو السيطرة على الشاطئ الغربي لخليج العقبة . لضمان الملاحة الإسرائيلية في
المر المائي وربما تفكر في نزع سلاح شبه جزيرة سيناء ولو تحت إشراف قوة دولية ٢٢
وقال الفرنسيون لليهود : إذا ما سيطرتم على مضائق تيران فيمكنكم مد خط أنابيب من
إيلات إلى البحر الأبيض .
وهو ما حدث بالضبط بعد الحرب . ومن ثم يمكن القول بأن انتصار إسرائيل كان
كاملاً .
وعشية الغزو حدد اليهود أهدافهم : « بالنسبة للهدف النهائي للحملة ، فإن أهدافنا
كانت واضحة كان غرضنا احتلال شبه جزيرة سيناء وإزالة القوات المصرية ، وهذا سيضمن
لنا حرية الملاحة إلى إيلات ، وتحييد التهديد المباشر لإسرائيل من قبل الجيش المصري
ويوقف العمليات الإرهابية من قطاع غزة » .

وقد تحقق ذلك بالكامل :

- ١ - احتلوا شبه جزيرة سيناء خمسة شهور .
- ٢ - أزالوا التهديد العسكري المصري بتدمير الجيش المصري و صفقة السلاح الروسي .
- ٣ - ضمنوا حرية الملاحة إلى إيلات ومن إيلات .
- ٤ - أوقفوا العمليات الفدائية من قطاع غزة .
- ٥ - نزعوا سلاح سيناء فعلياً ، بوضع البوليس الدولي الذي حدد الحدود من الجانب
المصري عشر سنوات .

ويقول : « نحن أيضاً كنا نتمنى أن يحل نظام جديد محل عبد الناصر يصنع علاقات سلام
مع إسرائيل ولكن هذا لم يكن جزءاً أساسياً من أهدافنا العسكرية التي ستتحقق حتى لو بقي
ناصر في السلطة » .

ونحن نضيف ولا حتى كان من أهدافهم أو أمناتهم السياسية ٢٢ في تلك المرحلة ، لأن أي
سلام مع إسرائيل في هذا الوقت كان سيصادر طموحها ومخططها التوسعي ، ومندوب
الرئيس الأمريكي الذي كان يفاوض بن جوريون في هذا الوقت - كما أشرنا - كان يبحث في
إعطاء ممر بري بين مصر والأردن في صحراء النقب لا الحدود الآمنة وتعديلات في صميم
الأرض المصرية والأردنية والسورية كما سيطرح بعد عشر سنوات ٢٢

ولخص موسى ديان نتيجة الحرب بقوله : « ولقد تحققت أهداف إسرائيل الثلاثة من
الحملة :

حرية الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة ، نهاية الإرهاب الفدائي . . . تجميد خطة
الهجوم المشترك المصري - السوري - الأردني على إسرائيل وقد قبل عبد الناصر مبدأ حرية
الملاحة من وإلى إسرائيل . وقبل وضع حد للإرهاب ضدها ٢٤ .

ويقول هيكل نفسه « نقلاً عن مذكرات موسى ديان عن معركة سيناء » (ولاحظ أن هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها سيناء بدون صفة « صحراء » في كتاب هيكل والسبب هو أمانته في النقل عن موسى ديان الذي لا يمكن أن يقول عن جوهرة الشرق الأوسط « صحراء » كما يفعل الأمين على الناصرية ج) * إنه قابل بن جورريون في اليوم التالي لعودته من باريس وعقد معه اجتماعاً طويلاً ، ثم يقول ديان « وفي نهاية الحديث صدر إليّ الأمر بأن أكون مستعداً للاستيلاء على تيران لتأكيد حرية الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة والبحر الأحمر » .

ويشعر هيكل أن هذا النص ينسف دعواه عن « الجوائز » فيخرج إلى وثائق بن جورريون التي أصدرها باروزهار سنة ١٩٦٨ ليثبت أن « دافيد بن جورريون طلب في نفس الاجتماع مع ديان ، أن تكون هناك خطط إضافية لاحتلال قطاع غزة وللمسيطرة العسكرية الكاملة على سيناء »^٩ .

موافقون

ولكن ماذا يعني ذلك ؟

يعني أن الأمر الصادر بتحديد هدف الخطة أو « الحرب المحدودة » هو فتح خليج العقبة والبحر الأحمر للملاحة الإسرائيلية لا إسقاط عبد الناصر ولا إقامة حكومة موالية في القاهرة ولا فرض التسليم بلا قيد أو شرط ، ولا حتى ضم سيناء وكل هذا وارد في الخطة كما قلنا ولكن في حينه .

الإضافة التي وردت في رواية « باروزهار » طبيعية ومنطقية جداً . . فإن احتلال تيران وفتح الملاحة في خليج العقبة لإسرائيل مهمة تختلف كثيراً عن عملية مطار « عتسي » ضد عبيدي أمين ، أو تدمير طائرات طيران الشرق الأوسط في مطار بيروت . . إذ لا بد من حساب المقاومة المصرية ، الأمر الذي يستلزم تصفيتها أولاً ، قبل الاطمئنان لفتح الملاحة . وهذا يعني احتلال غزة وتعظيم القوة المصرية العسكرية في سيناء . . حتى تصبح تحت السيطرة الإسرائيلية أو على الأقل يزول تحكمها للملاحة في خليج العقبة .

وقد فازت إسرائيل بهذا الهدف الكامل الذي حدده بن جورريون قبل تأميم القناة وحرب القناة بعام كامل !

وهيكل ينسى كذبه ولذا يعود ويقرر بعضمة لسانه أن هدف إسرائيل لم يتجاوز فتح خليج العقبة يقول : « كانت إسرائيل - كما رأينا - قد قررت وحسمت واستدعى بن جورريون

* هذا المسك على هيكل أفاد في تقريره لوصف سيناء مرة في « ملفات السويس » : « شبه الجزيرة » ونعرف أنها صعبة عليه ولكن لا بأس من التكرار ليتعلم . . .

تلميذه وصفه موسى ديان من أجازة في باريس وطلب إليه أن يتولى رئاسة أركان حرب الجيش الإسرائيلي ووضع خطة للهجوم على سيناء بقصد احتلال شرم الشيخ وفتح خليج العقبة^١ . هذا هو هدف حملة ١٩٦٧ إلى جانب ما ذكرناه من أهداف أخرى . أما اختراع هدف لإسرائيل وهو ضم سيناء ، ثم الصباح بأننا انتصرنا لأنها انسحبت والمكوث على مكاسبها الأخرى فلا يشار إليها بحرف ، فهو تضليل وتهريج . . . والغريب أنه يصدر من نفس المدرسة التي تردد أن استرداد سيناء بعد ١٩٦٧ لم يكن مشكلة ولا انتصاراً لأن إسرائيل كانت دائماً مستعدة لإرجاعها . . . كيف تكون إسرائيل غير راغبة في ضم سيناء أو غير قادرة على هذا الضم في مرحلة الامبراطورية وتتطلع لذلك في ١٩٥٦ . . . ١٢

وقد قامت مصانع « هيكل » لفكرة التاريخ ، بإصدار طبعة معدلة من أهداف « بن جوريون » .

واليك بعض ملاحظتنا عليها :

النتيجة	الهدف كما أورده هيكل
تحقق بالكامل ومن ١٩٥٦ إلى ١٩٦٧ لم يقع حادث واحد من سيناء ضد إسرائيل .	ضرب قواعد الفدائيين في سيناء
تحقق عمليا بقبول عبد الناصر وضع البوليس الدولي على الحدود ، فانتهى خطر أي هجوم مفاجيء مصري ، إذ أصبح على مصر أن تطلب سحب البوليس الدولي وإخطار الأمم المتحدة أو طوب الأراض أننا سنحارب ولا يهم عندئذ إن كان الجيش في العريش أو القنطرة فقد زال عنصر المباغتة .	العمل على تفريغ سيناء مما يؤدي إلى إنهاء خطر أي هجوم مصري محتمل . أي تجريد سيناء من السلاح حسب تعبير بن جوريون
تحقق بالكامل	فتح خليج العقبة
كأنه يتحدث عن أهداف كامب ديفيد !! هذا الهدف غير مفهوم . فإدام البوليس الدولي عند مدخل ومخرج الخليج . . . المفتوح للأسطول الإسرائيلي فما أهمية طابا؟! وعلى أية حال حصلت على طابا ومشارف إيلات إلى قناة السويس في الغزوة الثانية ١٩٦٧	تأمين مشارف إيلات بالسيطرة على منطقة طابا

طرد مصر من قطاع غزة وعدم
السماح بعودتها

تحقق عسكرياً بإنهاء أي وجود أو استخدام عسكري
للقطاع أما عن الحكم المصري وعودته ، ففي النفس
شيء حول حقيقة هدف إسرائيل هل كانت فعلاً في
هذا الوقت تريد القطاع بربع مليون فلسطيني ؟ . .
على أية حال اقرا ما كتبناه في هذا الموضوع وكيف أجبر
شعب غزة التاريخ على العودة للوراء فأعاد مصر
للقطاع إلى أن تمكن منهم ناصر وسلم القطاع مرة
أخرى لإسرائيل في ١٩٦٧ .

تخيطيم وحدة المعسكر العربي
بضرب مركز مصر

في اعتقادنا أنه تحقق إلى حد كبير جداً لأن عبد الناصر
رفض أن تكتب هذه الوحدة بالدم والسلاح محاء
الخطايا وموحد الأمم ، بل فضل « المشاعر » قسمل
التزييف ، واستمرر العملاء في السلطة وعلى
السطح . . ونظرة إلى العالم العربي في سنة ١٩٥٩
مثلاً وواقعه عام ١٩٥٥ نرى أن هذه الوحدة فعلاً
تمزقت . . ولا يجوز بسبب فشل حملة ايدن أن نقلل
من أهمية نصرته عندما مثل ماذا حقق بحرب
السويس فقال : « منعنا الوحدة العربية » إنه تصريح
بحاجة إلى دراسة ثانية .

إسقاط الطاغية

لم يتحقق . . وإذا كنا نعتقد أنه كان للدعاية وتبرير
الحرب ، تماماً كما ادعى كل استعماري أوروبا ، أنهم
غزوا بلادنا لمحاربة الفساد وتحليصنا من حكم
الطاغاة . . وما مكنهم من بلادنا إلا هؤلاء الطغاة ،
ولا مكن الطغاة في بلادنا إلا هؤلاء الغزاة . .
وبن جوريون يقول : « إن تغيير النظام لم يكن جزءاً
أساسياً من أهدافنا العسكرية بل ويؤكد أنه سيحقق
هذه الأهداف حتى لو بقي عبد الناصر في السلطة
(ص ١٥٣ كلمتي للمغتربين) و « هيكلم » قال في
موضع آخر من ملفاته إن « شيمون بيريز » حدد
أهداف إسرائيل في غزوة ١٩٥٦ بقوله : « إن
سويسنا Our Suez هي إيلات ، ثم إن أية عمليات

نقوم عليها إسرائيل سوف تكون بهدف فتح الممرات
الملاحية ص ٤٨٢ ع .

أي لا إسقاط الطاغية ولا شرب الطافية ! ..
على أية حال لو كانت إسرائيل أرادت فعلاً إسقاط
عبد الناصر في ١٩٥٦ ، فحقاً إن بني إسرائيل يثابرون
رغم أنوفهم .. وهم يظنون بالله ظن السوء ..
ولو علموا الغيب لاختاروا الواقع .. فلو تحقق
هدفهم في ١٩٥٦ وحكم مصر فؤاد محرم أو « موسى
ديان » أكانت إسرائيل ستحقق بعد عشر سنوات
أفضل مما حققتة بفضل استمرار الطاغية في الحكم ؟ !
لسوء حظ العرب وحسن حظ إسرائيل أن الطاغية
لم يسقط فسقطت سيناء والجولان والضفة .. ولم يبدأ
استرجاع بعضها إلا بعد موته بثلاث سنوات ! ..

نعوذ لهيكل الذي يستعرض لنا انتصارات « حرب السويس »
يقول هيكل : « كانت حرب السويس تجربة هائلة من تجارب العمل القومي العربي
وقدرته وإن من غير تنسيق مسبق بين الأطراف » .

ولأننا تعاطينا جرعات هذا الإعلام الناصري فتخدرنا بمثل هذه الجمل الإنشائية من مدح
الذات والرضا عن النفس وهددة الأطفال جلباً للنعاس بالخرافات ، فقد ظل العمل
العربي إلى اليوم « يفتخر » بأنه يمر بتجارب هائلة من غير تنسيق مسبق وبمجرد الفزعة البدوية
ومحاولة الففز في القطار أو القيام بأي عمل لإثبات الوجود وتبرئة الضمير أو التنفيس عن
الوطنية الحقيقية !

والدليل أن مؤرخ النصر لم يجد مثلاً يضربه عن الوقفة العربية المساندة لمصر إلا نصف
مجموعة السراج لخط الأنابيب البريطاني وهو عمل مجيد بلا شك ولكن مجموعة انصار جورج
حيش نفذته بعد ذلك ولكن في الخط الآخر وأثبت أنه لا يحتاج لأكثر من مجموعة فدائية
ولا يمكن أن تنحصر فيه مساندة دولة عربية في حجم سوريا ، ومواقعها - وقتها - في الجولان
كانت تمكنها من انزال ضربة موجعة إن لم نقل قاصمة بإسرائيل التي قذفت بكل جيشها إلى
سيناء ولم تكن قد أصبحت بعد المارد الذي يحارب على ثلاث جبهات ..

إن هيكل كثير الصخب حول ضربة نصف أنابيب النفط ، ليس حبا وعرفانا لدور
السراج . فما ناله السراج على يد هيكل والنظام الناصري يضيف صفحات مربعة للحمية

العزیز سنہار . . . ولكن في عام ١٩٨٢ بتفضل هيكل على عبد الحميد السراج في محنته باعلان أن : « السراج كان مضبوطا على نفس موجة عبد الناصر » .

ولكن هذا « المضبوط » انقرط عقده فور أن دخل في الفلك الناصري وألغيت كل سلطاته وحول إلى « طرطور » في القاهرة كما سئى ، وعزل عن قواعده في سوريا وهو الذي كان يحكمها بقبضة حديدية ، انتهى به الأمر بسبب هذا « الانضباط » إلى أن اعتقل وأهين على يد ضباط الانفصال الذين كانوا يرتعدون من مجرد التفكير في تحديه قبل أن يطحنه النظام الناصري . . . فالإشادة بنفس الأنايب ليست نحية للسراج ، وإنما الصخب هنا هو لإخفاء سؤال رهيب مازال بطل برأسه بين الحين والحين ، وسيظل بطل برأسه ينشد الجواب الصريح مهما بدا أن الإعلام الناصري قد نجح في كتم أنفاسه إذ لم يطرح أبدا على بساط البحث الجاد . . . ولم تعرف الإجابة السليمة عليه .

ذلك السؤال هو : لماذا أمرت القيادة المصرية الأردن وسوريا بعدم دخول الحرب ؟
لنرجع قليلاً إلى الوراء :

منذ عام ١٩٥٣ قام تحالف مصري - سعودي وثيق كان تطوراً نشطاً وأكثر فعالية للتحالف المصري - السعودي الذي تم بين الملكين الراحلين عبد العزيز وفاروق منذ عام ١٩٤٦ والذي مكن من قيام الجامعة العربية ، ووحدة الموقف العربي ، بصرف النظر عن النتائج - حول قرار تقسيم فلسطين والحرب العربية - الإسرائيلية الأولى . . . وقد تطور هذا التحالف في ظل الملك سعود والقيادة المصرية الجديدة لحركة ٢٣ يوليو بحيث أصبح أكثر تركيزاً على تصفية الوجودين البريطاني والفرنسي من المنطقة . . . وإذا كان الفرنسيون قد قبضوا في خلال ٢٤ ساعة على باخرة مصرية تحمل السلاح للجزائر (الباخرة أتوس) وعلى شيك سعودي بعشرة ملايين دولار مع مجموعة بن بيللا عندما أنزلت طائرتهم واعتقلوا . . . فإن التحالف المصري - السعودي كان أكثر وضوحاً في شرق البحر الأبيض أو المشرق العربي ضد بريطانيا حيث العدو التقليدي والمباشر للسعوديين والمصريين . . . وكانت المملكة على خلاف بل وصادم مع الانجليز سواء من خلال العرش الهاشمي في العراق ، والملك عبد الله في الأردن ، أو بالعدوان البريطاني على البورعي السعودية . . . وجميع حدود المملكة مع جيرانها الخليجيين . . . بينما كانت مصر بالطبع في صدام مسلح مع الانجليز في مصر وصراع في السودان ، وخلاف تقليدي بين القاهرة من ناحية ، وبغداد وعمان من ناحية أخرى . . . أما سوريا التي ظفرت باستقلالها حديثاً من فرنسا ، بمساعدة بريطانية ، ونفوذ بريطاني في السنين الأولى ، فقد تحولت إلى أرض الصراع لشيئ القوى في المنطقة بين شركة نفط العراق وشركة أرامكو حول مد أنابيب النفط إلى البحر ، وبين العراق والسعودية ، وبين مصر والعراق . . . وبين بريطانيا وفرنسا . . .

واستطاع الذهب السعودي والإعلام الناصري أو كما يقول سلوين لويد مشوهاً : « إن رياح القومية العربية التي تهب من مصر تفوح منها رائحة الذهب السعودي »^{٢٤} . استطاعا أن يوجها الموجة القومية والوطنية ، الأصيلة في عدائهما للاستعمار البريطاني والجدادة في التحرر من هذا الاستعمار ، استطاعا توجيهها لكيل الضربات لهذا النفوذ ، قننت حامية سوريا من مؤامرات نوري السعيد - البريطانيين وتم طرد غلوب من الأردن ، وقيام حكومة ناصرية في عمان وتطويق ثم هزيمة حلف بغداد ، وأي تأريخ لتلك الفترة يحاول إنكار المساهمة السعودية الفعالة في تحقيق هذه الأهداف ، هو تزوير مفضوح للتاريخ ، في اعتقادنا لا ينجم فقط عن نكران الجميل ولا الرغبة في إبراز الدور الخاص ، ولا لتبرير الافتراءات والتطاول على الملك الراحل سعود ، بل وأيضاً لسبب آخر لا يقل أهمية ويتعلق بفهم « طبيعة » هذه المرحلة وحقيقة التيارات والمصالح التي حكمت التحرك الناصري فيها ووفرت له النجاح وهو ما سنشرحه بالتفصيل وبالصرامة الكاملة في موضعه .

المهم أنه نتيجة هذه الجهود ، بدأ بتشكيل حلف سعودي - مصري - سوري - يمني . . . وركز جهوده على جذب الأردن . . . بعيداً عن العراق الذي وقع حلف بغداد مع تركيا في ٢٤ فبراير ١٩٥٥ وانضمت إليها بريطانيا في ٤ أبريل ١٩٥٥ ثم تبعتها إيران وباكستان (يوليو وأكتوبر ١٩٥٥) .

ففي أول مارس ١٩٥٥ وقع في دمشق اتفاق مصري - سوري وفي ٦ مارس ١٩٥٥ أبدت السعودية الاتفاق المصري - السوري وأعلن عن تشكيل قيادة عسكرية مشتركة للأقطار الثلاثة . وفي ٢٧ أكتوبر ١٩٥٥ وقعت اتفاقية لتوحيد القيادة العسكرية بين مصر والسعودية . وفي ١٢ مارس اختتم مؤتمر ثلاثي في القاهرة بين عبد الناصر والملك سعود وشكري القوتلي ، دام أسبوعاً ، وصدر بيان مشترك بإقرار جميع الإجراءات الضرورية لإقامة جبهة موحدة ضد إسرائيل ، وشجب حلف بغداد « لأنه يضعف الموقف العربي » وتقرر إرسال مبعوث عن المؤتمر إلى الملك حسين مع عرض بدفع قيمة المعونة البريطانية للأردن إذا ما ألغى معاهدته مع الانجليز (قدم العرض في يناير ١٩٥٦ وسافر المبعوث لتأكيده) . . .

ويقول سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا وقتها إن « الحملة ضد غلوب في الأردن كان يقوم بها عملاء ناصر والسعوديون »^{٢٥} وإن « إخراج غلوب قد تم بالدعاية المصرية ، ومال الملك سعود »^{٢٦}

وفي أبريل ١٩٥٦ وقعت الاتفاقية المصرية - السعودية - اليمنية . وأقرضت السعودية عشرة ملايين دولار لليمن ، « وأعلنت الحكومة المصرية ترحيبها بالحلف كضربة لبريطانيا وجزء من خطة طرد البريطانيين من شبه الجزيرة العربية » . واعترف خروشوف أنهم (الروس) يبيعون سلاحاً لليمن^{٢٧} ويتكلم هيكلم بنفس فجة سلوين لويد عن استغلال

مصري للسعوديين فيقول : « إن عبد الناصر استعان بالأسرة المالكة السعودية ضد حلف بغداد »^{١٣} ويكتفي بهذا النطق السامي دون تفسير . ولا يقول لنا إذا كانت معركة الحلف بغداد هي أبرز منجزات السياسة الناصرية الثورية ضد الاستعمار الأمريكي وشركاء فكيف قبلت الأسرة السعودية - واتهامات هيكمل لها معروفة - أن يستعان بها في تحقيق هذا الإنجاز الثوري التاريخي ؟!

ويشهد بغدادى أنه في أكتوبر ١٩٥٥ طلب الأمير فيصل بن عبد العزيز تشكيل لجنة عسكرية مصرية - سعودية لشراء أسلحة للمملكة من دول الكتلة الغربية كما يشهد بغدادى أن الرئيس شمعون وسط عبد الناصر لدى السعودية لوقف الحملة عليه في صحف لبنان . ولكن فيصل (بن عبد العزيز) قال إن شمعون « انجليزي » ويعمل على تنفيذ سياسة الانجليز^{١٤}

في أول مارس ١٩٥٦ طرد « غلوب » باشا أو الحاكم الفعلي البريطاني للأردن وقائد الجيش الأردني والقصة معروفة حول وصول خبر الطرد أثناء مأدبة العشاء لسلاطين لويدي في القاهرة مع عبد الناصر وعامر . واندفع المد الوطني العربي في الأردن فاستقال الوزراء الفلسطينيون الأربعة خلال زيارة الجنرال تمبلر للأردن ، وهي الزيارة التي كانت آخر محاولة من بريطانيا لإقناع الملك حسين بالانضمام إلى حلف بغداد وسجل سلاطين لويدي في مذكراته عن الوزراء « ومن المعتقد أنهم تلقوا رشوة ضخمة من السعوديين » . . وأن الملك حسين قد « أحاط به قرناء السوء »**

في ١٠ مارس عرض نوري السعيد على سلاطين لويدي تنفيذ انقلاب في سوريا إذا ما حصل له على ضمانات بعدم تدخل تركيا أو إسرائيل . . وحصل له سلاطين لويدي على وعد بذلك من تركيا وإسرائيل وكان الموعد المحدد لتنفيذ الانقلاب هو الفترة ما بين ٣٠ سبتمبر و ١٥ أكتوبر ١٩٥٦ .

ووصل المد الوطني في الأردن إلى ذروته بإجراء الانتخابات وفوز حكومة سليمان النابلسي بالأغلبية الساحقة ، وقيام مجلس نياي ناصري - سعودي ، وتوقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسوريا والأردن ، ووضعت القوات العسكرية الثلاث تحت تصرف القائد المصري عبد الحكيم عامر ، فهو الذي يأمرها بدخول الحرب ويوجه تحركاتها العسكرية تماماً كأنها جيش واحد .

ولا شك أن هذه كانت أعلى مرحلة في التضامن العربي ، والتنسيق العربي العسكري ، ولكن « هيكمل » لا يشير إليها أبداً في سجل الانتصارات ، بل يقفز عليها للحديث عن نصف

• بل أجبر في « ملفات السويس » على الاعتراف بأن أول معارضة للحلف جاءت من السعودية .
•• هذه إشارة لنشاط أمريكي - ناصري ستعرض له في موضع آخر .

« مأسورة » النفط ، ولأمر ما ، جدد قصير أنفه ، واشترت المرأة السمسم غير المفشور بالمفشور . . . ١

اكتفى هيكل بإشارة غربية إلى هذا الاتفاق ، وإلى الهدف الذي كان يُرجى منه عندما قال أن السراج « كان يأخذ ميثاق الدفاع المشترك والقيادة المشتركة بين مصر وسوريا والأردن » وهو اتفاق وقع قبل العدوان الإسرائيلي بأيام قليلة مأخذ الجدد « (١١١ ج) .
العفو ! ما هو كان « صغير » وربما لم يكن قد انضبط - بعد - على كل الموجات العاملة مع القاهرة !

ويقول إنه اكتشف في سوريا خطة سرية « لعمل انقلاب في سوريا يتوافق مع غزو مصر » وكان هدفها أن تمنع اشتراك الجيش السوري في المعركة مسانداً لمصر ، إلى جانب الهدف الدائم وهو السيطرة على قلب دمشق » ، ولكن الخطة اكتشفت وأحبطت .

المزامرة صحيحة وقد اعترف بها سلوين لويد وغيره ولكن هل صحيح أدى كشفها إلى إحباط الهدف ؟ وهو منع الجيش السوري من الاشتراك في المعركة ؟
هل اشترك الجيش السوري في المعركة ؟

ومن الذي منعه ؟ ليس نوري السعيد ولا حلف بغداد ولا الرجعية . . بل أمر صريح من عبد الحكيم عامر * القائد العام للقوات المشتركة المصرية - السورية - الأردنية .
لماذا ؟

ويمكن لأي قارئ ملم بأوضاع تلك الفترة أن يقدر مدى التحول في الموقف الذي كان يمكن أن يحدث لو أصدر عبد الحكيم عامر أمره للجيشين الأردني والسوري بالهجوم على إسرائيل خلال استغراق جيشها في أضخم حرب واجهته منذ قيام إسرائيل ، وهي غزو سيناء التي تعادل مساحتها ضعف مساحة إسرائيل ، فالجيش الأردني كان بشهادة الجميع وقتها ، عالي الكفاءة من الناحية العسكرية ، ومتفجر الوطنية شديد الرغبة في غسل عار معارك ١٩٤٨ والانتهاكات التي كبلت له بسبب خيانة قادته الانجليز ، والجيش الأردني ، كما يذكر المعمر ون - كان وقتها على بعد طلقة مدفع من البحر ويستطيع أن يقسم إسرائيل إلى شطرين بظابور دبابات وتأمّلوا الخريطة . . والجيش السوري كان لا يزال بكراً لم تمزقه الانقلابات والمؤامرات والحزبية ، ومواقفه في الجولان كانت تعطيه تفوقاً ساحقاً اعتبر أنه غير قابل للهزيمة « عسكرياً » . . وكان السلاح الجوي الإسرائيلي مازال في بدايته .

تسنى أن يذكر لنا ناصري واحد ما الخسائر المحتملة عسكرياً أو سياسياً التي أراد القرار المصري تجنبها بمنع الأردن وسوريا من فتح جبهتين ضد إسرائيل في عام ١٩٥٦ والتي لم تكن

• بل من عبد الناصر كما اعترف هيكل في « ملفات السويس » .

محتملة في ١٩٦٧ عندما طلب منها الدخول رغم اختلاف الظروف تماماً بحيث كان المكسب في ١٩٥٦ محتملاً والخسارة في ١٩٦٧ مؤكدة بعد ضربة الطيران المصري . . . !؟ ألا يذكرنا هذا بسؤال مايلز كوبلاتند عن « اللغز » في إحجام عبد الناصر عن الحرب مع توافر عوامل النصر ، والانجرار إليها إذا كانت الخسارة مؤكدة !؟

من الناحية العسكرية كان الوضع أفضل بالنسبة للعرب في ١٩٥٦ .
من الناحية السياسية كانت إسرائيل معتدية باتفاق العالم كله لأول وآخر مرة وبقرار إدانة أمريكي ! وكانت مصر وسوريا والأردن أعضاء في قيادة مشتركة تلزمهم جميعاً بالحرب إذا ما اعتدى على أحد الأطراف الثلاثة ، ومن ثم لا لوم ولا مؤاخذه دولية . . بل إعجاب وازرع فيه العرب على المستوى الدولي ، وتعريف العالم أن التضامن العربي والاتفاقيات العسكرية العربية أمور جادة . .
مؤكد أن الوضع العسكري لم يكن ليصبح أكثر سوءاً لو صدر الأمر إلى سوريا والأردن بالهجوم على إسرائيل في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

هذا من الناحية العسكرية التي لا تحتاج لكثير إثبات ، ولكن ، هناك عنصر سياسي خطير ، يتغافلون عنه ولم يطرح أبداً ، وهو ما كان يقلق بال الانجليز واليهود والأمريكان ونوري السعيد وغيره . . خلال فترة الإعداد لغزو مصر . . فالمعروف أن الأردن كان مرتبطاً بمعاهدة دفاعية مع الانجليز ، وباتفاق مع العراق يتضمن دخول الجيش العراقي الأردن في حالة تعرضه لعدوان إسرائيلي ، وذلك بعدما تصاعد عدوان إسرائيل على الأردن قبيل الهجوم على مصر ، حتى ساد الاعتقاد بأن إسرائيل تدبر غزو الأردن لا مصر . . وكان المفروض في حالة وقوع حرب شاملة بين الأردن وإسرائيل أن تصبح كل من بريطانيا والعراق في مأزق حرج . . فإذا كان الجيش العراقي سيجد نفسه مضطراً بحكم الضغوط العربية والشعبية على حكومة بغداد ، أو بحكم وطنية ضباطه ، مشتركاً في المعركة ، فإن بريطانيا كانت ستواجه مأزقاً خطيراً لأنه فضلاً عن استحالة محاربتها لإسرائيل ، كانت في هذا الوقت بالذات تخطط لغزو مشترك مع إسرائيل .

يصور لنا موسى ديان هذا المأزق بعد عشرين عاماً بقوله : « خلال المفاوضات (لتدبير العدوان الثلاثي ج) كان من الضروري أن نعمل على تجنب وضع قد نترلق فيه إلى صدام مع بريطانيا ، قد يؤدي إلى عمل عسكري بريطاني ضدها . وذلك من جراء العلاقة البريطانية - الإسرائيلية المعقدة . فبريطانيا لها معاهدات مع عدة دول عربية قد تمهع لمساعدة مصر ، ولو حدث ذلك فقد ينشأ وضع نكون فيه نقاتل مع بريطانيا في جبهة ، وفجأة نجد أنفسنا مضطربين معها في جبهة أخرى مع الأردن حيث سيقدم له البريطانيون مساعدة عسكرية بموجب معاهدة الدفاع الأنجلو أردنية ، »^{١٥} .

« وكان رأي بن جوريون أن إسرائيل لن تهاجم الأردن إلا إذا هاجمها الأردن ، ومادام لا يسمح للقوات العراقية بالدخول في أراضيه وكان بن جوريون يعتقد أن بريطانيا لديها من النفوذ ما يمكنها من ضمان حياد الأردن وبذلك تمنع تعقيدات لا ضرورة لها ستبطل دخول القوات العراقية في الأردن »^{١٦} .

« وكان العراق والأردن قد أنشأ قيادة عليا مشتركة في يوليو ١٩٥٦ تقرر بها وضع فرقة عراقية متقدمة على الحدود العراقية - الأردنية تكون مستعدة لمساعدة الأردن في حالة الطوارئ » ، ثم اجتمع الملكان حسين وفيصل بن غازي لبحث نقل هذه القوات ذاتها للأردن ، وقد أعلن بن جوريون عن عزمه على التصرف عسكريا لو حدث ذلك »^{١٧} .

إسرائيل كانت مصممة على التصرف عسكرياً لو دخل الجيش العراقي الأردن ، والمعاهدة التي يبرمن بها شرف العرش العراقي ، ونوري السعيد ، والمراهنة على صداقة النظام العراقي معلقة على تنفيذ بند الدخول العراقي في حالة الحرب بين الأردن وإسرائيل . والمعاهدة البريطانية الأردنية ، والبريطانية العراقية وسمعة بريطانيا ، وثقة أصدقائها ، وادعاءات عملياتها كله معلق على امتحان موقفها إذا ما حدث القتال المسلح بين الأردن ثم العراق وإسرائيل « كذلك كان علينا أن نعرف هل ستفد بريطانيا معاهدتها مع الأردن وتتقدم لمساعدته إذا ما هاجم إسرائيل أو إذا تحركت إسرائيل إلى الضفة الغربية رداً على دخول القوات العراقية الأردن » ؟ .

وجاء في مذكرات « هيو جتكيل » زعيم المعارضة البريطانية خلال معركة القناة أنه أثناء حفل العشاء الشهير الذي كان مقاماً على شرف الملك فيصل العراقي ليلة التأميم سأل الأمير عبد الإله السوصي على العرش العراقي عن الأحوال فرد السوصي العراقي (١٩٥٦/٧/٢٦) : « إن الوضع خطير ، والأردنيون قد يقدمون على إجراء « سخيف » ويهاجمون إسرائيل فنجد أنفسنا نجر إلى الصراع . إن هذا مثير للقلق »^{١٨} .

أزمة فعلاً . . ومشكلة خطيرة . . وبين جوريون يراهن على الضغط البريطاني على الأردن لإنقاذ الغرب وإسرائيل والنظم الصديقة من هذه الورطة - الكارثة . . ولكنها مراهنة غير مضمونة ، فالأردن في أكتوبر - نوفمبر ١٩٥٦ لم يكن بالأرض الصالحة لقبول مثل هذا الضغط البريطاني بل الأحرى أن الملك حسين بذكائه المعروف كان سيرفض تنفيذ مثل هذا الطلب ، أما عن الجيش الأردني بقيادة علي أبو نوار الناصري - وقتها - واللاجي - السياسي في القاهرة بعد ذلك ، والحكومة الأردنية حكومة سليمان النابلسي وهو غني عن التعريف فكان يستحيل تصور استجابتها للضغط البريطاني ورفض تنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك .

ورطة حلت بأبسط وأهون ثمن . . مصادفة عجيبة جعلت « الضغط » يأتي من آخر جهة يمكن أن ترد على الخطر ومن جهة لا يمكن اتهام من يطبع أمرها بالخيانة . . من القيادة المصرية المغزوة أرضها ؟ !

نتمنى أن نسمع تفسيراً . . .
 بالطبع لا نريد تفسيراً سوقياً حاقداً من طراز « أمه يهودية » أو عبد الحكيم عامر أصله
 « ايلي كوهين » هذا سخف لا يستحق حتى مجرد السماع فضلاً عن المناقشة . .
 التفسير الذي وصلنا إليه ، أن صفقة تمت بين أمريكا وعبد الناصر ، طالبت فيها أمريكا
 عبد الناصر الأوسع النزاع ، أن يمنع دخول الأردن وسوريا الحرب وهي تتعهد بالباقي . .
 وقد نفذ الطرفان . . ولكن ربح اليهود وخسرنا على المدى القريب والبعيد !

ويلاحظ أن « سلوين لوي » قد أورد قرار عبد الحكيم عامر للجيشين الأردني والسوري
 بعدم دخول الحرب ، ولكنه لم يعلق بحرف على أسباب القرار^{١٩}
 وهكذا لم يكن أمام الضباط السوريين ، إلا مأسورة النفط يفتنون فيها غيظهم ، ويرفعون
 في نفس الوقت سعر النفط الأمريكي بقطع أكبر شريان للنفط الانجلو - فرنسي على البحر
 الأبيض وأقرب شريان لغرب أوروبا إلى جانب سد قناة السويس^{٢٠} . .

إن المساندة العربية الأساسية التي كانت يمكن أن تشكل قاعدة العمل العربي ، وغموضاً
 للتضامن بنموذج الأيام ، وبحسب له العدو حساباً في المستقبل ، المساندة التي كانت مستكبة
 سطور الوحدة العربية بالدم ، متعها عبد الناصر ، وبالتالي لم يبق إلا المساندة بالخطب
 والأغاني والبرقيات ، والنداء « هنا القاهرة » من إذاعة عمان ودمشق عندما ضربت الإذاعة
 المصرية واستقر في ذهن العرب أن « قطع » النفط هو آخر الدواء والحلقة المفرغة التي ترقص
 حولها الأمة العربية دون أي تقدم .

والمسئول عن ذلك هو المؤامرة الإعلامية التي أرادت إخفاء السر وراء عدم تنفيذ اتفاقية
 الدفاع المشترك في أول امتحان للتضامن العربي في ظل ٢٣ يوليو . . بالصخب حول الدعم
 العربي والتضامن العربي ، وبسالة الجيش السوري الذي نسف أنبوب النفط وكأنه جماعة
 إرهابية مطاردة من السلطة !؟

لو طبق الميثاق لعرف العرب قيمة هذه الاتفاقيات و « أخذوها مأخذ الجد » ولعرف العدو
 قيمتها « وأخذها مأخذ الجد » كما يسخر هيكمل من سذاجة السراج^{١٩}
 أيمن أن يقول كاتب جاء « مؤمن » بعبد الناصر والوحدة العربية أن السراج « كان يأخذ
 ميثاق الدفاع المشترك مأخذ الجد » !؟
 يعني إيه !؟

اتفاقية عسكرية وقع عليها رؤساء ثلاث دول والفائد العام في كل جيش وأقرتها السلطة
 التشريعية في كل بلد . . فأي عجب أو غرابة أن يأخذها السراج عل محمل الجد !؟ إلا لأن
 كاتب هذا الكلام يعرف أن الأمر كله نصب في نصب !؟
 على أية حال هيكمل أعنى نفسه من تقديم أي تفسير للسبب الذي لم تنفذ من أجله

الاتفاقية رغم اكتشاف المؤامرة الاستعمارية الرجعية التي كانت تستهدف منع تنفيذها ١٩!

هذا ما كتبناه في « كلمتي للمغفلين » وقد قبل « هيكمل » التحدي ، فتقدم بنفسه في « ملفات السويس » يبرر فيه لماذا منع عبد الناصر الأردن وسوريا من دخول الحرب ضد إسرائيل فأضاع فرصة نصر « محتملة » كما يقول كويلاند ، ومرجحة في رأينا . اضطر هيكمل للرد علينا فقال الآتي :

« لقد فضل جمال عبد الناصر أن تخوض مصر المعركة العسكرية وحدها لأنها لا تستطيع أن تتحمل مسؤولية ما يمكن أن يجري على أرض عربية أخرى قد لا يستطيع أن ينجدها بقوات مصرية في الوقت المناسب ، وكان تفضيله أن تقف الأمة العربية كلها مع الشعب المصري بمشاعرها وبما تستطيع عمله دون القتال المسلح »^{٢٠}
نشاطركم الأحرار .

وهو كلام لا يستحق الرد ، كلام مربب مشبوه . . كان عبد الناصر كان يخوض حرباً من أجل ميراث جده في بني مر ، أو كان الحرب مع إسرائيل قضية مصرية خاصة ومن ثم يتحمل عبد الناصر مسؤولية توريط العرب . . وماذا كان سيصيب العرب أسوأ مما أصاب مصر باحتلال ثمن أراضيها ١٩! ولماذا لم يفكر على هذا النحو في ١٩٦٧ عندما استخدم حتى الكذب لإدخال الأردن في الحرب الخاسرة بل التي كان قد خسرها فعلاً ويعلم ذلك يقيناً !

يرد هيكمل . . إنه منع الأردن من الدخول لأنه كان يعلم بتربص إسرائيل بالضفة الغربية أو أجزاء منها وكان مصمماً على حرمانها من أية فرصة في هذه الظروف^{٢١} .
في انتظار ظروف أحسن ! . . لأنه هو نفسه تخلى عن هذا التصميم واستخدم الكذب لحث الملك حسين على دخول حرب ١٩٦٧ المحتوم فيها خسارة الضفة . .

ففي ١٩٥٦ كان احتلال إسرائيل للضفة محتوم الفشل ، فالأردن كانت تربطه معاهدة دفاعية مع بريطانيا والعراق ، وأهم من ذلك أن العالم كله بما فيه أمريكا كانت ضد احتفاظ إسرائيل بأية أرض تحصل عليها بالحرب ، وأنت نفسك قلت إن بن جوريون قال : « ليس لإسرائيل صديق واحد في الأمم المتحدة »^{٢٢}

وأنت أيضاً نقلت عن ايزنهاور قوله : « إننا لا نستطيع أن نجد أمام العالم أي مبرر سياسي أو قانوني يعطي لإسرائيل حق البقاء في سيناء . إن العالم كله سيتعاطف مع ناصر إذا قرر مواصلة الحرب ضدهم وستكون إسرائيل وحدها بعد خروج الانجليز والفرنسيين من بور سعيد »^{٢٣}

الحمد لله ايزنهاور يفكر مثلنا . . فما الضرر لو كانت إسرائيل فعلاً احتلت الضفة في البداية مثلما احتلت سيناء واشتركت الأمة العربية كلها « بالسلاح » وليس بمشاعرها بأفاجر الادعاء . . ما الضير إذا استمرت المعركة على ثلاث جبهات وامتدت خطوط إسرائيل من

سوريا إلى القناة إلى الأردن ، وخرج الانجليز والفرنسيون واستفرد العرب بإسرائيل خاصة وقد قلت إننا استرجعنا ما خسرناه من سلاح في الحرب (أي حرب ؟ من الذي حارب ؟) ..

الم يكن انسحاب إسرائيل مؤكداً في ١٩٥٦ . . ومحل شك كبير في ١٩٦٧ و ١٩٨٧ . . هل يمكن أن تلغي عقولنا ونقبل ادعاء خوف عبد الناصر على الضفة كمبرر لمنعه شن الحرب الشاملة على إسرائيل في المرة الوحيدة التي كانت عوامل النصر أكثر من عوامل الهزيمة ؟

وانظر ما كتبه « ارسكين تشايلدرز » في كتابه : « الطريق للسويس » تدرك خطورة الوضع على إسرائيل والولايات المتحدة وبريطانيا والنظام العراقي ، وفداحة ما ارتكبه عبد الناصر في حق مصر والعرب والمواجهة مع إسرائيل بقراره الذي أفرغ الموقف من كل عناصر الخطر قال تشايلدرز :

« فالصورة الظاهرية للوضع ، تتمثل في أن إسرائيل قد أقحمت نفسها في هذه الحرب الصحراوية ودفعت إليها بالقسم الأكبر من قواتها كلها ، لتواجه دولة عربية واحدة لها حليفان عربيان أخريان ترتبط معها بالتزامات عسكرية ثابتة وهما سوريا والأردن ، بينما تقوم وراءهما دولة عربية ثالثة هي العراق لا تستطيع تحت تأثير شعبها الوقوف مكتوفة اليدين في أية حرب عربية إسرائيلية شاملة »^{٢٤}

وهذا هو تأثير العلاقة المريبة مع المخابرات الأمريكية ، فلاشك أنها هي التي نصحت بتطبيق « الأزمة » ولن نقول تحت تأثير أصدقاء إسرائيل في ال CIA بل لأنه لم يكن من مصلحة الولايات المتحدة ، اتساع الحرب ودخول أطراف جديدة ، مما كان يعمل إمكانية جادة في انهيار النظام الاستعماري بأكمله في الشرق الأوسط . لو كانت علاقة عبد الناصر بالأمريكان علاقة سياسية مفتوحة ، حتى ولو كانت علاقة تحالف ، مثل إسرائيل ، لكان القرار في يده . ولو كان ممثلوه مع الأمريكان ، هم الدبلوماسيون المصريون أو حتى من العاملين في المخابرات المصرية وليس المخابرات الأمريكية ، ما كان ليتخذ هذا القرار الصارخ الضرر بمصلحة مصر . . فليكفوا عن القول بأنه استخدم هذه العلاقة الشائنة لمصلحة مصر فقد كانت أولاً لمصلحة أمريكا* . . وإسرائيل .

نعود لقائمة الانتصارات :

« إن جو السويس كان هو الاختبار الذي نجح ونضج فيه جيل الخمسينيات في العالم العربي ، جيل جمال عبد الناصر وأحمد بن بيلا وهواري بومدين وعبد السلام عارف

* وبليت تابعه فئة فيلق تطفسر « هيككل » ليدسه في كتابه . ومن ثم فلا حاجة للمرد على الظل . وقد أشبعنا سيده رداً . . ويكفي أن التابع في تسجيل ملحمة عبد الناصر والعرب رأي - تأدياً - حذف إسرائيل وضمها إلى كتاب « خريف عبد الناصر » وهذا وحده يكفي لمن أراد الفهم .

وجامعات الضباط الوجدويين في سوريا والطلائع الملتزمة من حزب البعث العربي الاشتراكي في منطقة الهلال الخصيب ، وهو جيل كتب عليه أن يكون جسرا تمشي - وتدوس أحيانا - عليه أمة بأسرها من مرحلة إلى مرحلة في النضال . كان هذا هو الجيل الذي فتح الطريق تحت شعارات « الحرية والاشتراكية والوحدة » و « من المحيط إلى الخليج » و « بتقول العرب للعرب » و « نصادق من يصادقنا ، ونعادي من يعادينا » و « نحن جزء من حركة الثورة الوطنية في العالم » إلى آخره إلى آخره (هو اللي يقول إلى آخره وليس أنا . ج) وربما كان أقسى نقد يمكن توجيهه لهذا الجيل أنه كان يعرف ما لا يريد بوضوح ولكنه لم يكن يعرف ماذا يريد بنفس هذا الوضوح « إلى آخره إلى آخره وأنا الذي أقولها هذه المرة !

وليسمح لنا أن نضيف إلى قائمة جيل الخمسينيات : عبد الكريم قاسم الذي لا شك أن أثره في العراق ، وفي التاريخ العربي أكبر من أثر عبد السلام عارف الذي جاء وذهب وجاء وقتل ولا أحد اهتم بماذا يريد وماذا لا يريد . . . وإن كان النظام المصري يحمل القسط الأكبر في مسئولية مصيره التمس وفشله ، ولا شك أنه كان بتفجر وطنية ، وإخلاصاً وتديناً ، والحمد لله الذي جعل « هيكل » يسجله في قائمة الشرف ، « وقد كان هذا الهيكل شجى في خلق عبد السلام عارف في حياة هذا المسكين .

أما بن بيلا فلا شك في إخلاصه وحماسة وثورته ، ولا شك أيضاً في أنه بدأ ثورته قبل السويس . . . وتعلم مما يشلوه الناصريون في بابل ما فرق بينه وبين الشعب الجزائري ، فتمكن منه هواري بومدين ابن جيل الخمسينيات ، الذي استطاع بمساعدة مقالات هيكل الاستغزاية ، المتباكي اليوم على بومدين ، والمهاجم له يوم كان رئيس الجزائر ، المهم استطاع بومدين أن يحول الجزائر إلى أكبر قوة معادية لمصر وعبد الناصر ، وهو البلد الوحيد الذي ضرب فيه المصريون بعد هزيمة ١٩٦٧ واعتدى فيه على السفارة المصرية^{٩٢} . . . وتحولت الجزائر من حلم وبهجة وأمل كل عربي ، بل ومن « أكمل نصر عربي حقاً » تحولت على يد الأصفر الحقود إلى شجى في خلق الأمة العربية ، ومصدر الفروقة والتزييف الدائم حتى اليوم في المغرب العربي !

أما جيل ضباط الوحدة في سوريا والطلائع الملتزمة في حزب البعث ، فحدث ولا حرج من الحريري إلى أمين الحافظ وصلاح جديد وباخوس والجندي ولا تنس كمال أمين ثابت . . . وعلى صالح السعدي ونايف كذا . . . والجيل على الجرار . . .

أما أنه لم يجد هذا الجيل ما يسجله له إلا الشعارات (باستثناء بن بيلا) فلا تناقش ، فقط نذكر المواطن العربي بما تحققت منها . . . كل تلك الحريات التي يرفل فيها المواطن العربي والوطن العربي وكل الاشتراكية التي تغمر الأسواق العربية والتي تفوح من سيجار هيكل وبيوته الثلاثة في مدينة القاهرة كما ذكر للمحقق ، وخمس عربات تنتظر على بابه ! أما عن الوحدة من المحيط إلى الخليج فلا ينكرها إلا جاحد لفضل حرب السويس !

وقد - والله - احتار فينا الصديق والعدو ، ولم نجد عند الضيق صديقاً له قيمة يأخذ بيدنا أو يعطينا ريع ما يعطيه العدو لإسرائيل . . . أما بتقول العرب للعرب الذي لم يتحقق إلا بعد أن خففت أصوات هذا الجبل وزالوا من على المسرح ، ونقلص ظلهم من الساحة العربية ، وتحقق على أية حال على يد « شيوخ » لا وجه للشبه بينهم وبين جبل الحسينيات هذا . . . ! إذا كانت هذه هي الانتصارات فأين الهزائم ؟

يقدم لنا هيكل قائمة أخرى من الانتصارات من طراز استطاعة « الاتحاد السوفيتي أن يحقق ويعلن تعادله مع أمريكا » . ويختار الصراف أين يصرف هذا الانتصار بالعملية المصرية ، خاصة وقد أضاف تفسير هيكل حيرة إلى الحيرة إذ قال وهي « التي فتحت باب الوفاق » ! فهل كان الوفاق لصالحنا ؟ !

ويصر على أن يسجل علينا في قائمة الانتصارات : « انقسام العالم بين روسيا وأمريكا ، وقرار فرنسا والصين بناء قوة نووية مستقلة » . ونحول بريطانيا وفرنسا إلى دولة من الدرجة الثانية ، وسقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة ، وتدعيم الإنحياز نحو السوق الأوروبية ، وتحرير المستعمرات في أفريقيا وأمريكا اللاتينية وظهور لومومبا ونكروما ونيريري (١٩ ج) وفيدل كاسترو ، وأن السويس كانت آخر صراع شارك فيه العمالقة « في ميدان القتال كان هناك جمال عبد الناصر من ناحية ، وعلى الناحية الأخرى دافيد بن جوريون ، وأنطوني أيدن وجي موليه » وطبعاً لا أحد يقول إن « جي موليه » كان عملاقاً ، ولا أحد يذكر اسمه الآن إلا بالعدوان على مصر . . . وأيدن سماه عبد الناصر « الخرج » فمن أين جاءت العملاقة ؟ ! كلام وحذلقه وخلي بتفكه بالأم الشجي المصري !

على أية حال هذه لم تكن سوى المقدمة . . . والكتاب في ثلاثمائة صفحة ! ويبدأ الفصل الأول بالحديث عن إسرائيل ، وهو ما نحمد له ، فهي حقاً جوهر القضية ، وللب المعركة . . . ويقرر لنا أن « شركاء الحرب ضد مصر في سنة ١٩٥٦ كانوا أربعة ولم يكونوا ثلاثة كما هو شائع في تعبير العدوان الثلاثي »^{٢٥} .

الله أعلم بعدتهم ! والله على الذي حاول إخفاء الشريك الرابع عشرين سنة . . . وأطلق على الحرب اسم « العدوان الثلاثي » وغنى له « ٣ دول متقدمة بآبور سعيد . . . الخ والشريك الرابع الذي يكشف عنه هيكل الستار ، هو أمريكا بالطبع ، الذي يؤكد لنا أنها : « سارت شوطاً على طريق السويس ، ثم تخلت عنه إلى طرق أخرى ظنتها أسرع نقاداً إلى القاهرة » وهذا هو الخلط حقاً . . . خلط نتائج صحيحة بمقدمات خاطئة ، ومقدمات معروفة ب نتائج مزورة ، وسنشرح ذلك بالتفصيل ، فالولايات المتحدة كانت نافذة إلى القاهرة . . . ولكن بغير هذه الصيغة السوقية المضللة ، والحق أن « هيكل » لا يقدم جديداً فاتهم أمريكا بالمساهمة في العدوان الثلاثي وحلف بغداد وجميع المؤامرات ضد السلطة المصرية في تلك

الفترة مطروح في الإعلام الناصري بوضوح منذ عام ١٩٥٧ وبشكل منقطع ومتحفظ أحياناً قبل ذلك وبالذات منذ ١٩٥٥ .
يقول : « كانت إسرائيل أمام الجميع على طريق السويس بحكم اهتمامها الذي لا يدانيه اهتمام بكل ما يجري في مصر » .

وهذا صحيح القأ في المائة . . والكارثة أنهم يعرفون ، وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم .
ألم يكن الواجب ولو من باب المجاملة أن تهتم بمن يهتم بنا ؟ !
وستؤجل حديث « الاهتمام » وإنما نكتفي حالياً بذكر عدة نصوص :
« كان لدى المخابرات المصرية تقرير من تقدير المخابرات البريطانية جاء به : « ليس لدى مصر أية نية في الاعتداء على إسرائيل ، وأنها ليست مستعدة لذلك بخلاف موقف إسرائيل واستعدادها »^{٢٦} .

في سنة ١٩٥٥ وبعد ما قطع بن جوريون عزله في مستعمرة سد بوكر بالنقب ليعد العدة لضرب مصر الضربة القاتلة . . يقول هيكسل : « كان عبد الناصر يقول إنه لا يشغل نفسه بإسرائيل ، وإنما يركز على التنمية الداخلية في مصر وأنه لذلك خفض ميزانية القوات المسلحة بخمسة ملايين جنيه عن السنة الماضية ، لا اعتقاده - كما قال عبد الناصر نفسه - أن إسرائيل ليست خطراً على مصر إلا لأن مصر ضعيفة اقتصادياً واجتماعياً »^{٢٧}

فالرئيس عبد الناصر :

١ - لا يشغل نفسه بإسرائيل .

٢ - لا يفكر في مواجهة عسكرية معها ، لا ابتداء من جانبه ، ولا حتى في احتمال أن « نحن » هي ونهاجمه ولذلك بدأ بضعف قدرة مصر العسكرية بخفض ميزانية القوات المسلحة ، وسحدث هذا - للمصادفة - مرة أخرى في نفس السنة السابقة على حرب ١٩٦٧ وسيلفي بند بناء الدشم التي تحمي الطائرات المصرية لتوفير النفقات اللازمة للحرب في اليمن* . . . !

٣ - ونحن نعرف أن الزعيم الخالد لم يصمد طويلاً على هذا التصور ، وهو الرغيف قبل المدفع ، أو المصنع قبل الدبابة ، لأنه بعد قليل من ذلك الإعلان والخفض في ميزانية السلاح ، عقد صفقة السلاح السوفيتي التي قدرت الدفعة الأولى منها بستين ضعف ما خفضه لزيادة التنمية الاقتصادية والاجتماعية . . ومع ذلك فنحن نعتقد كما ستبت أن صفقة السلاح الروسي كانت تهريباً من المواجهة وليست سعيًا لها . . المهم أن القيادة الجديدة لمصر جاءت إلى السلطة وهي غير منشغلة بإسرائيل واستمرت على عدم شغل البال هذا حتى

* حكومة ما قبل الثورة اعتمدت ٥٢ مليون جنيه للتسلح .

قدفنها إسرائيل بالقارعة تلو القارعة . . . ففرت أن تشغلنا بإسرائيل بدلاً من أن تشغل هي بإسرائيل . .

في ١٩٥٥ قال « محمود فوزي » الذي يسيء إليه هيكمل بالثناء عليه ، ولا تدري لماذا ؟ . . قال فوزي لسلاطين لويدي « ما من حكومة مصرية سبقت بها الجنون يوماً إلى حد شن هجوم مسلح على إسرائيل » .

بعد الشر عليكم من الجنون . . والمجنون راح والحمد لله . .
ويقدم لنا هيكمل خطة مصر ضد إسرائيل . . آسف هذه لا وجود لها . . أقصد يقدم لنا خطة إسرائيل ضد مصر ، التي كانت تتوقع أن تستمر مصر ، قائدة العالم العربي والوحيدة القادرة على شن هجوم عليها إلى نهاية هذا القرن .
ونقرأ الخطة ونحنا هل كانوا فعلاً يعرفون ذلك ففعلوا كل ما يؤدي إلى تحقيق خطة إسرائيل ؟ . .

فهذه خطة إسرائيل وأهدافها بالنسبة لمصر كما أوردها فيلسوف الناصرية وصوتها الداوي :

١ - إبقاء مصر ضعيفة متخلفة غير قادرة على إقامة البناء الاقتصادي الزراعي والصناعي المتطور ، وباختصار أن يظل الإنسان المصري كياناً مقهوراً مطحوناً عليلًا غائباً عن الوجود الحضاري بكل قيمه ، ثامناً كتلك الصورة التي رسمتها جولدا مائير في كتابها حياتي الذي وصفت فيه الناس داخل محطة سكة حديد القاهرة حين وصلت إليها في العشرينيات في طريقها إلى فلسطين . . أكوام من اللحم والعظم المغطى بالتراب والذباب . .

أليست هي جولدا مائير التي زعمت الرواية المصرية أنها قالت عن مصر الناصرية : « لما يتعلموا يركبوا الأتوبيس نبدأ نخاف منهم » هل كانت حالة مصر عند وفاة عبد الناصر أفضل بكثير منها قبل ثلاثين سنة . . هل كانت أكوام اللحم داخل وخارج وعلى سلم وفوق سطح الأتوبيس أفضل ؟ هل تقدمنا بانتقال أكوام اللحم من المحطة إلى سطوح القطارات تحصدنا أعمدة الكباري وتلقيها على جانبي القطار للذباب ؟ ! هل كانت القاهرة في العشرينيات كما تركها عبد الناصر « أفقر ، عاصمة في العالم العربي ؟ ! هل مرت فترة كان فيها المصري كياناً مطحوناً عليلًا غائباً عن الوجود الحضاري بكل قيمه مثلما أصبح في الفترة التي مرت به من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٦ . . ؟ !

٢ - إبقاء مصر معزولة عن بقية العالم العربي . .
وهي عناوين وضعنا فيها مؤلفات ، ولكن يكفي أن نقدم صورة لوضع مصر والعالم العربي في عدوان ١٩٦٧ .

كانت مصر قد انسحبت من مؤتمر القمة العربي لأنه « أصبح مظلة للرجعية العربية » وانسحبت من مؤتمر القمة الأفريقي « بعد أن تأكد لها أن استمرار حضورها أصبح غير ذي

فائدة^{٢٧}، وأعلن عبد الناصر أن القوات المصرية باقية في اليمن ، ووصل الخلاف مع السعودية إلى ذروته ، وعشية هجوم إسرائيل كان عبد الناصر يسب الملك فيصل في « القاعدة العسكرية المتقدمة » في سيناء ويطالبه بأن يطلب من صديقه شاه إيران . . الخ .

وعندما وصل الملك حسين إلى القاهرة في ٣٠/٥/١٩٦٧ كانت علاقاته متدهورة مع مصر^{٢٨} إلى حد أن داعبه عبد الناصر بقوله « ما رأيك لو قمنا باعتقالك ؟ »

وكانت هناك أزمة حدود مع السودان بسبب حلايب ، أوشك الجيش المصري أن يتدخل فيها كما صرح زكريا محيي الدين وذلك في الأسبوع الأول من مايو ١٩٦٧ !! والعلاقات مقطوعة مع تونس وفي أسوأ حالاتها مع المغرب بعد أن حاربناها من أجل الجزائر ورفعنا شعار الحسن والحسين . . الخ ثم خاصمنا الجزائر من أجل بن بيل .

هذا بعض من فيض يؤكد أن هدف إسرائيل رقم ٢ في خطة هيكل ، قد تحقق ربما بما يفوق أحلامها !

يقول : « كانت إسرائيل تريد أن تظل اتهامات القاهرة متجهة إلى الخرطوم في الجنوب على أقصى تقدير تحت ضغوط وادي النيل أو أوهايم وحدة التاج بين مصر والسودان ، وفي نفس الوقت تبقى صحراء سيناء عازلاً يفصل ما بين المشرق العربي في آسيا والمغرب العربي في أفريقيا ، كان لابد للصحراء العازلة أن تكون فراغاً من أي قوة ، ومنذ ذلك الوقت المبكر اتخذت الاستراتيجية الإسرائيلية من صحراء سيناء مقياساً للأمن والخطر ، إذا كانت الصحراء فارغة من مظاهر القوة فهو الأمن ، وإذا امتلأت الصحراء فهو الخطر » .

الحروف السوداء من عندي وهي لإبراز أنه في أقل من ستة سطور وصف سيناء بالصحراء خمس مرات ، لم يخطئ مرة واحدة ويقول « سيناء » وهي المحافظة الوحيدة في مصر التي تضم البحر والجبل والخليج .
نناقش هذا الافتراء . .

١ - هل صحيح كانت مصر تنحصر اهتماماتها في الانجلاء للخرطوم ؟ . . ومن الذي أنشأ الجامعة العربية ؟! وهل قدم النظام الناصري مؤسسة أو صيغة للعمل أكثر عروبة وأفضل نتائج من الجامعة العربية ؟! ما هي ؟!

الجمهورية العربية المتحدة ؟ . . التي قصفت في عمر الورود وأخرت قضية الوحدة إلى نهاية هذا الجيل على الأقل . . وأصابته التضامن العربي بأمراض لم يشف منها إلى الآن ؟! أما سخرية هيكل من وحدة مصر والسودان فتلك قصة أخرى ، والحديث ذو شجون سنتلو عليكم نبأها في فصول أخرى ويكفي أن نقول هنا إنه يوم صدور مراسيم إعلان وحدة مصر والسودان تحت التاج المشترك التي هزت قلب كل مصري من الأعماق . . كان هيكل هو الوحيد الذي هاجمها في منزل مندوب المخابرات الأمريكية ، وهاجم الدور المصري في السودان ، وقال « إن السودان لا يكسب شيئاً من علاقته بمصر بل هو يخسر ومصر تكسب »

حتى تعجب السفير الأمريكي ، ونقل دهشة لحكومته ، أن يصدر هذا عن مصري حتى ولو كان هيكلاً ١٢٢١ .

هل صحيح كانت إسرائيل تريد وحدة وادي النيل ، لتتغلل بها عن الوحدة العربية ولكي تبقى « صحراء » سيناء فارغة من القوة ؟

لماذا تصرفنا وحدة وادي النيل عن العمل العربي ؟ بالعكس إنها تعطي مصر عمقاً طبيعياً يجعلها أقوى في مواجهة إسرائيل وأكثر قدرة استراتيجياً ، ويلقي عليها مسؤولية أكبر ، وتقديراً أكبر لأهمية العمل العربي ودورها القيادي فيه ، ويجعل لهذا الدور قبولاً أكثر وحجة أقوى . ويجذب إلى ساحة العمل العربي في الشمال ، طاقات السودانيين البكر ، ورجولتهم ، ونقاءهم وحماستهم ، وإيمانهم القومي والديني . ويحضر دم العروبة في شرايين الوجود الأفريقي . .

وتخيل دولة وادي النيل جذورها في قلب أفريقيا وفروعها ممتدة من خليج العقبة إلى ليبيا ومن العريش إلى السلوم على البحر الأبيض وتسيطر على ساحل البحر الأحمر الشرقي كله تقريباً وتضم ما يقرب من مائة مليون ورقة زراعية أكثر من ٢٠٠ مليون فدان . .

تخيل أن هذا ما كانت تتمناه إسرائيل لمصر لكي تشغلنا عن التعاون مع جورج حبش وعلي صالح السعدي ؟ ولكي نحرم من حوار مباحثات الوحدة الثلاثية ؟

إن أول خطوة لعلاج التدهور الثقافي في مصر هو تشكيل لجنة تفصي حقائق لبحث التكوين العقلي لقراء هيكلاً ١

على أية حال ، الحمد لله الذي اختص بالحمد على المكروه ، فشل كيد بني إسرائيل وانصرفت اتهامات القاهرة عن الخرطوم ، وتحررنا من « ضغوط وادي النيل » وهي من باب « صاحبت العتاريف وحفظلم » . . إذ لا أحد يفهم ماذا يعني بضغوط وادي النيل ، وكأنها غازات والعباذ بالله !

وزالت أوهام وحدة مصر والسودان مع زوال الناج المشترك .

فماذا تحقق ؟

هل ملأنا « صحراء » سيناء بالقوة ؟

هل زال وضع « الصحراء » كعازل بين آسيا وأفريقيا ؟

ما الذي اتخذته الناصرية من إجراءات للقضاء على هذا العازل ؟

كم عدد المستوطنات التي أقامتها مصر في سيناء من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ ؟

كم عدد السكان الذين نقلتهم إلى هناك ؟

كم مدينة جديدة بنيتها . . كم من المطارات المدنية وخطوط الطيران التي كانت تطير من

* بل لقد كتب هيكلاً أكثر مما كتب المثقفون العرب مجتمعين . . فهل له مقال واحد حول أهمية وأسلوب تعمير سيناء ؟ نتمنى أن يدلنا أحد . .

العريش لعمان ولبنان والرياض وكم عدد الخطوط البحرية بين شرم الشيخ وبور سودان وجدة والعقبة ؟ ١٩ ما الروابط التي أقامتها مصر في سيناء لتربط بين المشرق العربي والمغرب الأفريقي عبر « الصحراء » ؟ ٢٠

ما العازل ؟ وإلا : « إنشا ورص كلام » كما كانت تقول أغنية أعياد النصر ؟ ٢١ وكيف يبقى العازل وكيف يزول ؟ ٢٢

إسرائيل عندما أرادت أن تزيل سيناء كمعازل فعلت الآتي :

١ - أقامت خط بارليف لكي لا يعبر المصريون من أفريقيا إلى آسيا فهل أقمنا خطاً مماثلاً

عند حدود إسرائيل مع سيناء أم وضعنا البوليس الدولي ؟ ٢٣

٢ - فتحت الحدود بين إسرائيل وسيناء فأصبح اليهودي ينتقل من تل أبيب إلى شرم الشيخ

والعريش بلا إذن مرور .

فهل ألغت الثورة هذا . . أم حتى يونية ١٩٦٧ كان المصري يدخل سيناء بترخيص خاص

وكان الجمرك عند « حدود مصر » أي قناة السويس !! وحتى مايو ١٩٦٧ قامت أزمة كبرى

مع أهالي سيناء لأن الحكومة طالبتهم ببطاقات شخصية للنساء وهو ضد تقاليدهم ،

وإلا منعوا من عبور القناة و « دخول مصر » ! ألم تكن لسيناء إدارة خاصة في جاردن سيتي

تصدر إذن الدخول للمصريين ؟ ٢٤

٣ - أقامت إسرائيل المستوطنات وأسكنت فيها اليهود فهل فعلنا ذلك ؟ أم صرفنا انتباه

المصريين عن سكنى سيناء باختراع أوهام تصرف نظر المصريين تماماً عن سيناء لكي تبقى

فارغة حضارياً وبشرياً في انتظار « الموعد » ومنذ العشرينيات أو الثلاثينيات والمصريون

واللبنانيون والسوريون بصرخون : عمروا سيناء ، عمروا جنوب لبنان . . عمروا الجولان

لكي لا تأخذها إسرائيل « أرضاً بلا سكان » ولكن حكومات ما قبل يوليو كانت مشلولة

الإرادة بفعل ثمانين ألف عسكري أجنبي . . أما حكومة الثورة فمرة تخرج علينا بمديرية

التحرير ، ومرة تصرعنا بالوادي الجديد وأن به نهراً يضرب نهر النيل على عينه . . كل هذا

لحرف الأنظار عن أهمية وإمكانية سكنى سيناء وتعميرها وهو ما أثبت اليهود أنه ممكن وأن الماء

متوافر والإنتاج سهل ومريح .

من الذي أبقى سيناء خالية وحاجزاً . . وهل يمكن أن نكون « الصحراء » إلا خالية

وحاجزاً ؟ هل وضع مليون عسكري فيها بلغني الحاجز ؟ ٢٥ اقرأ ما يكتبه اليهود على اختلافهم

من غزل ومعرفة بكل حجر في سيناء . . وقارن هذا بإصرارك على أنها « صحراء » وماكتبته

بيمينك أنت وصبيتك على أنها « عيب » ٢٦

٤ - إسرائيل أقامت الفنادق والشركات السياحية ، والمصايف والمشاتي في سيناء . . فهل

فعلنا ذلك ؟ إسرائيل ربطت سيناء بشبكة مواصلات إسرائيل البرية والجوية والبحرية فهل

فعلنا ذلك ؟

إسرائيل درست ودرست تاريخ سيناء وجغرافيتها ، ووضعت لها أسماء مزورة حتى « نيران » اكتشف بن جوريون عشية غزوها في عام ١٩٥٦ وهو في الطائرة المتجهة إلى باريس لتنظيم العدوان الثلاثي ، اكتشف أنها كانت مقر مملكة يهودية في القرن الخامس الميلادي اسمها « بونفات » والشعب فات فات ١١ وأنت لا تكف عن لعنها بالصحراء . . ومن يتم بالصحراء ١٩

من الذي قال إن امتلاء سيناء بالقوة يعني الحشد العسكري الذي سرعان ما يتبخر عند أول هزيمة . . ونبقى « الصحراء » وحدها لا نجد من يحميها . . لو كانت الثورة أسكنت ثلاثة ملايين مصري في سيناء - وهو هدف ممكن جداً - لاستحال على إسرائيل غزوها أو البقاء فيها آمنة ما يقرب من ١٥ سنة ١٩

نتابع خطة إسرائيل تأليف محمد حسين هيكل :

- يقول إن إسرائيل كانت تفضل أن تبقى مصر في دائرة النفوذ الغربي « وكان المكروه باستمرار أن تكون لمصر صداقات دولية خاصة ، وبالأدوات مع القوى العظمى البارزة ، وفي وقت من الأوقات خشيت إسرائيل من صداقة خاصة بين مصر والولايات المتحدة ، ولكنها لم تلبث أن اطمأنت بفهمها أن مثل ذلك ضد حركة التاريخ في المستقبل الحربي على الأقل ، ثم تحولت خشية إسرائيل إلى صداقة خاصة بين مصر والاتحاد السوفيتي » .

أما أن إسرائيل كانت تخشى أن تقوم صداقة بين مصر والولايات المتحدة ، أو بمعنى أدق علاقة خاصة بين مصر وأمريكا فهذا صحيح . . أما أنها حضرت أرواح التاريخ ورأت أن ذلك ضد حركة التاريخ ، فهو تضليل ، بل عملت بجهد خارق في الولايات المتحدة ، وعلى الحدود ، وفي شوارع القاهرة والألكندرية (عملية لافون مثلاً) وفي جهاز الحكم المصري ، كما ستكشف الأيام ، لنسف هذه الإمكانية .

أما أن إسرائيل كانت تخشى قيام صداقة خاصة بين مصر والاتحاد السوفيتي ، فهذا صحيح شرط أن نحدد معنى « خاصة » أما الصداقة التي قامت في ظل الناصرية بين مصر وروسيا فهي عين وصميم ما أرادته إسرائيل وسنشرح ذلك بالتفصيل في موضعه . .

ثم يروي لنا قصة دارت بين « نورين بيفان » النجم الساطع في حزب العمال البريطاني (غير عملية النجم الساطع التي قام بها الجيش الأمريكي بالاشتراك مع القوات المصرية ج ١١) والسرदार بنكار سفير الهند وقتها .

وهي قصة مريبة تثير علامات استفهام غريبة ، فهو يقول إنه قضى ليلة كاملة في السفارة يحاول إقناع بيفان بأن ينصح الإسرائيليين بالاهتمام بما يجري في مصر ١١١

حتى ضاق بيفان به فدعا (وهذا نص كلمات هيكل ، ويكاد المريب يقول خذوني) « وراح بيفان » أمام « بانكار » يسألني باستغزاز : « لماذا تريدكم هناك في إسرائيل أن يحسبوا حساباً لما جرى هنا . لست أرى أمامي هنا في مصر ثورة ، ما أراه هو واجهة ثورة ، وليس

مضمون ثورة ، وهذه هي البيانات الصادرة عن النظام الجديد ، وهذه وثائقه أمامنا فأرني فيها أية اتجاهات ثورية تخيف عدواً أو تثير بجد - اهتمام صديق ؟^{٢٨} بحرقه .

لماذا قضى هيكمل ليلة كاملة في السفارة الهندية يحاول إقناع من وصفه هو بأنه « كانت صداقته مع دافيد بن جوربون وثيقة » . . لماذا كان يحاول إقناعه بأن ماجري في مصر يشكل خطورة ، أو مصلحة لإسرائيل ، ومن ثم يجب أن تهتم إسرائيل بذلك ونحسب حسابه ؟ لماذا ؟ ولمصلحة من ؟ . . وخوفاً على من ؟ . . أو خوفاً على ماذا ؟ كان يخشى أن تهمل إسرائيل شأن ماجري في مصر ؟ . . فتضيع الفرصة ؟

الوطني العادي يدعو الله أن يعمي عيون إسرائيل حتى يتم أمره !
تفسير واحد ، هو أنه كان مكلفاً أو متطوعاً بإغراء صديق إسرائيل بأن يبلغهم بأن صفحة جديدة قد فتحت في مصر ، يمكن أن تقوم معها علاقات جديدة حتى يشغل البلدان « في التنمية والعدالة الاجتماعية » ؟

أم هل يمكن تقديم تفسير آخر ؟
وهنا يطرح هيكمل واقعة وقفنا طويلاً أمامها ونحن نحاول أن نفهم ماذا يقصد من إثارة الغموض والحيرة إن لم نقل الفزع حول تاريخ الزعيم الخالد في حرب فلسطين* . . فهو يقول : إن بن جوربون بدأ يطلب معلومات عن عبد الناصر ، فتقدم إليه أثنان في إسرائيل كلاهما قابل جمال عبد الناصر على نحو أو آخر . .
لماذا هذا التعبير بالذات « على نحو أو آخر » ؟ لماذا ؟ ما النحر . . وما الصرف . . أو وما الآخر ؟

« أولها ضابط مخابرات إسرائيلي اسمه « يوريان كوهين » والثاني ضابط إسرائيلي كبير أصبح الآن نائباً لرئيس وزراء إسرائيل ووزيراً للخارجية وهو ايجال ألون » .

وقال إن ضابط المخابرات « يوريان كوهين » اتصل عدة مرات بعبد الناصر الذي لفت نظره (أي لفت نظر المخابراتي اليهودي ج) خصوصاً عندما سأله عبد الناصر في أثناء استراحة للجنة الاتصال عن « الأساليب التي استعملتها الجماعات الإسرائيلية المقاتلة ضد الانجليز في فلسطين ما بين نهاية ١٩٤٦ ومنتصف سنة ١٩٤٨ »^{٢٩} .

وإيراد الرواية بهذا الشكل يوحي ، أو يقصد بها أن توحي بأن الجو صار من نوعية خاصة بين جمال عبد الناصر « أركان حرب الكتبية السادسة المشاة المتمركزة ما بين عراق المنشية والقالوجا في حرب فلسطين ١٩٤٨ » وبين ضابط المخابرات الإسرائيلي ، إلى درجة نسيان

* الحقيقة أنها لم تعد غامضة تماماً الآن ، إذا ما استرجعنا انبهار علاقته بالزعيم قبل وفاته وترصد كل منها بالآخر .

نفسية القتال ، وظروف اللقاء ، والحديث في القضية الوطنية ثم طلب الخبرة الإسرائيلية في مقاومة العدو المشترك . . . الاستعمار البريطاني . . . إذ لا يعقل أن أركان حرب العدو المحاصر سيستوقف ضابط مخبرات العدو قائلاً : « تسمح من فضلك كتم بتحاربوا الانجليز ازاى ؟ » . . . لابد من تعارف وحديث وانفتاح ومصارحة حتى يصل الأمر إلى طلب عبد الناصر نصيحة المخبرات الإسرائيلية في تنظيم إخراج الانجليز . . . !! وهذه خبرة لا يقال على فنجان قهوة في استراحة ما بين جلسات المفاوضات . . .

ولا تقتصر رواية هيكل على هذا اللقاء ما بين عراق المنشية والفالوجا أي في منطقة القتال أو الأرضي الحرام ، بل يؤكد لنا هيكل أن عبد الناصر وكوهين التقيا مرة ثانية « داخل إسرائيل » حيث قضى عبد الناصر ليلة كاملة بنهارها أو بنص تعبيرة « ٢٤ ساعة في الأرض المحتلة من التقب » . . .

والسبب أن عبد الناصر ذهب إلى هناك ليرشد اليهود إلى مقبرة كانت قواته في الحرب قد دفنت فيها أكثر من أربعمائة وخمسين جثة .

على أن رواية هيكل القصة على هذا النحو لا يمكن أن تكون بريئة القصد ، إذ أنها تتبرأ أكثر من سؤال . . . فما دخل رئيس الأركان في المقابر ؟ هل دفن عبد الناصر الأربعمائة وخمسين قتيلًا وحده ؟ لم يشاركه فيها ضابط برتبة صغيرة أو صول . . . حتى لا يعرف أحد المكان غيره فيذهب بعد ستين ليرشد اليهود عنه ؟ حتى لو أضاف هيكل أنه « ذهب بتكليف من قيادة الجيش المصري » . . .

المهم أنه من « محاسن الصدق » أن يجد عبد الناصر نفس الضابط « يوريهان كوهين » في انتظاره ويمضيان ٢٤ ساعة كاملة داخل إسرائيل . . . ؟ !

ولم يصف هيكل شيئاً عما جرى من حوار في تلك الليلة ، لعله احتفظ به ضمن أوراقه التي قال إنها محفوظة خارج مصر* . . . وهذا هو « النحو » الذي عرف فيه كوهين عبد الناصر أما « النحو الآخر » عن لقاء الجبال ألون فلم يذكر عنه شيئاً^{١٩} . . . !

ويختم حديثه هذا بقوله : « وكان بن جورويون على استعداد لأن يسمع كل من يستطيع أن يضيف إلى معلوماته شيئاً عن جمال عبد الناصر » ثم سطرين فقط ١٩

ولا حاجة للنقط والغموض . . . فحتى لو حكم مصر محمد حسين هيكل أو جمال سليم لكان على رئيس وزراء إسرائيل أن يسمع عنه كل شيء فهذا ليس الدليل على أهمية عبد الناصر ولا أهمية الثورة ، فتلك قضية لا نحتاج لشهادة بن جورويون ، ولكنه دليل أهمية

• ربما يستخدمها لتهديد عائلة عبد الناصر مقابل وثائق عند هذه العائلة ضده . . . على أية حال لقد عقدنا فصلاً خاصاً حول علاقة عبد الناصر بإسرائيل في موضع آخر من هذا الكتاب بعد الوثائق الجديدة التي نشرت .

مصر ، ودليل بقطعة وتنبه الحكم في إسرائيل . . ولا يتقص من أهمية إسرائيل أن يحكام مصر كانوا عنها في شغل يساع كل ما يمكن أن يضيف إلى معلوماتهم شيئاً عن فؤاد سراج الدين أو تنظيم الإخوان السري ، أو محمد نجيب ١٩ ثم نوري السعيد وشمعون . . الخ . .

بن جوريون أوب . ج . كما يسميه الكاتب الظريف ويعرفنا أنه اختصار اسمه . كان يعيش في « هم » مصر ٢٤ ساعة وهو خارج الحكم حتى أنه « حول مستعمرة » سدبوكر « إلى مركز قيادة عليا سياسية وعسكرية . . » بينما يورد هيكل بالمقابل النص الذي أشرنا إليه من قبل على لسان عبد الناصر الذي يقول فيه : « إنه لا يشغل نفسه بإسرائيل » ! . . ثم يكرر « مع سنة ١٩٥٤ كان بن جوريون ووراء القيادة السياسية والعسكرية في إسرائيل مشغولين بجمال عبد الناصر قبل أية ظاهرة أخرى في المنطقة » .

صادق !

كل القيادة السياسية والعسكرية في إسرائيل لا تنام الليل من التفكير في عبد الناصر وبالمقابل لا أحد يفكر في بن جوريون أو إسرائيل وبالذات في عام ١٩٥٤ العام الحافل بالإنجازات الثورية . .

فإذا كانت النتيجة . . ؟

للأسف . . إنها معروفة لأنها حدثت . .

يقول هيكل :

« في سنة ١٩٥٤ كان بن جوريون في مستعمرة سدبوكر - لا يزال بمطر رئيس الوزراء موسى شاريت بالمذكرات المكتوبة يسأله : « هل اتخذت الحكومة الإسرائيلية كل الاحتياطات الواجبة عليها إزاء مثل هذا التطور (جلاء الجيش البريطاني عن مصر . ج) .

هل عرفنا ما الأشياء ؟ . . أسلحة ومعدات ومخزون عسكري ، التي تركها البريطانيون في القاعدة . . هل أخذت بريطانيا تعهدات كافية لحرية ملاحقة إسرائيل » الخ الخ . .

في الحقيقة كانت سنة ١٩٥٤ حاسمة في إسرائيل ، وكان الخلاف في القيادة بين بن جوريون وشاريت وبين موشى شاريت وتيار الحثائم كما يسمونهم : بين

بن جوريون وشاريت ، وبين لافون وموشى ديان ولكنه كان خلافاً على مصر والعرب . . ولجأ بن جوريون إلى عزله ليعود العدة لتطهير إسرائيل من أمراض وأوهام الطفولة ، جماعة

الحالمين بالتعايش مع العرب ، والعاطفين على الاتحاد السوفيتي وحركة السلام . . تأكيد وحدة إسرائيل والقضاء على أية إمكانية للانقسام قبل سحق قوة العرب العسكرية واستئصال

حتى مجرد طموحهم في مقاتلة إسرائيل . . ولم تتم هذه النصفية بالمعتقلات والسجون بل بتصفيد المواجهة مع العرب ، وخاصة مصر ، لأن الوحدة الوطنية لا تتحقق إلا في مواجهة

العدو الوطني . . وفي هذا الوقت ألف مناحيم بيجين كتابه الذي قال فيه : « في إسرائيل لا يوجد عمال ولا رأسماليون بل وطنيون فقط » .

لقد استطاع بن جوريون في الفترة من يناير ١٩٥٤ - عندما اعتزل الحكم إلى فبراير ١٩٥٥ عندما عاد بدرجة وزير دفاع وهو مؤسس إسرائيل ، ولكنه لم يتم بالانقلاب والأقدمية ، التي كانت الشغل الشاغل لمجلس الثورة . . استطاع أن يضع استراتيجية الامبراطورية الإسرائيلية التي نفذت خلال الثلاثين عاماً التالية .

ترى ما الاهتمامات المقابلة للقيادة المصرية في عام ١٩٥٤ . . نسمع شهادة بغداددي :
بدأ عام ١٩٥٤ والخلاف على أشده بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر ، بعدما حلت الأحزاب وقبض على القيادات السياسية المدنية وألغى الدستور . .
يختتم بغداددي تاريخه لعام ١٩٥٣ بتقرير أن سياسة جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر « قد أدت إلى إفساد الجيش مما ترتب عليه نتائج وخيمة عسكرية وسياسية مما يستطع للقارىء من خلال هذه المذكرات »^{٢٠} .

وهذا بالطبع نتيجة وسبب « لعدم الانشغال بإسرائيل » . . وانشغلت القيادة المصرية في صراع مصري ، على السلطة فيما بينها ، وفيما بينها وبين بقية القوى السياسية المصرية وكانت المؤامرات على جميع المستويات .

« جمال عبد الناصر تكلم مع هيكمل وأحمد أبو الفتح ، وطلب منها عدم نشر أحاديث وصور محمد نجيب . وأنور السادات لمح هو الآخر إلى « أحمد الصاوي محمد » بجريدة « الأهرام » وسأل بغداددي عن مدى علم مصطفى أمين وعلي أمين بذلك الأمر « فأبلغني جمال عبد الناصر أن هيكمل أبلغهما ، وأنه - أي جمال - يثق بهما »^{٢١} .
وكان محمد نجيب لا يزال رئيس الجمهورية الشرعي . . !

« وفي اليوم التالي لهذا الحديث مع جمال (عبد الناصر) كنت أتحدث مع زكريا وحسين الشافعي عن هذا الخلاف الذي بدأ يستفحل وهذا الهجوم السافر على صفحات الجرائد وأن ذلك له ضرره ولا يحقق مصلحة لأحد (لماذا لم يقل ذلك لعبد الناصر نفسه في اليوم السابق ج ؟) فعلق زكريا على ذلك بقوله : إنه التنافس على السلطة Power ولكنها استاءا معي لما علما بموضوع حديث جمال مع الصحفيين » .

ومن تسجيل بغداددي نفسه تكشف موقفه المناق ، فليس في ما أورده عن جلسته مع جمال عبد الناصر ما يوحي بأي استياء ، أو اعتراض ، بل بالعكس أراد إكمال حلقة الحصار الإعلامي حول محمد نجيب فسأل وماذا عن مصطفى أمين وعلي أمين . . هل أخبرهما أحد ؟ فطمأنه عبد الناصر « إنه معمول حسابهما » !

« اقترح جمال عبد الناصر عقد اجتماع من وراء ظهر محمد نجيب » وكان واضحاً أن الهدف هو أن يصبح اجتماع يوم الأحد (الاجتماع الرسمي لمجلس الثورة ج) ما هو إلا اجتماع صوري فقط ، حتى يمكن شل وعزل محمد نجيب ويصبح وكأنه في جانب والمجلس في جانب آخر ، ونحس جمال سالم وكان الأمر قد بيت بليل واقترح تفويض عبد الناصر في اتخاذ

القرارات نيابة عن المجلس ، أي قبل تفويض مجلس الأمة الشهير بـ ١٣ سنة ١ . . . على أن يأخذ موافقة الأعضاء تليفونياً .

« اجتمع مجلس الثورة لبحث كيف يمكن مقاومة الإخوان المسلمين والقضاء على جماعتهم » « ورؤي تركيهم لزيادة الانشقاق بينهم » فهذه « هي الوسيلة لإضعافهم وتفكيك صفوفهم » « و كان قرارنا هو العمل على زيادة الانشقاق الموجود بينهم والعمل أيضاً على زعزعة ثقة من يتبعهم في أشخاص قياداتهم »* .

ثم تقرر « حل الإخوان واعتقال مرشدهم وما يربو على ٤٥٠ معتقلاً** » ، وفصل بعض الطلبة والموظفين المنضمين للجمعية وكان قد أحيل ضباط البوليس المتسبون إليها إلى المعاش وكذا تم اعتقالهم .

وكانت جماعة الإخوان هي آخر تنظيم سياسي يحل ويعتقل أعضاؤه في مصر ، فهي التنظيم الذي اعتمد عليه ضباط وحركة ٢٣ يوليو ، وكلفه عبد الناصر بالتصدي للانجليز إذا ما هجموا من ناحية السويس . . (لنا رأينا في هذه الرواية وارجع إلى ما كتبه مصطفى أمين في فصل في البلد جاء الأمريكيان) . ولكن لم يمر أقل من عامين حتى كانوا في السجون وكان الفصل والتشريد والتجريح للمواطنين بسبب آرائهم السياسية .

« جمال عبد الناصر يبلغ المجلس أنه اتصل بإسماعيل فريد ياور محمد نجيب وسب له ولعن رئيس الجمهورية ، وطالب إسماعيل فريد أن ينقل إلى رئيس الجمهورية هذه الشتائم واعتقد أن جمال قصد بهذا إرهاب الرجل ، وأنه من المستحسن له أن يتزوي ويغضع » . الكلام لبغدادلي .

« واقترح جمال سالم أن يقتل هو محمد نجيب ويحاكموه . . » وهذا بالطبع في مواجهة عبد الناصر أما من ورائه فلإليك نموذج من الحوار الخامس الذي كان يدور بين الجماعة التي شاء القدر أن تكون على رأس السلطة المصرية وإسرائيل تعمل ليل نهار لحوض معركة « حق الوجود » .

يقول بغدادلي :

« بوليوس قبصر :

وكننت قد سافرت إلى مدينة الأقصر بالطائرة يوم الجمعة ١٩ فبراير ١٩٥٤ لافتتاح المطار الجديد بها ، وقد رافقني في هذه الرحلة حسن إبراهيم . ودار بيتنا حديث حول فيلم بوليوس قبصر الذي شاهدناه في اليوم السابق . . وذلك الشبه الكبير بين ما دار في ذلك الفيلم .

• هل أن أن يحقق الإخوان في تاريخ الذين كانوا ينفذون في هذا الوقت خطة مجلس الثورة في الانشقاق وذلك بالثورة ضد المرشد العام ١٩

•• أو ما يقارب عدد الجثث التي سلمها عبد الناصر لضابط المخابرات الإسرائيلي !!! ها ها !

وما كان يتمثل على أرض مصر من صراع وتطاحن من أجل السلطة . وعلى أن هذه هي سنة الحياة . وأن هذا الصراع سيظل يتمثل على مسرحها مادام هناك بشر وحياة . وجرنا الحديث عن الفيلم - إلى الحديث عن مجلس قيادة الثورة والتطور الذي حدث به - وبعد أن كان هناك توازن في القوى والرأي داخله دام قبل قيام الثورة وبعد قيامها لمدة عام تقريباً إلا أن هذا التوازن قد انتهى . وأخذنا نبحث عن أسباب هذا متعرضين لموقف جمال سالم وانحيازه إلى رأي جمال عبد الناصر المستمر* ، وأن ذلك الموقف منه غير ما كان عليه حاله من قبل . ومتعرضين أيضاً لأشخاص المجلس وكيف كانوا وما أصبحوا عليه . وكذا موقف جمال عبد الناصر وما يهدف إليه من محاولة تركيز السلطة في يده وذلك بغرض أن ينفرد بها في النهاية . ولقد شكنا حسن أنه غير ممكن أن يعمل وحتى عمله في هيئة التحرير غير محدد . وكان جمال عبد الناصر هو الأمين العام لها وكان يتعاون مع إبراهيم الطحاوي وأحمد طعيمة في إدارة تلك المنظمة السياسية متخطياً حسن ، علماً بأن قرار المجلس بتعيين حسن بها قصد به أن يقوم بمتابعة نشاطها وإدارتها نظراً لانشغال جمال عبد الناصر في مسائل أخرى .

وكان حسن إبراهيم يتعنى أن يعفيه المجلس من عضويته نظراً لهذه الظروف ولكن الخوف على وحدتنا وتماسكنا وبالتالي على الثورة كان عامل ضغط على كل منا في ضرورة الاستمرار دون التنحي ،

والغريب أننا سنجده حسن إبراهيم ، هذا يلعب دوراً رئيسياً في تصفية محمد نجيب ، وتنقيص حياته في الوقت الذي يشنكي فيه هو من الاستبداد !

وفاجأهم محمد نجيب باستقالته التي « كان لها وقع الصاعقة » (بغدادي) وصدر الأمر إلى رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الثورة بعدم مغادرته منزله حتى تصدر إليه أوامر أخرى من « المجلس » . . . ! ويقترح جمال عبد الناصر أستاذ التكتيك غير العسكري « أن نرضي محمد نجيب الآن ونقبل جميع شروطه ونخضع له حتى نفوت الفرصة عليه ونعمل على إقناعه بسحب الاستقالة ، وبعد شهر - أي في يوم ٢٣ مارس ١٩٥٤ نتخلص من محمد نجيب ، وأنه هو الذي سيقوم بعمل الترتيبات اللازمة لتنفيذ هذا الأمر »

وواضح أن الحديث كان يدور حول الاغتيال وليس الإقالة إذ رفض بغدادي ذلك وأعلن أن أي عمل « سيتخذ وأجده ضاراً بهذه الثورة فلن أستمري في العمل معهم » واعترض صلاح سالم أيضاً للبين ، الأول اسبرطي وهو أن الجريمة هو ما يكتشف وليس ما يخالف الأخلاق فقال : « إن الأمر لابد أن يكتشف ويعرف أن المجلس هو الذي دبیره ، وهذا سيكون كفيلاً بالقضاء على سمعة المجلس » أما السبب الثاني فقد بين للمجلس « الأضرار التي ستجنيها

* ارجع لملاحظة خالد محيي الدين عن أمريكية جمال سالم وأنها سابقة حتى على تأمر عبد الناصر وقد لقي جمال سالم بعض ما يستحق في هذه الدنيا والبقية في الدار الآخرة إن شاء الله !

بالنسبة للموضع في السودان وذلك لمحبة الشعب السوداني لمحمد نجيب » و رأى المجلس استبعاد اقتراح جمال عبد الناصر .

ورغم ما أورده بغداددي عن حديث مع زكريا وحسين حول صراع السلطة ، وما جرى بينه وحسن إبراهيم من تعليق على يوليوس قيصر فقد كان للأعضاء من قدرة على إخفاء المشاعر ما يكفي للحديث أمام بعضهم هكذا : « واجتمعنا في منزل جمال عبد الناصر وقد بدأ هو الحديث بقوله : « إن هذا الخلاف ليس تطاحناً على السلطة والسلطان وإنما هذا التطاحن من أجل المبادئ والمثل ، وتكلم صلاح أيضاً عن هذه المثل ، وتكلم جمال سالم في نفس المعنى كذلك » .

واستدعى الوزراء المدنيون للاجتماع بعد أن هدد أعضاء المجلس بالاستقالة واضطروا للرجوع تحت ضغط الضباط الأحرار . . . ووصف بغداددي حالة وزراء مصر هكذا « وكان الوجوم غريباً على وجوههم ، بل كان الرعب ظاهراً في أعين البعض منهم » .

وإذا كان الرعب يطل من عيون الوزراء ، فهذا يعطيك فكرة عن ماذا كان يطل من عيون الشعب وصغار الموظفين ، وويل للدولة ، ينطق الرعب في عيون وزرائها . . . وأين للدولة تزرع الرعب في عيون وزرائها أن تشغل بعدو فضلاً عن أن تخيفه . . .

وقال الضباط الثوار إن « الشدة مطلوبة » لا ضد إسرائيل بل ضد المصريين فاقترح الوزراء المرحومون اقتراحاً خبيثاً للنجاة بجلدهم قالوا : مادام الشدة مطلوبة فأنتم لها . . . « شكلوا حكومة عسكرية ، واخلونا نروح نبوس اينك بابيه . . . » ولكن القيادة أوضحت لهم : « أن انسحابهم في هذه الظروف يعطي معنى عدم موافقتهم على تلك السياسة » . وأنت عارف يا شاطر اللى ما يوافقني بنعمل فيه ايه ؟ خصوصاً الوقت وقت الشدة ! وبلغ نور الدين طراف رعبه ، وهو من المجموعة الانتهازية التي أتلفها بغض الوفد فأسقطها في برائن الحكم الاستبدادي ولوثت اسم الحزب الوطني . . . الذي تحول إلى ممسحة لكل من أراد الاعتداء على حقوق الشعب من خلال محاربة الوفد^{١٦٤} .

طالب نور الدين طراف بالصمود ! الصمود ضد الوفد ومحمد نجيب بينما كانت إسرائيل تبحث الصمود والتصدي والتعدي ضد العرب ومصر بالذات ! .

قرر مجلس الثورة أن يتحول إلى جهاز لإطلاق الاشاعات ضد محمد نجيب . . . « عل أن يتم ذلك عن طريق ذكر هذه الخلافات لكل من نعرفهم ، وهم بدورهم سيقومون بنقلها إلى غيرهم ، كما طلب من الجمهورية والاعخبار الكتابة عن المثل والمبادئ » .

ويقول بغداددي إنهم قرروا معاملة محمد نجيب معاملة لائقة برئيس الجمهورية وقائد الثورة . . . الخ ولكنه أيضاً بسذاجة نادرة يسجل واقعة حدثت أثناء الاجتماع تعطى فكرة عن نوعية المعاملة التي كان يلغاها محمد نجيب ، والغريب أنه لا يعلق ولا يستكر ولكن بعد عشر سنوات عندما ستفرض الحراسة على أموال أخيه ، سيعتبرها عملاً لا أخلاقياً مع أن

أخاه لا من الثورة ولا من التسعة المشهود لهم ولا كان لديه هذه الأموال قبل أن يصبح أخوه
« الكاهن » الأكبر للأشغال والمقاولات .

الواقعة أن رئيس الجمهورية المحددة إقامته في منزله بعث يطلب الإذن لطباخه الخاص
بالخروج والدخول إلى المنزل دون اعتراض ليحضر المأكولات اللازمة للمنزل « ومذكرة
أخرى يطلب فيها السماح بذبح عجل من الماشية كان لديه بالمنزل لنفاد العليقة الخاصة به
وكان قد اشتراه لذبحه وتوزيعه على الفقراء قبل سفره إلى السودان لحضور افتتاح البرلمان
السوداني الجديد » .

وهكذا في الوقت الذي كان فيه بن جوريون - (بشهادة) هيكل - يحاول أن يعرف كل
صغيرة وكبيرة عن النظام الجديد في مصر وعن نتائج الانسحاب البريطاني من مصر ، كان
رئيس جمهورية مصر مهدداً بالموت جوعاً ، ولا يملك حق الإذن بذبح العجل الذي تعرض
بدوره للتجويع . . ومجلس الثورة يبحث موضوع عجل أبيس هذا ؟! وإذا كان يوسع المؤرخ
أن يستنتج السماح لمحمد نجيب بالأكل ، من واقعة استمراره حياً حتى دفن معظم أعضاء
مجلس القيادة ، فإن السؤال الحائر إلى اليوم ، والذي لم يجب عليه بغدادني هو مصر
العجل . . هل لحقوه وحللوهم بالسكين ؟! أم نفق جوعاً ؟!

سؤال من ضمن الأسئلة الحائرة في ضمير السيد أمين هويدي !!

وحفرت الهوة التي ازدادت اتساعاً كل يوم بين الشعب والجيش والتي لا يمكن تصور
انتصار الوطن في ظلها . . فالجيش الذي كان أمل ورمز وقرة عين المصريين قبل الثورة والذي
احتضن الشعب ضباطه وجنوده في الأسبوع الأول من الثورة وصل الحال إلى أن قال ضباط
سلاح الفرسان لعبد الناصر : « أصبح الشعب ينظر إليهم وكأنهم خونة بعد استقالة محمد
نجيب بل وإنهم على حد قوتهم يصفقون عليهم أثناء سيرهم في الشارع ويوجهون إليهم كلاماً
جارحاً وأن هذا يؤلمهم ويحرج شعورهم »

أهذا مناخ الشغال بإسرائيل ؟! أو الأمن القومي كما يقول أمين هويدي ؟!

والذي يراجع مذكرات « بغدادني » وتصریحات أعضاء مجلس الثورة أمام عبد الناصر
وما كانوا يقولونه في لقاءاتهم الخاصة مع من يثقون به يكتشف ظاهرة رهيبية هي أن هذه
المجموعة لأمر ما فقدت طهارة البكارة والصدق مع النفس وقررت كل منها أن يفي على السطح
الساخن أصول مدة ممكنة لأن السقوط يعني الموت بالحياة كما وصفه صلاح سالم . . وهامو
وضع رئيس المجلس عبء لمن يعتبر . . والرعب في أعين الوزراء « ومن ينسحب يعني أنه
لا يوافق » . . فآثروا السكوت . وفي مثل هذا المناخ لا يمكن معرفة الحقيقة ، ولا اكتشاف
الأخطاء ، وسرى أنهم استمروا يستبعدون الخطر الإسرائيلي إلى أن نزل جنود المظلات
الإسرائيليون في سيناء وعرفوا النبا في حفل عيد ميلاد أحد الأنجال . وظلوا يستبعدون الغزو
البريطاني إلى أن صعد عبد الناصر على سطح بيت سفير الهند ورأى الطائرة البريطانية
بعينه ! . .

نعود إلى اتهامات القيادة المصرية في مارس ١٩٥٤ . .

« قام سلاح الطيران المؤيد لجمال عبد الناصر بالتحليق الإرهابي فوق سلاح الفرسان المؤيد لمحمد نجيب وخالد محيي الدين وأعلن عبد الحكيم عامر أنه غير ملتزم بقرار مجلس الثورة وأنه سيدك سلاح الفرسان إن لم يخضع لأوامره وعلى المجلس أن يحاكمه بعد الانتهاء من المعركة » !

والمعركة المقصودة هي ضد سلاح الفرسان المصري ! ولأن عامر اتخذ هذا القرار الشجاع مرة واحدة في ١٩٥٦ أو ١٩٦٧ . . أعني ذلك إسرائيل على مسؤوليته وليحاكموه بعد المعركة . . لتغير التاريخ . . ولكن هيهات !!

« وأصدر أمره لوحدة المدفعية والمشاة بأخذ مواقعها التي حددت لها » .

« وفي أثناء ذلك حضر إلينا اليوزباشي كمال رفعت واليوزباشي حسن نهامي^{١٦٢} وهما من الضباط الأحرار وأبلغانا أنها قاما من تلقاء أنفسهما بإلقاء القبض على محمد نجيب وهو في منزله ونقلاه إلى ميس سلاح المدفعية »^{١٦٣} .

اجتمعوا بعد ذلك واتهم صلاح سالم ، خالد محيي الدين بأنه (أي خالد) هو الذي دبر عصيان سلاح الفرسان .

وعلمنا من جمال عبد الناصر أنه قد أمر باعتقال الكثيرين من الإخوان المسلمين والشيوعيين وأساتذة الجامعات خاصة جامعة الأسكندرية بصفته الحاكم العسكري . ذلك لأن أساتذة تلك الجامعة كانوا قد اجتمعوا وقرروا بأن تتولى كل طائفة عملها ، وهم يعنون بذلك عودة ضباط الجيش إلى ثكناتهم . . كما أبلغنا أنه قد أمر بتشكيل محاكم عسكرية خاصة لمحاكمتهم » .

كان واضحاً فشل المخطط الإسرائيلي فشلاً ذريعاً ، ونعني به الهادف إلى شغل القاهرة أو مصر بالسودان وأوهام وحدة وادي النيل . بل أصبح واضحاً أن بريطانيا هي التي سقطت في المخطط الإسرائيلي إذ كانت الدبلوماسية البريطانية ، والإدارة البريطانية ، تعمل ليل نهار لفصل السودان عن مصر ، ومجلس الثورة في مصر إما غافل تماماً عما يجري هناك لا يعنيه مصير السودان ولا يشغل باله بأوهام وحدة وادي النيل ، ولا يعاني أية ضغوط من وادي النيل إلا ما يتمثل في مكانة « محمد نجيب » واهتمامات صلاح سالم الذي ارتبطت وحدة وادي النيل بشخصه ومستقبله السياسي ، والذي كان من المجموعة الوطنية التي تعتبر فقد السودان كارثة وخيانة وطنية لا يجرؤ رجل ولا نظام ولا حتى ثورة على مواجهة الشعب بها بله مواجهة ضميمه . . أما مجلس الثورة فكان بعضه مشغلاً بتدبير تصفية محمد نجيب وبعضه يتعاون مع الانجليز ويرتبطاً معهم بفصل السودان كما اكتشف « صلاح سالم » في آخر لحظة ، ففقد عقله حرقاً وليس بلاغياً كما وضعنا في فصل السودان في كتابنا السابق .

ومن محاولة اغتيال محمد نجيب ، وإرهابه على يد سلوين لويذ والحاكم العام وعصابات

عملاء الانجليز في السودان ، إلى إذلاله وامتهانه وتهديده في القاهرة إلى حد تعلقه بعباءة الملك سعود وهو يودعه في المطار ، يرجوه أن يأخذه معه ولا يتركه تحت رحمة رفاقه رجال المجلس الثورة ، ويعتذر الملك سعود وما إن تطير به الطائرة حتى يسقط رئيس جمهورية مصر وهو يكي ويصرخ : « البلد رائحة في داهية . . يارب بتعذبني ليه . . موتني ! . . انفضحت يا محمد نجيب . . حاكموني . . » ثم يغمى عليه فيحملونه حملاً ويكتبون في مذكراتهم إنه تظاهر بالإغواء !!

كان النظام الديمقراطي القائم على فصل السلطات ترسخ قواعده في دولة العنصرية الاستعمارية ، وكان رئيس مجلس الدولة يضرب علقة في القاهرة التي عرفت احترام القضاء منذ سبعة آلاف سنة . .

في عام ١٩٥٤ وقعت حادثتان غريبتان متشابهتان ، الأولى : من تدبير وتنفيذ جمال عبد الناصر والثانية : من تدبير « لافون » وزير دفاع إسرائيل وتنفيذ شبكة جاسوسية وتخريب يهودية في مصر .

الأولى نقلاً عن مذكرات عبد اللطيف بغدادى أحد أبرز رجال مجلس الثورة قال : « في الاجتماع المشترك (مجلس الثورة + مجلس الوزراء مارس ١٩٥٤) أشار جمال إلى أن هناك ستة انفجارات قد حدثت في نفس اليوم وكلها في وقت واحد وفي أماكن متفرقة ، واحد منها في مبنى محطة السكة الحديد ، والثان بالجامعة وآخر بمحل جروبي . وكان غرضه من الإشارة إلى هذه الانفجارات هو توضيح أن هذا قد حدث نتيجة لسياسة اللين والميوعة الظاهرة في موقف الحكومة وكان محمد نجيب مصراً على اتخاذ الإجراءات العادية ومعارضاً في اتخاذ أية إجراءات استثنائية » .

والحادثة الثانية في يوليو ١٩٥٤ قامت وحدة إرهابية إسرائيلية بزرع عدد من القنابل في مؤسسات أمريكية بريطانية في القاهرة والاسكندرية وقد اعتقلت المجموعة وانتحر أحد أفرادها في السجن واعدم* اثنان في يناير ١٩٥٥ .

يقول موسى ديان « وثار الرأي العام الإسرائيلي وطالب بمعرفة المشول عن هذا العمل ؟ . . هل هو الضابط المشول عن الوحدة (الإرهابية ج) أم وزير الدفاع ؟ . . وأصر الضابط على أنه تلقى أمراً شفوياً من الوزير في اجتماع ضمهما وحدهما . بينما ادعى لافون أن الضابط تصرف على مشولته . وشكلت لجنة تحقيق بأمر رئيس الوزراء تضم رئيس المحكمة العليا وأول رئيس أركان للجيش الإسرائيلي وكان قرارها أنها لا تستطيع أن تعزيم على وجه اليقين من الذي أعطى الأمر ، وهذالقى ظلاً من الشك على كل من الضابط ووزير الدفاع ، ولذا قرر رفاقه في الحكومة بقيادة حزب الماباي أن لافون يجب أن يذهب .

• راجع ما اعتد به هيكمل عن اعدامها في فصل التاريخ اليلامبك .

وكان قد قدم استقالته في ٢ فبراير ١٩٥٥ وقبلتها الحكومة في ٢٠ فبراير وفي هذا اليوم رجع بن جوريون إلى منصب وزير الدفاع .

وبدأ في التاريخ الإسرائيلي ما يعرف باسم « فضيحة لا فون » وقد كتبت الصحافة العربية الأكوام عنها ، وعن فساد النظام الإسرائيلي الذي يزرع القنابل في القاهرة بدون موافقة السلطات الدستورية . . . ! ولكن لا الصحافة الإسرائيلية ولا المصرية اهتمت بالبحث عن من زرع القنابل الأخرى في عاصمة مصر وفي أماكن شديدة الزحام ولا يتجمع فيها إلا المواطنون من أبناء الشعب باستثناء جروي . . الذي كانت قد زحفت إليه الطبقة الوسطى لأن الباشاوات والرجعية كانوا في المعتقلات .

ومر ربع قرن دون أن يفتح أحدهم ، حتى مات سليمان وانطلق الجن يتحدثون ويعترفون ويتذكرون وأخبرنا عبد اللطيف بغداددي بالآتي :

« اعترف جمال عبد الناصر في اليوم التالي وهو على فراش المرض ، أن الانفجارات التي حدثت في اليوم السابق وأشار إليها في اجتماع المؤتمر ، إنما هي من تدبيره لأنه كان يرغب في إثارة البلبلة في نفوس الناس . الخ ولبشعروا بأنهم في حاجة إلى من يحميهم على حد قوله . »

تشابه غريب في مشاغل القيادتين المصرية والإسرائيلية . كلتاهما تريد إثارة البلبلة في العاصمة المصرية . . وكلتاهما تزرع القنابل في القاهرة . . مع فارق أن المدير الإسرائيلي عوقب بالطرده ، من الحياة السياسية الإسرائيلية والمنفذين لقوا حتفهم في سجون مصر . . أما الفاعل المصري فيقام له حزب في مصر واقترح أن يسمى « حزب البلبلة » !

« برر الرئيس عبد الناصر رشوة « الصاوي محمد الصاوي » رئيس نقابة عمال النقل بالقاهرة بمبلغ أربعة آلاف جنيه « ليدفع عمال النقل إلى الإضراب بعد قرارات ٢٥ مارس ، ولكن جمال ذكر أنه أراد بذلك أن يسبق خالد محيي الدين ويوسف منصور صديق لأنها كانا بنيان عمل نفس الشيء ، على حد قوله . »

« اقترح جمال سالم التخلص من كل ضابط في الجيش غير موالي للثورة والإبقاء فقط على الموالين لها حتى لو أصبح عددهم ٣٠٠ ضابط فقط . كما أعاد اقتراحه الذي يردده كثيراً وهو عزل الأفراد والذين يسمهم عزل هذه الثورة عن الشعب مهما كان عددهم ووضعهم في الواحات . »

صدر قانون يحرم الوظائف العامة والحقوق السياسية على جميع السياسيين الذين شغلوا مناصب قيادية في مصر منذ بدء الخليقة حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وقيل صراحة إنه يقصد به عزل السنهوري من مجلس الدولة !! حرمت مصر من كل خبرة رجالاتها لفصل رجل واحد . .

فلما اعترض وزير قال له جمال عبد الناصر : « إن مجلس الثورة قد وافق على القانون وهو يعرض عليهم للعلم فقط »* .

كان بن جوريون يجري اتصالاته وشتم ترثيائه لقيام حكومة ذات كفاءة عالية وقادرة على النجاح في انتزاع « حق الوجود » لإسرائيل . . وكانت مصر تحكمها مجموعة أقل ما توصف به علاقتها أنها تفتقد الثقة ، يترص كل منهم بالآخرين ، وينوق الغدر منهم وعلى حساب المصلحة العامة . . انظر كيف قسر عبد اللطيف بغدادى اختيار عبد الناصر له ليكون وزيراً « للشئون البلدية والقروية » :

« واقترح أن أتولى وزارة الشئون البلدية والقروية ، وأن الغرض - كما قيل - هو أن يشعر الشعب بأعمال الثورة في المدن والريف ، وأن الاختيار قد وقع علي لهذا الغرض ، ولكنني أحسست أن الغرض من توليتي هذه الرسالة هو العمل على إضعافى سياسياً لضمان فشلي بها فشلاً ذريعاً وخاصة أن الاقتراح جاء بعد خلافى مع جمال عبد الناصر » .

ويقول بغدادى إنه لما نجح رغم توقعات أو تدبير الرئيس جمال عبد الناصر ، استاء عبد الناصر من ذلك « وبدلاً من أن يكون ذلك موضع شكر وتقدير من جمال لأن ما تزديه تلك الوزارة ونجاحها ما هو إلا تدعيم للثورة وإثبات لوجودها ، شن على حملة محاولاً التشكيك في أهدافى عند إخوانى أعضاء المجلس وقصص أخرى كثيرة واردة في يومياتى ولا محل لذكرها في هذا المجال » .

ستتوقف الآن عن استعراض « مشاغل » القيادة المصرية التي صرفتها عن « الانشغال » بإسرائيل ، هم مصر الأول والأخير . . لنعود إلى هيكل لتتابع معه الانتصارات ، على أن نعود مرة أخرى لصيغة المواجهة المصرية التي أدت لهزيمة ١٩٥٦ .

* استثنى من القانون رجل مثل أحمد حسين ، اعترفوا الآن بأن اتصالاته بالمخابرات الأمريكية تمت في وقت مبكر جداً !! ربما كانت هذه شهادة الطهارة في ذلك العهد الملوث !

المراجع

- ١ - قصة السويس : آخر المعارك في عصر العمالة : محمد حسين هيكل . شركة المطبوعات للتوزيع والنشر . الطبعة الثانية ١٩٨٢ .
- ٢ - ن . م .
- ٣ - موسى ديان : قصة حياتي ص ٢١١ .
- ٤ - مذكرات بغدادي ج ١ ص ٣٠٩ .
- ٥ - ن . م .
- ٦ - العدوان على غزة ٣١/٨/١٩٥٥ .
- ٧ - موسى ديان ص ١٩٢ .
- ٨ - ن . م .
- ٩ - قصة السويس ص ٣٠ .
- ١٠ - سلوين لويد : السويس ١٩٥٦ ص ٤٨ .
- ١١ - ن . م ص ٥١ .
- ١٢ - ن . م ص ٦٦ .
- ١٣ - هيكل : قصة السويس ص ٢٤٠ .
- ١٤ - انظر مذكرات بغدادي ج ١ .
- ١٥ - موسى ديان ص ١٩٨ .
- ١٦ - ن . م ص ٢٠٢ .
- ١٧ - ن . م ص ٢٠٤ .
- ١٨ - يوميات هيجينسكيل بقلم فيليب وليامز .
- ١٩ - سلوين لويد ص ١٧٥ .
- ٢٠ - ملفات السويس ص ٥٦٣ .
- ٢١ - ن . م ص ٥٦٤ .
- ٢٢ - ن . م ص ٥٨٣ .
- ٢٣ - ن . م ص ٥٨١ .
- ٢٤ - ترجمة خبري حماد : ص ٢٨٣ The Road to suez

- ٢٥ - قصة السويس ص ١٧ .
 ٢٦ - بغدادى ج ١ ص ٢١٢ وذلك في أواخر عام ١٩٥٥ .
 ٢٧ - تصريح محمود رياض ٤ مارس ١٩٦٦ .
 ٢٨ - قصة السويس ص ٢٠ .
 ٢٩ - ن . م ص ٢١ .
 ٣٠ - بغدادى ج ١ ص ٧٨ - ٨٧ .
 ٣١ - ن . م ٨٧ .

الملاحق

م^١ - يحاول « هيكمل » أن يشير « الضباب » حول موقف الحكومة المصرية قبل انقلابه ، من قناة السويس بنص غامض حول ادعاء الشركة أنه لا بد لها من علاقات مع إسرائيل !
 ولكن الحقائق أقوى من أن تُحجب . .

فقد منعت مصر واستجابت الشركة أو رضخت لمنع سفن إسرائيل من المرور في القناة ، وكذلك صدر قرار بمنع مرور السفن غير الإسرائيلية التي تحمل النقط للمصفاة البريطانية في حين من عبور القناة ، وبذلك أغلقت هذه المصفاة ، كما منع مرور السفن من وإلى إسرائيل حتى ولو لم تكن إسرائيلية أو تحمل العلم الإسرائيلي . وفي يوليو ١٩٥٠ لضمان تنفيذ هذا القرار فرضت الحكومة المصرية على جميع السفن التي تعبر القناة أن تحصل على شهادة وصول من القنصلية المصرية في البلد المتجهة إليه . وكما سترى كان عبد الناصر هو الذي ألغى هذا القرار وسمح للسفن بالإبحار من وإلى إسرائيل عبر قناة السويس فلما طلب « بن جوريون » من عبد الناصر من خلال الوسيط الأمريكي زيادة خبره والسماح للسفن الإسرائيلية ذاتها بالعبور ، اعتذر عبد الناصر بأنه لا يستطيع أن يسمح بما منعه حكومات ما قبل الثورة وفي ظل الاحتلال البريطاني . .

كذلك قوله أن حكومات البلاد العربية كانت غافلة عن شركة قناة السويس وشركات النفط غير صحيح ، على الأقل في حالة مصر ، لكنها كانت تعرف أنه لا سبيل إلى هذه الشركة فضلاً عن إلزائها إلا بعد جلاء الانجليز . تماماً كما عرف عبد الناصر ذلك وصبر أربع سنوات على الشركة .

م^٢ - أشارت الوثائق الأمريكية المنشورة في هذا الكتاب إلى محاولات هذا المبعوث ترتيب مقابلة بين عبد الناصر وبين جوريون ولكن كما قال مؤلف جبال الرمال : « كان بن جوريون يفضل التعامل مع مصر بالسلاح وليس بالمفاوضات » .

م^٣ - موسى ديان ص ٢٠٧ ومن غريب توارد الخواطر أنه أن أمنية بن جوريون أوجبت أو نطقت على السنة مصطفى أمين وهيكمل وممثل المخابرات الأمريكية فاقترحوا البوليس الدولي ؟ وتذكر محاولات إسرائيل لتفريق علامات نبوة بن جوريون !! و « هيك » نبي . . لا بد له من « هيك » حوارين !

م^٩ - في مهرجان السويس ، ديج - ج . أنيس تحليلًا طويلًا قال فيه : « وكان من الواضح أن إسرائيل لا تريد تنفيذ اتفاقية جلاء بريطانيا عن مصر دون اتفاق للصلح مع إسرائيل . وعندما وقعت اتفاقية الجلاء في ٢٧ يوليو ١٩٥٤ كانت إسرائيل قد فقدت الأمل في أن تتحاز قيادة الثورة إلى صف النضال مع إسرائيل » .

ثم يفسر العدوان الإسرائيلي على غزة (فبراير ١٩٥٥) بأنه كان يهدف إلى دفع النظام (الناصري) إلى أحضان واشتطن^{١٠} !

وصحيح أن الكاتب الماركسي لا بد أن يكون فقير العقل مختل التحليل ، لديه دوافع مكبوتة لإثبات أن إسرائيل تريد السلام والعرب هم الذين يرفضون ، مصاب بحول يجعله يظن أن هدف إسرائيل هو إقناع العرب بمحالفة أمريكا ! . . إلا أن هذا التحليل تجاوز الحد المسموح به من الخجل . .

• نحن بداية نرفض القول بأن إسرائيل كانت حقيقة تخشى جلاء الانجليز عن مصر أو تعارضه بهذه الصيغة السوقية المبسطة التي يضمها الدكتور الماركسي من ناحية لأن إسرائيل هي المخضر الأمامي للمصالح الأمريكية ، ومصصلحة أمريكا الأولى في هذا الوقت كانت إخراج الانجليز من المنطقة بدءاً من مصر . . ومن ناحية لأن إسرائيل أقدر على تحقيق أهدافها التوسعية في مواجهة مصر منها في مواجهة بريطانيا التي ستكون في حالة استمرار وجودها في مصر مسئولة عن حماية حدود مصر ، وهو ما حدث فعلاً في عام ١٩٤٨ عندما أجبرتها بريطانيا على الانسحاب من الأراضي المصرية وهناك عوامل عديدة تحكم موقف إسرائيل من هذه النقطة لا مجال لمناقشتها ، ولكن لا يجوز إطلاق القول بهذه البساطة . . مادامت إسرائيل نكروا لنا الخبر . . فهي تريد بريطانيا في مصر ومصر في أحضان أمريكا . . الخ الخ !

• نحن نرفض وبإصرار القول بأن إسرائيل كانت تريد الصلح مع مصر أو العرب قبل ١٩٦٧ . . ونظرة واحدة إلى المشروعات التي عرضت على عبد الناصر قبل ١٩٥٦ أو طالب بها زعماء بريطانيا وأمريكا تكشف أنها كلها كانت ستكون على حساب إسرائيل . . إسرائيل ١٩٤٩ . وليس إسرائيل الآن . . فلم تكن هناك أية مصلحة للمؤسسة الاستعمارية الصهيونية في مصلحة مصر وقد بذلت إسرائيل كل جهد ممكن لمنع هذا الصلح وتبديد آمال الأمريكيين فيه . . وقد نجحت فلا تحمّلوا مصر مسؤولية ذلك يا وكلاء إسرائيل .

• نحن نرفض بازدياد الزعم بأن إسرائيل كانت تريد دفع النظام في أحضان واشتطن (أكثر من كده !) ولا نستطيع أن نفهم كيف يكون زرع القتال في المؤسسات الأمريكية بالقاهرة دفعا للنظام في أحضان واشتطن ، ولا كيف يكون كشف عجز النظام عن صد العدوان الإسرائيلي دفعا للنظام في أحضان واشتطن التي بسبب الضغط الصهيوني ، لا تستطيع أو لا تريد أن تسلح هذا النظام للدفاع عن نفسه . .
المتفق يرفض . .

(١) الأهالي ٤ مارس ١٩٨٧ .

537

م^٧ - سلوين لويد : ص ٣٠ ونفس الكلام رده ايفيلاند مؤلف حبال الرمال ، وإليك بعض النصوص التي وردت في يوميات شكوبرج المنشورة تحت عنوان : Descent to Suez . وهو كما قلنا كان وكيل وزارة الخارجية لشئون الشرق الأوسط ثم سفير بريطانيا في إيطاليا :

« السعودية تبطل المشيخات بالخليج الفارسي » ص ٦٣ .

« وضعنا يتدهور على يد السعودية » ص ٦٧ .

« الكل هنا يعتقد أن الرشوة السعودية متحالفة مع الشيوعيين يدمران الشرق الأوسط وبفسدان

الحياة السياسية في دول الشام » ص ٣٠٤ .

« المؤامرة السعودية - الشيوعية » ص ٣٠٥ .

م^٨ - هنا مغالطة خبيثة من مقبرك الناصرية ، إذ يكتب وكأن السوريين نسفوا كل « أنابيب » النفط إذ يقول : « ويتوقف الملاحة في قناة السويس ثم يتسف خط أنابيب البترول ، توقف بترول الشرق الأوسط تماماً عن بريطانيا وعن كل أوروبا الغربية » ص ٥٤٩ ع .

وفي موضع آخر يدعي أن « كيرميت روزفلت » توسل لعبد الناصر كي يطلب من السوريين عدم نسف الخط .

والمغالطة هي في تعمد إغفال وجود خطين . . . خط انجليزي وهو خط شركة نفط العراق وخط أمريكي وهو التابلاين ، وهذا الخط لم ينس وإنما نسف الخط الانجليزي وبذلك قطع بترول الشرق الأوسط « الانجليزي » وهذا كان في مصلحة أمريكا تماماً ، سواء على الصعيد الأدنى وهو زيادة مبيعات النفط الأمريكي أو الصعيد الأعلى وهو إحكام قدرة النفط الأمريكي على بريطانيا . ولذلك إذا صدقنا أن « روزفلت » جاء برسالة من هذا النوع لعبد الناصر فلماذا جاء يذكره بقطع الخط إذا كان قد نسي . . . أو تسديد خاتمة وتبييض وجه مع الانجليزي بعدما كان الخط قد قطع فعلاً . . .

م^٩ - اقرأ ما كتبه مصطفى أمين هيكل عن استفزاز عامر للجزايريين وكراهيتهم له ولعبد الناصر بعد الانقلاب اليوميني . (رسالة مصطفى أمين) وقرأ اعترافات الديب عن كفاحه ضد الجزائريين في ليبيا وهو الذي كان مشغولاً عن ثورة الجزائر !!

م^{١٠} - صفحة ٢٢ هيكل : السويس . . . وطابق ذلك على ما أورده مايلز كويلاند وأشرنا إليه حول الاتفاق بين المخابرات الأمريكية والضباط الناصريين على استبعاد إسرائيل من برنامج الثورة .

م^{١١} - وكانت مقطوعة مع دمشق ولم تستأنف إلا يوم ١٩٦٧/٥/٣١ ووقعت اتفاقية الدفاع المشترك مع مصر يوم ١/٦ ومع العراق يوم ٤/٦ ونفذت يوم ٥/٦ . وكل هذا تم في أقل من أسبوع !

م^{١٢} - انظر التقرير السري للسفير الأمريكي في الوثائق الأمريكية عن الشرق الأدنى وجنوب آسيا لعام ١٩٥١ المنشور في عام ١٩٨٢ وقد أشرنا نص ذلك في مجلة أكتوبر ولم ينبس هيكل بحرف !

م^{١٣} - أذكر في منزل الدكتور الشريف وزير المعارف الليبي سنة ١٩٧٢ أنني لأول مرة في حياتي كنت أعتدى باليد على المدعو : ف . هـ المحرر وقتها في الأهرام ، لأنه كان يحاول إثبات أن سيئه عليه « ولا أهمية لها » ! وكان وقتها هيكلياً ناصرياً وهو الآن من جماعة السافاك المسلمين !

م^{١٤} - هناك رواية غريبة تنقل عن عبد المجيد إبراهيم صالح وهو صف الضابط الذي دفن الجثث الإسرائيلية في عراق المشبة ، إذ يزعم من نقل إلى الرواية وهو الأستاذ أ . ط . الذي لا شك في وطنيته ، وتعاونته إلى أقصى حد مع الثورة في ستوانيا الأولى ، قال إن الرئيس عبد الناصر طلب منه أن يبلغ المختصين أن عبد الناصر هو الذي دفن الجثث وهو الذي يعرف مكانها ، وأنه بناء على ذلك أرسل لإسرائيل حيث بقي في هذه الرواية حوالي الأسبوع . وعلى ضوء معلومات هيكل لا نستبعد ذلك وأن هدف الرئيس عبد الناصر كان الاطلاع على المزيد من خبرة رجل المخابرات الإسرائيلية في محاربة الانجليز وهو ما كان يشغل باله دائماً . . وفي الحديث اطلبوا العلم ولو في الصين ولم يقل ولو من جيش الروم !

وبعد - فقد قلنا - إننا لم نحاول فرض اقتناع مسبق على القاري . بل حاولنا دائماً أن نلتزم بالدليل المادي والمنطقي . وقلنا إن هذه الأدلة المادية يتابع ظهورها بمضي الزمن بالإفراج عن الوثائق بعد المدة القانونية التي تعتقد الدول أنها كافية لإزالة آثار كشف الحقيقة . . أو بشر مذكرات من بلغوا سن اليأس . . أو بجهود المخلصين والأوفياء لشرف الكلمة التاريخية . . ونحن رفضنا في كتابنا السابق حتى مناقشة اتهام عبد الناصر باليهودية أو العمالة المباشرة لإسرائيل .

وكان رفضنا حاداً وجارحاً للذين يرددون أو رددوا هذا الاتهام . لا عن حب لعبد الناصر ولا لأنه فوق الشبهات ، بل لأننا ، كما قلنا ، لم نجد دليلاً واضحاً يعزز هذا الاتهام ، وصحيح أننا وقفنا طويلاً عند الشبهات التي أثارها هيكل ، حول سيده ، وعلاقاته بالإسرائيليين ومخابرات إسرائيل . وقد أثبتنا الواقعة* ، وتساءلنا ما الذي يهدف إليه هيكل من إثارة الشبهة حول وجود علاقة بين عبد الناصر ومخابرات إسرائيل سابقة على الانقلاب ، وخلال حرب فلسطين الأولى وبعد انتهائها ، ولم نستبعد أن يكون هدفه مساومة جهة ما وإبترازها . . ولما استرجعنا بعد نشر الكتاب - علاقة هيكل المتدهورة بعبد الناصر قبل وفاته ، وأنه كان يتوقع شراً من قبله الزعيم ، أو على الأقل اقتنع بأن حظوته معه قد انتهت ، مما جعل أتباعه يهاجمون الزعيم وهو حي ، والزعيم بسجل لهم . . الخ قلنا ربما كانت نفثة حق من هيكل على عبد الناصر . . وبعد وفاته التي جاءت في وقتها تماماً لمصلحة هيكل .

وخلال الفترة التي انقضت ما بين تأليف الكتاب الأول ، وإعداد مادة هذا الكتاب ، ظهرت وثائق وحقائق تعزز حجة القائلين بأن عبد الناصر خدم المصالح الإسرائيلية أكثر مما خدم المصالح الأمريكية وأنه ما من قضية تناقض فيها الموقف الأمريكي والموقف الإسرائيلي ، إلا اتخذ عبد الناصر قراراً يرجح كفة الإسرائيليين . . ومع ذلك فقد تمسكنا بتفسيرنا ، وهو أن مصدر الخطأ والخطيئة هو ارتباط عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية وليس الإسرائيلية . .

إلا أن المؤرخ المحايد إن كان لا يتسلك برأي ضد وقائع التاريخ ، لمجرد أنه تبنى هذا الرأي فترة من الوقت قبض القوة ، لا يجوز له أن ينشئ برفض حقيقة أو احتمال لمجرد استكباره ، أو لمجرد أنه قد غفل عنه ، ولست أزعج ، أنني وصلت إلى اقتناع في هذه القضية ولكني أمام الوثيقتين بل بالأحرى الوثائق التي كشف عنها السار بعد مرور ثلاثين سنة على الانقلاب ، أجد نفسي مضطراً إلى إعادة النظر في تحليلي السابق ، لأقول إن البعد الإسرائيلي كان موجوداً في عناصر اختيار أو

ترشيح المخابرات الأمريكية لعبد الناصر لقيادة الانقلاب فقد ثبت أن السفارة الأمريكية في مصر
« كانت تعرف من مدة أن لعبد الناصر صديقاً داخل إسرائيل » .

أما الوثيقة فهي مما أفرجت عنه وزارة الخارجية الأمريكية واشتريناها من السوق فلا فضل لنا إلا
الدقة في القراءة والبحث والشرف في المعرفة والتعريف أو قل الالتزام بأداب المهنة التي تحضها لأول
مرة سلفنا الصالح الشيخ القلقشندي .

وساضطر لترجمة الوثيقة بنفسي فليس لدي سكرتيرة تشرف على مكتب ترجمة « عاخص »
وترجمتها قطاع عام يعمل لغرض خاص . ولكن من له ترجمة مخالفة فليذهب بها إلى القضاء .

من مدير مكتب الشرق الأدنى (هارت) إلى السفير في مصر (كافر)

سري للغاية
١٥ يونية ١٩٥٣

عزيزي :

شكراً لك على خطابك المؤرخ ٥ مايو ١٩٥٣ الذي حملت فيه الموقف الحالي في مصر إزاء إمكانية
تحقيق تسوية سلمية مع إسرائيل . وأن الأفكار التي عرضتها مشابهة للغاية لتلك التي قدمها السفير
« دافيس » في حديثه مع الإدارة . وكلها تتفق مع مخاوف من أن العرب قليلو الاهتمام بحل هذا
المشكل المتعب .

على أية حال ، فإن تطوراً وقع أخيراً ، يمكن أن يرفع درجة التفاؤل قليلاً ، هذا إذا كانت
معلوماتنا صحيحة . وهذه المعلومات حصل عليها ممثل للوزارة بصفة سرية للغاية من موظف
بالسفارة الإسرائيلية هنا . وقد زعم هذا المصدر أن الكولونيل جمال عبد الناصر قد كتب خطاباً إلى
unspecified Israeli addressee جهة إسرائيلية يلتمس مساعدة إسرائيل في تنفيذ « أهداف
مصر » والخطاب لم يحدد ولا ناقش قضايا معينة . وقد تم الاتصال والرد في باريس .

بالنسبة لي هذا أمر مذهش للغاية ، وخاصة أن عبد الناصر يجب ألا يتورط كتابة في مثل هذه
الأمور . . . وسأكون مقترباً لرأيك حول مدى صحة هذا التقرير وأي معلومات أخرى حول هذا
الموضوع قد تصل للسفارة .

وهناك مؤشر آخر على موقف مصري طيب ، هو استعداد مصر لتوقيع اتفاقية الإغاثة (الخ) .
« باركر هارت »

لتعمك بدوء الأعصاب إلى النهاية . .

فالقضية كلها . .

١ - إبلاغ من السفارة الإسرائيلية لمسئول في الخارجية الأمريكية له اتصال فوق المعتاد بهم . .
فهو ليس تبليغاً رسمياً .

٢ - عبد الناصر يرسل خطاباً إلى « عتوان » في باريس . . وهذه هي طريقة التراسل المعروفة بين
الجواسيس ومخابرات إسرائيل ورجاء مراجعة فيلم « الصعود إلى الهاوية » .

٣ - تم تسليم الرسالة وتم الرد عليها في باريس ، فهي بالطبع لم ترسل بالبريد . .
٤ - طلب مساعدة إسرائيل في تحقيق أهداف مصر ، يرون بعض الأجراس منها رواية هيكل عن اهتمام عبد الناصر خلال الحرب الفلسطينية الأولى بسؤال ضابط المخابرات الإسرائيلي عن كيفية تحقيق أهداف مصر . .
ومع ذلك فالأمر كله يمكن أن يكون أكذوبة إسرائيلية لهدف ما . .
أو . .

هناك وثيقة أخرى تشير إلى تبادل مجلس الثورة الرسائل مع إسرائيل عبر باريس ، وربما علم المصدر الإسرائيلي أو الأمريكي بهذه الواقعة فنجح عليها هالة من الأنغاز ، وإن كانت لهجة المسئول الأمريكي أكثر من أبوية ، وواضح فيها الحرص على حماية الزعيم أو عدم إحراقه ، لا يجوز أن يتورط ، في كتابة ، هذه الأمور ، لأنها بالطبع يمكن أن تستخدم ضده !
وقد شرحنا رأينا في قيمة هذه الوثائق ، وأنها ليست تنزيلاً ولا تاريخاً . . ومن هنا فإن هذه الوثيقة في حد ذاتها لا تشكل قضية ولا كانت تحتاج لوقفه منا . . إذ يمكن إسقاطها فور الدفع بأنها أكذوبة إسرائيلية انطلت على الأمريكيين .

ولكن . .

رد السفير بالآتي :

السفير في مصر (كافري) إلى مدير مكتب شؤون الشرق الأدنى (هارت)

القاهرة ٢٣ يونيو ١٩٥٣

سري جداً

إبلاغ رسمي

عزيري بت

« قرأت باهتمام مذكرتك بتاريخ ١٥ يونيو حول الخطاب الذي يفترض أن جلال عبد الناصر كسبه لجهة إسرائيلية ونحن نعلم منذ مدة أن ناصر له صديق في إسرائيل منذ أيام الحرب الفلسطينية . ولذا فقد كلفت أحد موظفي السفارة لسأله بصراحة وإن تكن بصفة غير رسمية إذا ما كان هناك أي أساس للقصة . وكان رد عبد الناصر : « إنني لم أكتب أية خطابات منذ ٢٣ يوليو (١٩٥٢) ويمكن أن تكون حقيقة الأمر أنه كتب مثل هذا الخطاب في الماضي . . ولكن إذا كان قد فعل بصفة شخصية بحتة . ومازلت أعتقد أن الإمكانية ضعيفة في موافقة العرب . . الخ .
وفهم أيضاً من الرسالة أن مجلس الإنتاج القومي المصري وافق على مشروع أمريكي لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في سيناء .

مرة أخرى نلتزم هدوء الأعصاب فهذه الرسالة أخطر بكثير :

١ - السفارة الأمريكية استجوبت عبد الناصر وأفهمته أنها تعرف اتصالاته في إسرائيل . .
ولا ندرى ماذا يقول مؤرخ عن طبيعة العلاقة بين « موظف السفارة ، هذا وزعيم ثورة مصر ؟ هذه العلاقة التي تسمح له أن يسأله بصراحة : باريس مصر وزعيم ثورتها . . هل ترسل خطابات إلى إسرائيل . . ؟ ولماذا تخفي السفارة اسم هذا الموظف الذي له من العلاقة ما يسمح له باستجواب زعيمنا بصفة غير رسمية وله من المكانة في السفارة ما يؤهله إلى أن يؤتمن على هذه المهمة الشديدة الحساسية . . سؤال زعيم دولة عربية ثورية عن علاقاته السرية مع إسرائيل . . ليس أماناً إلا

تفسير هيكمل في حديثه عن اتصالات مصطفى أمين مع السفارة البريطانية . حيث قالها بنفسه : « إن تعبير موظف بالسفارة يعني مندوب المخابرات » .

٢ - المهتم عبد الناصر لم يغضب ولا طلب ترحيل الموظف . . بل أجاب . إنه لم يكتب خطابات منذ ٢٣ يوليو . . ونكأ بالحيدة النامة تنطوع بتفسير ذلك بأنه قد يعني أنه بسبب مشاغله لم يكتب خطابات من ٢٣ يوليو لا لعرب ولا لليهود . . ولو أن الرد الطبيعي كان يفترض أن يكون نقياً واستنكاراً أن يظن أحد أن عبد الناصر يكتب خطابات لإسرائيل . . ومن هنا تأتي مظنة أن الرد قد يعني . . أنه منذ تولي السلطة أصبح في وضع لا يسمح له بالاتصال بالصديق الإسرائيلي .

٣ - أكدت السفارة لوزارة الخارجية الأمريكية أنها من مدة تعرف أن لعبد الناصر صديقاً في إسرائيل . ولا نستطيع تكذيب السفارة لأنها لا تكذب على وزارة الخارجية من ناحية ولأن هيكمل أكد هذه المعلومة بل جعل أصدقاء ناصر أكثر من واحد . منهم ضابط مخابرات . . وما يعلمه هيكمل يعلمه بالضرورة السفير الأمريكي . . ومن ثم أصبحنا أمام قضية جديدة تتضائل أمامها حكاية هل أرسل خطاباً في يونيو ١٩٥٣ أم لم يرسل فالثابت الآن هو :

○ عبد الناصر له صديق في إسرائيل .

○○ وله مراسلات معه .

○○○ وذلك كان في علم السفارة من مدة .

فهل نذهب بعيداً إذا قلنا أن ذلك العلم عند السفارة كان من ضمن المؤهلات التي زكته كزعيم مطلوب لقيادة العرب نحو الصلح مع إسرائيل ؟

م^{١٥} - وإليك ما كتبه « فتحي رضوان » وتعليقنا عليه كما نشرناه في رسالة التوحيد نوفمبر ١٩٨٥ ، وهو يعرفنا أن « محمد نجيب » لم يكن يعرف أسماء الوزراء وهو يخطرهم تليفونياً بتعيينهم فيخطئهم في أسمائهم وعبنا يصحح الحاضرون ، (وتفسير ذلك الآن بعدما عرف من حقائق أن بعض الاسماء جاءت من جهة خارجية ، وما دام كافر يملك الاعتراض فالاقتراع أسهل قبولاً) .

ويقول عن تشكيل أول مجلس وزراء للثورة « برئاسة محمد نجيب » :

« فيها نحن أولاء في أعقاب ثورة ضخمة ، ولكننا ، مع ذلك حينما نتكلم في تأليف وزارة تبدو المطامع الشخصية والحزبية . . حينما ندعو الناس للوزارة ، لا نجد مظهراً للمبادئ وحينما نتهاى لتشكيل حكومة وطنية ، نرانا مضطرين إلى جمع عدد من الناس من هنا وهناك . . دون أن نربطهم علاقة من رأي ، ولا صلة من جهاد سابق ، بل دون أن يجلس بعضهم إلى بعض ولو لمدة نصف ساعة ، يتساءلون : « ماذا سيفعلون » . ثم يجيبون على هذا السؤال . . ولو بكلمتين .

• عيني أمين أيضاً كان له صديق داخل إسرائيل منذ كان يتدرب هناك وكان أيضاً يستشير في مكافحة الانجليز . . وهذا الصديق هو الذي تولى مهمة شغله بمكالمة تليفونية حتى أتم اليهود عملية مطار عتسي . فهل ياترى كان صديق عبد الناصر على التليفون يوم الخامس من يونيو . . أو حتى يوم ٢٩ أكتوبر

١٩٥٦ . ١٤

إن بعض الوزراء في هذه الوزارة ، لم يكن يعرف أسماء بقية أعضائها !! . بل لعله لم يسمع بها من قبل . وبعضهم لو قيل له - قبل دخوله الوزارة بنصف ساعة - أنه سيشتغل بالسياسة ، لاستلقى على قفاه من الضحك !! ومنهم من لو قيل له أنه سيترك - مع بعض الذين زاملهم في الوزارة - في رحلة راحة واستجمام ، لرفض أن يسير معهم في طريق . وقد كان من الوزراء من دخل هذه الوزارة ، لأن صديقاً ذا نفوذ رشحه لها . . . كل هذه المعاني جالت في خاطري ربما يوضح أقل ، ولكنها لابد أن تكون قد عبرت إلى وجداني فألقت فيه غير قليل من الفتامة (ص ٥٢) .
تحبهم جميعاً وقلوبهم شتى ! . .

وزراء لا يجمعهم مبدأ ولا هدف ولا تنظيم ولا حتى احترام أو ثقة متبادلة . قبل ربع ساعة كانوا يرفضون الخروج معاً في نزهة ، ولكن أمام « عضمة » السلطة يهزون ذبولهم ويصيحون بأنوفهم ويقولون للعمامة إنهم قيادة الشعب نحو بناء مستقبل أفضل وسياسة أشرف !

هل مر على مصر مجلس وزراء يمثل هذا الزيف والكذب والوصولية ؟! هل حدث أن جمع وزراء لحكم مصر بهذه الطريقة التي شكلت المجلس « الثوري » ، وهل من سياسي يجرح على اسمه أو له شرف وعظيمة بل حتى مجرد كرامة يقبل أن يشترك في هذا الجمع فضلاً عن الاستمرار فيه ؟! إذا كنت قد قرأت وصف اجتماع « الديوان » في عهد كليبر عقب فشل ثورة القاهرة كما سجله الجبرتي ونقلناه في كتابنا « ودخلت الحبل الأزهر » فتذكرك تلك الصورة بمنظر وزراء الجنرال عبد الناصر وهي صورة للرعب الذي حكم مصر ١٨ سنة ، وأيضاً هذه الحكومات التي كانت رجالاً قبل أن تعتصم بخشبة السلطة هرباً من حبل المشقة ! وقارن بين حالة الوصولي المرعوب ، ورجل المبادي . - حتى ولو كان « رجعيًا » - المحفظ بكرامته ، الذي قال : « لا » وهو يعرف ما ينتظره . . ومتى كان المتطف المصري يهرب سيف طرعون ، أو يشتري بذهب المعز . .

ولا يشوه صورة المتطف المصري ، حفنة مرتزقة باعوا الكرامة واشتروا الرعب والمذلة والإهمال يضيع متبنين أو شهور . . اقرأ وصفه لمجلس الوزراء « الثوري » المرعوب :

« دخلت القاعة التي كان يشغلها رئيس مجلس قيادة الثورة ، لأرى فيها مشهداً عجيباً . أناس مدعوون للوزارة ، وعلى وجوههم من علامات الخوف والفرع . ما لم يعمل وجه مصري دعى للوزارة من قبل فقد تصوروا أنهم مقبوض عليهم . إذ أن الدعوة التي وصلتهم لم تبن لهم لماذا دعوا إلى « مجلس قيادة الثورة المخيف » . وبعضهم أدرك أنه مرشح لتولي منصة الحكم . ولكنه أشفق من هذه الدعوة ، فالمملك لم يكن قد غادر البلاد إلا منذ أقل من شهرين . وأمور السياسة لا تستقر على حال . . وقد يعود الملك إلى مصر ، فيعتبر من تولى أمور الحكم استجابة لدعوة الثورة . . متبرداً ، وخائناً . وقد يساق إلى المشقة . . بوصفه ثائراً ، وخارجاً على ملكه وفي أحسن الظروف قد يودع السجن وإن هو خرج منه . . فنصيبه التشرد والجوع ثم . . من يضمن أن الاعتذار عن دخول الوزارة ، لن يفسر بأنه رفض للتعاون مع الثورة ؟ . وقد تضرع هذه الثورة أو يطول عمرها . فيكون هذا الرفض مخاصمة لها تعرضه للمكارة والتنقيت !! .

ولقد رأيت أحد المرشحين متجهاً إلى القاعة ومن خلفه ضابط من الشرطة العسكرية . . و « المرشح المسكين » بنلفت حوله ، وكأنه يطلب الغوث والنجدة ولما رأي - وكان يعرفني - هتف

باسمي ، واندفع نحوي . . . ولولا الحياء لألقى بضه على صدري !! ولكن المرشحين الذين سبق لهم أن شاركوا في الحكم قبل الثورة دخلوا القاعة هادئين ، وعلى وجيهم قرار ظاهر مقروء : (نحن لن نشترك في هذه الوزارة . . . لأننا لا نتفق مع مبادئها . . . وفي مقدمتها : الإصلاح الزراعي ، وتناول الأمور بروح ثورية تقلب عاليها سافلها) . . . وكان في مقدمة أصحاب هذا القرار : محمود محمد محمود والمهندس حامد سليمان ومريت غالي . . . وإبراهيم بيومي مذكور وكان من المعتذرين صاحب شخصية غريبة لا تعرف بواعثها ولا تظمن إلى مفاجأتها . . . ذلك هو « الباشا » حفي محمود - شقيق صاحب المقام الرفيع محمد محمود (باشا) رئيس حزب الأحرار الدستوريين - حزب الأرستقراطية المصرية وقد انتهى به الأمر إلى أن يكون نصيراً للسلام ، وصديقاً للشبوعيين ويسارياً ، ص ١١٦ .

مجلس الرعب هذا ، كان أول من يعرف أن ليس له من الأمر شيء ، وأنهم خشب مسندة ، لا يعصون الضباط أمراً ويقضي الأمر في غيبتهم ولا يدرون شيئاً وهم شهود ، وهاهو يصف لنا سلوك الوزراء في الاجتماعات التي كانت « الدعاية » التي أشرف سيادته عليها ، تصورها لظوها بأنها الحدث والتغيير والشباب والقدرة والإنجاز . . . اقرأوا وصفه الآن عندما واثته الشجاعة بعد ١٥ سنة من وفاة الوحش :

« وقد ترتب على هذه الجلسات الطويلة أن عدداً من الوزراء كان يستغرق في النوم أثناءها !! وكان المرحوم إسماعيل القباني وزير المعارف (التربية والتعليم) لا ينام فقط . . . وإنما يسمع له « شخير » عال . . . وهذا لا ينفي أنه كان عالماً فاضلاً . ومواطناً شجاعاً . . . يدافع عن رأيه وكرامته بلا هوادة . . . وقد كان الرئيس يحتاج في بعض الأحيان إلى إيقاظ الوزراء من نومهم ، ليأخذ آراءهم في المسائل المعروضة . . . ولهذا أصبح من فكاهات المجلس المتداولة ، عبارة قلتها مرة ، وهي : « الموافق من حضراتكم يصحى . . . بدلاً من « الموافق يرفع يده » !! لم يكن السهر مقصوداً على جلسات مجلس الوزراء ، وإنما شمل لجانه الفرعية . . . وفي إحدى اللجان - وكانت برئاسة المرحوم جمال سالم - سهرنا حتى الصباح تماماً لمناقشة قانون المرور ! ولكن مندوبي الصحف الذين ناموا على مقاعد مبنى مجلس الوزراء ، كانوا يظنون أن هذه اللجنة تبحث مسألة من أخطر مسائل الدولة . فلما خرجنا لنستقل السيارات إلى منازلنا ، كان منظر هؤلاء الصحفيين ، أشبه بصرعى ميدان قتال . . . فمنهم من انكفأ على وجهه على متضدة إلى جواره . ومنهم من تمدد على ظهره . . . ومنهم من افترش أرض المجلس ، وراح في نوم عميق وهاديء !! » (ص ٥٤) .

أما إذا كان هو يدعي أنه نجح في البقاء متيقظاً ، فإن صح ذلك فعلى حساب قواه العقلية فقد روى أنه خرج من هذا الاجتماع ، وقد طار النوم من عينيه من فرط الإجهاد العصبي ، فاخست قواه العقلية وخيل له أن السماء فتحت فيها ليلة القدر على شكل كلمة بارب بالنيون ! . . . وعلى الفور أصدر بياناً إعلامياً من بيانات وزارة الإرشاد فقال مرافقه : « ألا ترى أن السماء قد أضاءت بلفظ الجلالة إنها ظاهرة هاد دلالتها » وقبل أن يتدفع في الفتوى ، ويربط بين السماء إذا انشقت والثورة إذا اكتملت وأذنت لأمر يكها وخضعت . . . والحقيقة انبطت ! . . . عاجله مرافقه : صح النوم « ما اعلان محل يهودي اسمه ديارب » !!

هذا الصاحي في مجلس الوزراء . . يبقى النائم أحسن ! نوم الظالم والمذمور عبادة !
والوزراء المدنيون بعدما جمعهم جمال سالم على أسوأ حال وأبلغهم بقرار عزل رئيس الجمهورية
الذي أقسموا أمامه بين الولاء . خرجوا وهم يقولون « ربنا يستر » كأنهم ولايا وليسوا وزراء العهد
الثوري ! (انظر ص ٢٩) .

م^{١٦} - لابد من مراجعة ما قدمناه في فصل الأمريكان عن التهامي هذا ، وموقف المخابرات
الأمريكية من محمد نجيب لتفهم حماسة ومبادراته باعتقال محمد نجيب لحماية الثورة من الانحراف
حتى انتهى إلى الاجتماع مع موسى دبان .

م^{١٧} - وهل نندهش إذا عرفنا أن الضابطین اللذين قاما بهذه المبادرة « الثورية » في اعتقال « محمد
نجيب » وتدعيم ناصر . هم من الأربعة غير الراشدين اللذين تلقوا تدريباً خاصاً على يد أساتذة
المخابرات الأمريكية وأحدهما أشهر في التخابير الأمريكي من « بدیعة مصابني » في مجالها . . فإذا
عن الآخر ؟ . .

انتصارات عبد الناصر وخسائر الوطن

« ... و « مصادقة » جاء الإعلان عن صفقة السلاح في
اليوم التالي مباشرة لإلغاء المحاكم الشرعية ... »

ولأن هدف كتاب هيكل هو صرف الأنظار تماماً عما جرى في « صحراء » سيناء فإن الكاتب يسود عشرات الصفحات في الحديث عن انتصارات « باندونج » و« حلف بغداد » و« صفقة السلاح » وهي الأسطوانة المشروخة التي صدعت رأس المواطن العربي ١٥ سنة حتى تحطمت واحترقت في نيران ١٩٦٧ ولكن هاهو من يريد أن يسقينا مرة أخرى من البئر التي بطن فيها الجميع . . يعود ليحدثنا عن انتصارات الخطب والمؤتمرات الدولية وقد قرأنا تحليل جولداماثير عن بن جوريون وأنه لم يكن يهتم إلا بما يضيف للقوة المادية اليهودية ، ولا يهتم فلامه ظفر بالمؤتمرات الدولية والصحافة العالمية .

ولنبداً من « باندونج » .

فقد أثار الإعلام الناصري وشبر ضجة حول اشتراك عبد الناصر في مؤتمر « باندونج » ، ويبدو للناصريين الجدد ، أن عبد الناصر ارتكب المحذور والمحرم وفتح الظلم ونحدي أمريكا وبريطانيا بذهابه إلى مؤتمر يناذي بعدم الانحياز . . الأمر الذي كان دلاس يعتبره « جريمة أخلاقية » . .

كما قبل عبد الناصر وحده ، أن يظهر مع أشخاص « مشهورين » مثل شيوان لاي وتينو وسوكارنو . . بل حتى نهرو . . ومن ثم - فعند هؤلاء - أن مجرد الاشتراك في باندونج كان عملاً بطولياً نادراً في شجاعته ، ونحدياً وصفعة للامبريالية الأمريكية بالذات . . لا تأتي إلا من ثوري مثل فتى بني مر ! . . بينما منعت الامبريالية الاشتراك فيه عن سائر الدول غير الثورية التحررية . . الخ !

ولن ننسك كثيراً بالرواية المثيرة التي أثبتتها « مايلز كويلاند » والتي تزعم أن خطة عمل الوفد المصري في مؤتمر باندونج ، وضعها خبراء من واشنطن . . وراجعها ونقحها رجال المخابرات الأمريكية في القاهرة . . ومع ذلك فلا بأس من إثبات ما رواه قال : « قبل سفر عبد الناصر إلى باندونج كان أصدقاءه الأمريكيان متعشقين ، وكانوا أيضاً يشجعونه على الاعتقاد بأنه سيجد لنفسه مكاناً في نادي الكبار . .

وجاء خبراء من واشنطن لكتابة ورقة عمل ، وترجمت هذه الورقة للعربية بواسطة « علي صبري » الوزير بدون وزارة في الرئاسة ، على أساس أن يستعير عبد الناصر بعض ما بها من أفكار . كما جرى تلقين مساعدتي عبد الناصر ، بعض ما يمكن أن يصادفهم من شوان لاي والشيوعيين . كما قدمت معلومات هائلة لعبد الناصر عن الوضع السياسي في أندونيسيا وهو موضوع كان هاماً جداً للولايات المتحدة . ولعبد الناصر في نفس الوقت من ناحية أن سوكارنو كان أحد منافسيه في المؤتمر . ولما كان الخبراء الذين جاءوا من واشنطن على اتصال فقط بالسفير بايرون ، فإن اطلعنا على ترجمة « علي صبري » لما كتبوه أثار حاستنا ، فقد وصلت إلينا مكتوبة على ورق من رئاسة الجمهورية ، بدون إشارة إلى أنها مجرد ترجمة لأصل أمريكي . . بل بدت كأنها تعرض الموقف الذي ينوي عبد الناصر فعلاً أن يتخذه . وعندما ترجمها المسئول السياسي . في السفارة « بيتر تشيس » إلى الإنجليزية ، وقدمها لبايرون ، قال له « بيتر » إنها أذكى ما قرأ لاي حكومة في الشرق الأوسط . وأن الحكومة الأمريكية ربما تجد في ناصر ، عنصراً مهماً في التأثير على دول أفريقيا وآسيا لكي تصبح محايدة حقاً ، بدلاً من أن تحايد إلى جانب الشيوعيين كما بدأ شعار الحياء الإيجابي يعني فعلاً^١

بصرف النظر عن واقعة « ورقة العمل » وإن كنا نعتقد بصحتها ، فإن ما أورده يثبت الآتي :

- ١ - لم يكن اشتراك مصر « رغم أنف » أمريكا ولا على جشتها بل رحبت به ونظمت مساعدة الوفد المصري بكل ما أورده ، وما لم يورده . .
- ٢ - كانت خطة أمريكا في منتهى البساطة كما منشرحها بالتفصيل ، إرسال زعيم تنق فيه وفي عدائه للشيوعية ليعطي « الحياء » نكهة غير شيوعية . . لأن الموجة السائدة والشار كان يعطي الحياء لوناً شيوعياً . .

ومع ذلك كما قلنا لن نملك بهذه الرواية لأنها « أقطع » من أن تصدق ! . . ونعود لبداية الحديث . . فنسأل أي شجاعة أو غرابة في الاشتراك في المؤتمر ؟ !
المؤتمر اشتركت فيه كل من : سوريا ولبنان والسودان العراق والأردن والسعودية وليبيا واليمن ؟ !

أي جميع الدول العربية المستقلة وقتها ، والمرتبطة بمعاهدات أو قواعد سواء مع بريطانيا أو أمريكا ؟ ! فلماذا يكون اشتراك مصر عجباً وحده ؟ ! . . ونصراً يسجل ، ويوازي ما جرى من كبت وهزائم ؟ ! ما العجب في اشتراك مصر ؟ ! ما الإنجاز التاريخي ، والتحول العالمي ، والموقف الوطني الذي تجلّى بمجرد السفر إلى باندونج ؟ !

كلهم سافروا : ليبيا إدريس السنوسي ؟ ! وعراق نوري السعيد . . بل حتى إسماعيل الأزهرى الذي عاد من لقاء ملكة بريطانيا ليشن حملة شعواء على عبد الناصر لم يتأخر عن حفلة باندونج . . بل كان بارزاً هناك في مناكفته للوفد المصري ، بل قيل إن « شوان لاي »

دافع عن حقه في التحدث باسم السودان . . عندما قال : « أعتقد أن هذا الأسود هو أحق من في القاعة . . بالحديث عن السودان » .

فلماذا يتفرد « عبد الناصر » بالثناء التاريخي وبحموم منه الملك إدريس ونوري السعيد والإمام أحمد . . الخ ؟!

سيقول الناصري . . ليس المهم الاشتراك ، وإنما المهم المكانة البارزة التي كانت لعبد الناصر في المؤتمر ؟!

وهذه المكانة هي من شقين : شق من صنع الإعلام المصري الذي قال عنه سلوين لويد إن « جويلز يحسد عبد الناصر عليه » وكانت هذه تلميحة منه للخبراء الألمان الذين جاءت بهم المخابرات الأمريكية لمساعدة الإعلام المصري . والذي يمكن القول إنه كان أقوى إعلام في تلك الفترة في العالم الثالث كله ، والذي كان يبذل وقتها - جهداً خاصاً بمعونة « أهل الخبرة »^٢ لرفع شعبية عبد الناصر بعد اتفاقية الجلاء وتأكيد انفصال السودان ، ومذبحة الإخوان المسلمين ، وتحويل الوطن إلى سجن كبير لثقى القوى السياسية من اليمين إلى اليسار . . وقصة الخلاف حول تنظيم الاستقبال الشعبي للفائز من باندونج معروفة ، وقد طارت فيها رأس جمال سالم الذي كان نائباً لرئيس الوزراء ، أي حاكم مصر في غياب عبد الناصر أو هكذا كان يعتقد ، وأراد أن يكون استقبال عبد الناصر عند عودته من باندونج « استقبالا عفوياً وبمبادرة الجماهير » وكان ذلك يعني أن عبد الناصر سيصل للمطار ويتوجه إلى بيته دون أن يدري أحد ، كما حدث لكل الوفود التي اشتركت في مؤتمر باندونج ، فلم يكن المصريون قد تخدروا بعد بأعجاد النصر الخالد الذي حققوه باشتراكهم في « باندونج » ولكن الأجهزة الخفية التي كان يحكم بها الرئيس مصر ، كانت ترى في ذلك فرصة كما قلنا لكسب شعبية ، وتغطية الاعتراضات المطروحة من المصريين . . فقرروا تخدي جمال سالم . يقول بغدادادي : « ولكن هيئة التحرير والمسؤولين بها : إبراهيم الطحاوي وأحمد طعيمة لم يلتفتا إلى أوامره واتخذتا ترتيبات أخرى مخالفة لتلك التي أمر بها (جمال سالم) بل وتم نشر الترتيبات التي اتخذها على صفحات الجرائد اليومية دون إذن منه . وكان جمال سالم يرى أن يكون استقبال جمال عبد الناصر الشعبي نابعاً من الجمهور نفسه دون تدخل من الأجهزة الرسمية للدولة ، ولكن المسؤولين عن هيئة التحرير قاموا بالعمل على نقل العمال إلى المطار ومناطق أخرى متعددة بغرض التجمع بها . وعلى طول الطريق الذي سيمر به جمال عبد الناصر وهذا التصرف ضايق جمال سالم . . الخ »^٣

وقد عوقب جمال سالم بنزع اختصاصاته كنائب رئيس وزراء فور عودة عبد الناصر ، عقاباً له على الاعتماد على « مبادرة الشعب » .

هذا عن العنصر الأول في أسطورة نجم « باندونج » أما العنصر الثاني والحقيقي ، فهو مكانة مصر التي جعلت نهر و خللال زيارته لمصر يتحدث عبد الناصر ويصر على مقابلة الرئيس مصطفى النحاس المحددة إقامته وقتها ، لأنه كما قال : « إن الحركة الوطنية في الهند تتلمذت

ولا كيف تفكرون استقبالات أندونيسيا ؟ كيف يمكن تفسيرها بشخصية عبد الناصر ؟ الذي لا يتحدث الأندونيسية ولا اهلوتدية ؟ ولا كان وقتها قد حقق إنجازاً واحداً يبرر أن يستقبله الشعب الأندونيسي هذا الاستقبال المفرط في الحماسة . . ١٩

هل كانت معاهدة الجلاء إنجازاً أكبر مما حققه سوكارنو بتحرير أندونيسيا ؟ هل كانت يسارية وتقدمية عبد الناصر هي السبب وهو الذي لم يسافر إلى باندونج ، إلا بعد أن شن أكبر حملة اعتقالات ضد الشيوعيين المصريين ، صفى فيها تنظيم « الراية » (الحزب الشيوعي المصري) بينما كانت أندونيسيا تضم أكبر حزب شيوعي في آسيا بعد الصين ؟

هل كان الشعب الأندونيسي لا ينام الليل متابعاً معركة حلف بغداد بين عبد الناصر ونوري السعيد . . ولذلك خرج إلى الشوارع بحجى بطل ضرب حلف بغداد ؟! حتى هذه لم تكن قد اشتعلت بعد . .

ماذا كان عبد الناصر يمثل في أبريل ١٩٥٥ للشعب الأندونيسي حتى يكون استقباله هناك « أشد حماسة من استقبالاته في القاهرة والاسكندرية . . فكان ظهوره على منصة الخطابة أو في الأروقة أو الشوارع يقابل بمظاهرات حارة جداً » .

والمتمركس ناقل النص يلقي كعادته بنصف التفسير ثم يعدو هارباً خوفاً من الناصريين الذين يحلوهم دائماً أن يجعلوا عبد الناصر أكبر من مصر فهو يقول : « كانت هذه أول رحلة لجهايل عبد الناصر خارج مصر ، ظهر فيها كنجم بارز يمثل دولة ذات حضارة عريقة ولها دور قيادي في الدول العربية التي كانت تشكل ثلث أعضاء المؤتمر ».

طبعاً كاتب مثله لن يشير إلى الإسلام ولكنه اعترف بأن بروز عبد الناصر كان لوقوفه على منصة مصر وليس العكس كما يروج أو يسجل صبية الناصرية ، مكسب « باندونج » على حساب مصر !

ما من تفسير واحد لشعبية وتأييد عبد الناصر في أندونيسيا إلا أنه القادم من مصر « عش العلماء » وبلد الأزهر الشريف الذي منه هذا الشيخ المعلق بركاب عبد الناصر . وأيضاً بلد ثورة ١٩ وإلغاء المعاهدة . . الخ .

ونضيف عدة ملاحظات لمن يريد التوسع في دراسة باندونج وفكرة عدم الانحياز وقتها : عدم الانحياز لم يكن شعاراً موجهاً بالدرجة الأولى ضد المعسكر الغربي . . أو على الأقل لم يكن موجهاً ضده وحده !

فالمعسكر الشيوعي كان لا يزال متأثراً بنظرية متالين - زادنوف عن انقسام العالم إلى معسكرين : معسكر الاستعمار ، ومعسكر السلام . « ولا أحد يستطيع أن يجلس على السور ، فإما أن تقع في هذا الجانب أو ذاك » .

ومن ثم فظهور نظرية « بل وتنظيم يؤكد أن السور ، ليس فقط ، يتسع لمن يريد الجلوس عليه ، بل هو المكان الطبيعي لدول العالم الثالث ، أي أنه ليس من الضروري لكل من أوالا التحرر من الاستعمار أن يقع في أحضان الروس مثل هذه النظرية موجهة بالدرجة الأولى ضد روسيا ، ضد التيار الذي كان يجذب حركات التحرر الوطني نحو موسكو ، حتى وإن نجح الروس في تطويقها وامتصاصها فيما بعد . . . ولم يكن مصادفة أن تكون نجوم المؤتمر هي الصين ويوغوسلافيا وأندونيسيا . . . والهند . . . وكلها كانت تخوض صراعاً متفاوت الخدة والعلنية ضد « الهيمنة السوفيتية » أما عبد الناصر فهو كما - وصف بحق - الرجل الذي قضى على الشيوعية في العالم العربي ودعك من هستيرية دلاس فالقوى الأكثر اتزاناً في الإدارة الأمريكية ، كانت تعيش التطور الجديد . وكانت تزيد « اتزان » الحياء ووقف اندفاع الدول الأفروآسيوية للاتحاد السوفيتي باسم « الحياء الإيجابي » .

الوجود العربي في المؤتمر (٩ من ٢٩ دولة) كان بلا شك عنصراً ملطفاً في مواجهة أية حماسة يشيرها شوان لاي ولم يكن مما يغضب الأمريكيين أن ينتزع عبد الناصر عدو الشيوعية الأصواء في المؤتمر من « شوان لاي » أو سوكارنو المشاغب مع الأمريكان وضحيتهم في النهاية .

وإذا أضيفت إلى قائمة المكاسب رفع شعبية عبد الناصر في المنطقة حيث كانت الولايات المتحدة لا تزال تراه من عليه في تصفية الوجود البريطاني وأيضاً في تحقيق التسوية السلمية مع إسرائيل ، وهو الهدف الذي لم تتخل عنه قط . . . كذلك اكتشف الأمريكان ، كما اكتشف الإعلام المصري ، وجود ميدان آخر يمكن كسب انتصارات فيه وتجريعها للجماهير لكي تنسى ميدان المكاسب الحقيقية وهو الصراع ضد إسرائيل .

إسرائيل لم تشترك في « باندونج » ولم يخطب بن جوريون في « بالي » ولا قام فيها مقر المؤتمر الأفروآسيوي ، ولكن ذلك لم يتفص من مكانتها العالمية ، والدليل : أن العالم كله كان معها عشية عدوان ١٩٦٧ ضد عبد الناصر الذي لم تفده مكانته الدولية ولا باندونج ولا عدم الانحياز ولا الحياء الإيجابي ، ولا آسيوي - أفريقي . كل هذه التفاتيق التي استخدمت على أوسع نطاق لتخدير الجماهير المصرية والعربية . وحرف أنظارها عن مواجهة إسرائيل . . . التي كانت تعمل ليل نهار لتحطيم القدرة العسكرية المصرية . . .

وهكذا كانت المهرجانات تقام باسم باندونج ، والقصائد أو المقالات تدبج في بطل باندونج ، وإسرائيل تحتل المنطقة المتروعة السلاح في العوجة والكونتلا وتذبح الجنود المصريين والمواطنين الفلسطينيين في غزة ! وتشجذ آلة الحرب استعداداً لعدوان ١٩٥٦ وقد لحص « المعلم » مايلز كوبلاند النجاح المصري في عالم الآسيوي - أفريقي وباندونج . . . الخ فقال :

« فشل ناصر في تحويل الدول الأفريقية ضد إسرائيل ، وهو لم يكن هدفاً جاداً من أهدافه على أية حال (١٩ ج) ولكنه نجح في كسب تأييد واسع آسيوي - أفريقي للقرارات المضادة

للأمريالية في الأمم المتحدة وغيرها ، وكذلك تأييد حق تقرير المصير ، ودور متزايد في العالم
الآسيوي - الأفريقي مما أدى إلى تقديم الانجليز والفرنسيين والأمريكان مساعدات أكثر لمصر
في محاولة لشرائه .

باندونج كانت المهرجان والنشاط آسيوي - الأفريقي كان من لزوم المهرجان ولا علاقة له
بالمواجهة المصرية - الإسرائيلية إلا بالسلب . وربما كان كاتب متحرك من نصف ناصري يشير
إلى حكاية شرائه هذه عندما قال إن عبد الناصر كان يريد شل المؤتمر الآسيوي - الأفريقي
عندما جاء به إلى القاهرة ومنعه من أن يلعب دوراً سياسياً إيجابياً ، ولذلك تعدد أن يفرض
عليه « عسكري » ليس له أية اهتمامات سياسية - في رأي هذا الكاتب - مما أدى إلى تحول
المؤتمر إلى « مقر هامشي بلا فعالية أو أثر وربما كانت الخشية من زحف الأفكار اليسارية
والخ »

فشاط مصر في المؤتمر الآسيوي - الأفريقي استهدف شله وتفرغ فعاليته !
إلا أن « باندونج » كان بداية تطور جديد للناصرية ، ومن هنا أهميته الحقيقية ،
لا كانتصار لمصر . . ولكن كتغيير في المعادلة . . فالروس باعتبارهم يتحركون على موجة
واحدة ، وليس بين أجهزتهم هذا التناقض أو التفسخ الموجود في الأجهزة الأمريكية ، نصبوا
شباكهم لهذا التعطش للزعامة ، والقادم من أهم بلد في آسيا وأفريقيا ، وقتها ، وكما رأت
الولايات المتحدة في عبد الناصر قوة صدام وحاجزاً ضد الشيوعية ، كذلك رأى السوفيت فيه
إمكانية لدخول قصر لعبة الأمم في الشرق الأوسط ، يقول كوبلاند : « في باندونج سر ناصر
الطرفين ، الأمريكيان لأنه خفف الحملة على الغرب ، والروس بتأييده الحملة على
الاستعمار » إلا أن الموقف اختلف لأن الروس لم يتحفظوا في مدح سلوكه ، بينما كانت لنا نحن
تحفظاتنا ، كذلك أفتحه الروس أنه وصل (القمة) أما نحن فلم نقل له ذلك »

وهذا طبيعي فالأمريكان كانوا يتوقعون من « صديقهم » أكثر مما كان بوسعهم أن يقدم ،
والروس كانوا ينتظرون من « البكباشي » الفاشي معتقل الشيوعيين « عميل » الغرب أسوأ
بكثير مما حدث . . فكان أن عتب هؤلاء وابتهج أولئك . . وعبد الناصر تصرف التصرف
الطبيعي ، فلم يكن بوسعهم أن يزاحم شوان لاي ونهرو وسوكارنو . . إذا اتخذ موقف شارل
مالك أونوري السعيد . . فهو لم يكن مسحوراً « بشوان لاي » كما « دس » له شارل مالك
عند المسئولين في المخابرات الأمريكية ، بل كان يحاول إبطال سحر شوان لاي ، كانت
الموجة هي سب الاستعمار ، أما مهاجمة « الهيمنة السوفيتية » فلم يكن شعارها قد طرح بعد ،
وإن كان في صدور الرجال مثل « تيتو » و « شوان لاي » .

ويعتقد « مايلز كوبلاند » أن البيروقراطيين في واشنطن لم يفهموا ذلك ومن ثم ضاق
صدرهم بعبد الناصر ، بينما التفسير الأخيث ، يقول : إن الرؤساء في واشنطن الذين
يديرون لعبة الأمم ، رأوا أن إظهار غضب أمريكا وهزيمتها . يساعد على نجاح

عبد الناصر ، وضاعف مكاسب اشتراكه في المؤتمر . . بينما التفسير الأقرب للمعقل ، هو أن الأجنتحة الأمريكية المعادية للشيوعية عداء صليبياً ، وكانت أمريكا غير معترفة بالصين وحديثة عهد بالملكارتية ، لم تلتئم جراحها بعد من حرب كوريا . . هذه العناصر التي استفود أمريكا إلى حرب فيتنام ، كانت ضد أن يظهر أو أن يصافح موظف في دائرة نفوذها ، الزعيم الشيوعي الصيني شوان لاي . . ومن ثم غضبت من عبد الناصر . .

وهناك أيضاً المدرسة الإسرائيلية في السياسة الأمريكية التي كانت تعمل ليل نهار لنسف العلاقات الناصرية - الأمريكية ، وإحباط مشروع اعتماد مصر - عبد الناصر ، كالكيل أو الاحتياطي الأمريكي في المنطقة ، وهذه المدرسة سلاحها المفضل ، هو اتهام عبد الناصر بالشيوعية ، ووسيلتها هي استفزازة لكي يتدفع أكثر في اتجاه الشيوعية . وربما يكون التفسير الصحيح هو مزيج من هذه التفسيرات جميعاً . . بل أغلب الظن أنه كذلك !

المهم يرى « كويلاند » أن الروس كانوا أذكى في قبول خطوة عبد الناصر في اتجاههم والترحيب بها والشد على يده ، ومعاملة كزعيم عالمي . . والتغاضي عن خطراته في الاتجاه المضاد .

يقول : « وقد انتقل برودنا إلى مصر في أكثر الأشكال استفزازاً فأولاً لم يظهر السفير بايروت في مطار القاهرة في استقبال عبد الناصر عندما عاد عودة الفاتحين من المؤتمر ، وعندما وصل عبد الناصر إلى منزله كان أول تقرير يتلقاه هو أن بايروت لم يكتف بمقاطعة الاستقبال ، بل ونصح كل سفراء الغرب الآخرين بتبريد الدخول الظافر . . والحقيقة هي أن « بايروت » تحدث مع السفير البريطاني وسأله ما البروتوكول المفروض ، فنصحته بترك سفراء الدول الأفروآسيوية ينعمون بيومهم . فلما اتصل عدد من سفراء الدول الغربية يسألون بايروت هل أنت ذاهب رد عليهم بأنه يعتقد أن وصول عبد الناصر يجب أن يبقى آسيوياً - أفريقياً . . وأن عبد الناصر سيعدده أن تبقى نحن البيض بعيداً » .

وهذا لغو ، لا أهمية له ، وإن كان قد حرص على « تليس » المسئولية للسفير البريطاني . . إلا أن « اللعبة » كانت تبدأ بالاتفاق مع الأمريكان ، ولكن البطل لكي يندمج في الدور ويشير حماسة رواد « المهرجان » كان عليه ، وغالباً ما ينجح ، إغضاب الأمريكان الذين بسبب نظامهم وارتباطهم السرطاني بإسرائيل ، سرعان ما يطورون هذا الغضب « الصحي » ، إلى فشل سياسي . بالنسبة هم ، ومظاهرة ناصرية - سرفنية ! وفي النهاية ماذا بقي في يدنا من باندونج ؟

ماذا افادت باندونج ميزان الصراع المصري - الإسرائيلي . . ؟
سيفتخر الجواب من خلقهم . . صفقة السلاح . . فقد كان حديثها في باندونج من
شوان لاي . . وكانت باندونج بداية المسيرة في اللعب على حبال الوفاق والتناقض بين الغرب
والشرق . .

-
- ويجبرنا حمروش على الضحك رغم ثقله عندما يسجل ماثورة أخرى لباندونج فيقول : « أراد دلاس أن يلفن مصر دوسا (لاشترائها في باندونج) فاعاد بن جوريون إلى منصب وزير الدفاع الإسرائيلي »
كان إسرائيل « مشيخة » دلاس بعيد ويعزل حكامها !

.. وحلف بغداد

وإذا كان هيكلاً قد اضطر إلى الاعتراف بأن معركة حلف بغداد لم تكن مع الولايات المتحدة بل ملح إلى عجز بريطانيا عن فهم السياسة الأمريكية في «الأحلاف» كانت سياسة أمريكية ، ومع ذلك ترددت أمريكا في الانضمام لحلف بغداد^{١٠} إلا أن الغبار مازال يغلف قصة حلف بغداد ، والشائع عند السوقة ، أنها كانت معركة مصيرية خاضتها مصر وحدها وأحياناً بدعم العناصر الوطنية في سوريا ضد الحلف الشيطاني الأمريكي - الإسرائيلي - البريطاني - العراقي - التركي .. الخ !

والصورة الحقيقية بعيدة كل البعد عن ذلك وهي باختصار :

كانت بريطانيا وحدها وعملاؤها من العرب مع الحلف ..

وكانت أمريكا وإسرائيل ومصر والسعودية وسوريا ضد الحلف ! وقد يبدو هذا مزعجاً وصدمة للناصرين القدامى الذين سكبوا بخرم «معركة الأحلاف» ونحياً لآمال الناصريين الجدد الذين يتطلعون لاستئناف هذا اللون من المعارك القليلة الخسائر .. ولكن هذه هي الحقيقة ..

وفكرة الأحلاف أو محاولتها سابقة على قيام حركة ٢٣ يوليو ووصلت إلى شكلها الواضح المحدد في عامي ١٩٥٠ - ١٩٥١ .. ورفض مصرها وتعرضها للضغط لقبولها ، وخلافها مع بغداد حولها سابق على ٢٣ يوليو .. ويرجع إلى هذا التاريخ .. وفي أوراق وزارة الخارجية الأمريكية عن عام ١٩٥٠ / ١٩٥١ مطلب عراقي - بريطاني ينصح مصر بالكف عن تحريض الدول العربية على رفض الانضمام للحلف المقترح من قبل العراق^{١١}

ومن المعروف أن بريطانيا وأمريكا وفرنسا وتركيا ، قرروا تشكيل قيادة للشرق الأوسط في عام ١٩٥١ على أن تضم مصر «وربما دولاً أخرى من الشرق الأوسط» ..

وكانت الخطة هي ترضية المشاعر الوطنية في مصر والعراق بل وحتى الأردن بإلغاء المعاهدات الثنائية التي كانت تربط هذه الدول ببريطانيا والتي كانت تعتبر في نظر الوطنيين العرب معاهدات حماية واحتلال وسيطرة ومن ثم ترضي مشاعر هؤلاء بإلغاء هذه المعاهدات ، وفي نفس الوقت يتم تشكيل تنظيم جديد ، أو طرح صيغة جديدة تنتقل إليها كل الامتيازات العسكرية ، وبالتالي السيطرة السياسية ، ولكن تحت اسم أقل « بريطانية » وأكثر مداعبة لغرور هذه الدول ، وأكثر قابلية للدفاع عنه من العملاء المحليين . . . أو كما جاء في مذكرة بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٥١ (أي قبل الثورة بعشرة شهور) من واشنطن تحمل عبارة سرّي جداً وعاجل : « تقرر أن يقترح على مصر الاشتراك في قيادة الشرق الأوسط وستصبح مصر عضواً في هيئة رئاسة الأركان وسيضم مكتب القيادة العليا ممثلاً عن مصر وستشجع مصر على قبول مقر القيادة في أراضيها ، وتعطي مكاناً مهماً في تلك القيادة ، وتوفر لها التدريبات والمعدات لقواتها من الدول القادرة على ذلك في القيادة ، وتحول القاعدة البريطانية الحالية في مصر إلى قاعدة للحلفاء تحت إشراف قيادة الشرق الأوسط مع الاشتراك الكامل لمصر في إدارتها في الحرب والسلم . وتنسحب كل القوات البريطانية التي لن تنحط في قيادة الشرق الأوسط وكل ما يبقى في مصر من قوات بريطانية في الحرب أو السلم ، سينضم للقيادة وستضمن مصر للحلفاء في حالة الحرب أو التهديد بالحرب كافة التسهيلات والمساعدات التي تشمل استخدام مواني مصر وطائراتها ووسائل مواصلاتها » .

أي استبدال الاحتلال البريطاني باحتلال مشترك بريطاني - فرنسي - أمريكي . . أما تركيا فهي لربط الحلف بحلف الأطلنطي وكانت قد انضمت إليه تركيا في وقت سابق . . وبالطبع رفضت حكومة مصر الاقتراح جملة وتفصيلاً وشت عليه حملة شعواء في الصحافة المصرية . . ثم كان إلغاء المعاهدة وانهار أي حديث عن تسوية مصرية - بريطانية ، وخاصة بعد أن صدرت مراسيم وحدة وادي النيل تحت التاج المشترك ، وأصبح من المستحيل على أية حكومة ولو برئاسة سائق السفارة البريطانية إلغاء هذا القانون ! . . وكان الحل هو إلغاء « التاج المشترك » وهكذا بإلغاء الملكية في مصر سقط القانون وسقطت آثار القرار الوفدي الشجاع بإلغاء المعاهدة . . وحلت مشكلة السودان . .

أما مشكلة الجلاء ، فكان من المستحيل على أية حكومة مصرية قبل ٢٣ يوليو أن تقبل « الدفاع المشترك » مع بريطانيا ، بمعنى استمرار الوجود البريطاني في مصر ، وإن ذهب بعضها إلى إمكانية قبول عودة الانجليز في حالة الحرب أو العدوان على مصر أو حتى البلاد العربية ، أما إدخال « تركيا » فكان مرفوضاً من جميع الأحزاب والحكومات حتى أكثرها رغبة في التعاون مع الانجليز . . وهذه العقدة أصرت عليها بريطانيا في مفاوضاتها مع عبد الناصر واضطر هذا إلى قبولها . . وبذلك لم يكن هناك مفر مع الضغط الأمريكي على بريطانيا - من

توقيعها الاتفاقية لبدء عمل الفور في محاولة الاستمرار في صبغة جديدة ، بل وأن تسع هذه الصبغة لترضية العراقيين وخاصة نوري السعيد المطروح منافساً لمصر ، والذي يتحتم تقديم صبغة جديدة لارتباطه ببريطانيا بعد أن حصلت مصر على الجلاء والغاء معاهدة ١٩٣٦ . . وهكذا أوعزت بريطانيا بقيام حلف بين العراق وتركيا .

ونترك سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا يحكي لنا القصة :

وسلوين لويد ، كما هو معروف ، هو وزير خارجية بريطانيا وقبلها وزير الدولة ، خلال السنوات التي سبقت وشهدت معركة القناة ، وحلف بغداد ، فهو من هذه الناحية شاهد عيان ، وهو أيضاً رئيس الدبلوماسية البريطانية الذي شاهد أو ساهم في تحويل بريطانيا العظمى إلى دولة من الدرجة الثانية ، هو آخر أجيال الامبراطورية ، وأول من شاهد واعترف مرغماً بحتمية قبول مقعد في الصف الخلفي في لعبة الأمم التي يتصدرها الأمريكان والروس . ولكي نختصر كتابه الذي يقع في ٢٨٢ صفحة نقول إنه في هذه الفترة التي يحكي عنها كانت الولايات المتحدة تعمل بهمة لتصفية الوجود أو النفوذ البريطاني والفرنسي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا . . تصفية وورثة الامتيازات النفطية الأنجلو - فرنسية في المنطقة وما يستلزمه هذا وما يتبعه من مراكز استراتيجية ونفوذ ومصالح اقتصادية أخرى . . ولم يكن من الممكن لاعتبارات كثيرة أن يأخذ هذا الصراع صبغة الحرب العالمية الأولى أو الثانية أي القتال المسلح بجيوش الأطراف المتصارعة ، وإنما كان عليهم أن يتقاتلوا من وراء الأقنعة ، وبالغفازات من خلال القوات المحلية في الأجزاء النائية ، أو من خلال الانقلابات في سوريا ، انقلاب يوقع اتفاقية التابلاين والانقلاب يجمدها ، أو من خلال المحاور العربية حول حلف بغداد . أو بالدعم المصري - السعودي لثورة الجزائر والحركة الوطنية في المغرب .

ونرجو ألا يُسيء القاريء الفهم . فلا شك أن الخلاف حول « البورمي » كان مطلباً وطنياً سعودياً مشروعاً . . وأن المقاومة البريطانية لهذا الحق كانت من أجل الإمكانات النفطية الهائلة المؤكدة في المنطقة وإن لم يكن في الراحة ذاتها ، ولكن باعتبار أن الولايات المتحدة لها مركز خاص في النفط السعودي وقتها - فإن أية إضافة للثروة النفطية للمملكة يضاف بصبغة ما ، إلى الرصيد النفطي الأمريكي في السوق العالمية ، ومن ثم كانت لأمريكا مصلحة ما في ترجيح وجهة نظر السعودية في صراعات الحدود مع البريطانيين أو المحميات البريطانية . . فكونه يمثل تعارض مصالح عالمية ، لا ينبغي واقعيته المحلية . . كذلك الدعم العربي لثورة المغرب والجزائر وتونس هو موقف قومي ومصري ، ولكنه في نفس الوقت يتفق مع الاستراتيجية الأمريكية الراضية في طرد فرنسا من شمال أفريقيا وهكذا كما سنرى ، كانت أمريكا ضد حلف بغداد ، ضد أي تشكيل يقي الوجود البريطاني في المنطقة أو يجر إلى قبضتها الدول التي أفلتت من هذه القبضة وأصبحت صديقة أو في دائرة النفوذ الأمريكي أو تتركز بايها مفتوحاً . . كان العالم يودع نظاماً هزم ، وهو الهيمنة الأنجلو - فرنسية ، ويستقبل نظاماً جديداً هو الهيمنة الأمريكية - الروسية . وإليك ما قاله خبير الأحلاف الأمريكي في تلك

الفترة ، والرجل الذي كان يتولى تسبق جبهة العراق - الأردن - لبنان قال : « كان هربرت هوفر ، وكيل الخارجية الأمريكية بكرة حلف بغداد والسد العالي لما مستفيدا بريطانيا منها » . . . ووكيل الخارجية الأمريكية هذا ، كما سترى في يوميات معركة العدوان الثلاثي ، أقوى وأهم وأفهم من المختل فوستر دلاس . . وهو ضد حلف بغداد فأى مخاطرة أو مجد أن يكون عبد الناصر أو شكري القونلي ضد هذا الحلف ؟

وقال سلوين لويد عن هوفر هذا : « إن الولايات المتحدة لم تنضم لحلف بغداد تخاشيا للصدام مع النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة ، ولم يهتموا بما يصيب النفوذ البريطاني ، وهذا أهون التفاسير ، أما أسوأها فإن « الماكجين » (من ماك جي سفير أمريكي في إيران ج) في إيران وجماعة سويني في السودان والكافريين (سويني المندوب الأمريكي في السودان خلال مرحلة تصفية الحكم البريطاني - وكافري السفير الأمريكي في مصر الشديد العداء للإنجليز) وأرامكو في السعودية ، قد أظهروا عداوتهم لبريطانيا علانية . وهربرت هوفر الابن وكيل وزارة الخارجية الأمريكية كان غارقاً في عداوة البريطانيين إذا ما حكمنا بما قاله وما فعله » .

« كانوا في وزارة الخارجية الأمريكية يعتقدون أن أي ارتباط علني مع المستعمرين الأمريكاليين البريطانيين ، سبب ضرراً ماحقاً ، إن دلاس لم يقبل أبداً الانضمام إلى حلف بغداد تحت أي ظرف من الظروف » .

هذا هو باختصار ، واقع الزمن الذي طرح فيه حلف بغداد ، على أن نراعي - كما قلنا - أن هذا اللون من الصراع ، شديد التعقيد ، وهو لا يحكمه أو يحكم تصرفات اللاعبين فيه ، قانون بسيط اسمه التناقض الأمريكي - البريطاني ، كما كان يؤساء « حزب التحرير » وحدثوا ، يفسرون كل شيء بمفهوم أن كل القوى المحلية مجرد دمي ، بعضها يلبس العلم البريطاني وبعضها الراية ذات النجوم والأشرطة ويحرك البعض الأول جون بول بينما يحرك البعض الآخر العلم سام ١٩ هذا تصور ساذج وتبسيط سوقي ، وليس في السياسة شخصيات مسطحة ، ولا مواقف مبسطة ، فهناك أكثر من قانون وأكثر من علاقة تربط الدولتين وتحكم تناقضهما ونصرفاتهما وهناك علاقات كل دولة بالقوى العالمية الأخرى ، وهناك المصالح والإمكانات للقوى المحلية . . وهناك الدبلوماسية التي تغطي ذلك كله بالحديث عن المبادئ والقيم والمثل والمصالح المشروعة ، والسلام العالمي ومحاربة الشيوعية والحياد الإيجابي والسلمي . . الخ . . حتى ترى « سلوين لويد » يتحدث عن حماية بريطانيا للسودان من الاستعمار المصري ! وشوكبرج يتحدث عن مؤامرة سعودية - شيوعية !!

كذلك ستعجب لتناقض الموقف الأمريكي ، أو تناقض تصريحات دلاس وزير خارجية أمريكا مع سلوك حكومته ، بل مع مواقفه هو نفسه العملية . . وسنلمس فارقاً كبيراً بين موقف « دلاس » « المتدين » الذي بكرة عبد الناصر ، وبين موقف موظفي الجهاز المحترف

سواء في المخابرات الأمريكية أو وزارة الخارجية الذين يراهنون على الزعيم الشاب لتصفية بريطانيا والشيوعية من المنطقة . . . وقد فعل . . .

وقد شهد سلوين لويد : أن حكّام مصر الجدد قدموا تنازلاً لم تقدمه حكومة مصرية من قبل وهو حق السودانيّين في تقرير المصير . وقد مدحهم أيّداً في البرلمان : لأنهم فضّلوا التركيز على محاربة الفساد في بلادهم وحل المشاكل الدولية التي ورثوها من الحكومات السابقة ، كما أشاد بقبولهم مبدأ حق تقرير المصير ،^{١٠}

وقد ظهرت فكرة حلف بغداد بالتنازل الثاني الذي قدّمته الثورة كما قلنا ، عندما اعتبرت تركيا في دائرة الدفاع الإقليمية وأن العدوان عليها يبيح للانجليز العودة إلى قواعدهم العسكرية في مصر ، تماماً كما لا اعتداء على السودان أو السعودية ، ومن هنا نزيد قول ممثل وزارة الدفاع الأمريكية أن أول دولة عربية وقعت حلفاً عسكرياً مع الغرب هي مصر الناصرية وليس عراق نوري السعيد ، ولا جدوى من تزوير التاريخ . . بل وثاني دولة وقعت معاهدة عسكرية مع الولايات المتحدة هي مصر الناصرية في ديسمبر ١٩٥٣ . .

ويقول مصر الدفاع المشترك عن تركيا ، أو الحلف البريطاني - المصري - التركي ، ظهرت فكرة ربط تركيا عضو حلف الأطلسي بالمنطقة العربية بضم العراق والأردن ، على ضوء التوصية القديمة (١٩٥١) « بأن تتخلل بريطانيا عن معاهداتها السيئة السمعة مع الأردن والعراق إذا ما توافرت الترتيبات البديلة » أن تبقى قوات بريطانيا ولكن بموجب الحلف ، وتلغى المعاهدة لإسكات المعارضين .

يقول سلوين لويد :

« فوقعت معاهدة دفاعية بين تركيا والعراق في ٢٤ فبراير ١٩٥٥ بتشجيع أمريكي كبير . ونحن أيضاً كنا نؤيد ذلك لسيين الأول أنه يقوى الدفاع عن الشرق الأوسط ضد الخطر السوفيتي ، والثاني أن المعاهدة العراقية - البريطانية الموقعة في عام ١٩٣٠ كانت ستسهي في عام ١٩٥٧ . والحلف الجديد إذا دخلنا فيه يمكن أن يحل محل المعاهدة دون إثارة معارضة عراقية »^{١١} .

هل صحيح شجعت أمريكا الحلف ؟ . . فلما بادرت بريطانيا أو بالأحرى هرولت للانضمام إليه (في ١٤ أبريل ١٩٥٥) أي قبل انقضاء أربعين يوماً على قيامه ، وكان هذا آخر قرار وقعه تشرشل الذي هو بدوره آخر أسود الامبراطورية ، الذي مات وهو يعض بأسنانه المتأكلة على ما بقي من نفط الشرق الأوسط ؟ . . ما هو موقف أمريكا فعلاً ؟ . .

يقول « ولبر كران ايفلاند » ممثل البتاجون وعضو « مكتب تنسيق العمليات للشرق الأوسط » والمسئول عن تدبير مؤامرة سوريا ١٩٥٦ وعضو اللجنة المشتركة مع المخابرات البريطانية عام ١٩٥٦ لبحث الموقف في الشرق الأوسط يقول :

« بنفذ بريطانيا وقعت باكستان معاهدة دفاعية مع تركيا في أبريل ١٩٥٤ الأمر الذي فاجأ وزارة الخارجية الأمريكية تماماً ، وفي البداية لم تنطق . . ولكن في نهاية السنة بدأ فوستر دلاس يصف هذه الخطوة من مسلمي الشرق بأنها مكسب . . »^{١٢}

ويقول إن « أصل فكرة حلف بغداد كانت بريطانيا ، كمحاولة لتجديد المعاهدة العراقية مع بريطانيا دون تكرار مأساة ما جرى مع مصر »^{١٣} « ودفعت بريطانيا العراق لتوقيع المعاهدة مع تركيا ، ومرة أخرى فإن وزارة الخارجية أخذت على غرة . . was caught out of balance وخاصة عندما أعلنت بريطانيا عزمها على الانضمام إلى التحالف العراقي - التركي ، وحشت أمريكا على أن تحذو حذوها فوراً . . وهكذا أخذ صناع السياسة الأمريكية على غرة بحلف بغداد ، وكان عليهم أن يتصرفوا في إطار ردود الفعل ، بدلا من أن تكون لديهم بدائل مجهزة سابقاً ، ثم جاء تعقيد أكبر ، وهو انضمام الولايات المتحدة للحلف كما تطالب بريطانيا ، وهذا معناه أن الولايات المتحدة ستصبح عضواً في تنظيم يضم دولة عربية وهي العراق . وهذا يحتم عليها إما أن تصدر تهديداً بالدفاع عن إسرائيل ، أو أن تصر على انضمام إسرائيل أيضاً إلى الحلف » .

« وكان واضحاً مما سمعته من الأدميرال دافيز وفي مكتب الوزير « أندرسون » أننا اندفعنا لخلق سياسة تتماشى مع سياسة الأمر الواقع التي فرضها علينا الجهاز البريطاني . وكانت إيران هي الشغرة الباقية في الإطار الشمالي كما تخيله وزير الخارجية . وقررنا أن تسد هذه الشغرة بمبادرة منا . وكنا قادرين على تحقيق ذلك بما لدينا من نفوذ ، أولاً بما أصبح بعد ذلك « أشهر سر » تنبأ به المخابرات CIA وهو دور آلن دلاس وكيرميت روزفلت في إعادة الشاه إلى عرشه عام ١٩٥٣ بما عرف باسم عملية اجاكس »^{١٤} .

والمسؤولون عن مصر في المخابرات الأمريكية كانوا ضد حلف بغداد : « أنا وإيكلبرجر كنا ضد حلف بغداد »^{١٥} وقد سافر كوبلاند رئيس المخطط (CIA) في مصر إلى واشنطن حيث عارض حلف بغداد ونجح في استصدار قرار أمريكا بعدم الانضمام للحلف . . فيما تفسر قول « سلوين لويد » إن أمريكا كانت مؤيدة ، وما حقيقة موقف عبد الناصر ١٩ لقد أشرنا في فصل « الأمريكان ياريس » إلى اختلاف وجهتي النظر داخل الإدارة الأمريكية حول « الأحلاف » . . البيت الأبيض أوبالآخرى أيزنهاور ، وجون فوستر دلاس ، وبقية الجهاز التقليدي كانت ترغب في الأحلاف ولا يمكن أن تقدم أفضل من هذا التفسير لمايلز كوبلاند : « إن مشاريع الدفاع والأحلاف والترتيبات العسكرية كانت تابعة من تفكير متخلف يمثله أيزنهاور وجهازه الرسمي ، من بقايا الحرب العالمية الثانية ، وهو توقع غزو عسكري محتمل للغزو الألماني ، ومن ثم كانت الاستراتيجية هي مواجهته باستحكامات عسكرية . . »^{١٦} .

وقال « إن فكرة منظمة للدفاع عن الشرق الأوسط كانت قد تحولت إلى فكرة خارج التاريخ والسبب الوحيد الذي جعلها مطروحة للمناقشة هو أن الوزير دلاس رغم ذكائه لم يستطع التخلص من الفكرة »^{١٢} .

وقلنا^{١٣} : إن الأجهزة المتطورة كانت قد اكتشفت زوال عهد الأحلاف والاستحكامات العسكرية والغزو « الروسي » . . . ولذلك تولت تحرير « الوزير الذكي » من عقده ، وشن « صوت العرب » الذي أقامته المخابرات الأمريكية ولو من الناحية التكنولوجية حملته المشهورة على الحلف . . .

كذلك كانت الولايات المتحدة لا تريد منظمة تتربع فيها بريطانيا بحف بها عدلاؤها أو الحكومات المتعاونة المرتبطة ببريطانيا ، مثل باكستان والعراق والأردن وشمعون . . الخ . . . كان التفكير والتدبير هو ما أشار إليه كويلاند في شكوى عبد الناصر من خرق الأمريكان لاتفاقهم وشرح هذا الاتفاق - على لسان عبد الناصر ، بأنهم وافقوا على تركه يدبر الأمر فيخلق حلفاً عربياً غير مرتبط علناً مع أي من الدول الغربية الكبرى ، ولكنه قادر على التجاوب والتكامل مع خطط الدفاع الغربية وقت الحاجة^{١٤} . قنست بريطانيا المشروع سواء بتعجلها « التحفظ » على العراق والأردن ، قبل أن تخرجها أمريكا من هناك ، أو لرغبتها في نفس المشروع الأمريكي - الناصري . .

وأخيراً عقدة العقد وهي « إسرائيل » فالولايات المتحدة لا تستطيع الدخول في معاهدة عسكرية دفاعية مع دولة عربية ، في حالة حرب مع إسرائيل ، دون تقديم ما يوازن ذلك لإسرائيل . . ومن السخف طبعاً تصور حلف عربي ، أمريكا عضو فيه ، في نفس الوقت الذي ترتبط فيه أمريكا بمعاهدة دفاعية مع إسرائيل أو الاقتراح الجنوبي بضم إسرائيل للحلف . .

من هنا حق لنا أن نقول إن الولايات المتحدة كانت ضد حلف بغداد وكان يتمشى مع مصالحها تمام التمشي ، تحطيم هذا الحلف أو شله على الأقل ، أما صباح « دلاس » والصحافة الأمريكية فلا يزيد على « هتاف » الناصريين ضد أمريكا للاستهلاك المحلي ، ولضغوطات التفاهات الدبلوماسية مع « الحلفاء » . . وأخيراً إعطاء معركة ناصر ضد الحلف نكهة أقوى ، من عصير محاربة الاستعمار مما أدى إلى النهاية المتوحشة « الأمريكية » لكل رجالات حلف بغداد !

ولعله من المفيد أن نثبت هنا ، رأي « هيرمان فيفر » :

« كان من المتوقع أن ينضم دلاس إلى الحلف ، غير أن الذي حدث هو أنه قال لا بد من إنشاء اجتماعها في مؤتمر القمة الذي عقد في جنيف في يونيو ١٩٥٥ إنه لن ينضم وشعرت الحكومة البريطانية بالياس وامتلات حقداً وغضباً لتخلي أمريكا عن انضمامها للحلف . . بل إن الانجليز عبروا عن استيائهم البالغ حين تواترت الشائعات التي تفيد أن السفير

الأمريكي في القاهرة جيفرسون كافري يبرم صفقات مع « ناصر » وأن من بين نتائج هذه الصفقات عدم انضمام أمريكا للحلف . ورد دلاس على تذمر ايدن بأنه من الخير له ألا ينضم بدلاً من أن ينضم ثم يعود إلى الانسحاب في المستقبل . وشعر دلاس بالخوف من الصبغة التي ترددت أصداؤها في الشرق الأوسط ضد العراق . لقد كان يخشى أن يؤدي إغضب عروية « ناصر » إلى ضياع المساعدة الضخمة التي يمكن أن تقدمها مصر والسعودية ضد الاتحاد السوفيتي ، وربما خشي غضب بن جوريون كذلك لو زادت قوة العراق نتيجة انضمام أمريكا ، ومعروف أن لدى إسرائيل من الأسباب ما يحملها على التوجس من ازدياد قوة أي بلد عربي . « وفي نهاية أبريل عام ١٩٥٦ صرح دلاس لمجموعة المراسلين في اجتماع خاص في واشنطن بأن الانجليز قد « حرقوا » فكرته حول حلف يضم الدول التي تواجه الشمال فقط ، وذلك حين أشركوا العراق في الحلف لأنهم بذلك قد أثاروا عداوة الدول العربية الأخرى » . « ويجدر أن نضيف أن اهتمام دلاس بحلف بغداد كان بنسبة عشرة بالمائة »^{٢٠} .

وفي الاجتماع التمهيدي لمؤتمر القمة الأمريكي - البريطاني سألوا وكيل الخارجية البريطاني مستر « ايفلين شو كبرج » عن حلف بغداد ، فقال : « نحن لا بعيننا إلا النفط ، وما حلف بغداد إلا صيغة تمكن بريطانيا من الاحتفاظ بقواعدها في الأردن والعراق بدون تجديد المعاهدة وليس له أهمية حربية »^{٢١} .

« وقال وكيل الخارجية البريطانية إن السعودية هي العدو بريطانيا الأول أو الشخصي Bete noire وهو يريد أن يبحث معنا كيف نحدث تغيرات أساسية في حكومة السعودية . . . وقد كتبت في مذكراتي يومها ، يبدو أن بريطانيا تريد تنظيم انقلاب يلغي النظام الملكي السعودي ، بمساعدة أودون مساعدة المخابرات * CIA » . « ولما حدثوه عن الخطر الشيوعي في الكويت ، التي كانت محمية بريطانية لم يتردوا فقال : « إن الخطر الحقيقي في الأردن ، حيث المال السعودي والنشاط المصري »^{٢٢} .

وهو جيتسكيل زعيم المعارضة البريطانية ، وأقوى مدافع عن خط الانسواء تحت المظلة الأمريكية والكف عن محاولة العودة « غير المشروعة أمريكا » للمنطقة شرح لنوري السعيد أسباب معارضته أي جيتسكيل لحلف بغداد قال : « إنني أعارض السياسة البريطانية التي اتخذت من حلف بغداد أساساً لسيطرتها في الشرق الأوسط والتي تهدف إلى السيطرة على المنطقة عن طريق حلف بغداد »^{٢٣} .

سلوين لويد يحمل الأمريكيان بصريح العبارة مسئولية فشل الحلف إذ يقول : « إن نقطة الضعف في (حلف بغداد) كانت تكمن في موقف الولايات المتحدة ambguity ذي الوجهين ، فقد ظل دلاس يتحاشى العضوية الكاملة ، قائلاً إنه لا يمكن الحصول على أغلبية

• تأكدت هذه الأقوال عندما نشر شو كبرج نفسه ، يومياته عام ١٩٨٧ وهي تطفح حذراً على السعودية في تلك الفترة .

الثلاثين المطلوبة في الكونجرس للانضمام الرسمي . لم يكن يعتقد أن الرأي اليهودي في أمريكا سيحيد ، ولكن إذا ما تحقق ما وصفه بالتسوية الفلسطينية فإن الوضع سيختلف وعندها سيوصي بعضوية أمريكا الكاملة . (يعني في الشمس ! ج) ولكنه وافق - على أية حال - على إرسال مراقبين عسكريين وسياسيين لحضور الاجتماعات (وربما كان هؤلاء هم الذين يزودون خصوم الحلف بأسراره . ج) ١٢ .

ويعود فيقول : « كانت أهدافنا ألا تبقى علاقاتنا مع العراق على الأسس القديمة فإن وجودنا العسكري كان سيصبح تحت مظلة حلف بغداد ، مع تركيا وإيران وباكستان ودعم الولايات المتحدة ، فإن مثل هذا الحلف لم يكن من السهل اتهامه بأنه أداة للاستعمار البريطاني . ولكن الولايات المتحدة كانت يوماً حارة ويوماً باردة ، دلاس رحب بحلف بغداد ولكنه رفض الانضمام إليه . ويبدو أن الغيرة القديمة من بريطانيا سادت بكل تأكيد على مشاعر بعض مساعديه . فالأمريكان في الظاهر كانوا حليفاً مخلصاً يوثق به ، ولكن في العمق ، كان كثير من الأمريكيين ثقتيهم بكرة الاستعمار ، والثفور من الاعتراف لنا بأية سلطة موروثية من أيام امبراطوريتنا ، وسرور نصف الخفي ونصف ظاهر برؤيتنا نهوى إلى القاع » ١٣ .

هل تريدون أوضح من ذلك ١٤

ومن الإهانة لعبد الناصر ، القول بأن بريطانيا أقامت الأرض وأعدتها لكي تضمه إلى حلف بغداد وهي التي طلبت من مصر في عام ١٩٥٠ أن تكفي خبرها شرها ، فتمتنع عن تخريض الدول العربية ضد مشاريع الأحلاف التي تسعى إليها العراق ، ولا أحد يطالبها بالانضمام إلى هذه الأحلاف . فبريطانيا كانت تريد حلفاً تسيطر عليه وتسوره حول أفراخها في الشرق الأوسط لكي لا يخطفها النسر الأمريكي ، ولم تكن تسعى إلى حلبة صراع مع المصريين ورجال المخابرات الأمريكية الذين تعج بهم القاهرة . ولكن الأمريكيان ما كانوا ليسكتوا على بناء هذه الخطيرة البريطانية وعميونهم جاحظة لنقط العراق ، وغارقة في نقط إيران . . .

ويعكس الفكرة الشائعة بين الناصريين ، عن أن عام ١٩٥٥ كان عام الضغط الأمريكي على عبد الناصر للدخول في حلف بغداد ، فإننا نجد أن هذا العام قد شهد الضغط البريطاني في جميع المناسبات لإقناع الولايات المتحدة بتأييد الحلف ، وتخلص الولايات المتحدة من هذا الموقف ، بل إن سلوين لويد يتهم أمريكا بأنها قتلت الحلف مجاملة « لناصر والدول العربية التي تفكر مثل ناصر » وهي السعودية وسوريا واليمن وقتها . ويشمت فيه بقوله : « ولكن دلاس لم يكسب شيئاً برفضه الانضمام لحلف بغداد ، وقد ثبت ذلك عندما اشترى عبد الناصر السلاح من تشيكوسلوفاكيا وأعلن ذلك في سبتمبر ١٩٥٥ » . وقد عقد اجتماع قمة بين ايزنهاور ودلاس من جهة وايدن وسلوين لويد في محاولة لتصفية

الخلافات أو لوقف ما سماه وزير خارجية بريطانيا بصريح العبارة « محاولة طردنا من المنطقة قبل الأوان » .

ونوقشت في المؤتمر القضايا الرئيسية التي تؤثر العلاقات وهي :

١ - الصين . . . ومعروف أن بريطانيا بسبب « هونغ كونج » والمصالح الأخرى ، قد اتخذت موقفاً مخالفاً للموقف الأمريكي من الصين الشيوعية وكانت تحاول في هذا الوقت بحملة لروسيا والصين ، وايتزازاً للأمريكان ، إعطاء الصين مقعد مجلس الأمن بدلاً من فرموزا وقد رد الأمريكان في الاجتماع على هذه المناورة ببرد حاسم لوقف الابتزاز أو المساومة البريطانية : « أخبرونا أنهم سينسحبون من الأمم المتحدة إذا ما حدث هذا » !

فانقطع الحديث ولكن ليرد الانجليز بنفس الأسلوب في النقطة الثانية :

« وكانت هناك مناقشة طويلة^{٢٥} حول واحة البويري التي تقع في أراضي سلطان مسقط الذي كانت لنا معه معاهدة وكان الاعتقاد بوجود نفط هناك ، وقد تحرك السعوديون لاحتلال الواحة في ١٩٥٣ . ولكن صدوا بمساعدة قوات ساحل عمان والأمير زايد شقيق حاكم أبوظبي . وكان هناك تحكيم ولكننا انسحبنا من محتفظين بمواقفنا في الواحة ، التي أصبحت شوكه دائمة في علاقتنا مع السعودية . ولكن لم يكن بيدنا حيلة لمعالجة ذلك دون أن نتدخل عن أصدقائنا (اهه ١٩٩ ج) . . وكانت الحكومة الأمريكية بسبب قاعدتهم الاستراتيجية في الظهران وأهمية المصالح النفطية لأرامكو في السعودية ، كانت تضغط باستمرار علينا للتسليم للسعوديين . وقد بذلنا جهدنا لإقناع دلاس وايتزهاور أن هذا الموضوع غير قابل للبحث . .

« وفي النهاية بدا أنهم فهموا وضعنا ، وتبينوا ، أيضاً ، أن الملك سعود يستخدم أمواله بغباء وبطريقة ستدمر الغرب وتساند الشيوعية . كما أكدوا لنا أن الولايات المتحدة لن تنضم لحلف بغداد ، ولو أنهم وعدوا بمساعدات^{٢٥} وفي الاجتماعات التمهيدية لهذا المؤتمر قال وكيل وزارة الخارجية وبعد جولة قام بها في بغداد وظهران وأنقرة وطرابلس أبرق من تل أبيب إلى أيدن : « يجب أن يظهر الأمريكان دعمهم لحلف بغداد » كما اقترح انقلاباً في سوريا^{٢٦} .

« وفي ٨ مارس ١٩٥٦ قال لي دلاس إن الولايات المتحدة ستتهم أكثر بالشرق الأوسط . . فسأله كيف ؟ . . قال إنه لم يصل إلى رأي بعد ، فبادرته قائلاً : يمكنكم أن تبدأوا بالانضمام إلى حلف بغداد . . فرد قائلاً : إن هذا مستحيل تماماً ، ولم أفهم أبداً السبب الحقيقي ، إذ كان يشير - عادة - إلى اللوبي الإسرائيلي وصعوبة الحصول على موافقة الكونجرس ولكنني لم أعرف أبداً إذا ما كان هناك أمر آخر يخفيه في نفسه^{٢٧} وما يخفيه دلاس في نفسه يظهره كوبلاند وايفيلين ويلمح له لويد . .

وفي منتصف مارس ١٩٥٦ قدم تقريراً إلى مجلس الوزراء بعد جولة في الشرق الأوسط قال فيها : « يجب أن نبذل محاولة أخرى لحث الولايات المتحدة على الانضمام لحلف بغداد . .

يجب أن تعمل على التقريب بين العراق والأردن ومحاولة عزل السعودية عن عبد الناصر بتوضيح أطباع عبد الناصر للملك سعود . واتخاذ إجراءات ضد عبد الناصر مثل تجريد الأرضة . وسحب تمويل السد العالي ، وخفض المساعدات الأمريكية لمصر . ووقف الإمدادات العسكرية ، ولكن ذلك كله يحتاج لدعم حكومة الولايات المتحدة . ولذا فإن المهمة الأولى هي الحصول على اتفاق أمريكي - بريطاني .

وأخيراً توصل وزير خارجية بريطانيا لدلاس : « وعندما أخبرت دلاس بصفة شخصية جداً ولعلماته فقط أنني لا أعتقد أن نوري (السعيد) يمكن أن يعمر طويلاً ما لم يتخذ إجراء حاسم يثبت أن سياسته في دعم حلف بغداد تعود بالفوائد على العراق ، لم يظهر على دلاس أنه أخذ كلامي على محمل الجد ، مما جعلني أشعر أن عداء السعودية للعراق انعكس على نصائح وزارة الخارجية الأمريكية لدلاس .

وأكثر من ذلك أن « سلوين لويد » يكشف سرّاً غريباً ، له علاقة بالرواية التي يذكرها هيكل وإن أخطأ في تواريخها وهي الاتفاق المبدئي الذي جرى بين سلوين لويد وعبد الناصر على وقف حملات صوت العرب ضد حلف بغداد مقابل تعهد بريطانيا بوقف محاولاتها لضم دول عربية جديدة إليه . هذا الاتفاق تقدم به دلاس إلى سلوين لويد إذ قال له : « إنه يعتقد بإمكانية إجراء مساومة مع عبد الناصر بأنه لن تنضم دولة عربية أخرى للحلف مقابل وقف الحملة على الحلف . وقد رد سلوين لويد أنه عملياً لن تنضم دول عربية في المستقبل القريب ولكنه لا يستطيع أن يجري هذه المساومة مع عبد الناصر لما يمكن أن يكون لها من تأثير على دول الحلف وخاصة على نوري (السعيد) . وكان ذلك في لقاء دلاس ولويد في كراتشي في مارس ١٩٥٦ .

أمريكان لم تكن مع حلف بغداد ، بل كانت ضده ، وأقل ما يوصف به موقفها هو أنها لم تعترض على النشاط المضاد له ، والذي قام به الحلف المصري - السوري - السعودي . . . ففور سقوط الحكومة الموالية لبريطانيا والعراق سافر صلاح سالم إلى دمشق حيث وقع بياناً مشتركاً مع خالد العظم (وزير الخارجية) يدعو إلى رفض حلف بغداد وإقامة حلف عربي ، وقد بادر الملك سعود بإصدار بيان يؤكد موافقة المملكة على البيان المصري السوري . . . ويفسر كاتب متركس ذلك بأن « السعودية كانت في نزاع شديد مع بريطانيا حول أحقيتها في واحة البوريمي »^{٢٨} .

وهذا صحيح ، ولكنه يقف عنده لا يتقدم خطوة ، لأنه يعرف أنه يمشي على رمال متحركة ، فلما تقدم خطوة واحدة لوجد نفسه أمام الصراع الأنجلو - أمريكي الذي طالما حاولنا تلقيته إياه في صدر شبابه ، لينكره في شيخوخته . . لكي لا يضطر لوضع « الناصرية » في مكانها في دائرة هذا الصراع . .

وما يمكن قوله في هذا الموضوع من الحديث . . أن السعودية كانت لها مصلحة حقيقية ، بل وسياسة قديمة في معارضة بريطانيا ، ومعارضة العراق الهاشمي الذي أصبح أكبر قوة موالية لبريطانيا في المنطقة . وقاعدة نشاطها وخاصة بعد الانسحاب البريطاني من مصر والسودان . . فالعداء السعودي - الهاشمي قديم . والمصالح البترولية - السعودية ، مرتبطة بالمصالح الأمريكية وابتعاد سوريا عن القبضة البريطانية - العراقية وباسترداد واحة البوذيي وما حولها من نفط من الانجليز ، وكما كانت السعودية راغبة في استخلاص أراضيها المغتصبة من قبل الانجليز ، فإنها كانت بشكل أقوى تشعر بأمن أكبر إذا مازال الوجود البريطاني من المنطقة كلها . والسعودية في هذا الموقف مع استقلال سوريا ضد بغداد الانجليزية ، مع تحرر الخليج من الاستعمار البريطاني ، مع سياسة مصر . . .

وفي تلك المرحلة لم تكن سياسة مصر تتعارض مع السياسة الأمريكية ، كان عبدالناصر يعمل على تصفية الاستعمار البريطاني من المنطقة ، لأن هذا هو الضمانة الأولى لتحرير مصر ووقف مؤامراتهم في مصر والسودان وليبيا . . ولم يكن مستعداً ولا قادراً على أن يدخل في حلف تتزعمه أو تنصده بريطانيا ، وقد كادت اتفاقية الجلاء تكلفه حياته ، إن صح أن هناك مؤامرة حقيقية لاغتياله ، ولكنه يعلم أن أكثر من وطني كان يمتنى وقتها نهايته جزاء « خيانة » اتفاقية الجلاء ١ . . كذلك لم يكن ليضل أن تكون بغداد مركزاً لتنظيم إقليمي للشرق الأوسط ٢ . . فهو والملك سعود كانا يتحركان من موقف وطني تاريخي استراتيجي واضح المصلحة لمصر والسعودية والعرب وضد بريطانيا * . . وأيضاً يتفق والاستراتيجية الأمريكية للمنطقة . . كذلك فإن اللوبي الصهيوني في السياسة الأمريكية لم يكن ليرحب بقيام حلف عربي - تركي ، لأنه في النهاية قد يوجه ضد إسرائيل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . . ولوم من خلال تقليل الخلافات بين الغرب والدول العربية ، وإتاحة الفرصة للتعرف وربما الحصول على أسلحة متفوقة للدول العربية وأيضاً جذب تركيا إلى اهتمامات ومهم العالم العربي ، وما قد يؤدي إليه من ارتفاع في النبض الإسلامي ، الخافت منذ سقوط الدولة العثمانية . . فكل دول الحلف المقترح إسلامية . . وقد رأينا كيف شق عدنان مندريس جزاء اهتمامه بالعالم العربي ، ومحاولته التودد للعرب والشعب التركي ببعض الإفراجات عن دين الجماهير التركية المعتقل منذ أثناتورك . .

وإذا كانت المنطقة قد شهدت منذ حلف بغداد ثلاث حروب ضد إسرائيل ولم تشهد حرباً واحدة ضد الاتحاد السوفيتي فإن إسرائيل هي المعنية بالدرجة الأولى بكل ما يدور حول التنظيمات العسكرية في المنطقة . وهي بصراحة ضد أية منظمة دفاعية إقليمية وخاصة إذا كانت مع الغرب ، ويمكن مراجعة موقفها من صفقات السلاح الغربية للسعودية ومن

* نود أن نضيف هنا أن هذه الاستراتيجية أو التحليل كان صحيحاً إلى الاتفاق على الجلاء عن مصر ثم تبدلت خريطة المنطقة أو كان يمكن أن تبدل .

مشروع قوات الانتشار الأردنية - الأمريكية ، حيث كانت هي التي وأدت المشروع .
وكما لاحظ المخابراتي الأمريكي بذلك أو يعلم سابق : « إذا درس أحد حملات ناصر ضد
الغرب يجد أنه يركز أكثر على القوات الأجنبية والقواعد ، منه على دورنا نحن

(الأمريكان) في إقامة إسرائيل »^{٢٩} .

حلف بغداد كان مشروعاً بريطانياً ، على غير هوى الأمريكان ، وضد سياسة إسرائيل
وفي هذا الإطار يمكن فهم الحملة عليه ، وتقييم « النصر » الذي أحرزناه عليه . . ولكن
هيكمل يحاول أن يكشف فائدة المعركة حلف بغداد يمكن أن يضيفها إلى كفة مصر في المواجهة
مع إسرائيل فيقول :

« لو نجح نوري السعيد في ضم سوريا والأردن ولبنان إلى حلف بغداد لثم عزل الشرق
العربي عن مصر وعن بقية المغرب العربي وتبعني أنق ترك مصر وحدها في الميدان أمام
إسرائيل » .

دعنا من حكاية المغرب العربي فلم تكن قد قامت له قائمة بعد برغم الحركات الوطنية
الباسلة هناك ، وتلك لا يعزلها حلف ولا أحلاف . . لا يعزلها إلا الحكم « الثوري » كما
رأينا فيما بعد . .

أما عن المشرق العربي ، فالحمد لله لم ينجح نوري السعيد في ضم سوريا ولا الأردن
ولا لبنان للحلف ، فهل غير ذلك من حقيقة ترك مصر وحدها في الميدان أمام إسرائيل ؟
ومن هرع إلى نجدتها في حربها أمام إسرائيل عام ١٩٥٦ . . هل كان الحلف سيمنع حفنة
ضباط أو وطنيين من نفس الخط ؟ الوطنيون منعوا بريطانيا من استخدام قاعدة الحبانية في
العراق أو القواعد البريطانية في ليبيا . وأبناء ولي عهد دولة خليجية منعه من دخول
قصره . . فاضطرت بريطانيا لاستخدام قبرص حيث أعلن نوار ابوكا وقف العمليات
العسكرية في كل الجزيرة خلال فترة الحملة ١١ رغم كل التأييد الذي منحه لهم مصر . .

فلما وقع العدوان ، وسلمت بريطانيا بأنه قد آن الأوان لطردها من المنطقة وسلمت
بالوجود الأمريكي وانحصرت أمالها في الوجود بإمارات الخليج وعدن وملحقاتها تغلت عن
فكرة حلف بغداد ، وطواه النسيان حتى ووري التراب مع نوري السعيد^{٣٠} ، إلا أن الإعلام
الناصرى مازال يتحدث عن معركة حلف بغداد ، ويسجلها هيكمل في حيثيات إثبات أن « نصر
السويس » كان أكمل نصر في الحرب المحدودة !

أو هذا على الأقل ما كان في كتاب « قصة السويس » ولكن بعد أن فندناه بما فيه الكفاية كما
يرى الفاري^{٣١} ، فإن مؤرخ الناصرية ، اضطر إلى التسليم بأن المعركة ضد « حلف بغداد » لم
تكن بالموقف الثوري الوطني الموجه أساساً ضد الولايات المتحدة كما ظل يفترى ثلاثين عاماً ،
ولذلك سنسمع نغمة أقل صحباً في « ملفات السويس » وسنجد وثائق أكثر دلالة . .
سنجده يقول : « الرياض أول من أحس بنثر العاصفة القادمة » . . وأول رسالة ضد

الحلف كانت من الملك سعود ، وأول تحرك على النطاق العربي ، وأول حملة ضد الحلف موجهة للرأي العام العربي كانت سعودية ، بل والذي فات هيكل ذكره ، أن موقف مصر كان غامضاً ورجل عبد الناصر ، « صلاح سالم » أوشك أن يوافق على الحلف في خلال اجتماعه مع نوري السعيد ، وذلك لأن موقف أمريكا لم يكن قد انضح بعد ، أو أن التعليقات لم تكن قد وصلت بوضوح إلى القاهرة* ، بينما تحرك الملك بالحس السياسي السليم ، حس صاحب المصالح الحقيقية ، فأي تحرك للعراق وباكستان ذلك الوقت لابد أن يكون انجليزياً ، وكل ما هو انجليزي ضار بالمملكة ويمكن القول بأن رسالة الملك سعود إلى عبد الناصر ، كانت الأساس في دعابة صوت العرب ضد الحلف : « ونعتقد أن الدافع (لقبول العراق للحلف ج) هو الضغط الأمريكي - الانجليزي للتفاهم مع إسرائيل وقد أصبحت المسألة الآن مهمة لا تختمل التغافل ولا سيما أن البلاد العربية في حالة تهديد ، فقد أصبحت المسألة مهمة وخطيرة ويجب تعاضدنا وتفاهمنا » .

ولم يتحرك ناصر !

فأرسل إليه السفير السعودي مع رسالة أخرى حول الشكوك التي أثبتت في العراق عن موقف مصر من الحلف . . وتحريض ضد العراق الذي يقوله « عدم استخدام السلاح ضد إسرائيل التي لا يوجد غيرها عدو للعرب لما يدل على خروجهم عن الضمان الجماعي ، وربما يكون وراء هذه الخطوة ما هو أعظم منها وهو انضمام العراق إلى الحلف التركي - الباكستاني والسبر وراء المستعمر لتحقيق مصالحه »**

ولا يستحي هيكل أن يقول : « وكان الملك سعود قد فقد اعصابه ووجه نداء عاماً إلى الشعوب العربية كلها قال فيه : « إن ما أقدم عليه حكام بغداد خيانة عظمى والسكوت عليه جريمة » ويعترف هيكل متأخراً جداً « بأن نوري السعيد استمزع رأي السعودية قبل مفاخرة عبد الناصر حول حلف بغداد فرفضوا الحلف » وقال إن عبد الناصر سأل (الملك) فيصل : هل ستقبلون حلف بغداد ؟ فقال الأمير : معاذ الله ! لن يكون ذلك أبداً***

على الأقل اعترفوا أن الملك سعود كان أكثر عنفاً في مهاجمة حلف بغداد» .

ونتابع اعترافات « هيكل » : فينقل أن « ايزنهاور لم يكن متحمساً من البداية لضم الأردن إلى حلف بغداد لأن إسرائيل من حقها أن تقلق من أن يصبح أحد جيرانها المباشرين

-
- * قبل الطبع ، عثرنا على وثائق تفسر موقف مصر الغامض من الحلف في البداية وما جرى في العراق بين نوري وصلاح سالم فأضفناها إلى الملحق رقم واحد في هذا الفصل نرجو الرجوع إليها الآن .
 - ** ص ٣٢٤ ع نقلاً عن وثائق عبد الناصر . . وبالطبع لم تكن هذه الوثائق متاحة لنا بعدما أعطاها من لا يملك إلى من لا يستحق ، ولكن الحمد لله سبى القاري ، أنا وصلنا إلى نفس تحليل موقف السعودية وبدون أرشيف الكري ومنشئته في كتابنا « كلمتي للمغفلين » .
 - *** ص ٥٧ ع ولعل عبد الناصر فهمها ، لأن فتحي رضوان يقول إنه اضطر أن يشرح له معنى يأبى الله ورسوله ذلك ! . . فهل سيفهم معاذ الله !

عضواً في حلف بغداد بينها هي بعيدة عنه « وردد ايدن : جنرال أحق لا يفهم شيئاً في السياسة وقال : « إسرائيل لم تكن متحمسة لاشتراك أمريكا في حلف بغداد » .
لنا سبق الفضل عندما قلنا من سنوات إن إسرائيل كانت ضد حلف بغداد ، وأنه لا يجوز أبداً تضليل « العامة » بتسجيل حلف بغداد في قائمة أهداف إسرائيل والانتصار عليها في قائمة هزائم إسرائيل وانتصارات القومية العربية ! . .

ثم نخرج على بقية « الانتصارات » . . ونبدأ بحلف ايزنهاور .

وحلف ايزنهاور ولو أنه مسجل على أهرامات الناصرية ، إلا أنه لا يستغرق منا وقفة طويلة ، إذ يكفي أن نطرح هنا رأي « المعلم » « مايلز كوبلاند » أو بالأحرى رئيس الوردة فالمعلم الحقيقي هو كيرميت روزفلت ! قال كوبلاند مندوب المخابرات الأمريكية في مصر : « في ١٩٥٧ كنت في واشنطن أعمل في لجنة المفروض أن تكون مشغولة عن كل ما له علاقة بعبد الناصر ، وأذكر أنني حضرت يوماً إلى المكتب صباح يوم من أيام شهر يناير لأعرف أن « مبدأ » (مشروع ايزنهاور) قد أعد للإعلان وهو يسبب المتاعب لكل خصوم ناصر ولا يقدم لهم ما يحتاجونه فعلاً للموقف ضد حملات ناصر التي كان من المؤكد سيئنها ضدهم . مشروع ايزنهاور اقترح على الكونجرس في مارس ١٩٥٧ . والمشروع يقول للرئيس ايزنهاور استخدام الجيش الأمريكي في الدفاع عن أية دولة في الشرق الأوسط مهددة بعدوان مسلح من أية دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية ، وتقديم المساعدات الاقتصادية لمثل هذه الدولة لبناء وسائل دفاعها . وحتى اليوم لا أعرف من الذي زرع الفكرة هل هو دلاس أو بيل راون تري . . كل ما أذكره أنها لم تكن من اختراع لجنة تخطيط سياسة الشرق الأوسط (المكونة من المخابرات CIA + وزارة الدفاع + وزارة الخارجية ج) ولا أحد من موظفي مكتب الشرق الأدنى وأفريقيا هم أية علاقة بالمشروع . ونحن جميعاً من موظفي الخدمة السرية ، كنا على يقين أن المشروع لا معنى له على الإطلاق . وعلى ما أتذكر فإن كل المسؤولين عن الشرق الأوسط بالإجماع كان هذا رأيهم ، وعندما مثلت المخابرات الأمريكية في لجنة التخطيط السياسي للشرق الأوسط إذا ما كان يفكر في إرسال أحد مساعديه ليشرح المشروع للحكام العرب رد قائلاً : « نحن لا نستطيع أن نربط أنفسنا بكل فكرة مخبولة تظهر » .

ونحن لا نستطيع الآن أن ننجح في ما فشل فيه عضو لجنة التخطيط السياسي للشرق الأوسط فنعرف من الذي زرع فكرة الحلف في رأس ايزنهاور ولا من الذي زرع فكرة الحملة الصليبية ضد الحلف في رأس عبد الناصر ولكن عملاً بقانون « ابحث عن المستفيد » نجد أن إسرائيل قد سعدت بتطويق ونسف أول تعاون علني عالمي وإقليمي بين الولايات المتحدة ومصر . . فبعد كل ما تعرض له ايزنهاور من اتهامات وضغوط بأنه باع الحلفاء الدائمين بريطانيا وفرنسا وإسرائيل من أجل مغامر عدو للمغرب بميل للشيوعية ، بل واتهامه بأنه معادٍ

للسامية* حاول عن حسن نية وغباء أو بإيعاز من « خبيث » أن يظهر العين الحمراء للشبيوعية وعملاء الشيوعية في المنطقة ، وآخر ما كان يتوقعه هو هذا الهجوم من النظام الذي انقذه ايزنهاور من أخطر ما تعرضت له دولة صغرى في القرن العشرين .

وكان أنصار مصر أو المدرسة العربية في السياسة الأمريكية على وعي بخطورة الوضع بعد الانحياز الأمريكي الكامل ضد إسرائيل وبريطانيا ، وحساسية الرأي العام الأمريكي ، والجهد المضاعف لإسرائيل وبريطانيا لإثبات خطأ سياسة « ايزنهاور » ولذلك حاولوا تحذير مصر من استفزاز الرأي العام الأمريكي أو تحقير ايزنهاور بالاستجابة إلى إغراء الحرب الإعلامية وتسجيل البطولات على أمريكا . . . كما كان « صلاح جاهين » يؤلف : « والأمريكان ياريس » ! . وينقل « هيكمل » أن « لوي هندرسون » حذر السفير المصري « أحمد حسين » بأن الظرف الحالي هام إلى أقصى درجة بقدر ما هو دقيق ، وأن التصرفات خلال الشهور القليلة القادمة سوف تكون حاسمة في شأن العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر . وأن الفرصة سانحة أمام مصر لكي تنبأ مركزاً قوياً ممتازاً ، وفي نفس الوقت فالخطر قائم في أن يسوء مركز مصر وتضيع كل ثقة فيها . وأن الولايات المتحدة لا تضرر سوءاً لمصر . ، وأنها ترغب في التفاهم ولكن على أساس سليم ومن الجانبين وبنسبة مائة في المائة » (٥٨٧ ع) .

ولكن عبد الناصر - لأمر ما - رفض كل هذه النصائح واختار أن يدخل معركة استفزازية ضد ايزنهاور تحت شعار محاربة الأحلاف مع أن مبدأ ايزنهاور لم يكن حلفاً ولا يطلب انضمام أحد . . . وهنا قد يرى أنصار التفسير الإسرائيلي لظاهرة الناصرية ، في موقف عبد الناصر من ايزنهاور ، حجة تدعم رأيهم بأن ناصر كان بخدم مصالح إسرائيل بالدرجة الأولى . أما نحن فهازلنا عند تفسيرنا ونعتقد أن عبد الناصر الذي كان قد توأم مع استراتيجية « استثمار » حملاته ضد الامبريالية ، أو بإيعاز من « خبيث » آخر على الجانب المقابل ، اندفع في مهاجمة ايزنهاور ومشروعه . . . وكذلك عاد الصفاء بين بريطانيا وأمريكا بعد ما ثبت بالدليل القاطع أن « عبد الناصر » لا يحفظ وداً وانتصرت المجموعة الإسرائيلية التي راهنت على فشل الاستثمار الأمريكي في مصر وأكدت دائماً أنه لا حليف يعتمد عليه إلا إسرائيل .

وربما يكون موقف المخابرات الـ CIA المعارض لمشروع ايزنهاور « النسخيف » كما وصفوه قد شجع عبد الناصر على أن يستفيد من معارضة المشروع وهو مطمئن إلى فشله** .

* نشرح هذه النقطة بتفصيل أكثر

** عل أنه لا يحق لأي ناصري أن يقتصر بتحطيم مبدأ ايزنهاور فقد طبق المبدأ حرقاً باحتلال لبنان عام ١٩٥٨ ولم ينس عبد الناصر بحرف ولا استطاع أن يطلق طوبة في اتجاه قوات الغزو الأمريكية وهي نهبط إلى أرض لبنان وسط استقبال حافل ! وبعد الإنذار الأمريكي الذي قال حرقاً لعبد الناصر : « إذا أطلقت طلقة واحدة على جنودنا في لبنان فستفككم » . . فلزم الصمت !

وربما حرضوه على مهاجمة المشروع تدعيماً لوجهة نظرهم !
ربما . . . والغريب أننا كافأنا أمريكا على تأييدها الحاسم لمصر في ١٩٥٦ بحملة عداء ظلت
تتصاعد حتى وصلت للقطيعة ، مع ازدياد الود والتقارب مع السوفييت ، وكافأنا أمريكا
عقب تأييدها السافر العلني لإسرائيل في حرب ١٩٧٣ والذي كان العامل الحاسم في احباط
نصر عربي قوي الاحتمال . . . كافأنا قيادة ٢٣ يوليو بالارتماء في أحضانها وقطع العلاقة مع
روسيا ؟!
عجبي !

صفة السلاح ؟

تخطيم احتكار السلاح !

« إن العالم العربي اعتبر الصفقة قراراً بتحرير الإرادة العربية » .
وقعت كالمصاعقة على الغرب الذي لم يتصور إمكانية حدوثها فضلاً عن أن يكون قد علم بها ! وجن جنون دلاس ، وزلزلت موازين القوى ، وقسمت الشرق الأوسط إلى قوى وطنية ، وقوى رجعية . . وكانت ضربة معلم ، لم يفكر فيها ولا كان يمكن أن يفكر فيها إلا زعيم ثوري صلب لا يساوم ولا يخاف مثل جمال عبد الناصر !
هذا هو ملخص رأي الإعلام الناصري الذي أطعموه للأمة العربية أكثر من عشرين سنة ! وما زال يتردد إلى اليوم في الدوائر الفكرية المتخلفة . .
وملخص رأينا الذي بلا شك سيصدم الناصريين والمتناصرين هو :

- إن عبد الناصر لم يكن أول من حاول الحصول على سلاح من الاتحاد السوفيتي بل الأخرى أن يقال : إنه آخر من حاول ذلك وأنه بذل كل جهد في طاقته لمنع ذلك ففشل !
- إن الصفقة كانت بعلم ورضا إن لم نقل بتحريض المخابرات الأمريكية .
- إن الصفقة كانت أهم خطوة اتخذتها الدول العربية لصالح إسرائيل وحتى لا يسقط ناصري ناشيء في غيبوبة من هول ما أقول . . نبدأ بالوقائع والتحليل . . فالذي هو أفضل منا جميعاً ، لم يستطع الصبر على ما لم يحيط به علماً . .
- ونبدأ بالضابط نصف الناصري نصف الماركسي الذي يفتح شهادته بإعلان من راديو موسكو :

« لم يدخل السوفيت إلى المنطقة غزاة ولم يتقدم علمهم خلف التجارة كما فعلت إنجلترا في الصين »^{٣٦} .

وحقا يكاد المريب يقول خذوني ! فهذا هو بالضبط ما حدث في حالة الروس فقد بدأوا بالتجارة غير المشروطة ، وانتهوا والراية الروسية ترفرف على سبعين ألف عسكري كانوا في مصر بعد « التجارة » ويسبب التجارة !
ماعلينا !

تبدأ قصة السلاح مع الاتحاد السوفيتي عندما حظرت بريطانيا تصدير السلاح إلى مصر في أعقاب الحرب الفلسطينية الأولى وتدهور العلاقات مع بريطانيا في عهد حكومة الوفد (١٩٥٠ - ١٩٥٢) التي كانت أول حكومة مصرية تعترف بالاتحاد السوفيتي وذلك في عام ١٩٤٢ ، وطلبت حكومة الوفد سلاحاً من يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتي ، ولكنهم رفضوا ذلك ، وقد فسر فؤاد باشا سراج الدين ذلك الموقف لأحمد حمروش بأن « الروس كانوا حريصين على عدم استفزاز الغرب » . وقد تأكد صدق قول سراج الدين بما نشر هذا العام فقط من وثائق الخارجية الأمريكية فقد جاء في محضر اجتماع بتاريخ ١٧/١٠/١٩٥٠ بين وزيرى خارجية مصر وأمريكا أن الوزير اللفدي محمد صلاح الدين قال للوزير الأمريكي : « إن مصر قد تضطر إزاء الحصار الذي تفرضه بريطانيا على تسليحها ، قد تضطر إلى التحول للكتلة السوفيتية المتعطشة لتقديم السلاح لمصر . . . » .

وفي أغسطس ١٩٥٣ سأل حسن رجب وكيل وزارة الحربية لشئون المصانع حكومة تشيكوسلوفاكيا في توريد الأسلحة ، فكان الرد بعد الدراسة هو : نحن بلد نحب السلام ولا نعطي أحداً سلاحاً .

« ديسمبر ١٩٥٣ تسامل محمد نجيب (في لقاء مع السفير السوفيتي (بنيامين سلود . . ج) عن احتمالات تسليح الاتحاد السوفيتي لمصر .
« السفير المصري في موسكو عزيز باشا المصري استفسر من السوفييت أيضاً عن احتمالات تسليحهم لمصر بمبادرته الخاصة خلال عام ١٩٥٤ » ٣٢ .

« أحمد لطفي أكد بحث هذا الموضوع مع مستشار السفارة السوفيتية بالقاهرة » .
« في عام ١٩٥٥ طلب حسين عرفة مدير المباحث الجنائية بالبوليس الحربي من « كامل » البنداري (الباشا الأحمر . ج) (بإيعاز من عبد الناصر في رواية حمروش ج) أن يتصل بالسفير السوفيتي ليأله عن إمكانية تقديم السلاح لمصر وجاء الرد السوفيتي بأن تقديم السلاح لمصر والجنود البريطانيون يمثلون القناة سيكون معناه في النهاية تسليم السلاح للبريطانيين .

ويروي محمد نجيب أن « سلود زاره في منزله في يناير ١٩٥٤ وأبلغه أن الاتحاد السوفيتي وافق من ناحية المبدأ على بيع السلاح لمصر . وقد أبلغ محمد نجيب ذلك كتابة لعبد الحكيم عامر قائد الجيش المصري وطلب منه أن يعد قائمة بالأسلحة المطلوبة . . . » .

ويستتج حمروش أو بعلق على إهمال عامر وناصر لهذا الأمر في حينه بقوله : « إذا صحت هذه الرواية فهي لا تعني أكثر من اندفاع نجيب في مطالبة للسلاح من السوفيت ، في وقت كان جمال عبد الناصر يعتقد فيه أن الوقت لم يكن ملائماً بعد لاتخاذ هذه الخطوة الجريئة التي تعني احتمال حدوث صدام مع إنجلترا وأمريكا في وقت لم تكن فيه اتفاقية الجلاء قد وقعت بعد » .

حتى « حين فهمي » رئيس تحرير الجمهورية اشتغل مسارا لهذه الصفقة ، وحصل على موافقة السوفيت وأبلغ ذلك جمال عبد الناصر فكان « الصمت هو الجواب » .
ويؤكد حمروش أن صلاح سالم هو الذي طلب السلاح من شوان لاي وليس عبد الناصر كما هو شائع . . وهذه هي الرواية :

« قال لي صلاح سالم إن الفيللا التي أقام بها كانت قريبة من سكن شوان لاي رئيس وزراء الصين الذي شاركه عبد الناصر في دائرة الضوء . . (الخ) وفي إحدى الزيارات المتبادلة صارحه سالم بحاجة مصر إلى السلاح لمقاومة تهديدات إسرائيل وبناء جيش قوي قادر على تثبيت مبادئ الحياض الإيجابي وسأله عما إذا كان يمكن للصين أن تقدم له (للجيش ج) حاجته من السلاح . واعتذر شوان لاي قائلا : إن الصين تستورد سلاحها من الاتحاد السوفيتي وأنه إذا وافق صلاح فيذل جهده للاتصال بالسوفيت ، ومعرفة رأيهم في موضوع توريد السلاح لمصر . . ووافق صلاح قورا . . » .

ويحرص حمروش على تأكيد أن عبد الناصر لم يوعز لصلاح بذلك إذ يقول بطريقة مستثة « والشيء المقطوع به أن صلاح سالم لا بد أنه أبلغ جمال عبد الناصر بحديثه مع شوان لاي » .

« وبعد العودة لمصر وفي شهر مايو ١٩٥٥ اتصل دانيال سولود السفير السوفيتي بصلاح سالم وأبلغه بموافقة الاتحاد السوفيتي على توريد ما تشاء مصر من أسلحة . أبلغ صلاح سالم جمال عبد الناصر بحديث السفير السوفيتي ، وأن صلته انقطعت بعد ذلك بالموضوع ، فقد تولى مسئولية الاتصال بعد ذلك ، علي صبري مدير مكتب جمال عبد الناصر » .
نلخص هذه الوقائع :

١ - كسر « احتكار السلاح » بطلبه من الاتحاد السوفيتي لم يكن مبادرة عبقرية فريدة في زمانها ، غريبة في مصدرها ، خارج حدود عصرها ، بل هي خطوة طبيعية ، وتفكير سابق على الثورة وعلى عبد الناصر . . تقدم به الوفد ، ثم محمد نجيب وعزيز المصري وأخيرا صلاح سالم وكلها مبادرات لا دخل لعبد الناصر فيها . . ويبدو أن الناس نسبت الضجة التي أثارها « معروف الدواليبي » عندما قال إنه سيحصل على السلاح من روسيا وكان رئيسا لوزراء سوريا ، بل وفي هذا الوقت بالذات وقبل الإعلان عن الصفقة المصرية اتفق نهرو مع الروس على صفقة طائرات اليوشن ٢٨ . ولم تؤلف فيها الأغاني والنظريات بل لا يكاد يعرفها أحد .

٢ - أن العقبة في تلك الفترة لم تكن في « رجعية » ولا « عمالة » الجانب المصري ورفضه شراء السلاح من الاتحاد السوفيتي ، بل في رفض الاتحاد السوفيتي تقديم هذا السلاح لكي لا يفتح جبهة جديدة في الحرب الباردة ، ويشهد بذلك الكاتب المتعركس نفسه إذ يقول إن الرفض الروسي كان مبنياً على سياسة ستالين التي كانت تقضي بعدم تقديم أية مساعدات عسكرية أو اقتصادية لأية دولة غير شيوعية ، وأن قبول الاتحاد السوفيتي بيع السلاح لمصر « كان تغييراً حقيقياً في سياسة الاتحاد السوفيتي بالمنطقة وكان الاتحاد السوفيتي قد قطع علاقته الدبلوماسية مع إسرائيل في فبراير ١٩٥٣ عقب إلقاء قبلة على مفوضيته في تل أبيب » « السفارة الروسية » وقال : « إن وصول مثل هذه الأسلحة الحديثة إلى بلد غير شيوعي ، من الاتحاد السوفيتي ، ما كان يتم لولا وفاة ستالين وحدث تغيير في سياسة الحزب الشيوعي ظهرت واضحة في قرارات المؤتمر العشرين الذي عقد في فبراير ١٩٥٦ وقرار الانفتاح على شعوب آسيا وأفريقيا ودعم حركات التحرر الوطني » .

وهذا المدح في خروشوف الذي كانت زيارته لمصر سبباً في تولي حروش رئاسة تحرير روز اليوسف ، والسبب في ستالين من مظاهر قلة الوفاء التي يشكو منها أمين هويدي . . . فالإتحاد السوفيتي في عهد ستالين كان يدعم حركات التحرير وإلا لما غنى له الحدناويون في عيد ميلاده : « عاش ستالين . . عاش ستالين . . عيد الشعوب وعيد الأمم » ولكن الدعم يختلف شكله من مرحلة لمرحلة . . فهو في مرحلة بناء الدولة السوفيتية يكتفي بالتخريب الذي يحدته الشيوعيون في مؤخرة العدو ، أما بعد أن تم بناء الدولة وظهرت الامبراطورية وتطلعت إلى حصة في السوق العالمية ، ونصيب في عائدات السعر العالمي الظالم أو دم الشعوب الذي يتغذى به « داركيولا » الامبريالي تاجر السلاح . . هنا يأخذ الدعم شكل صفقات سلاح وديون وفوائد للديون وخبراء بمرتبات وامتيازات ، وكله عند العرب دعم . . .

المهم من ذلك كله هو أن الرفض كان من جانب الاتحاد السوفيتي ولأربع سنوات كاملة وأن التغيير أو الانقلاب الثوري الجذري لم يكن من جانب مصر التي لم تكف عن طلب السلاح من أيام فؤاد باشا وصلاح الدين باشا ، بل كان من جانب الاتحاد السوفيتي ، وبسقوط ستالين وليس سراج الدين ومحيي خروشوف وليس عبد الناصر . . تمت الصفقة .

٣ - إن عبد الناصر كان أقل المتحمسين خلال تلك الفترة لطلب السلاح من الاتحاد السوفيتي ، فقد أهمل تماماً اتصال محمد نجيب ، الذي طلب السلاح لمواجهة حتى الانجليز ، فلم يكن اتفاق الجلاء قد وقع ولا الانجليز خرجوا من مصر . . ولكن عبد الناصر كما يقرر الكاتب الناصري رفض لكي لا يستفز الانجليز والأمريكان . بينما لم يحسب محمد نجيب حساباً لذلك . ولا يجوز أن نصف قرار نجيب بالتسرع ، فإذا فعله عبد الناصر أصبح عملاً عبثياً وضربة مؤقتة حاسمة . .

٤ - وأخيراً عندما وافق الاتحاد السوفيتي على بيع السلاح لمصر ، وجاء كما يقال بشيك على بياض لمصر . . هل يندر عبد الناصر بعقد الصفقة وإتمام الاتفاق ؟! إذا كان القرار قراره ، ومن منطلقات ثورية تحريرية اشتراكية واعية . . فلماذا التردد ؟! . .

وقائع التاريخ تؤكد أن جميع من سبقوا عبد الناصر على طريق السلاح السوفيتي كانوا جادين في طلبهم ، إلا عبد الناصر ، فلم يكن يفكر في أكثر من مساومة الغرب والضغط عليه . . فهو اعتبر العرض الروسي ورقة مساومة وإغراء لإثارة غيرة أمريكا وبريطانيا ، إذ كان يفضل أن يحصل على السلاح منها ولا يتورط في علاقة مع الروس ، وهذه حقيقة أعلنها في خطبه عشرات المرات ، وهو يعتذر عن « خطيئة » شراء السلاح من الروس مؤكداً أنه فعلها مكرهاً غير باغ ولا شارحاً للروس صدره . .

قال حمروش :

« ومع وجود هذا العرض المفتوح من جانب السوفيت ، والذي تم الاتفاق عليه مع جمال عبد الناصر فإن التعاقد لم يوقع عليه وينفذ ، فقد كان جمال عبد الناصر شديد الحذر في اتخاذ هذه الخطوة التي تعني صداماً مباشراً مع الأمريكيين والبريطانيين الذين مازالت قواتهم في منطقة القناة ، لم ترحل بعد » . . واستخدم جمال عبد الناصر اتفاقه مع السوفيت كقوة ضغط على الغرب في محاولة أخيرة لإجبارهم على توريد السلاح . . اتصل جمال عبد الناصر بسفيري أمريكا وبريطانيا ، وأبلغهما بنبأ الصفقة وحذرهما من اضطرابه لقبولها ، إذ لم تحصله أسلحة من الدولتين . . وأقبل شهر يونيو دون أن يتلقى جمال عبد الناصر رداً عليه من السفيرين ، في الوقت الذي كان فيه السفير السوفيتي يستعجل معرفة رد مصر للإبلاغه لموسكو . .

وجاء شيلوف إلى مصر وتم الاتفاق على صفقة السلاح . . ومع ذلك ظل الاتفاق سرّاً غير معلن وغير موقع لأن جمال عبد الناصر ظل متردداً بأمل حدوث تغيير في الساعة الحادية عشرة في موقف الغرب كما يقول ناتينج . . واستدعى جمال عبد الناصر الملحق الجوي وأبلغه أن هناك مشروع اتفاق نهائي لم يوقع بعد بصفقة أسلحة مع السوفيت وأن عليه إبلاغ المسؤولين في واشنطن باضطراب مصر للحصول عليها إذا ظلت أمريكا في موقف الرفض . . ولكن كل هذه المحاولات انتهت إلى لا شيء . . ولم يكن هناك بد من توقيع الصفقة والإعلان عنها . .

عبد الناصر إذاً أجبر إجباراً على « كسر احتكار السلاح » ولم « يجد بداً » بعدما رفض الأمريكان كل محاولاته ومساوماته . . وتركوه عن وعي واختيار وسابق علم لكي يتعامل مع السوفيت . . فأعفونا على الأقل من مسرحية « الفاليج » الذي أصاب الغرب ، والجئون الذي حل بدلاس والإنداز الذي حمله آلن . . فالأمريكان كان عندهم علم ومن أوثق المصادر . . من عبد الناصر نفسه بوجود العرض ، ثم الاتفاق . .

وكذلك يمكن القول إن قرار عبد الناصر لم ينبع من إدراك واعٍ لخصمية المجابية مع الغرب

للارتباط العضوي بين هذا الغرب وإسرائيل ، ولا عن قناعة بضرورة تحرير الإرادة المصرية ، ولو بالمفهوم الضيق ، ولا عن قناعة بحتمية الصدام مع الغرب للدور التحريري الذي لابد أن تقوم به مصر في المنطقة انطلاقاً من نظرية الدوائر إياها ١٩ . بل كانت خطوة أجبر عليها .

واليك رواية المصادر الأمريكية :

« في الأيام الأولى ، عندما كان عبد الناصر يطلب معدات عسكرية لم يكن وارداً احتمال استخدامها لهدف كبير مثل حرب مع إسرائيل أو اليمن أو ما أشبه . . ولا حتى كان طلبه كبيراً ، فالحاجة كانت مركزة على الأهداف الأمنية الداخلية . وقد أوضح ناصر بجلاء لسفرائنا أن نظامه يعتمد على الجيش في تأمينة . وهو يؤمن أن جيشاً هزبلاً هو جيش غير مخلص . وقد بدأت طلباته من أمريكا بأربعين مليون دولار ثم وصلت إلى عشرين مليوناً وأخيراً نزلت إلى مجرد مليونين أو ثلاثة ملايين ثمن معدات استعراضية . . طاسات ، وحملات مدرعات . . وغيرها من المعدات حسنة المظهر في الاستعراضات » « بايرود كرجل عسكري كان يعرف أن السلاح الذي يطلبه عبد الناصر لا يمكنه من الإضرار بمصالحنا بأية حال » .

ولفهم موقف الأمريكان نعرض الآتي :

عندما وصل العسكر إلى الحكم كان من الطبيعي أن يتطلعوا إلى الدعم الأمريكي بكافة أشكاله ، وبالثبات المعونة العسكرية ، أي الأسلحة ، والمعونة الاقتصادية . وقد وضع الأمريكان خططاً لذلك بالفعل ، وكان عبد الناصر مستعداً لقبول شروط المعونة العسكرية وهي توقيع اتفاقية الأمن المتبادل ، ولكن الانجليز تدخلوا كما رأينا بكل حيلة في يدهم من ذكريات نشرشل مع ايزنهاور إلى التهديد بانتصار الاشتراكية في لندن ! واستجاب الأمريكان للضغط ومنعوا الدعم العسكري بل حتى الاقتصادي . . فلما وقعت اتفاقية الجلاء بمعظم الشروط التي وضعتها بريطانيا ، لم تكن هناك - كما بدا - مشكلة في تنفيذ الوعود الأمريكية بإمداد مصر بمعدات عسكرية ، بالطريق العلني المعتاد الذي يقتضي توقيع معاهدة الأمن المتبادل . ولكن عبد الناصر كان قد وقع لشراء معاهدة مرفوضة من الشعب ، وبخوض معركة إبادة ضد الإخوان المسلمين « العملاء » . . ولذلك رأى كما أبلغ المتصلين به من الأمريكان أنه لا يستطيع أن يوقع اتفاقيتين عسكريتين مع الغرب في عام واحد ، ولكن رجال الخارجية الأمريكية ، سواء كراهية أو منافسة لرجال الـ CIA أو لاقتناعهم بأن « ناصر » الذي يخوض حرباً مع شعبه ، وارتبط باتفاقية عسكرية مع بريطانيا لا يملك الخروج عن طاعتهم أو الإضرار بهم ، أو ربما كان موقف الخارجية الأمريكية هو مجرد موقف بيروقراطي ، لا يرون أبعد من اللوائح والنظم ويخشون لو أعطوا عبد الناصر امتياز الحصول على سلاح بدون اتفاقية ، ما يسيء إلى مركز الدول التي خضعت للشروط الأمريكية ، أو شيء من ذلك كله

صمم رجال الإدارة الأمريكية ، على ضرورة أن يتبع ناصر القوانين ويوقع اتفاقية المساعدة العسكرية وذهبت جهود أصدقاء ناصر في المخابرات عبثاً . . . وسنقدم هنا وثيقتين :

مذكرة من هيئة تنسيق العمليات Radius

إلى نائب وزير الخارجية

واشنطن ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤ سري للغاية

الموضوع : المساعدة العسكرية لمصر

مرفق الملحق Tab A كتبه مترجمينجان نائب وزير الخارجية المساعد لشئون الشرق الأدنى وجنوب آسيا وأفريقيا . .

حضر الاجتماع ممثلو : الخارجية والدفاع والمخابرات CIA وإدارة العمليات الخارجية .

١ - سوف نتابع ، كما هو جارٍ حالياً ، محاولة دعم التنمية الاقتصادية لمصر في حدود ٤٠ مليون دولار .

٢ - (محذوف) يجب أن ننصح رئيس الوزراء ناصر بأننا لا نستطيع تنفيذ برنامج مساعدة عسكرية شاملة ، إلا عندما يصبح قادراً على توقيع اتفاقية المساعدة العسكرية التقليدية ، ولكن نظراً لصداقتنا الخاصة ودرغبتنا في مساعدة نظامه على البقاء ودعم مركزه ، فنحن على استعداد لتقديم مساعدة اقتصادية متواضعة إضافية بطريقة تمكنه من توفير قدر من الدولارات لشراء معدات عسكرية أمريكية وسيكون ذلك بصفة سرية جداً وهذا ينطبق فقط على السنة المالية الحالية وسيبلغ ناصر بوضوح كامل أن أية مساعدة أخرى في المستقبل يجب أن تتم بالطريق المعتاد .

٣ - إذا وافق ناصر فيمكن تحويل عشرة ملايين دولار من وزارة الدفاع إلى إدارة العمليات الخارجية بند المساعدات الاقتصادية وتضاف إلى الأربعين مليوناً المقررة للمساعدة الاقتصادية الأصلية .

٤ - قرار تحديد المواد التي ستباع لمصر والإجراءات اللازمة لذلك ستم علنا وبالطريق المعتاد وكان المبالغ المعنية جاءت أساساً من مصادر مصرية .

وأخيراً فإنني أعتقد بوجود شيء من المصادقية في دعوى الـ CIA بأن ناصر يؤمن فعلاً بأننا قد التزمنا نحوه ببعض المساعدات العسكرية . وأعتقد أيضاً أن (عبد الناصر) يمكن أن يكون مقيداً جداً في الشرق الأوسط ، إذا ما دعمناه ونعهدناه cultivated . . . ولذا أعتقد أن لفئة خاصة من هذا النوع نستحق المحاولة . . . وعلى أية حال إذا رفض ناصر هذه الترتيبات ، فأننا أوصي بالعودة إلى موقفنا الأصلي وهو : لا مساعدة عسكرية بأية صورة حتى يكون مستعداً لتوقيع الاتفاقية المعتادة . وأرى أن يشار هذا الأمر في اجتماع O.C.B. (هيئة تنسيق العمليات في ٢٩ سبتمبر) هـ .

وقبل أن نستقل للوثيقة الثانية نقف هنا عند نقطة أشرنا إليها في كتابنا السابق ولكنها لم تكن واضحة ، وهي مازالت شديدة الغموض ، وكُتِّبَ الناصرية يضمنون علينا بتفسير رغم إفراطهم في الكتابة . ففي هذا الوقت ذهب « محمود فوزي » إلى السفير الأمريكي وأبلغه أن عبد الناصر أو مصر لا تريد سلاحاً من أمريكا ؟! وقد ورد ذلك في برقية من كافري إلى وزارته برقم ١٣٥٧ بتاريخ ٢٩ أغسطس ١٩٥٤ و ٢٦٨ - زارني وزير الخارجية أمس وأخبرني أنه بعد دراسة دقيقة ، فإن الحكومة المصرية قررت ألا تطلب مساعدة عسكرية من أمريكا في هذا الوقت لأن المصريين تيقنوا أن القوانين الأمريكية تتطلب توقيع اتفاقية الأمن المشترك وأن هذا القرار (عدم طلب السلاح . ج) لن يؤثر على سياسة الحكومة المصرية في التعاون الوثيق مع الغرب ، وإنما لأسباب داخلية ، وطلب رفع حجم المساعدة الاقتصادية .

وتضاربت المواقف بشكل مثير . . هيئة الأمن كتبت مذكرة في ٨/٩/١٩٥٤ أعربت فيها « عن سرور الخارجية الأمريكية لقرار مصر بعدم طلب السلاح نظراً للاحتياجات الإسرائيلية الأخيرة » .

واحتجت الـ CIA في واشنطن وقال ممثلوها إن السفير ليس له مداخلته مع عبد الناصر وأيدهم السفير المصري في واشنطن الذي شك في النبأ واتصل بعبد الناصر تليفونياً ، الذي أذن له أن يبلغ وزارة الخارجية « أبلغنا السفير المصري هنا على ضوء مكالمة تليفونية أجراها مع ناصر أنه يعكس ما صرح به فوزي فإن ناصر لم يتخذ قراراً نهائياً بعد في موضوع طلب المساعدة العسكرية وأنه يرغب في إبقاء الأمر معلقاً حتى يحل مشاكله الداخلية » ١٩٥٤/٨/٣١

هل كانت مناورة من وراء ظهر عبد الناصر ، أم يعلم عبد الناصر لأحكام الخطة التي نقلت إليه عن زيادة حجم المساعدة الاقتصادية العلنية ، بما يوفر عملة لمصر تشتري بها سراً المعدات العسكرية أي من السوق الأمريكية نقداً ودون حاجة لشروط المساعدة . . ؟ ثم تدخلت الـ CIA فجعلته يغير موقفه ؟! الحق أننا لا ندري . . وعلامات الاستفهام تتزايد حول شخصية « محمود فوزي » .

الوثيقة الثانية :

ملحق ب . . . سري جداً

٢٨ سبتمبر ١٩٥٤

مذكرة من مسئول مكتب تنسيق العمليات (ستانلي) .

عقد الاجتماع لبحث مشكلة المساعدات العسكرية لمصر وحضره الآتية أسماؤهم :

عن الخارجية

جون جيرتغن

لويس فرشتلنج

وليم بوردت

الدفاع

وليم جودل

المخابرات CIA

ريشارد بيسيل (المدير العام)

كيرميت روزفلت نائب المدير للشرق الأوسط

إدارة العمليات الخارجية

نورمان بول

مكتب تنسيق العمليات

المستأنس

ماكس بيشوب

ويده مستر جيرنجان الاجتماع بأن وجود التزام أمريكي بإعطاء مصر مساعدات عسكرية واقتصادية . وأن وزير الخارجية المصرية أبلغ السفير كافرني أنه بسبب الظروف الحالية ، فإن مصر لا تريد توقيع اتفاقية المساعدة العسكرية في هذا الوقت . وبما أن تعهد الولايات المتحدة بتقديم المساعدة العسكرية لمصر لا ينطوي على حالة خاصة ، ومن ثم يجب أن يتخذ الطريق المعتاد . . . ولكن نظراً لعدم رغبة مصر في الحصول على المساعدة العسكرية في هذا الوقت . فقد روى أنه من غير المرغوب فيه أن تثير مشكلة حول إقناع المصريين بضرورة قبولهم اتفاقية المساعدة وأنا استحسن على ضوء المناقشات الأخيرة في مكتب تنسيق العمليات ، أنه لو أمكن إيجاد حيلة لإعطاء مصر ما لا يزيد عن عشرة ملايين دولار مساعدة عسكرية لمصر تحت (.) (وردت هكذا ج) بعض الترتيبات مثل مساعدة اقتصادية ، فإن مستر جيرنجان ، يعتقد أن مثل هذا الترتيب سيكون مقبولاً سياسياً ولن يسبب لنا أية مشاكل .

واستعرض مستر ستانس ، ومستر جودل ، المناقشة التي جرت في اجتماع هيئة تنسيق العمليات في اجتماعها الأخير يوم الأربعاء ٢٢ سبتمبر (بالرجوع إلى الملفات لم تغير مناقشة المساعدة العسكرية لمصر في ذلك الاجتماع) وقال مستر جودل ، إن وزارة الدفاع قد اعتمدت ما يزيد قليلاً عن عشرين مليون دولار للمساعدة العسكرية لمصر وأن جزءاً من هذا المبلغ يمكن أن يحول لإدارة العمليات الخارجية إذا مارأت الـ OCB (مكتب

التنسيق . ج) ذلك ضرورياً ومرغوباً فيه . وأكد مستر « جودل » في نفس الوقت أن هناك احتياجات أخرى لهذا المبلغ .

« ثم تحدث « مستر روزفلت ومستر بيزل (رجلا المخابرات CIA ج) فوصفا بإيجاز الوضع في مصر : »
(هذا الجزء اختفى ! حذف من ملفات الخارجية ولن نتاح أبداً معرفته ! ج)

ثم استمر التقرير :

« وجرت مناقشة مكثفة Considerable حول نوعية المواد التي يريدونها المصريون في هذا الوقت واتفق على أنه من المستحسن إرسال ضباط أمريكيين لمصر لنصح المصريين حول المواد التي يجب أن يحصلوا عليها ولبروا إذا كان ممكناً تلبية طلبات الولايات المتحدة ؟ وصرح المستر باول أن هيئة المعونة الخارجية يمكنها خلال وقت قصير إعداد برنامج مساعدة اقتصادية بأربعين مليون دولار و (محذوف) خطة بعشرة ملايين يمكن للمصريين استخدامها لشراء إمدادات عسكرية من الولايات المتحدة » واتفق على أن المجموعة ستقترح على OCB في اجتماعها القادم ٢٩ سبتمبر برنامج العمل التالي :

١ - (محذوف) يتصل بالكونترول ناصر و (محذوف) يبلغ الأخير أنه ولو أن المساعدة العسكرية المنحة ، يمكن تقديمها فقط في ظل اتفاقية مساعدة عسكرية فإنه قد يكون من الممكن أن يوضع تحت تصرفه (محذوف) مبلغ في حدود عشرة ملايين يمكن أن يستخدمها في شراء إمدادات عسكرية من الولايات المتحدة . وأن هذه المساعدة هي « كل » ما يمكن له أن يتوقع في السنة المالية الحالية . وأنه إذا حاز هذا البرنامج قبوله فعلياً أن يطلب من وزير خارجيته الاتصال بالسفارة الأمريكية لطلب المساعدة . « وتقرر في هذا الاجتماع إرسال فريق دراسة من العسكريين بملايس مدنية لنصح المصريين بما يشترونه بالعشرة ملايين » .

○○○

ولكن حدث تطور جديد يعكس الصراع الذي كان دائراً وقتها بين مجموعتين ، مجموعة وربما كان السفير الأمريكي فيها ، التي ترى أنه يستحيل على واشنطن إعطاء أسلحة بحجم يرضي ناصر إلا إذا خضع للتنظيمات القانونية المتبعة في أمريكا وفريق « المخابرات » الذي رأى أن توقيع عبد الناصر على اتفاقية عسكرية مع أمريكا سيؤثر على الدور المرجولة كزعيم العالم العربي وقائد ثورة التحرير . الخ . واستمر الشد والجذب وانعكس ذلك في قرارات مصرية متناقضة :

في ٢٧ أكتوبر ١٩٥٤

« أبلغ السفير المصري ، الخارجية الأمريكية أنه بسبب القبول الحسن للمعاهدة مع الانجليز ، وتحسن الوضع السياسي الداخلي لذا فإن كولونيل ناصر يرغب في استئناف المفاوضات حول المعونة العسكرية » .
في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٤ .

« أبلغوا ناصر » أن الحكومة الأمريكية مستعدة لاستئناف مفاوضات السلام وأن ترسل فوراً لجنة تقصي حقائق عسكرية في ملابس مدنية لتناقش مع ناصر ما يتعلق بالاتفاقية العسكرية (. محذوف ج) وإمداد مصر (. محذوف) بحوالي ثلاثة ملايين دولار لشراء معدات عسكرية أمريكية لرفع الروح المعنوية واستئناف السفارة في القاهرة المفاوضات على أساس اتفاقية على طراز الاتفاقية المبرمة مع العراق » .

وهذه الوثائق تؤكد تماماً ما سجله « ولبرايتيلاند » في كتابه « حبال من رمال » فعلى ضوء قرار هذا الاجتماع تشكل وفد منه و « جبر هارديت » وسافرا إلى مصر حيث اجتمعا بناصر ، ولكن كتاب « ايتيلاند » أكثر معلومات ، ذلك أنه حدد الأشخاص الذين حضروا الاجتماع وفيهم كوبلاند والتهامي ولكن كما أشرنا هناك قرار بحذف أسماء الذين هم علاقة بالمخابرات الأمريكية ويمكن أن يضرهم سياسياً أو أمنياً الإشارة إلى نشاطهم . . . ولذلك حذف من تقرير الاجتماع اسم « كوبلاند » الذي لم يرد في الوثائق إطلاقاً ! وكذلك حذف اسم « التهامي » وقيل « وواحد من السكرتارية الخاصة لرئيس الوزراء » .

وأغلب الظن أن المقصود هو التهامي وليس كوبلاند (ها ها ! ج ١٩) . . كذلك سجل تقرير الخارجية الأمريكية عن الاجتماع مع ناصر ١١/٢٣/١٩٥٤ نفس الملاحظة التي اتفق عليها كوبلاند في « لعبة الأمم » وايتيلاند في « حبال الرمال » وهي « إن الجو كان ودياً ومسترخياً » * .

وقال ناصر : « إنه لا يقدر أن يوقع معاهدة مع الانجليز واتفاقية عسكرية مع الأمريكان في وقت واحد » . .

ورد التقرير كالآتي : « في ٢٣ نوفمبر ، اجتمع جبر هارديت ، ايتيلاند (محذوف) ونعتقد أنه اسم كوبلاند) مع عبد الناصر وعامر وعضو من السكرتارية الخاصة لرئيس الوزراء (ناصر ج) » .

وجاء في التقرير أن ناصر أبلغ الأمريكيين أنه يتوقع « تصفية الإخوان خلال شهرين » وفي هذه الحالة وعلى ضوء تدعيم قبضة مجلس الثورة يمكن أن يعيد النظر في توقيت الاتفاقية المطلوبة .

وفي يوم ٣١ ديسمبر ١٩٥٤ كتب مستر جبرنجان الوكيل المساعد للخارجية الأمريكية مذكرة جاء فيها :

* حكاية خلع الجاككات ، وحادثة الرئيس باسمه الأول جمال بدون القلاب . .

تسلمنا رسالتين (. . . محذوف ج) من رئيس الوزراء ناصر يقول : « إن الحاجة إلى المساعدة العسكرية ماسة » . نظراً للحالة المعنوية الحاضرة للجيش ، وهو يطلب البحث عن وسيلة لتقديم مساعدة عسكرية مجانية بدون توقيع اتفاقية برنامج مساعدات الدفاع المشترك . وهو يسأل إذا كان خطاباً شخصياً منه للرئيس الأمريكي يكفي لتغطية اشتراطات القانون ويشكل بديلاً عن الاتفاقية . . ١٩ » .
وردت المذكرة :

- ١ - إن اعتمادات المساعدة لمصر حولت لأغراض أخرى وبالتالي فإن أية مساعدة ستعتمد على تخصيصات الكونجرس التي بدورها ستتأثر بموقف الكونجرس والرأي العام الأمريكي إزاء سياسات المصريين وخاصة فيما يتعلق بإسرائيل .
- ٢ - في جميع الأحوال سيطلب من مصر أن توقع الاتفاقية .
- ٣ - نحن على استعداد لدراسة طلبات شراء في إطار اتفاقية المساعدة الحالية . .
« وكما تعلمون فإن خططنا نحو تحقيق تقدم في حل المشكل العربي - الإسرائيلي ، يعتمد أساساً على مصر كالفائد المحتمل لنسوية مع إسرائيل ولإقناع ناصر لقبول هذا الدور يجب :
١ - مساعدته على تقوية مركزه في الداخل .
٢ - إقناعه بأن هذه السياسة ستحقق عائداً وبالخطوة المقترحة سنلوح له « بجزرة » إمكانية المساعدة العسكرية وهو الأمر الذي يحتاجه بشدة . . بينما نقول له بوضوح إن ذلك لن يعطى له مجاناً بل لابد أن يدفع مقابلته وذلك بتحسين موقفه من إسرائيل . وقد نوقش ذلك في ٣٠ ديسمبر (١٩٥٤) مع مترهوفر ، سترموري ، وأندرسون نائب وزير الدفاع وآل دلاس (مدير الـ CIA) » اهـ .

وهذه الرسالة الخسيسة الأهداف والوسائل « الجزيرة »* كان يمكن أن يتجمد الموقف أو يدخل في مرحلة اكتشاف جديدة لإمكانية الحل السلمي للصراع العربي - الإسرائيلي ، في ضوء توقعات المراهنين على عبد الناصر وأيضاً المدرسة « العربية » في الإدارة الأمريكية وهي التي كانت تضم القوى التي استهانت بالغزو الصهيوني وجهلت الأطماع الصهيونية الحقيقية ، فقد رأت هذه القوى بعد إنهاء المشكل المصري - البريطاني ، أن الفرصة متاحة لوضع السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط على قدميها بالمراهنة على القوة الكبرى والطبيعية بل والشرعية الأصلية وهي العرب . . وبالذات مصر التي كان يحكمها شباب معجبون بالأمريكان باعتراف هبكل أو مرتبطون بالأمريكان في اتهامات خصومهم . . ولو تحقق هذا التصور لواجهت إسرائيل مأزقاً حقيقياً ، لا لأن أمريكا كانت ستفق مع العرب على إزالة

* إشارة إلى السياسة التي وضعها روزفلت الأول « تيودور » في إخضاع أمريكا اللاتينية عندما سألوه عن سياسته فقال : كيف يتحكم الهندي في الحمار : يعلق له « جزرة » يسمى إليها دائماً ولا ينالها ويستحثه أو يرهيه بالعصا ! . . وعرفت باسم سياسة العصا والجزرة . .

إسرائيل ، بل كانت ستجبر إسرائيل على عقد صلح مقبول للعرب ، وهذا يعني زوال إسرائيل في نظر الفكر الصهيوني الامبراطوري . . وقد حاول اللوبي الصهيوني ، بكل قواه أن يمنع تسليح مصر ، ولكنه كان يعرف أن هذا مستحيل الاستمرار ، وخاصة إذا ما نجح الحكم في مصر في إثبات استقرار الحكم ولو في صبغة ديكتاتورية تعتمد على صغر سن الزعيم ، وفي خلق جبهة عربية ملتفة حوله ، إذ لابد أن يقوى اللوبي الأمريكي ويطلب ترك أطراف المنطقة تحسم أمورها دون تدخل من جانب الولايات المتحدة ، مادامت النهاية لصالح الولايات المتحدة في كل الاحتمالات . . ولنع ذلك كان لابد أن تفرض إسرائيل على المنطقة واقع أنها الصديق الوحيد للولايات المتحدة وإقناع الرأي العام الأمريكي بأن إسرائيل هي القوة الوحيدة في الشرق المضمونة الولاء للولايات المتحدة والغرب ورأس الرمح في محاربة النفوذ السوفيتي في المنطقة وليس المهم أن تصدق الإدارة الأمريكية ذلك أو تنظاھر بالتصديق فمن تخادع لك فقد خدعته . أو بالأحرى إن مجرد رواج هذا المفهوم لدى الأمريكيان يسهل على الإدارة الأمريكية تنفيذ مطالب اللوبي الإسرائيلي الشديد التنظيم وصاحب القوة الانتخابية التي يسيل لها ألعاب السياسيين الأمريكيان . . وقد اتبعت إسرائيل في ذلك الآتي :

١ - تبني سياسة معادية للسوفييت على مستوى الشعارات بل واستفزاز الروس لمعاداة إسرائيل وذلك بإزالة المسحة الشيوعية التي صاحبت فترة بناء إسرائيل وظهور الدولة والتي كانت ضرورية في ذلك الوقت لكسب اليسار الأوروبي ، وشل المعارضة الروسية لإنشاء الدولة ودفع الاتحاد السوفيتي للتحلل من الالتزام النظري الذي ظل يكرره نصف قرن بأن الصهيونية حركة رجعية شوفينية ، وأهم من ذلك المبدأ الأساسي في النظرية الشيوعية أو الماركسية ، وهو رفض قيام أمة على أساس الدين أو العرق . . وأيضاً لضمان وصول السلاح من تشيكوسلوفاكيا والمنتطوعين من شرق أوروبا . . وأخيراً لتغطية صهيونية قادة الأحزاب الشيوعية في العالم العربي وكلهم من اليهود .

وقد وصلت عملية الانسلاخ ذروتها بإلقاء القبلة على المفوضية الروسية في تل أبيب ، واستفزازات جولدا مائير السفيرة في الاتحاد السوفيتي ، وإثارة قضية اليهود السوفيت . . وقطع العلاقات مع روسيا .

٢ - إثبات أن إسرائيل أجدر بالمراعاة عليها لقوة جيشها وكفاءه مجتمعيها وأيضاً لديموقراطية نظامها وليس هذا عن ولع الأمريكيان بالديموقراطية بل لأن النظام الديموقراطي يضمن الاستمرارية والاستقرار ووحدة الجبهة الداخلية والدول لا تحب أن تبني استراتيجيتها على الحالة الصحية أو المزاجية لشخص واحد .

٣ - ولكن ذلك كله لم يكن يقدر له النجاح إلا بتوفر عنصر ثالث أكثر أهمية ، بل هو شرط نجاح هذا المخطط ألا وهو إفساد علاقة دول المواجهة - على الأقل - مع الغرب ، بل ودفع

هذه الدول إلى الارتباط بالاتحاد السوفيتي ، وتضخيم هذه العلاقة في الإعلام الأمريكي لإثارة جنون المواطن الأمريكي الذي مازال إلى اليوم ورغم سنوات الوفاق ونحول أمريكا إلى مزرعة القمح الروسية ، مازال يفقد السيطرة على أعصابه كلما لوحوا له براءة حمراء !

وهكذا كانت كل خطبة وكل زيارة وكل إشارة عربية في اتجاه السوفيت تقابل بصيحات اللوبي اليهودي . . والأمريكيين السذج ، بطلب الدعم لإسرائيل ، كتيبة الصدام التي تقف وحيدة تدفع من دم ابنائها من حماية العالم الحر وأمريكا بالذات من الخطر السوفيتي !! كان لابد إذا من دفع مصر إلى أحضان السوفيت ، وهو ما سمينا بفرض التحالف مع الطرف الأضعف في المحالفة الدولية ، على الخصم المحلي .

والكاتب الماركسي شم رائحة اللعبة ، ولكنه كما قلنا لا يطبق مواجهة الحقيقة . لذا نراه يقول : « والذي يتابع أخبار الصحف في هذه الفترة التي امتدت من يوم الغارة على غزة في ٢٨ فبراير (١٩٥٥) حتى شهر سبتمبر (١٩٥٥) يجد أن منشآت الصحف لم تتوقف خلالها عن الإعلان عن اعتداءات إسرائيلية واشتباكات مع الفدائيين وقوات الجيش المصري ، الأمر الذي كان يستهدف الضغط على مصر ، والذي كان يدفعها في نفس الوقت دفعا إلى محاولة الحصول على السلاح دفاعاً عن أرضها واستقلالها وحيادها أيضاً » .

وهذا الذي استطاع حمروش أن يكتشفه ، لابد أن نفترض وجود إسرائيليين في مستوى ذكائه عرفوا أيضاً أن هذا الاستفزاز والضغط يدفع مصر دفعا لطلب السلاح . فهل كان اليهود ينحرفون شوقاً للحصول مصر على السلاح من أمريكا ولذا كانوا يدفعون جنودهم لإراقة دمهم في الاشتباكات مع المصريين لدفع عبد الناصر دفعا للحصول على السلاح من الولايات المتحدة أو الغرب وإقناع أمريكا باعتداءاتهم بحاجته للسلاح ؟

مد بصرك إلى الأمام قليلاً يارفيق . . وستجد أن إسرائيل كانت - فعلاً - تضغط عسكرياً على عبد الناصر لتأزيم قضية التسليح وجعلها تحت المرتبة الأولى من اهتماماته ، وبما أنها تعلم أن الولايات المتحدة لن تلبّي طلبه ، لأن كل نفوذ إسرائيل سيجند لمنع ذلك ، ومن ثم لا يبقى أمامه من حل إلا اللجوء للاتحاد السوفيتي وتخريب جسوره مع الغرب والولايات المتحدة . . وأن هذا الهدف كان حيوياً لإسرائيل وأشرف بن جوريون نفسه على تنفيذه بخروجه من عزله وعودته إلى وزارة الدفاع وشبه الغارة الأولى على الفور عقب عودته بأيام ثم استمر في التحرش لدفع عبد الناصر دفعا في هذا الطريق .

وقد علق البغدادي على العدوان الإسرائيلي الكبير الذي وقع على سوريا في منتصف ديسمبر ١٩٥٥ على معسكرات الجيش قرب حدود طبرية وقتل فيه أكثر من خمسين جندياً وذلك بعد توقيع اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا علق بأن هذا الاعتداء « دفع » سوريا في اتجاه الاتحاد السوفيتي « كما سبق واتجهنا » وكان الأخرى به أن يقول كما سبق « ودفعنا » ! وقد نجح المخطط وفتحت ترسانات الغرب لإسرائيل واستمر التطوير في هذا الاتجاه حتى

أصبح المواطن الأمريكي يعتبر إسرائيل ولاية الحدود الأمريكية . . . وبلغت هذه السياسة ذروة نجاحها في حربى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ التي كانت إسرائيل تمل فيها شروطها وطلباتها على أمريكا وكأنها تقاتل حرباً أمريكية وإليك شهادة خبير من أهل البيت :

« ولو أن آلن دلاس كان سعيداً لأن سوريا قد عادت إلينا تطلب السلاح إلا أنه قال لي إن بريطانيا تعارض الآن أية مبيعات سلاح للشرق الأدنى باستثناء العراق عضو حلف بغداد وأن أخاه فوستر دلاس وزير الخارجية - يفكر في الاقتداء ببريطانيا . هذه الأنباء أزعجتني وخاصة عندما أكد لي ما كنت قد سمعته عن مبيعات سلاح ضخمة من فرنسا لإسرائيل . هذه المبيعات كان يتغاضى عنها الانجليز والأمريكان . أما فرنسا فأعلنت أنها لن تنضم لحلف بغداد ، مكتفية بإرسال هذه الأسلحة لإسرائيل لتقوي ولو بشكل غير مباشر القدرات الدفاعية للغرب في المنطقة . ونجاهل دلاس سؤالى وهو : كيف تستطيع إسرائيل ، وهي محاصرة بمحيط من العداء العربى ، ونشكودائياً من انعدام الأمن على حدودها الأمر الذي يهدد وجودها كيف تستطيع من المساهمة في الدفاع عن المنطقة ضد الهجوم السوفيتي ؟ ! »

نجاهل آلن دلاس سؤالى هذا ، وفضل التحدث عن مصر ، فشرح لي أن المخابرات CIA على يقين تام الآن أن ناصر عنده وعد قاطع من الروس بتزويده بأسلحة ثقيلة مقابل محصول القطن المصري . وأن الرئيس المصري الآن يقول إنه ظل يتفاوض على سلاح أمريكي لمدة عام فلم يزل إلا الماطلة والتأجيل . وعبر دلاس عن تعاطفه مع موقف ناصر ، بأن شرح لي كيف أن سياسة إسرائيل إزاء مصر هي منع أي اتفاق سلاح أمريكي - مصري . فهي - كما أفشى لي وكسر فيما بيننا - حاولت أن تنسف مكاتب أمريكية في القاهرة على أن تنسب ذلك لإرهابيين مصريين . . . ولكن ثبت أن « الموساد » هي التي نفذت هذه العملية (عملية لافون ج) وأكثر من هذا قال دلاس إن عمليات الردع الإسرائيلية ضد هجمات الفدائيين المصريين الذين يعملون من غزة وسيناء قد نصاعدت فوق أي مبرر . فالهجوم الإسرائيلي الأخير على موقع عسكري مصري في غزة خلف ٥٤ قتيلاً مصرياً وخسباً جريحاً . . . وأدى إلى إدانة جماعية من مجلس الأمن الإسرائيلي ، كما أدى إلى تجميد مؤقت للمساعدات الاقتصادية الأمريكية التي كنا قد وعدنا بها إسرائيل كما أثار نداءات من الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار بعد أن أرسلت إسرائيل قواتها مرة أخرى للمنطقة . وقد أبلغ الرئيس ناصر الولايات المتحدة أنه لن يستطيع مقاومة ضغط الرأي العام المطالب بالرد ، بل قد لا يستطيع الاحتفاظ بمنصبه ، إلا إذا وافقت أمريكا على بيع السلاح الذي طلبته مصر منذ فترة طويلة ، ثم سألتني دلاس عن رأيي في ردة فعل سوريا إزاء صفقة السلاح المصرية - السوفيتية فقلت : إن كلا من السفير (الأمريكي ج) مورس وأنا على ثقة بأن سوريا هي الأخرى مستتجة إلى الروس وسألت دلاس عن مصير الطلب المصري للسلاح . فقال لي - مرة أخرى لمعلوماتي الخاصة - إن المخابرات CIA قد نظمت اتصالاً على أعلى مستوى في حكوماتنا مع الممثل الشخصي لعبد الناصر الصاغ حسن النيهامي وفي الوقت الذي نتحدث فيه فإن « كيم روزفلت » بطوف

« بالتهامي » على مكاتب المسؤولين في واشنطن . . وباختصار . . قال « آلن دلاس » إنه يأمل في جهود روزفلت وأن تقديرات المخابرات CIA حول نتائج صفقة السلاح السوفيتية - المصرية ستكون مؤثرة .

ومن الواضح أنني لم أكن في موضع يمكنني من التعبير عن مشاعري الحقيقية في الموضوع ، إلا أنه خطر لي في هذه اللحظة أن الأخوين دلاس يؤثران سلباً على السياسة الأمريكية فلو أن رجلاً آخر كان يرأس المخابرات الأمريكية ، ولديه الشجاعة للمخاطرة بسمعته ووظيفته فإنه كان سيمارس مسئولياته الدستورية بتحذير الرئيس بأن سياسة وزارة الخارجية تفتح الباب للروس لكي يشكلوا قوة مؤثرة في مستقبل الشرق الأوسط . ولكن إخلاص آلن دلاس لأخيه فوستر دلاس ، وقف في طريق قيامه بواجبه وقال كيريلاند إن الجناح الإسرائيلي عارض أية علاقة (أمريكية) مع ناصر ، وأن السفير الأمريكي بايرون أبلغ المسؤولين في أغسطس ١٩٥٥ بوجود عرض سوفيتي لتزويد مصر بالسلاح وأن ناصر يمكن أن يقبل ، .

ماذا نفهم من هذه الأقوال :

١ - نفهم أن المفاوضات المصرية - الأمريكية للسلاح كانت تسير في طريق مسدود ، في البداية كانت بريطانيا تعارض بيع السلاح لمصر أثناء المفاوضات ثم تركزت المعارضة في اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة .

٢ - كانت المخابرات الأمريكية ومن ثم القيادة الأمريكية على علم تام بصيغة السلاح ومن ثم لا مجال للحدث عن مفاجأة وضربة وصاعقة . . فقد أحبطوا علماً بها من جمال عبد الناصر نفسه كما أحبطوا علماً بأنه سيضطر لقبولها إذا لم يسعفه بالسلاح . وخاصة بعد اعتداءات إسرائيل التي كشفت ضعف الجيش المصري وأثارت نائرة المصريين والفلسطينيين واستغلها خصومه العرب . . فأصبح استمراره في السلطة مهدداً مع كل ما يترتب على ذلك من انهيار لخطط هذه الأجهزة ، وللسياسة الأمريكية التي تعتمد على وجوده .

٣ - يتهم « ايفيلاند » « آلن دلاس » بالنسرة على سياسة أخيه الخاطئة في منع السلاح عن مصر ، ويعتقد أنه لو لم يكن شقيقه ، لقام بواجبه نحو تنوير الرئيس الأمريكي بخطورة هذه السياسة لأنها ستدفع عبد الناصر لشراء السلاح من روسيا . لأن آلن دلاس مدير المخابرات ، كما يرى ايفيلاند ، على وعي تام بمخطط إسرائيل لإفساد التحالف الأمريكي - الناصري ومنع السلاح عن مصر ، ايفيلاند لا دليل عنده على أن آلن دلاس لم يخبر الرئيس ايزنهاور بذلك ولكن لا ايزنهاور ولا دلاس الوزير ولا دلاس المدير كان بوسعهم حل المشكلة ، خاصة بعد الهجمات الإسرائيلية التي جعلت إعطاء أي سلاح لمصر يعني دعماً مباشراً للمجهود الحربي ضد إسرائيل في ظروف قتال . . ولذلك فشلت تقارير المخابرات CIA وجولة كيرميت بالتهامي على مكاتب المسؤولين^{٧٢} ، فقد نجح اللوبي الصهيوني في سد الطريق الأمريكي . . ولم يبق أمام عبد الناصر سوى أمر واحد مفتوح وهو الطريق إلى سوريا . . فما الحل ؟

لتخيل الفاريء وضع آلن دلاس ويفكر ما الحل الذي يمكن أن يصل إليه في هذه المشكلة :

١ - المخابرات الأمريكية تدير أكبر عملية في تاريخها في مصر والوطن العربي من خلال سلطة عبد الناصر .

٢ - هذه السلطة مهددة بالسقوط إذا لم يحصل عبد الناصر على أسلحة لتهدئة جيشه والرأي العام لا للقتال مع إسرائيل .

٣ - لا سبيل لحصول ناصر على السلاح من أية دولة غربية .

٤ - صفقة السلاح الروسي ستقذ سلطة ناصر ، وتدعم شعبيته وتزيل التوتر الناجم عن الاعتداءات الإسرائيلية لفترة قد تتمكن فيها المخابرات الأمريكية من معالجة الموقف أو كسب الوقت في انتظار حل آخر .
ماذا يختار آلن دلاس ؟

سقوط عبد الناصر أم قبول الصفقة ومحاولة الاستفادة القصوى منها ؟ !

ولماذا نخمن ؟ إليك ما جاء في الوثائق قال كوبلاند :

« في منتصف سبتمبر تسلم « كيرميت روزفلت » (نائب مدير المخابرات الأمريكية والمسئول عن الشرق الأوسط ومدير انقلاب ٢٣ يوليو) رسالة شخصية من ناصر بأنه سيوقع اتفاقية مع الروس للسلاح ، وأنه إذا كان روزفلت يريد إقناعه بالتخلي عن ذلك فأهلاً وسهلاً به في القاهرة . وفي اليوم التالي سافرت وكيرميت إلى القاهرة . وقابلنا في المطار معاونو عبد الناصر وأخذونا رأساً إلى شقة عبد الناصر في أعلى مبنى مجلس الثورة وكان عبد الناصر في جو « ألم أقل لكم » . ومديد المرح مستعداً لسأح حجج روزفلت ضد الصفقة ، ولكن روزفلت فاجأه ، بدلاً من القول بأن عبد الناصر يجب ألا يقبل الأسلحة قال روزفلت : إذا كانت الصفقة كبيرة كما سمعنا فسوف يزعم ذلك البعض ولكنها ستجعلك بطلاً كبيراً* فلماذا لا تستفيد من هذه الشعبية المفاجئة للقيام بتصرف حكيم ؟ فلن يتقص من شعبتك أن تصدر تصريحاً نقول فيه : « إننا نحصل على هذه الأسلحة لغرض دفاعي فقط ، وإذا كان الإسرائيليون يريدون الاشتراك في جهد مشترك لتحقيق سلام دائم في المنطقة فسيجدون مني الترحيب بذلك . . ووافق عبد الناصر على الفور ، وقال إنها فكرة جيدة . . » وناقشنا الاقتراح إلى منتصف الليل وانفقنا على أن يعلن عبد الناصر الصفقة في بيان رزين نبيل يستثير الحنأف ليس فقط من المتطرفين بل من العناصر المحافظة ، ويعدها يبدأ مبادرة بموقف حيادي من القضايا الدولية ، وستكون مقبولة من الجميع ، بينما يمضي في حل مشاكله الداخلية الملحة بالمعونة الأمريكية . واتفق عل أن أكتب أنا (مايلز كوبلاند ج) الفقرة المطلوبة في

• اعترف الشهامي أن عبد الناصر بعث لأمريكا حيث تأكد من موافقة المخابرات الأمريكية على الصفقة .

خطاب عبد الناصر (عن إسرائيل ج) على أن يتقها عبد الناصر وروزفلت في اليوم التالي .

وتدقق علينا في الفندق الناصحون بماذا يجب وماذا لا يجب أن تضع في خطاب عبد الناصر من أمثال مصطفى أمين ، وعمد حسين هيكل والوطني المتطرف حسن التهامي وهو كبير مساعدي عبد الناصر وجيمس اكليجرجر* وأحمد حسين السفير المصري في واشنطن . . وكلهم كانوا يعرفون أن صفقة سلاح عقدت مع الروس .

« وقرأت أنا وكيم مسودة الفقرة المقترحة لعبد الناصر في الساعة الثامنة مساء اليوم التالي مرة أخرى في شقة عبد الناصر في مجلس قيادة الثورة ، المواجه للسفارة البريطانية وأصبحت المسودة ناصر . . وقال إنه يمكن أن يضمنها خطابه بسهولة ، إلا أن اعتراضه الوحيد ، أنه لا يستطيع أن يقول عبارة « سلام مع إسرائيل » ولذا يقترح بدلاً منها « تخفيف حدة التوتر بين العرب وإسرائيل » وقبل روزفلت** ذلك وأحضر ناصر زجاجة ويسكي يحتفظ بها لكبار الزوار وفي هذه اللحظة دق التليفون وقال الضابط المناوب في أسفل المبنى ، إن السفير البريطاني سير همفري تريفلان يطلب مقابلة عاجلة .

سألنا جمال : ماذا يريد ؟

أجبناه : سيحدثك في الصفقة !

سأل : كيف عرف فالمفروض أنها سر !

ورد عليه روزفلت : جمال ؟ حتى إذا افترضنا أن الخبر لم يتسرب من جماعتك فإن الروس سيبربونه فليس من مصلحتهم أن يفضي سرا^{٢٢}

« سأل ناصر : ماذا أقول له ؟ . . قال روزفلت . . حاول تهدئته إلى مساء الغد ، موعد الإعلان عن الصفقة قل له : إن الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا باعتبار أن تشيكوسلوفاكيا هي المصدر الرئيسي للسلاح لإسرائيل أيضاً ، .

ثم قصة مسلية لمن شاء الرجوع إليها حول تلذذ رجال المخابرات الأمريكيتين بغفلة السفير البريطاني وجهله أنهم في الداخل يسكرون !

وجاء زكريا وعامر وأخذوهم للعشاء في منزل السفير أحمد حسين حيث كان بايرود مدعواً وفوجيء برئيس الدولة بدخل محاطاً بروزفلت وكوبلاند . . إلى آخر القصة المعروفة عن

* مندوب المخابرات CIA وقد سبقت الإشارة إليه . . وهذه النخبة أو التشكيلة التي تنضج أمريكية تعدل وتنفع في خطاب رئيسنا .

** الجيل الناشئ قد لا يصدق أن مدير المخابرات الأمريكية لابد أن يوافق على خطاب الزعيم الخالد ، ولكن لا يجب أن ننسى أن صانع « الصنم » لا يعس بنفس القدسية التي يعسها العابد المخدوع . وفي بداية الثورة كتب الأمريكان - كما أخبرنا هيكل - مشروع رسالة على لسان قائد الثورة ليوجهها لأمريكا ! . .

انفجار بايروت وانسحاب ناصر من العشاء . انظر لعية الأمم ص ١٦٠ إلى ١٦١ .
ولكن الأمور لم تسر وفقاً لخطة المخابرات الأمريكية ولا شك أن الاستراتيجية الإسرائيلية
كانت تتطلب أن يصاحب عقد الصفقة حى معادية للولايات المتحدة والغرب ، والمزيد من
أدلة شيوعية مصر .

وتدخل القدر أو « يهود » أو أخطاء الدبلوماسية الأمريكية كما يقول كوبلاند ، أو اللوبي
الصهيوني لإفساد مخطط المخابرات وتسميم الجو . . . واليك أولاً رواية « مايلز كوبلاند » عما
عرف بعد ذلك بقصة « الإنذار » الأمريكي والذي مازال الأفاقون يتشددون بها إلى اليوم .

بعد الأزمة التي حدثت على العشاء بين السفير الأمريكي والرئيس ناصر حول حادثة
ضرب الأهالي الملحن العمالي الأمريكي أبرق روزفلت وايرك إلى واشنطن يطلبون سحب
بايروت لأنه فقد توازنه العقلي^{٩٢} . عندها قرر دلاس أن يرسل إلى القاهرة « جورج ألن » نائب
وزير الخارجية للتحقق من سلامة قوى بايروت العقلية وفي نفس الوقت أعد الركيل المساعد
وليم راون تري مسودة خطاب شديد اللهجة stern من دلاس إلى ناصر يشير فيه إلى مخاطر
قبول السلاح الروسي . وسرب « بعضهم » للصحف أنباء عن الموضوع كانت كافية لتشرها
هذه الصحف تحت عنوان « آلن يتجه إلى القاهرة لتقديم إنذار لعبد الناصر » وانتقلت القصة
إلى تيكر الأسوشيتدبرس في القاهرة الساعة السادسة مساء بتوقيت القاهرة ، الحادية عشرة
صباحاً بتوقيت واشنطن^{٩٣} . وفي الساعة السادسة والنصف عندما ذهبنا لمقابلة عبد الناصر
كان محاطاً بمعاونيه ، وكان يأمر أحدهم بحذف « هذه الفقرة السخيفة » ويضع مكانها شيئاً
مضاداً للأمريكان ، ويأمر بالاتصال بوزارة الخارجية ويبحث معهم إجراءات قطع
العلاقات مع دولة كبرى . ويأمر ثالثاً بحجز إذاعة القاهرة لإذاعة بيان هام على الشعب ،
ورابعاً بطلب سيارة متواضعة واصطحابي وروزفلت إلى المطار . . . ويجب أن نسجل شكرنا
لمصطفى أمين الذي أعاد جو الهدوء وأقنع عبد الناصر بأنه لن يجر شيئاً إذا قابل « كيم
روزفلت » فقط السماع ما لديه قبل اتخاذ كل هذه الإجراءات . ووافق عبد الناصر على أن
يصعد إلى أعلى حيث كان روزفلت في انتظاره غير عالم بما أذاعته الاسوشيتدبرس لأن وزارة
الخارجية لم تهتم بإبلاغ السفارة في مصر بقدوم آلن سواء بالإنذار أو بدون إنذار . . . وبعد شهر
قال عبد الناصر في خطبه إن أمريكياً ، جاء يحذره من إنذار أمريكي . . . وهذا محض افتراء
من ناصر ونفاق عربي ، فكل ما قاله روزفلت هو : لماذا لا تتسلم الإنذار أولاً . . . ثم
تصرخ . . . ربما غلطت الاسوشيتدبرس . . . ولكن عبد الناصر أصر على أن الاسوشيتدبرس
لا يمكن أن تخطيء وكل ما كان بوسع روزفلت أن يقوله هو : « لو سلمك إنذاراً فتصرف كما
ترى ، ولكنني لا أظن أن دلاس سيرسل إنذاراً من غير أن يخبرني عنه . وهذا عبد الناصر
ووافق على تأجيل كل الإجراءات إلى أن يتسلم الإنذار ، ولكنه حذف الفقرة إياها من
خطابه . وعندما قابلته وكيم بعد الخطاب بدقائق التفت إلينا قائلاً : « الخطاب لم يكن تماماً

كما أردتما ولكن مازال في الوقت متسع ، وفي صباح اليوم التالي وصل أثن ، وكان في استقباله حشد من المتظاهرين يتفون ضد أمريكا . . . وتلك هي الصورة النموذجية للناصرية التي يجبها العرب . . . وقبل أن يقترب منه أي مراسل لسؤاله أي سؤال كان حسن التهامي قد اخترق كوردون مشاة الأسطول (مارينز) الأمريكان ، لتسليمه رسالة من روزفلت وجونسون : « أنكر الإنذار . . . أو على الأقل لا تشر إليه حتى نناقش » *

أما حكاية الإنذار الحقيقية فيعرضها كالآتي :

« قال وزير الخارجية عرضاً : « آلن . . . مادمت ستذهب لمصر ، فانتبهز الفرصة وقل لناصر رأينا في صفقة السلاح التي عقدها ، وأنت يا بيل . . . أكتب شيئاً ما » . . . وبما أن أمر الوزير واجب التنفيذ ، فإن « آلن » رغم اتفاقه مع روزفلت في الليلة السابقة على تبريد العملية ، إلا أنه كان مضطراً لتسليم الرسالة ، ولكنه عندما ذهب لمقابلة عبد الناصر اكتفى بقراءة بعض فقرات منها محاولاً جعلها هادئة ثم انصرف لمناقشة أشياء أكثر سروراً وهو ماذا ستفعل مصر بالأربعين مليون دولار التي ستقدمها لها ، وفي النهاية لم يكن هناك إنذار وإنما ساهمنا في رفع شعبية ناصر في العالم العربي . »

وقال ابفلامد إنه سأل « آلبن عن الانذار فقال له إنه لم يحمل أية تهديدات » .

وقال : « وصلت برقية إلى بيروت تفيد أن وكيل الخارجية جورج آلن قد أرسله وزير الخارجية دلاس للقاهرة للتباحث مع ناصر وذلك لخلق إحساس بأن صفقة السلاح الأمريكي - التشيكى لا تعيننا ، ولذلك وصفت الرحلة بأنها زيارة روتينية لعدة بلدان ثنائقة القضائية الحاربة »^{٢٢} .

ورضيف أن آلن « عقد اجتماعاً للسفراء الأمريكيين في الدول العربية لجرد إظهار أن رحلته لم تكن غرضية لمصر وشفقة السلاح » ١

يبدو أنه كان إنذاراً مريباً تمس به أمريكا في أذن ناصر بينما تظهر للعالم كله أنها غير مهتمة بصفقة السلاح !

أما رواية « هيكل » فهي تحكي عن إنذار خطير ، كان في طريقه إلى مصر وعن محاولات كيرميت روزفلت منع عقد الصفقة ولكن عبد الناصر هدد باتخاذ إجراء عنيف ضد المبعوث الأمريكي حامل الإنذار المزعوم مما جعل أمريكا تسحب الإنذار وتعود ذيلها بين رجلها ! ولا يمكن استنتاج إنذار من نصريح آلن في المطار عن حق مصر المشروع في شراء السلاح كما سنرى .

وفي اعتقادي أن حكاية « الإنذار » إذا رفضنا التفسير البسيط فإنها لا تخرج عن أحد هذين الاحتمالين أو هما معاً .

• **انظر فصل هيكل والتاريخ البلاستيك**

١ - إما أن رؤساء « روزفلت » في أمريكا أرادوا المزيد من احتلاب الفكرة الجهنمية بتسخير الصفقة لخلق شعبية واسعة لعبد الناصر تمكنه من المضي خطوات لا يجرؤ عليها حاكم عربي منذ مصرع الملك عبد الله وحسني الزعيم . . . ولا شيء يزيد الشعبية - حتى اليوم - أكثر من الحديث عن هلع أمريكا وانهار بريطانيا وإغواء إسرائيل وإنذار أمريكي بضرورة إلغاء الصفقة وتمزيق عبد الناصر الإنذار أو تعطيمه في الجويلية المضاد ، والمضي قدماً في طريق المجد بعقد الصفقة وإثبات أن « أرض العروبة نار » وهو ما حدث تماماً .

٢ - وإما أن أنصار إسرائيل في سراديب الحكومة الأمريكية خشوا فعلاً نجاح مخطط روزفلت والمجموعة الناصرية في المخابرات الأمريكية في استصدار هذا التصريح السلامي من عبد الناصر الذي كان سيحقق المزيد من دعم العلاقات المصرية - الأمريكية ومحاصرة نوايا إسرائيل الحربية ، ولذلك سربوا شائعة « الإنذار » للصحافة لاستفزاز عبد الناصر إلى مواقف تؤدي إلى توتر العلاقات مع أمريكا وإلغاء اللهجة السلامية ، والمزيد من الاندفاع للسوفيت . وهذا ما كانت إسرائيل تحاول به اعتداءاتها خلال عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ حتى تحقق بصفقة السلاح ، ولم يكن من المعقول أن تترك جهودها تنهار بإعلان ناصر خطوة سلامية مع تسليمه سلاح القتال ! فهذا يقلب كل خططها إذ يصبح عبد الناصر رجل سلام ويتسلح من روسيا وعلى علاقة طيبة مع أمريكا ، وهي الصورة التي كان الأحياء في المخابرات يحاولون رسمها بجهد خارق الذكاء . . . ولإحباط خططهم سرب عملاء إسرائيل شائعة الإنذار . . . وقد حدث ما توقعوا .

المهم أن رواية هيكل مناقضة لرواية مايلز كويلاند الذي أكد أن عبد الناصر شخصياً هو الذي كان يبحث « الأزمة » مع كيرميت روزفلت وأن الجو كان ودياً للغاية ، وموضوع الحديث الرئيسي كان السخريّة من غفلة الانجليز . ومحاولة الاستفادة القصوى من الشعبية التي سببتها الصفقة لعبد الناصر في مصر والوطن العربي من أجل خطوات بناءة نحو السلام والاستقرار في المنطقة .

أما رواية عبد اللطيف بغدادى عن الحوار بين كيرميت وعبد الناصر فمثيرة للغاية وكانت ولا تزال تستوجب أن يعكف على تفسيرها وتحليلها كل من يعنيه الأمر .

قال كيرميت لجمال عبد الناصر إن مسرّ آلن موفد برسالة من دلاس نفسه ، وأنه يعتقد أن دلاس (وزير الخارجية ج) هو الذي أملاها شخصياً كما يعتقد أن الانجليز هم الذين أشاروا عليه بهذا* لأنها عنيفة جداً وأنه يجب عليك (بقصد جمال) أن تحزن ولكن لا تغضب be sorry but not be angry وأن تمسك أعصابك حتى يمكننا أن نحل هذا المشكل فيما بعد كما ذكر له أنه لو كان هناك في الولايات المتحدة وقت كتابة هذه الرسالة لثبّت إرسالها بهذه

* استأجبه سليم ، فقد كشفت وثائق تلك الفترة ، أن الانجليز كانوا هم الذين يشنون الحملة ضد الصفقة في واشنطن ويطاردون المسؤولين الأمريكيين مطالبين بإجراء .

الصورة ، ومما قاله كيرميت لجمال أيضاً : « إنك متجرح في كبريائك ولست أقصد كبرياءك الشخصية ، بل كبرياء بلدك Not your Pride but the pride of your country » .

ورأيت حتى تمر هذه الأزمة دون اتخاذ أية إجراءات action من جانبنا ، أن تكون صبوراً وأن تطلب منه أن يعطيك فرصة للدراسة ، وأن تكون كئيب حليم وهو كائن أو أن تقبل ما في الرسالة ٣٤ .

هل يمكن أن يكون هذا الحوار بين مسئول أمريكي ورئيس دولة ١٩ هل هذا الذي يتكلم كأنه الأخ الكبير أو God Father على طريقة بغداددي في استخدام التعابير الانجليزية . يمكن أن يكون مجرد موظف أمريكي حتى ولو كان يبلغ إنذاراً إلى زعيم ثورة ١٩ هل يمكن أن يتحدث مندوب المخابرات الأمريكية هكذا مع كاسترو أو هوشي منه أو حتى علي ماهر ١٩ مستهان في كرامة وطنك ! لكن أياك والغضب ! مسموح لك بالحزن فقط ١٩ هذه مؤامرة بريطانية غرروا فيها بوزير خارجيتنا لنسف علاقتنا . أمك أعصابك ، وعامل « الأبله » القادم من وزارة خارجيتنا كابنك حتى ينصرف راضياً ، واترك الباقي علي أنا ١٩

هذه تعليقات أو نصائح موجهة ضد جزء من الإدارة الأمريكية برغبة احتوائها لا الصدام معها ، وأيضاً إفساد أو إفشال كل ما نحاوله بهذه الرسالة التي أرسلت بها مبعوثاً خاصاً وبإملاء من وزير الخارجية نفسه . . . ولكن هاهو أكبر مسئول في المخابرات الأمريكية بالمنطقة ينظم لعبد الناصر أسلوب إفشالها ١٩ ويهون عليه نتائجها ، ويؤكد أنها لن تغير شيئاً في علاقتها . علاقة عجيبة وحوار أعجب ، لا يمكن فهمه إلا على ضوء المعامل الذي أشرنا إليه وهو وجود علاقة خاصة بين قيادة ٢٣ يوليو والمخابرات الأمريكية ، قبل « الثورة » وبعدها ، وأن هذا الجانب « المحترف » من الإدارة الأمريكية كان أكثر علماً وأكثر تأثيراً في الاستراتيجية والقرارات الأمريكية . . . وهو الجناح الذي كان يصفي عن وعي الوجود البريطاني في المنطقة . . . وأن الانجليز لم يخطر ببالهم أن اللعب الأمريكي يمكن أن يصل إلى حد فتح أسواق الشرق الأوسط للسلاح الروسي ، وهذا بدوره يلقي الضوء على ما ستره خلال معركة القناة من بعض المواقف المتناقضة من جانب دلاس ووزير الخارجية الأمريكي ، وحيرة سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا في تفسيرها . . . وأيضاً غلظة العمر التي ارتكبتها بريطانيا ، عندما حثت أن تناقضها مع المصالح الأمريكية ، لا يمكن أن يصل إلى حد تأمر أمريكا ولو في صمت مع روسيا ضدها . . .

على أية حال يبدو أن كيرميت قد نجح نجاحاً باهراً في تطويق الأزمة الجاهلة التي سببها دلاس تحت تأثير الانجليز . . . فالدرس الذي أعطاه للمسؤولين المصريين عن « آداب السلوك في معاملة رسل الملوك » أن أثره في ضبط مشاعرهم من ناحية والموافقة على استقبال البعث بحنان ممزوج بالحزن المهذب ، وأيضاً بعث مدير المخابرات هذا بورقة ، إلى المستر

آلن هذا فيها على ما يبدو الاسم الأعظم ، ! وإذا بهذا الـ « آلن » يفاجي « الجميع » بتصريح يفوق ما كان يشناه الرئيس المصري إذ قال : « إن مصر دولة ذات سيادة ، ولها مطلق الحرية في شراء السلاح من أية جهة شاء » فهل هذا حامل إنذار ؟ !

وعتب المستر « آلن » على عبارة وردت في إذاعة صوت العرب ، تقول إن أمريكا تباع كالكلب ، فجرى تحقيق على الفور وتبين أنها ترجمة سيئة لعبارة « نرغي وتريد » وضحك الجميع . . وصافي يا آلن !

فكل ما قبل عن كارثة نزلت بالغرب من صفقة السلاح وطعنة فائقة للأمريكان . . ومطالبة برأس ٢٣ يوليو بسبب صفقة السلاح مجرد كلام في كلام لتضليل الأنام الذين هم في غفلتهم نيام !

ونحن تعد هذا الكتاب الذي بين يديك (ثورة يوليو الأمريكية) ظهرت وثيقة فاقعة الدلالة تثبت حقاً أن الأمريكان كانوا في تلك الأيام يمارسون التعذيب الصيني مع الانجليز . . فكما أشرنا كان الانجليز - لأسباب عديدة - هم الذين أقاموا الدنيا وأقعدوها حول صفقة السلاح وتعامل عبد الناصر مع الروس ، وراحوا يطاردون الأمريكان مطالبين بإجراء صاعق مع تلميذهم عبد الناصر ، والاتصال بالائتلاف السوفيتي ومناشدته العدول عن الصفقة ، وقد فاتحوا « مولوتوف » فعلاً في هذا الأمر فنظر اليشفي العجوز إليهم نظرة الفط لفأر يخرج على المساواة وقال : « لا أنهم بالضغط ماذا تريدون ؟ هل تطلبون منا أن نمنع وحدنا عن بيع سلاح وإقامة علاقات في الشرق الأوسط ؟ ! » .

أما ايزنهاور فكان أبدع وأبرع وإليك القصة كما رواها وكيل وزارة الخارجية البريطانية ايفلين شو كيرج :

« وراح الرئيس ايزنهاور يلقي علينا درساً فلسفياً شيراً حول أسلوب معالجة الموقف فقال : « إذا كان من حقنا زيارة موسكو والحديث مع الروس وقبول التعامل بين الشرق والغرب . . فكيف بحق لنا أن نشكو أن تفعل نفس الشيء » ، دولة صغيرة مثل مصر ؟ !

ربما كان علينا أن نتعاش مع حد معين من التغلغل السوفيتي في مثل هذه البلدان ، حتى يأتي الوقت الذي يشعر فيه الروس بفداحة ما جنوه على أنفسهم . على أية حال ليس لدينا كبير اختيار ما دامت مساعدات أمريكا للدول الأجنبية أصبحت بسبب توسعها ضئيلة إلى هذا الحد ، فنحن لا نستطيع منافسة الروس ، إذا ما قرروا التركيز على بلد معين مثل مصر . .

انتظروا حتى يكشف الروس أن حقنة مساعدة واحدة مثل هذا البلد قليلة الجدوى إذا لم يتبعها دعم باهظ مستمر » . *

• التردى إلى الروس : ايفلين شو كيرج .

والآن نعيد النظر في صفقة السلاح على ضوء هذه المعلومات التي طرحناها ، وسنجد أنه لا هتيريا ولا مفاجأة بل خطوة محسوبة جاءت في توقيتها وفي ظروفها العالمية والإقليمية ، وأرادها ووافق عليها كل الفرقاء :

فريق المخابرات الأمريكية الذي أبدى الصفقة رأى فيها حلاً يرضي جميع الأطراف ولو مؤقتاً* ، فهو يعني أمريكاً من إلحاح عبد الناصر في طلب السلاح ، مع تعذر تلبية سبب الضغط اليهودي الذي أشرنا إليه ، والذي نجح في إلغاء موافقة البيت الأبيض والخارجية والدفاع ، وكلها كانت موافقة على تسليح مصر . . كما كانت الصفقة تسعد النظام المصري وتخفف من توتر احتياجه للسلاح ، وخاصة بين صفوف العسكريين الذين كانوا يتعرضون للمهانة والخسائر على يد الجيش الإسرائيلي . . وهو وضع لا تحمد عقباه في جيش ذاق طعم الانقلابات . .

سهل على الإدارة الأمريكية التوسع في إمداد إسرائيل بالمعونات بحجة التوازن مع الوجود السوفيتي ، وتضعف حجة الدول العربية الصديقة للغرب في الاحتجاج على الدعم الإسرائيلي . . وهذا بدوره يؤدي إلى ترضية الموي اليهودي . . وقد تحقق ذلك فعلاً حتى أصبح شعار في حرب ١٩٧٣ « لا يجوز أن يزم السلاح السوفيتي ، السلاح الأمريكي وهبطت طائرة عملاقة تحمل الدبابات والطائرات في مطار اللد كل ربع ساعة » وفي الشرق الأوسط ، فإن حديث صفقة السلاح والانشاء بنصر « التعاقد » لشراء السلاح ، بنقذ القيادة من إحراج « الصقور » في معارك استخدام السلاح ، ويجعلها تنفادي مطالب الجماهير « باستخدام » السلاح ضد إسرائيل . وإذا كان سلوين لويد قد علق ساخراً : « لحسن حظ إسرائيل ، كان العرب مقتنعين أن امتلاك السلاح يعني عن إنقاذ استخدامهم » فإنني أصحح العبارة إلى « أمكن إقناعهم أن امتلاك السلاح يعفيهم من استخدامه » !

وهو ما حدث . . فانخفضت كل النتائج الإيجابية التي كانت ممكنة للاعتداءات الإسرائيلية ابتداء من العدوان على غزة (فبراير ١٩٥٥) إلى أكتوبر ١٩٥٦ . . ضاعت في أفراح صفقة السلاح ! . . وألقت الجماهير عن المطالبة والقيادات المخلصة عن التفكير في استراتيجية مواجهة حقيقية مع إسرائيل تعتمد على بناء القوة الذاتية للعرب فظنت أن شراء السلاح والمزيد من السلاح هو الحل ، حتى أصبح مجرد شراء السلاح ومن أية جهة ، هو كل برنامج المواجهة ، ودون أي تفكير في استخدامه ، ولا في استراتيجية هذا الاستخدام ، حتى رأينا منظمة التحرير الفلسطينية تشتري دبابات . ولم يحدث « تحطيم » احتكار السلاح « أو الاندفاع في شرائه أي تعبير في ميزان المواجهة العسكرية بين العرب وإسرائيل من ١٩٥٥ إلى

* وقد اعترف « هيكلم » أخيراً للفرء الانجليز أن صفقة السلاح لم تنسف الجسور مع أمريكاً بل قال : « إن الولايات المتحدة رأت أنه لا يلقى بها أن تتخل عن مصر بعد كل ما ألجز فيها » ٨٣ خ باتري ما الذي أنجز ؟ بصراحة نحن لا نعرف فقد كنا ضمن المتجزات . . في السجن !

١٩٧٣ إلا إلى الأسوأ ولصالح إسرائيل ، وتعدلات تضاعف مع تضاعف حجم المشتريات .

فتحت الصفقة السوق المصرية للسلاح الروسي ومن خلفها السورية واليمنية . . الخ وهذه حلت مشكلة تصريف السلاح القديم في روسيا . وكان من المتعذر قيام الوفاق ، بدون حل مشكلة تحديد الرسالة السوفيتية ، ونجربة سلاحها والتخلص من المتخلف منه ، وهذا لا يتم إلا بإحدى وسيلتين : إما فتح جبهات قتال حقيقي بين الروس والأمريكان . أو تصديره لطرف ثالث يدفع ثمنه مما يخفف عن المواطن السوفيتي مالياً واقتصادياً ، ويتيح تجربة السلاح بدماء المتخلفين ومن ثم يستمر التطوير الذي يريده الجنرالات الروس ولا يكلف ذلك الأمريكان مالياً ولا دماً . . إن الوفاق لا يطلب لذاته . . وقد كانت صفقة السلاح من بداية الوفاق الأمريكي - السوفيتي ، بداية التعايش ، بداية إعادة تقسيم العالم بين روسيا وأمريكا على حساب بريطانيا وفرنسا ، وسيأتي المؤتمر العشرون ثم العدوان الثلاثي على مصر ، حيث تقف روسيا وأمريكا معاً في الأمم المتحدة وكأنها نوع . . في التصويت وفي الإنذارات بينما كان السلاح الروسي يتم تحطيمه في سيناء ، والسفن الروسية تنقل قطن الفلاح المصري لتيهه في أسواق أوروبا بدلاً من المستغل الاستعماري البريطاني ، فيزداد دخل المواطن الروسي من الثمن الذي تتقاضاه الدول العظمى أو المتقدمة من دم وعمال المتخلفين وإلا فما فائدة القوة السوفيتية الجبارة إن لم تأخذ حصة في ثروة العالم الثالث . . وكيف تستمر بريطانيا وفرنسا بل وبلجيكا في نهب شعوب آسيا وأفريقيا ، وهي بلا قدرة عسكرية بل ترتعد رعباً من صواريخ روسيا . . هذه إذن قصة خيزي ، لا بد أن تلقى أو أن تعدل ، ولم يكن للاتحاد السوفيتي من مدخل لأسواق وأموال آسيا وأفريقيا إلا السلاح ، وكانت البداية في مصر . وهذه الصورة التي لم تكن واضحة في هذا الوقت ، بل وبدت غريبة وشاذة ، سنجدها عادية بل وبشكل أكثر اقتضاحاً مع تطور الأيام فالشركات الأمريكية تعطي ليبيا الدولارات من إنتاج النفط ، وليبيا تعطيها لروسيا ثمناً للسلاح المحظور استخدامه في أية بقعة تهدد المصالح الأمريكية الحقيقية ، وروسيا بدورها تعيد الدولارات إلى أمريكا ثمناً للقمح . . وملخص الدورة : أن أمريكا تأخذ نفط ليبيا بالقمح الفائض الذي إذا لم تبعه فستحرقه ، وروسيا تحصل على القمح الأمريكي بالأسلحة التي إذا لم تتمكن من بيعها ، فستلقى في العراء بمجرد اكتشاف الغرب سلاحاً أكثر تطوراً . . وبشيء من التبسيط يمكن القول إن روسيا تحصل على القمح شبه مجاني ، وأمريكا تأخذ النفط بثمان بخس وكل هذا بدأ بفكرة عبقرية نبتت في مكان ما خارج مصر حيث قال أحدهم : اتكوه يشتري السلاح من روسيا^{١١} . .

كذلك قدر هؤلاء الخبراء أن صفقة السلاح ستعطي عبد الناصر شعبية في العالم العربي شكته من تحقيق حلم أمريكا وهو فرض النوبة السلمية في المنطقة .

وأخيراً إن فتح منفذ لمصر لشراء السلاح من الاتحاد السوفيتي سداً احتمالاً خطيراً كان لا بد

أن يطرح في حالة سد جميع الأبواب ، وهو احتمال الاعتماد على النفس ، وهو الحل الجذري بل الوحيد لتحقيق التحرر الحقيقي ، وحسم المسألة الصهيونية نهائياً لصالح العرب . والاستعمار يفضل دائماً أن تقع الدولة الصغرى في دائرة نفوذ منافسه على أن تستقل بإرادتها الاستقلال الحقيقي وما يحمله هذا من مخاطر على استقرار النظام العالمي ، واحتمال ظهور منافس ثالث . .

وهنا نقول رأينا في الموقف المقترض للقيادة الوطنية ، عندما اتضح من غارات إسرائيل أنها مصممة وقادرة على ضرب الجيش المصري . . ومن ثم تنبأت إلى أن هذا هو الصراع المصري الذي سيقدر مستقبل المنطقة . .

كان المفروض أن تركز على هذا التناقض ، وبالتالي على بناء قوة مصر الذاتية للارتفاع بمستوى القدرة في المواجهة وصولاً إلى ترجيح الإرادة المصرية .

وهذا يتطلب وحدة الجبهة الوطنية ، لأن الصراع ضد إسرائيل يجب أي هدف آخر ، وهذا يستلزم إطلاق الحريات وتشكيل جبهة وطنية من جميع القوى تحت استراتيجية واحدة هي المواجهة المصرية - الإسرائيلية .

وضع استراتيجية عربية قومية تفرض التعاون الحقيقي مع كل القوى العربية تحت شعار واحد لا يتبدل ، وهو المواجهة العربية - الإسرائيلية ، يحدد على ضوءه الموقف من كل القوى ، ومن ثم لا يبقى لاية قوة حجة في ادعاء أنها تعارض الاستراتيجية المصرية لأسباب أخرى أو لأنها لا تعمل ضد إسرائيل . .

ونفس الشيء بالنسبة للقوى العالمية ، بحيث يتحدد موقفنا منها على ضوء علاقتها بهذه المواجهة أساساً إن لم نقل فقط . . لا أن نهاجم جولد ووتر لأنه ضد اليهود !!! ونحتفل بشارتر لأنه فيلسوف ويساري وسار على رأس مظاهرة في مايو ١٩٦٧ تهتف : « اقتلوا المسلمين . . الموت لعبد الناصر » . . وجمع أربعة مليارات فرنك للمجهود الحربي الإسرائيلي ! . .

أن تؤمن حقاً بأنه « لا صوت يعلو على صوت المعركة » شرط أن تعني المعركة مع إسرائيل لا مع جمال سالم أو فؤاد سراج الدين أو المحاكم الشرعية* أو أهالي كمشيش . . الخ . . وضع استراتيجية لتحقيق الكسر الحقيقي لاحتكار السلاح بإنتاجه . وأظن أنه لا أحد يجادل الآن ، في أنه لا كسر حقيقي لاحتكار السلاح ولا تحرير لإرادة أمة إلا بإنتاجها للسلاح ، وهو مطلب بشير العرب في الدوائر الاستعمارية والصهيونية وعملائهم ، وأذكر أنني عندما طرحت هذا المطلب عام ١٩٧٠ قال عميل مجلة حوار التي كانت تصدر مباشرة من خزانة المخابرات الأمريكية إن مطلبي هذا « نكتة ثقيلة الدم » . . !

* مما هو جدير بالملاحظة أن مهرجان الإعلان عن صفقة السلاح جاء (صدفة ١٩) في اليوم التالي لإلغاء المحاكم الشرعية الذي كان آخر إجراء في عملية إزالة الصفة الإسلامية عن الدولة المصرية .

وهذا صحيح ! ثقيلة على قلب الامبريالية ، وعملائها ، ولكنها ضرورة أساسية ، لا مفر منها إذا ما أردنا أن نمتلك حرية الإرادة في بلادنا وفي المنطقة ، فالخروج من دائرة السلاح الغربى إلى السلاح السوفيتي لا يعني كسر احتكار السلاح بل الانتقال من تبعية إلى تبعية ، بل قلنا مرة إن الاحتكار السوفيتي أكثر إحكاما وأكثر قسوة ، بسبب سيطرة الدولة ، ووحدة المصدر ، بينما المعسكر الغربى بتعدد ، وتناقضاته وتغراته وفساده . . . قد يعطى مجالا للمناورة ولو محدودة . . . وقد رأينا كيف تحطم قلب عبد الناصر وهو يسافر ذهاباً وإياباً إلى روسيا لإقناعهم ببيع السلاح له خلال حرب الاستنزاف ، وكيف اضطّر هواري بومدين لحمل المال معه للدفع نقداً لكي يشتري لمصر من روسيا دبابات في حرب ١٩٧٣ . . . !

كسر الاحتكار الحقيقي هو إنتاج السلاح . . . أما أن هذا الهدف ممكن فلن نقول انظروا لإسرائيل والصين بل والبرازيل . . . بل انظروا تجربة هيئة التصنيع الحربى العربية ، وما أنتجته من أسلحة استخدمت في حرب إيران والعراق وما يقال عن إمكانية إنتاجها لدبابات وطائرات (بعد الصلح مع إسرائيل كما توقعنا وتلك قصة أخرى)^{١٢}

كل هذا يجعلنا نقول لو أن الحكومة المصرية في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ اتخذت قرار إنتاج السلاح ، ووضعت خطة تلاحم عربى ، لإنتاج هذا السلاح بالخبيرة والطاقة البشرية المصرية والمال والتضامن العربى لتغير التاريخ . . . ولكانت الصفقة الروسية مجرد حل مؤقت ومفيد في هذا الإطار . . . ولكننا استخدمنا الصفقة لتخدير أنفسنا وشعبونا . . .

منذ أن تمت الصفقة دخلت إسرائيل في تحالفات عالمية كفلت لها الدعم الكامل في مواجهتها مع العرب . إذ استطاعت محالفة فرنسا وبالتالي بريطانيا ، فلما انتقلت للمواجهة الساخنة كانت تتمتع بأكبر غطاء غربي يمكن أن يتوافر لدولة صغيرة ، بريطانيا وفرنسا أكبر امبراطوريتين في هذا الوقت بعد روسيا وأمريكا . . .

فإذا استفادت مصر من نشاطها الدولي . . . ؟ لا شيء ! إلا إذا اعترفنا بالسر المكنون وهو أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي أنقذت النظام من العدوان الثلاثي وأزالته له آثار العدوان . . .

من حقنا إذن أن نعجب للنتيجة التي خرج بها الكاتب المتمركس :
« وهكذا أدت صفقة الأسلحة إلى انقسام الموقف في الشرق الأوسط إلى دول وطنية متحررة تشتري السلاح من الاتحاد السوفيتي بلاء قيود أو شروط . ودول أخرى تابعة للامبريالية ومرتبطة معها إما بأحلاف عسكرية أو بقبول ما ورد في مشروع ايزنهاور »^{١٣} .
سوق السلاح أصبح سيف اصف بن برخيا ، أو الصراط المستقيم الذي يميز المتحرر من الرجعى . . . من يشتري من الاتحاد السوفيتي فهو وطني متحرر . . . ومن يقاطع البضاعة الروسية عميل ! . . .

هذا كلام مسوق . . . لا ينهض عليه أي دليل ، فالأسلحة السوفيتية لا حررت ولا حمت

استقلالاً وطنياً . ومواقف الدول العربية في مواجهة إسرائيل لم تختلف كثيراً ما بين مشترى السلاح من موسكو أو لندن . . وثالث دولة دعت السوق ، كانت المملكة اليمنية المتوكلية ، الإمام أحمد حميد الدين عقد صفقة سلاح مع الروس ، وصفقة مصانع مع الصينيين ، وابنه الإمام (القادم) محمد البدر أشرف على الشراء والشحن ، والإمامان كما يدرس في مدارس الثورة ، هما رمزا الرجعية والعمالة . مما برر استنزاف قدرات مصر بل والنضحية بمستقبلها السياسي في المنطقة بهزيمة ١٩٦٧ لتحرير اليمن من الإماميين ، اللذين جاءا بالسلاح الروسي الذي سار على الطريق الصيني ! . .

إذن فليس كل من اشترى السلاح السوفيتي تقدماً وطنياً متحرراً . . والعكس أشد خطأ ! . .

ورغم مرور ٢٤ سنة شهدت هزمتين ونصفاً للأسلحة السوفيتية ورغم انضاح أبعاد المأساة التي سببتها هذه الصفقة ، أو بالأحرى اعتمادها كمنهاج في حل المواجهة المصرية - الإسرائيلية . . رغم مرور ربع قرن ، فإن الكاتب شبه الناصري يقدم لنا - دون أن يدري - فكرة عن الهدف الذي حققته الصفقة إذ يقول :

« هدرت في شوارع القاهرة يوم العرض العسكري احتفالاً بعيد الجلاء لمدة أربع ساعات دبابات ستالين وقاذفات اللهب ، والمدفعية الخفيفة والثقيلة وغطت السماء أسراب طائرات الميج الثقاة وقاذفات القنابل الألبوشن . .

« وانبهرت الجماهير بما رأته من تسليح حديث ، وزغرذت النساء وتأثر العرب الذين حضروا العرض العسكري مشاركة لمصر في احتفالها التاريخي . . أرسل الأردن كتية من الفيلق العربي وأرسل لبنان مجموعة من جنود الترحلق ، واليمن جماعة من تلاميذ المدارس الحربية ، وليبيا والسعودية وسوريا وحدات نظامية .

كان يوماً حافلاً بالنشوة والابتهاج ، وخاصة للعسكريين الذين حققوا هدفاً من أعظم أهدافهم ، ولم تعد استعراضاتهم العسكرية هزيلة أو متخلفة » * .

هذه هي باختصار قصة الأسلحة السوفيتية :

الدبابات تهدر في شوارع القاهرة ، وتغطي سماء القاهرة طائرات الميج وقاذفات اللهب . لم تهدر دبابة واحدة في شوارع فلسطين المحتلة . . واحدة ! . . لم تسقط قنبلة واحدة . . واحدة . . خلال ٢٥ سنة من شراء السلاح السوفيتي فوق مدينة إسرائيل واحدة . . واحدة .

لم تحترق طائرة مصرية واحدة . . واحدة . . المجال الجوي الإسرائيلي ولو خطأ !

كله للاستعراض في شوارع القاهرة وسماء القاهرة . .

- وبينما كان الجيش يجري استعراضاً سبباً لا هزيلة قامت إسرائيل العجفاء باحتلال مثلث العوجة رغم قرارات الأمم المتحدة وما زالت هناك إلى اليوم . وكان احتلالها في سبتمبر ١٩٥٥ وفي الشهر التالي احتل الانجليز البورمي ونزوى .

كله من أجل أن « تنبهر » الجماهير فلا تفكر ، حتى تتفل من الانتهاز بالنسليح الحديث لجيشها الثوري إلى الذهول من هزيمة هذا الجيش أمام العدو القومي .

تزعرد النساء فيختفي نحيب وصراخ واحتجاج الجنود والمواطنين الذين قتلوا في الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة* وستقلب هذه الزغاريب بعد ٤ شهور ليس إلا ، إلى نحيب وأسى وارتباع في بيوت جنودنا القتل والأسرى والمفقودين في معركة ١٩٥٦ وستأثر العرب ويهرعون للاشتراك في « الاستعراض » في شوارع القاهرة ، فإذا جد الجدد وجاءت الحرب ، سيطلب منهم عبد الناصر عدم التدخل ، ويبقى ذلك اللغز الحائر الذي لا يفسره مفتي الناصرية ولا الدراويش .

وكان يوماً حافلاً بالنشوة والابتهاج والتخدير وخاصة للعسكريين الذين فرحوا بأن « استعراضاتهم » لم تعد هزيمة أو متخلفة ، وإن استمرت قوة ضربهم الحقيقية كذلك . . من أجل هذا وافقت الولايات المتحدة على صفقة السلاح الروسي ، ومن أجل هذا ظلت إسرائيل تدفع العسكريين باعتداءاتها المتكررة ، دفعاً نحو عقد هذه الصفقة . . وإليك هذه الشهادة : بعد أن أعلنت مصر عن أضخم صفقة سلاح أعطيت لدولة في الشرق الأوسط مع الاتحاد السوفيتي ، قام بعض المسؤولين الأمريكيين ومنهم السفير الأمريكي في دمشق بجهد محموم لمنع سوريا من عقد صفقة مماثلة ، وإقناع المسؤولين السوريين بانظر قرار أمريكي لصالحهم . . ولكن هذا ما سجله ممثل وزارة الدفاع الأمريكية والمسئول عن جذب أو قلب حكومة سوريا لصالح الولايات المتحدة قال :

« ومع اقتراب نهاية السنة لم تكن واشنطن قد اتخذت قراراً بعد في طلب سوريا للسلاح ، واقترح السفير مودس « السفير الأمريكي في دمشق » أن أسافر إلى واشنطن فربما أنجح أكثر في تحريك الموضوع . وبينما كنت أرتب سفري ، جاءت الأنباء بوقوع هجوم إسرائيلي كبير على سوريا ترك ٥٦ قتيلاً سورياً و ٣٠ إسرائيلياً (يناير ١٩٥٦ ج) . وخلال مناقشة الحادث مع السفير مودس ، عبرت عن اقتناعي بأن السياسيين اليساريين وضباط الجيش السوري وجدوا كل ما يحتاجونه بهذا العدوان لتبرير عقد صفقة سلاح مع روسيا ، بعد أن تعهدت حكومة سوريا بأنها لن تتخذ على غرة مرة أخرى إزاء هذه الهجمات ، ولكن السفير (الأمريكي في دمشق ج) ذهب أبعد من ذلك ، إذ قال : إن الإسرائيليين تصرفوا عن وعي كامل بأن سوريا ستجه إلى روسيا في طلب المساعدة ، لأن ذلك سيبرر طلب إسرائيل للسلاح من الغرب ضد الشيوعيين وليس ضد العرب » ٣٦ .

إسرائيل بشهادة الأمريكيين . . دفعتنا دفعاً إلى شراء السلاح من روسيا . . أما نحن فقد

* اقرأ تفاصيل عملية التوعية أو التبريد هذه في كتاب « ريتون وين » : « ناصر أو البحث عن الكرامة » عندما قارن بين زغاريب احتفالات السلاح ونواح تشيع ضحايا العدوان الإسرائيلي .

رقصنا على « طيلة » العملاء والمخابرات ، ونشرنا الماشنات الحمراء : « هلع في إسرائيل »
« تزايد الهجرة من إسرائيل بعد إعلان الصفقة » . . .

نامت الجماهير على موسيقى الاستعراض العسكري ، واستغلت المخابرات الأمريكية
« شيوعية » السلاح في عزل مصر عن حلفائها الطبيعيين ، فهذا الذي كان أكثر من صديق
لناصر وراعياً للنظام المصري كبريت روزفلت ، كان يعمل على تحريض الحكام العرب ضد
ناصر في نفس الوقت الذي كان الناصريون ، والإعلام الناصري بخبراء كبريت روزفلت
يستغل « انهيار الجماهير » في تمزيق العالم العربي ، وإرهاب الحكومات العربية ، التي كانت
راغبة ومستعدة للتعاون مع ناصر المصري العربي ، ولكنها لا يمكن أن تقبل التعاون فضلاً
عن الفناء لناصر الشيوعي ، المحرض لجماهيرها . . . وهكذا كانت اللعبة تدار ببراعة نادرة ،
لعزل مصر ، ودعم زعامة حاكم مصر ، بتخريف الحكام والنظم والطبقات المالكة العربية
ودفعها إلى طلب حماية الولايات المتحدة ، ولو كان الثمن التفاوضي عن دور هذه الولايات
المتحدة في قيام واستمرار إسرائيل . . . بينما تعمل إسرائيل ليل نهار لتدمير مصر وصولاً إلى
العرب . . .

يقول « سلوين لويدي » إن البعض في « الغرب » كان يرى ترك عبد الناصر للروس بعد
صفقة السلاح ، إذ كان هذا البعض يعتقدون أن وجود عدد كبير من الروس في مصر سيثير
ضداهم المصريين ، كما أن هذا الوجود سيخيف العائلة المالكة السعودية مما يؤدي إلى فتور
العلاقات المصرية - السعودية^{٣٧} .

قال هيكل إن نأ صفقة السلاح « نفجر في إسرائيل كالقنبلة » .
ولكنهم على أية حال لم يتبددوا أيدي سبأ ولا جروا في اتجاه البحر ، بل قرروا غزو مصر !!
وسبخرنا دون أن نظرف عينه ، كيف بدأت إسرائيل تبحث عن السلاح والغطاء الدولي ،
وكيف نجحت في تحقيق أضخم صفقة سلاح في تاريخها دون خطية واحدة من مشول
يهودي ، ولا هتاف في الشارع ، ولا استعراض عسكري يبهز الجماهير ولا تعليق عن
« القنبلة » التي انفجرت في مصر بسبب الصفقة التي صمت :

٢٩ طائرة مستبر .

١٩ طائرة فوتور قاذفة مقاتلة .

٢٠٠ مدفع .

٩٠ دبابة إيه ام اكس .

وتوالت الشحنات

نعم توالت الشحنات في صمت ، بلا خطب ولا مطولات من هيكل إسرائيلي ، وأن
لإسرائيل مثل هيكل .

ولأنهم هناك كانوا يطلبون السلاح للمقاتل به ، والقتال يعني الجدية والسرية . . . أما نحن

فأردنا قعقة السلاح . « دعاية » السلاح لتجنب القتال . . وهذا يتطلب الاستعراض والعلنية المفرطة . وقد حقق كل طرف ما أراد وسنرد على موقف إسرائيل ولكن نتوقف هنا لحظة عند محاولة خبيثة من « هيكل » لنشويه موقف مصر « القومي » ونشويه أهداف ودوافع عبد الناصر نحو الثورة الجزائرية إذ يلخص الموقف بين فرنسا - إسرائيل - مصر - الجزائر هكذا :

« زادت شحنات الأسلحة الفرنسية لإسرائيل وزادت مساعدات مصر للثورة الجزائرية ! . . بل وينسب زوراً لعبد الناصر أنه قال لتيتو : إننا نريد أن نجعل فرنسا نحتاج كل قطعة سلاح ترسلها إلى إسرائيل ولذلك نساعد الثورة الجزائرية » .

لماذا كل هذا الحقد على مصر والحرص على سلبها كل فضيلة . . . الفكرة الشائعة والحقيقية ، هي أن فرنسا حالفت إسرائيل بسبب دعم مصر للثورة الجزائرية . . وليس العكس ، أي أننا دفعنا ثمن موقفنا القومي العربي . . ومهما قيل في فداحة الثمن الذي دفعته مصر فإن المحصلة النهائية رابحة ومجزية وهو استقلال بلد عربي وحرية شعب عربي ، عبد الناصر ومصر من قبله ومن بعده على حق في دعم ثورة الجزائر مهما كانت النتائج . . ولكن « هيكل » يقلب الصورة ، فيجعل مصر تدعم ثورة الجزائر نكاية في فرنسا ؟ !
باللاقراء والعار . . ؟ !

وبالمناسبة ، فقد يشاء البعض هل كان من مصلحة مصر إثارة عداة فرنسا وتعريض أمنها الوطني واستقلالها للخطر من أجل تحرير الجزائر ؟ ! ثم ماذا كسبنا من ثورة الجزائر . . ضرب المصريون في شوارع الجزائر ، وامتهنوا وطردوا . . وناصبنا حكومة الجزائر العداة وقادت جبهة الصمود والتصدي والمزايدة ضدنا . . ؟ !

هذا الكلام وإن كان يمكن أن يتردد في المناقشات البيزنطية ومن جانب الذين لا يريدون أن ينسب فضل للناصرية ، إلا أنه لا يجوز وطنياً ولا قومياً ، بل ولا عقلياً . . لأن استقلال الجزائر كما قلنا بأية صيغة هو إنجاز إسلامي - عربي ، وبالتالي فهو مكسب وطني مصري . . ولا يجوز الندم أو الشك لحظة واحدة في صوابية وشرف الدعم المصري للثورة الجزائرية . . ولكن لا بد أن تطرح هذه الملاحظات :

١ - أن الدعم المصري للحركة الوطنية الجزائرية بل للحركة الوطنية في المغرب العربي ، وهي التي فجرت ثورة الجزائر ، سابق على عبد الناصر ، ولولم يكن عبد الناصر في الحكم لجاء ثوار الجزائر أيضاً إلى مصر ، واتفقوا على الدعم ونالوه من أية حكومة مصرية ، ربما كان حجم الدعم سيختلف وفقاً لمدى حرية الحركة لهذه الحكومة سياسياً ، ومدى حريتها في التصرف في موارد مصر . . ولكن جوهر الموقف لا يختلف .

٢ - أن الأسلوب المتبع للأجهزة الناصرية في التعامل مع الحكومات العربية والحركات الوطنية ، هو المشول إلى حد كبير عن نجاح القوى المعادية لمصر والعروبة في السيطرة على الأوضاع في الجزائر ، ومن ثم في تأليب دول المغرب العربي كله ضد مصر التي كانت كعبة

أما هم ومركز جبههم وتطلعيهم وهم في المعارضة فتحولت إلى العدو رقم واحد عندما أصبحوا في السلطة . . ولا يجوز اتهام حكومة يومدين وحدها بالجفاء لمصر ففي عهد عبد الناصر كانت علاقتنا متردية مع كل دول المغرب من إدريس السنوسي إلى يومدين مروراً « بالأستاذ » والقصر الملكي في المغرب . أو « الحسن أخو الحسين » كما كنا نقول في صوت العرب عن ملوك العرب* .

فنحن إذا كنا قد خسرنا فرنسا ، فقد كان ذلك حتمية تاريخية لا يمكن تجنبها ، لأن قدرنا ودورنا ومبادئنا كانت نخدم علينا الوقوف مع ثورة المغرب العربي . . إلا أن خسارتنا حكومات ما بعد الاستقلال لم يكن له ما يبرره وكان الأمر يمكن تجنبه لو كنا نمتنع بجهاز حكم ديمقراطي نتحكم فيه الكفاءات لا المخابرات . .

٣ - السلاح الفرنسي لم يزمنا في ١٩٥٦ حتى يأسف البعض على دعم الثورة الجزائرية . . فالغزو الفرنسي هزم وتراجع ، أما النصر الإسرائيلي فكانت له أسبابه المصرية . . المهم نجاح الجهد الإسرائيلي في تحطيم « احتكار السلاح » وسجل هيكمل ذلك بقوله : « لقد فتحت أبواب فرنسا . . كل أبواب فرنسا لإسرائيل » .

وقد عجبت روسيا عود الغرب ، وكشفت كذب الصباح الإعلامي ، عندما عرضت في مؤتمر القمة في لندن « فرض حظر سلاح على الشرق الأوسط كله » فرفضت الدول الغربية . ولم تكن هذه نهاية العالم ، بل أعقب صفقة السلاح الروسي على الفور ، قرار أمريكي بتمويل السد العالي وقال فوستر دلاس في رسالة لعبد الناصر : « الروس يعطونكم سلاحاً للموت ، أما نحن فنسبني لكم السد العالي للحياة » . .

وربما كان هذا الموقف الهادي « المتفهم » من الغرب ، هو الذي جعل الإعلام الناصري يشبث كالغريق بحكاية الإنذار ، إذ لا تكاد توجد واقعة ، ولا شاهد ، على مظهر آخر من مظاهر غضب الولايات المتحدة ، فضلاً عن جنونها من صفقة السلاح بل كانت برداً وسلاماً على إسرائيل ، ومن بينهم أمر إسرائيل .

وامتدح الأمريكان يخدمون القاهرة بمساعي السلام ومشاريع اللقاء بين بن جوريون وعبد الناصر ، معتمدين على نوايا « ناصر » السلمية إزاء إسرائيل ، وأنه كما سنرى ، لم يفكر قط قبل ١٩٦٧ في محاربة إسرائيل ولكن السلام لم يتحقق ، لأن إسرائيل لم تفكر قط في مسألة مصر قبل أن تحقق امبراطورية إسرائيل .

يقول ابفيلاند : « في عام ١٩٥٦ (أي بعد صفقة السلاح . ج) كان الأخوان دلاس يرتبان لقاء بين بن جوريون وناصر ولو أن تصرفات بن جوريون أوحى أنه يفضل التعامل

* وقرأوا مذكرات « فتحي الديب » المنسوب السامي الناصري منرى أنه لم يكن له هم في ليبيا « الثورة » وفي عهد عبد الناصر إلا محاربة الجزائر والعراق . . حيث يحكم نلاميد « ثورة » يوليو ١١

مع ناصر بالسلاح عن التفاوض حول مقترحات السلام التي أقنع بها شاريت حزب
مايبي،^{٣٨}.

وهذا التاكيد الإسرائيلي المعروف عن ادعاء خلاف في القيادة أقنعوا به عبد الناصر
ولعلنا نذكر تصريحه الذي مدح فيه مبول موسى شاريت !

وقال ايفيلاند إن «العنصر الرئيسي في جهودنا من أجل تجميع دعم عربي للسلام مع
إسرائيل . . . كان هو الرئيس المصري»^{٣٩} ونساءل «هل تبحث الـ CIA مشروع سلام مع
ناصر بدون علم السفير الأمريكي في القاهرة بايرون»^{٤٠}

السد العالي

وإذا كنا لنناقش السد العالي كمشروع مصري في هذا الموضع من الحديث فإننا نحسب أن نلقي الضوء على بعض النقاط التي لها علاقة بموضوع حديثنا هذا . . والتي تحتاج إلى تأمل ودراسة مفصلة . .

الأولى : أنه بعكس الشائع والذائع عن أن « سحب » تمويل السد العالي كان عقوبة على صفقة السلاح ومحاربة حلف بغداد . . الخ . . وهذا غير صحيح ، بل الغريب أن قرار « تمويل » وليس سحب التمويل هو الذي اتخذ في أعقاب صفقة السلاح ، فقد قررت أمريكا وفي ذيلها بريطانيا الرد على « الخطوة الروسية » وما أثارته من شعبية ، بمظاهرة غربية مضادة ، وهي تمويل السد العالي ، وبدأوا الدراسات والأبحاث في هذا الأمر وبعت دلاس ببرقية لعبد الناصر والتي تقول « الروس يعطونكم سلاحاً للموت ، ونحن سنعطيك السد العالي للحياة » كما أورد هيكمل متأخراً جداً نصريح ايزنهاور المشهور في ١٩ ديسمبر ١٩٥٥ بأنه سيطلب من الكونجرس اعتماد مائتي مليون دولار على عشر سنوات للسد العالي * .

ولكن العرض سحب لعلة أسباب . . ذكر « سلوين لويد » بعضها في قوله « قال لي (بوجين) بلاك (مدير البنك الدولي) إن الأمريكيان يمكنهم تقرير تمويل السد العالي من الكونجرس ، ولكنني رأيت ذلك تفاؤلاً لا مبرر له فاللوبي الصيني كان غاضباً لاعتراف ناصر بالصين الشيوعية في مايو ، ولوبي القطن كان ضد هذا القرض بسبب اتفاق ناصر مع روسيا

* وأفرج « هيكمل » عن ورقة من ملفات مصر الشهيرة يقول فيها ايزنهاور لعبد الناصر : « إن الولايات المتحدة تغلبت على صدمة صفقة السلاح وتجاوزت ذلك وبدأت صفحة جديدة بإعلانها عن استعدادها لتمويل السد العالي » . ٣٨٧ ع .

على القطن المصري (ليس صحيحاً . . بل بسبب توقع زيادة المساحة المزروعة قطعاً في مصر ومنافستها للقطن الأمريكي ج) واللوبي الإسرائيلي ضده على أساس أنه يقوي أحد أعدائهم الرئيسيين . إلى جانب الطلبات التي انبثت على الولايات المتحدة من أصدقائها في الشرق الأوسط يطلبون مساعدات ، وحجتهم جميعاً أن الصداقة هي التي يجب أن تكافأ لا العداوة . وأن إعطاء مساعدة لمصر لبناء السد هو العكس تماماً وضرب مثلاً « بن حليم » رئيس وزراء ليبيا الذي كان مشعباً بحب الغرب (بالغين المنقوطة ج) الذي كرر على ما سمعت في المنطقة وهو أن أصدقاء الغرب يجب أن يكافأوا بسخاء أكثر من عبد الناصر الذي يكافأ على عداوته ، وكانت هذه إشارة واضحة منه إلى اعتزامنا تمويل السد العالي .

ويذهب سلوين لويد إلى أن الكونجرس كان بسبيله إلى سن قانون يقيد صلاحية الحكومة في منح القروض إذا ما أصرت على تمويل السد العالي ، ودلاس خشي أن يصدور هذا القرار الشامل ، مما يضر بالمعركة الانتخابية للرئيس ايزنهاور فبادر بتهدئة الكونجرس بإعلان سحب التمويل . وقال دلاس لايزنهاور في ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ إن القرار لم يكن مفاجئاً للمصريين فقد كان لديهم علم به . . ويؤيد هذا رواية محمد حسين هيكل وسلوين لويد عن الوزير العراقي الذي نقل أخبار مناقشات حلف بغداد إلى عبد الناصر « فعرف منها أن الدول الغربية لن تحول السد العالي » .

ويدعي سلوين لويد أن أحمد حسين هدد أمريكا بأنه إذا لم تحول أمريكا السد العالي فالانحدار السوفيتي جاهز للدفع ، ورد عليه دلاس في ١٩ يوليو (١٩٥٦) بأن أمريكا لا تبتر ولا تهدد ، وسحب العرض^{١٣٢} . ويبدو أن دلاس اتخذ القرار بسرعة فلم ينشر أحدًا ولا ناقش القرار مع موظفي وزارة الخارجية ، واستشار الرئيس الأمريكي في صباح نفس اليوم ، وأبلغ السفير البريطاني « ماكيتز » قبل الإعلان بساعة . ولم أكن أعلم بهذا القرار السريع . فقد ناقشنا الموقف في مجلس الوزراء وكلفت بعمل مذكرة حول كيفية إبلاغ المصريين بانسحابنا^{١٣١} .

والأمر كله لم يستغرق إلا أسابيع ما بين قرار التمويل وقرار سحب التمويل ، كما جاء في لجنة الشؤون الخارجية للكونجرس الأمريكي . .

ومسألة الدور الذي لعبه الاعتراف بالصين في استفزاز الولايات المتحدة لسحب القرار ، مسألة معقدة في المنطق الناصري ، فصحيح أن اللوبي الصيني كان مستاء من عبد الناصر ، ولكن ليس إلى الحد الذي يمكنه من استصدار قرار بهذا الحجم . . والمؤرخ الناصري يختار في قضية الاعتراف بالصين ، فهو يسجلها في قائمة الانتصارات العالمية « كقيادة جريئة من مصر ، فلم تكن هناك دولة في الوطن العربي أخذت هذا الموقف في وقت كانت حكومة الولايات المتحدة فيه كالنمر الهائج ضد كل ما هو صيني ، حتى أن جوائز سفر الأمريكيين كان يصرح فيها بالسفر إلى كل دول العالم عدا الصين وكوريا الشمالية » . . وبعد ٤ صفحات

ليس إلا ، نجده يرد على « بعض الجهات المعادية التي تحاول الإساءة لموقف عبد الناصر وتصويره بمظهر المستغنى الذي يجبر خصمه على اتخاذ خطوات عنيفة وذلك بزعم هذه الجهات المعادية أن الاعتراف بالصين الشعبية هو الذي أثار جنون أمريكا وجعلها تسحب التمويل . . » ويلقم هذه الجهات المعادية حجراً بأن يقلل من أهمية تلك « المبادرة الجريئة » بل يثبت تفاهتها بدليل « أن إسرائيل ربية أمريكا اعترفت بالصين الشعبية عام ١٩٥٠ دون أن يحدث ذلك صدى في علاقتها مع واشنطن »^{١٢} .

ونحن في هؤلاء . . خطوة قامت بها إسرائيل منذ خمس سنوات ، وهي ربية أمريكا ولم يترها جفن أمريكي ، كيف تصبح مبادرة جريئة وتحدياً للنمر الأمريكي الهائج بعد خمس سنوات عندما يقوم بها عبد الناصر ؟!

وأياً أكثر تهيباً للنمر الأمريكي : الاعتراف بالصين ، وكل حلفائها في أوروبا اعترفوا بالصين ، أوقف مصر في عهد حكومة الوفد التصويت مع أمريكا أو تأييدها في حرب كوريا وكل العالم غير الشيوعي وقف مع أمريكا في حرب كوريا . . ؟!

والمصادر الأمريكية المتاحة الآن ، تؤيد رواية سلوين لويد حول معارضة اللوبي اليهودي ، ولوبي زراع القطن في ولايات الجنوب ، وأيضاً اللوبي المعادي للانجليز ، فقد جاء في كتاب « حبال الرمال » : « كانت هناك معارضة متوقعة من أعضاء الكونجرس من ممثلي الجنوب زراع القطن الراغبين في إبقاء القطن المصري بعيداً عن السوق ، ومن أنصار إسرائيل ، وأيضاً من وزير المالية الذي شعر أن الشركات والمقاولين الانجليز سيستفيدون فائدة هائلة بينما ستكون مساهمتهم رمزية ، كما كان على مصر أن تسوي مشاكلها مع السودان حول المياه »^{١٣} .

كذلك كان « هيربرت هوفر » الابن وكيل الخارجية والمشيخ بكراهية الانجليز ضد المشروع بسبب دور الانجليز فيه * ، ولا نظن أن أمريكا كانت في مزاج إعادة بريطانيا إلى مصر ومشروع يمثل هذا الحجم بعد كل الجهد الذي بذله « الكافرين » و « السوئين » لإخراجها من هناك . وقد أوضحت بريطانيا فيها بعد أنها فوجئت بالقرار الأمريكي بسحب التمويل .

وهناك ملحوظة غريبة ، لا ندعي أننا قد فهمنا أبعادها الحقيقية ، وهي أن الأمريكيين كان لديهم اقتناع بأن المشروع سيثير كراهية المصريين . لماذا ؟ . . لا ندري !

التفسير الشائع أنه بسبب ما يتكلفه المشروع من مال ، لابد أن يرهق المصريين ؟ . . وهو تفسير متهاف لأن المفروض أن التمويل الخارجي ، سيعني المصريين من العبء المالي ، وحتى إذا كان على شكل قرض فإن السد العالي سيحقق زيادة في الدخل تكفي لسداد

• جاء في كتاب « الانحدار للسويس » ١٩٨٧ : « بريطانيا كانت تأمل أن يكون السد من نصيبها » .

القرض وتحقيق فائض . . وإذا كان الضرر مالياً ، والكراهية سببها المال . . فكيف يكون الحل هو نصح مصر بأن تقوم هي السد بدلاً من جلب الكراهية على الدولة التي ستموله . . هل التمويل الداخلي أقل عبثاً من التمويل « الكريم » من الاتحاد السوفيتي ، أو قرض دولي ؟ . .

كلام غير مفهوم !

الذي حدث برواية هيكمل أنه « في محادثات محمود فوزي - دلاس ١٩٥٦/١٠/٦ » أشار دلاس إلى أن الشعب المصري سيكره من يبني السد العالي ، لذلك فلا مانع لديه من أن يقوم الروس^{١٢} بذلك ! وقد ذكر محمود فوزي في رسالته أن دلاس يور ذلك بالإرهاق الاقتصادي . .

وقد كرر دلاس مع المصريين مرتين اقتناعه بكراهية الشعب المصري المتشطرة للمشروع . . مرة في اقتراح « تليسه » للروس ومرة عندما قال « إن مصر تستطيع - في رأيه - تمويل السد العالي عن طريق دخل قناة السويس لأن هذا أسلم وسوف يجنب أية دولة تقديم المال اللازم لمشروع يشير كراهية المصريين ورددت عليه في هذا الموضوع بوجهة نظرنا^{١٣} . وبالنسبة لفوزي ، أو هيكمل ، عرفنا أحدهما « بوجهة نظرنا » لفهم ما الذي كان يشير إليه دلاس وهو يتحدث عن « إثارة السد لكراهية المصريين » .

ونفس الفكرة كررها دلاس مع هيو جيتسكيل زعيم المعارضة البريطانية ، إذ جاء في يوميات جيتسكيل : حاولت أن أستفهم من دلاس عن أسباب سحب تمويل السد العالي فأجابني إجابة غير مفهومة أهم ما فيها : « إن الولايات المتحدة كانت تأمل أن يؤدي سحب قرار التمويل الأمريكي إلى مسارعة السوفيت بتقديم عرض لتمويل السد ليتحملوا العواقب الوخيمة بأنفسهم على المدى البعيد برغم أنهم سيحققون مكاسب سياسية آنية^{١٤} .

ما الكارثة الخفية في موضوع السد ؟ والتي رأت أمريكا أن تورط الاتحاد السوفيتي في عواقبها الوخيمة ، ببناء هذا السد ، وأنها أي هذه الكارثة ، ترجح المكاسب السياسية التي عادت عليها وقتها ولعدة سنوات تالية ؟ !

وقد فندنا القول بأن الإرهاق الاقتصادي هو المقصود ، فلم يبق إلا تفسير واحد وهو أن الأمريكان قد اكتشفوا عيباً خطيراً في السد ، وتوقعوا أن يشير كراهية المصريين في المستقبل ! إن كان ذلك صحيحاً ، وكتم دلاس والأمريكيون ذلك عن مصر ، فهو دليل وحشية وإجرام هذه الحضارة الغربية ، وإن كان الجانب المصري قد أبلغ بذلك فلم يهتم من أجل الأهداف السياسية للمشروع ، فما من لفظ في اللغة يمكن أن يصف هذا الفعل ! . . ومرة أخرى نحن لا نجزم بشيء فالإشارات ما تزال غير مفهومة . .

وملاحظة ثالثة حول حوار دلاس - فوزي ، إذ يفهم من الحديث الذي رواه هيكمل - أنه في الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٥٦ أي قبل العدوان الثلاثي بثلاثة أسابيع ، وقبل هزيمته

بأربعة أسابيع كان دلاس قد قرر ووثق أن القناة ستصبح ملكاً خالصاً لمصر وأنها تستطيع إتفاق دخولها على تمويل السد ، أو ما شامت من مشاريع ، وإن كان قد نصح بتمويل السد العالي . وكان فوزي وعبد الناصر يعرفان أن هذا هو اقتناع الأمريكيان . وهذه نقطة مهمة ستحتاجها في تفسير موقف الولايات المتحدة خلال معركة التأميم* . .

على أية حال . . واضح أن دلاس لم يكن ضد بناء السد ، ولا كانت هناك مؤامرة أمريكية لمنع بنائه « لما يحققه من طفرة في اقتصاد مصر ويوفر لها من أمن غذائي . . الخ » بل إن سحب التمويل كان في حدود الأسباب المعروفة لعوامل داخلية في أمريكا . موقف الكونجرس المتأثر بلوبي القطن ولوبي إسرائيل ، وكراهية مساهمة بريطانيا فيه . ولعوامل أخرى غير معروفة هي التي تدور حول قول الأمريكيين إن المشروع سيثير كراهية المصريين لمن يبنيه ، وهي كما قلنا نقطة غامضة حتى الآن . وربما أوردتها « هيكمل » خصيصاً لتبرئة الأمريكيان من آثار السد العالي فعندما تعالت الهجمات ، بعد موت سليمان وفتح القمم ، حول أضرار السد العالي . دافع الثورطون في المشروع بأن صلاحية المشروع لم يقرها الروس وحدهم بل الفينيون المصريون والدول الغربية . . وقد أقسم « حسن إبراهيم » عضو مجلس الثورة لأحد حروش أنه يوجد نموذج كامل للسد العالي في قرية جرينوبل بفرنسا تم بناؤه عندما تعاونت مصر في مجال البحث مع إحدى الشركات الفرنسية . . واعتبر مدير الفرقة القومية للمسرح ، وكذلك حسن إبراهيم أن ذلك « دليل على سلامة المشروع » . ولا شك أن كل شركة عالمية يطلب منها دراسة مشروع في حجم السد العالي ، تكون الخطوة الأولى هي عمل نموذج له ، تستعين به في الدراسة والوصول إلى قرار حول فوائد وأضرار وصلاحية المشروع ، فالنموذج في حد ذاته ليس دليلاً ولا شهادة ، وإنما المهم هو التقرير . . ماذا قالت الشركة ؟ هذا ما لم يهتم عضو مجلس الثورة ، ولا مؤرخ ما بعد الثورة بالحديث عنه ، أو حتى التعرف عليه !

وكذلك الاستشهاد برغبة أمريكا وبريطانيا في تمويله ، على صلاحية ، لا يقدم دليلاً مقنعاً ، لأن سحب التمويل كما قلنا تقرر بعد أسابيع قليلة من القرار وحتى إذا أخذنا التواريخ المعلنة فهي من نوفمبر ١٩٥٥ إلى يوليو ١٩٥٦ . . فهل شهدت هذه الفترة أية دراسات أمريكية على الطبيعة حتى يقال إنهم وافقوا على المشروع فنياً ورفضوه سياسياً ؟ ! هل كان دلاس يعرف نظام الدورة الفيضانية الرائعة التي كانت السبب في ظهور مصر وتميزها عن الواحات . . فمصر لم تصبح مصر بمجرد توافر الماء ، بل بنظام الفيضان الذي كان يغسل أرضها مرة كل ستة فيحمل الأملاح إلى البحر ثم يعوض النقص في التربة بإلقاء طبقة جديدة

* وهذه أيضاً تثبت نفاذ الوثيقة المزعومة التي يدّعي بها هيكمل بأن مشولاً أمريكياً قال لأحمد حسين إنه « بعد أسبوع لن تكون هناك مصر ! » « خست وخشيء من قائلها . . وهما هو أكبر مشول في أمريكا بعد رئيسها يخطط لمستقبل زاهر لمصر من دخل القناة !

من الطمي والمعادن المفيدة للأرض كل عام ، أي ملايين الأطنان من المخصبات الطبيعية ، والظمي بلا تكلفة وفي أنقن عملية رش . . . بل اكتشفنا اليوم أن الفيضان كان يغرق جحور الفئران ويقتل منها العدد الذي يبقياها في إطار التوازن الطبيعي ، فلما منعنا الفيضان وخرجت الصحف تبشرنا بعنوان لا ينسى وهو : « هذا العام : هو آخر فيضان للنيل » !
انتصرنا على النيل ، وثمت الفئران وتكاثر ، حتى أكلت ما زرعه الفلاح بجاء السد وما قبل السد ! . . .

هل قامت مؤسسات أمريكية وبريطانية بهذه الدراسات ، وقدمت التقارير التي تؤكد أنه لا خطورة من احتفاظ مصر ببحيرة معلقة فوق رأسها إذا ما ضرب السد أو سقط بفعل زلزال ، وهو الذي كما قيل يمكن أن يغرق مصر إلى القاهرة ، وبارتفاع الدور الرابع ! . . . وهل قالت هذه التقارير إن فوائد السد ترجح أضراره . . . حتى نقول اليوم إن العالم كله وافق على بناء السد ، فإذا ثبت ضرره فالعالم هو المسئول ، ونحن لا ذنب لنا !^{١٩}

بناء السد العالي ، بصرف النظر عن أية نتائج ، يجب أن تحدد طبيعته ، فهو قرار سياسي من شخص غير ذي دراية فنية ، لم يقرأ كتاباً في حياته بعد الثانوية العامة إلا ما يكفي للخروج من كلية الطيران ، وليس فيما عرفناه عنه ما يعطي ملامح مثقف ، ولا علامة محضر .
والروايات الناصرية مجمعة على اتهامه باختلال عقلي ، استوحى الفكرة من يوناني وصف السادات له^{٢٠} يوحى بخيله هو أيضاً^{٢١} ، وقد رفض « المهندسون » قبل الثورة الاهتمام بفكرته ، إلى أن اصطاد لها مجنون مجلس الثورة جمال سالم « ففتنه المشروع وبناءه حتى أن أحداً من أعضاء مجلس قيادة الثورة لم يبدل جهداً لمعرفة تفاصيل المشروع »^{٢٢} !! وهذه شهادة متحمس للسد !!

تبناها جمال سالم ، وطرحها مجلس الثورة في سوق الشعارات المصرية ، مثل مديرية التحرير والوادي الجديد ، واستخدمته الدول الحاطية لحد مصر مثل قول دلاس :
« سنعطىكم السد من أجل الحياة » إلى أن سقط في حجر الروس .

كان المفروض أن يطرح المشروع للمناقشة الفنية في أوساط المهندسين^{٢٣} والجيولوجيين والزراعيين وخبراء الثروة البحرية ، والأمراض المستوطنة ، ومجلس الأمن القومي . . . حول مكاسب ومخاطر المشروع من إمكانات الزلازل واحتمالات ضربه من العدو إلى مستقبل الكائنات البحرية والنهر عند المصب . . . ثم يطلب رأي المؤسسات العالمية الخيرة . . . ثم يطرح التقرير النهائي للمشروع أمام اللجنة العليا « الفنية » لا السياسية . . . لتقرر قبول المشروع أو رفضه أو تعديله فليس هذا من اختصاص مجلس الثورة ولا من أعمال السيادة ، مجرد خزان على النيل* . . . ثم يعرض الأمر على البرلمان للمناقشة فهناك خبراء غير ممثلين في

* في وثائق الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة عرضت على الملك فاروق بناء خزان في أسوان إذا منع مصر من دخول حرب فلسطين الأولى ورفض الملك .

الأجهزة الحكومية والمناقشة العامة المفتوحة تتيح الفرصة لشئى الاجتهادات والتنبيه إلى ما يفوت الخبير الفني . .

ولكن ذلك كله كان مستحيلاً لأن المشروع أصبح جزءاً من قدسية الثورة ، يحيط به إرهابها ورهبتها . . وارتفاعها فوق مستوى النقد والمناقشة ، وكل نقد له خيانة وعيالة للاستعمار تؤدي إلى إسقاط الجنسية . . !؟ وحتى الآن ، فإن الحديث عن الزلزال الذي هز أسوان ، يفسر على الفور بأنه « مؤامرة للنيل من ذكرى الزعيم الخالد » ، والتقليل من المساعدة الأخوية للاتحاد السوفيتي زعيم المعسكر الاشتراكي . . الخ . .

حتى الروس لهم عذرتهم ، فقد انساقوا إلى الخس التي انتابت الدولة المصرية ، وهي تغني « حنني السد » . والروس يسمون الآن أنهم نهبوا للأخطار المحتملة ، ولكن لا أحد سمع لهم . فقد عولج الأمر بالأسلوب « الثوري » الذي يتم أولاً وأخيراً بالكسب السياسي العاجل ، ولا يفكر أبعد من عمر الحاكم .

من الثابت إذاً ، أن كل الأطراف عاجلت موضوع السد سياسياً . . الغرب أراد أن يرد على صفقة السلاح* ، وربطه بالصلح مع إسرائيل . . وكجزء من برنامج عام للمنطقة ، والاتحاد السوفيتي تبناء تحت إلحاح مصر تكاية في الدول الغربية وكسباً لشعبية في مصر والمنطقة . والثورة أساساً أطلقت الشعار وتورطت فيه ، للتغطية على السليبيات في الحريات ، أو كما قال عبد الناصر : « حاجات بيضاء . . وحاجات سوداء » .

وفي مثل هذا الجو . . يتعذر بحث الجوانب الفنية . . وهي الأساس في الخزانات . . لا الشعارات !

والآن وقد تبين أن السد العالي فشل حتى في أن يكون خزاناً للمياه ، وهي المهمة الوحيدة التي تشبوا بها في مواجهة كل الأضرار الفادحة التي أنزلها بمصر . . أعني ادعاءهم أنه يحمي مصر من خطر الجفاف على مستوى القرن ، تبين أنه لا يكفي لمواجهة الحد الأدنى من الجفاف ، المعروف من أيام سيدنا يوسف وهو سبع سنوات ، فما قيمته ، ولماذا بددنا كل هذه الأموال عليه ، وضحينا بالطمي والسردين والمنشآت على النيل وشواطئه الدلتا وورد النيل والفران . . والكمية الهائلة التي تفقدها بحيرة ناصر بالبحر وبلاد النوبة . . الخ . . !

ما قيمته إذا كنا مهددين بالعطش والبوار وجفاف النيل حتى لا تستطيع السفن أن تسبح فيه ! . .

إنهم يتنبأون بحرب ضارية في الشرق الأوسط حول الماء ، وقتها سيتذكر الشرفاء ، كيف مزق ناصر وصحبه وحلة وادي النيل ، وتحيلوا إلى أن حكومة واحدة كانت مسئولة عن مصر

* هذا وقد وردت أول إشارة عن السد في الوثائق الأمريكية في رسالة للسفير الأمريكي بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٥٢ . ولكن فكرة خزان في أسوان أو توسيع طاقة خزان أسوان الأول وردت كما أشرنا في عام ١٩٤٨ كجزء من صفقة لمنع حرب فلسطين الأولى .

والسودان منذ عام ١٩٥٤ . . كم من سدود ، كم من مشاريع ، كم من مياه كنا نستفد ونوفر
ونذخر للسنوات العصفية ، وللوطن الكبير والشعب في مصر والسودان ، بل هل كنا نستبعد
أن نتحد أو حتى نشترك كل الدول المرتبطة بنهر النيل في تلك المشاريع التي تنفذها دولة وادي
النيل الكبرى ؟ ولكن الذين مزقوا الوطن الواحد وفصلوا بذلك بين النيل ومنابعه ، حاولوا
ستر هذه الجريمة بالضجة حول السد العالي وهاتحن نشين أننا به أسوأ حالا على الأقل في
الكهرباء ، فلو أننا أقمنا بدلاً منه عدة قناطر وسدود صغيرة ، لما ارتبط انتاجنا الكهربائي
بمصدر واحد غير ثابت هو مستوى الماء في بحيرة فاشل . . أو ناهر .
ولكن متى كان هؤلاء يهتمون بمصر أو يتحرون الصدق في سبيلها .

المراجع

- ١ - لعبة الأمم ص ١٨٧ والأخرى أن يسميه خيبة الأمم .
- ٢ - انظر فصل في البدء جاء الأمريكان .
- ٣ - عبد اللطيف بغدادى : جزء أول ص ٢٢٢ .
- ٤ - حروش عن جان لاكوتير ص ٤٣ .
- ٥ - انظر حروش في مجتمع عبد الناصر ص ١٦٤ - ١٦٥ .
- ٦ - لعبة الأمم ص ١٨٧ .
- ٧ - ص ٩٨ هيكمل : قصة السويس .
- ٨ - تقرير السياسة الخارجية المنشور عام ١٩٨٢ .
- ٩ - سلوين لويد ص ٧٠٨ .
- ١٠ - سلوين لويد ص ١١ .
- ١١ - ص ٢٦ سلوين لويد .
- ١٢ - لعبة الأمم ص ٨ .
- ١٣ - ن . م . وهو يقصد طيما معركة إلغاء المعاهدة التي شنها الوفد .
- ١٤ - حبال الرمال ص ١٠٩ .
- ١٥ - لعبة الأمم ص ٢١١ .
- ١٦ - ص ١٣٢ / ١٣٣ لعبة الأمم .
- ١٧ - ص ١٤١ لعبة الأمم .
- ١٨ - انظر فصل في البدء جاء الأمريكان .
- ١٩ - انظر ص ٢١٠ من لعبة الأمم .
- ٢٠ - دلاس والسويس تأليف : هيرمان فيتر .
- ٢١ - حبال الرمال ص ١٥٨ .
- ٢٢ - ن . م .
- ٢٣ - يوميات جيتكيل .

- ٢٤ - سلوين لويد ص ٣٦ .
- ٢٥ - سلوين لويد : السويس ١٩٥٦ ص ٤١ - ٤٢ .
- ٢٦ - ن . م ٥٨ .
- ٢٧ - ن . م ٦١ .
- ٢٨ - مجتمع عبد الناصر الجديد ص ٤١ .
- ٢٩ - ص ١٥٩ لعبة الأمم .
- ٣٠ - لعبة الأمم ص ٢١٦ .
- ٣١ - حروش : مجتمع عبد الناصر ص ٥١ .
- ٣٢ - حروش نقلاً عن مراد غالب سفير عبد الناصر في موسكو . .
- ٣٣ - حبال الرمال .
- ٣٤ - عبد اللطيف بغدادى : المذكرات ص ٢٠٨ الجزء الأول . . ويشفع للبغدادى أخطاؤه الانجليزية ما تمكنه من صدق وأنه سجلها كما سمعها وقتها من عبد الناصر وبالإنجليزية . وقتها .
- ٣٥ - حروش : مجتمع عبد الناصر .
- ٣٦ - ص ١٥١ حبال الرمال .
- ٣٧ - سلوين لويد : السويس ١٩٥٦ ص ٢٩ .
- ٣٨ - حبال الرمال ص ١٥٧ .
- ٣٩ - ن . م ص ١٥٨ ولانس أن هذا هو الذي تقى دور المخابرات في قيام الثورة !!
- ٤٠ - ن . م ص ١٥٩ .
- ٤١ - سلوين لويد : السويس .
- ٤٢ - حبال الرمال .
- ٤٣ - رسالة منسوبة لمحمود فوزي إلى الرئيس عن هيكمل - قصة السويس ص ١٨٢ / ١٨٣ .
- ٤٤ - مذكرات هيو جيتسكيل إعداد فليب وليامز - نشرتها مجلة المجلة .
- ٤٥ - اسمه « اديان دانيوس » .
- ٤٦ - حروش .

الملاحق

م^١ - وقد سجلنا والله من كثرة المن على القراء يسبق تفسيرنا للواقعة ، ثم نؤكد صحة التفسير بالوثائق التي تظهر فيما بعد . . وليس في الأمر عبقريّة ، وإنما نظرية صحيحة تفسر الظواهر ، ونأتي المستندات والوثائق فنؤكد صحة التحليل أو التفسير وبالتالي صحة النظرية .

وقد قلنا منذ سنوات إن الولايات المتحدة هي التي نسفت حلف بغداد ، ولم يكن عبد الناصر إلا أداة المُنَفَّذة . . . وقد عارضت أمريكا الحلف حماية لإسرائيل ورفضاً للغزو البريطاني .
وهاهي مجموعة وثائق بفرج عنها لأول مرة ، ووصلت إلينا « بطريقة أو أخرى » المهم أنها وصلت * () ونشر صورهما في قسم الملاحق ونأمل أن يعكف باحث شاب على استكمال وقائع هذه القضية وملاساتها) .

هذه الوثائق الأمريكية تكشف سر اتفاقية « سمرسك » بين نوري السعيد وصلاح سالم ، وسر سقوط صلاح سالم أو أحد أسرار سقوطه ، كما تكشف بوضوح وجلاء أن قرار إعدام حلف بغداد صدر أول ما صدر من وزير الخارجية الأمريكية بتاريخ ٢٣ أغسطس ١٩٥٤ وكان الجلاء الذي تولى التنفيذ هو جمال عبد الناصر ، . .

ففي ١٣ أغسطس ١٩٥٤ وصل صلاح سالم إلى بغداد على رأس وفد مصري ضخم واجتمع مع نوري السعيد والوصي في « سمرسك » أو « سمرسك » . . وعرض عليه « نوري » السعيد ، العدول عن فكرة حلف تركيا - باكستان أو الحزام الشمالي كما كان يسمى واقترح توسيع اتفاق الأمن الجماعي بين الدول العربية ليشمل تركيا وبريطانيا وباكستان والولايات المتحدة . . وصرح نوري باشا للسفير الأمريكي « أنه اندمست من ترحيب المصريين بهذا الاقتراح » . (رسالة القائم بالأعمال الأمريكي في بغداد إلى وزارة الخارجية ٢٢ أغسطس ١٩٥٤) .

وقال نوري السعيد للقائم بالأعمال الأمريكي في بغداد « إن صلاح سالم يبلغ ذلك الموقف للسفيرين كافر (الأمريكي) وستيفسون (البريطاني) . وطلب نوري السعيد رأي الولايات المتحدة في هذا التطور ، مما يؤكد أنه لم يكن اقتراحاً أمريكياً ، ولا حتى يعلم الولايات المتحدة . وموافقة صلاح سالم تجعل من الصعب إن لم نقل من المستحيل ، افتراض وجود موقف واضح محدد داخل القيادة المصرية ضد الأحلاف مع الدول الغربية وخاصة بريطانيا وأمريكا . . فقد عارض صلاح سالم اشتراك باكستان ، كما عارض إشراك فرنسا ، وقبل انضمام أمريكا وبريطانيا . . وليس دخول حلف موسع إلى هذا الحد بالقضية التي يأخذ فيها صلاح سالم موقفاً متقدماً . . أو التي يجهل أهميتها .

وقد أبلغ نوري السعيد ، السفارة الأمريكية في بغداد ، « أنه إلى أن تصل موافقة الولايات المتحدة وبريطانيا فلن تأخذ العراق أو مصر أي موقف أو تحاول الاتصال بأي بلد عربي آخر . . »
« وستجتمع العراق ومصر في القاهرة في ١٥ سبتمبر (١٩٥٤) لدراسة رد الولايات المتحدة وبريطانيا » .

وقال نوري السعيد للأمريكان . . إنه « يعتقد أن بريطانيا متوافقة على الانضمام للحلف الجديد ، لأنه سيمكنها من استعادة نفوذها في العالم العربي ودول الخليج » .
وتحس القائم بالأعمال الأمريكي في بغداد وكتب لوزارة الخارجية الأمريكية بشي على المشروع ، ولكنه في نفس الوقت كان يعرف حقيقة مشاعر حكومته فوضع تحفظاً قال فيه :

• اشتريناها بعشرة دولارات من ع المصيف في واشنطن !

« إن الرفض الفوري من جانب الولايات المتحدة قد بسبب استياء شديداً ، خاصة لو فكرت بريطانيا في الانضمام » . (رسالة رقم ٢٢٤ - ٢٣ / ٨ / ١٩٥٤) .
ولكن وزارة الخارجية لم يكن لديها وقت للمجاملات في مثل هذه القضية الخطيرة ، إذ سرعان ما جاء رد وزير الخارجية جون فوستر دلاس في نفس اليوم حامساً ياتراً بالرفض . . .
« . . . والآن يأتي هذا الاقتراح بانضمام مصر لتقوية اتفاقية الأمن العربي الجماعي . . بصراحة أنا لا أحب ذلك وأعتقد أنها تتعارض مع اتفاقية الأمن المتبادل مع العراق مما قد يدفعنا إلى إعادة النظر في معونتنا العسكرية للعراق . . . الخ » .
(رسالة دلاس إلى بايروود ٢٣ أغسطس ١٩٥٤)

وتحركت الأجهزة .

وفي رسالة وكيل الخارجية الأمريكية لسفارتهم في القاهرة ، كان واضحاً أن المعارضة تتبع من الخوف على أمن إسرائيل . أما ما لم يذكر صراحة ، فهو أيضاً ، الخوف من ذات السبب الذي يبرر به نوري السعيد المشروع ، وأعني استعادة بريطانيا لتفوذها . .

المهم انقلب موقف القاهرة رأساً على عقب . .

السفارة الأمريكية في القاهرة ، تطوعت بإعلان أن صلاح سالم لم يكن مخولاً بصلاحيات ربط الحكومة المصرية بأي شيء وأن « ناصر » لم يكن مستعداً للمضي مع العراق في التعاون مع الغرب إلى الحد الذي يبدو أن صلاح سالم أوحى باستعداد مصر لقبوله .

(برقية السفارة الأمريكية بالقاهرة رقم ٢٦٠ بتاريخ ٢٧ أغسطس)

أعلنت بريطانيا ترحيبها بالاتفاق المصري - العراقي ، وصرح متحدث بريطاني أنه بعد الاتفاق على الجلاء من السويس فإن بريطانيا أصبحت أكثر تفاناً بالاعتماد على الجامعة العربية وأقل حماسة لمشاريع الحزام الشمالي . .

وفي ٣١ أغسطس ١٩٥٤ . كتب وزير الخارجية دلاس إلى سفارته في العراق « نظراً لرفض الحكومة المصرية مقترحات نوري السعيد - صلاح سالم ، التي ما كانت لتقبلها الحكومة الأمريكية فيما يتعلق بتعديل اتفاقية الأمن العربي الجماعي . نرجو إبلاغ نوري السعيد أن يركز على الحلف التركي - الباكستاني الذي تعتقد أنه القاعدة الوحيدة العملية والفعالة للدفاع عن الشرق الأدنى ، آكو . . أوامر !

أمر صدر . . أمر ينفذ . .

أما نوري السعيد فقد كان تحت حماية المصفحات البريطانية فلم تصل إليه يد « العدالة » الأمريكية . . وقتها على الأقل . .

وبقي المسكين صلاح سالم الذي هو في القبضة مأسور . .
 واجتمع مجلس الوزراء المصري يوم ٨ سبتمبر (١٩٥٤) وقرر إعطاء صلاح سالم أجازة شهراً
 بدون إبداء الأسباب ولكن السفارة الأمريكية قالت في تعليقها : « إن هذا الإجراء يعلن بوضوح
 أن سالم قد تجاوز سلطاته في محادثات سرستك ، ونعتقد أن القرار يهدف إلى إبلاغ نوري السعيد أن
 الحكومة المصرية لا ترى نفسها ملتزمة بأي قرار اتخذ صلاح سالم » .

برقية السفارة الأمريكية

من القاهرة ٧٨٠ / ٥ / ٩ / ١٩٥٤

وفي ٨ سبتمبر ١٩٥٤ كتب السفير الأمريكي كافردي إلى حكومته ، أن السفير العراقي في القاهرة
 أبلغه نقلاً عن صلاح سالم أن عبد الناصر أبلغ (صلاح) مرتين أنه علم من « مصادر أمريكية يعول
 عليها » أن الولايات المتحدة تخلفت عن فكرة ضم العرب للحلف التركي - الباكستاني . وأضاف
 السفير أن مصادر مصرية قريبة من ناصر أكدت رواية « الراوي »

(السفير العراقي نجيب الراوي)

(رسالة السفير رقم ٢٢٨)

والظاهر أن ناصر استمر يدهش زواره بهذه المعلومات المثيرة التي نقلتها له « مصادر أمريكية
 موثوقة » عن معارضة أمريكا في السر للحلف الذي تؤيده - إلى حد ما - في العلن ، وتسربت بل
 ذاعت « الأنباء المثيرة » الأمر الذي جعل وزير الخارجية يكتب مهنئاً للسفير الأمريكي في القاهرة
 لكي يلم عبد الناصر لسانه . .

« إن الوزارة تلاحظ بانزعاج أن عبد الناصر في مرتين (في حدود معلوماتنا) خلال لقائه مع قادة
 عرب تصرف على أساس أن الولايات المتحدة قد تخلفت عن فكرة ضم العرب للحلف التركي -
 الباكستاني وأنها تؤيد مبادرة ذاتية عربية بدون اشتراك الغرب »

رسالة وزير الخارجية الأمريكية

للسفارة الأمريكية ٣١ / ١٢ / ١٩٥٤

عبد الناصر كان يعلم وأمريكا تعلم أنه يعلم . . واحسرتاه على ما تبذل في معركة حلف بغداد !

C 4 07 14 024 Telegram

*The Charge in Iraq (Ireland) to the Department of State*¹

SECRET

BAGHDAD, August 22, 1954—10 a. m.

106. Conversations with Prime Minister Nuri and members of his government indicate that Nuri and Iraqi Government following Iraqi-Egyptian conversations and agreements are moving away from Turk-Pakistan pact and multilateral arrangements involving Pakistan, Great Britain (Embtel 86, August 17, 1954)² toward plan invoking Arab Collective Security Pact modified in accordance with Article 51 of the UN charter and expanded to permit membership to non-Arab states. This proposal, given in more detail below, is to be placed before UK and US for their consideration and comments before action by Iraq and Egypt.

As background, Nuri said Egyptians at Sersank had indicated that with signature of Anglo-Egyptian agreement,³ their hostile attitude toward Iraq and to cooperation of Arab states with west had altered. They now saw merit in cooperation with west and were even ready to work toward it.

Egyptians at Sersank opposed Turk-Pakistan pact as well as multilateral arrangements with Pakistan which Nuri admitted he had in mind (refell). They argued in particular that Pakistan was neither militarily nor geographically analogous any Arab state. When Egyptians asked for alternative proposal as basis for Arab cooperation with west, Nuri said he had brought forward Arab collective security pact, to be suitably modified to meet spirit of Article 51 of UN charter and to permit membership of non-Arab states as Turkey, Great Britain, Iran and Pakistan and even United States. He said he had been surprised at welcome given his proposal by Egyptians.

¹ Repeated to Cairo, Ankara, Karachi, London, Amman, Beirut, Damascus, Jeddah, Jerusalem, Tehran, and Tripoli. Transmitted in two parts.

² Telegram 68 from Baghdad, Aug. 9, reported the Egyptian Minister of National Guidance, Maj. Saleh Salem, was expected to arrive in Baghdad on Aug. 13 with a party of about 30. They planned to visit the King and Crown Prince at Sersank for a few days and then go to Baghdad (674.87/8-954).

Telegram 86 reported that Nuri intended to review Iraq's foreign policy, not just "Arab policy" with Salem. He intended to propose alteration of the Arab League Collective Security Pact to permit the inclusion of Pakistan, Great Britain, and the United States. If Egypt refused to accept that, Nuri would counter with a proposal that would leave Iraq free to set up a regional defense plan, initially with Pakistan, but later to be expanded to include the Arab States, the United Kingdom, and possibly the United States (674.87/8-1754).

³ Regarding the Heads of Agreement between Egypt and the United Kingdom, signed on July 27, 1954, see Document 1348.

الوثيقة رقم ٢٢٣

أول تبليغ من السفارة الأمريكية في بغداد لوائسطن من اتفاق الولد المصري مع نوري السعيد
على حلف بغداد .

No. 224

67150-224 Telegram

*The Charge in Iraq (Ireland) to the Department of State*¹

SECRET

BAGHDAD, August 23, 1954—4 p. m.

110. Embassy aware that Iraqi-Egyptian proposals regional defense scheme (Embassy's 105, August 22)² lack essential details, propose undertakings without indicating how they may be implemented, and give no indication exact degree of agreement between Iraq and Egypt re their firm intentions. Proposals are also disappointing in light of Nuri's previous forthright support for Turkish-Pakistani pact (Embassy's 590, April 5).³ Nevertheless, proposals have merit of committing Egypt to cooperation with West, of being plan indigenously initiated by countries in area, and of opening prospect accomplishing our policy objectives in this area along lines discussed in NIE 30-54.⁴

Department will, therefore, doubtless wish to give its careful consideration to proposals for these and for additional reasons below:

1. Plan possesses valuable psychological advantages in Arab States because of its indigenous origin.

2. Egypt and Iraq have taken US and UK into their confidence from the beginning. Outright rejection by US could cause high resentment, particularly should UK consider participation.

3. Nuri genuinely wants our ideas on modifications text ACSP. Opportunity thus given US to shape pact and to prevent it at least from having unacceptable features whether or not we adhere. Moreover, Iraqi and Egyptian reaction to our specific suggestions should provide measure of their real willingness to work toward effective regional defense organization.

4. Our presence as member or associate in new grouping would enable us, in company with other non-Arab participants, to restrain and guide Arabs re Israel more effectively than heretofore and should thereby allay fears of Israel.

5. If new pact really provides basis for peace with Israel, attention whole area could then be turned toward Soviet threat. Although Iraqi-Egyptian conditions re peace with Israel as given by Nuri still represent obstacle, acknowledgement of necessity for peace with Israel deserves recognition and encouragement.

6. Turkish-Pakistani pact will continue to exist. If new scheme bogs down after reasonable period of time we would still be in strong position to argue forcefully that, in view unsuccessful Egyptian and Iraqi efforts to create regional defense group including

¹ Repeated to Cairo, Ankara, Karachi, London, Amman, Beirut, Damascus, Jidda, Jerusalem, Tehran, Tripoli, and Tel Aviv.

² *Supra*.

³ Document 202.

⁴ Document 209.

الوثيقة رقم ٢٢٤

السفارة الأمريكية تتصح بأن الرافض القوي خلف بغداد قد يبر حساسة وعامة إننا نورت
بريطانيا الانضمام.

Arab as well as upper tier states, adherence to Turkish-Pakistani pact is only realistic solution to ME regional defense problems.

IRELAND

No. 225

104-2040204

Memorandum by the Secretary of State to the Assistant Secretary of State for Near Eastern, South Asian, and African Affairs (Byroad)

SECRET

WASHINGTON, August 23, 1954

I am greatly disturbed over the report that Iraq is planning a security pact with Egypt and is moving away from the idea of joining up with Turkey and Pakistan.

We bought the idea of military aid to Iraq on the theory that it was going to tie up with the northern tier countries and not merely build up the Arab League as against Israel.

When the Iraqi Prime Minister was here, he told me of the projected union with Syria and Lebanon, and I told him that because this would bring their influence to the Israel border, I thought it should be preceded by their moving along with Turkey and Pakistan. I understood him to indicate that he would do so. Now this proposal of joining with Egypt to strengthen the Arab Collective Security Pact comes up. I frankly do not like it and I believe it might cause us to invoke the Iraq Mutual Security Agreement provision that we may review our military aid in the light of the international situation at the time.

JOHN FOSTER DULLES

No. 226

104-2040204 Telegram

The Acting Secretary of State to the Embassy in Egypt¹

SECRET

WASHINGTON, August 27, 1954—11:14 a. m.

330. We wish explore cautiously all aspects Iraq Egyptian suggestions for area defense arrangements based on revised Arab Collective Security Pact with western adherence (Baghdad's 104 and fol-

¹ Drafted by Burdett and cleared by NE and NEA. Repeated as telegram 108 to Baghdad, 1106 to London, 207 to Ankara, and 261 to Karachi.

الوثيقة رقم ٢٢٥

رئيس صريح ولطيف خلف بغداد من جون فوستر دالاس . . . لنا بصراحة لا سيما، ونشيد
بقطع الثورة العسكرية من العراق.

lowing:² Adoption proposal would involve abandonment our present policy of basing area defense on northern tier concept and Turk-Pakistan pact. We need particularly precise information re manner and timing association western powers and Turkey and Pakistan and nature any moves contemplated on Israel issue. Our attitude necessarily will depend largely on whether Arabs prepared reverse previous anti-Israel orientation Arab League and we therefore especially interested Nuri statement one function new pact would be prepare for peace with Israel. Does Egypt understand arrangements in same manner as Nuri and is she willing proceed at this time?³

When approached by Egyptians (Baghdad's 105)⁴ Embassy Cairo should endeavor obtain details but refrain from indicating US attitude.⁵

Embassy London requested query Foreign Office.⁶

SMITH

² Dated Aug. 31, not printed. It concerned a conversation with Nuri Said on the Iraqi-Egyptian talks. (674.87/8-2154)

³ Telegram 107 from Baghdad, Aug. 23, reported Salem said time would be needed to erase Egyptian suspicions of Great Britain, while Nuri Said claimed he expected Great Britain and the United States to be associated with the pact from the beginning. (674.87/8-2354) Telegram 244 from Cairo, Aug. 23, suggested differences existed between the Egyptian and Iraqi interpretations on the nature and extent of agreement reached, and had suggested caution until the situation was clarified. (674.87/8-2354)

⁴ Document 223

⁵ Telegram 260 from Cairo, Aug. 27, reported that Salem and Nuri Said did interpret the Sersunk conversations differently. Salem had not been authorized to commit the Government of Egypt to anything, and Nasser was not prepared to go along with Iraq in cooperating with the West to the extent that Salem had apparently indicated that Egypt might. (674.87/8-2754)

⁶ Telegram 1113 from London, Sept. 1, reported some confusion about what had happened at Sersunk. On the basis of available information, the Foreign Office was inclined to welcome the Iraqi-Egyptian proposals on the grounds that a lessening of tension between Iraq and Egypt was a good sign. They considered it encouraging that non-Westerners were suggesting a regional organization that would invite Western participation. A British official commented that the Suez settlement had made Great Britain more optimistic about building on the Arab League and less favorable to the northern tier concept, although it did not necessarily consider the two inconsistent. (740.5/9-154)

الوثيقة رقم ٢٢٦

بافانئ : توضيح من السفارة الأمريكية بالقاهرة بأن صلاح سالم لم يكن عمومًا بالتوافق مع حلف بغداد. وتصريح لشورل بيرغتون بأن بريطانيا بعد اتفاقية الجلاء أكثر تفوقًا بالتعاون مع الجامعة العربية وتخلت من فكرة الحزام الشمالي.

it was premature to approach US and UK before Egypt and Iraq had reached full agreement between themselves and had consulted other Arab states on plans for revision ALCSP.

He said Salah Salim had pointed out that Iraq desires early action to strengthen its Northern defenses and that Sarsank proposals would have advantage (a) of providing substitute for present Anglo-Iraqian treaty and (b) avoiding involvement in Turkey-Pakistan pact.

Ambassador said Nasir twice told Salah Salim he had been informed by "reliable American source" that US had given up idea of Arab adherence to Turkey-Pakistan pact. After some inconclusive discussion, Nasir said Egyptians would have to discuss matter further among themselves and would get in touch with Iraqi Ambassador again soon.

We of course, assured Ambassador that Nasir had not had his information from us and made it clear there has been no change in US thinking re Turkey-Pakistan pact.

Egyptian source close to Nasir confirms substance of Al Rawi's account. Source states however that Salah Salim walked in on meeting unexpectedly with result that full extent his commitments at Sarsank finally revealed to Nasir, who terminated meeting in order permit GOE get its lines straight.

CAFFERY

regional security plans, but had asked the Iraqi Ambassador in Cairo to see the Egyptians and review the situation. (780.579-754)

No. 329

(780.579-754) Telegram

*The Ambassador in Egypt (Caffery) to the Department of State*¹

SECRET

CAIRO, September 16, 1954—3 p. m.

358. Iraqi Prime Minister told me this evening that during conversations with Egyptians yesterday and today, their attitude has been that they do not disavow the Sarsank conversations² but that due to present attitudes on part of Communists and Moslem Brother-

¹ Repeated to London, Baghdad, and the Arab capitals.

² Telegram 319 from Cairo, Sept. 8, reported the Egyptian Cabinet the previous evening had granted Maj. Salah Salem a month's leave. No public explanation was given, but the Embassy considered the move a clear way of facing the fact that Salem had exceeded his authority in the Sarsank talks. It suggested the action was a way of putting Nuri Said on notice that the Egyptian Government did not consider itself bound by any commitments made by Salem. (780.579-754)

الوليقة رقم ٢٢٨

السفير العراقي يشكو للسفير الأمريكي من تكرار عبد الناصر القول بأن الأمريكان أبلغيه
ولهم حلف بغداد. ول أنفاش مايقيد إيمنه صلاح سالم من وقافته.

م^١ - طويلة جداً فقد استغرق بحث موضوع واحه البوريمي يومين كاملين من اجتماعات القمة الأنجلو - أمريكية بينما خصص للنزاع العربي الإسرائيلي نصف يوم ! (جبال الرمال ص ١٥٨) ولما انتهزت بريطانيا حالة اللخبطة التي أثارها صفقة السلاح المصرية مع روسيا ، وقامت باحتلال « البوريمي » و « نزوى » حاولت أمريكا الاحتجاج فانهمم شوكرج هذا بأنهم « يرقصون على طبول موسكو ويتجافون لمبادي العدالة ! »

م^٢ - لقد استطاع الإعلام المصري - السعودي أن يجعل من حلف بغداد « الخطيئة الأولى » والجريمة التي لا تغفر من الناحية المبدئية ، وقد استخدم هذا الشعور بالإثم ضد ما أسموه « الحلف الإسلامي » والذي كان هيكمل هو أول من زرع فكرته في رأس عبد الناصر . . وما نود قوله هنا أن موقف مصر من الأحلاف لم يكن بهذه الطهارة ، فاتفاقية الجلاء في الحقيقة جعلت مصر حليفاً أساسياً لبريطانيا وتركيا ، وليس في شروط حلف بغداد أكثر من الشروط التي ربطت مصر في اتفاقية الجلاء إلا إضافة العراق ، أقصد إن بريطانيا لما حق احتلال مصر إذا وقع عدوان على تركيا أو على بريطانيا . . فهل الخطيئة والعيب في انضمام العراق لهذا البند ١٩ . .

وإنما عارضت مصر كما قلنا انطلاقاً من سياستها التقليدية في رفض المزيد من العلاقة مع بريطانيا ، والمنافسة التقليدية بين القاهرة وبغداد ، كما زرعها المفهوم الاستعماري ، والتي لا مبرر لها ، والتي جعلت مصر كما أشرنا تنصدي لنفس الفكرة قبل ظهور عبد الناصر بأكثر من سنة . . ولأن ذلك كان متطابقاً مع الخط الأمريكي . أما حكاية الحلف الإسلامي فقد زعم هيكمل أنه اجتمع مع الجنرال اولستيد رئيس برامج المساعدة الأمريكية العسكرية في البتاجون الذي اقترح على محمد حسين هيكمل الموظف في دار أخبار اليوم وفي نوفمبر ١٩٥٣ عمل « حلف إسلامي » من تركيا وباكستان ومصر . . وقد يكون هذا دليلاً على أن « هيكمل » كان موضع ثقة كبيرة جداً لدى البتاجون الأمريكي لكي يطلعه الجنرال على هذا المخطط الذي لم يكشف عنه السار للملوك والباطرة إلا بعد ١٤ سنة ! وهو لم يكن وقتها أكثر من موظف في دار أخبار اليوم ، أو هذا هو الظاهر للمصريين . . غير أننا نضع تحفظاً واحداً وهو أن الأمريكي لا يمكن أن يتحدث عن « حلف إسلامي » يريدون تكويته . فالأمريكان لا يقيمون أحلافاً تحت أسماء دينية ! والحكومة الأمريكية لا تستطيع إقناع شعبها أو كونجرسها بدعم ، فضلاً عن اتخاذ مبادرة إنشاء « حلف إسلامي » والإسلام كان ولا يزال هو العدو الأول في الغرب ومحاربة الإسلام لا محالته هي التي تثير حماسة الأمريكيين . وجون فوستر دلاس يتحدث عن « حلم كل مسيحي » (انظر هيكمل قصة السويس ص ٧٣ !) . أعتقد الجزء الخاص بالحديث مع الجنرال مجرد فبركة ، أما واقعة تبليغ هيكمل لعبد الناصر بوجود مؤامرة « حلف إسلامي » فأعتقد أنها صحيحة ، ومن تدبير هيكمل أو جهة كان لديها مصلحة في زرع الشك في ذهن اليكباشي الشاب القادم من محيط الإخوان والذي كان يتحدث عن الدائرة الإسلامية ، ويؤدي القسم على المصحف أمام « شادي » ويزور قبر حسن البنا كل سنة ! . .

وما أكثر ما استكشف عنه الأيام عن هيكمل . وأخيراً فقد أشار كوبلاند إلى محاولة أمريكية لاستخدام أو خلق زعيم ديني مسلم ولكنها فشلت .

م^٢ - وبعد ثلاث سنوات من تقريرنا هذه الحقيقة بأن هيكمل بنص لدلاس يعلق فيه على هزيمة بريطانيا في بور سعيد : « إن بريطانيا انتهت في الشرق الأوسط ، وينهايتها فإن حلف بغداد سوف يصبح واحداً من مخلقات التاريخ » (٥٨٦ ع) . .
هل يعني هذا القول إلا أن الحلف كان بريطانيا ومات مع بريطانيا ، وأن ناصر وإعلامه كانوا يحاربون معركة أمريكا لإلغاء بريطانيا في الشرق الأوسط ! . .

م^٣ - ولعلها مناسبة للتعليق على ما أورده مفكر الناصرية عن السعودية : « لا لإثبات افترائه وتلونه بل لإلغاء الضوء على المعركة التي دبرتها المخابرات الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية لتمزيق التحالف المصري - السعودي ، الذي حقق نتائج باهرة في الفترة من ١٩٤٦ - ١٩٥٦ . وكيف كان للإعلام الناصري والعناصر الحربية هنا وهناك دورها في إحداث هذا التخريب (انظر كتابنا : قيام وسقوط امبراطورية النفط) ولعله من الأمور الجديرة بالتأمل الشديد ، أن « السعودية » كانت هي العدو الذي يشغل بال عبد الناصر عشية الغزو الإسرائيلي لمصر ، لدرجة أنه استدل على عمالة « علي أمين » من حضوره حفل أقامه السفير السعودي في لندن ! (ص ٢٩٩ بين الصحافة والسياسة : هيكمل) .

والسعودية كانت أول دولة أصدرت بياناً بالتأييد الكامل بلا تحفظ لتأميم قناة السويس ، وذلك بعد أن وقعت مع مصر في جميع معاركها من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦ . . ويحاول أن يغطي البطشة فيدل عليها عندما يقول : « إن الملك سعود رجل طيب وإن التعاون معه ممكن حتى في ظل العلاقة الخاصة بين السعودية والولايات المتحدة الأمريكية ، ولا يستحي من الاعتراف بأن « احتلال البورمي كان انتقاماً من تمويل السعودية للتحرك المصري في المنطقة العربية »^١
وإن كنا لا نأخذ بهذا التفسير السوقي فاحتلال بريطانيا للبورمي كان لأسباب أخرى أهمها حماية المبيعات النفطية وإبقائها بعيداً عن الاندماج في السعودية ، للاستفادة من كيانها الهزلي في سلب نفطها ودخلها وهو ما حدث .

ويعترف : « وانحصرت المعركة في النهاية بين « شكري القوتلي » تؤيده مصر والسعودية وبين خالد العظم تؤيده العراق ووراءها بريطانيا »^٢ .

فالسعودية شريكة في كل معارك عبد الناصر « الثورية » في الفترة التي أشرنا إليها . .
إلى أن قررت « الإدارة » الأمريكية أنه لم يعد من مصلحتها استمرار التحالف المصري - السعودي ، وهذا مفهوم غامض من وجهة نظر السياسة الاستعمارية عموماً ، وعلى ضوء التطورات التي حدثت في المنطقة بهزيمة بريطانيا في حرب ١٩٥٦ وتسليمها بزعماء أمريكا ، ومن ثم فقد عبد الناصر أهميته في العالم العربي ، باستثناء دوره في منع الحرب ضد إسرائيل ، وطالبت شركات النفط بإبعاده عن آبار النفط ، وما كان يمكن أبداً أن تأتي القطيعة من جانب السعودية ، فهم لا يريدون بلداً عربياً أو غير عربي بالتحرش ، وهم كانوا دائماً يؤمنون ويرغبون في علاقة طيبة مع

(١) ملفات السويس .

(٢) ن . م . ص . ٣٧٠ ع .

مصر ولذا كان لابد أن يأتي التحرش من مصر . . . وقد سافر « كبريت روزفلت » إلى السعودية محاولاً إقناع الملك بأن عبد الناصر يغشه ولكن « الملك سعود نفسه اللعبة » فكان أن بدأ التحرش من مصر . . . فإن صح « الحوار » الذي ينسب مؤلف الناصرية إلى الملك سعود وعبد الناصر ، فمن حقنا أن نقول إن الملك « البدوي » استطاع أن يكيل « للمصري » ضربة تحت الحزام وأن يلخص في نفس الوقت الفرق بين أسلوب عبد الناصر وسياسة السعودية التي تتحالف أو حتى تختمي بأمريكا علناً وعلى المكشوف لمواجهة الخطر البريطاني وانطلاقاً من المصالح السعودية . . . فقد ذكر هيكल أن عبد الناصر « تشجع » وسأل الملك سعود عن العلاقات مع الولايات المتحدة . . . وألح جمال عبد الناصر إلى محظور أن يستغل الأمريكيان قضية البترول لكي يفرضوا على السعودية سياسة لا تتناسب مع مصالحها ولا مع المصلحة العربية . . . ورد الملك سعود : إن العيب ليس عيب الأمريكيان ولكنه عيب الآخرين الذين يريدون الدخول تحت عيائهم ، وأضاف هيكل بإحساس المبطوح : « وكان واضحاً أن الملك يشير إلى الهاشميين » وأظن أن الملك سعود أو أي عربي معاصر أو عارس للتاريخ ، سيكون الهاشميون هم آخر من يخطر على باله في الحديث عن الدخول تحت عيادة الأمريكيين .

ويلاحظ أن هذه الواقعة تمتع بالشاهدين التقليديين هيكل : اثنين ميتين !! ولما أسف الإعلام الناصري نصح الملك الرئيس « بأن تترفع الإذاعات والصحف عن الشتم » فلم يستجب . . . وكانت نصيحة غلصة لأن عبد الناصر خرج من حرب ١٩٥٦ بالحق أو بالباطل « زعيماً عالمياً » مرموق التصرف والخطوات . . . في مركز الوصي على العالم العربي ، ومن ثم كان السباب والشتم يتقص من مكانته ويجر حتماً إلى الرد فيكون هو الخاسر بالتأكيد ، كما حدث عندما استلمته إذاعة بغداد « الثورية » عام ١٩٥٨ . . .

والغريب أن جميع المصادر حذرت عبد الناصر من مؤامرة استعمارية لتضم علاقته مع السعودية ، فلم يهتم بل بالعكس حرص على استغزاز الملك وإهائه خذ مثلاً هذه الواقعة التي يروها هيكل ، فبعد انتهاء العدوان الذي وقف فيه الملك وأخوته موقفاً رائعاً فاق موقف بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ورغم أن السعودية خاضت بكل طاقاتها وإمكاناتها مع مصر ، وكان المجند كله من نصيب عبد الناصر وحده . . . ورغم أن هيكل يشهد بأن عبد الناصر تسلم تقريراً يؤكد أن أبرزهاور تخلى عن عبد الناصر وأن تركيزه الشديد الآن ينصب على سحب الملك « سعود » بعيداً عنه . . . في هذا الظرف بالذات بتوسط الملك والأمير فيصل ولي العهد على جميع المستويات بأن يتكرم الأخ الرئيس ظل الله على الأرض وخاقان البحرين ليقابل رئيس وزراء باكستان الذي وسط العرش السعودي لتدبير هذه المقابلة . . . انظر ماذا يكتب هيكل بعد ثلاثين سنة ليجدد الجراح :

« ونجاهل جمال عبد الناصر » إلحاح « الملك سعود على مقابلة رئيس وزراء باكستان »^٢ . . . تجاهل وإلحاح ! عبد الناصر كان يعامل الملوك كأنهم عبد اللطيف بغدادي أو شعراوي جمعة !^٣ ملوك ورتوا الملك عن أبطال تحرير ووحدة حقيقية لم تأت بهم مخابرات ولا انقلابات ويعرفون

(١) ملقات الموسس

(٢) ن . م . ص . ٦٠٢ ع .

تاريخهم وأصولهم ، ويعرفون أيضاً ماذا على الجانب الآخر ، ثم وقفوا كل المعارك التي خاضها ناصر وأكثر منها (وقوف السعودية في مواجهة العدوان الانجليزي في البويري والتحرشات على طول الحدود الطويلة جداً مع الانجليز) وتدعي أنك تعلم أنهم يحاولون إيقار الصدور عليك . . فماذا كان سيحدث لو قابلت رئيس وزراء باكستان ويضت وجه رفيق المعركة ثم خلال المقابلة تمسح البلاط بهذا الضيف الملحاح . . ماذا كان سيكتب رئيس وزراء باكستان بالشرف بطلعتك ؟! ألم يخطر ببالك أنها لعبة محسوبة من المخابرات والأجهزة التي تعرف نفيتك وتفهم أخلاقيات السعوديين ، فألحوا عليهم ، وأوحوا إليك ببعض أحوالهم أن ترفض ، ثم ذهبوا بضخمون « التجاهل » « الإهانة » ويوغرون النفوس ويتسبون العلاقة . .

والملك مازال مصراً على الود والتعاون ويتصح نصيحة عاقل بالآلا نستفز المشاعر بدق طبول النصر في الإعلام المصري « قالعاقل إذا انتصر بفهم عدوه بأنه انهزم » بل ويوافق على أن رئيس وزراء باكستان « ملعون » .

وإذا وقع لقاء بينه وبين الوصي العراقي بادر بطمأننة « أخيه » عبد الناصر والتمتع على سره فقال له إن الوصي جاء « تفوح منه رائحة الخمر »^١ .

أنت تتجاهل الملك سعود ، بينما ايزنهاور شخصياً يخرق التثالبد التي تقضي باستقبال رؤساء الدول عند البيت الأبيض ، بل يرضخ ويتوجه لاستقبال الملك سعود بالمطار . . لأن ايزنهاور يفكر ويتحرك في إطار مصلحة أمريكا ، أما عبد الناصر في أحسن التقاسير ظناً ، لا يفكر ولا يحركه إلا « زعامته » و « مكانته الشخصية » ولو ذهبت مصر والعروبة إلى الجحيم . .

وحتى لا يتفخ ناصري بحجة كرامة الزعيم ، فهناك موقف مشابه تماماً رفض الزعيم « إلحاح » سفارة بريطانيا لمقابلة وزير بريطاني لأن الوزير صهيوني . . فلجأ الوزير إلى السفارة الأمريكية فأمرت موظف المخابرات بها أن يحدد له موعداً مع عبد الناصر فانساع وتم اللقاء . . هل كان على سهروردي أن يتصل بولي الأمر الأمريكي وليس من ظنه الصديق أو الأخ العربي كما كان سعود ينادي جمال عبد الناصر !!

م^٦ - يقول « شوكرج » إن إسرائيل « انتهزت هذه الفرصة الذهبية (صفقة السلاح . ج) لتقول للغرب إن مصالحه ومصالحها متطابقة . وأقرج « هيكلم » عن وثيقة تقول إن « أحمد حسين » حذر من الصفقة لأن إسرائيل تعمل منذ فترة لتقديم الحجة بأنها الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط وأنها سند الغرب الوحيد فيه ، ص ٣٥٤ ع . .

وراجع تحليلنا لتأنيج صفقة السلاح الذي نشرناه قبل إفراج هيكلم عن وثائقه بثلاث سنوات ، بل كان هذا التحليل هو الذي أجبره على تغيير موقفه فاعترف . . ولو على مضض . بأن الصفقة كانت في مصلحة إسرائيل بطريقة ما .

م^٧ - واشتكي كوبلاند لـ « ولبور ايغلاند » : « إن البتاجون كان هو العقبة ، فما من أحد من العسكريين صدق أن « الفتى » (حسن النيهامي . ج) يقدم لهم فعلاً آخر رجاء من ناصر لمساعدته على تجنب الصفقة مع الروس » ص ١٤٨ حبال من رمال .

م^٨ - لاحظ أن الروس كانوا يلعبون أيضاً لعبتهم ، فهم يعرفون أن عبد الناصر يتعامل معهم كرهماً مضطراً ، وأنه يتحين الفرص لإلغاء الاتفاق أو الرجوع عنه ، ومن ثم فإن إشاعته يجعل مركزه حرجاً ، والتراجع بكلفه غالباً على الصعيد السياسي . لأن الجماهير سيشاءلون أو على الأقل ضباط الجيش . . لماذا نرفض عرضاً روسياً بتسليحتنا ؟!

م^٩ - في هذه الواقعة أورد « هيكل » في الطبعة الأفرنجية قصة مثيرة ، تنبر ألف علامة استفهام حول علاقته بالأمريكيين وعبد الناصر في تلك الفترة فهو على حد قوله ، يجمع بين عبد الناصر وكبريت روزفلت في بيته (بيت هيكل) وهو - أي هيكل - يذهب إلى منزل « ايكلبرجر » أحد أساطين المخابرات الأمريكية في القاهرة فتجده جالساً مع « كبريت روزفلت » نائب مدير المخابرات الأمريكية للشرق الأوسط و « اريك جونسون » . . مبعوث الرئيس الأمريكي ليس على مائدة الإفطار ، أو عشرة كيتشنة في الترسية . . بل بعدان برقية تطلب عزل السفير الأمريكي في القاهرة ! . .

عمل من صميم أعمال السيادة الأمريكية الذي لا يعلم به ولا حتى السفير الأمريكي ذاته . . ولكن . . « ايكلبرجر » رجل المخابرات الأمريكية يدخل « هيكل » عليها ويكأن « ايكلبرجر » هذا خدام فليبي غريب . . وإذا بأكبر مسئول في الإدارة الأمريكية عن الشرق الأوسط بعد وزير الخارجية من الناحية الرسمية ، وأكبر مسئول على الإطلاق من الناحية العملية . . يقول لهيكل بساطة : نحن نكتب برقية إلى واشنطن بطلب عزل بايرود !

ما دخل صلة هيكل بعبد الناصر ونفوذه على رئيس مصر ، وحصوله على جائزة فاروق ثلاث مرات . . ما دخل ذلك بإطلاعهم له على أدق أسرار الحكومة الأمريكية كيف يتعاملون بهذه الطريقة مع « صحفي » إلا إذا كان البساط أكثر من أحدي والرجل من أهل البيت ، بل من عظام الرقية !

وفي النص العربي : « قال لي الاثنان إنها فرغا الآن من كتابة برقية بتوقيعها إلى « جون فوستر دلاس » مؤداهما أنه لم يبق مجال لترك هنري بايرود سفيراً في القاهرة » ووضعها بين مزوجين دليل النقل الحر في . أما في الطبعة الانجليزية فقال : « وجدتها بعدان برقية لدلاس ، وكانا متحفظين على محتوياتها ولكن قرأ لي الفقرة الأولى منها وهي أن بايرود . . الخ ص ٧٨ خ . ونخيل صحفياً أمريكياً يدخل على مدير المخابرات المصرية ، فيجده يكتب برقية فيقول له : ماذا نكتب ؟ ويرد الآخر : مش حاقولك . . سر . .

لازم تقول

مش قادر أقولك . .

لحسن أخاصمك . .

طيب أقرأ لك حنة . .

أية مهانة لعقول قارنيه . . وأبها أكثر غرابية . . روايته هذه أم رواية مصطفى أمين عن بايرود و برقية العدوان الإسرائيلي . . على الأقل السفير الأمريكي كان له مصلحة في تحذير مصر من عدوان إسرائيل فلا يستغرب إطلاعها على البرقية بطريقة أو أخرى !؟

م^{١١} - لطش « هبكل » هذه الملاحظة ، ولكنه وقع في خطأ فادح عندما حوّلها إلى سيناريو ، فقال : إن عبد الناصر اتصل به كمعادنه في السادسة « صباحاً » وقال له إنه سمع خبر الإنذار من لندن نقلاً عن الأسوشيتدبرس (٣٦٤ ج) والخبر كما نرى من رواية كويلاند لم يخرج من واشنطن إلا الحادية عشرة صباحاً أي السادسة « مساءً » في القاهرة فكيف سمع به ناصر في السادسة صباحاً ؟
قصص وحكايات !

م^{١٢} - وإذا كان تحويل ناصر لمصر من سوق للسلاح الغرب إلى سوق روسي قد احتاج للعدوان الإسرائيلي وباندونج ومسرحة صفقة السلاح فإن الاتفاق الروسي - الأمريكي في ١٩٧١ على إطلاق يد روسيا في ليبيا مقابل طردهم من مصر ، وبالتالي تحويل القذافي من الدّعدو للشوعية وروسيا إلى باري وأكبر زبوتن للسلاح الروسي ، لم يتطلب أكثر من غمزة عين من الأمريكان فانقلب الأخضر أحمر ، وبلا مقدمات ، وكأنه إنسان آلي !

م^{١٣} - ويدّو أن المعارضة الصليبية لتصنيع السلاح عربياً ما زالت مستمرة ، ومن جهات عديدة بعضها يعني ماذا يعارض ولماذا يعارض ، وبعضها عن جهل أو دوافع خاصة ، وإذا كان لي شرف تبني والدفاع عن هيئة التصنيع العربية في أحلك الظروف ، حتى أصبحت كتاباتي هي المرجع الذي يسطو عليه من أراد الدفاع عن صناعة السلاح العربية في مصر بعد هذا بسنة ! فقد تصدبت للمعارضين الجدد وقبلي يلي واحد من المقالات التي كتبها للرد على الوزير السابق وأحد أكبر المدافعين عن ناصر . . الحاج « أمين هويدي » الذي مهيا فعل أكن له محبة خاصة . .

الرد على هويدي

نأملت أشد الألم من هذا القول الذي نسب للحاج أمين هويدي وزير الحرية الأسبق . حتى فرغت منه إلى الكذب كما يقول المثني . مستنبأ لو لم يكن هو قاتله وانتظرت طويلاً لعله يصحح أو يكذب هذا الذي نسب إليه في صحيفة التجمع ضد صناعة السلاح في مصر . . وفي النهاية لم أجد بداً من أن أurd حتى لا تسب سمعة الحاج هويدي الطيبة في دعم رأي خاطيء وحملة مشبوهة الانحياز ! مفضوحة الدوافع ، تستهدف منع مصر وبالتالي العرب من إنتاج السلاح . هذا الإنتاج الذي كما قال أمين هويدي نفسه - هو : جوهر الاستقلال . . وقبل مناقشة موضوع هذه التصريحات التي انتزعت انتزاعاً من العسكري السابق الذي لا شك في وظيفته . تجدر الإشارة هنا إلى هذا النوع من الإكراه الذي يقع على المفكرين المصريين ليجبرهم على ترديد فكر المتحرفين ، أو حتى تبينه ، وذلك من خلال الخطة الخبيثة التي وضعها السادات ومستشاروه من رجال المخابرات الأمريكية بفرض نماذج معينة على العمل السياسي في مصر ومنحها وحدها ترخيص أو احتكار تشيل التيارات واحتكار إصدار الصحف المدعومة من الدولة واحتكار تراخيص الأحزاب . . ومن ثم يستغلون حاجة الشرفاء المشروعة للتعبير في أي منبر لفرض آرائهم المنحرفة عليهم ! فقد سأل المحرر ، الوزير السابق عن رأيه في تصريحات وزير الدفاع الحالي عن نجاح مصر في إنتاج بعض الأسلحة . . وعلى الفور أجاب الرجل الإجابة المتوقعة من أي مصري وطني شريف عاش مأسى احتكار السلاح وما جرت به على العرب منذ قال لورانس في الحرب العالمية الأولى : أعطوا العرب البنادق فقط ولا تكونهم من المدافع وبذلك يفضي القرار لنا . . إلى أن دكسر الروس قلب عبد الناصر . . بنص تعبير الزعيم الشيوعي شوان لاي - إذ ماطلوه وأذلوه وأجبروه أكثر من مرة على ترك مسؤولياته هنا بعد هزيمة ١٩٦٧ للسفر إليهم يستجديهم بعض ما تغدقه أمريكا على إسرائيل ! واشترائهم عليه إعادة « علي صبري » معزراً مكرماً بعدما كان قد قرر تصفيته وأعد له كميناً وضبطه منهرباً من الجمارك بشحنة من السجاد الصيني الفاخر أي بها من الخارج ، مما جعل سياسياً صينياً يسخر منا قائلاً : لقد قدمنا للمصريين كل مساعدة ممكنة ولم نخلل عليهم بسر ولكنهم يرفضون اطلاعنا على الدور الخطير الذي يلعبه السجاد الصيني في حرب الاستنزاف !

قال أمين هويدي بالحرف : « بالطبع نحن ننتل » فخراً وعزة وكرامة حين نتج أسلحة من صنع بلدنا لنتقاتل بها . . ذلك أن تصنيع السلاح يعني تحرير القرار السياسي ويعني الاكتفاء ذاتياً من الأسلحة والذخائر ، ثم هناك الحافز الاقتصادي . فالإنتاج المحلي أقل تكلفة وهو يعوض النقص في ميزان المدفوعات ويتيح فرصاً أفضل للعمالة .

هذه هي الإجابة العنوية والواحية لوطني شريف ولكن الذين سلمتهم حكومتنا الصحافة والأحزاب ، وحرمتها على الوطنيين لا ترضيهم هذه الإجابة ، ولا سمعوا إليها ، ومن ثم يستمر المحرر (غير المعروف ولعله يتحل اسماً حركياً ومن حق مثله أن يتخفى) . . يستمر في اعتصار السيد أمين هويدي حتى يتزع منه تصريحاً بمعارضة إنتاج السلاح إذ سأله : وهل الاقتصاد المصري مهياً لذلك فعلاً . . ؟ ويتنازل الوزير عما سبق أن قاله فيقول إن إنتاج السلاح ينقسم لثلاثة أقسام من ناحية التكنولوجيا وبمحدد نوع التكنولوجيا التي تفتحها مصر بأربعة عوامل رئيسية (يقصوا انتشر !) هي وجود قاعدة صناعية ضخمة وقاعدة تكنولوجية عالية ووجود تمويل كاف وإمكانية التسويق والتصدير علينا ألا نتعجل أمورنا فلا نبدأ خطوة إلا بعد أن نكون قد أقمنا القاعدة الوطنية حتى لا نتكسر .

وإلى هنا فلا بأس فهي مباني وإرشادات من مرتبط بالتجربة الناصرية وما فيها من نكسات وأكاذيب وقد كنا نظن أنها بنت القاعدة الصناعية وطمحت إلى إنتاج الصواريخ فإذا به يثبت بطلان ذلك ويشفق علينا من خطوة متعجلة . . ولكن المحرر المسمور ضد إنتاج مصر للسلاح يبادر فيصرخ مهلاً :

- أفهم من هذا أنك ضد تصنيع الدبابة والطائرة في مصر ؟

تأمل السؤال الذي لا يمكن أن يصدر عن مصري . . فهو ليس ضد بعض الأخطاء ولا ضد ممارسات أو أسلوب بل هو ضد مبدأ « إنتاج » مصر للدبابة أو الطائرة من أساسه وبالطبع الصاروخ والمدفع إلا إذا كان يفرض علينا إنتاج أسلحة دفاعية فقط وكأنه يمثل الحماية البريطانية أو الوصاية الامبريالية الجديدة أو خليفة لورنس ! فهو ضد تصنيع السلاح في مصر . .

هنا كنت أتمنى أن يسكت أمين هويدي وهو أضعف الإيمان ولكنه انزلق وراء المحرر فقال أو نسب إليه لا أدري : « بالطبع . . إلا إذا توافرت لدينا الإمكانيات اللازمة لذلك وإلا فإن ارتباطنا بدولة المنيع وهي الولايات المتحدة سيكون وبالأعلى علينا ومنصبح كإسرائيل مجرد ذبابة في بيت العنكبوت (. . ١١) ولا ننس قضية التسويق ذلك أن سوق السلاح العالمي خاصة منتجات الدول الصغرى المتجهة للسلاح مثل إسرائيل والأرجنتين والبرازيل وتايوان تعاني من كساد حقيقي بسبب انهيار الاقتصاد العالمي . . إن دخولنا في صناعات سلاح مشتركة مع أمريكا يزيد من تبعيتنا ويفقدنا حرية قرارنا الاقتصادي والسياسي » .

نحن إذا أمام موقف مبدئي يعارض من الجوهر إنتاج الدبابة أو الطائرة في مصر وليس خلافاً على التفاصيل أو الأسلوب أو الشريك أو شروط المشاركة . . لا . . إنهم يعادون الفكرة والمبدأ من الأساس وللأسف جروا الرجل الفاضل معهم !

وإذا كنت سأعرض للاعتراضات المثارة ضد صناعة السلاح العربي في مصر إلا أنني لا أستطيع إلا أن انتهز فرصة الشهر المقترح ، فأدعو أن يتقبل الله من الحاج هويدي وأنا أعرف أنه طاهر القلب

والسلوك أن يتقبل منه فتصبح فعلاً مثل إسرائيل قولي : انشأ الله باحاج !
إذا كنت سأبدأ باعتراضات البند أمين هو يدي ضد صناعة السلاح تلك التي استصرحت إياها
صحيفة المتجمعين إلا أنه من الضروري التنبيه إلى أن الاعتراض على تصنيع السلاح في مصر يصدر
من جهات شتى عالمية ومحلية ، وهي رغم ما بينها من تناقضات وعداوات إلا أنها تجمع على موقف
واحد هو الإصرار على إفشال وتدمير محاولة مصر خرق الحصار الأميركي الغربي والسوفيتي وتحريض
الإرادة السياسية العربية أو المسلمة بتحطيم احتكار السلاح التحطيم الفعلي لا الشعاري وذلك
بإنتاجه وليس استيراده ، ولم تكن مصادفة أنه فور إعلان مصر عن نجاحها في إنتاج الدبابات أن
تشر العديد من الصحف بشرى انتهاء عصر الدبابات ! وكأننا نتجها لنبيعها لروسيا وأمريكا ؟! ولو
استسلمنا لهذا المنطق فإن كافة أنواع السلاح المعروفة لا قيمة لها في حرب الكواكب أو السموات
التي تسابق إليها الدولتان الأعظم !

قال وزير الحربية الأسبق إنه لا بد لقيام صناعة سلاح من أربعة عوامل رئيسية هي :
وجود قاعدة صناعية ضخمة ووجود تكنولوجيا عالية وتمويل ونسويق .
وبالطبع فإن هذه العوامل لازمة لمعظم الصناعات أو على الأقل العوامل الثلاثة الأخيرة ، فحتى
إذا أرادت شركة الشريف طرح شبائب بلاستيك في السوق فلا بد أن تدرس التكنولوجيا والتمويل
والنسويق !

إلا أننا نقول إنه بالنسبة لشرط القاعدة الصناعية والتكنولوجيا فهو من قبيل وضع العرب أمام
الحصان ، وهو من الشروط المعجزة التي يطرحها أعداء تصنيع شعوب العالم الثالث لنشر اليأس
وإعطاء الحجة للمعشطين والفاشلين . . إذ أنه لا يمكن تعلم السباحة إلا في الماء ولن نحصل على
القاعدة الصناعية إلا ببناء المصانع وإدارتها وهذه القاعدة الصناعية لا يشترط أن تبدأ أولاً في
الصناعات السلمية بل بالعكس ، قد يكون طريق التصنيع وامتلاك القاعدة الصناعية الضخمة هو
الانطلاق من صناعة السلاح فلا شك أن السلاح هو أكثر الصناعات تطوراً وأكثرها استيعاباً
للتكنولوجيا الحديثة ولا شك أن الناصريين يذكرون كيف أنتجت مصانعنا الحربية في عهد
عبد الناصر البوناجازات والثلاجات فالمصنع الذي يستطيع إنتاج طائرة أو سيارة مدرعة لن يعجز
إنتاج سيارة أتوبيس والعامل الذي يحسن إنتاج موجه الصواريخ لن ينتج البطاريات المصدية التي
تحتاج حالياً ، وصناعة السلاح لمعامل عديدة أسهل في تجميع إرادة وطنية خلفها وفي توفير التمويل
اللازم . ويفترض أن إدارتها أكثر جدية وتصميماً على استيعاب التكنولوجيا المتقدمة لأن الإهمال أو
الخطأ فيها قاتل ومن ثم فإن مباشرتنا إنتاج السلاح يعني أننا نبني فعلاً القاعدة الصناعية ونكتسب
أحدث التكنولوجيا العالمية ، هذا إذا كنا مستعجلاً سلاحاً للاستعمال والبيع وسيجرب في حروب
عقيدة . والحمد لله أن إنتاجنا قد جرب في أشد حروب عرفتها المنطقة ونجح رغم غمليات
استيعاب أعداء استقلال مصر أو استقلال صناعة السلاح العربية . وقد استطاعت إسرائيل
الصين والهند والبرازيل اقتحام عصر الصناعة من خلال إنتاج السلاح وقد أذاعت الأنباء في هذه
الأيام إن إسرائيل تحتل الآن المرتبة الثالثة في الدول المصدرة للسلاح بعد الاتحاد السوفيتي والولايات
المتحدة . . ولكن على قدر أهل العزم تأتي العزائم ولو انتظر الإسرائيليون حتى يضموا القاعدة
الصناعية الضخمة والسوق والتمويل لانتهى بهم الحال إلى الكتابة في صحيفة التضم . . ولو

اطمأنت الصين للمساعدة الأخوية للاتحاد السوفيتي وقبلت نصيحته المسمومة بالكف عن إنتاج القنبلة الذرية لأن الأخ الأكبر يمتلكها فلا حاجة لتبديد الموارد . . . لكانت قد تمزقها الدول مرة أخرى ولكنها قطعت علاقاتها مع روسيا وتحملت كل العقوبات التكنولوجية والاقتصادية والسياسة والتخريبية ووسط حصار عالمي شامل من الغرب والشرق أنتجت قبلتها وسلاحها بلا قاعدة صناعية ضخمة مسبقة ولا تكنولوجيا باردة وإنما إرادة صادقة وفكر حر غير عميل . .

طرح وزير الحرية الأسبق مشكلتي التمويل والتسويق كمعوقات شنع مصر من إنتاج السلاح وتثبت خطأ حكومتها في محاولة هذا الإنتاج وأذكر هنا أنني عندما طرحت مطلب تصنيع السلاح في كتيب : « ماذا يريد الشعب المصري » وكان خطاباً مفتوحاً للرئيس الراحل السادات ، كتبه فور إعلان وفاة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . وقلت فيه : إن تحطيم احتكار السلاح يكون بإنتاجه وليس باستيراده ومن ثم لابد أن نتج السلاح وأن ذلك كان ممكناً منذ الخمسينيات . وفور نشر الكتيب تصدى لنا مراسل مجلة حوار وهي المجلة التي كشفت تحقيقات الكونجرس في الولايات المتحدة أنها صدرت بترتيب وتمويل من المخابرات الأمريكية - تصدى لنا قائلاً : إن الدعوة لإنتاج السلاح في مصر أو العالم العربي ليست إلا نكتة سخيفة ! ونحن نضيف أنها أيضاً ثقيلة على قلب المخابرات الأمريكية والروسية والناطقين باسمها وكما أن الروس كان هدفهم منع تسليح الصين - كما أشرنا - رغم الروابط الأخوية والعقائدية ! فهم أيضاً ضد تسليح أية دولة إسلامية ، وهم لم يتورعوا عن تقديم إنذار امبريالي وقع لباكستان يوم ٢١ يونيو الماضي (١٩٨٦) يقولون فيه : إن إنتاج باكستان قنبلة ذرية يشكل خطراً على جنوب الاتحاد السوفيتي لا يمكن أن يقف هذا الاتحاد السوفيتي أمامه مكتوف اليدين . . ولماذا لا تكون الرئاسة النووية السوفيتية خطراً على شمال باكستان ولماذا لا يحتاج الاتحاد السوفيتي على قنبلة الهند . . إن قنبلة باكستان التي لم تولد بعد ، خطر على من هدده واحد من مفاعلاته العالم كله ! تماماً كما كانت طوابي الأسكندرية خطراً على أمن حكومة لندن في عام ١٨٨٢ . والاتحاد السوفيتي هو العدو الأول لأية محاولة لظهور قوة إسلامية مستقلة قوية لأن مستعمراته الإسلامية هي التي تكون ما يسمى بالاتحاد السوفيتي ولو تمحورت هذه المستعمرات لما بقي إلا روسيا القفيرة في كل شيء والمستنكرة في أوروبا وذات التاريخ الدموي في آسيا . . من هنا نفهم معارضة الروس وعملاء الروس لأي تطلع إسلامي لامتلاك صناعة السلاح . . أما أمريكا فمصالحها وارتباطاتها مع إسرائيل تجعلها بالطبع تتخذ نفس موقف الاتحاد السوفيتي . ومن خلال سيطرة الدولتين على العالم العربي كان التفكير في إنتاج السلاح من المحرمات ولا يخفى ببال . . إلا أنه حدث ذات يوم في لحظة صفاء عربي نادر وبمعكس كل القوانين التي تحكم تصرفات العرب وارتباطاتهم ، حدث أن اتخذ الملك فيصل والرئيس السادات القرار التاريخي بإنشاء صناعة السلاح العربية ، وسارع بعض العرب بالمساهمة بينها تربص بها بعض المستعربين والقوى الامبريالية العالمية . وفي مقدمتها إسرائيل بالطبع . ولأنك أن المشروع كان سيجل مشكلتي التمويل والتسويق وإذا راجعنا الأرقام الفلكية التي أنفقتها العرب على شراء السلاح لعرفنا أن مشكلة التمويل لا توجد إلا في الضمائر والتوابي ، أما المال فهو عيب بين مصانع السلاح العالمية وبعضها إسرائيلي وبين السماسرة والمختلسين ! وما أنفق على شراء السلاح بل حتى عمولاته كان كافياً لبناء صناعة سلاح عربية من الدرجة الأولى . . إلا أن المترصين بصناعة السلاح العربية

سرعان ما وجدوا فرصتهم في « كامب دافيد » فاتخذوا أغهى قرار في التاريخ العربي وهو الانسحاب من هيئة التصنيع العربية وحاولوا سحب أرصدتهم فيها ، لولا أن صمدت مصر ولم تبخل بالمال كما لم تبخل بالدم من قبل واستمرت الصناعة ويمكن القول الآن والكامب تمتد ليشمل الكثير غير مصر ، فلم تعد المقاطعة مقبولة عملاً بالمثل القائل لا تعابري ولا أعابريك والكامب أو أهم طابلي وطابلك . . وبعد أن عاقب الله العراقي التي تزعت حملة مقاطعة مصر بغياً وعدواناً بل رياء عاقبها بأن كانت أول مستفيد من صناعة السلاح التي قامت في مصر . . . وعندما اقتنع ذوو التوابيا الحسة أن مقاطعة مصر كانت لصالح أعداء العرب أقول أصبح الجو مهيئاً للأمل في استعادة التمويل العربي وخاصة بعد أن تأكد نجاح التجربة وبعد أن تؤكد لهم أنها مربحة وأنه يمكن حتى صرف عملات فيها ! وقد سمعنا أن دولة عربية وقعت اتفاقاً مع البرازيل للتعاون في إنتاج الأسلحة الصغيرة كما ستمول الدولة العربية التجارب البرازيلية لإنتاج صاروخ برازيلي بحر - بحر ينالس الصاروخ الفرنسي exocet وكذلك إنتاج البرازيل لقواعد إطلاق الصاروخ « استروس » والدبابة « أوسوريو » ٤٢ طناً وطاقرات التدريب توكا . نو . . أي باختصار دولة عربية ستمول صناعة السلاح البرازيلية ونحن على ثقة أن هذه الدولة أكثر رغبة وأسرع تلبية لتمويل صناعة السلاح المصرية بل العربية في مصر ، إذا ما زالت المعوقات وشرط أن نؤمن نحن أولاً بصناعتنا وأن نسكت تلك الأصوات المخربة التي تحاول تقليص هذه الصناعة لإبقاء العرب تحت رحمة العسكرية الإسرائيلية والاحتكار الدولي للسلاح . أما عن التسويق فالمفروض أن تكون فرصة مصر العربية المسلحة الأفريقية ، أكبر في تسويق سلاحها من إسرائيل الغربية والمعادية لذلك كله . . انطلاقاً من فلسفة : « جحا أولى بلحم نوره » وهو شعار الرائج في الخليج منذ الستينات أو من واقع الإيمان بالتضامن العربي الإسلامي الأفريقي أو من ناحية الاطمئنان لمعاملة الأخ ونصيبه أو حتى من الناحية التكنولوجية البحتة وأشير هنا إلى ملاحظة ذكية قائتها صحيفة أمريكية في معرض إطلاق تقرير الخطر ضد صناعة السلاح العربية إذ قالت بالحرف : « إن مصر تنتج أيضاً أسلحة ذات تكنولوجيا منخفضة وهي التي تحتاجها الدول النامية » وهذا صحيح ويذكرني بما قيل في تحليل هزيمة باكستان أمام الهند ، فقد قال المحللون إن من بين أسباب الهزيمة أن الطائرات الأمريكية التي كان الباكستانيون يستخدمونها كانت أكثر تطوراً أو تقدماً من الطائرات السوفيتية التي يستخدمها الهنود ولذلك كان الهنود أكثر تحكماً في طائرتهم . .

ولا شك أن الدول النامية لا تضع في مخططاتها الحرب مع الدول العظمى ، وهي إن حاربت هذه الدول فلن تعتمد على التكنولوجيا في الانتصار عليها ومن ثم فهذه الدول النامية تحتاج للسلاح لأنها الداخلي وتحسب للمنازعات مع جيرانها وأيضاً لصد محاولات الدول العظمى التدخل في سيادتها من خلال تخريب وتسلية قوة إقليمية ، أي دولة أخرى من دول العالم النامي ومن ثم فالسلاح المصري أو العربي المصنع في مصر يمد هذه الاحتياجات . .

أما قول الوزير السابق : « ولا تنس قضية التسويق ذلك أن سوق السلاح العالمي خاصة منتجات الدول الصغرى المستجة للسلاح تعاني من كساد حقيقي بسبب انهيار الاقتصاد العالمي » ! قوله هذا دليل على ظهارته وأنه لم يصفق في الأسواق مثل أب هريرة رضى الله عنه وأنه أيضاً مثله

لا يفهم في الاقتصاد المعاصر ! فالسلاح ليس كرافعات ارجنس ولا بارفان تنكمش سوقه وتستغني عنه الدول في فترات انحيار الاقتصاد العالمي ، بل لعلنا لا نذهب بعيداً إذا قلنا إن تجارتها أتروج وتنشط في تلك الأزمات الاقتصادية لأسباب عديدة ، لعل بعض العاملين في الصحافة التي استصرحت ما زالوا يذكرونها .

إن محاولة التشكيك في جدوى صناعة السلاح المصري تحت ستار مشاكل التمويل والتسويق يمكن أن تشل أية رغبة في دخول مجال التصنيع ، فنفس الحجج يمكن إثارتها ضد أية صناعة بل هي ضد الصناعات السلمية أقوى منطقاً إذ يمكن القول : من الذي سيشتري منسوجاتنا والولايات المتحدة وبريطانيا نظالبيان بفرض حاية جمركية داخل حدودهما ضد إغراق المنسوجات القادمة من الصين وهونج كونج وتايوان لأسواقهما ؟ ومن الذي سيشتري سيارتنا وأمريكا عاجزة عن منافسة السيارات الصغيرة اليابانية بل حتى الكورية داخل أمريكا . . الخ فمن يريد الهروب من الخصميات المصرية لا يعجزه المبرر ، ولكن الدول التي تقرر شق طريقها في الغابة الدولية تعرف أنه لا بد من إنجاز المستحيل . خذ مثلاً صناعة السلاح في البرازيل التي لا يستحون من الاستشهاد بها وكأن البرازيل كانت أكثر تقدماً من مصر في الخمسينيات . . وإنما ساق الله إليها عسكريا وطينين بنوا اقتصادها وصناعاتها وزاحوا بها العالم المتقدم . ونحن ابتلانا الله بالناصرين الذين لا صنعوا ولا يريدون لمصر أن تصنع الآن . . صناعة السلاح البرازيلية بدأها منذ عشرين سنة مغامر من الهواة في قصة أشبه بفيلم سينما وهو « جوسيه لويز ريبيرو » الذي عندما صمم أول دبابة برازيلية حملها على سفينة شحن استأجرها من قبرصي وطاف بها على مواني العالم يحاول تسويقها ! وطوال الرحلة كان القبرصي يباع البطرمة يحاول إقناعه بعبث المشروع ، وأن الحل الأمثل هو إلقاء الدبابة في البحر والنصب على شركة التأمين وقبض البوليصه . . ولكن البرازيل رفض منطق البلطجية المتخلفين حتى وصل إلى طرابلس في ليبيا وعقد أول صفقة سلاح وكان ذلك في عام ١٩٧٣ واليوم تحتل البرازيل المركز السادس بين الدول المصدرة للسلاح وليبيا مازالت في مركزها بين المستوردين والمستهدفين للمغامرين . . والمراء حيث يضع نفسه وكذلك الأمم . . وحجم صادرات البرازيل في عام ١٩٨٥ من السلاح : ألف مليون دولار وهي نتيج حالياً مقاتلات نفائة بسرعة تفوق سرعة الصوت وطائرات تشريب ، ودبابات خفيفة وثقيلة وزوارق حراسة وقنابل وألغاماً . . وذخائر صواريخ وأطقم إطلاقها وكلها مصنعة في البرازيل أما الهاوي الذي رفض إلقاء دبابته في البحر فيمثلك الآن صناعة يعمل فيها عشرة آلاف عامل وأحدث تحدياته دبابة تزن ٤٢ طناً يتأفى بها الدبابة الأمريكية M - 1 (وهذا يعزز رأينا في أن جوهر مشكلتنا هو استبعاد القطاع الخاص صاحب المبادرات والفعاليات والاقتصاد العلمي) نجحت البرازيل واليوم يتسابق العرب على الشراء منها . . أما الذين يريدون الانتظار حتى تمتلك قاعدة صناعية ضخمة فلن يروا في بلادهم إلا قاعدة للروس أو الأمريكان ومن يدري ربما أسوأ من ذلك وأكثر مذلة (قامت محررة صحيفة بلطش هذا الجزء من كتابنا : « قيام وسقوط امبراطورية النفط » وقد رفعتنا الأمر للقضاء) .

والحمد لله أن وهب الله مصر رجالاتاً من نوعية أخرى قرروا إنشاء صناعة السلاح والمضي فيها ، وقد كتبت منذ ما يقرب من ثلاث سنوات أقول : إن صناعة السلاح المصرية وصلت إلى ما يسمونه

مرحلة الانطلاق ، وإن القوى المعادية بدأت تنخوف منها فقد كتبت صحيفة أمريكية بتاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٨٤ تقول : « المصريون سيصبحون أكبر منتج للسلاح في الشرق الأوسط . فليهم يشترون خطوط إنتاج كاملة من الشركات العالمية لإنتاج الأسلحة الصغيرة والذخيرة ومدافع المورتير والميدان وطائرات الهليكوبتر حتى قال سمسار سلاح فرنسي : ربما خلال خمس سنوات سنحمل حطابنا ونرحل نهائياً من الشرق الأوسط . لأن المصانع المصرية ستسد حاجة السوق . وقال « سبرج داسو » ابن مارسيل داسو مصمم الميراج « إن المشاريع المشتركة مع مصر تشكل استثماراً ناجحاً . وأنه يعمل حالياً في مشروع مشترك للدفاع الجوي . يعتمد على مدفع مصري (سوفيتي الأصل وأدخلت عليه تحسينات مصرية . وقد وصفت صحيفة النظم هذا العمل بأنه غير أخلاقي (١١) . « والالكترونيات جوية وأجهزة رادار . ورغم أن مصر تقيم مشاريع مشتركة لإنتاج أسلحة متطورة مع أكبر وأشهر مصانع السلاح العالمية إلا أنها - تقول الصحيفة - تنتج أيضاً أسلحة ذات تكنولوجيا منخفضة وهي التي تحتاجها الدول النامية » (اتلانتا جورنال) وهذا يقللنا لحدث المشاريع المشتركة . ولكن قبل أن ننقل لحدث المشاركة والتبعية ننبه إلى نغمة يروجها البعض في الإعلام العربي هي الدعوة « لإنشاء « صناعة سلاح عربي ! ! وهم بالطبع لا يجهلون أنها أنشئت فعلاً منذ أكثر من عشر سنوات . . وإنما الهدف هو استغلال أمل الشعوب العربية واللعب على النزوات الإقليمية والمصالح الخاصة لإفشال الفكرة من أساسها . ولأن الله لا يستحي من الحق نقول للعرب ولكل من يعنيه الأمر إنه لا إمكانية لقيام أية صناعة سلاح إلا في مصر وبالمصريين ولكن لنا الله إذا كان المصريون هم الذين يشككون في قدراتهم . . حفا من بيت أبي ضربت ! !

نختم حديث السلاح بالفرية السمجة التي يرددوها أعداء التصنيع وهي الزعم بأن إنتاجه في بلادنا يزيد من تبعيتنا ! ! وربما كان هذا هو السبب الذي جعلهم يقتصرون على نصف شعار : « من الإبرة للصاروخ ، فأنجوا الإبرة ونسوا الصاروخ خوفاً من أن تزداد تبعيتنا للروس لو طالبوهم وقتها بإثبات أنهم يختلفون عن الأميركيين الغربيين وأهم مع تصنيع الشعوب بأن ينوا في مصر ومع مصر مصنعا للصواريخ نحمل سماءنا ، وقد أعطوا هم الروس حلم عمرهم بالدخول في الشرق الأوسط وكمحررين للشعوب . . ! ولأن جهدهم في تحطيم احتكار السلاح اقتصر على شرائه فهم يهاجمون تصنيعه اليوم . إذ صرح السيد أمين هويدي لو استصرح بأن : « دخولنا في صناعات سلاح مشتركة مع أمريكا يزيد من تبعيتنا ويفقدنا حرية قرارنا السياسي والاقتصادي وقد يصل بنا إلى ما وصلت إليه إسرائيل والعباد بالله ! التي وصفها بأنها ذبابة في بيت العنكبوت الأمريكي (ويبدو أنه قرأ تحليل مصطفى محمود عن العلاقات العائلية في بيت العنكبوت) ! !

وقول الوزير كان يمكن ترديده في عصر قالت النكتة عنه : إن المصريين فيه كانوا يخلعون أستاذهم من أنوفهم لأنه لا أحد يجرو على فتح فمه . . أما وحرية القول مكفولة فهو قول بلا أساس فلا أحد يقول إن الدولة التي تنتج سلاحها في مصانع على أرضها وفي إطار سيادتها الوطنية ومتناول قواتها المسلحة والشرطة العسكرية بل حتى الأمن المركزي لا أحد يقول إنها أكثر تبعية - بسبب مشاركة أمريكا - من الدولة التي تستورد سلاحها في صناديق من أمريكا ذاتها ! ! لا . . لا . . واسمح لنا بإحراج أمين وأنت تعلم أننا لا نكن لك إلا كل احترام وامتنان لما سلف لك من يد عندنا ، ولكن كما قيل تجبك ونحب مصر أكثر ، اسمح لنا أن نصف هذا القول بأنه من النوع الذي يدفع المثقفين إلى

الكفر بشرف الكلمة . فالمشاركة في إنتاج السلاح في مصر لا تخور الإرادة المصرية السياسية والاقتصادية مائة بالمائة كما تريد ولكنها لا تزيد النسيئة أبداً بل تنقصها بنسبة ما يتم تصنيعه داخل البلد الصغير .

وكل الصناعات الثقيلة أو العالية التقنية (التكنولوجية) في الدول النامية لا بد أن تبدأ بنوع من المشاركة مع الدول المتقدمة فحتى ليتبن زعيم البلاشفة أنشأ صناعة نفط مشتركة مع يهودي أمريكي هو صاحب شركة أو كستندال وكل صناعات اليابان وألمانيا الحديثة نشأت بمشاركة مع الاحتكارات الأمريكية ثم زاحمتها إلى حد الموت والإفلاس . فالشركات الكبرى في الدول المتقدمة تحاول تصدير التكنولوجيا للبلدان المتخلفة بحثاً عن العمل الرخيص وهرباً من الضرائب وقوانين ونقابات العمال في بلادها وكنوع من إغلاق السوق في وجه المزارعين وأحياناً لخفض نفقات التجارب فتتأ المشروعات المشتركة وبالطبع تفكر الدولة المتقدمة في السيطرة والربح ومنع الدولة الصغرى من كسب كل المعرفة والخبرة . ولكن هذا الصراع طبيعي ومفهوم ومصيره يتوقف على جدية ووطنية الشعب والمسؤولين في الدولة الصغرى وعلى الصيغة التي تتم بها المشاركة بحيث تحقق أكبر عائد للدولة النامية وأسرع استيعاب للخلاص من الشريك الذي ما من شراكته بد .

أما قول الصحيفة على لسان محررها إن السلاح الذي تبيعه مصر الآن هو من السلاح السوفيتي القديم فأظن أن هناك خطأ في الترجمة ، فالعالم كله يعرف أنه لم يبق لدينا الكثير من السلاح السوفيتي فقد سلم بالكامل مرتين لإسرائيل ، وهكذا أصبحت إسرائيل كما تؤكد جميع المصادر أكبر مصدر للسلاح السوفيتي وأرد مصر تسليم سيناء عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ - الشاحن : جمال عبد الناصر - عامر وشركاه ، لا تمتد ، أبداً بإذن الله ووعي الشعب .

م^{١٣} - الروايات الأمريكية والمصرية نقول إن أحمد حسين ذهب إلى دلاس ومعه تعليمات بقبول كل الشروط التي قد يعرضها أو قد يطالب بها الوزير الأمريكي . ورواية أمريكية أخرى نقول إن أحمد حسين قال مازحاً للوزير . . « إذا لم تدفعوا ، الروس جاهزين . . فانضمم الوزير الخ » .
غير أنه لا يجوز تحميل « أحمد حسين » وحده مسؤولية « ابتزاز » الأمريكيان فقد صرح عبد الناصر لصحيفة نيويورك تايمز في أبريل ١٩٥٦ بأنه إذا رفض الغرب تمويل السد العالي فإن مصر ستضطر بكل تأكيد إلى الموافقة على العرض السوفيتي لتمويل هذا المشروع « حروش : مجتمع عبد الناصر ص ٧٨ وهناك أكثر من محاولة من هذا النوع .

م^{١٤} - ص ٧٣ وفي الحقيقة فإن إسرائيل هي وحدها التي استنادت من قرار مصر الاعتراف بالصين وفقاً لما قاله هيكل نفسه فقد قال بالحرف الواحد : « وكان رد دلاس على قرار مصر بالاعتراف بالصين الشعبية أن صرح لفرنسا بإعطاء إسرائيل ثلاثة أسراب من أحدث طائرات « الميستير » التي كان إنتاجها يتم في فرنسا لحساب حلف الأطلسي وعلى نفقة الولايات المتحدة » هيكل ص ١٠٢ قصة السويس . وفي الوثائق التي نشرت حديثاً ما يفيد أن « كافري » توقع في يناير ١٩٥٤ أن يعترف عبد الناصر بالصين الشيوعية وألمانيا الشرقية إذا تأكد أننا لن نقدم له مساعدة اقتصادية .

م^{١٥} - وهنا وقفة مهمة ، فإن « هيكل » بإحساس : « يكاد المريب يقول خذوني » توقف عند الإشارة لتمويل الروس المشروع ودق على صدره متدهشاً وقال لم يكن تمويل روسيا مطروحاً بعد فكيف فكر دلاس في ذلك ؟ ومن النظرة الأولى تبدو دهشة مصطنعة وسؤالاً ساذجاً . . فستطرق الأحداث يؤكد أن الروس يقضون كلمها تراجع الأمريكيان وهذا واضح في صفقة السلاح . . ومن ثم لا غرابة أن يتوقع دلاس تقدم الروس بعد انسحابهم من تمويل السد . . بل أنهم يزعمون أن مفبركم نفسه هدد بالذهاب للروس ! . .

ولكن الأمر أعمق من هذا ففي الوثائق التي نشرت قبل تأليف هيكل لملفاته . . والتي ثبت اطلاعه عليها ، وثيقة كانت كافية لإعفائه من هذه الدهشة وهذا السؤال . . وهذه هي الوثيقة ولأمر ما غفلت عنه عنها :

وثيقة رقم ١٢٨٢

من السفير في مصر (كافري) إلى وزارة الخارجية (الأمريكية)

القاهرة ١٢ فبراير ١٩٥٤ الساعة الثانية مساء

٩٠٢ سري

مصدر مصري موثوق به أبلغ بصفة سرية جداً مسؤولاً بالسفارة (هذا التعبير كما علمنا هيكل يقصد به رجل مخبرات يتكرر وراء وظيفة السفارة : انظر بين الصحافة والسياسة . ج) إن وزير التجارة السوفيتي ، قدم للبعثة المصرية الاقتصادية التي كانت في موسكو (١٦ يناير ١٩٥٤) عرضاً مغرياً لمساعدة مصر في بناء السد العالي . وقد أبى المصدر أن يقدم تفاصيل ، ولكنه أبلغ أن الروس كانوا من الذكاء بحيث جعلوا العرض رهناً بموافقة عبد الناصر الشخصية ، وقد عاد عضوان من البعثة المصرية إلى القاهرة لنقل العرض لناصر بينما انتظرت بقية المجموعة في موسكو . وقال المصدر (الجاسوس المصري الذي يبلغ السفارة . ج) الذي كان حاضراً عندما قدم العضوان تقريرهما

لناصر . قال إن الأخير (ناصر . ج) استمع لها بانتباه وحماة لتفاصيل العرض الروسي . . . وبعد سماع المتدوين ، علق ناصر : هذا مثير . . . ولكن يجب علي أن ألقى القبض عليكما لأنكما رجعتمنا شيوعين . وأعطى عبد الناصر أمره باستبقاء العضوين في القاهرة ، على أن تعود البعثة بمعلومات كاملة عن المقترحات الروسية التي ستلقى تقديراً دقيقاً (رئيس البعثة حسن رجب) . أما ميلفتا الذي هو شخصياً يعارض أي نشاط سوفيتي في مصر فقد أكد شكوكك حكومة مصر في مقاصد الروس وأحابلهم إلا أنه قلق على أية حال ، لأن العرض الروسي يبدو مغريباً .

مين باتري الذي أبلغ الأمريكان بالعرض الروسي في فبراير ١٩٥٤ ولذا يتدهش « هيكل » من معرفتهم في يونيو ١٩٥٦ ؟

هل من فتي من عضوي الوفد اللذين أبلغا عبد الناصر هذه الواقعة يستجمع وطنيته وتجربتنا من هذا الذي كان حاضراً مقابلتهم ! . .

م^{١٦} - وهذا عرض « هيكل » لفكرة السد كيف تطورت :

« مشروع السد العالي فكرة نادي بها ودعا إليها خير زراعي (زراعي ؟ ! ج) يوناني اسمه « دانيوس » وقد قدم مشروعه إلى بعض وزراء الأشغال في مصر قبل الثورة ، ولم يلتفت إليه أحد . . . وبعد الثورة قدمها إلى مجلس الثورة فحولت إلى جمال سالم ثم دعا ناصر دانيوس إلى لقائه واستمع منه إلى عرض تفصيلي عن المشروع ، ! ص ٢٧٩ ع .

خير زراعي

وجمال سالم

ثم عرض تفصيلي من خير زراعي جريكي للمدرس بكلية أركان حرب . . . وعلى ضوء ذلك تقرير سد النيل وإغراق التوبة ومنع الفيضان وحسب الطمي . . . وتعلق بحيرة فوق رأس مصر في عصر الصواريخ .

م^{١٧} - رفضه كبار المهندسين المصريين مثل « عثمان محرم وعبد العزيز أحمد » فحوكم الأول بتهمة الإفساد وأسقطت الجنسية عن الثاني !

الفصل الثامن

روسي وأمريكي ع الدفة !

- تأخير الغزو البريطاني يوماً كاملاً بسبب تعرض
- ومضايقات الأسطول السادس . . .
- التحذير للسويس !

ويبدأ « المفتي » رحلته مع بريطانيا على طريق السويس ولا يفوته أن يحكي لنا قصة « سلوين لويد » وطرد جلوب . . والنبأ الذي وصل إلى « سلوين لويد » وهو يتناول العشاء مع عبد الناصر مما جعله يظن - وهو غيبي حقاً - أن عبد الناصر كان على علم بالنبأ بل وقته توقيتاً ليصل إلى سلوين ما بين الاسكلوب بانيه ، والسلطة ، وكأن الأردن محافظة مصرية . . ما علينا من غباء سلوين لويد . . رواية هيكل تتضمن « معلومة » غريبة وخطيرة . وهي أن عبد الناصر نفسه كان آخر من يعلم . . بل إن سلوين لويد والسفارة البريطانية والعالم كله أحيط خبراً بإقالة « جلوب » إلا عبد الناصر ! ١٢ .

هذا ما يقوله « هيكل » الأمين على تراث الزعيم . . فقد دخل مكاتب السفير السفارة البريطانية ، بل اقتحم العشاء اقتحاماً ، ودس ورقة في يد السفير البريطاني الساعة التاسعة مساءً ، ودسها هذا في جيبه بعد أن قرأها وأصبح واضحاً على وجهه وحديثه أن أمراً خطيراً قد وقع . . ثم انصرف السفير والوزير البريطاني ، وكل هذا الذي حدث لم يلفت انتباه عبد الناصر ليسأل أحد معاونيه - إيه يا جماعة اللي حصل . . اسألوا الوكالات يكون في خبر . . وإلا اسألوا أقسام البوليس تكون أم السفير ماتت ١٣

أبدأ . . وفق رواية هيكل لم تتحرك شعرة استغفهام في رأس الزعيم ! بل توجه عبد الناصر إلى فراشه ونام قريح العين عن شواردها . . حتى أبقظه هيكل - ومن غيره بوقظ الغافل ١٤ - في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي .

التاسعة ١٥

- عندي خبر يجنن ياريس يا كبير القلب . . عارف جلوب بتاع الأردن . .
- ماله ؟ أو اسمعني . . ١٦

. . إلخ ما يمكن أن يتضمنه سيناريو مسرحية هزلية حول تلك الصورة البشعة التي يقدمها هيكل عن الزعيم الذي كانت أبرز مميزاته هي « المعلومات » وخاصة من هذا الطراز ! . .

والذي كما تجمع كل الروايات لم يكن ينم قبل أن يسمع جميع إذاعات العالم ولكن في رواية هيكل نجده معزولاً .

لا سفارة تبلغ ١٩

ولا ملحق عسكري ١٩

ولا غايات ؟

ولا مراسل صحفي ١٩

ولا أحد يسمع راديو ترازستور . . فالخبر كان قد أذيع من جميع محطات العالم وبجميع اللغات حتى السواحلي . . والزعيم لا يدري حتى يبلغه هيكل الذي بدوره سمعه من مراسل « رويتر » في مصر ! الذي اتصل بهيكل يطلب تعليقاً على الخبر ولم يخطر بباله أنه لا هيكل ولا سيده قد سمعا بالخبر . . ٢٠

« أن يظل المصري غائباً عن الوجود الحضاري . . الخ * »

وهكذا كانت تحكم مصر . . وتقود العالم العربي !

دعنا من هذا الهذر ولنتقل إلى حديث يبهج النفس حقاً :

الاجتهادات حول الوقت الذي طرأت فيه فكرة تأميم القناة على خاطر عبد الناصر كثيرة ومتباينة ، ومتفاوتة الذكاء والإسفاف أيضاً ، ومن هذا النوع الأخير زعم « هيكل » أنه هو الذي أوحى لسيدة بنأميم القناة ، على الأقل إن الفكرة خطرت لها في وقت واحد ! وإليك رواية هيكل .

استيقظ محمد حسين هيكل صباح ٢١ يوليو وقناة السويس في رأسه ، الحمد لله وليس شرم الشيخ . . وإلا لأعاد مجد الإسكندر !

« واتصلت به (الهاء تعود على عبد الناصر . ج) تليفونياً في غرفة نومه ، وكانت الساعة الثامنة والربع صباحاً وتبادلتنا حديثاً عادياً مما يتبادلّه الأصدقاء في الصباح (من طراز أكلت إيه امبارح يا حمادة ؟ جبة وبطيخ يا جيمي . . معرفش ليه رجلي بتشل . عاملين إيه الأولاد . . يا صبر أيوب ! ج) ثم قلت له : « إنني فكرت طويلاً فيما تستطيع أن تفعله إزاء القرار الأمريكي وقال (اللي هو عبد الناصر . ج) : وهل توصلت إلى شيء ؟ »

وقلت : هل تذكر ما كنت تقول عن انتظار فرصة ملائمة للتقدم فيها بطلبنا للمشاركة والحصول على نصف دخل . . الخ . »

وهو بذلك يقلد « مايلز كوبلاند » الذي ادعى في كتابه أنه اقترح تأميم القناة قبل عبد الناصر في تمثيله دور عبد الناصر في قصر « لعبة الأمم » .

وأغلب الظن أن « عبد الناصر » وصل للقرار عقب سحب تمويل السد العالي وما أحاط

* نص عبارة هيكل عن خطط وأمان إسرائيل لحصر .

به من صورة قائمة ، إذ اعتبر في الدوائر « المعنية » قراراً يسحب الثقة من عبد الناصر ، وأن أمريكا لا يمكن أن تعامله بهذا الشكل إلا إذا افترضنا أنه حالة ميثوس منها أو كما صور هيكمل الموقف بأنه بعد « سحب تمويل السد العالي جاءت النهاية وأوشك الستار أن ينزل على قصة عصر عبد الناصر وصعوده في الشرق الأوسط » .

وهذا بالطبع فهم أو تصور له أسبابه الخاصة ، وهو الاعتقاد بأن النظام مسنود من الأمريكان ، وإلا فإن الشعب المصري لم يكن يربط بين عبد الناصر والسد العالي ، فهو ليس مهندساً ، أو وزيراً تبنى مشروعاً مائياً ويسقط ويتهي عصره بفشل المشروع ١٩

عبد الناصر الذي احتفل قبل شهر بخروج آخر جندي بريطاني ، لماذا يسدل الستار عليه لأن أمريكا ترفض تمويل واحد من مشاريعه ١٩

ومها يبدو ذلك غريباً الآن ، فقد كان الشعور وقتها في أوساط أنصاف السياسيين في الخارج والمتنفذين في مصر والعالم العربي . . إن الأمريكان قرروا فعلاً إسقاط عبد الناصر ٢٠ ، وأنهم قادرون على ذلك باعتبار دورهم في ظهوره واستمراره . وكان لابد من إجراء « دراماتيكي » يجبر إدارة المسرح على استمرار رفع الستار ، ويبقي المتفرجين في مقاعدهم يمتطق الممثلين . الذي يحكي به هيكمل .

والدليل على أن القرار كان مفاجئاً أنه لم تكن هناك دراسات جادة لردود الفعل الممكنة في بريطانيا وفرنسا . . وأن عبد الناصر كان قد وقع اتفاقية جديدة مع شركة قناة السويس قبل شهر واحد تتضمن اعترافاً بشرعية الشركة ولو كان الهدف هو التغطية لأمكن للوفد المصري إطالة المفاوضات حتى يصبح قطعها حجة للتأميم . . ولم يكف سلوين لويد عن استخدام هذه الاتفاقية للتأكيد بأن مصر لا تحترم اتفاقياتها ، وتستخدم منطقاً تبريرياً في اتهام الشركة . . يتناقض مع موقفها من شهر واحد . . الخ ٢١

ولكننا إذ نقول إن القرار كان مفاجئاً وابن وقته ، وكرر فعل على سحب تمويل السد العالي ، فإننا نؤكد أن الفكرة ذاتها ، كانت دائماً في رأس جمال عبد الناصر ، وكانت على رأس قائمة المنجزات التي حلم بتحقيقها حتى قبل أن يصل إلى السلطة .

فما من مأساة كانت تعتصر قلب الطالب المصري ، مثل قصة قناة السويس ، وما جرى فيها من غبن وتغيب واستغلال لمصر .

وإلى ما قبل هزيمة ١٩٦٧ . . لم يكن هناك ثأر يحلم به المصري ، مثل انتزاع القناة من المستغلين الذين حفروها بأموال ودماء المصريين وأجسادهم حقيقة لا مجازاً . . ثم استولوا عليها مجاناً وبأسلوب لصوبي يكفي لدمغ تاريخ أوروبا والغرب كله بالعار . . حتى إسماعيل باشا بدأ تاريخه السياسي بشعار أريد « القناة لمصر لا مصر للقناة » ففي هذا الوقت المبكر ، وقبل أن يتم حفر القناة وقبل أن تقبض الشركة منها جنيهاً واحداً ، كان واضحاً أن

القناة هي تزييف في قلب مصر تترج منه ثروتها واستغلالها ومبادئها ، ويكفي أن تعرف أن القناة عند التأميم كان دخلها حوالي ثلاثين مليون جنيه استرليني ، حصة مصر منها مليون واحد والباقي لبريطانيا وفرنسا وأخطا الأوروبيين ، بل كانت القناة في قلب مصر والسفن البريطانية والفرنسية تدفع الرسوم في لندن وباريس !!

وكانت الشركة تنصرف كمؤسسة استعمارية عنصرية استعمالية تعيش في القرن التاسع عشر ، كل جهازها الإداري من الجنس الأبيض ، تتفاوت مراكزه بتفاوت بياضه ، وعند الفاع فئة خاصة من المصريين . . . وبعدما قامت حركة الجيش ، واستولى الضباط على الحكم ، بل وابتأوا في فرائش الأميرات . . . استمرت شركة قناة السويس تمنعهم من دخول نادي شركة قناة السويس كسائر المصريين ! لأن شعب القناة دون مستوى المالبطين والكورسكين العاملين بها ! ويروي كتاب مجتمعت عبد الناصر أن قائد معسكر الجيش المجاور لشركة القناة اضطر لإرسال جنوده بسبحون عراة بجوار نادي الشركة ، ففرغ المسؤولون هناك وسمحوا لهم بالاشتراك في النادي ' ، ربما بعدما اجتازوا امتحان كشف الهوية !!

كانت نموذجاً للامبريالية في أبشع صورة وما كان يمكن أن تستمر لحظة واحدة في بلد مستقل ، بل كان تأميمها يفتن دائماً في خاطر الحركة الوطنية بتحقيق الجلاء .

وفي السنوات التي سبقت عبد الناصر طرح شعار التأميم في عدة مصادر :

١ - منشورات فتحى الرملي وهو اشتراكي من الرواد المصريين ومن أوائل الذين تنبهوا إلى خطورة التغلغل اليهودي في الحركة الشيوعية المصرية . . . فكان جزاؤه الإقصاء التام من المجري العام لهذه الحركة ، وإبعاده عن الصحافة ما يزيد على ربع قرن بتهمة الشيوعية في نفس الوقت الذي كان فيه سكرتير الحزب الشيوعي مترعاً في كرسي الوزارة !

٢ - برنامج الحزب الاشتراكي بزعامة أحمد حسين .

٣ - برنامج الحزب الشيوعي المصري الصادر عام ١٩٥٠ .

٤ - كتاب « الجبهة الشعبية » لمحمد جلال كشك الصادر عام ١٩٥١ والذي حكمت المحكمة بمصادرته لدعوته إلى قلب نظام الحكم القائم وقتها . . . ثم كان من حيثيات تقديمه للنيابة وتوقيفه لمدة عامين في عهد « الثورة » !

أما « مصطفى الحفناوي » فلم يطرح أبداً مطلب التأميم . ولما بلغه عبد الناصر بالقرار أصابه الهلع وقال لعبد الناصر : « إنه يسمع بأذنيه أزيز الطائرات التي تستهدف علينا » . على أية حال كان أبعد نظراً أو أصدق توقعاً من عبد الناصر ، ولكن عبد الناصر كان أكثر وطنية وأجدر بالزعامة عندما اتخذ قرار التأميم .

تأميم القناة . . . إذن ، كان مطلباً وطنياً مصرياً ، بل وعلى رأس الأمانى المصرية . . . وعبد الناصر كان مصرياً وطنياً وقائداً وزعيماً عندما اتخذ هذا القرار ، الذي لا يتقص من شأنه ، الغزو الأنجلو - فرنسي . حتى ولو انتصر الغزاة واستردوا القناة ، بل واحتلوا مصر ،

لفاز عبد الناصر بمكانة وتقدير المصريين « لأحمد عرابي » - على الأقل - فالوطنية ليست جائزة تمنح للمستعمرين وحدهم .

ولا يتفحص من قدر عبد الناصر أنه كان متاكداً من دعم الأمريكيين^{٢٢} ، أو حتى كان على اتفاق معهم ، فإن الزعيم الوطني مطالب بالتحرك في ظل مظلة دولية لصالح وطنه ، تزيد احتمالات الانتصار وتقلل حجم الخسائر^{٢٣} .

وقد دبرت عملية التأميم بإحكام ، وأخفيت عن الأطراف المعنية أي الشركة والانجليز والفرنسيين ، ونفذت بإبداع ودون خسائر على الإطلاق ، وأدبرت ببراعة فائقة يعكس توقعات المخرف الانجليزي الذي جعل بريطانيا تراهن بعض الوقت على عجز المصريين عن إدارة القناة . . . ونلاحظ أن عملية الاستيلاء على شركة القناة ومكاتبها ومعدات وإدارتها تمت بإشراف ضابط مهندس لا من مجلس قيادة الثورة ولا من الضباط الأحرار البارزين ولا من الجهاز الحاكم . . . ولأمر ما لم يعهد عبد الناصر بمهمة بهذا الحجم للقوات المسلحة تحت إشراف عامر وشمس كما سيعهد لها بعد ذلك بالأوتوبس ! ولا إلى كمال الدين حسين أو بغدادي أو حسن إبراهيم . . . وإنما اختار واحداً وقعت عينه عليه بالصدفة خلال « حفل افتتاح خط أنابيب البترول بين السويس ومطرد يوم ٢٣ يوليو ! . . » وكان اختياره موفقاً وباليته عرف من هذه التجربة أن الكفاءات الحقيقية توجد « أيضاً » خارج الصفوة المختارة ! بالية اختار ضابطاً بحض الصدفة وكلفه قيادة معركة سيناء . . . إذن فكانت النتيجة أفضل ! إذ يستحيل أن تكون أسوأ مما حصل !

ومرة أخرى يعزز رأينا في أن « القرار » وليس الفكرة كان ابن يومه ، ومفاجئاً وأنه لم تتح الفرصة لدراسته دراسة كافية . . . إنه لم تتخذ إجراءات مثل سحب جانب مهم من الأرصدة المصرية في بريطانيا وأمريكا . . . (١١٢ مليون جنيه استرليني في بريطانيا + ٦٠ مليون دولار في أمريكا تم تجميدها فور التأميم *) وكان يمكن إصدار الأوامر إلى أربع مدمرات مصرية بالخروج من الموانئ البريطانية حيث كانت وحجزتها الحكومة البريطانية بعد التأميم . وعلى أية حال هذه تفاصيل ، ويمكن القول أن الحرص على المفاجأة كان يستلزم المخاطرة بالمال والسفن حتى ولو لم يكن سحبها يثير حنقا شكوك الانجليز لأن الجو كان متوتراً ولم يكن يخطر بياهم فكرة التأميم .

والفضية التي ستقل إليها الآن ، هي إثبات دور « الكارت » الأمريكي في نجاح عملية التأميم وهزيمة بريطانيا وفرنسا . . . فقد خاضت الولايات المتحدة كما سرى « معركة » ضد بريطانيا وفرنسا على جميع المستويات وراء الكواليس وأمام منبر الأمم المتحدة ، وفي المؤتمرات الصحفية وفي اجتماعات حلف الاطلنطي ، وفي المظاهرات الانتخابية ، وتعاونت مع

• أكد « هبكل » ذلك عندما زعم أن عبد الناصر قال للقيسوني في اجتماع يوم التأميم « تفردت سحب حاجة باقيسوني . . . قال حيا حاول »

الاتحاد السوفييتي لأول مرة منذ قيام إسرائيل ، تعاوناً مثيراً . ولكن لا يجوز أن نحمل التناقض الأمريكي - البريطاني ، وحده ، الفضل في النصر المصري ، ولا أن يكون هذا الدور الأمريكي سبباً في انتفاض دور القوى المحلية الوطنية . . . فهذه التناقضات بين الدول الكبرى هي مجرد عامل مساعد ، مهما كانت أهميته ، أما النتيجة الحاسمة والدائمة فتقررها العوامل المحلية . . . فالتناقض العالمي لا ينصر من لا يريد أن يتنصر . . .

كان لابد من شجاعة عبد الناصر أو مخاطرته ، لاتخاذ القرار بالتأميم ، وكان لابد من كتمان الأمر عن الانجليز والشركة . . . ثم كان لابد من نجاح الإدارة المصرية في تسيير القناة في الفترة ما بين التأميم والغزو . . . ولو حدث أن تعطلت الملاحة أو سُدت القناة ، أو انهارت الإدارة الجديدة ، لضعفت الأوراق المصرية ، بل ولضعف موقف أمريكا .

ولو حدث أن سقطت الإسماعيلية والسويس أو ظهرت في بور سعيد ومنطقة القناة حركة عميلة متعاونة مع الغزاة ، أو لو وقع انقلاب في القاهرة ، وقد كان ذلك ممكناً جداً وأعضاء مجلس الثورة يهربون أولادهم ، وخياراتهم ما بين ابتلاع السم أو التسليم للسفارة البريطانية !! لو حدث ذلك لانهار كل شيء ، ولاسقط في يد الأمريكان ، ولاضطروا - كما كان الانجليز يخططون - لقبول الأمر الواقع ، أي قسمة جديدة للشرق الأوسط بشروط أفضل للانجليز والفرنسيين والكف عن طردنا من المنطقة قبل الأوان * .

ولكن الوطنية المصرية العريقة ، تسامت فوق أحزان ومآسي وأخطاء وتنكيلات أربع سنوات وكشفت عن معدنها الأصيل في اللحظات المصرية ، والتفت حول عبد الناصر ، حول مصر التي كان يمثلها عبد الناصر في تلك اللحظة . ولم تهتز شعرة في مصري والطائرات تضرب القاهرة ، والمظليون يهبطون في بور سعيد . والمصريون يرون أحداثاً من خارج عالمهم . . . وغزواً تقوم به أضخم امبراطوريتين . . . وقوات دولتين كان اسم احدهما يثير الرعب في آسيا وأفريقيا ، وإنذار منها يكفي للاستسلام ! .

فالاعتماد على القوى العالمية ، أو وضعها في الحساب ، ممكن ، بل وضروري أحياناً ، شرط أن يكون واضحاً أن الكلمة الحاسمة هي للقوى الذاتية أو المحلية .

وبنفس القوة لا يجوز أن تزور التاريخ وتنعامى عن الحقائق ، مما يؤدي إلى الجهل والتجهيل ليس فقط بتاريخنا بل لحسابات المستقبل . . . ومن ثم فعندما يصير هيكلاً على أن أمريكا كانت الشريك الرابع لبريطانيا وفرنسا وإسرائيل في معركة القناة . . . وهو من هو . . . علينا أن نحس رؤوسنا ونسأله ماذا يقصد . . . ؟ وماذا يريد فعلاً أن يخفي بهذا التزوير المفضوح . . . ٧٢

• كما حدث في اليريم حيث كانت القوة المحلية أضعف من أن تقدر على مواجهة العمل المسلح البريطاني .

إن عداء أمريكا لمصر وإضرارها بمصر أكبر وأوضح من أن يحتاج لتزوير ويكفي دورها في قلب التصارنا الوحيد على إسرائيل في عام ١٩٧٣ إلى هزيمة . . وإن كل مصري قتل منذ ١٩٦٧ إلى كامب ديفيد قتل بدولار أمريكي وسلاح أمريكي وربما يهودي أمريكي مرخص له بالقتال في جيش إسرائيل مع الاحتفاظ بجنسيته الأمريكية ، وأن المواطن الأمريكي تقتطع من ضريته أية مبالغ يتبرع بها لجيش إسرائيل الذي يقتل المصريين ، ويسد طريق مستقبلهم ، بل ويدمر فرصهم في هذا المستقبل .

نحن لا نحتاج إلى تزوير التاريخ إذن لنكره الاستعمار الأمريكي . . ولكن « هيكلم » وأمثاله يريدون أن يخفوا حقيقة يقزعهم ظهورها وهي أن المصالح الأمريكية والروابط الأمريكية كانت موجودة وملتبنة ومتفقة مع السياسة الناصرية في الفترة من ١٩٥٢ وربما إلى ١٩٦٥ بدرجات متفاوتة ، ومع استمرار تباعد محوري التلاقي ، الذي بدأ ملتحمًا في ١٩٥٢ ووصل ذروة التعانق في ١٩٥٦ في معركة القناة . . ثم بدأ في الانفراج والتلاقي المضطرب إلى أن تمت القطيعة في ١٩٦٥ .

أما فريق الماركسيين فهم يريدون من ناحية تغطية خطبة تعاونهم بل فنائهم في النظام الناصري ، ومن ثم يزعجهم الاعتراف بأنهم حلوا تنظيماتهم استجابة لمطالب نظام بدأ مع الأمريكان . . كما يرون - عن حق - أن إبراز الدور الأمريكي في معركة القناة ، يقلل من أسطورة الإنذار الروسي ، ومن التأييد الحقيقي الذي قدمه ، الاتحاد السوفييتي لمصر والذي لم يكن ليحقق أكثر من الذكرى الطيبة لولا الموقف الأمريكي ، ومن ثم فهم يخفون الموقف الأمريكي لأسباب روسية .

وهكذا نرى مؤلف مسلسل « ثورة ٢٣ يوليو » يتحلل بحياء العذراء الحامل وهو يحلل الموقف الأمريكي قائلا : « ولكن السياسة الأمريكية لم تكن تجاري حدة الرغبة الفرنسية والانجليزية في الوصف (هكذا وربما كانت صحتها العنف العصف وفسدت من الاضطراب في نفسية الكاتب وهو يعرف أنه غير صادق مع نفسه أو عاجز عن فهم الموقف ج) بجمال عبد الناصر لاقترب موعد الانتخابات الأمريكية وحرص ايزنهاور على عدم الدخول في مناورات تعرض موقفه الانتخابي للضعف » .
ما تأثير عبد الناصر في الانتخابات الأمريكية ؟!

بالعكس إن جميع الدراسات والتحليلات تؤكد أن ايزنهاور خاطر بتحدي قوى لها وزنها في الناحيتين بتأييده عبد الناصر في معركة القناة . . ومعارضة بريطانيا وفرنسا . . وإسرائيل بالذات . ٨٢ . ومازال يضرب به المثل ، على أن « اللوبي اليهودي » ليس بالقوة الحاسمة في الانتخابات الأمريكية ، - كما هو الشائع - إذا ما وجد رئيس أمريكي قوي ، يتبنى مصالح أمريكا الأساسية والحقيقية . . تلك المصالح التي كانت تتفق تمام الاتفاق مع طرد بريطانيا وفرنسا من المنطقة في ذلك الوقت . وقد راهن ايزنهاور على « أصحاب المصالح الحقيقية »

الذين كانوا مع النزاع الفتاة من الاستعمار القديم كصفة أخيرة لهذا الاستعمار في شرق البحر الأبيض وإزالة سيطرته على ممر حيوي عالمي ، وممر أساسي للنفط الأمريكي - الخليجي .
ويظهر تهاافت محاولات هيكل عندما يحاول تفسير الموقف الأمريكي بأنه كراهية شخصية بين دلاس وايدن فيقول : « كان ايدن لا يتفق بدلاس ، بل كان يكرهه ، وكان الشعور بين الاثنين متبادلاً » .

ولن نقول إن سياسة الدول الكبرى لا توجهها الأمزجة الشخصية * . بل سنقدم الأدلة على أن دلاس بالذات كان أكثر الأمريكيين قرباً للموقف البريطاني ، وأكثرهم تحمساً ضد عبد الناصر وأنه ما أفلت مرة من قبضة « الجهاز الأمريكي » إلا ولحبط السياسة الأمريكية بتعاونه مع الانجليز والفرنسيين ** .
ويعود هيكل فيعلن حيرته :

« كان موقف الولايات المتحدة الأمريكية في مناقشات مجلس الأمن باعثاً على الحيرة ، فالولايات المتحدة كانت تتبنى مواقف بريطانية وفرنسية المعادية لمصر ولجمال عبد الناصر ، ولكنها كانت تحاول إفراغ المواقف من احتمال استعمال القوة المسلحة ، لأن ذلك قد يؤدي إلى تصادم بينها وبين الاتحاد السوفيتي ثم إنه كان يسيء إليها عربياً ودولياً أن تؤيد عملية عسكرية يحركها منطق القرن التاسع عشر ، ويحكمها أسلوب « دبلوماسية المدافع البوارج » .
وهذا تزوير ومحاولة خبيثة لتبرئة ساحة الأمريكان من الأطماع واستعمارية القرن التاسع عشر ودبلوماسية البوارج . . وأي صورة أنبل للموقف الأمريكي من أنه كان منطلقاً من « الحرص على السلام العالمي » ورفضاً لدبلوماسية البوارج !

والولايات المتحدة لم تتردد في المخاطرة بحرب عالمية في كوريا قبل سنوات ، بل وكان الشبح المخيم على عملية التأميم هو الخوف من دبلوماسية البوارج التي استخدمتها أمريكا ضد جواتيالا . . حتى فقد عبد الناصر أعصابه وصرخ في أحد زواره « هل ستحدثني أنت أيضاً عن جواتيالا ؟ »

فأحدث نموذج لدبلوماسية البوارج ومنطق القرن التاسع عشر كان النموذج الأمريكي . . بل كان الانجليز يشهدون بعملية جواتيالا كلها حذرهم الأمريكان من دبلوماسية البوارج .

الولايات المتحدة لم تكن تخشى أو تتوقع صداماً مع الاتحاد السوفيتي في مصر ، فلم يكن المطلوب منها أن تتدخل عسكرياً ، حتى تتوقع مجابهة مع روسيا ، بل كان يكفي أن تترك الانجليز والفرنسيين يقومون « بالمهمة القذرة » وما من دليل واحد على أن الاتحاد السوفيتي

* انظر أيضاً أبحاث « هيكل » حول دور زوجة ايدن وعجزه الجنسي في حرب الفتاة 11

** أشرنا في فصل السد العالي إلى رأي المخابرات الأمريكية في تعاطف دلاس مع الانجليز .

كان جاداً في استخدام القوة ضد بريطانيا وفرنسا في معركة القناة . . . وإنما كان الأمر كله تصعيدياً في المواجهة السياسية ، والإنذار السوفييتي إياه لم يقدم إلا بعدما تأكد أن الولايات المتحدة معارضة للتحرك الأنجلو- فرنسي بكل قواها ، بل وبعد أن نجح هذا الموقف الأمريكي في إنهاء العمليات العسكرية . . . وهذا كلام عبد الناصر نفسه ولا يفتي هيكل وعبد الناصر في المدينة . . . أو هكذا المفروض .

ولو كان الغزو الأنجلو- فرنسي ، يخدم المصالح الأمريكية ، لما ترددت الولايات المتحدة في دفع بريطانيا وفرنسا لاستخدام القوة المسلحة ، ويكفيها الاستنكار أو اتخاذ موقف ملهي لشل الاتحاد السوفييتي ، وهي لم تتردد في استخدام القوة المسلحة في جواتمالا . . . ثم أرسلت البوارج إلى لبنان مع إنذار بتدمير مصر إذا ما تعرضت لسلامة جندي أمريكي واحد ، وأيدت النزول البريطاني في الأردن عندما لاح خطر الوحدة العربية الحقيقية (١٩٥٨) ولم تهتم بمخاطر حرب عالمية ثالثة . ولا نطق الاتحاد السوفييتي بحرف ! فهو يعرف جيداً متى يصمت ومتى يحمل توجيه الإنذارات . ونفس الشيء في حرب ١٩٦٧ والاتحاد السوفييتي يرى انبيار كل استثماراته في العالم العربي ، على يد إسرائيل الغازية وتمت المظلة الأمريكية ، فلم يحرك ساكناً .

هذا المنطق الهيكلي يهدف إلى إخفاء علاقة الناصرية بالأمريكان في هذه الفترة ، ويهدف أكثر إلى تبرئة ساحة الأمريكان من النزعات الاستعمارية . . . أما التفسير الصحيح ، فهو أن الولايات المتحدة كانت تريد وراثته الشرق الأوسط بتصفية الاستعمار القديم ، وإخضاعه للاستعمار الجديد ، وما كانت تسمح بعودة الاستعمار القديم . . . وهدم كل ما حققته أمريكا في ١٣ سنة منذ رحلة روزفلت إلى العالم العربي . . . وهذا ما قاله شيلوف لمحمود فوزي : « الأمريكيون يريدون الحلول محل الانجليز والفرنسيين »^٣ وما قاله سلوين لويدي « يريدون طردنا من المنطقة قبل الآن » .

ولكن الفكر المتأمرک والمتعركس يلتقيان في نفي شبهة المصلحة الاستعمارية عن الأمريكان تحت غبار سب الولايات المتحدة واتهامها بالتأمر والخداع . . . الخ وفي النهاية نجد لها طاهرة الذيل ، عارضت العدوان حماية للسلام العالمي ، أولاً كسب انتخابات الرئاسة أو رفضاً لدبلوماسية البوارج . . . وينسى الماركسي ما قاله شيلوف ، ويخفي المتأمرک شهادة سلوين لويدي والوثائق الأمريكية ذاتها . . .

نقف أولاً أمام نصين من مذكرات « سلوين لويدي » يبدو فيها شديد البراءة أو البلاهة في محاولة مفضوحة لستر الحقيقة . . . فهو يعلق على خطاب عبد الناصر يوم التأميم : « في ٢٦ يوليو بالأسكندرية ، كانت بريطانيا هي الهدف الرئيسي لهجومه ، مع أن أمريكا هي التي وجهت الصفعة . وهذا التركيز على بريطانيا يثبت أن الخطاب كان معداً منذ وقت طويل » .

ويمكن القول إنه كما كان التأميم مجرد تعلقة للقرار البريطاني المسبق بضرب مصر وعبد الناصر ، فإن سحب تمويل السد العالي كان أيضاً مجرد حجة بالنسبة لقرار التأميم المسبق .

والصدام البريطاني - الناصري سابق على التأميم ، وسلوين لويد هو الذي قال : يجب ردع عبد الناصر إذا كنا نريد بقاء نفوذ بريطانيا في الشرق الأوسط وشرق أفريقيا ^٤ .

فالفرضية لم تكن أسهم بريطانيا في شركة قناة السويس ، بل الوجود البريطاني كله في الشرق الأوسط وشرق أفريقيا . . . وعبد الناصر أخرج الانجليز من مصر والسودان ، وسلوين لويد قد نسب لعبد الناصر - وهذا صحيح إلى حد كبير دون إغفال الحركة الوطنية الطبيعية المتصاعدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والتي فجرها قرار حكومة الوفد بإلغاء المعاهدة ، ثم تأميم مصدق للنقط الإيراني - كل مناعب بريطانيا ، وكل الإذلال الذي نزل بها من طرد جلوب ، إلى إلقاء التراب في وجه سلوين لويد ، واختفائه في البحرين حتى أمكن تهريبه ليلاً إلى المطار . . . والسفير البريطاني في مصر كتب لوزير خارجيته (لويد) قبل التأميم يقول : « في حياتي لم أقرأ سباً وإهانة لبريطانيا مثل المنشور في الصحافة المصرية خلال الشهور الأخيرة » .

وسلوين لويد هو الذي قال إن « عبد الناصر هو العدو الأول لبريطانيا » . . . وكل عملاء بريطانيا في المنطقة كانوا يجأرون بطلب ضرب عبد الناصر ، وإلا فإن سلطتهم بل حياتهم مهددة بالخطر طالما ظل رعاياهم يسمعون هذا الصوت العربي يسب بريطانيا ويهين حكومتها ، ويسجل عليها الانتصارات ولوبالخطب ويبقى سليماً بل وتزداد مكانته ويخطب وده . . . وهم - كما يعرف رعاياهم - يلعبون أحذية الانجليز .
متحيل .

ولذلك فإن قرار المواجهة كان سابقاً على التأميم . . . والمنطقة لم تكن تتسع لعبد الناصر والاستعمار البريطاني بصيغته القديمة ، وعملائه من طراز نوري السعيد والمتنصر واسكندر ميرزا . . . وعبد الناصر كان يعرف أنه لا يستطيع التوقف عن تصفية الوجود البريطاني . . . ومن ثم فلا غرابة في أن تكون بريطانيا هي المستهدفة في خطاب الأسكندرية (١٩٥٦/٧/٢٦) وأن تتخذ بريطانيا على الفور قراراً بالغزو . . . أي الوصول بالمواجهة إلى الذروة . وصلنا إلى رأي في هذا الموضوع نعتقد أنه يستحق المناقشة سنعرضه في نهاية هذا الحديث .

وهو سلوين لويد الذي قال : « الذين يقولون إن السويس كانت مزلقاً في تاريخنا ، لأننا تصورنا أن بريطانيا تستطيع أن تتصرف عالمياً بإرادتها المفردة ، يخطئون . فنحن لم نكن نجعل حقيقة وضعنا أما الخطأ الوحيد الذي وقعنا فيه ، فهو أننا لم نتوقع أبداً الإجراءات التي يمكن أن تتخذها الولايات المتحدة ضدنا ، فقد كنا تحت تأثير صداقتنا مع أيزنهاور خلال

الحرب ، ونعتقد أن خلافاتنا تدور في نطاق العائلة ، ولا يمكن أن تصل إلى حد تحطيم الروابط العائلية . . فلم يخطر ببالنا أبداً أن الأمريكان يمكن ألا يفتقروا في صفنا أو على الأقل يتخذون موقف الحياد الودي . ٢ .

وقد يبدو وزير خارجية بريطانيا هنا مغفلاً . . وهو الذي يعرف بالانقلابات المضادة التي دبرتها بريطانيا وأمريكا ضد بعضها في سوريا ، وبالحلاف حول « البورمي » الذي رفض الانجليز مجرد الحديث فيه ، وفي مواجهة ايزنهاور شخصياً ١ . . وهو الذي أشار إلى العداء والتنافس الامبريالي مع الأمريكان في أكثر من موضع كما ترى . . قد يبدو مغفلاً ثاماً وهو يتحدث عن « الحلاف العائلي » ولكن الحقيقة ، أن السياسة البريطانية أخطأت الحسابات ، إذ راهنت على توريط الأمريكان أو فرض الأمر الواقع عليهم . . في ظل قواعد الصراع داخل عائلة « حلف الأطلسي » أو العالم الحر كما كانوا يسمون أنفسهم ، والتي تقتضي عدم الضرب تحت الحزام ، وحفظ مظاهر « التضامن » .

بريطانيا كانت تعرف أنها تقاتل في حرب القناة ، معركتها الأخيرة للبقاء في المنطقة ومنع الأمريكان من « إخراجهم منها قبل الأوان » والذي تجل في زيارة روزفلت لمصر واجتماعه بالملك فاروق والملك عبد العزيز ، وملاحقة تشرشل له على نحو كوميدى . . ثم تصريح ترومان عن فتح باب الهجرة لفلسطين ، ثم إخراجهم من فلسطين وسياط اليهود على مؤخرتهم ، وما من قوة كانت تخرج بريطانيا من فلسطين إلا الضغط الأمريكي . . ثم الضغط عليهم لقبول الجلاء عن مصر والتخلي عن السودان الذي كان الانجليز لا يفكرون في قيام حكم ذاتي فيه تحت إشرافهم قبل عشرين سنة ! . . كانت بريطانيا تحلم بضرب أو وقف هذا الزحف الأمريكي بإعادة احتلال مصر ، ووضع الأمريكيين أمام الأمر الواقع ، فيضطرون إلى « الحياد » أو حتى التأييد اللفظي . . في انتظار جولة أخرى . . ولكنهم أخطأوا الحساب ، فالوضع لم يكن بالسوء الذي ظنوه بين الروس والأمريكان . . والولايات المتحدة لم تكن أقل منهم وعياً بخطورة الوجود البريطاني في قناة السويس ، أو بالأحرى مصر . . كما كانت على وعي بضعف بريطانيا وفرنسا ، وعجزهما عن اتخاذ إجراءات انتقامية ضد الولايات المتحدة أو حتى حلف الأطلسي ، وقد رفض أعضاء مجلس الوزراء البريطاني حتى التعليق على اقتراح سلوين لويد بعد الهزيمة ، بالانتقام من أمريكا ببناء أوروبا المستقلة . هذا لم يتردد الأمريكان في العمل علناً على إفشال الغزو البريطاني ، ولم يهتموا حتى بشكليات العلاقة العائلية ١٩ . .

وكان هذا من حسن حظ مصر والأمة العربية وعبد الناصر بالطبع . .

أما من ناحية الأمريكان فهم أيضاً في البداية لم يتوقعوا أن تكون ردة الفعل البريطانية بهذا الحجم . . أو كما يقول سلوين لويد : « وفي اعتقادي أنه في ٢٧ يوليو بدا لكثير من الأمريكين أن (التأميم) مجرد صفقة لمؤسسة استعمارية عجوز . ولم يكن بعينهم أي إجراء

بحسن وضعنا مع الدول العربية ، أو بدعم مركز فرنسا في الجزائر . . . وكان ايزنهاور يكن شعوراً متناقضاً نحو بريطانيا بحكم روابط فترة الحرب ، ومن ناحية أخرى تسبب عليه كراهية عميقة متصلة لسجلنا الاستعماري ٦٠ .

ورغم مرور ربع قرن فإن الوطني المصري يحس برعشة اللذة وسلوين لويد يكي . .
قائلاً :

« سجل مورفي (روبرت) - وهو أكثر دبلوماسي أمريكي استقامة واعتدالاً واتزاناً تعاملت معه - في كتابه المناقشات التي دارت في واشنطن يوم الجمعة ٢٧ يوليو بعد خطاب عبد الناصر (التأميم ج) فقال إن دلاس كان في « بيرو » فاجتمع ايزنهاور وهربرت هوفر الابن وكيل وزارة الخارجية ومورفي ، اجتمعوا لبحث ما حدث . وقد كتب مورفي إن ايزنهاور لم يكن مهتماً كثيراً ولم يفكر أحد في أن الأمر يحتاج استدعاء دلاس ، فالشرق الأوسط لم يكن يعتبر ذا أهمية أولوية للولايات المتحدة (١٩٩ ج) والاستثمارات الأمريكية في شركة قناة السويس لا تذكر . . بل كان بوسعي أن أسمع هوفر^{٦١} يقول ذلك (١) . . ونقرر أن يذهب مورفي إلى لندن ليرى ما هذه الضجة ؟ وعلام ؟ . . وليسليط على الوضع . . »

« وهكذا بعد ستة أشهر من حوارٍ مع دلاس حول ناصر^{٦٢} والخطر في الشرق الأوسط ، فإن هذه اللامبالاة من جانب ايزنهاور كانت كافية لدفع المرء للبكاء .
سلامة قلبك ياخواجه لويد . . السياسة هكذا . . قطع قلبه الأمريكيان !

ويقدم لنا شو كيرج صورة تثير البكاء حقاً ، للأسلوب الذي عامل به الأمريكيون الانجليز في قضية « ناصر » فقد روي أنه في خلال اجتماع قمة بين ايزنهاور وايدن ، (٣٠ يناير ١٩٥٦) أبلغهم « أنه يفكر في تحريك القوات الجوية والبحرية في البحر الأبيض كرادع لإسرائيل يشبها عن العدوان . وكان واضحاً أنه يستمتع بذلك . . ثم ناقش رئيس الوزراء وايزنهاور موضوع ناصر وهنا قال الرئيس : جنسه ايه ؟ ناصر ده ١٩ » فرد سلوين لويد : إنه طموح يطمع في امبراطورية من الأطلسي للفرسي تحت قيادته . . ورد ايزنهاور : وهل يتوافق ذلك مع رغبة العرب الآخرين . . على أية حال السؤال المهم هو هل ناصر مع السوفييت ؟ لأنه إذا ثبت ذلك فلما أن تساعد إسرائيل أو تساعد العرب الذين لا يحبون مصر . . »

وتصل الملهاة ذروتها عندما يتنهز ايدن الفرصة ، فيشير إلى خطاب ناصر السيء الذي ألقاه بالأمس ويؤكد أنه رجل يصعب التعايش معه . .

فرد ايزنهاور : ربما ليس لديه مساعدون أكفاء يراجعون خطبه !
ويقول شو كيرج : وساد الصمت !

وهذا الذي يسميه « سلوين لويد » « لامبالاة أمريكية » بالشرق الأوسط بطرح له « مورفي » تفسيراً آخر ذكره في كتابه « دبلوماسي بين محاريين » عندما قال : « كان ايزنهاور

مصمماً على ألا تستخدم الولايات المتحدة كمخلب قط لحماية امتيازات بريطانيا النفطية
« ويعلق سلوين لويدي على هذه الفقرة بقوله : « وكان هذا هو الموقف الذي حاز في
نفسنا » ١١

ويعود فيقول إنه رغم جهوده في توضيح « خطورة عبد الناصر » الذي إذا لم يردع فإنه
يستطيع أن ينزل الدمار بمصالح الغرب . « إلا أن أبرزهاور وقتها كان متأثراً بمشاعره المعادية
للاستعمار وبتيحيز « هوفر » ضد الامتيازات (البريطانية - الفرنسية) في الشرق الأوسط .
وقد اجتمع حلف الأطلنطي وحرصت الولايات المتحدة على عدم الاشتراك فيه على
مستوى وزير الخارجية . بل أرسلت موظفين عاديين ، يقول سلوين لويدي إنهم لم يتحدثوا
ولا علقوا . . واستطاعت بريطانيا وفرنسا انتزاع قرار من حلف الأطلنطي بعدم دفع الرسوم
لمصر والتزم بالقرار بريطانيا وفرنسا (وهما من الأصل يدفعان خارج مصر) وهولندا والنرويج
وألمانيا ، ولكن أمريكا نسفت القرار ، فقد رفضت تنفيذه أو الالتزام به ، وأعلن دلاس « أن
قناة السويس لا تحتل مركزاً رئيسياً من اهتمام الولايات المتحدة » .

وكان هذا بالطبع أول تأييد علني لعبد الناصر ، ففيه اعتراف بالتأميم ، وفيه تنفيه
للمهستيريا الأنجلو - فرنسية التي كانت تصرخ بأن هتلر مصر وضع أصبعه على القصبة الهوائية
للغرب . . إلخ فجاء دلاس يعلن أن أمريكا غير مهتمة بالموضوع بل وسمحت الحكومة
الأمريكية لرعاياها بالعمل كمرشدين في قناة السويس المؤتمة ، بعدما أمرت الشركة
الاستعمارية مرشدتها بالانسحاب بأمل تعطيل القناة ، وكانت « مشكلة » المرشدين تصور
وقتها وكأنها جوهر المعركة . . وأنها تحتاج لخبرات هائلة يستحيل توفيرها . . وهو تصور ثبت
أنه مبالغ فيه ولكنه جعل مصر تطلب من كل أصدقائها إمدادها بالمرشدين ، فجاءوا من
روسيا ويوغوسلافيا واليونان . . وأمريكا . . وعمل المرشدون السوفيت والأمريكان « على
الدقة » جنباً إلى جنب^{١٢} ، وهو تعاون لم يشهد العالم له مثيلاً إلا عند قيام دولة إسرائيل ،
ومكافحة شلل الأطفال ! ومستمع دائرة هذا التعاون في الأمم المتحدة والاندازات لحسم
مستقبل الشرق الأوسط ، ووضعه تحت هيمنة العملاقين حقاً ، لا تاريخياً !!

وقد تمجلت « لامبالاة » الأمريكان في دعوتهم لدفع الرسوم لمصر . . ورداً على هذه
« اللامبالاة » اتخذ الانجليز نكتيك « تخويف » الأمريكان وإقناعهم بأنهم جادون في
استخدام القوة لإجبارهم على الدعم أو الضغط على عبد الناصر ولما تأكد الأمريكان أن
الانجليز (والفرنسيين) مصممون على اللجوء إلى السلاح . . اتبعوا معهم نكتيك كسب
الوقت ، على اقتناع بأنه كلما أسر الوقت واكتشف العالم أن القناة تعمل كما كانت بالنسبة
لدورها كممر عالمي ، وشريان النفط والتجارة لغرب أوروبا ، مع الدعاية الأمريكية
والروسية ، والانقسامات الحزبية داخل فرنسا وبريطانيا ، فإن مبررات استخدام القوة
ستتناقص وكذلك التأييد لها من قبل الأمن العام الأوروبي . .

وهذا ما يفسر تاكيدات الطرفين في الفترة من التأميم إلى مجلس الأمن . . مع حرص الأمريكيان على تقوية المعارضة لقرار استخدام القوة بالتأكيد على انفصال الموقف الأمريكي وتناقضه مع الموقف البريطاني - الفرنسي ، وأيضاً الحرص على دعم موقف عبد الناصر ضد أي ضغوط بريطانية - فرنسية . .

« في لندن أبلغهم مورفي أن الرأي العام الأمريكي غير مستعد لقبول فكرة استخدام القوة . وأنه يعتقد أن السفن الأمريكية يجب أن تدفع الرسوم لمصر . . فهي رهينة » .
وينفي سلوين لويد ما يقال عن « نجاح مورفي في كبح جماحنا » . . وهو يغالط . . فهو لم ينجح في « منعهم » ولكن أصر الإجراء عندما نقل إلى أيزنهاور الجو المحموم في لندن ، والحديث عن الحرب ، وعندها تقرر أن يرسل دلاس إلى لندن فوراً . . وشعر الانجليز بالرضا عن النفس لأنهم نجحوا في « تخويف » الأمريكيان وإثارة اهتمامهم . وسجل « ماكميلان » في يومياته يوم ٣١ يوليو ١٩٥٦ : « يبدو أننا نجحنا من خلال إفراغ مورفي ، الذي لا بد أنه رفع تقريره بالروح التي أردناها . لأن فوستر دلاس قادم الآن على عجل . وهذا تطور مهم جداً . » وعندما قابل ماكميلان دلاس كتب في يوميات أول أغسطس ١٩٥٦ يقول : « يجب أن نبقى الأمريكيان خائفين ، يجب ألا نترك لديهم أي وهم . . وعندها سيساعدوننا في الحصول على ما نريد دون حاجة لاستخدام القوة » .

موقف إلقاء ماء بارد على الأزمة الذي لجأ إليه الأمريكيان في البداية لم ينجح . . وأيضاً لم ينجح الانجليز في إرهاب أو إخضاع الأمريكيان ، وإن نجحوا في إثارة قلقهم ، ودفعهم إلى تغيير خططهم ، فأرسلوا « دلاس » نفسه وبخطة واضحة هي الماطلة وكسب الوقت ، ومنع « الحلفاء » من التصرف أو اللجوء إلى الحل الوحيد الذي يعيد لهم ما فقدوه في الشرق الأوسط . . وهو « دبلوماسية البوارج »

وهذا ما سجله « سلوين لويد » نفسه بعد عشرين سنة عندما قال : « كان واضحاً أن « دلاس » يلعب لكسب الوقت » .

طار « دلاس » إلى لندن يوم ٣١ يوليو ، وحضر في اليوم التالي إلى وزارة الخارجية البريطانية وسلم رسالة « لايدن » من « أيزنهاور » اعترف فيها أنه قد يكون من الضروري استخدام القوة لحماية الحقوق الدولية ، ولكنه يأمل أن يتمكن مؤتمر الدول الموقعة لاتفاقية ١٨٨٨ والدول البحرية الأخرى من تحقيق الضغط المطلوب على المصريين من أجل ضمان كفاءة تشغيل القناة في المستقبل . وأكد على خطأ الإصرار على استخدام القوة في الوقت الحاضر . أما إذا تدهور الوضع إلى الحد الذي يتحتم فيه استخدام القوة ، فسيلزم دعوة الكونجرس قبل استخدام القوات الأمريكية العسكرية . على أن يقتنع الكونجرس بأن كل الوسائل السلمية لحل الصعوبات قد استنفدت . وأضاف إنه فهم من الرسائل التي أرسلها له لايدن وماكميلان أن قراراً باستخدام القوة قد أقر بالفعل من جانب الحكومة البريطانية وأنه

لا نهائي ولا رجعة فيه . ولكنه (ايزنهاور) يأمل إعادة النظر فيه ولذلك أرسل « دلاس » إلى لندن .

ويضيف « سلوين لويد » : « لم أصدق أن دلاس ، فكر لحظة واحدة ، أننا سنستخدم القوة في الحال ، ولذلك كان تناوله للموضوع معقولاً ، فقد قال إنه لا بد أن « يطفح » عبد الناصر القناة التي ابتلعها ، وأنه لا يعقل أن تخضع القناة لسياسة دولة واحدة بدون رقابة دولية . ولا بد من اكتشاف وسيلة لإجبار عبد الناصر على تسليم القناة ، ولكن القوة يجب أن تكون آخر وسيلة . وإن كانت الولايات المتحدة لا تستعدها ، إذا ما استفدت كل الوسائل الأخرى . . . » ولكن لما انتقلنا إلى مناقشة التفاصيل ، كان واضحاً أنه يلعب على كسب الوقت ، فقد كان يعتقد أن المؤتمر سيحتاج لثلاثة أسابيع للإعداد له . ولم يكن يتصور أنه يجب أن يعقد في لندن أو باريس أو واشنطن . . . وكان متشككاً في جدوى إصدار بيان ثلاثي عقب محادثتنا هذه . أما عن عضوية المؤتمر فكان مصمماً على دعوة الدول الموقعة على اتفاقية ١٨٨٨ إلى جانب آخرين .

جاء « دلاس » لكسب الوقت والمحاولة ، وهذا يتطلب بالطبع بعض التأييد اللفظي ، وإن كان قد قاوم إلى آخر لحظة إعلان ذلك في بيان ثلاثي ، وكانت « اللعبة » التي جاء بها هي اقتراح مؤتمر لندن ، بأمل أن يستغرق الإعداد له والخلاف حول المقرر ، والدول المشتركة ، وبرنامج العمل ، وبرنامج المؤتمر . . . ثم الخطب بداخله . . . ما يكفي من الوقت لتبريد الانفعال البريطاني ، كذلك دق دلاس أو الدبلوماسية الأمريكية ، إسفيناً ممتازاً في المؤتمر بالإصرار على دعوة الدول الموقعة لاتفاقية ١٨٨٨ وهذا يعني ، كما فهم الانجليز ، دعوة روسيا ، التي وقعت هذه الاتفاقية عام ١٨٨٨ بينما كان الانجليز يريدون المؤتمر - إذا كان لا بد من مؤتمر - مقصوراً على الدول الغربية ، أو الدول التي تعتمد أساساً على القناة ، وهذا يستبعد روسيا المؤيدة لعبد الناصر . . . وهذا الإصرار الأمريكي على تمثيل روسيا في مؤتمر لندن مؤثر مهم لفهم دبلوماسية المرحلة لمن أراد أن يفهم . . .

وإذا كان « دلاس » قد سقاهم من طرف اللسان حلاوة ، بالحديث عن « تطفح » عبد الناصر القناة والبحث عن أسلوب يرغمه على إرجاعها لهم . . . إلا أن رسالة ايزنهاور المكتوبة « كانت واضحة :

- ١ - الرجوع عن قرار استخدام القوة .
- ٢ - هدف المؤتمر والضغط على المصريين هو ضمان « كفاءة تشغيل القناة » لا إلغاء التأميم ولا « تطفح » عبد الناصر القناة . . . ولا إرجاعها لهم . . .

ونجحت الحطة الأمريكية وبدأ الإعداد للمؤتمر ، ولكن الدبلوماسية البريطانية نجحت في تخفيض الوقت الضائع ، بل والخروج من المؤتمر بنتائج أفضل بكثير مما توقع الأمريكيان . . .

وقد لحص سلوين لويد الانطباع البريطاني حول مؤتمر لندن ، أو اقتناعهم بأنهم كسبوا الجولة ضد الأمريكان بقوله :

« بعد انتهاء مؤتمر لندن جاءني دبلوماسي صديق من دول الكومنولث وسألني . . لماذا تركتم زمام القيادة للأمريكان . . ففتحت عيني ومست لنفسي بالمثل القائل : Artest : celar artem « أي الفن الحقيقي هو الذي لا يظهر الفن فيه ، فالحقائق كانت كالتالي :

١ - المؤتمر عقد في لندن ، وهو ما كنا نريده ولا يريده الأمريكيون .

٢ - توليت رئاسة المؤتمر وهو ما كنا نريده ولا يريده الأمريكيون .

٣ - دفعنا دلاس إلى عرض القرار الثلاثي وهو آخر ما كان يفكر فيه قبل عشرة أيام .

٤ - وكانت نتيجة المؤتمر قراراً مرضياً تماماً لنا ، وبأغلبية ١٨ صوتاً من اثنين وعشرين .

وهذه النتيجة جاءت بفضل جهد كبير في الإعداد والمعالجة الحذرة للوفود (عملت الدبلوماسية البريطانية والمخابرات البريطانية والضغط في العواصم المعنية والرشوة عملها وأيضاً غموض الموقف الأمريكي أو على العكس ظهور الوفد الأمريكي في مظهر المؤيد للانجليز ولكن أهم ما في عرض وزير الخارجية البريطاني أنه قائمة بما أحرزته من انتصارات على الأمريكان . ج) .

انتهى المؤتمر في ٢٣ أغسطس ١٩٥٦ بما يمكن وصفه حقاً بانتصار بريطاني - فرنسي . . بقرار ضد مصر في شكل إنذار تبلغه لجنة دولية تتكلم باسم ١٨ دولة من اثنين وعشرين ! . . . وسواء قلنا إن دلاس قد سابرهم كسباً للوقت ، فالقرار على أية حال كان للتفاوض وليس بالحرب . . أو أن الدبلوماسية البريطانية استطاعت تطبيقه ١٣٢ وزحلقته خطوات أكثر مما تقتضيه لعبة كسب الوقت . . فإن الإدارة الأمريكية سرعان ما أصلحت الموقف ونسفت كل نتائج مؤتمر لندن . .

اندفع « لويد » بضائع كمية الصابون تحت قدم « دلاس » فأبرق إليه يشكره على معالجته الأستاذية لقضيتنا في مؤتمر لندن ، وأضاف : « تحت قيادتك اعتقد أننا سنحرز المزيد من النجاح » .

كان نجاح بعثة « منزيس » يتوقف على اقتناع عبد الناصر بحقيقتين : أن بريطانيا وفرنسا مصممتان على استخدام القوة . وأن الولايات المتحدة لا تعارض ذلك . . وهذا هو عين ما حرصت الولايات المتحدة على نفيه علناً ! وإليك القصة كما يرويها سلوين لويد :

« اجتمع منزيس بعبد الناصر في ٣ سبتمبر (١٩٥٦) وفي اليوم الثاني في مساء ٤ سبتمبر قدم له منزيس الموضوع باسم اللجنة ، واستمع إليه عبد الناصر . وكان منزيس قد قرأ في الصحف أن عبد الناصر أبلغ قياداته العسكرية أن الحشود الانجليزية والفرنسية هي مجرد تهويز . فطلب منزيس الاختلاء به ، وقال له إنه لا يبدده ، ولكنه يحذره من أنه يرتكب

خطأ فادحاً ، لو استبعد إمكانية العمل العسكري . . ورد عبد الناصر إنه لا يعتبر هذا تهديداً من منزيس وأنه سيضعه في اعتباره . وفي صباح اليوم التالي كانت الصحف تحمل العناوين المثيرة . فقد مثل ايزنهاور في المؤتمر الصحفي عن إمكانية استخدام القوة ، فرفض ذلك بنائاً وبلا قيد ولا شرط (أي لا حل أول ولا حل أخير . ج) . ومثل ماذا يحدث إذا رفض ناصر المقترحات الحالية (التي قدمها منزيس) قال (الرئيس الأمريكي) : عندئذ يجب تقديم مقترحات أخرى ، وقال نحن ملتزمون بحل سلمي للنزاع ولا شيء آخر . وهذا بالطبع دمر أية فرصة كان يمكن أن تتاح لنجاح مهمة منزيس .

نجح منزيس في إقناع عبد الناصر أن الانجليز والفرنسيين سيستخدمون القوة ضده ، وأنه يخاطر بكل شيء إذا لم يقبل مقترحات لجنة الـ ١٨ . . ووعد عبد الناصر بالتفكير والرد . .

وعبد الناصر لا يخشى إلا استخدام القوة ، إذ أن أية وسيلة أخرى لن توغم مصر على تسليم القناة أو إلغاء التأميم أو الانتقاص من فعاليته . . وهنا وقبل أن ينسحب الوقت لعبد الناصر للتفكير بهرع « ايزنهاور » إلى مؤتمر صحفي علني ، يبلغ فيه عبد الناصر بل يلتزم فيه أمام العالم أجمع برفض استخدام القوة مهما حدث ، وبالذات إذا رفض عبد الناصر مقترحات منزيس . .

وبالفعل « رفض عبد الناصر مقترحات الـ ١٨ دولة في ٩ سبتمبر واقترح تشكيل هيئة مفاوضات » .

لا يمكن للمؤرخ حسن النية ، أن يستبعد هذا العنصر في إفشال مهمة لجنة منزيس ، وفشل مؤتمر لندن وسقوط المرحلة الأولى من المخطط الأنجلو - فرنسي . وتسمية أمريكا « الشريك الرابع » في حرب السريس ، وأنه كان تقسيم أدوار . . أو خوفاً من حرب عالمية ثالثة ، أو لحماية السمعة الطيبة لأمريكا غير الاستعمارية . . وغير ذلك من حجج العملاء . . الذين يمارسون لعبة ساذجة ، هي مدح أمريكا في صيغة الذم !

إنه صراع لصوص ، ولما اختلف اللسان فازت مصر بالقناة ولا شيء آخر . . بل تأمل كلمة مندوب الولايات المتحدة في لجنة منزيس أمام عبد الناصر كما أوردتها هيكل :

« أريد أن أوضح أن أمريكا ليست دولة استعمارية . وهذه هي سياستنا المعلنة منذ مدة . ولن نقبل الاشتراك في أية خطة استعمارية . وإني متأكد أنه لو شعرت الحكومة الأمريكية أن هذا الحل الغرض منه فرض حل معين على مصر لما اشتركت في هذه اللجنة . وكل ما في الأمر أننا نريد حلاً سلمياً بالمفاوضة ينمى مع السيادة المصرية » .

ولو راجعت كلمات مندوب أثيوبيا وإيران لوجدت مندوب أمريكا أكثر ثورية . بل لو كان هذا النص منسوباً لمندوب روسيا لما ظهر فيه كبير اختلاف . .

فهو يصنف بريطانيا وفرنسا كدول استعمارية ويبري، أميركا من هذا الدنس . . . ويشير إلى خطط استعمارية وهي التي نحاول فرض حل معين على مصر . . . ويعلم أنه يبحث عن حل سلمي يمشي مع سيادة مصر ولا يشير إلى « حقوق » أو ادعاءات أي طرف آخر ! حتى تحفظ حرية الملاحة الذي أورده مندوب أثيوبيا لم يتمسك به المندوب الأمريكي ولا طرحه !

ويقول « لويد » مرة أخرى والمرارة في فمه إن « ايزنهاور » بعث برسالة إلى « ايدن » يوم ٢ سبتمبر (١٩٥٦) يقول له فيها : يجب ألا يتخذ أي إجراء عسكري قبل استفاد جهود الأمم المتحدة ، فالرأي العام الأمريكي يرفض بلا مناقشة فكرة استخدام القوة ، وخاصة عندما يبدو أننا لم نستفد كل الوسائل السلمية التي يمكننا أن نحمي مصالحنا الحيوية . إن استخدام القوة العسكرية ضد مصر الآن قد يترتب عليه نتائج أكثر خطورة من مجرد تجميع العرب حول ناصر . . . ويضيف « سلوين لويد » بأن « ايزنهاور » كانت لديه الجرأة أو إن شئت الوقاحة ليقول في رسالته « إننا لسنا غافلين عن حقيقة أنه قد لا يكون هناك مفر من استخدام القوة » . . . وذلك قبل ٢٤ ساعة من وصول « منزيس » إلى القاهرة ليقدّم لعبد الناصر أول مقترحات منذ التأميم ، ولكن « ايزنهاور » رغم كل ما قاله (في رسالته لايدن) يقدم على عقد مؤتمر صحفي علني ، يعلن فيه رفض استخدام القوة إطلاقاً . وهذا التصريح دفع « عبد الناصر » إلى رفض دراسة المقترحات . وكذا إشارته إلى هيئة المستفيعين والأمم المتحدة . إذ بعد أيام قليلة بدأ « دلاس » يؤخر الحديث عن مجلس الأمن ، ويتراجع عن أي دعم سبق تقديمه هيئة المستفيعين .

كما تسلّم « لويد » رسالة من « دلاس » قال له فيها « إن الرأي العام العالمي سيتأثر لغير صالحنا بالأنباء التي أصبحت شائعة عن استعدادات عسكرية بريطانية - فرنسية وخطط لإجلاء الرعايا » .

« رفض ايزنهاور أن يدعم خطاب دلاس في مؤتمر لندن . ورفض أن يبذل أي جهد لاثام ناصر بأنه يسعى للمتعصب ، بل خفف عنه الضغط في أخرج لحظة » (لحظة تقديم إنذار الـ ١٨ دولة) .

« لو أن مسئولاً أمريكياً بارزاً أو اثنين تحدثا « لعبد الناصر » خلال وجود « منزيس » في القاهرة لكان ذلك كافياً لنجاحنا . ولكنهم ضللونا بمشروع جمعية المستفيعين وخاتونا كما أكد « مورفي » في كتابه .

أما مشروع هيئة المستفيعين ، فقصة أنه بعد أن أفشلت أمريكا نتائج مؤتمر لندن ومهمة لجنة منزيس ، وأنذرت وحذرت من اللجوء للقوة ، تقدمت بمشروع جديد لكسب الوقت ، وهو جمعية المستفيعين . . . أي تشكيل جمعية من الحكومات المنتفعة بالقناة ، تتولى إدارة القناة وتحصيل الرسوم . وهو الاقتراح الذي قبل إن دلاس خرج به من خلوته في جزيرة « ديوك » وورد في رسالة ايزنهاور . . . وقال دلاس على رواية لويد « إن الجمعية ستحصل الرسوم ،

وهكذا لا يستفيد ناصر من القناة ، بل يرى المال يتسرب من يديه (وهو يغني : يارب هل يرضيك هذا الظماً ؟ ج) . . . وبصرف النظر عن تشويه « لويد » لفكرة « دلاس » أو اقتراحه إلا أنه على حق عندما يقول إنه كان مجرد كسب للوقت . . .

قال « لويد » : « كنت على استعداد لقبول هذا الاقتراح على شرط أن نتأكد أولاً أن « دلاس » لا يمجرجرنا من اقتراح إلى اقتراح حتى يصبح من غير الممكن شن عملية عسكرية » .

« إن الدافع « لدلاس » لتقديم مشروع جمعية المتفعين هو ما وضعه « مورفي » في كتابه صفحة ٤٦٧ وهو أن « دلاس » كان يعمل في ظل تعليقات صارمة بمنع التدخل العسكري . ومن ثم كان عليه أن يشكر مشروعاً يؤخرنا ، وبالأذات عن التوجه لمجلس الأمن » « في ١١ سبتمبر أبلغ « ابدن » مجلس الوزراء البريطاني أن « عبد الناصر » رفض المقترحات جملة وتفصيلاً . وأن أمريكا تعارض بشدة استخدام القوة ، كما تعارض اللجوء إلى مجلس الأمن . ولذلك لم يبق إلا تجربة جمعية المتفعين ولكن نقطة الضعف في مشروع الجمعية ، أنها قد تكون ببساطة ، مجرد خدعة من « دلاس للتأخير » .

وقبلت بريطانيا - مكرهة - بحجارة خدعة « دلاس » في جمعية المتفعين ولكن بتفسيرها ، وهو أن الجمعية ستحصل كل الرسوم وذلك وحده يدفع « عبد الناصر » إلى رفضها ، والشرط الثاني أنها - أي الجمعية - ستستخدم القوة في فرض فكرتها وهي الاستيلاء على القناة وإدارتها ، وشق السفن طريقها في القناة رغم إرادة مصر ودون دفع رسوم لمصر . . . ولكن « دلاس » تراجع . . . ورفض هذا التفسير . . . وأبلغ « لويد » أنه يرى أن تدفع جمعية المتفعين تسعين بالمائة من الرسوم لعبد الناصر ولم تكن مصر في هذا الوقت - وبعد التأميم - تحصل أكثر من ٣٥٪ بل وأعلن أن جمعية المتفعين « هذه ولدت وستبقى بلا أسنان . . . وأن السفن الأمريكية لن تشق طريقها بالقوة ، بل ستطوف حول رأس الرجاء الصالح إذا ما سدت مصر القناة في وجهها . . . ولذا اقترح « هيو جيتسكيل » ساخراً أن نسمي « هيئة المتفعين برأس الرجاء الصالح » !!

يقول لويد « إن المأساة التي لعبت دوراً في إحباط المرحلة التالية كانت في تصديقنا أن « دلاس » يتصرف عن حسن نية باقتراح جمعية المتفعين وليس أنه مجرد طبع حصي لتعطيلنا » ١٢٢ .

وهو كذاب لأنه لم يصدق دلاس لحظة واحدة وإنما تخادع له . . . واستمر الحشد العسكري .

« أن يقترح دلاس تقسيم الرسوم بنسبة تسعين بالمائة لناصر ، الأمر الذي سيجعل ناصر يضحك على الدول الغربية ويدعي - عن حق - أنه حقق نصراً كاملاً . . . جعلني شديد الشاؤم من المستقبل ، إذ فيما يختص بموضوع الضغط على ناصر ، كانت الولايات المتحدة

هي الحلقة المكسورة رغم كلمات دلاس الشجاعة في مارس عن إسقاط عبد الناصر في سنة
شهور وتطفيحه القناة على حد قوله في أغسطس .

« لقد خلص ايزنهاور ودلاس ، ناصراً ، من أي قلق من إمكانية اتخاذ الولايات المتحدة
موقفا قويا ضده . وأصبح بوسعه أن يلعب أمنا على التناقض الروسي - الأمريكي .
وظهر عبد الناصر على التليفزيون الأمريكي « وبشر » دلاس « صديقه » سلوين لويد أن
عبد الناصر قد « ترك أثراً طيباً » !

ربما قالها له وهو يخرج لسانه !

نجح تكتيك جمعية المتفعين في تأجيل ذهاب الانجليز والفرنسيين لمجلس الأمن وهي
الخطوة قبل الغزو مباشرة في مخطط الدبلوماسية الانجلو - فرنسية . . . كنا نهدف إلى التوجه
لمجلس الأمن في بداية الشهر (سبتمبر) ولكن اضطررنا للتأجيل بسبب اقتراح هيئة
المتفعين . فقد حاولنا أن نلعب بإنصاف مع دلاس ، وكان دلاس قد وافقهم على اللجوء إلى
مجلس الأمن إذا ما رفض عبد الناصر مقترحات لجنة متريس ، بشرطين : ألا يعني ذلك
التزام الولايات المتحدة باستخدام القوة ، وأن يكون الذهاب لمجلس الأمن بنية شريفة
للوصول إلى حل .

وهذا يقول عنه الفقهاء تعليق الشرط بمستحيل ! فأن مثل ايدن وسلوين لويد وموليه
بالتوايا الشريفة !؟

ولكن بعد تقديم اقتراح جمعية المتفعين ، عارض دلاس بقوة في التوجه لمجلس الأمن ،
حتى يحسم أمر جمعية المتفعين . . . ! التي كانت قد بدأت اجتماعاتها يوم ١٩ سبتمبر في لندن
وحضرها ١٣ وزير خارجية من ١٨ دولة اجتمعت ، بل وأرسلت كل من نيوزيلندا وأستراليا
ممثلاً بدرجة رئيس وزراء سابق ، ويعلق سلوين لويد بخبث « أصحابنا كانوا يأخذون الأمر
على محمل الجد » !

ولكن بريطانيا وفرنسا كانتا تعلمان باللعبة الأمريكية . وقررنا أن الوقت قد حان للتصرف
المنفرد ، وأن ذمتها قد أبرئت . . فتوجهتا إلى مجلس الأمن يوم ٢٣ سبتمبر (١٩٥٦) وردت
مصر في اليوم التالي بتقديم شكوى هي الأخرى حول الإجراءات العدوانية . .

وقابل ماكميلان ايزنهاور لاستمراج رأيه في خطوة الذهاب إلى مجلس الأمن فحدثه
ايزنهاور في كل شيء . ولكنه لم يشرب حرف إلى قرار التوجه لمجلس الأمن ، ! وإذا كان ايزنهاور
قد تعفف عن الحديث في هذا الفعل الفاضح ، فإن دلاس كالالصاع صاعين لماكميلان :
« لقد توجهتم إلى مجلس الأمن دون مشاورة معي . . وأنا أحس أنني عوملت بشكل
سيء . . » وإننا لن نجني إلا المتاعب في نيويورك (الأمم المتحدة) وأننا نسمى إلى كارثة .
وكان يتحدث - على حد تعبير ماكميلان - كمن يحذرنا من دخول بيت للدعارة ! . . ويكمل
سلوين لويد : « كان من الصعب أن نصدق أن دلاس صادق مع نفسه فهو الذي قال يوم ١٣

سبتمبر في برنامج تليفزيوني : إننا يجب أن نحصل على برنامج من الأمم المتحدة لحسم الأمر . وقال في جمعية المستفيعين إن حكومة الولايات المتحدة تتحرك سريعاً نحو الأمم المتحدة وتحدث معي بالتفصيل حول هذا الأمر . . إن دلاس لا يمكن أن يثير هذا الغبار ، إلا لأن « مورفي » كان صادقاً عندما قال إن دلاس كان يتصرف تحت تعليقات صريحة من ايزنهاور بمنع التوجه لمجلس الأمن . كان اقتناعه هو خطأ هذا التوجيه ولكنه شعر بضرورة الالتزام به . .

ونظرة ايزنهاور كانت أصدق لعدة عوامل . . منها أن مجلس الأمن كان آخر إجراء في تبرئة ذمة الانجليز والفرنسيين قبل استخدام القوة . . ولذلك كان يريد منهم من اجتياز هذه العقبة حتى يستمر في تسليتهم بمشروعات جديدة من طراز جمعية المستفيعين . .

○ لأن ايزنهاور كان يعلم أن طرح النزاع في مجلس الأمن سيعطي الاتحاد السوفيتي الفرصة لتقديم « الدعم » الذي يفتنه والذي غذى عليه العرب منذ ذلك التاريخ . . وهو الدعم الأدبي بالتصويت والخطب في الأمم المتحدة ، وهي دعاية للمروس - في ظروفهم الخرجة وقتها (المجر) - أمريكا في غنى عنها . .

○ أن ايزنهاور كان يدرك موقف الولايات المتحدة المحتوم في مجلس الأمن وأنه سيكون على غير هوى بريطانيا وفرنسا وهو لا يريد أن يعمق الجراح ، وهو يخوض حرباً محدودة ضد بريطانيا وفرنسا ، وليس عداوة أبدية شاملة . . ويدير مصالحتهما بعد انتزاع اللقمة من فمهما . .

ولكن بريطانيا أرادت أيضاً توريط أمريكا ، ورفضت هذه التورط فصوتت على إخراج الشكويين المصرية والانجلو - فرنسية ، الأولى بسبعة أصوات ضد لا أحد والثانية بـ ١١ صوتاً ضد لا أحد .

تحدد يوم ٥ أكتوبر للنظر في الشكويين .

يوم ٢ أكتوبر عقد دلاس مؤتمراً صحفياً أعلن فيه عن وجود خلاف حاد بين أمريكا وحلفائها الأوروبيين حول السويس : إن الولايات المتحدة لا يمكن أن ينتظر منها أن تربط نفسها مائة في المائة ، لا مع القوى الاستعمارية ، ولا مع القوى التي تنهم فقط بالحصول على الاستقلال بأسرع وأكمل ما يمكن . .

ولا أظن أنه يوجد تعريف يمكن أن يطرب ويشي على السلطة المصرية في خطوة التأميم ، مثل وصفها بقوى تسعى لتحقيق الاستقلال بأسرع وأكمل صورة في مواجهة القوى الاستعمارية ١٩ . .

فلا مصر معتدية ولا ناصر هتلر ، ولا القناة سرقت على طريقة « على بابا » كما قال الاشتراكي النصاب « أنورين بيفان »^{١٢} بل خطوة نحو استكمال الاستقلال أو انتزاعه من القوى الاستعمارية وإن كانت تشوبها بعض الأنانية أو اللامبالاة بالتأجيل الأخرى . . أو التسرع !

وقال « بينما تتفق مواقف فرنسا وبريطانيا وأمريكا حول حلف الأطلنطي ، فإن أية قضية تمس في جوهرها أو مملكتيها بشكل ما ، ما يسمى بالاستعمار ، ستجد الولايات المتحدة ، نفسها ، دوراً مستقلاً نوعاً ما » .

وهو بهذا قد صنف مشكلة القناة بأنها مشكلة استعمارية وليست حقوقاً أو التزامات دولية . .

ثم تحدث عن هيئة المتفعين فقال : « إن البعض يتحدث عن عملية خلع أسنان المشروع ، والحقيقة أنه لم تكن له أسنان أصلاً ، في حدود معلوماتي » !

وفي اليوم التالي وبعد أن شتم بريطانيا في « زفة » المؤتمر الصحفي ، استدعى السفير البريطاني ليصالحه في « عطفة » وزارة الخارجية وقال له « إنه غير سعيد بالمؤتمر الصحفي . . وأن ملاحظاته قد ربطت دون أن يدري بين السويس والمسألة الاستعمارية ! وأن النص قد وزع على الصحافة قبل أن يقرأه ، وهذا حد من حرية » . . ورد السفير البريطاني متذرعاً بكل البرود الانجليزي « إن هذه المؤتمرات الصحفية خطيرة جداً ، ووافقه دلاس ولكنه أضاف إن هذه هي المرة الأولى التي ارتكب فيها مثل هذه الخطأ الفاحش » .

يوم ٥ أكتوبر وقبل ساعات من انعقاد مجلس الأمن ، حاول لويد وبينوا إثارة نخوة دلاس الذي أخبرهما أن الرئيس ايزنهاور ضد الحرب ، وأن هذا الموقف ليس له علاقة بالانتخابات . . فشرح له لويد « اخطار عبد الناصر الذي يتآمر على قتل الملك إدريس في ليبيا وحتى الملك سعود وجه له تهديداً . إذا كان مركز توري ثابتاً في العراق إلا أن السخط يتشر بين صغار الضباط العراقيين بتحريض عبد الناصر . والأردن تم التغلغل فيه . سوريا ؟ عملياً تحت حكم عبد الناصر ، الذي يساعد أيضاً منظمة ابوكا في قبرص » واكمّل بيتوفشرح الوضع في شمال أفريقيا » .

ولكن دلاس « كرر اعتراضه على استخدام القوة في الوقت الحالي ، وإن وافق على إبقائها كأحد الخيارات » .

ولكن في اليوم التالي فوجئوا بالصحف الأمريكية طافحة بأنباء الخلافات بين أمريكا من جانب وبريطانيا وفرنسا من جانب آخر . . وقال سلوين لويد : « وقد علمت أن هذه الأخبار سربت من الوفد الأمريكي في الأمم المتحدة . وأضيف إن دلاس أخبر المحيطين به من الصحفيين أن على بريطانيا أن تقبل المشروع الهندي . وقابلت دلاس يوم الأحد وطلبت منه أن يحدد بالضبط أين نحن ؟ وكان واضحاً من لهجتي أن صبري قد نفذ (!) . . فأنكر أنه تحدث عن المشروع الهندي . واعتذر ووعد بضبط سلوك الوفد الأمريكي . وأنه لا صحة لوجود خلافات . وأنه يؤيد استعداداتنا العسكرية وأنه نفسه لا يستبعد استخدام القوة في مرحلة أخيرة » .

وقد شهد سلوين لويد بأن دلاس كان يقول لهم عكس ما يفعل ، فلا حاجة لإجهاذ أنفسنا لتفسير ما يبدو كأنه تناقض .

تمخضت اجتماعات الأمم المتحدة عن مشروع المبادئ الستة المشهور ، وقد قبله الطرفان بنية عدم تنفيذه . . . المعتدون على أساس أن الخطة التي وضعوها ، مع إسرائيل ستضع العالم أمام وضع جديد ، وبكفيهم أنهم قبلوا « الحل السلمي » ، وإنما جند ظرف لم يكن في الحسبان بهجوم إسرائيل ! ومصر قبلتها للمطالبة والناجزة والأخذ والعطاء على أساس الاستراتيجية القائلة إن كل يوم يمر يقلل من فرص العدوان ، وإمكانات نجاحه . . .

ولكن أمريكا التي كانت على يقين من الاستعدادات العسكرية لم تشأ أن تترك الأمر للظروف بل حرصت على توريث حلفائها بإعلان أن قبولهم مشروع المبادئ الستة وقبول مصر له قد حل الأزمة وبالتالي سقط أي حق لهم في استخدام القوة . . . وهو ما كان الانجليز على حذر منه ولذلك يقول سلوين لويد : « وأعلن همرشولد الاتفاق على ستة مبادئ » . وقد حذرت المجلس (مجلس الأمن ج) من الانجراف في التفاوض وقلت إنه لا تزال هناك ثغرات واسعة بين مصر وبيتا . وفي هذه اللحظة بالذات اختار ايزنهاور مرة أخرى أن يسحب البساط من تحت أقدامنا ، فبعد أن أخبر همرشولد المجلس بالمبادئ الستة . أعلن ايزنهاور في مؤتمر صحفي ما يلي :

« إن عندي اليوم ما أعلنه . عندي أفضل خبر يمكن أن أعلنه لأمريكا اليوم . . . وهو التقدم الذي أحرز في تسوية خلاف السويس . فبعد ظهر اليوم وفي الأمم المتحدة اجتمعت مصر وبريطانيا وفرنسا من خلال وزراء خارجيتهم ووافقوا على مبادئ للمفاوضات . وكل الأمور تدل على أننا نخطينا أزمة خطيرة جداً . . . وأنا لا أريد أن أقول إننا قد خرجنا من الغابة تماماً ، ولكن تحدثت مع وزير الخارجية قبل أن آتي إلى هنا ، وأستطيع أن أقول لكم إن قلبه ورأسه عامران بصلاة الشكر . . . »

وجن جنون سلوين لويد الذي فهم انقلاب والذي كان رأسه وقلبه عامرين بالمكر والكفر . فوصف تصريح رئيس الولايات المتحدة بأنه « تصريح أبله » ! يقول : « وقد احتججت بشدة لدى دلاس ، وأعتقد أنه هو نفسه أخذ ، وراح يغمغم ببعض عبارات حول عدم الاهتمام بما يقال في الانتخابات » .

وأحسن فوزي بزوال الضغط عليه واستشهد بخطاب ايزنهاور وبدأ تراجعاً عن المادة التي تطلب إبعاد القناة عن سياسة أية دولة .

« وذهبت لمقابلة دلاس لآناقش معه ماذا يعني ايزنهاور بالضغط على عبد الناصر وما الوسائل . . . وبدأت بالحديث عن الرسوم لاكتشف بالدهول أن دلاس يقترح أن تدفع الرسوم لجمعية المستفيين وهذه بدورها تدفع تسعين بالمائة منها لناصر أي أنه سيحصل على

أكثر مما يحصل عليه الآن (٣٥٪ ج) وقلت له : إن هذا الاقتراح قد ملاني رعباً . . ولكن الوقت كان متأخراً لعمل أي شيء فلم نتناقش طويلاً . !

وبسبب هذا الرعب لبس الانجليز طاسة الخضة أو خوذة الحرب . .
والفترة من ١٢ أكتوبر إلى ٢٩ منه ، معروفة ، كان موعد المفاوضات المقبلة هو نفس اليوم الذي تمهد للهجوم . وستكرر معنا أمريكا نفس اللعبة الأنجلو - فرنسية بعد عشر سنوات ، وستندب ونصدق . .

المهم وقع الهجوم الإسرائيلي والإنذار البريطاني ، وألقى كل طرف باللثام وكشف عن نواجذه فهي الحرب . . إما النصر وإما الموت الزؤام . . أصبحت المعركة علنية وصریحة ومريرة بين أمريكا من جانب وبريطانيا وفرنسا من الجانب الآخر ولم تشفع لها مشاركة إسرائيل ، بل بالعكس حل إثمها وكراهيتها على إسرائيل بنت أمريكا ، وكانت أول وآخر مرة تقف فيها أمريكا ضد إسرائيل بهذا الوضوح والجدية . .

فور العدوان أعلن ايزنهاور أنه « سيقف إلى جانب مصر وطلب من القائم بالأعمال البريطاني أن يبلغ ذلك لحكومته » وفسر هذا الموقف بأنه للحفاظ على شرف ومصداقية أمريكا حيث أن سمعتها أصبحت على المحك ، وذلك بحكم ارتباطها بالتصريح الثلاثي الذي يتعهد بالدفاع عن المعتدى عليه في الشرق الأوسط »^٢

ولكن أهم من الشرف والمصداقية كان هذا القرار الأكثر حسماً . . وهو قول ايزنهاور : « إن الذين بدأوا هذه العملية عليهم أن يجدوا نفطهم » ! ولما سأل دلاس : ومن أين سيحصلون على النفط فرد عليه : ربما يعتقدون أننا سنضطر إلى تزويدهم به . . كان جواب ايزنهاور حاداً وقاسياً : إنهم لا قيمة لهم كحلفاء محتملين ، بل ربما كانت قيمتهم لنا أقل بكثير مما يعتقدون . !

وقال ايزنهاور له « ايميت هبوز » الذي كان يعد له خطاباً انتخابياً : « إن الفرنسيين يجرسون الإسرائيليين . . عليهم اللعنة . . فلا هدف لهم إلا الاحتفاظ بما هم في شمال أفريقيا . . عليهم اللعنة ! لقد جاءوا هنا وكانوا جالسين على مقعدك هذا منذ ثلاث سنوات (١٩٥٣ ج) وقلت لهم لن نحققوا في شمال أفريقيا إلا هند صينية أخرى فأبوا قائلين : لا . . الجزائر جزء من فرنسا وغير ذلك من التفاهات »^٣

ويتابع « هيرمان فينر » في كتابه « دلاس والسويس » عرض موقف أمريكا من العدوان فيقول :

« يوم ٣٠ أكتوبر اجتمع دلاس بالسفير الفرنسي وقال له : إننا نعيش في أخطر لحظات العلاقات الفرنسية - الأمريكية . إن هذا اليوم هو أحلك يوم في تاريخ الحلف الغربي بل قد يكون نهاية الحلف نفسه . إن هذا الهجوم على مصر يشير خطر حرب عامة . إن تصرف وندخل فرنسا بشبه تماماً مسلك الاتحاد السوفيتي في بودابست . »

« لقد صمم دلاس على أن يرغم بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وليس مصر على إطاعة القانون بالتدبير الأدب والمعنوي نارة ، ونارة أخرى بالمطاردة بالتكتيكات التي قد توصف أحيانا بأنها وحشية ، كان مصمماً ليس فقط على أن يعود الحق إلى نصابه بل وأيضاً إظهار دور أمريكا أمام العالم بوصفها الدولة التي تحفظ النظام وتقر الحق » .

« وهكذا ف منذ ٣٠ أكتوبر حتى قرار وقف إطلاق النار والانسحاب استخدم دلاس ومساعدوه المخلصون وسائل قاسية مع حلفائه ، وهي شن حملة مسعورة من الاستنكار والتدبير في الأمم المتحدة ثم منع عن حلفائه إمدادات البترول التي تعتمد عليها أنظمتهم الصناعية والزراعية اعتماداً كاملاً وحرمانهم من أرصدة الدولار ، الأمر الذي أدى إلى استنفاد مواردهم المالية . لقد أدت الحرب الصليبية التي شنها دلاس على حلفائه إلى إذلال هذه البلاد لصالح ناصر وصديقه الدائم ، الحكومة السوفيتية » .

« ولذلك لم يكن من الغريب أن يتذكر « هارولد ماكميلان » والذين جاءوا من بعده ، في حزبه ثم رجال حزب العمال كذلك بل والجنرال ديغول تلك الأيام السوداء التي تعرضوا فيها للمهانة وبالغ الضرر بسبب موقف دلاس من قضية تعرضت فيها مصالحهم الحيوية للضرر » .

« الدول المقهورة* تشن حرباً لتحقيق العدالة ولكنها تواجه اتهاماً من الولايات المتحدة بفضل دلاس ، أمام الأمم المتحدة ، وتضطر لإنهاء عملياتها بسبب فرض العقوبات عليها من جانب واحد وهو الولايات المتحدة . وتتمثل هذه العقوبات في حرمانها من البترول والدولارات وينتهي الأمر بإخفاق القوة وعدم انتصار العدالة » .

ولا نعلمنا عواطف المؤلف الانجليزية ، فليمت بغيظه . . . وإنما المهم ما سجله من حقائق . . .

وعرض العدوان على مجلس الأمن ، وفي ٣٠ أكتوبر تقدمت كل من الولايات المتحدة وروسيا بمشروع قرار للمجلس ، استخدمت بريطانيا وفرنسا حق الفيتو ضدّها . . . القرار الأمريكي كان يدين إسرائيل (لأن بريطانيا وفرنسا لم تهجها بعد ج) كمعنتدية ويطلب انسحابها ويدعو كل الدول الأعضاء إلى الامتناع عن استخدام القوة . ويقول سلوين لويد « أما المشروع السوفيتي فكان أخف لهجة (١١ ج) وكنا نفضل الاكتفاء بالامتناع عن التصويت عليه ، ولكن فرنسا أصرت على استخدام حق الفيتو ، فوافقنا لدعم نضامنا » . ويحق الفيتو البريطاني والفرنسي في مجلس الأمن كان يستحيل صدور قرار ضد المعتدين الثلاثة ، ولذلك كانت الخطوة التالية من قبل مصر هي نقل الموضوع إلى الجمعية العامة ، حيث لا حق فيتو ، وحيث الأغلبية التي يمكن أن يشكلها الأمريكان والروس والدول المعادية للاستعمار . . .

* ابن المقهورة هذا يقصد بالدول المقهورة : بريطانيا وفرنسا وإسرائيل !

ولكن لتحويل القضية إلى الأمم المتحدة كان لابد - كما تقضي اللائحة ، أن تحال بأغلبية سبعة أصوات وقد تقدمت يوغوسلافيا بطلب الإحالة فنال سبعة أصوات بينها صوت أمريكا ضد اثنين وامتناع اثنين . . .

ونترك وزير خارجية بريطانيا يعلق : « فلو اكتفت الولايات المتحدة حتى بالامتناع عن التصويت لسقط قرار الإحالة ولبقي الأمر في يد مجلس الأمن » .
ولما صدر بالطبع قرار الإدانة والانسحاب . . . الخ . . .

وفي الجمعية العمومية افتتح دلاس المناقشات باقتراح أمريكي (وهذا يعطي ثقلًا واضحاً للمشروع إذ لا يترك مجالاً للغموض حول موقف أمريكا وبالتالي يدفع كل الأتباع إلى التصويت معه ج) - بطلب وقف إطلاق النار وانسحاب القوات الإسرائيلية والبريطانية والفرنسية وإعادة فتح القناة التي كانت مصر قد نجحت في سدها .

وحاول مندوب كندا إنقاذ بريطانيا بتقديم مشروع قوات الطوارئ* ، ولكن دلاس لم يقبل أي تأجيل للتصويت على مشروعه وكان هذا مثالا آخر على العداء لنا .
وصدر القرار بأغلبية ٦٥ صوتاً ضد ٥ أصوات هي استراليا ونيوزيلندا وفرنسا وإسرائيل وبريطانيا . وامتناع كندا وست دول أخرى .

وفي الشارع كان نيكسون نائب الرئيس الأمريكي يقود مظاهرة ضد بريطانيا ، إذ علق على نتيجة التصويت « بأنها اقتراع عالمي على قيادة الرئيس ايزنهاور . في الماضي كانت شعوب آسيا وأفريقيا تتوقع أن نقف في المحطات الحرجة مع سياسات حكومتي بريطانيا وفرنسا فيما يتعلق بالمناطق التي كانت مستعمرة . ولكن لأول مرة في التاريخ أبرزنا استقلالنا عن السياسات الأنجلو- فرنسية ، إزاء آسيا وأفريقيا . . . التي تبدو لنا انعكاساً للتقاليد الاستعمارية . إن إعلان « الاستقلال » هذا كان له تأثير الكهرباء في سائر أنحاء العالم* » .
وسمعي الفارسي من تعليق المخوزق سلوين لويد ولكن هل من أحد يريد أن يتحدث عن أمريكا كشرريك رابع للعدوان الثلاثي ، وأن المعركة كانت ضد أمريكا ؟!

ولم يقتصر الأمر على « قرارات الأمم المتحدة » بل وجه ايزنهاور إنذاراً إلى ايدن وموليه بطلب فيه وقف إطلاق النار خلال ١٢ ساعة وقد قبلته بريطانيا بدون حتى استشارة فرنسا ، وذلك بعد أن أوصلك الاسترليني على الانهيار « لتعرضه لعملية تزيف بإيعاز من الخزنة الأمريكية » على حد قول أو اتهام سلوين لويد ! . . وعرقلت الولايات المتحدة محاولات بريطانيا استخدام حق السحب الخاص من صندوق النقد الدولي . . . حتى مالنا

* كما سجل « كابوت لودج » مندوب أمريكا في الأمم المتحدة غبطته في عداوة ثليغونية مع الرئيس قائلا : « إن الأمم الصغيرة لا تصدق أن أمريكا تقف مع دولة من العالم الثالث ضد دولتين استعماريين أو مع العرب ضد إسرائيل أنهم مملوون إعجاباً وفرحة » .

الخاص ١٩ ، كما يقول لويد نقلاً عن ماكميلان عن تهديد لجورج كافري وزير مالية أمريكا . .

وفي رواية ولیم كلارك مستشار العلاقات العامة لإيدن الذي استقال بسبب العدوان - ما يفيد أن الولايات المتحدة لم تدخر حتى احتمال الصدام المسلح مع المعتدين فقد قال : « إن الغزو الأنجلو - فرنسي لمصر تعطل ٢٤ ساعة بسبب تحركات الأسطول السادس واعتراضه طريق البوارج البريطانية - ص ٣٦٥ من مذكرات وكيل الخارجية البريطانية - .

وحاولت بريطانيا بعد وقف إطلاق النار أن تبقى في موقعها : بورسعيد وعشرين ميلاً تحتلها من قناة السويس . . وتساهم على هذا وتنتظر الفرج أو سقوط عبد الناصر . . ولكن أمريكا أصرت على الانسحاب العاجل والشامل وبدون قيد ولا شرط » .

ويقول سلوين لويد إنه سافر خصيصاً إلى الولايات المتحدة « يأمل إقناعهم بالمساومة على العشرين ميلاً التي نحتلها من القناة ولكنني فشلت . ولذلك قررت أن أتقدم باستقالتي » . وكان « جورج همفري » وزير المالية الأمريكي صديق « بنتر » (وزير مالية بريطانيا ولكنه قال له بصراحة : إن الولايات المتحدة لن تتحرك لمساعدة بريطانيا إلا إذا أعلننا قرارنا بالانسحاب » .

لقد وضعت الولايات المتحدة كل ثقلها من أجل أن يكون انسحابنا بلا قيد ولا شرط وكان علينا أن نقبل ذلك » .

بجمل إلى أنه لو كان مثقفاً لاستشهد بقول المهزوم العربي : مشيناها خطي كتبت علينا . . ومن كتبت عليه خطي مشاها . . وفشلت جميع المحاولات البريطانية لرحلة ابنهاور عن اصراره بأن يكون الانسحاب البريطاني الفرنسي من بورسعيد بلا قيد ولا شرط » . أما ماكميلان الصقر في بداية الأزمة فقد تحول إلى حمامة فور سماعه بأخبار نيويورك عن فرض عقوبات نفطية ، فقد ألقى بيديه إلى الوراء وصاح : عقوبات نفطية ١٩ هذا ينهي كل شيء » !

نستمر مع فصول الدراما الأمريكية - البريطانية . . بعد وقف إطلاق النار وتأكيد هزيمة بريطانيا اجتمع سلوين لويد مع مندوب أمريكا في الأمم المتحدة وقائد الحملة ضدها « كابوت لودج » :

« وقد بدأ حديثي معي بموعظة أخلاقية ، فقلت له : إذا كنا ستحدث عن الإثم الأخلاقي . . فلماذا عن جوائيلالا ؟ . . ألم تتصرف الولايات المتحدة في ١٩٥٤ بنفس الطريقة ؟ كل الفرق أننا - وقتها - حاولنا أن نساعدكم في مجلس الأمن رغم كل الضغوط علينا . وقلت لو أن الولايات المتحدة لم تقم الحملة ضدنا في مجلس الأمن لأحرزنا نصراً رائعاً . ولكن ناصر في خبر كان . . » .

ولكن لويد لم تنته آلامه بعد . . ذهب إلى دلاس في المستشفى . . فإذا بالعجز الأمريكي ينمز له بعينه ويقول : لماذا توقفت . . ؟ لماذا لم تمضوا قدماً فتسقطون ناصراً . . !
ويعلق وزير خارجية بريطانيا : « لو أن قشة فعلاً يمكن أن تقصم ظهر البعير لكانت هذه دلاس الذي قاد الحملة ضدنا . . وأيد تحويل الأمر من مجلس الأمن للأمم المتحدة ، وبذل كل جهد ممكن لهزيمتنا . . الآن يتساءل لماذا توقفتنا ؟ »

ومعروف أن الانجليزي لنقل قلبه وبرودة حسه ، لا يفهم النكتة من أول مرة ، ولم يكن دلاس في المستشفى في مزاج يسمح بإعادتها عليه ؟ ! وقرر سلوين لويد أن يتحول إلى مكافح للامبريالية وداعية للاستقلال !

واجتمع مجلس الوزراء البريطاني في ٨ يناير ١٩٥٨ حيث أبلغهم سلوين لويد بالآتي :
« بعد الخلاف الخطير في الرأي مع الولايات المتحدة ، فإن علينا أن نحاول جعل غرب أوروبا أقل اعتماداً على أمريكا . . ولكنني لم ألتق عطفاً كبيراً من زملائي لأن غالبيتهم اعتقدوا أن الأولوية يجب أن تعطى لترميم الجسور مع الولايات المتحدة » .
اختارت بريطانيا قبول الأمر الواقع ، والتعلق بالقطار الأمريكي ولو في الدرجة الثانية وكانت بحاجة إلى عشرين سنة أخرى للتأكد من حقيقة القوة الأوروبية .

وبخروج الاتجليز والفرنسيين من بور سعيد ، وخلوص القناة لمصر بلا قيد ولا شرط نحت الإدارة المصرية الخالصة . . هزمت بريطانيا وفرنسا ، وانتصر عبد الناصر في معركة التأميم انتصاراً كاملاً غير منقوص ، وهو النصر الذي استحق به تأييدنا وشكرنا بل وصبرنا خمس سنوات أخرى . . بل حتى الهزيمة الفادحة على أرض سيناء في نفس المعركة - وهو ما مستعرض له - غفرناها له ، وتعلمنا الأعذار من حداثة العهد ونقص الخبرة والغفلة عن الخطر الإسرائيلي ، والانشغال بالجلاء . . لكن العذر الأكبر كان في توقعنا أنها أخطاء لن تتكرر وأنه سيستفيد مما وقع فيحول الخطأ إلى تجربة .

ولكننا لم نصر . . وما كان بوسعنا أن نصر على مناقشة تلك الأخطاء لكي نضمن تصحيحها وتلافيها . . فكانت النكبة الكبرى . . واليوم وبعد أكثر من ربع قرن ، وبعد النكبة التاريخية والمصرية . . يحاول نفس المذنب أن يقفل أعيننا ويسد آذاننا بالكذب والتضليل مرة أخرى ؟ !

إن اتهام أمريكا بأنها كانت شريكاً في العدوان هو مناورة متذكية لتفادي السؤال : وهو لماذا عارضت أمريكا العدوان ؟ ! لما تجرء الإجابة على هذا السؤال من إحراجات . . قلنا إنه من الناحية السياسية كان تأميم القناة في هذا الوقت بالذات ضربة معلم ، فقد تم بعد جلاء القوات البريطانية (رسمياً) ولم يعد من الممكن اتخاذه كحجة لإلغاء اتفاقية الجلاء من جانب بريطانيا ، وكانت تود ذلك ، بل أصبح عليها أن تعيد غزو مصر . . ثم توقيت الضربة في وقت وصل فيه التناقض الأمريكي . . الأنجلو - فرنسي فدوته ، وربط مصالح

مصر باستراتيجية الطرف الأقوى في هذا التناقض ، جعل النصر مضموناً . . وخاصة أن الهدف من الوضوح والعمق في الوجدان الوطني المصري ، مما جمع الإرادة المصرية ، فلم تكن هناك ثغرة يمكن أن يتخذ منها العدو بمؤامراته .

وقد استطاعت الإدارة المصرية والدبلوماسية الأمريكية تأخير الغزو أكثر من ثلاثة شهور وهي بلا شك كانت فترة كافية للاستعدادات العسكرية لمواجهة هذا الغزو . . وهو ما لم يحدث . .

وهنا تنتقل للجانب السلبي . . جانب الهزائم في معركة قناة السويس وذلك قبل أن تنفرغ المناقشة هزيمة سيناء العسكرية في ١٩٥٦ .

أخطأت القيادة المصرية ، ونقص عبد الناصر بالذات ، فهو وحده الذي وضع تقدير الموقف ، بالاشتراك مع هيكمل في رواية هيكمل . . أو بالاستئناس برأي التسعة المشهود لهم بالثورة . . ولكنه في النهاية كان صاحب القرار .

ويشهد هيكمل أن عبد الناصر أخطأ عندما تصور أن لجوء بريطانيا وفرنسا إلى الأمم المتحدة يعني أنه لم يبق لدى لندن وباريس ما تفعلانه ضد القاهرة غير تسجيل موقف في الأمم المتحدة ، ويمز رأسه في حكمة متأخرة جداً : « وكان ذلك خطأ كما أثبتت الظروف فيما بعد » .

وهذا التعمالي والالتزام لعبد الناصر^{١٦} يعكس نوع الوفاء الاستثماري الذي يكنه هيكمل لسيد السابق . . وكتابه يتحدث في كل صفحة عن مشاوره الرئيس له ، حتى يخرج القرار بانطباع أنه ما كان يرم أمراً إلا عن مشورة هيكمل . . ولو كان وفيّاً أو يتمتع بذوق في فن الكتابة لقال « ولقد أخطأنا عندما تصورنا ، أو أخطأت مصر عندما تصورت . . ولكنه حملها لعبد الناصر وحده ، وله عذره فلم يكن لأحد من رأي أو فكر إلى جانب عبد الناصر . . فقط نرجو أن يعترف هو بذلك .

ويقول « هيكمل » إن عبد الناصر كان يعتقد أنه ما من « جنرال لديه يستطيع قيادة المعركة السياسية الحاسمة والنهائية مثل محمود فوزي » .

ويبدو أن عبد الناصر سيء الاختيار « للجنرالات » بصفة خاصة ، حتى الجنرال السياسي ! لأن محمود فوزي ، بشهادة هيكمل خدعه همرشولد ، وهو بدوره خدع عبد الناصر وذلك في رسالته بتاريخ ٤ أكتوبر إذ كتب لجمال عبد الناصر من نيويورك :

« تكلمت مع همرشولد عن النوايا . وبينت له أنه إذا كانت النوايا مبنية على عدم الوصول إلى اتفاق فليست هناك فائدة من جهود السكرتير العام . وأجابني همرشولد بأنه يعرف سلوين لويد من زمن وأنه خاطبه في الأمر وخرج بانطباع ، أن لويد ، يرغب حقيقة في الوصول إلى حل رغم المظاهر ، وهمرشولد يستبعد جداً استعمال الانجليز للقوة ، أما الفرنسيون فلهم متاعبهم الداخلية وهي كثيرة ، فوزي .

ولم يقتصر التضليل على همرشولد ، بل اشترك الرفيق شيلوف في التغبير بمحمود فوزي الذي بدوره ضلل القيادة المصرية ، فقد كتب للرئيس عبد الناصر بتاريخ ١١/١٠/١٩٥٦ : « قابلت شيلوف الذي أعرب لي عن تأكده من أنه قد استبعدت أخيراً ، الإجراءات العسكرية » .

وهكذا ضلل الجنرال القائد العام ، مع أن دلاس خان أصدقاؤه وبلغ محمود فوزي بصريح العبارة : « ذكر لي دلاس أن بعض المشولين في إنجلترا وفرنسا لا يريدون حلاً سلمياً »^{١٧٢} .

ويقول هيكمل إن عبد الناصر أجرى تقدير موقف قبل التأميم وقدر أن احتمال التدخل العسكري سيتناقص من ٨٠٪ في الأسبوع الأول من قرار التأميم إلى ٢٠ بالمائة في نهاية أكتوبر ثم يبدأ في التلاشي بعد ذلك لأن الفرصة تكون قد أفلتت تماماً وأن تقدير الموقف هذا تصور الغزو من ناحية الأسكندرية . ويبدو أن الانجليز بحثوا هذا الاحتمال في البداية ، ولكن ابتداء من الأسبوع الأول من سبتمبر استقر الرأي على بور سعيد ويصعب تصور أن فكرة الغزو من الأسكندرية كانت فكرة جديدة ، كما يصعب فهم كيف ظلت القيادة المصرية مقتنعة بها ، رغم التجربة التاريخية حيث حاول الانجليز وفشلوا مرتين في غزو مصر عن طريق الأسكندرية ، واضطروا في المرة الثانية (١٨٨٢) إلى تغيير طريق الغزو إلى قناة السويس ونجحوا . وتجربة الحملة الأولى كان من الممكن أن تعطي مؤشراً للقيادة المصرية ، حيث قابلت حملة فريزر ١٨٠٧ مقاومة مؤثرة من الأهالي انتهت بفشل الحملة بل وهزيمتها هزيمة مذلة إذ أرسلت الرعوس والأسرى وفيهم رأس « فاسال » كبير إلى شوارع القاهرة للاستعراض . . فالتريق من الأسكندرية إلى القاهرة يعرض الغزو لمجابهة الكثافة البشرية المصرية . . كذلك فإن الغزو كان يتعلل « بالقناة » فمن الطبيعي أن يسعى لاحتلالها والسيطرة عليها .

على أية حال إن هذه النقطة لم تلعب دوراً كبيراً بالنسبة إلى الغزو الأنجلو - فرنسي . . ولكنها لعبت دوراً خطيراً لصالح الغزو الإسرائيلي ذلك أن عبد الناصر قرر في ٨ أغسطس سحب القوات المصرية من سيناء . . وسنعود لذلك بالتفصيل .

لا يملك المؤرخ إلا أن يسجل تحبط وعجز القيادة عن توقع الاحتمالات واتخاذها سلسلة قرارات تنبع أساساً من أحلام يقظة تدور كلها حول غني عدم الصدام مع إسرائيل ! مما ضاعف من فرص نجاح إسرائيل . . ولا نعرف من أين استقى حمرش معلوماته عن أن تقدير الموقف الذي وصل إليه مجلس الحكماء هو أن « الاحتمال الغالب هو دفع إسرائيل للهجوم وكان هذا احتمالاً مرجحاً عن أي غزو بريطاني وفرنسي » .

فالإجراءات التي اتخذت تبدو أكثر من خاطئة إذا كان هذا تقديرهم فعلاً إذ لا يعقل أن يكون الإجراء الذي اتخذ لمواجهة هجوم إسرائيل هو سحب الجيش من سيناء !!

رواية هيكل أكثر منطقاً فضلاً عن أنها مستمدة من وثيقة شاهدها هو بعينه ويعرف بالضبط أين هي في خزانة عبد الناصر . . . وإليك ما قاله هيكل : « وقرأ جمال عبد الناصر تقرير المعلومات المعروف عليه عن أوضاع القوات البريطانية في المنطقة ودرجة استعدادها وأعاد قراءته أكثر من ثلاث مرات (وهذا يعني أن هيكل كان قاعد يعد . . . أو أن عبد الناصر اهتم وسط كل هذه الزوابع بإبلاغ « محمد » أنه قرأها أكثر من ثلاث مرات ومالك على يمين ياسر محمد ج ١) وقارن المصادر المتعددة للمعلومات ببعضها ، ثم كتب بخط يده تحت التقرير حاشية تتضمن مجموعة ملاحظات نصها - كما نقلته فيما بعد من الوثيقة الأصلية . . . وأظن أن الوثيقة الأصلية موجودة حتى اليوم في خزانة مكتب الرئيس جمال عبد الناصر في الدور الأرضي من بيته (علي يمينك وانت داخل ، حتى بالأمارة جنب الحاتم إياه الي . . . ما أنت عارف إـج)

دعنا من هذا الهذر . . . المهم أنه يقول إن عبد الناصر كتب بخط يده : « مستحيل أن تلجأ بريطانيا وحدها أو بريطانيا بالتنسيق مع فرنسا إلى الاستعانة بإسرائيل في أي عملية ضد مصر لأن ذلك « يقلب الدنيا » في العالم العربي ضدها . بريطانيا لا يمكن أن تدخل في عملية من هذا النوع بالتنسيق مع إسرائيل ولا يمكن لابدن أن يفعل ذلك بسبب المصالح البريطانية والعلاقات البريطانية مع الملوك والشيوخ العرب ٩ ، ٨ ؟

بل وفي يوم ٨ أغسطس اتخذ عبد الناصر قرار سحب القوات المسلحة من سيناء ، ويفسر هيكل هذا القرار المصري بقوله : « كان جمال عبد الناصر لا يزال على اعتقاده بأن بريطانيا لا يمكن أن تسمح لنفسها بالاشتراك في معركة عسكرية جنباً إلى جنب مع إسرائيل .

« وهكذا عادت من سيناء فرقان من فرق الجيش المصري ، إحداهما فرقة مدرعة » . ولكن لماذا لم يخطر بالبال أن إسرائيل وبدون تنسيق ، ستنهز فرصة الغزو وانشغال مصر بحاربة بريطانيا وفرنسا ، وتهجم هي على سيناء ؟! وهل كان بوسع الجيش المصري وقتها أن يصد بريطانيا وفرنسا ؟! فلماذا التركيز على الهجوم الأنجلو - فرنسي ، وإخلاء سيناء حيث الإمكانية أكبر احتمالاً للتصدي لإسرائيل . . . على أية حال حتى الحذر من الهجوم الأنجلو - فرنسي تلاشى في الأسابيع الأخيرة . . . وساد الاسترخاء النام ورفض اتخاذ أي إجراء عسكري للدفاع أو الإعداد للمقاومة الشعبية .

لقد كان هناك إصرار في القيادة المصرية على رفض كل الدلائل التي تؤكد العدوان . . . وقد أحصى مؤلف : « مجتمع عبد الناصر » المصادر التي أبلغت عبد الناصر شخصياً بالعدوان وهي :

١ - ثروت عكاشة الملقق العسكري بفرنسا ، وصلته خطة تحرك القوات الفرنسية قبل العدوان بعشرة أيام . وأرسلها إلى جمال عبد الناصر بخطاب خاص مع الملقق الصحفي

عبد الرحمن صادق لتسليمه شخصياً إلى جمال عبد الناصر وقد كتبه بخط يده من نسختين فقط أرسل واحدة واحتفظ بالأخرى .
ولم يقل إذا كان الملحق الصحفي تمكن من مقابلة الرئيس وسلمها له أم مازال يتظر المقابلة إلى اليوم في مكتب الجيار !؟

٢ - ذكرى العادلي إمام الملحق العسكري بتركيا عرف كافة أسرار الحشد العسكري في قبرص وإسرائيل عن طريق بعض المندوبين الأتراك الذين أرسلهم إلى هناك ، عقب ملاحظته أن الأتراك ألغوا الإجازات وأعلنوا حالة الطوارئ القصوى ، وأرسل نتيجة معلوماته برفقة يوم ٦ أكتوبر تقول :

« ستوجه إنجلترا وفرنسا إنذاراً نهائياً إلى مصر يعقبه عدوان جماعي بالتعاون مع إسرائيل في منتصف نوفمبر . ثم تبعها برفقة أخرى تقول : « رغم أن المعلومات عندي بأن الهجوم في منتصف نوفمبر إلا أن الظواهر تدل على أنه سيكون قبل آخر أكتوبر » أرسلها مع الملحق الإداري الذي سافر وعاد فوراً . . . وردت عليه المخابرات الحربية بأنه الملحق العسكري الوحيد الذي أبلغهم مثل هذه المعلومات (١٩ هل كانت تتوقع أن توزع هذه المعلومات في نشرة عامة على الملحقين ١٩ ج) .

« ولما امتشعر الخطر سافر بنفسه إلى القاهرة يوم ١٩ أكتوبر ليبلغ عن أمرين : أولاً تدريب إسرائيل لفرد من عائلة الحوت لاغتيال جمال عبد الناصر ، والثاني تأكيد أخبار العدوان ، وقد التقى بعبد الحكيم عامر ، وأبلغه بكل ما يعرفه ، دون أن يتلقى رداً شافياً . ثم غادر القاهرة يوم ٢٧ / ١٠ / ١٩٥٦ دون أن تتاح له فرصة مقابلة جمال عبد الناصر رغم إصراره على ذلك » .

نقطع استرسال حمروش لنعلق على هذه النقطة ، فالحق أن « ذكرى العادلي إمام » الذي لا يكاد يعرف اسمه ، قد قدم للسلطات معلومات تكاد تكون صحيحة مائة في المائة . . عن دول الغزو وموعد الغزو . . ولكنها أهملت تماماً . . وسنعود لذلك .

النقطة الثانية أنه عن طريق « الأتراك » وباسم الأخوة الإسلامية ، ورغم تدهور العلاقات بين مصر وتركيا في هذا الوقت ، حصل وحده على أدق المعلومات . . وذلك رغم توتر العلاقات كما قلنا بسبب حليف بغداد ، وأهم من ذلك بسبب تأييد حكومة عبد الناصر لنشاط مكاريوس وجريفاي ومنظمة أبوكا ، الرامية إلى إيلاء المسلمين القبارصة وضيم الجزيرة إلى اليونان استكمالاً للحرب الصليبية اليونانية ضد تركيا .

وحمروش « الشيعي » يقدم شهادته مستنداً إلى شخصية موجودة وبرقيات يمكن الرجوع إليها . . أما المزور الأكبر عدو المسلمين ، فلا يقوته أن يشوه أو أن يشوش على هذه الواقعة ومغزاها . . فيفتري الآتي :

« لكن الإنصاف يقتضي أن أذكر اليوم أن الصورة الكاملة لأوضاع القوات البريطانية ودرجة استعدادها في قبرص بصفة خاصة وفي البحر الأبيض بصفة عامة ، جاءت من الأسقف مكاربيوس زعيم قبرص ، ومن الجنرال جريفاس قائد العسكري - في ذلك الوقت - والمسئول أمامه عن المقاومة المسلحة لمنظمة أبوكا » .

أولاً : هذه المعلومات عن أوضاع القوات البريطانية في قبرص لم تكن مهمة لمصر لأن مصر لم تكن تفكر في غزو قبرص . وإنما كان المهم هو معرفة الاستعداد لغزو مصر .
ثانياً : ومن هذه الناحية فهي باعتراف هيكل نفسه ساهمت في تضليل عبد الناصر واتخاذ القرار باستحالة الهجوم .

ثالثاً : وهذه حقيقة تاريخية أن « أبوكا » أعلنت عشية الهجوم البريطاني على مصر « وقف جميع عملياتها العسكرية في الجزيرة » . وكان المقروض بحكم الدعم الذي قدمناه لها ضد كل حقائق التاريخ وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها ، ورفض الروح الصليبية ، كان المقروض أن توسع من عملياتها في مؤخرة الانجليز . . وأذكر أنني لم أندش لحظة يوم وصلت هذه البرقية على وكالات الأنباء* . فقد كان ذلك مطابقاً لوجهة نظري حول خداع هؤلاء الصليبيين وأنهم يونانيون صليبيون يريدون ضم الجزيرة وإبادة المسلمين فيها ولا شيء آخر . . وأن كل ما يتحلون به ويردونه من شعارات ماركسية هو مجرد قشرة خارجية لإخفاء صليبية القرون الوسطى . . وأذكر أن « ريفاً » من الحزب الشيوعي القبرصي ، كان يشرح لنا في السجن أن قبرص قطعة من اليونان جيولوجياً ! . . وكان المغفلون المصريون يؤيدونهم . فلما جاءت لحظة الجحود أوقفوا العمليات العسكرية ضد الانجليز^{١٨٢} .

نعود لاستعراض حروش التحذيرات التي وردت للقيادة المصرية وأهميتها .

٣ - عقب عودة صلاح سالم من لندن حيث كان هناك وقت انعقاد المؤتمر الثاني (جمعية المستفيعين ج) أبلغ جمال عبد الناصر أن العدوان مؤكد وحتمي .
٤ - سرب الأمريكيون معلومات إلى سفيرنا في واشنطن بأن الجنرال كيثلي قد اختير لقيادة غزو مصر وأنه يدرب رجاله في قبرص .

هذا ما أحصاه أحمد حروش عن المعلومات المؤكدة التي وصلت للرئيس عن الغزو المنتظر . دون حاجة للرجوع إلى أوراق عبد الناصر الشخصية . . بل وأكد أن التحليل السياسي العادي كان لابد أن يفضي إلى توقع الهجوم واستشهاد على ذلك بتصريحات أيدن في مجلس العموم الذي تحدث فيه عن حماية حقوق بريطانيا بوسائل أخرى . . وتهديدات روبرت منزيس رئيس وزراء استراليا لعبد الناصر شخصياً (عبد الناصر كما وضحنا فهمها وقبلها على أنها تحذير . ج) . . الخ ، . .

* وكنت ليثها المسئول عن متابعة التيكوز في جريدة الجمهورية .

وأورد هيكمل ، أن بايرون (السفير الأمريكي في مصر) قال لأحمد حسين في ١٥ يناير ١٩٥٦ : « إنني لا أمتنع أن تبدأ إسرائيل الحرب » .

وبالمقابل فإن السفير المصري في واشنطن - على ذمة هيكمل - أبقى إلى القاهرة في ٣٠ مارس (١٩٥٦) يصف اجتماعاً عقده مع هريوت هوفر مساعد وزير الخارجية أبلغه فيه « هوفر » : « أن الانجليز في حالة عصبية جداً غاضبين من أمريكا لعدم انضمامها لحلف بغداد ، ويعتبرون مصر الآن عدوهم المكشوف ، وأن دعاية الحرب - كما يقولون - يمكن أن تتحول إلى حرب حقيقية » . « وقال إنه لا يستبعد أن يشترك البريطانيون والإسرائيليون في محاولة اغتيال ناصر وعدد من البارزين المصريين »^{١١} .

وأضاف هيكمل إلى السجل : « أبلغ أحمد حسين في فبراير ١٩٥٦ بأن إسرائيل سوف تهاجم (مصر) وأن إنجلترا تحشد قوات »^{١٢} .

وأيضاً أبلغ أحمد حسين أن بريطانيا ستهاجم مصر أثناء الانتخابات الأمريكية (وهو ما حدث) كما نقل أن الدكتور بن عبود الوزير بسفارة مراكش أبلغه أنه « علم من صديق يعمل في الـ CIA أن إسرائيل تستعد للهجوم في الأيام المقبلة وأنها تقوم بالاستيلاء على السيارات الخاصة في إسرائيل »^{١٣} .

يعني تعبئة عامة ! والزعيم يصر على أنها مقص !

وهناك شهادة من داخل البلاط لها قيمتها فقد ذكر البغدادي أن « خالد محيي الدين أبلغ جمال عبد الناصر بمعلومات كان قد حصل عليها من أحد أصدقائه بباريس وتشير إلى أن فرنسا تعمل متعاونة مع إسرائيل لمهاجمتنا . . ولم يأخذ جمال عبد الناصر هذه المعلومات التي أبلغه بها مأخذ الجد . . بل اعتقد هو وعبد الحكيم أن الغرض من إيصال تلك المعلومات إلينا هو لدفعنا إلى حشد قواتنا الدفاعية تجاه إسرائيل تاركين الاسكندرية ورشيد وهي طريق تقدم القوات البريطانية - كما قدر - دون قوات دفاعية كافية للتصدي لها » .

بل إن رواية بغدادي أكثر هولاً . . إذ يقول إنه على أثر تلقي عبد الناصر هذه المعلومات من خالد محيي الدين « قرر تفادي أي احتكاك أو صدام مع قوات إسرائيل ولذا أمر جمال عبد الناصر بانسحاب الفدائيين الذين كانوا في قطاع غزة » !

العبارة غير مفهومة ، ولا أدري هل هذا المقصود من بغدادي الذي لا يخفي نقده لعبد الناصر وكفاءته هو وعامر من الناحية العسكرية ؟ !

ما المقصود بمنع الاحتكاك أو الصدام مع قوات إسرائيل ؟ . . داخل إسرائيل أم حتى إذا هجمت على مصر ؟ !

• و هو هوفر ، هذا هو الذي يوصف بأنه التلطف على نصبة الامبراطورية البريطانية لحساب الشركات الأمريكية .

لأنه إذا كان المقصود عدم الاحتكاك من جانبنا ، أو عدم الصدام مع قوات إسرائيل وهي خارج حدودنا . . كان يكفي أمر مشدد بوقف العمليات الفدائية . والمفروض أنهم جنود منضبطون !

أما سحبهم نهائياً من قطاع غزة ، فالمقصود به منع الاحتكاك أو الصدام حتى لو بداته إسرائيل .

هيكمل وحمروش يفسران هذا الإصرار على تجاهل الحقائق المؤكدة التي وصلت على يد ملحقين عسكريين وأعضاء مجلس ثورة حالين وسابقين ، وأتراك وأمريكان . . إلخ يفسرانه بأن تقدير عبد الناصر الذي كتبه بخط يده في الوثيقة . . إلخ أو بالتصريح الذي أدلى به إلى « كينيث لدف » في حديث صحفي بعد ذلك بشهري سنوات ، قال فيه إنه استبعد لجوء البريطانيين إلى التحالف مع الإسرائيليين لاستعادة القناة بالقوة . أما بالنسبة لفرنسا فكانت غير راضية عن حلف بغداد وكنت أعتقد أنهم منهمكون في الجزائر بما لا يسمح لهم بالحملة ضدنا ؟ وقال هيكمل إن عبد الناصر قرر أن نسبة الغزو انخفضت إلى عشرة بالمائة ، بل إنه استبعد عملياً احتمال الغزو ؟

على أية حال الوقائع تدل على أن احتمال هجوم بريطاني كان وارداً عند القيادة ولو بنسب متفاوتة ما بين ثمانين وعشرة بالمائة . . أما الاحتمال المستبعد تماماً ، والذي أصرت هذه القيادة على استبعاده رغم كل الدلائل . فهو احتمال الغزو الإسرائيلي ١١ فقد نسب هيكمل لعبد الناصر أنه عندما اختل به وحده لوضع تقدير للموقف يوم ٢١ يوليو وبأدبه بأنه قد عرف أفكاره . . المهم قال له عبد الناصر حرفياً : « إسرائيل أيضاً قد تفكر في التدخل ولكنها لا تستطيع اتخاذ تأميمنا لقناة السويس ذريعة لشن الحرب ، ثم إن تدخل إسرائيل ضدنا سوف يجعل معركتها ضد مصر حرباً ضد الأمة العربية كلها . وهذا يفرض على أمريكا محاولة « فرملة » إسرائيل * . ثم إن إسرائيل من مصلحتها أن تنتظر لكي ترى صراعنا مع الغرب كله يشتد ويعنف ، وأنه لم يكن يخشى أن يتدخل أي طرف إلا بريطانيا ! فهناك إذا حالة إصرار على رفض المواجهة مع إسرائيل ولو في تقدير موقف نظري . . ولاحظ الاعتراف على « فرملة » أمريكا لإسرائيل ١٢ .

وهذه هي الظاهرة التي نود أن نقف عندها طويلاً ، لأنها - في رأينا - جوهر مسألة النظام الناصري وإن تكن مترتبة على الخطيئة الأولى ، وهي قبول تنفيذ « الثورة » بالتنسيق مع المخابرات الأمريكية . !

والتفسيرات عديدة لهذا الإهمال الخطير الذي ارتكبه القيادة المصرية ، والذي كان كافياً

• ولكن لما لم تنجح أمريكا في فرملة إسرائيل لجأت إلى الفرملة الناصرية لمنع وقوع حرب تشترك فيها « الأمة العربية كلها » .

عبد الناصر كان يعرف خطورة وفعالية اشتعال الحرب على مستوى الأمة العربية ولذلك منعها .

لتنبيهها - فيما بعد - إلى خطورة الاعتماد على مواهبها وحدها في تقدير الموقف ، وضرورة الاستعانة بالخبراء والمحترفين من أهل الثقة في كفءاتهم لا تبعيتهم . . . وهو ما لم يحدث للأسف !

• لم يتحقق استنتاج عبد الناصر من تقدير موقفه وفروجه ، يوم ٢٩ أكتوبر بخبر يقول إن الإسرائيليين قد أعلنوا أنهم أرسلوا طابوراً مدرعاً إلى سيناء للقضاء على الفدائيين ثم أعلنوا في نفس الليلة إن قواتهم تقترب من قناة السويس .
التفسيرات تختلف باختلاف الاجتهادات في تفسير ظاهرة الناصرية .

○ فالذين يربطون حركة ٢٣ يوليو بالأمريكيين ، يرون أن الزعيم كان مطمئناً لعودة الأمريكيين بأنه لا عدوان . فنام على تأكيد رجل المخابرات الأمريكية الذي قال بجهالة أو عن غدر « مادامت أمريكا لا تفر العدوان فلن يقع » !

○ أما المدرسة الرافضة للديكتاتورية ، فهي ترى أن الحاكم الفرد المطلق عندما وضع تقدير الموقف في ٢٣ يوليو ١٩٥٦ ، وقرر أن احتمال الغزو وهو الأسبوع الأول من التأميم فهو يؤمم والانجليز يهجمون وكأنهم ينتظرون في بور سعيد ! . . غافلاً بالطبع عن تعقيدات إصدار قرار بالحرب في بلد ديمقراطي ! . . لا يحكم بالقرارات الفردية ، ولا النزوات الطارئة ، وأن لا ابدن ولا موليه ، ولا هما معاً ، يتمتعان بسلطات شمس بدران أو شعراوي جمعة . ولما مرت الأسابيع ولم يحدث الغزو تأكدت . . صحة تحليل الزعيم . ومن ثم استحال مراجعته . . لأن الديكتاتور - في رأي هؤلاء - تستند ديكتاتوريته ومكانته على اقتناع بأنه لا يخطئ . . لأنه لو ثبت إمكانية خطئه ، فسينظر إليه كمجرد بشر قابل للخطأ ومن ثم قابل للمناقشة والنقد والتعلم . . أي قابل للاعتراض على قراراته وأحكامه . . قابل للرفض . . دون أن يشكل ذلك خيانة وطنية ، أو اعتراضاً على حركة التاريخ ! وذلك لا يستقيم مع متطلبات الحكم الديكتاتوري ، ولذا فإن أية حسارة لا تهم ما دامت قدسية قرارات واستنتاجات الزعيم لا تمس ولا تمخدش . . ولا تتغير . . أو كما قال كوبلاند : « لقد حدث المحتوم للقادة من طراز ناصر ، وأعني قيام حاجز بينه وبين العالم الخارجي ، هذا الحاجز الذي أصبح من الكثافة بحيث استحال وصول أية معلومات أو آراء إليه إلا ما يؤكد عصته وخلوده » .

وهذا التصبر على دفته من الناحية النفسية ، وكقانون عام للنظم الديكتاتورية وخاصة في البلدان المتخلفة ، إلا أنه يغفل جانباً أكثر أهمية وأكثر خطورة في حالة مصر ، يغفل عاملين :
الأول : العلاقة الخاصة التي كانت بين المخابرات الأمريكية CIA وعبد الناصر ، وثقته المطلقة في تقديراتها ، وثابت من جميع الروايات أن مجموعة الـ CIA العاملة في مصر فوجئت بالعدوان ولم تكن تتوقعه . وفي نفس الوقت كانت على يقين من أن الولايات المتحدة تعارضه ، وهكذا صدق عبد الناصر رجال المخابرات الأمريكية وكذب كل الناس ، ونعت

تأثير افتتانه بأمريكا اقتنع بأنها تملك أن تأمر بريطانيا وفرنسا وإسرائيل كل الوقت وفي كل القضايا !

أما العامل الثاني فهو الإصرار على إلغاء المواجهة المصرية - الإسرائيلية من قائمة الاهتمامات للقيادة الناصرية منذ أن تولت السلطة وإلى ٥ يونيو ١٩٦٧ . . وحرصها أو هل نقول التزامها بتجنب هذه المجابهة بأي ثمن . . وموضح أن الحجر الأساسي في الاستراتيجية الإسرائيلية هو المراهنة على هذا الالتزام المصري . . أعني رفض المجابهة ومحاولة تخاشيها تماماً . . وذلك من ١٩٥٤ إلى ١٩٧٣ .

وقبل أن نتقل لذلك نشير إلى الفرق بين دقة وتعدد المعلومات التي وصلت للقيادة المصرية في ١٩٥٦ ، وإن لم تعمل بها ، وبين الغفلة النامة التي كانت تسبح فيها هذه القيادة في ١٩٦٧ . . لأن مصر كانت لا تزال حديثة عهد بالنظام الثوري ! . . لم تتغلغل فيها الروح الثورية على يد صلاح نصر الذي حول المخابرات إلى جهاز كبت للشعب وأكبر وكر فساد عرف في التاريخ ، ويوماً ما ستكشف حقائق مخزي أمة لعشرة قرون ١١ . . ولأن التصفيات قد استبعدت من الجهاز الدبلوماسي والمخابراتي كل الشخصيات الراغبة والقادرة على العمل ، وحتى لو أفلتت هذه الشخصية ، فإن الأخطبوط الذي كان في القاهرة ، ولم تعرف كل أسرارها بعد . . كان كفيلاً بمنع وصول جهودها إلى حيث يشعر مفعولها . . وراجع حكاية ضياع إخطار نقطة الحدود بالهجوم الإسرائيلي البري صباح ٥ يونيو لأن الرسالة لم تفتح ! وراجع ضياع إنذار عبد المنعم رياض عن الحشد الجوي الإسرائيلي المتجه لمصر على شاشات الرادار ، والذي لم يستقبل لأن الشفرة بالصدفة تغيرت صباح هذا اليوم بالذات ونسوا أن يبلغوها لمن وضعوهم على الحدود لهذه المهمة فقط ! . . فلما أنجزوها لم يستلموها منهم * !

* ومن الطريف أن الناصريين تحت تأثير عقدة ذنب ١٩٥٦ يركزون في دفاعهم عن ١٩٦٧ إلى أن الزعيم حدد - هذه المرة - يوم الهجوم . . كانه قارئة فتجان ، ثم ذهب لينام ! . . هزمتا وضاع ثمن الوطن مرة لأن الأعداء حقدوا والزعيم رفض أن يصدق تقاريرهم . . وخسرناها مرة ثانية لأن الزعيم حذر . . والمساعدون رفضوا تصديق نبوءته ١١
يبقى خالصين ١١

المراجع

- ١ - حمروش ص ٧٩ .
- ٢ - ن . م ص ٨٢ .
- ٣ - قصة السويس : رسالة محمود فوزي إلى عبد الناصر من نيويورك ٤ أكتوبر ١٩٥٦ .
- ٤ - سلوين لويد : السويس ١٩٥٦ ص ٧٣ .
- ٥ - ن . م ص ٦٦ .
- ٦ - ن . م . ص ٧٩ / ٨٠ .
- ٧ - ايزنهاور الرئيس : بقلم ستيفن أمبروز ص ٣٥٨ ، ص ٣٥٩ .
- ٨ - ن . م ص ٣٥٦ .
- ٩ - قصة السويس ص ١٣٠ نقلاً عن وثيقة بخط عبد الناصر على ذمة وبشهادة هيكمل ١
- ١٠ - قطع ذيل الأسد ص ١٠٥ .
- ١١ - ملفات . . . ص ٨٢٧ .
- ١٢ - ن . م ص ٤١٠ .

الملاحق

م^١ - وهنا إضافة على ضوء ما نشر من اعترافات ووثائق ، فقد قال « النهامي » إنه ساهم في عملية خلع الجنرال جلوب . . . والنهامي الآن ثابت أنه رسول سيدتنا الحضرة الذي في « لانجلي » * . . . وقد اعترف « هيكمل » بالدور الأمريكي في هذا « الانتصار » للحركة الوطنية في الأردن . . . وكان الإحساس في وزارة الخارجية أن الولايات المتحدة - مرة أخرى - تتقدم إلى إحلال نفوذها محل النفوذ البريطاني في أحد مراكزه التقليدية الأساسية وهي عمان اتضح أن السياسة البريطانية أضاعت قطار عمان ، تماماً فمشى وتركها ، ص ٤٠٧ - ٤٠٨ ع .

أما التصير الذي يعلمه ويخفيه جيداً ، فهو أن الموجة الوطنية التي اجتاحت المنطقة امتدت إلى الأردن الذي كان وقتها يضم الضفة أكثر المناطق العربية استعداداً للثورة ، ووصلت ذروتها بالإضرابات والمظاهرات ضد بريطانيا وحلف بغداد ووزارة الجنرال « شيلر » آخر محاولة بريطانية

* مقر المخابرات الأمريكية في ولاية نبرجينا

لضبط الأردن . . . وقد تحلى عجز النظام وعجز بريطانيا برفض الجيش الأردني أوامر قائده « جلوب » الانجليزي بإطلاق النار على المتظاهرين ضد ثبلة . . . وهنا أصبح الموقف أشبه به في مصر عشية الانقلاب الأمريكي ، كان مجرى الأحداث يشير إلى احتمال تطور الغضب الشعبية إلى ثورة تطيح بالعرش الهاشمي أو حتى بالملك ، الأمر الذي يفتح احتمالات بغير حد وشديدة الخطورة على المصالح الأمريكية والإسرائيلية ، وكان لابد من إجراء بنقذ النظام ، وبمكس الملك فاروق ، الذي لم يكن قادراً على الاندماج في مخطط « روزفلت » ، فقد نجحوا ب الملك حسين إلى أقصى حد مع روزفلت ورسول روزفلت . . . التهامي ، وكانت الخطة هي منح شعبية للملك عند الجماهير ، تمكته من إخماد الثورة الحقيقية ، وكبح نفوذ ناصر ، ولوي ذراع بريطانيا المسكة بختناق الملك مما يتيح لليد الأمريكية أن تربت على كتفه وتضع الي في القسمة في جيبه . . . وإن كان ذلك يفيد في الظاهر الاستراتيجية العامة لزراع زعامة عبد الناصر والجبهة المعادية لبريطانيا إلا أنه في الأساس يفيد الولايات المتحدة ، من ناحية إجهاد الثورة الحقيقية ، ومن ناحية تدعيم سلطة موثوق بها ، تشكل ضوابط أو فرائم لحرية حركة عبد الناصر أو حتى التأثيرات العنوية لزعامته ولا تنس أن أمريكا وروزفلت كانا يستخدمان عبد الناصر والناصرية ، وليس العكس .

م^٢ - هبكل ص ٥٩ « قصة السويس » وقد رد علينا هبكل بأن طرح تفسيراً في « ملفات السويس » يقول أن عمان قررت إيقاف حركة البرقيات حتى تخرج طائرة جلوب من الأجواء الأردنية ، ص ٤١٤ .

وهذه وحدها تكشف فجوره وتلاعبه بالتاريخ والوقائع واعتماده على جهل قارئه فقد قال بالحرف الواحد في قصة السويس إن : « يوم لينت اتصل بي في الصباح ليقول لي إن دور جلوب باشا في الأردن قد انتهى ، وأنه سوف يغادر عمان خلال ساعات » . أي أن جلوب كان لا يزال داخل عمان لم يغادر ولكن الخبر وصل إلى وكالة الأنباء الغربية (رويتر) ومراسلها يطلب تعليقاً ! فلما سلخنا جلده ، إذا بجلوب غادر الأردن والنبا كان ممنوعاً والبرقيات موقوفة حتى تخرج طائرة جلوب من الأجواء الأردنية . . . ويخلو الجو للملفقين .

راجع كتاباتك بأستاذ فرما يقرأك يوماً من هم أكثر وعياً من « نياح غجر » !

م^٣ - بل وكان هذا هو الشعور السائد أيضاً في أوساط المخابرات الأمريكية ، إن قرار سحب تمويل السد العالي ، جاء بطريقة يقصد بها ضرب عبد الناصر وضرب المخابرات CIA التي تتبناه . . . ولاحظ أنه كانت قد جرت بالفعل تغييرات في الـ CIA وأبعد معظم العناصر التي رعت ميلاد انقلاب يوليو . . .

سجل لنا « ولبور إيفيلاند » مشاعر المخابرات الأمريكية عند إعلان سحب تمويل السد قال : « عندما غادرت الاجتماع في وزارة الخارجية ، كان « مايلز كويلاند » لا يزال في المعمر ، فلما رأي

لغت عينه وجذبني إلى ركن وقال لي : « لا بد أن وزير الخارجية قد حن .. » وقد حاولت أن أهدي « دلدول » (Pontegé) كيم روزفلت المحموم ولكن بدون جدوى ، ذكرت بطريق الشركة الاستشارية الذي قال إن الحالة في مصر ستكون أسوأ بعد عشر سنوات من بناء السد العالي منها قبله إذا لم تسيطر على زيادة السكان .. وسأله هل بناء هذا السد العالي الفادح التكلفة هو الذي يحتل الأولوية في برنامج ناصر .. فقال : هذه ليست القضية .. إن نفوذ وسمعة الرئيس المصري هي القضية .. والسد هو حاجة سياسية .. فترت قائلاً : إن ناصر يريد منا أكثر من السد ، ولكن كوبلاند استمر يدافع عن ناصر قائلاً : إن الوزير دلاس تصرف عن اقتناع بأن مصر اعترفت بالصين ورهنت القطن المصري لصفقة السلاح الروسي فقط لإغاطة وزير الخارجية . وقال كوبلاند : « إن وزير الخارجية متعاطف مع الانجليز في الإطاحة بناصر » كما جرى تغيير بعد سحب السد العالي في وزارة الخارجية لإحكام سيطرة الوزير عليها ، ص ١٩٥ حبال الرمال .

م ٤ - « قال سلوين لويد في نوفمبر ١٩٥٥ أعلن عبد الناصر ثقة الحكومة المصرية في موقف شركة القناة . وفي يونيو ١٩٥٦ وقع اتفاقية معها » (المصدر المذكور ص ١٣٧) .

م ٥ - بالنسبة للأمريكان لا تقطع بشيء غير أن الحوار كان يدور في المخابرات الأمريكية ووزارة الخارجية حول هل يؤمم عبد الناصر القناة رداً على سحب تمويل السد ، ولماذا تأخر قرار عبد الناصر بالتأميم .. وانظر كتاب لعبة الأمم .

م ٦ - .. وإذا كانت العاطفة الوطنية ترجع أي نقاش أو أية حجج تثار حول قرار تأميم قناة السويس لأن الأمم تحتاج إلى « النار » التاريخي ، فهو الذي يعطي الثقة في المستقبل وفي العدل التاريخي .. وإذا كنا قد طالبنا بتأميم القناة وفي مصر ثمانون ألف عسكري بريطاني وقصر وبوليس سياسي ، وأنا طالب بالجامعة لا حول لي ولا قوة ، فإنه يحق لي الآن وقد مرت سنوات حولت التأميم إلى حدث تاريخي لا تؤثر فيه المناقشة أقول من حقني أن أطالب بدراسة لمكاسب مصر المادية من التأميم ، وفي إطار : هل كان من مصلحة مصر في مواجهة الخطر الإسرائيلي المتصاعد أن تصفي العنصر الدولي الذي قبل وفرض منع إسرائيل من العبور في القناة حرصاً على استثماراته ؟ وأيضاً في مواجهة ناقلات النفط العملاقة ، وظهور النفط غرب قناة السويس .. هل كان من مصلحتنا تقليل حاسة وارتباط المصالح النفطية العالمية (بريطانيا وفرنسا) بالنسبة لعبور النفط من قناة السويس ؟

وأهم من ذلك كله هو النقاش المطلوب حول استراتيجية مصر بعد توقيع اتفاقية الجلاء .. وهل كانت الاستراتيجية الأمثل هي الاستمرار في التحرش ببريطانيا ؟ ..

وأخيراً هل كشف الحساب المالي بضع العملية في خاتمة الربح ، هل العائد المالي من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٩ يفوق التعويضات التي دفعت والخسائر التي سببها الغزو البريطاني ، والذي سببه الغزو الإسرائيلي الذي تم في حماية بريطانيا .. وهل القناة تدار مالياً على النحو الأكفأ .. وربحها أقل من عشرة بالمائة من إيراداتها ؟ ..

م ٧ - أشرنا في أكثر من موضع إلى التعديل الذي اضطر « هيكال » لإدخاله على « تاريخ » حرب السويس ، كما يسميها ، فبعد أن قندنا في كتابنا السابق زعمه أن أمريكا كانت الشريك الرابع في

العدوان وكشفنا - لأول مرة - باللغة العربية دور أمريكا في نصر السويس . أصبح يستحيل ولا حتى على مزور في براعته أن يعيد هذا الملف الذي قاله في ١٩٧٦ . . . يستحيل أن يستمر في ادعاء اشتراك أمريكا وهزيمتها ضمن قائمة المهزمين على يد الزعيم . ولكن لأن تاريخ هيكمل هو أصلاً لتضليل الإنسان العربي ، فقد عز عليه أن يعترف بالحقيقة كاملة . لهذا الإنسان ، عز عليه أن يعترف بدور أمريكا في « نصر السويس » حتى لا يتزعزع ايزنهاور عبد الناصر الريشة إياها التي وضعها « هيكمل » على رأسه وفي عين الفاريء العربي . . . أما بالنسبة للقراء الانجليز وفي كتاب مطبوع على غلافه أن الملحمة الناصرية ليست إلا فصلاً من رواية طرد أمريكا لبريطانيا والحلول محلها ، فلا تجوز نصف الحقائق ، كما أن المشاخ لا يتفق مع وضع الريش على الرأس . انظر كيف تطور التاريخ خلال عشر سنوات ومن طبعة لطبعة :

في « ملفات السويس » : حذف العنوان القاضح التضليل والتهميش وهو : « الفارس الرابع على طريق السويس »^١ ليحل محله عنوان جديد هو : « أمريكا . . . الحكم »^٢ . . . تصوروا في أقل من عشر سنوات تحولت الولايات المتحدة من خصم إلى حكم على يد نفس الكاتب ولا تطرف عين لأفاق من المشيدين به . . . وليت الأمر اقتصر على ذلك بل استمر التصعيد أو الترقية للولايات المتحدة فهي في قصة السويس ١٩٨١ ينص عباراته : « كانت الولايات المتحدة الأمريكية شريكاً رابعاً في العدوان الثلاثي »^٣ . . . ولكن في قانون الشركات المعدل عام ١٩٨٧ نجدها شريكاً النصر مع عبد الناصر . . . مع التأكيد على حصتها في الأرباح . . . إذ ينتم حديثه في الطبعة الانجليزية من ملفات السويس أو قطع ذيل الأسد بقوله : « كثيرون خسروا حرب السويس . . . ولكن هناك مستمران لاشك في انتصارهما . . . الرئيس عبد الناصر والأمريكيون . . . فمحاولة بريطانيا العودة إلى المنطقة انتهت بكارثة وكذا محاولة فرنسا للتسلل من الباب الخلفى* وهكذا أصبح الأمريكيون لا يرون منافساً . . . الخ »^٤ .

الحمد لله قلنا هذا قبل سنوات ، وكشفنا تضليله وأجبرناه على الاعتراف بالحقيقة . . . ولو للانجليز ! . . .

أما في الطبعة العربية ، فالظاهر أن الحكيم أوصى بالتدريج في إعطاء الحقيقة للمريض العربي . . . فبينما وصلنا في الطبعة الانجليزية إلى معرفة المنتصر وتحديد الاسم الثلاثي . . . نجد بني هيكمل في الطبعة العربية مازالوا يشاءون عن لون البقرة . . . فيطرح هذا السؤال : « من الذي انتصر ؟ » ! . . .

ويجيب بأن مصر هي المنتصرة ، ولا ذكر للولايات المتحدة الأمريكية ، وكأنه ليس مؤلف

١ - قصة السويس ٦٥ .

٢ - ٣٠١ خ .

٣ - ٦٧ قصة السويس .

٤ - ٢٠١ خ .

* أي باب خلفي ؟ مصر باب خلفي للمنطقة ؟ فحين الباب الأمامي باسم بابواب . . . ماذا تضمرون لمصر وما حقيقة تغديركم لها ؟! حمايكم عند الله والتاريخ عسير .

الكتاب الانجليزي وليس الذي حدد المتتصر هناك . . فقال : متصران مثنى مرفوع بالألف . . أما عندما يحكي عربي . . فقد ألغى الولايات المتحدة وصادر الخمسين بالمائة حصتها مع أن المصادرة والحراسة أصبحت ممنوعة بفضل انقلاب السادات الذي كان هو فارسه ! . . يقول للعرب : « انتهت حرب السويس وقد حققت مصر كل طلباتها واستردت كل حقوقها فيما عدا واحدا وهو منع إسرائيل من المرور في خليج العقبة » (ص ٦٠٦ ع) .

وهذا التحفظ أضيف بعد أن فرجنا عليه العالم ، عندما حاول إخفاء هذه القضية في « قصة السويس » ولكنه جاء اعتراف المكروه المضطر ، فقد وضع أخطر قضية في الصراع العربي - الإسرائيلي في سطر واحد : « ثم سلمت الولايات المتحدة لإسرائيل مذكرة تؤيد فيها حقها في المرور البري من مضائق العقبة » ص ٦٠٤ ع .
ما دخل أمريكا في المرور من مضائقنا ؟ !

ولماذا هذه المعجالة والاختصار الشديد في ملفات تصل إلى ألف صفحة . . لماذا لا نحكي لنا عن الظروف والتطورات ودورك في قبول عبد الناصر لهذا الأمر ، الأمريكي . . لماذا لم يضرب لك تليفونا على الفطار أو العشاء . . ؟ !

والخلاف واضح بين العرض المقدم للجمهور المصري والعرض الخاص بالسياح الانجليز . . هنا (الطبعة العربية) ولا كلمة عن أمريكا . . وإنما مصر متصرة . . فرنسا منهزمة ، بريطانيا منهارة . . أما « بن جوريون » فحدث ولا حرج . . إنه بنى ألما ويرتعد رعباً : « إنني مشفق على إسرائيل فقد ظهر في مصر فرعون جديد ولا أجد في أعماقي قوة موسى الذي قاد شعبه إلى الخلاص » .

ومن ثم قرر الاعتزال ! . .

موسى بن جوريون اعتزل ! . . الذي قاد شعبه لا جريا من جيش فرعون إلى البحر . . بل مطارداً لجيش فرعون حتى استحم بنو إسرائيل في قناة السويس ! . .

موسى الذي لم يضل في سيناء أربعين سنة بل احتلها كلها في ست وثلاثين ساعة ! . . اعتزل !
موسى الذي احتل سيناء وغزة وفتح خليج العقبة ودمر أسلحة بمائتي مليون جنيه (لا أقل من عشرين مليارا بأسعار اليوم) . . وسرق بترول مصر اعتزل مرعوباً . .

وبقي على عرش مصر . . من أخل سيناء من أبطاها وحاميا ليدخلها بنو إسرائيل في بطولة كاذبة وبلا مقاومة فقد أنجزت راشيل المهمة !

بقي فرعون الذي فتح طريق بلاد « بنت » للهكسوس . .
لا حياة !

حتى الفراعنة تلوث تاريخهم بامزور ! ؟

م* . . وقد ذكر « ستيفن امبروز » مؤرخ « ايزنهاور » الرئيس ، أنه « لما وصلت أنباء استعدادات إسرائيل الحربية طلب ايزنهاور من جون دلاس وزير الخارجية أن يبلغ بن جوريون : « ألا يرتكب خطأ في التقدير ، فيظن أن اهتمام ايزنهاور بالنجاح في الانتخابات « بأصوات اليهود . ج » أهم عنده من حفظ السلام . وأن على دلاس أن يخبر بن جوريون أنه على المدى البعيد فإن عدواناً تشه

إسرائيل سيجعل لها كارثة ولن يستطيع أصدقاء إسرائيل ، أو بالأحرى الذين سيقون على صداقتها ، إنقاذها منها كانت قوتهم .

ولم يكن إيزنهاور جاهلاً ولا مستهيناً بأصوات اليهود ففي محادثة مع ابنه قال له : « يبدو بابي أننا نبحث عن المتعصب ، لأنه لو استمر الإسرائيليون في موقفهم (العدوان على مصر . ج) فربما اضطر لاستخدام القوة لإبقائهم وعندها فقد أخطر الانتخابات ، فن فقد نيويورك ونيوجرسي وبسلفاتيا وكنتكت على الأقل » (إيزنهاور ص ٣٥٣) .

فتأمل كيف قلبها هذا الكويكب رأساً على عقب ، وتأمل ماذا يصيب الفكر في بلادنا عندما يعكف المعكر على كتابة التاريخ . . بل تزويره ! . .

م^٩ - كان يمثل المصالح النفطية الأمريكية ولذلك كان أشد الأمريكيين في تلك الفترة عداء لبريطانيا ، وأكثرهم تعرضاً لحقد سلوين لويد . وهو الذي عارض السد لكي لا يشترك فيه الانجليز !

م^{١٠} - وهذا يؤكد ما قلناه عن أن الصدام سابق على القناة ستة أشهر على الأقل !

م^{١١} - يبدو وإن كنا لا نملك أدلة توثيقية أن اتفاقاً تم بين الأمريكان والروس . أطلق فيه الأمريكان يد الروس في إخلاء ثورة المجر دون أي تدخل جاد ، وبالتالي ترك الروس الأمريكان يتكلمون بالانجليز والفرنسيين . على الأقل هذا ما حدث .

م^{١٢} - أبلغ الأمريكان الحكومة البريطانية أنهم يعترضون على رئاسة « سلوين لويد » للمؤتمر ، وقال « دلاس » له في ٥ أغسطس « ليس من المرغوب فيه أن ترأس المؤتمر . . فأوضحت له أن البديل سيكون سلسلة إجراءات تبادل الرئاسة يومياً حسب الحروف الهجائية . . الخ ، ص ١٠٩ لويد .

م^{١٣} - الدول التي حضرت : بريطانيا وفرنسا وهولندا وإيطاليا وروسيا وأستراليا والدنمارك وألمانيا والنرويج والسويد وأمريكا وأستراليا وسيلان والهند واليابان ونيوزيلاند وباكستان وإيران .

م^{١٤} - سلم « هيكل » بما قلناه عن « جمعية المتضمين » وأنها كانت اقتراحاً أمريكياً لتعطيل التحرك البريطاني وكسب الوقت لصالح ناصر . . (انظر كلمتي للمفغلين ص ٢٥٦ / ٢٥٧) اعترف هيكل بذلك ولكن على أساس مبدأ من يعرف يقال له أكثر ومن لا يعرف لا يستحق أن نعرفه ، فقد أثر بها القراء الانجليز ، فأثبت رأي سلوين لويد أنها كانت مجرد إجراء تعطيل وأضاف إن دلاس « خصى هذه الجمعية في نظر الانجليز والفرنسيين بأعلاته في ١٣ سبتمبر أنها لن تشق طريقها بالقوة » ص ١٠٦ خ .

أمن يخفي لكم جمعية المتضمين تسميه شريكاً رابعاً !؟

م^{١٥} - الذي أراد هيكل أن يوسطه لإثارة اهتمام إسرائيل بما يجري في مصر !!

م^{١٦} - وزادنا هيكل تعريفاً بأخطاء الزعيم في ملفات السويس ، فأخبرنا أن عبد الناصر جلس يكتب تقريراً للموقف بعد التأميم فكتب ٧ صفحات ، فلما وصل إلى تقدير الموقف عسكرياً توقف عن الكتابة وراح بقدره شقوياً !
ماذا قدر في السبع صفحات إذا كان التقدير العسكري لم يجد أنه يحتاج للتفكير على الورق ! . .
هل هذه من باب الدس على الزعيم ؟

م^{١٧} - هذا ما كتبناه منذ سنوات ، ولكن الشكوك تساورنا الآن حول حقيقة موقف الدكتور « محمود فوزي » بحكم العلاقة التي بينه وبين هيكل وإصرار هيكل على مدحه ، وادعاء ترشيحه رئيساً للوزراء في عهد السادات ثم أخلاقيات « محمود فوزي » التي مكنته من البقاء وكانت محل استنكار كل من عرفها لخفاقة الزعيم ومن حول الزعيم ، وعجته إيداء أي رأي ، أو معارضة حتى مرءوسيه من العسكري . . مما يجعلنا نسأل لماذا حذرت جميع المصادر المصرية من العدوان إلا « محمود فوزي » الذي أصر على استبعاده و « تضليل » الزعيم ؟ وهل هناك مصدر آخر يعزز روايته عن همرشولد وشيلوف ؟ هذه مجرد وسوسة خطرت لنا . .

م^{١٨} - ويبدو أننا اسكننا « هيكل » هنا من مقتل ، ففي كتابه ملفات السويس تدارك الأمر ورد على ما كتبناه باعتذار يقول :

(ولكن « جريفاً » شأنه شأن أي « سياسي » لم يتورع عن استغلال الموقف بعد ذلك لصالح قضيته ، فقد عرض على الانجليز هدنة في قبرص طوال فترة أزمة السويس إذا قبلت الحكومة البريطانية ببعض شروط حركة المقاومة القبرصية !!) ص ٤٦٣ ع .

ووضع علامات تعجب !! والعجب منكم مرتين ، مرة لأنك وزعيمك أو تلميذك جهلتما حقيقة موقف القبرصيين اليوناني الصليبي أو تجاهلتهما عن عمد ، والثانية أنك بسوء نية أخفيت هذه الحقيقة عن المصريين والعرب عشر سنوات حتى أمسكت بختاتك متلبساً بتزييف موقف ابوكا ومكاريوس وقد جعلتهما أبطالاً مناصرين لمصر فجئت تخرج عارك وتخفي انك بهذا الاعتذار وعلامات التعجب و « يتورع » .

أنت الذي لم يتورع عن تزييف الحقائق وإخفائها على القراء . .

م^{١٩} - عبد الناصر والعالم : هيكل - وارجع إلى فصل الأمريكان واعترافات مصطفى أمين حيث نقل هو وهيكل بالطبع إلى عبد الناصر تأكيدات المخابرات الأمريكية بأنه لن يقع عدوان ما لم توافق عليه أمريكا ، وأمريكا لن توافق وهذا يفسر موقف عبد الناصر « أفضل » تفسير ويعد الشبهات الأخرى التي تقود تفسيراتهم إليها .

هزيمة في المعارك ونصر في الادعاءات !

أحداث ١٩٥٦ أثبتت أن المعركة بفهوم التضحية بمصالح
الوطن التزاما بتوجيهات أمريكا أكثر انطباقا على مصر
الناصرية من إسرائيل ..

كيف دارت المعركة على أرض سيناء فيها وصفه « هيكلم » بأنه « أكمل نصر في الحروب المحدودة » بل أكمل نصر عربي في تاريخهم الحديث ! . .
« في الساعة الخامسة بعد الظهر تحرك لواء ميكانيكي إسرائيلي في اتجاه منطقة الكونتيللا ، وعلى آخر ضوء تم إسقاط كتية مظلات إسرائيلية في منطقة سدر الحيطان في عمر متلا .
أين كانت القيادة المصرية . . وكيف وصلها النبأ . . ومن الذي أبلغها النبأ ؟ اليد ترعجف ، والجبين يقطر خزيًا وعاراً . . والقلب ينكسر ولعل ذلك ما قصد إليه هيكلم في إيراد هذه الرواية :

« كان جمال عبد الناصر ساعتهما يشترك في احتفال عيد ميلاد ابنه عبد الحميد ، وسلمت إليه برقية وكالة يونائتدبريس تنقل البيان الرسمي الإسرائيلي ، وقرأ عبد الناصر البرقية ثم ناولها إلى عبد الحكيم عامر ، وكان يحضر حفلة عيد الميلاد ، وخرج الاثنان من القاعة المليئة بالأطفال (ربنا يحرسهم ج) وتوجها إلى غرفة مكتب عبد الناصر ومن هناك راح عبد الحكيم عامر يتصل بمقر القيادة العسكرية المصرية في كوبري القبة . ولم تكن الوحدات المصرية في الميدان قد أبلغت بعد عن حدوث شيء » !

يعني لو لم تصدر إسرائيل بلاغاً عسكرياً بهجومها وتوزعه على وكالات الأنباء ، ونحضرها على إبلاغه للعالم كله . لو لم تفعل إسرائيل لاستمر الرئيس والفائد العام للقوات المسلحة بين الأطفال أحباب الله إلى نهاية الحفل السعيد ثم انصرفوا إلى السهرة أو النوم أو قطع فروة صلاح سالم . . دون أن يسمعا فضلاً عن أن يواجهوا الغزو الإسرائيلي لسيناء !
ولا يجوز اتهام إسرائيل بالغفلة في إفشاء سر غزوها ، لمن لا يريد أن يعلم ، ولا بعداء خاص للم طفل عبد الحميد ، وتعمد تعكير حفل عيد ميلاده ، بإعلان هجومها ، بل ذلك كان ضمن الاتفاق الأنجلو فرنسي - الإسرائيلي ، وهو أن تعلن إسرائيل أنها تشن حرباً . . وليس مجرد مناوشات ، حتى يبدأ العهد التنازلي لتنفيذ الجانب الأنجلو - فرنسي بتقديم الإنذار . . الخ . .

رئيس الدولة ونائبه في حفلة عيد الميلاد ولحظة غزو مصر . . لماذا لا يحضر واحد ويبقى الآخر إلى جانب التيكر ، مادامت وكالات الأنباء أصبحت المصدر الوحيد الذي نعرف منه خبر غزو بلادنا ، بل ونقلًا عن تل أبيب ! . . إبراهيم ومراد عرفا بغزو نابليون من رسول محمد كريم في الإسكندرية في نهاية القرن الثامن عشر وليس من القنصل الفرنسي ! . . لا اتصال بين القيادة والجهة . . لا القيادة السياسية ولا القيادة العسكرية التي لم يكن لديها أي خبر من « الوحدات المصرية في الميدان » حتى بعد قطع التورنة ، وإذاعة وكالات الأنباء الخبر ! . .

لا مخبرات ولا أجهزة إلا إذا كان الأمر يتعلق بوفدي أو إخواني أو شيوعي . . أوضاع غير منجانب في الجيش ، عندها يكون عند القيادة الخبر اليقين . . ١٩ هيكمل يحملها « للوحدات في الميدان » فهي التي لم تكن قد أبلغت شيئاً ١٩ تبلغ من ؟ القيادة التي لم تسمع ولم تعلم رغم مرور ساعتين على الانزال وبعد صدور البلاغ الإسرائيلي الثاني لم يكن لها أي اتصال بالجهة ! . . حتى بعدما ذهبوا إلى القيادة وحضر بغداددي ؟ لم يكن الموقف قد عرف بعد على حقيقته حتى تلك اللحظة ، * ولم تصل أخبار بعد « عن نزول قوات مظليين في سدر الحيطان » . . والذي كان هادي ، البال عندما حدثه هيكمل من « كابينة التليفون في ميناهاوس طلبت خطأ خارجياً وأدرت بيدي * رقم تليفون مكتب جمال عبد الناصر . . الخ وسألته « إذا كان يريدني أن أذهب إليه . . ؟ وكان تعليقه : « عندما تفرغ من عشائك مر علي ، *** ! لم يرد أن يفسد عليه العشاء رغم نزول الإسرائيليين في سدر حيطان !

ورغم تكرار الهزيمة في ١٩٦٧ فقد ظل الجهاز الحاكم غارقاً في هذه الغفلة وفي « الغياب عن الوجود الحضاري » وسمع الرئيس بعد ١٢ سنة أن المظليين الإسرائيليين ذاتهم نزلوا في إحدى الجزر المصرية وفكروا محطة الرادار وحملوها وانصرفوا ووصلوا بها إلى إسرائيل وأذاعوا النبأ من إذاعتهم ، وسيتصل الزعيم بقائد جيشه : « صحيح ما يذيعه راديو إسرائيل ؟ » فيرد قائد الجيش الذي كان سينفذ الخطة بزاميت أقصد جراتيت : « دقيقة واحدة ! أسأل باريس وأخبرك » !!

وحتى بعدما وقع الغزو يقرر هيكمل أن عبد الناصر كان يستبعد من ذهنه احتمالات التواطؤ . ثم « إن الطريقة التي بدأت بها العملية لم تنقل إليه الإحساس بأنه أمام شيء خطير . كانت لديه تحفظاته التي تجعله يقطع بأن بريطانيا بالذات لديها من الروادع ما يصددها عن الاشتراك مع إسرائيل في عمل عسكري ضد مصر . وكان تحت تصور أن مشكلة قناة

• ردي علي بانقطه . . حضرة الغباط معباغ الخط بانقطه !

•• آمال بلسانه . . ١٩ كل الناس تدير التليفون بيدها !

••• تفضل علينا هيكمل بملومات أكثر عن هذه المحادثة في ملفات السويس .

السويس في طريقها إلى حل سياسي عندما يجتمع الدكتور محمود فوزي مع مليون لوبيد وكريستان بينو في جنيف بحضور همرشولد^٢.

دعنا من حساباته إزاء بريطانيا وفرنسا . . لماذا لم يقنعه ما حدث بأنه أمام شيء خطير . . غزو بري ، وإنزال كتيبة كاملة في عمق سيناء ١٩ ما هو الخطير . . إنزال في قصر القبة ١٩ نحن إذاً أمام خطأ فادح في التقدير . . وإهمال جسيم في الاستفادة من المعلومات بل التصرف على عكس ما تتطلبه تماماً . . مما أدى إلى إضعاف المقاومة المصرية ، وتسهيل مهمة العدو في احتلال سيناء وتدمير جميع المنشآت فيها وتدمير جميع السلاح السوفيتي ، وسلاح الطيران المصري . .

ألم يكن سكوتنا عن مناقشة هذه الأخطاء عشر سنوات سبباً لتكرارها في ١٩٦٧ . . أيجوز أن نستمر في السكوت اليوم ١٩

وعندما تأكد أنه الغزو ماذا فعلت القيادة ١٩

اضطراب وتخطيط وانقسام وزعل . . وأوامر متعارضة متضاربة كلها لصالح العدو . . رأينا كيف اتخذ عبد الناصر في ٨ أغسطس ما وصفه باشكاتب الناصرية نفسه بأنه « قرار بالغ الأهمية » ، وهو القرار بسحب القوات المصرية من سيناء لأن جبهة القتال المحتملة قد تغيرت^٤ ، والقوات المصرية التي كانت في سيناء وسحبت هي القوات الدائمة ، القوات الضاربة ، أو القوة الأساسية ، المتمركزة هناك من ١٩٤٨ ، المتوائمة مع الأرض ، باختلافها واستحكاماتها وحقول الغامها وتضاريسها ، ونقط استطلاعها ، وكل هذا ييجر بل ويدمر عندما يصدر أمر بالانسحاب لأن العدو على وشك الهجوم في جبهة أخرى ، إذاً لا أحد يفكر في العودة لهذه الجبهة وخاصة بالنسبة للفرقة المدرعة السبعة الحظ مع قيادة ٢٣ يوليو ، فهي لا تتاح لها الفرصة أبداً للبقاء في مواقعها والقتال وإنما هي دائماً في حركة إما منسحبة بفعل قرار خاطئ ، أو عائدة على عجل لتصحيح قرار الانسحاب الخاطئ^٥ !

المهم كانت سيناء بلا مقاومة جديده ، « صحراء » حقاً مفتوحة للعدو . . واجتمعت القيادة . . وترك عضو مجلس قيادة الثورة قائد الجناح « عبد اللطيف بغدادى » ينقل لنا صورة ما حدث !

« بعد أن تم استعراض الموقف وتقدير نية الإسرائيليين بقرار مقابلة هذا العدوان منهم بالقوة - أي بالحرب - وخاصة بعد أن تأكدنا من إنزالهم هذه القوة عند ممر متلا ولأنه اتضح أن العملية أكبر من أن تكون غارة من قوات عسكرية إسرائيلية على موقع من مواقعنا كما كانت العادة قد جرت من قبل . وقد رؤي أنه من الضروري استخدام قواتنا الجوية في نفس الليلة لقذف قوات العدو التي أنزلت عند الممر وأن تقوم أيضاً في الصباح المبكر بتركيز ضرباتها على مطارات العدو وطائراته . وأن تعمل قدر طاقتها للحصول على السيطرة الجوية حتى تتمكن بعد ذلك من العمل ضد قوات العدو الأرضية بمرور وحرية .

« ثم حضر بعد ذلك » محمد صدقي محمود ، رئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية . وصدرت إليه الأوامر بقيام قواتنا الجوية بضرب تلك القوات التي أنزلت عند الممر ، وكذا مطارات العدو فوراً . ولكن ظهر عليه الاضطراب والارتباك وأبدى أن هناك بعض الصعوبات التي تعترض قيام الطائرات القاذفة بعملياتها فوراً ، بحجة عدم توافر الوقود اللازم لها بمطار غرب القاهرة - القاعدة الخاصة بقاذفات القنابل - ولما كانت القاعدة المأخوذ بها هي ملء خزانات الطائرات بالوقود يوماً بعد انتهاء طيرانها اليومي ، لذا اقترحت عليه بعد أن ذكر هذه العقبة أن تقوم الطائرات بالمهمة المطلوبة منها في تلك الليلة بما تحمله في خزاناتها من وقود على أن يتخذ الإجراءات في نفس الوقت . ليتم توافر كميات الوقود الضرورية بالقاعدة في الصباح . وانصرف بعد ذلك .

« وبعد انصرافه تكلم معي جمال عبد الناصر مصرحاً لي بأنه غير مستريح لصدقي للاضطراب الذي ظهر عليه . وطلب مني مساعدة عبد الحكيم في الإشراف على القوات الجوية . وانصرف الجميع بعد أن صدرت الأوامر لعدة وحدات من الجيش بالتحرك » .

ويقول بغداددي إن عامر لم يقبل طلب ناصر أن يشرف بغداددي على الطيران « ففضلت عدم إحراج نفسي ولا إيجاد مشاكل في هذه الظروف ، خاصة أنه ليس هناك قرار واضح يحدد مسؤوليتي المباشرة بالنسبة لهذا الشأن » .

لا أحد يلوم عبد الناصر كثيراً على أنه لم يصدر أمراً بإقالة صدقي محمود في هذه اللحظة وتشكيل مجلس عسكري في الموقع وإعدامه . . وإن كان الاحتياط يتطلب إحالته إلى التقاعد وتسليم السلاح لضابط من المحترفين . . لا لعبد اللطيف بغداددي الذي لم يتعرف على طائرة عسكرية منذ ١٩٥٢ . .

ولا أحد يلوم عبد الناصر كثيراً على أنه في هذه اللحظة لم يسأل صدقي محمود كيف ترك قاعدة تموين القاذفات بدون بتزين ، وهم يتوقعون غزواً بريطانياً - فرنسياً . . بلاش إسرائيل . . حتى ولو كانت النسبة عشرة بالمائة ١٩ وأين سيستخدم البتزين أفضل من تطير الطائرات ١٩

ولكن اللوم كل اللوم أنه لم يحاسبه بعد الهزيمة . . بل أبقاه ١١ سنة حتى فعلها فينا مرة أخرى بالتهام والكمال وتوفر البتزين هذه المرة ١٢ .

ربما نجح الإعلام « الهيكلي » في تغطية حقيقة ما جرى في مساء عام ١٩٥٦ . . بل حقيقة ما جرى على صعيد المواجهة العربية - الإسرائيلية . . ولذا لا أحد اهتم بمغزى عجز الطيران المصري أو شلله خلال الـ ٢٤ ساعة الفاصلة في مضيق الشرق الأوسط ما بين الهجوم الإسرائيلي ، الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ٢٩ أكتوبر والإنذار البريطاني في الرابعة من بعد ظهر يوم ٣٠ أكتوبر . .

١ - كان الطيران المصري أقوى من الطيران الإسرائيلي ، والطيارون المصريون أفضل من زملائهم في عام ١٩٦٧ . . لم تكن قد تمت عملية الإنقاذ التي بدأت بحفلات « فزاد محرم » وانتهت بالحفل الراقص ليلة الهجوم ! . .

وكانت إسرائيل التي تستعد للحرب ضد مصر من يناير ١٩٥٥ . . لا تخشى شيئاً أكثر من هجمة الطيران المصري على مدن إسرائيل . . (١٥٠ طائرة ميج و ٤٠ قاذفة البوشن)^٢ وقد استغرقت هذه القضية جلسات طويلة وحادة بين الوفد الإسرائيلي والوفد البريطاني بالذات ، إذ كان بن جوريون يصر على ألا تبدأ إسرائيل هجومها إلا بعد أن يدمر السلاح الجوي البريطاني ، السلاح الجوي المصري . وقد استخدم بن جوريون عبارة « بمسح مدن إسرائيل » في حديثه عن إمكانيات الطيران المصري إذا ما دخلت إسرائيل الحروب قبل تدمير الطيران المصري . وكانت خطة بريطانيا بالذات أنها ستدعي دخول الحرب لفك الاشتباك بين مصر وإسرائيل ، وحماية القناة من قتلها ، ومن ثم لا بد أن تكون هناك حرب ، وأن تستمر بعض الوقت حتى يقوم العذر على رجله . . ولكن بن جوريون أصر على أن « إسرائيل لن تشن حرباً وحدها » . وأن إسرائيل ستعرض لمخاطر شديدة ، وخصوصاً إذا شن الطيران المصري غارات على المدن الإسرائيلية »^٣ .

« وكانت المناقشة حامية وقد سألتهم (موسى ديان) عما إذا كان السلاح الجوي الفرنسي سوف يهب لمساعدتنا إذا ما تعرضت مدنا للقصف خلال الساعات الأربع والعشرين الأولى عندما تكون طائرتنا كلها مشغولة فوق ميدان القتال ؟ وكان ردهم بالسلب ، وأضافوا إن البريطانيين يعترضون على هذه الفكرة لأنها - في رأيهم - تفسد السيناريو . وعند هذه النقطة انفجرت غضباً من المنطق نفسه ومن كثرة ترديد كلمة « السيناريو » وقلت لهم إن « شكبير » كان كاتب سيناريو عبقرياً ، ولكنني أشك في أن أحداً في مجلس الوزراء قد ورث كفاءته »^٤ .

وكان من المستحيل طبعاً تلبية طلب إسرائيل ، سواء بأن تبدأ بريطانيا وفرنسا الحرب بضرب المطارات المصرية ، أو حتى بأن يتم الغزو في نفس التوقيت ، ولأن إسرائيل كانت متعطشة للحرب أو كما قال موسى ديان « كان علينا ألا نضيع الفرصة التاريخية لمحاربة مصر مع فرنسا وربما بريطانيا أيضاً . . فلن نكون وحدنا » ، وقال سلوين لويدي : « كان بن جوريون يطلب منا تعهداً بتصفية السلاح الجوي المصري * قبل أن تتقدم قواته في سيناء

• ويأتي هيكل بعد عشر سنوات فيقول لنا نصاً من بن جوريون يقول فيه على لسانه : « أنا غير مستعد أن نكون وحدنا في المعركة أكثر من ساعات محدودة ، وقبل أن تنتهي هذه الساعات أريد تعهداً مكتوباً من الحكومة البريطانية بأن سلاح الطيران المصري سوف يتم تدميره فور انتهاء هذه الساعات الأولى » ص ٥٢٥ ع .

بالمنجى ! ألا يحق لنا أن نصف قرار عبد الناصر بالتحطيم الشامل للطيران المصري ، (بمنع من الطيران) ومنذ الدقيقة الأولى للمعركة مسلحة مباشرة في المجهود الحربي الإسرائيلي ودعماً لا يقدر جشها . . أو على الأقل تنفيذا للتعهد الذي طلبه بن جوريون ألا يستحق عبد الناصر التمثال

أياه ١٢

والأفان مدن إسرائيل مثل تل أبيب ستمحي من الوجود .

إلى هذا الحد كان الرعب من مصر . . . وبعد عشر سنوات من العمل الثوري ، وبناء قوة مصر والدخول في عصر الحضارة ، ستدمر إسرائيل الطيران المصري بدون معونة السلاح الجوي البريطاني !

وكان الحل الوسط هو تقصير الوقت ما بين الهجوم الإسرائيلي والتدخل البريطاني ضد السلاح الجوي المصري ، وكان في ذلك مخاطرة أكيدة ، ونستطيع أن نتخيل اليوم النتائج التي كانت ستترتب عربياً ، ومصرياً ، وعلى صعيد المواجهة العربية والإسرائيلية ، لو أن السلاح الجوي المصري ضرب مدن إسرائيل وقتل ما بين عشرين ألف وخمسين ألف إسرائيلي في الأربع والعشرين ساعة ما بين بدء الحرب والتدخل البريطاني . مهما أسرف الخيال ، فلا يمكن المبالغة في النتائج التي كانت ممكنة ، فلا أحد كان يتوقع من مصر أن تهزم بريطانيا وفرنسا ، ولكن الرأس العربي كان سيرتفع شامخاً مع كل ضربة تنزل بإسرائيل ، وكنا سنحطم جدار الأمن الذي اجتهدت أو تمحورت السياسة الإسرائيلية في توفيره للمواطن الإسرائيلي . .

ربما كان تغير مصر الشرق الأوسط . .

المهم خاطرت القيادة الإسرائيلية ، على العنصر الحاسم الذي تميزت به القيادة المصرية في مواجهتها لإسرائيل ، وهو عدم الاستجابة للتحدي ، الرغبة في عدم تصعيد أي اشتباك إلى مستوى الحرب . . يقول : « كنت أمل أن معارك الأيام الأولى ستكون محلية ، وهذا يشجع المصريين على تقديرها بأنها ليست أكثر من عمليات ردع كبيرة ، وبما أنهم لا يرغبون في تصعيدها إلى حرب شاملة . فلن يعبروا الحدود ، ولن يقدفوا مدن إسرائيل ومطاراتها بالقنابل »^٧

بالطبع كانت هناك خطورة في المراهنة على هذا الاحتمال . فلو ثبت خطأ وشتت مصر هجوماً على المدن الإسرائيلية ، فسندفع ثمناً غالياً ثمن تفويت الفرصة بمفاجأة الطائرات المصرية وهي لا تزال على الأرض ولكني قدرت أن القيادة المصرية لن يكون لديها تصور صحيح لما يجري في الساعات الأولى^٨ .

وليس إلا في صباح اليوم الثاني حتى أن رئيس الأركان (المصري) سيدرس رده ومن المؤكد أنه سيحشد كل قواته لمواجهة الوحدات الإسرائيلية التي تسللت إلى الأراضي المصرية ولكن لا أعتقد أنه سيرسل طائراته لضرب تل أبيب .

وقد ثبتت صحة تقديرنا وهو أننا إذا لم نهاجم مطارات المصريين فلن يمدوا نطاق عملياتهم الجوية خلف حدود سيناء .

لاحظ أنه حتى خاطر بخسارة فرصة مباغتة للطيران المصري ، لأنه إذا فعل وضرب المطارات المصرية في القاهرة والاسكندرية فلا يمكن للقيادة المصرية أن تتعلل بأنها مجرد

« اعتداء على الحدود » . . . وعندها يمكن أن يصل جانب من السلاح الجوي المصري إلى مدن إسرائيل . . . ولذلك حرص على إعطائها المبرر للتخاذل . . .

اعترف هيكل بهذه الحقيقة في الطبعة الانجليزية ، وأخفاها في الطبعة العربية ، عندما قال إن خطة إسرائيل كانت : « عدم القيام بأي عمل لاستفزاز القوات الجوية المصرية للعمل ، لأنه كان يخشى أنها يمكن أن ترد بالإغارة على تل أبيب وغيرها من المدن الإسرائيلية . وكان بن جوريون قلقاً بالذات من الخطر الذي تشكله طائرات الألبوشن الثاني والعشرون . وهذا يفسر نقص النشاط الجوي في المرحلة الأولى ، الأمر الذي حير القيادة في القاهرة » ص ١٨٣ خ .

حقاً ! ربنا لا يحير مؤمناً . . .

ولماذا الحيرة ؟ انتهزوا الفرصة واضربوا أنتم . . . وإذا كان هذا يفسر نقص النشاط الجوي الإسرائيلي فما تفسير نقص النشاط أو انعدام النشاط الجوي المصري ؟ والحق أنها نقطة مهمة ، فصحيح أن الأمور قد جرت وكان هناك تسيقاً مسبقاً بين القاهرة وتل أبيب ، أو تعهداً مصرياً بشل الطيران ومنعه من ضرب مدن إسرائيل ، إلا أن الدول التي يحكمها أبناؤها ، لا تترك مجالاً لمفاجأة أو خطأ مهما يكن نظرياً . . . إذ يحتمل أن يوجد في سلاح الطيران المصري أو في قيادة الجيش من ليس في اللعبة ، ومن ثم يرى إخراج الطيران المصري ، لمواجهة الطيران الإسرائيلي إذا شن هجوماً واسعاً ، ورد الضربة في مدن إسرائيل . . . وإن كان الزعيم قد احتاط تماماً فقص أجنحة الطائرات وسحب البترين منها ومنع طيرانها . . . وسجل « هيكل » له هذه المفخرة على قاعدة الشمال إياه ! « إن واحداً من أبرز القرارات التي اتخذها ناصر فور سقوط القنابل على القاهرة هو عدم الاشتراك في أية معارك جوية لأنه عرف أن الطيارين أهم لمصر من الطائرات . . . الخ » ١٨٦ خ .

وكما ترى لا يزال مصرأ على التفضيل والتزوير وعدم الإجابة على السؤال الذي طرحناه من سنوات . . . وهو : لماذا لم يأمر بمعارك جوية قبل سقوط القنابل ، في الفترة من الهجوم الإسرائيلي إلى رفض الإنذار البريطاني ؟ !

لماذا لم يتم طيارونا بغارة على تل أبيب ومدن إسرائيل . . . من الذي شل يد طيارينا عن تحقيق أمنية العرب العادلة . . . ؟ !

لا يجب . . .

على أية حال . . . الطائرات ما كانشي فيها بترين ! . . .

وهكذا ضاعت ٢٤ ساعة حاسمة فاصلة في تاريخ الشرق الأوسط ، ووصل الإنذار البريطاني ولكن لم يأخذه جمال عبد الناصر مأخذ الجد ، وكان يعتقد أن الغرض منه هو أن نعمل على الاحتفاظ بالجزء الأكبر من قواتنا دون تحريكها إلى أرض المعركة من سيناء . . . « إذا جاءت معلومات بهجوم إسرائيلي ، توقع أنها تفضيل لستر هجوم بريطاني ، وإذا جاء

إنذار بريطاني توقع أنه لتغطية هجوم إسرائيل ! . . .
ويستفده البغدادي : « وكان هذا هو ما يعتقده جمال رغم المظاهر السابقة وصورة الجدية
في تحريك انجلترا وفرنسا لقواتها إلى جزيرتي مالطة وقبرص ، ومواقفهما من الحلول السلمية
المختلفة » .

أخطأ الرئيس فهم نوعية العلاقة بين أمريكا من ناحية وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا من
ناحية أخرى ، فجهاز الإعلام المصري الذي يصف إسرائيل بأنها عميلة أمريكا يفهم هذه
العمالة بمصطلح « نوري السعيد » أي الخيانة ، والتبعية حتى ضد المصلحة الذاتية ! ولذلك
تصور أن أمريكا تستطيع « فرملة » إسرائيل على حد تعبير المتحدث الرسمي هيكمل * ، وربما
بريطانيا وفرنسا ولكن - الحمد لله - ثبت الرؤيا أو بتعبيره تكشففت العملية بكل أبعادها
عندما صعد إلى سطح البيت وشاهد القصف على مطار العاصمة . كانت الطائرات قاذفات
بعيدة المدى « كانبرا » بريطانية في الغالب (والله أعلم ج) . . . وعلى العموم فلا أحد يملك
في المنطقة قاذفات بعيدة المدى غير الانجليز . . .

يعني لازم هم ! . . .
إذا كانت هذه قاذفة بعيدة المدى ، وهذه هي القاهرة ، واليوم هو الأربعاء . . . فهؤلاء هم
الانجليز . . . ونكون فعلاً في حالة حرب !

كان عبد الناصر قد اتخذ قراراً بسحب القوات من سيناء في أغسطس ١٩٥٦ وبذلك
أصبحت « مكشوفة » بتعبير هيكمل نفسه . وكان ذلك أكبر مما تحلم به إسرائيل إذ جعل من
الممكن أن تهيئ مظاهراتها في قلب سيناء . . . وأن تتخفف خسائرها بنسبة كبيرة جداً ،
وما أبدته الوحدات المصرية القليلة المتأثرة من مقاومة مذهلة . يمكن أن يوحى بما كان يمكن
أن ينزل بالجيش الإسرائيلي من ضربات قاصمة لو أن القوات لم تسحب من هناك .
بل إن هيكمل يورد شبهة عجيبة على مسلك عبد الناصر فيصوره وكأنه كان يعتمد إخلاء
سيناء لإسرائيل . . . إذ يقول :

« وكانت المواقع المصرية شبه خالية لدرجة دفعت الجنرال « بيرنز » كبير مراقبي الهدنة إلى
أن يكتب تقريراً « لداج همرشولد » السكرتير العام للأمم المتحدة يقول فيه : « إن تقلص
حجم القوات على الخطوط المصرية يمثل إغراء شديداً لإسرائيل » ولكن جمال عبد الناصر
استبعد أن تقترب إسرائيل من هذا الإغراء في هذه المرحلة »^١

ممثل الأمم المتحدة بصرخ : نامت نواظير مصر عن ثعالبها . . . أو « المال السائب يعلم
الأولاد الحرام » . . . وحاكم مصر لا يبالي ويصر على أن إسرائيل لا يمكن عملها . . .

• بالعكس . . . تطورات الأحداث في حرب ١٩٥٦ أثبتت أن وضع العمالة لأمريكا بفهم التضحية
بالمصالح الوطنية التزاماً بتوجيهات أمريكا كان أكثر انطباقاً على مصر الناصرية من إسرائيل .

أعترف أن مثل هذه النصوص التي يقدمها هيكل تجعل التفسير القائل بيهودية عبد الناصر يلح الحاحاً لا يمكن مقاومته ، ومع ذلك أعترف أيضاً أنني لا أملك أدلة مقنعة عليه ، ومن ثم لا أحيّد عن تفسيري وهو ارتباطه بالمؤامرة والمخابرات الأمريكية جعله يتخذ قرارات فاضحة في خدمتها لإسرائيل . . مثل إخلاء سيناء ومنع الطيران المصري من ضرب مدن إسرائيل ثم قرار الانسحاب الثاني !

وفور التأكد من الهجوم الإسرائيلي أصدر عبد الناصر الأمر للجيش بعبور القناة شرقاً والتوجه إلى سيناء . . واتخذ عامر وضع الهجوم . .

ورغم كراهية بغداد لعماد وشهادته السيئة لأسلوب إدارته للمعركة إلا أن الشهادة نفسها تؤكد أن عامراً كان يقاتل بكل قواته ، وكان ينفذ توجيه الرئيس بحرفياته وكان يأمل - وله الحق - في الانتصار على إسرائيل . يقول بغداد : « وفي يوم الثلاثاء ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ ذهبت إلى القيادة المشتركة في الساعة التاسعة صباحاً فوجدت كمال الدين حسين موجوداً مع عبد الحكيم . ولكن لاحظت أن عبد الحكيم يدير المعركة بحالة عصية ويتولى إصدار الأوامر في كل كبيرة وصغيرة . والقادة في الميدان لا يملكون التصرف إلا بعد الرجوع إليه . . وهذا عيب كبير في إدارة المعارك الحربية . وهو كقائد عام يجب عليه أن يتفرغ للأمور الهامة أثناء المعركة . وقد لاحظت أيضاً أنه كان يدفع بقوات كثيرة إلى أرض المعركة دون مبرر واضح يدعو إلى هذا التصرف ، ولكن - على ما يظهر - كان يرغب في تحقيق نصر سريع ، لأنه كان عندما يمر بعض الوقت دون سماع أخبار عن تحقيق النصر الذي يأمله يقذف بقوات جديدة إلى أرض المعركة »^{٢٩} .

المهم أن القوات المصرية كانت في حالة اندفاع إلى سيناء . . ولم يكن الوقت قد سمح لها بعد بتحقيق انتصارات كما يستتج بغداد ، فالأوامر صدرت بالهجوم في ليل يوم ٢٩ وبغداد في القيادة في التاسعة صباحاً . . فهي على الأغلب وحتى مساء نفس اليوم إما مازالت تعبر - وعبور القناة وقتها لم يكن بالعملية السهلة فلم يكن هناك إلا الكوبري وعبارة شبه بدوية - أو وصلت إلى سيناء وبدأت تأخذ مواقعها وتوزع مهماتها وتحاول تحديد مكان العدو . .

وفجأة انقلب كل شيء رأساً على عقب . .

قرر الرئيس الانسحاب !!

واليك رواية المحامي العام :

« وكان جمال عبد الناصر في مقر قيادة القوات المسلحة في كوبري القبة يواجه مواقف بالغة العنف .

دخل هو إلى القيادة وفي ذهنه أن الانسحاب الكامل من سيناء ضروري حتى لا تقع كارثة كان يخشاها ويتحسب لها ، وكان عبد الحكيم عامر يعارض قرار الانسحاب من سيناء ،

وحاول عبد الناصر أن يتكلم بهدوء في بداية الأمر ويقول لعبد الحكيم عامر :
- ألا ترى أن استمرار تدفق قواتنا على سيناء معناه أننا نجري بأقصى سرعة لكي نضع أنفسنا
في فخ ؟

إن قواتنا سوف تحصد نفسها والإسرائيليون أمامها والانجليز والفرنسيون وراءها ، ولابد
من تجمع القوات كلها في منطقة قناة السويس وإلى الغرب منها لخوض المعركة ضد العدو
الرئيسي وهو بريطانيا وفرنسا ، وبعدها يكون أمر إسرائيل سهلاً .

« ويقاوم عبد الحكيم عامر لأسباب عاطفية قرار الانسحاب ، ويصر جمال عبد الناصر ،
ويبعث الإشارات موقعة منه إلى قادة الوحدات المتقدمة في سيناء يأمرهم فيها بالانسحاب .
وكانت خطته على النحو التالي :

١ - إن الكتائب الأصلية الثماني التي كانت موجودة في سيناء من الأصل عليها أن تقاوم مهما
كان الثمن ، وحتى إلى آخر رجل وآخر طلقة ، لمدة ثمان وأربعين ساعة ، وذلك حتى توقف
تقدم الجيش الإسرائيلي في سيناء ، فلا تشتبك مع القوات المتدفقة عليها بينما هي الآن تحاول
الانسحاب عائدة إلى غرب قناة السويس .

٢ - على كل القوات المتدفقة عبر قناة السويس إلى الشرق ، وفي مقدمتها الفرقة الرابعة
المدعمة ، أن تكمل انسحابها من سيناء في ظرف ست وثلاثين ساعة ، مهما كان الثمن ،
وعليها أن تتمركز في منطقة القناة وفي مناطق شرق الدلتا ، لتكون مستعدة لمواصلة القتال مع
العدو على الجبهة الرئيسية للمعركة .

٣ - تعطيل الملاحة في قناة السويس ، ونسف بعض السفن المحملة بالأسلحة فيها وسط
المجرى الملاحي ، ووضع كل غزاة القناة أمام أمر واقع جديد .

٤ - على الطيران المصري ألا يشتبك مع العدو لأن المعركة غير متكافئة .

٥ - الاستعداد لحرب شعبية ممتدة ضد الاحتلال ، حتى لو توقفت الحرب المنظمة
واستطاعت قوات الغزو أن تغلب على القوات النظامية للجيش المصري .

وتم ما طلبه جمال عبد الناصر .

أما بغداددي فيقول إن صلاح سالم هو الذي أقنع عبد الناصر بالانسحاب ، ويقول : « في
العاشرة والثلاث مساء صدر قرار الانسحاب الشامل لقواتنا من تلك المناطق ، سيناء وحتى
من قطاع غزة ورفح والعريش وشرم الشيخ » .

وبغداددي يجعل القرار جماعياً ! .. ولا يشير بحرف إلى معارضة عامر العنيفة لقرار
الانسحاب .. ولو كان فيه الخير - أي قرار الانسحاب - لأطرب في تسجيل معارضة
عامر ! ..

ويقول حمروش : « قرر عبد الناصر سحب قوات الجيش إلى منطقة القناة لتنفذ مع
الشعب في دفاعه عن خريته وقتاته بدلاً من دفعها إلى سيناء وهي ثمن مساحة مصر كلها

والقوات المشيرة ليست كافية للدفاع عنها في ظروف تفرض الصحراء فيها متاعب إدارية وفنية كبيرة .

عبيد السوء هؤلاء الذين اغتالوا سيدهم يكرهون سيناء ، وهي عندهم صحراء ، وباعتبارهم مهاجرين من بروكلين ومانهاتن وكيف لا يقدرّون على حرب الصحراء ومتاعبها الإدارية والفنية مثل « البدو اليهود » ولذلك يتركونها لهم كلما هجموا ! لماذا يُخلّ ثمن مساحة مصر ؟ لماذا لا يدافع الجيش عن حريتنا وقناتنا في سيناء على الضفة الشرقية للقناة ؟ وأي دفاع عن القناة هذا إذ سمحت للعدو بالوصول إلى شاطئها الشرقي . . وإذا كنت تريد الدفاع عن شاطئها الشرقي كما سيدعي بعد بضعة سطور ، وبمعكس الأمر الصريح الذي أثبت هيكمل العلیم ، بالانسحاب إلى الضفة الغربية ، إذا كنت ستدافع على شاطئ سيناء فلماذا لا تدافع في المعرات ؟ !

وهل هذه قضايا يقررها عبد الناصر ، حتى إذا كان قريب العهد من عمله في مدرسة الأركان ؟ ! إن خطة الاستيلاء على مقر قيادة الجيش يوم ٢٣ يوليو لم يضعها عبد الناصر بل كلفوا بها زكريا محيي الدين ! لماذا لا يترك للمعكرين الذين أوكلت لهم الثورة مسئولية الجيش ، اتخاذ القرار ؟ !

عبد الحكيم عامر وضباطه رفضوا الانسحاب وقرروا أنه من المصلحة الالتحام مع الجيش الإسرائيلي في سيناء وتكبيده أكبر خسارة ممكنة . فهذا من ناحية يفيد الاستراتيجية المصرية على المدى البعيد لأن إسرائيل هي العدو الدائم والجار المقيم ، ولأن القتال كان سيطعم الجنود بالدم ، فيتعودون الصمود والاشتباك مع اليهود . . والسلاح كان متوافراً أكثر من أي وقت منذ ١٩٤٨ ، وهذه فرصة التعميد بالنار كما يقولون . ولأنه « سوف ينتهي الغزو البريطاني والفرنسي يوماً وتبقى إسرائيل أمامنا » .

ويرى المعكرين وفي مقدمتهم عبد الحكيم عامر أن الانسحاب سيدمر الروح المعنوية للمعكرين والشعب ، بل والشعوب العربية وسيخلق سابقة سيئة في أول حرب تخوضها « الثورة » ضد العدو الدائم كما أنه سيضعف الحشائر ، إذ لا تغطية جوية ومن ثم فالاحتمال الأرجح هو فقدان كل العتاد العسكري ونسبة هائلة من الجنود فلا يبقى ما يدافع به عن قناتنا وحريتنا . وهذا نص أمر عبد الناصر : الانسحاب من سيناء في ظرف ست وثلاثين ساعة مهما كان الثمن . وما هو الثمن هنا ؟ إلا العتاد وعدم المبالاة بالخسائر في الأرواح ! وهو ما حدث فعلاً . . أو كما يقول « هيكمل » : « وتم لعبد الناصر ما أراد » . وكأنه فتح تل أبيب ! . .

ونفرض أن الجيش المصري حوَصر فعلاً بين الجيش الإسرائيلي والجيش البريطاني الذي لم يتخذ موقفاً على أرض مصر إلا قبل وقف إطلاق النار بيوم واحد ، ولم يتجاوز بور سعيد بينما بقي الجزء الأكبر من القناة مفتوحاً للجيش المصري إذا شاء القتال . . لنفرض أنه حوَصر ،

هل كانت الخسارة ستكون أفدح . . ١٩

لقد خسرت مصر جميع الأسلحة البرية والجوية ، وانفرط عقد الجيش شاماً ، وصدر الأمر - كما يقول هيكل للكاتب الثمان في سيناء أن تنسحب « كل رجل على مسئوليته » أي تفرقوا أيدي سبا . .

انسحب الضباط ومن نجا من الجنود بالملابس المدنية بعد أن هجروا أسلحتهم الثقيلة ، وباعوا الخفيفة للبدو مقابل الحصول على جلاب وجذاء غير عسكري وجرة ماء ! وكانت إسرائيل تعتقل الضباط وتترك الجنود وتجبرهم على عبور سيناء حفاة جياحاً شبه عراة . . وتطاردهم بالطائرات في ما يشبه لعبة صيد الأدميين . . وقد خلاها الجو . . وقالت جولدا مائير : إنهم انتفوا خمسة آلاف فقط كأسرى من بين ثلاثين ألف جندي مصري كانوا هائمين في سيناء بلا ضابط ولا رابط فريسة مكشوفة للطيران الإسرائيلي الجبان ، الذي لا يظهر إلا بعد تدمير الطيران المصري ! . .

هل هذه الحطة كانت أبرع من استشهاد ضباطنا في ثيابهم الرسمية فوق دباباتهم وعلى رأس جنودهم !؟

وللحقيقة والتاريخ يسجل حموش أن عبد الحكيم عامر رفض قرار الانسحاب « وظل في مناقشة عاصفة معه (جمال عبد الناصر) طوال الليل مما أخر سحب الدبابات قليلاً ! . . وأخيراً رضخ عامر ، أو تمت تنحيته حسب رواية هيكل ، إذ راح عبد الناصر « يبعث الإشارات موقعة منه إلى قادة الوحدات المتقدمة في سيناء بأمرها بالانسحاب » . وتحيل معنوية القادة والأوامر تصلهم من رئيس الجمهورية ونساء لون أين القائد العام . . ماذا جرى !؟ . .

وظهر خلاف جديد !

الانسحاب تم كما توقعه عامر ، وكما حاول طول الليل أن يتفاداه ، فالجيش المصري غير الجيش البريطاني الذي يقال فيه إنه كان ينتصر ببراعة انسحابه . . فما إن صدر الأمر للجيش بالانسحاب والالتحام مع الشعب وبأي ثمن ؟ حتى انسحبت القيادات إلى الرقازيق . . « ولكن جمال عبد الناصر أوضح لهم أنه لا يجوز ترك القناة عارية بلا دفاع لأن ذلك يسهل للمهاجرين اقتحامها دون عناء وأنهم سيقفون عند حدود ذلك دون رغبة في اقتحام الدلتا أو الوصول إلى القاهرة » .

« وحدث خلاف جديد بين جمال عبد الناصر وبين العسكريين من رجال الجيش الذين تصوروا أن التلاحم الشعب بالجيش يكون بسحب القوات إلى غرب القناة حيث تزيد كثافة السكان ونقلوا مركز الرئاسة إلى الرقازيق فعلاً » .

وهذا هو المفهوم المتوقع إذ لا شعب في « صحراء » سيناء يلتحمون به ! . . ولماذا الاستتاج ، وهامو الأمين على الناصرية الذي يطلع على الوثائق في الخزائن التي في الدور الأرضي . . يقول حرقياً إن أمر عبد الناصر هو : « تجمع القوات كلها في منطقة قناة السويس

وإلى الغرب منها لخوض المعركة ضد العدو الرئيسي وهو بريطانيا وفرنسا .
« نحاول الانسحاب عائداً إلى غرب قناة السويس » ص ٢٣٤ . الفرقة المدرعة « تتركز
في منطقة القناة وفي مناطق شرق الدلتا » ص ٢٣٤ .

هذا كله هذر . . الانسحاب بالصيغة التي صدر بها ، كان وقف إطلاق نار وتسليم سيناء
بلا قيد ولا شرط . .

١ - سحب جيش مازال مندفعاً في طريقه إلى المعركة . . وبعد أن قذف بمعظم القوات إلى
أرض المعركة .

٢ - الأمر بالانسحاب « مهما كان الثمن » .

٣ - سحب الطيران نهائياً من المعركة ولا حتى من تغطية الانسحاب « على الطيران
المصري ألا يشتبك مع العدو لأن المعركة غير متكافئة وليس مهماً تدمير الطائرات المصرية . .
الخ » .

٤ - إرباك العسكريين بجملة إنشائية سخيفة : « الالتحام مع الشعب » التي لا مكان لها
في التوجيهات العسكرية فالالتحام يكون مع العدو ! في معركة طاحنة . . وكان أن فهمها
العسكريون بأنها تعني الاختفاء داخل الحقائق وبين المنازل . . والتحول إلى المقاومة
الشعبية !!

إن أمر الجيش « بالالتحام مع الشعب » تعبير معروف يقصد به حل الجيش أو الاعتراف
بانحلال الجيش . لأن القوات المسلحة النظامية ، طالما ظلت تحتفظ بكيانها فليس المطلوب
منها الالتحام مع الشعب ، وإنما منع نار الحرب من الوصول إلى الشعب .

وإذا كنا نعتقد أن عبد الحكيم عامر هو أسوأ قائد تولى قيادة الجيش المصري منذ مراد
وإبراهيم باستثناء محمد فوزي . . إلا أن الإنصاف يقتضي القول بأنه لا يتحمل مسؤولية
كبيرة فيها جرى خلال حرب سيناء هذه - وأقصد يوميات القتال - فلم يكن الأمر أمره ،
ولا التقدير تقديره ولا القرار قراره ! .

عبد الناصر يحمل المسؤولية الكاملة فيما نزل بجيشنا ، فقد « تم له ما أراد » بنص كلمات
هيكल الفرحة . « واستقرت الخطة الدفاعية على أساس تفكير جمال عبد الناصر » كما يقول
حمروش ، ثم يعود فيناقض نفسه ويقول إن « عبد الحكيم عامر » كان يستحق المحاكمة على
قيادته للجيش في حرب ١٩٥٦ وهو ظلم مبین للرجل . . فبعد قرار الانسحاب لم تعد هناك
معركة . . ولا حرب . . عبد الناصر هو الذي أصدر قرار الانسحاب وكان سعيداً وفخوراً
به . . « فعندما أبلغ جمال عبد الناصر أن عملية الانسحاب قد تمت قال : « شعرت على
الفور ساعة أخطرت ، أن مصر كسبت المعركة حين أحبطت خطة العدو ولرأ أن قرار
الانسحاب قد تأخر ٢٤ ساعة فقد كان الأمر كله قد انتهى » .

معركة وكسبناها . . فلماذا يستحق القائد العام المحاكمة ؟ ! . .

ونعتقد أن هذه هي عينة من الشعارات المسبوكة التي وضعت فيها بعد لقلب الصورة ، وجعل الهزيمة انتصاراً ، والقرار الحاطيء بالانسحاب عبقرية وإلماً الذي تحقق بالانسحاب من سيناء ١٩

مائة وثلاثة ملايين جنيه ثمن السلاح الذي دمر أو سقط في يد العدو . . . واستشهد الآلاف من شبانا . . .

ما المعركة التي كسبتها مصر بالانسحاب ١٩

لم يكن سلوك عبد الناصر وكلماته في لحظات الصلح مع النفس خلال الحرب تعكس مثل هذا الادعاء بنجاح الخطة وكسب المعركة ، فقد كان يبكي ويقول « هزمني جيشي » وليس هكذا يتكلم القائد الذي كسب المعركة بفرق ٢٤ ساعة !!

هذا كلام كان يقبل ويردد بدون مناقشة يوم كان عبد الحليم حافظ يعني له : « قول ما بدالك احنا رجالك ودراعتك اليمين » . . . حتى فت الرجال وقطع اليمين . . .

كذلك قد عرفنا من شهادة بغداددي وتحليل موشي ديان سبب عدم اشتراك الطيران المصري في المعركة ، وسر انتظار الطائرات حتى جاء الانجليز وحطموها على الأرض في يوم واحد وكانوا يتوقعون يومين ، ولكن هيكل كالدبة التي قتلت صاحبها ، ينسب هذا إلى الرئيس عبد الناصر نفسه عندما يقول إنه أصدر أمره بالآتي :

« على الطيران المصري ألا يشتبك مع العدو لأن المعركة غير متكافئة ، وليس مهماً تدمير الطائرات المصرية ، وإنما المهم الحفاظ على الطيارين المصريين المدربين وعددهم محدود . وإذا تمكن العدو من اصطيداهم في الجو واسقاط طائراتهم وهم فيها ، وقتلهم . فسوف نمر عشر سنوات قبل أن يكون لمصر طيارون قادرين على العمل . والأوضاع الحالية لا تترك للطيران المصري فرصة ، فأمامه قرابة ألف طائرة بريطانية فرنسية إسرائيلية . وليس لمصر أكثر من مائة وعشرين طياراً مدرباً وسوف ينتهي الغزو البريطاني الفرنسي يوماً ونيفي إسرائيل أمامنا ، ولا نستطيع أن نواجهها بغير طيارين » .

ولأنه مجرد « إنشا ورص كلام » أو بصراحة مجرد أكاذيب فهو يتناقض مع بعضه . . . إذا كان الانسحاب من سيناء هو موضوع التبرير تصبح « بريطانيا وفرنسا هما العدو الرئيسي » ، وبعدها يكون أمر إسرائيل سهلاً « ! ص ٢٣٣ . فإذا انقلب إلى الدفاع عن تدمير السلاح الجوي ، أصبح الغزو الانجليزي - فرنسي ظاهرة عارضة أما إسرائيل فهي العدو الدائم الباقي ! ص ٢٣٤ .

سلوين لويد قال : إن عبد الناصر كان لديه جهاز إعلام يحسده عليه « جويلز » ربما . . . ولكن « جويلز » لم يكن يكذب على نفسه ، وعلى هذا النحو المفصوح التناقض . . . وفي إحصاء هيكل لما نم مما طليه جمال عبد الناصر :

أحصى الآتي :

- استطاعت الكتائب المصرية الثماني في سيناء أن تقا تل وأن تصمد في قتالها عل مدى الثماني والأربعين ساعة المطلوبة منها ، ولم تستطع القوات الإسرائيلية أن تتقدم عل محاور سيناء الأربعة إلا بعد أن توقفت مقاومة هذه الكتائب - بعد الموعد المقرر لها - وبدأ انسحابها ، وكان رأي قادتها أنها لا تستطيع الانسحاب بطريقة منظمة ، وخصوصا أنها أبلت في القتال بلاء حسناً ، وهكذا كان الأمر لـ « كل رجل عل مسؤوليته » .
- عادت القوات التي كانت تتدفق عل سيناء ، وفي مقدمتها الفرقة الرابعة المدرعة ، وكان الطيران البريطاني الفرنسي قد ركز عليها لتدميرها أثناء انسحابها ، ولكنه لم ينجح إلا في إصابة بعض مركباتها الخفيفة ، وأما القوة المدرعة الرئيسية فقد تمكنت من العودة سالمة إلى مواقعها الجديدة .
- تم تعطيل قناة السويس ، وتوقف شريانها الحيوي عن الضخ ، ووجد الذين كانوا يحاولون ضمان حرية الملاحة في القناة أن القناة توقف نبضها .
- ابتعد الطيارون المصريون عن سماء المعركة أمام تفوقا لا قبل لهم به وهو كفيل بالقضاء عليهم جميعا واحداً واحداً .
- كان الاستعداد لمواصلة الحرب الشعبية عل قدم وساق ، واختار جمال عبد الناصر موقعاً في وسط الدلتا قرب طنطا ليكون مقر قيادته في حرب كل الشعب ضد الغزو ، إذا كانت هناك ضرورة لذلك .

لنتاقل هذه الادعاءات

١ - وإذا كنا سنعود لهذه النقطة فيما بعد إلا أننا نسجل اعتراف هيكمل بأن قرار الانسحاب هو الذي أوقف المقاومة المصرية للقوات الإسرائيلية . ولقد كانت مقاومة بأسلة وعل أعلى مستوى ، وكان يمكن أن تغير الصورة لولا الأمر بالانسحاب ١١١ وكان القيادة المصرية كانت تعمل مع القوات الإسرائيلية ، وإلا فكيف تفسر موقفها من هذه القوات التي وصفها بأنها « صامدة ومستمرة في القتال ، ولا سبيل لتأمين سلامتها ، بل ولا تستطيع الانسحاب بطريقة منظمة . . فإذا بالقيادة تنفض يدها منهم . . بل ياليت . . ياليتها تركتهم يقاتلون إلى آخر جندي أو إلى آخر طلقة ثم يؤسرون كما يحدث في كل الحروب ، بعد أن يعطلوا تقدم العدو ويكبلوه أكبر خسارة ممكنة . . لا . . تأمرهم « بالانسحاب كل رجل عل مسؤوليته » . . وهو أمر لا يعني إلا التمزق والتحلل من الانضباط العسكري والروح الجماعية ، التحول إلى وحوش كل منهم يحاول النجاة بجلده . . ؟ لماذا . . لماذا تأمرهم بوقف القتال . . ولماذا تصدر هذا الأمر القبيح « كل رجل عل مسؤوليته » ؟

وأي « جوبلز » هذا الذي يحسد إعلاماً يردد ترجمه هذا الأمر الغريب ، أو التخلي عن مسؤولية تأمين الانسحاب لهؤلاء الأبطال والسبب « أنهم أبلوا في القتال بلاء حسناً » . .

هل الذي يبل في القتال بلاء حسناً . . نسرجه ونقول له دبر حالك . . خذ بالك من اليهود وأنت ماشي ١٩

ما هذا الهذر ١٩ وكيف يفسق في تاريخنا هذا الجاهل . . يقول : « وكان رأي قادتها أنها لا تستطيع الانسحاب بطريقة منظمة ، وخصوصاً أنها أبلت في القتال بلاء حسناً . وهكذا كان الأمرها : « كل رجل على مسئوليته » ١١ ص ٢٣٥ . إن كان هذا كلام عاقل فهو مربب الهدف !

وإن كان هذا هو منطق هيكل فياحسرة على أمة كان هو المصدر الوحيد للمعرفة فيها ، ومستشار قيادتها ١٩

٢ - يعترف أن القوات المدرعة التي كانت تتدفق على سيناء وفي مقدمتها الفرقة الرابعة انسحبت تحت ضرب الطيران البريطاني والفرنسي « الذي ركز على تدميرها أثناء انسحابها » ولكنه يزعم أن الطيران البريطاني والفرنسي أو الألف طائرة إياها (ولا ندري لماذا استثنى الطيران الإسرائيلي من هذه المهمة ج) لم ينجح . . ولا يفسر لنا سبب ذلك . . فالقوات تعبر مضيقاً مائياً لا يمكن أن تعبر عليه إلا عربة واحدة في الوقت الواحد ، وبلا غطاء جوي لأن الحكيم قرر أن الطيارين أهم من أن يخوضوا حرباً فيقتلهم العدو داخل طائراتهم ! . . لماذا وكيف فشلت الألف طائرة في اصطلياد هدف مكشوف محصور مثل هذا ١٩

سنقدم في هذا الأمر شهادة عبد الناصر نفسه . . ولكن ألم يكن وضع هذه القوات في سيناء أفضل وهي مشبكة مع العدو ، مما يقلل فعالية طيران العدو بسبب الاشتباك . . ألم يكن هذا أفضل من وضعها وهي تقوم بدورة ٣٦٠ درجة من الاندفاع إلى الهجوم إلى التراجع وجيش إسرائيل في ظهرها والنف طائرة فوقها ١٩

وانظر تعليق أرسكين تشايلدرز في كتابه الطريق إلى السويس :

وكان الانسحاب أمراً شاقاً في وجه هذه الأوضاع التي لم يلقها جيش من الجيوش في الحروب العصرية ، لاسيما بعد أن فقدت القوات المنسحبة أي غطاء جوي ، بعد قرار وقف النشاط الجوي المصري* وأصبحت هدفاً صالحاً للطائرات النفاثة المغيرة التي تستخدم ضدها المدافع الرشاشة والصواريخ والقنابل وقذائف النابالم المحرقة ، ولم يكن هناك أي أمل في النجاة أو الرد على الطائرات المغيرة ، ولم يكن ثمة مكان تختفي فيه هذه القوات ، فالأرض صحراوية ومكشوفة تعلوها الرمال ٩ .

هذا ما فعله عبد الناصر بأباتكم وإخوانكم وأبطال جيشكم يا جليل الناصرية الجديدة ! فلمن ولاؤكم ؟

* ونأمل قوله بعد « قرار وقف النشاط الجوي المصري » وليس تدميره . . أي أن سحب الطيران المصري من المعركة كان قراراً مصرياً ومن ثم تذكر مدى الجرم الذي ارتكب في حق أولادنا البواسل وكيف قدموهم فريسة غارة لغربان إسرائيل ! . .

٣ - تهريب الطيارين من المعركة ، يصل إلى درجة الخيانة العظمى والنأمر لصالح إسرائيل فإن كان مجرد قرار أو اجتهاد ، فقد كان قراراً خاطئاً ، فلو كانوا قاتلوا وقتلوا في طائراتهم وخلف مدافعهم ، وهم يتعرضون لطائرات العدو ويسقطون منها قدر جهدهم لخلقوا تقاليد سلاحنا الجوي ، ودافعوا عن شرف هذا السلاح وأضافوا لثراث الوطن العسكري . . وخففوا بلا شك من خسائرنا وأنزلوا الخسارة بالعدو وخاصة في اليوم الأول قبل تدخل الطيران البريطاني . . وحتى لو استشهدوا جميعاً . . حتى لو صدقنا خرافة أننا نحتاج لعشر سنوات أخرى . . وليكن . . فمعنى ذلك أننا كنا ستكون جاهزين في نوفمبر ١٩٦٦ وهو وقت كافٍ جداً لخوض حرب ١٩٦٧ وإلا فهاذا فعلنا بطيارينا الذين أنقذناهم ، في الفترة ما بين ١٩٥٦ - ١٩٦٧ إلا ضرب الحدود السعودية ، والمعارضة اليمنية . . ؟ ولماذا نلوم صدقي محمود إذا نفذ توجيهات الزعيم ، وصدق كل ما قيل عن عبقريتها . . فأنقذ الطيارين مرة أخرى وترك الطائرات تدمر في ١٩٦٧ ؟

وإذا كان هيكمل قد « كُتِبَ » معركة سيناء في أقل من صفحة في كتاب من ثلاثمائة وأربع صفحات مخصص لإثبات أنها كانت أكمل نصر عربي . . فلأنه يريد أن يخفي الحقائق التي تنفض كذبه . . ولذلك لابد أن نقدم نحن صورة ما جرى فعلاً في حرب سيناء . . وتبدأ بشبه الماركسي الحائرين ما ظل يردده باعتباره من المسؤولين في الإعلام الناصري عن « نصر السويس » وبين الحقائق التي يعلمها وتعلمها . .

قال حمروش : « كان مفروضاً أن يحاكم عبد الحكيم عامر عسكرياً على موقف القوات المسلحة في عدوان ١٩٥٦ الذي ثبت بيقين أنها لم تؤد دورها كما يجب مع تقدير وجودها في مرحلة انتقال . . الخ » .

وقد ناقشنا حجم مسئولية عامر وسنناقشه ، وإنما المهم هنا هو الاعتراف بأن التفسير وصل إلى حد استحقاق القائد العام للمحاكمة العسكرية ، وهي صورة لا توحى أبداً « بنصر كامل » فضلاً عن « أكمل نصر في تاريخ العرب الحديث » ؟ ! بالعار تاريخ العرب الحديث إذا كان أكمل نصرهم يستوجب محاكمة قائدهم ؟ !

ويقول : « كانت المقاومة الشعبية تقاتل في بور سعيد بينما توقف الجيش عملياً عن القتال بعد انسحابه » .

إذاً لا حماية حريتنا ولا قناتنا ولا التصدي للهجمة الأنجلو - فرنسي العدو الرئيسي . . الخ . . كل هذا لم يكن سوى كذب وتضليل لإخفاء حجم الهزيمة . .

والمؤرخون لهذه الفترة والماركسيون بصفة خاصة ، يشيدون بالمقاومة الشعبية في بور سعيد والموقف الرائع للشعب المصري ، ولكنهم يخطئون تفسير هذه الظاهرة ويخفون الكثير من حقائق هذا الموقف . . ولكي نقدر موقف الشعب المصري ونتعرف على طبيعة المقاومة الشعبية في بور سعيد حيث سقطت سلطة ٢٣ يوليو وأصبح الشعب وحده في مواجهة

الاحتلال . . يجب أن نأخذ فكرة عن الحالة عند القمة . .

يسجل بغداددي باستياء أنه عندما جاء الخبر الكاذب عن إنزال جنود مظاهرات في أرض السباق بمصر الجديدة : « حدث على الأثر ما لا كنت أتوقعه من الانفعال والعصية وتكلم عبد الحكيم قائلاً : « اختفوا جميعاً واتركوني مع الجيش » واضطرب جمال (عبد الناصر) وفكر في أولاده . وطلب العمل على نقلهم فوراً إلى القناطر الخيرية ، ولكنه عاد بعد فترة وطلب نقلهم إلى منزل في وسط القاهرة خوفاً من كلام الناس ، وحتى لا يقال إنه هرب أولاده وترك الناس معرضين للخطر . وأما صلاح سالم فإنه كان يصر على قيامنا فوراً بمغادرة مبنى القيادة والاختفاء وطلب منا أن نذهب إلى منزله لتناقش الموقف في هدوء بعيداً عن الخطر . (لعله كان يفكر في مذبحه قلعة أخرى أو تكرار قصة شمشون ج) .

« ولم يكن هناك أية قوات بالقاهرة إلا الكتيبة ١٣ المكلفة بحراسة منزل جمال عبد الناصر » .

وإذا كانت الرواية الشائعة هي تصيحه صلاح سالم بالتسليم فإن بغداددي يقسم هذه النصيحة مناصفة بين عبد الحكيم وصلاح سالم ، بل ويجعل عامراً هو السياق إليها فيقول إن عامراً اختل بجمال عبد الناصر وعرض عليه التسليم أو طلب وقف القتال . وأن عبد الناصر استدعى بغداددي إلى مكتبه وطلب من عبد الحكيم أن يتحدث معه وذكرياً « في الموضوع الذي سبق وذكره له أي لجمال . وقال عبد الحكيم إنه يفضل طلب إيقاف القتال » ٦٢ . أما حكاية صلاح سالم فهي أطرف في رواية هيكل . . إذ قال لجمال عبد الناصر : « لقد أدبت لمصر خدمات عظيمة وأنت اليوم مطالب بخدمة أخرى سوف يذكرها لك التاريخ وهي أن نذهب إلى السفارة البريطانية ونسلم نفسك » .

بصرف النظر عن أمانة هيكل في النقل وصلاحيته كمصدر إلا أن الرواية أيدها بغداددي وغيره من المصادر الأكثر مصداقية ، وهي على أية حال لا تستغرب من صلاح سالم فقد كان يتمتع بقدره على السخرية حادة ، لا يفوقها إلا حقه على عبد الناصر واقتناعه بأنه - أي عبد الناصر - لا يؤمن بأية قيم ، ولا يفكر إلا في مجده الشخصي ، واستمراره في السلطة . . وتقدم « سليمان حافظ » بطلب إعادة جمال عبد الناصر إلى الكتيبة السادسة المشاة ، وإعادة محمد نجيب لأن الناس تقول إن عبد الناصر يغفل بين مجده الشخصي وبين مستقبل البلاد . .

والحمد لله لم يتقدم بطلب التسليم أو وقف إطلاق النار شيوعي ولا إخواني ولا وفدي ولا مواطن من الذين حرمتهم الثورة من العمل السياسي منذ أن وصلت إلى السلطة ، بل عامر وصلاح سالم . . وأخيراً المستشار الخاص الذي فلسف لهم الإرهاب ، ونظم لهم القضاء على القوى الوطنية . .

وبينما صورة « هيكل » هي سيطرة عبد الناصر تماماً على الموقف العسكري ، وغبطته بنجاح خطته العسكرية . . نجد صورة مخالفة تماماً عند بغداددي :

« ثم بدأ (عبد الناصر) يتكلم عن أنه لا يعلم شيئاً عما يفعله الجيش وأن القوات العسكرية انتشرت في شوارع القاهرة ، وتركت منطقة القناة رغم الاتفاق على سحبها من سيناء للدفاع عن تلك المنطقة ، وأنه منزول تماماً عن القيادة العسكرية ولا تصله أية معلومات عن أوامر العمليات أو تحركات القوات أو خطة الدفاع . . . وذاكراً أنه المسئول الأول في الدولة . وأن صلاح سالم هو الذي أصبح وكأنه هو المسئول وتنفذ اقتراحاته ويصدر الأوامر . كما ذكر أنه هو - أي صلاح - الذي كان قد أقنع عبد الحكيم بالتسليم ووقف القتال . ومن أن صلاح قد أصبح مسيطرأ عليه . وكانت حالة جمال عصيبة وهو يذكر ذلك ، بل كان يكاد يفقد السيطرة على نفسه فطلبت منه أن يبدأ . . الخ » .

« وتكلم جمال في هذا الاجتماع ذاكراً لعبد الحكيم وبصراحة تامة كل ما يشعر به عن انعزاله عن القيادة العسكرية تماماً ، وعدم علمه بما يجري رغم مسئوليته ، وأن صلاح هو الذي أصبح يدير البلد - على حد قوله - ولكن عبد الحكيم رد عليه عند ذكره هذا بقوله : « أنت تعلم أن لي شخصيتي ولي رأيي ، ولا يمكن أن أنصاع لأحد لا لصلاح أو غير صلاح » وكان جمال يتكلم وهو في حالة عصيبة . أما عبد الحكيم فقد كان متهاكاً لأعصابه ، ولقد سأل جمال عما يريدون منه . وذاكراً أنه ليس لديه مانع من أن يتولى جمال القيادة العسكرية بنفسه وهو على استعداد أن يعمل تحت قيادته ، ولكن جمال رد عليه بقوله : « أنا لا أطلب أن أتولى القيادة . ولكنني أطلب أن أكون على علم بما يجري . وأن يؤخذ رأينا فنحن أيضاً كنا عسكريين ونفهم شوية » . وفي النهاية وبعد نقاش حاد تم الاتفاق على أن يقوم عبد الحكيم بإرسال ضابطين من ضباط الأركان حرب من مكتبه ليكونا ضابطي اتصال بمكتب جمال ، وذلك حتى تتوافر له الصورة كاملة أولاً بأول . . . » .

ولا أعرف شخصية بغداددي ولكن لا بد أنه يتمتع بقدرة عالية على السخريه . . فهذا ما قدمه من معلومات ضابطي الاتصال أو الصورة الكاملة ، التي اعطاها لعبد الناصر . . . « قالوا إن الخطة الدفاعية هي غرب فرع رشيد ! . . وذلك حتى يتم تنظيم القوات المنسحبة » ! ونظرة إلى الخريطة تعني أن القيادة قد تركت سيناء وقناة السويس والدلتا منطقة مفتوحة !!

وأثبت عبد الناصر أنه فعلاً يفهم شوية في العسكرية أو على الأقل في الجغرافيا عندما سأل مرتاعاً : « معنى هذا أننا الآن ونحن في القاهرة (شرق فرع رشيد ج) خارج منطقة الدفاع ، فقليل له نعم !

« يبقى صلاح سالم ما غلطش » لما اختصرها من أولها !!
وعلمنا منها أن « أغلب قواتنا العسكرية كانت قد انسحبت إلى منطقة القاهرة » .
والأنكى من ذلك أنه « كان في تقدير ضابطي الاتصال أنه من الصعوبة بمكان انزال قوات معادية في بورسعيد أو السويس . وإن كان هناك محاولة من العدو فتكون غرب

الأسكندرية . ولذلك لم تعط أهمية قصوى لتقوية الدفاعات في منطقة القناة . وقد أشرنا إلى خطأ هذا التقدير ، لأن الإنذار البريطاني الفرنسي قد حدد المنطقة التي هددنا باحتلالها وسياسياً أمام الرأي العام العالمي الدولي ، لا يمكنها غزو كل مصر حتى يصلنا إلى منطقة القناة موضع الخلاف ، ولأن خسائرها في تلك الحالة ستكون كبيرة . . ولكن كان هذا هو تقدير القيادة العسكرية المصرية .

ويقول بغداددي : « في تلك الفترة كان هناك نقد مريع لعبد الحكيم والجيش من الكثيرين ، ولكن لابد أن نكون منصفين . فالجمل كان أكثر من أن يتحملة عبد الحكيم بمفرده خاصة بعد دخول أنجلترا وفرنسا المعركة . . والعامل النفسي كان له تأثير كبير على تصرفات الكثيرين . كما أنه كان قد حدث شلل مفاجيء للكثيرين أيضاً بعد أن اتضح دخول الدولتين المعركة بالإضافة إلى إسرائيل . »

وقال إن البعض شبه عامر باللواء المواوي قائد العمليات في حرب ١٩٤٨ . . وفي يوم الأحد ٤ نوفمبر توجهت إلى حجرة جمال لتناول الإفطار معه فوجدته وقد ارتدى ملابسه ويقوم بتناول الإفطار . . وقال لي إنه لم يتم طوال الليل ، وصرح لي أنه قد بكى وأنه على ما يظهر قد أضاع البلد . على حد قوله . فتأثرت لحاله . . ولا أعرف ماذا أفعل لمساعدته وأساعده نفسي أيضاً في هذا الموقف العصيب الذي يحيط بنا .

وهذه اللحظات لا تعب عبد الناصر ولا تستقص من شجاعته ، أو تعطي مجالاً للقول بأنه قامر بالوطن . . بالعكس إنها طبيعية جداً ، وكان يفترض في بغداددي أن يقول له مثل هذا الكلام . . ولكن يبدو أنهم جميعاً كانوا مقتنعين بأنهم أو أنه هو وحده أضاع البلد !! .

وسافر عبد الناصر مع بغداددي قاصدين بور سعيد وإليك ما شاهداه : « وعلى هذا الطريق شاهدنا عربات عسكرية كثيرة مدمرة أو مقلوبة ، ودبابات مفروقة ، منها المحروقة ، ومنها ما يظهر على أنه سليم أو ربما يكون معطلاً نتيجة إصابته من النظائر المغيرة ، والتي ظلت تهاجم القوات المتحركة على هذا الطريق بعد الانسحاب وهي في طريقها إلى القاهرة . وكان جمال يسألني عن كل دبابة أو عربة تمربها ، ماذا بها ؟ . . وكنت أشعر أنه في عالم آخر ، غارق في التفكير وكنت المس أنه متعب جداً من الموقف . وكنت أحاول أن أخفف عنه . وأهون عليه الأمر . وكنت أعتبر هذا من واجبي في هذه الأونة التي تمر بها بلاددي . وأعرف أن جمال هو رمز الثورة في مصر بل وفي المنطقة كلها . »

« ونحن في طريقنا إلى الاسماعيلية قال جمال بصورة مؤثرة وبخبرة بعدما شاهد من العربات والدبابات محطمة على جانبي الطريق « إنها بقايا جيش محطم » وأخذ يتحسر على المبالغ التي كانت قد أنفقت على تسليح الجيش قائلاً إن « مائة وثلاثة ملايين من الجنيهات قد ضاعت هباء » كما قال أيضاً بالانجليزية I was defeated by my army .

قد هزمت بواسطة جيشي . وكنت أقول له لا تيأس ولكنه يرد علي بقوله إنك تعرف أنني

لا أياض أبداً . وكنت أحس أن أمامي رجلاً عظيماً ، ١٠ .

ربما من ضخامة النصر الكامل !

هل تصدق عبد الناصر أم تصدق هيكل . .

« بقايا جيش محطم » و « مائة وثلاثة ملايين من الجيهاات ضاعت هباء » . . أبي كل الصفقة الروسية . .

هذا تقدير عبد الناصر .

أما زعم هيكل « ولكنه لم ينجح إلا في إصابة بعض مركباتها الخفيفة وأما القوة المدرعة الرئيسية فقد تمكنت من العودة سالمة إلى مواقعها الجديدة » فهو كذب مفضوح .

قد يغفر له الكذب خلال المعركة ، وكلنا كذبتنا . . وكلنا مدحنا عبقرية قرار الانسحاب . . ولكن بعد المعركة ؟! وبعد الهزيمة الثانية ، وبعد أن أصبح المكسب الوحيد الممكن هو تحويل كوارث التاريخ إلى تجارب . . فإن الإصرار على الكذب جريمة . .

ولا تعجبني شماتة عبد اللطيف بغدادي وهو يسجل في يومياته أن عبد الناصر كان وقتها « لا حول له ولا قوة مع أنه قائد ثورة ورئيس جمهورية » أو « كنت في تلك الأثناء أنظر إلى جمال وأقارن بينه في تلك اللحظة وبينه في لحظات أخرى سابقة عندما كان يشعر بالانتصار والقوة » .

عيب ! . .

فالهزيمة كانت على يد العدو الأجنبي . . شعبنا كان أنبل وأكثر وعياً ، نسي كل الآلام التي تجرّعها من الحكم الديكتاتوري خلال أربع سنوات والتي كانت تجعل « تريفور أيفانز » المستشار بالسفارة البريطانية والخبير بالشئون المصرية يتوقع قيام المظاهرات وقلب عبد الناصر . .

العكس تماماً هو ما حدث ، كان التصدع والشقاق في القمة ، والالتحام والصمود على مستوى الشعب .

الذين على القمة لم يكونوا في مستوى اللحظة كما رأينا من خلافاتهم ونصائحهم بالنسليم والخلاف حول من هو المسئول وتخويف عبد القادر حاتم - في رواية ناتج - لعبد الناصر من العدوان بدلاً من رفع معنوية الجماهير ! كذلك في التصرف المعيب وأعني به الاعتقال غير المبرر والمهين الذي اتبع مع رئيس الجمهورية الأول الرئيس « محمد نجيب » وتكفي شهادة ناصري : « صدرت الأوامر بنقل محمد نجيب إلى طما في جنوب الصعيد ليكون بعيداً عن القاهرة في حالة إذا ما حاولت قوات العدوان الاستعانة به إذا انتصرت . وكانت الرحلة شاقة وقاسية وعومل فيها معاملة لا تليق بقائد ثورة ورئيس جمهورية ، وضابط برتبة لواء . . وكان ذلك بتصريف ذاتي (!؟ ج) من بعض صغار الضباط الذين لا يرون في أنفسهم إلا أدوات تعذيب وامتهان دون تفكير » . ويشهد حمروش « أن محمد نجيب لم يأخذ موقفاً مضاداً لقيادة عبد الناصر ولم يصدر منه تصريح مضاد » .

ويخطيء الكاتب الماركسي سابقاً ، كما أخطأت القيادة المصرية في تفسير موقف الجماهير إذ يقول إنها التفت حول عبد الناصر في معركة ١٩٥٦ بسبب مواقفه الوطنية : باندونج وانتصاره في معركة الأحلاف وصفقة السلاح وإبراز دور القومية العربية .

وأظن أن رجل الشارع في بور سعيد والقاهرة ، فضلاً عن الفلاح ، لم يكن يحسن نطق باندونج . . ولا يفهم ما هي الضجة حول حلف بغداد ، أو يفهم بالضبط ما تعنيه كلمة حلف ، ولماذا يكره عبد الناصر أن « يحلف » على بغداد أو بحلف بغداد ! لا . . هذا انتقاص من وطنية الشعب المصري . . لو كان يحكم مصر « أحمد فؤاد »* أستاذ الماركسيين في حركة الجيش ، وهو بلا شك أيفض شخصية عامة في مصر منذ زبور باشا . . وجاءت بريطانيا تهاجم مصر وتعلن أن هدفها إسقاطه ، لقداء المصريون بأرواحهم وما يطيقون .

الوقفة الشعبية في ١٩٥٦ رغم كل السلبات من جانب السلطة ، والمرارة التي كانت في النفوس ، هي وقفة وطنية طبيعية ومتوقعة من شعب في عظمة وعراقة ونضج شعباً . ولكن العسكر في السلطة وخارجها ، ظلوا يبحثون لها عن تفسير ؟ فقد كان توقعهم أن ينقض الشعب على عبد الناصر من الظهر ويفتك به ورجاله أو يقدمهم فدية « مكثفين » للانجليز ! حاشا له !

بل عندما تنحى عبد الناصر في ١٩٦٧ كان جانباً كبيراً من الجماهير التي خرجت - من تلقاء نفسها - تطالبه بالبقاء بحركها منطلق « غريب تومي » ، ابن منطقة القناة والفدائي الذي عرفناه في جميع المعارك من ٥١ إلى ١٩٦٧ ثم انقطعت عني أخباره فلا أعرف ماذا فعل في ١٩٧٣ وقتها قال : « دي تبقى فضيحة العمر إن عبد الناصر لما يجي بسقط اللي تسقطه إسرائيل . . » .

ولكن عبد الناصر - للأسف وباعتراف كل أنصاره - لم يثق بالشعب أبداً . وظل يصدق إلى أن مات ، إنه لو أتاحت الفرصة لأي دجال أو عميل أن يصل إلى السلطة ويمتلك الإذاعة والخزائن ، فسيرقص له الشعب والنواب كما فعلوا معه . أو كما كان يقول دائماً إن الشعب باع قرارات مارس بالفين جنبه أي المبلغ الذي دفع لصاوصا . .

ولذلك رغم الخطب عن التحام الجيش بالشعب ، تصور أنه يمكن للانجليز أن يحتلوا القاهرة ، ويعينوا محمد نجيب رئيساً للجمهورية . وهو مقتول أو أسير أو يقود المقاومة السرية . . فيرضى الشعب المصري ويصنف لمحمد نجيب في ظل الراية البريطانية ، ولذلك قرر منع ذلك بنقل « محمد نجيب » إلى طما !!

ودعنا من تصور قبول « محمد نجيب » لهذا الدور ، وهو أول رئيس جمهورية لمصر والذي رفض أن يكون طرطوراً لضباط جيشه المصري . . فهل يقبل أن يكون عميلاً مفضوحاً للانجليز . . وهل صحيح كان الانجليز سيتوددون للشعب المصري برئاسة مجلس الثورة . . ألم يكن لديهم من السياسيين ما يكفي لتشكيل حكومة إنقاذ ما يمكن إنقاذه ؟ . ولماذا لا يعيدون الملك وهل بعد احتلال القاهرة ذنب أو عيب ؟ الإجراء كان تنكيلاً بمحمد نجيب ، وأيضاً تعبيراً عن العقدة القاتلة وهي فقدان الثقة بالشعب . .

ومما هو جدير بالملاحظة أن المدينة التي حمل فيها الشعب السلاح وقاتل دفاعاً عن عبد الناصر ونظامه هي المدينة الوحيدة التي سقطت فيها سلطة عبد الناصر ووقف الشعب فيها وجهاً لوجه ضد المستعمرين الغزاة ، لم يقع انقلاب ولا ظهر كائن يقبل ولو حتى منصب محافظ تحت الحماية البريطانية بل انخرطت الجماهير على الفور في المقاومة المسلحة بالسلاح الذي تمكنت من الحصول عليه أو الذي وصل قبل الهبوط المظلي بساعات ١ . . فالشعب الذي لم يُسمح له أبداً بحمل السلاح ، عندما حصل عليه استخدمه في حماية الوطن ، وأيضاً دفاعاً عن السلطة التي أبقت دائماً تحت الوصاية أو الحجز التحفظي بتهمة الغفلة أو الغدر . .

ويمكن أن نلخص الموقف خلال معركة تأميم القناة وما قبلها وما بعدها بتلك الجملة الرائعة التي قالها مواطن بور سعيد لعبد اللطيف بغدادي ، الذي عيه عبد الناصر مشولاً عن تعمير بور سعيد فكان أول إجراء اتخذ في هذا التعمير « هو جمع السلاح من الشعب ، وأجبر على ذلك المواطنون البور سعيديون ، الذين عرفوا دائماً بالشجاعة والصراحة والشخصية المفتوحة الحادة التعابير . . وبينما كان المواطنون يتدفقون لتسليم السلاح قال هذا البور سعيدي لبغدادبي : « خلي السلاح معانا يا بيه . يمكن يجوا الانجليز ثاني . . نبقي ندافع بيه عنكم » أي اتركوا لنا السلاح . . فربما يعود الانجليز فندافع به عنكم . . وكما قبل وقتها سقط نظام وجيش عبد الناصر ونجح الشعب وعبد الناصر . . هذا هو ملخص القصة . . ولكن كما سجل الجبرتي قبل ١٥٠ سنة : « وليت العامة شكروا على جهادهم » . . يقصد تصديهم للغزوة البريطانية عام ١٨٠٧ !! كتب أحمد حمروش :

« كانت في بور سعيد من قوات الجيش اللواء ٧ والكتيبة ٤ مشاة إلى جانب المدفعية الساحلية والمضادة للطائرات . ولكن عندما نزلت القوات البريطانية في « الجميل » تبعثرت القوات العسكرية نتيجة انهيار القيادة المسئولة قائم مقام عبد الرحمن قدري ، وإصدار قائد المحطة أميرالاي صلاح الموجي ، الأوامر بوقف إطلاق النار ثم الغائها بعد ذلك ، وفشل قائد المقاومة الشعبية (الرسمية . ج) صاغ غريب الحسيني وقائد جيش التحرير الشعبي صاغ عبد المنعم الحديدي في إقناع الجماهير بالتحرك معهم لبعدهم عن فهم روح الشعب

الحقيقية . ثم هربهم بعد ذلك من بور سعيد . وقد تم فصل هؤلاء الضباط الأربعة من الجيش بعد انتهاء المعركة .

أي أن الضباط الذين حكموا مصر ٤ سنوات بحجة حماية الوطن فروا فور أول طلقة وجهت للوطن . . واستمر النظام يخشى الشعب المسلح « وعندما تشتت القوات وغلبت الحيرة صغار الضباط طلب « حمدي عبيد » و « محمد أبونار » من الضابط « منير موافي » الذهاب لمقابلة « شمس بدران » مدير مكتب عبد الحكيم عامر الذي كان يفتش على الحرس الوطني في المنصورة . وقال له إن الحل الوحيد هو في السماح للشبوعيين بالدخول إلى بور سعيد لأنهم أقلد من غيرهم على فهم نفسية الجماهير والتعامل معهم . وقد رجع شمس بدران إلى القاهرة ثم وافق على ذلك .

الغزو بدأ والجيش تبعثر والقادة هربوا ، والمدينة محنلة ، وهم يستأذنون في الدخول ، ويتظنون حتى يعود للقاهرة ويشاور أهل الذكر هل يسمحون للشبوعيين المصريين بدخول بور سعيد أسوة بالانجليز والفرنسيين الذين دخلوها بلا استئذان ؟ . .

« ويقول « محمد أبونار » إن رجال المباحث العامة خلال القتال كانوا يراقبون تحركات الشبوعيين في الوقت الذي هرب فيه قائد المباحث العامة من بور سعيد . وسلم البوليس أسلحته بالكامل للانجليز .

قارن بين هذا وموقف البوليس في ظل حكومة الوفد الذين قاتلوا حتى آخر طلقة . . ولكن إذا كانت الأوامر للجيش بالانسحاب منها كان الثمن ، وللطيارين بالبقاء بعيداً عن طائراتهم « لحسن في الجو غيم » !! فهل نطلب أو نتوقع القتال من الشرطة ؟ !

ويقول : « إن الانجليز كانوا يقبضون على الإخوان والشبوعيين من سجلات البوليس . . » !

طالب الناس بالسلاح منذ أول لحظة في عدوان إسرائيل ولكن تعطل ذلك لكي يتم تحت إشراف المباحث العامة ، وبشكل روتيني ومظهري وغير فعال ورغم الغارات على بور سعيد فإن عدداً قليلاً من السلاح كان قد تم توزيعه . . ولكن مع هبوط جنود المظلات ووصول قطار حمل السلاح والذخيرة إلى محطة بور سعيد بدأ توزيع السلاح على الأهالي دون نظام . . السلاح في الشحم والناس غير مدربة أو منظمة تتحرك وراء أي صوت يدعوها للهجوم على العدو في أي مكان . الأمر الذي قلل من فاعليتها وعرضها لبعض الخسائر . وهكذا تم توزيع السلاح على الشعب في اللحظة الأخيرة وكأنه طوق نجاة يلقي لفريق .

والحقيقة أنه لم يتم توزيع السلاح ولا حتى في اللحظة الأخيرة ، فقد كانت السلطة قد انهارت تماماً ، والذي حدث أن الأهالي نهبوا القطار لكي يدافعوا عن أنفسهم وخشية وقوع السلاح في يد الانجليز . . وقد كنا معاصرين لتلك الأحداث . . فالنظام « الثوري » لم يختلف في شيء عن أي نظام حكم مصر منذ الأنبياء المملوكي وهو الخوف من الشعب ، أكثر

من الخذر من العدو الأجنبي ، رفض دور الشعب في الدفاع عن الوطن ، أو كما قال « محمد علي » للمصريين عندما تصدوا للانجليز : « ليس على العامة خروج » . . . حظر حمل الشعب للسلاح هو المبدأ الذي مارسه كل الحكومات غير الشعبية ، مع فارق أن الحكومات الأخرى كانت تخارب إلى آخر جندي ، ولا يحتل الوطن إلا إذا قتل السلطان أو شق على باب زويله . .

« كانت المقاومة الشعبية تقاتل في بور سعيد بينما توقف الجيش عملياً عن القتال منذ انسحابه من سيناء » .

وبينما سمح للخارجيين على القانون بالدفاع عن بور سعيد سلمت السويس للمغضوب عليه « صلاح سالم » وكحل للتخلص منه بعدما كاد أن يوقع أو يوقع بالفعل بين عبد الناصر وعامر وبعدما قام في حركة مسرحية ولبس بدلة عسكري المراسلة الذي يقدم القهوة في الاجتماع وصدر إليه الأمر بالتوجه إلى السويس . ويشهد له ، حمروش « أنه حولها إلى حصن كله خنادق ودشم ومغازل مما يجعل اقتحامها صعباً جداً على الغزاة وتكلف ذلك ما يقرب من نصف مليون جنيه صرفت خلال أيام قليلة قبل أن يتوقف إطلاق النار واعتمد في ذلك على الجماهير بالدرجة الأولى » .

وبالطبع كان يمكن أن يحدث ذلك في كل مدن القناة بل في كل مدن مصر لو أن القيادة أخذت بجدية ، لا أقول ، احتمال الغزو ، بل احتمال مقاومة الغزو . . ولكنها لم تفكر في ذلك بشكل جدي على الإطلاق ، بل سارت الأمور بالتداعي . والصدف . . أما فكرة الصديق « الروسي » عن نوعية القتال الذي قام به الجيش في تلك الفترة فقد لخصته تمنيات شيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتي .

قال شيلوف « إنه يأمل إذا تجدد القتال أن يكون استعداد مصر قد أحكم وأن يكون على رأس وحدات الجيش المصري ضباط مفرسون (؟) يختارون من بين من ينتظر منهم إجادة القتال والصمود هم وجنودهم إلى النهاية . وأن يكون المدنيون على أكثر دراية مستطاعة باستعمال السلاح وبوسائل الدفاع » .

كلمات موجعة ، قارصة ولكنها مخلصة من الصديق السوفيتي . وواضحة المغزى ، حتى ولو عجزنا عن فهم كلمة « مفرسون » فالمعنى واضح جداً . (ولعلها مفرسون) . وقع الغزو الأنجلو- فرنسي ، وتوقف تحت تأثير العوامل التي أشرنا إليها . وأهمها بالطبع موقف الولايات المتحدة برئاسة ايزنهاور . وتأكد « انتصار » واستمرار النظام في مصر . . . فاليهود لا يعبرون القناة ، وما يجري في « صحراء » هبكل لا يصل علمه إلى الشعب إلا قليلاً . . . والانجليز لن يتقدموا عن العشرين ميلاً . . وسرعان ما اختفت لحظات الصديق والطهارة ، ونقاء العلاقة التي فتت بغدادي خلال الأيام الأولى للعدوان وجعلته ، يتذكر الأيام الخوالي ، وعادت روح التأمر والصراع على السلطة . . وهذه يوميات بغدادي :

« في صباح يوم الخميس ٨ نوفمبر ١٩٥٦ ذهبت إلى مكتب جمال في مبنى مجلس الثورة ، وكان قد سبقني وتناول إفطاره بمفرده (وهذه من علامات الشر عند بغداددي ج) وبعد أن جلست معه بعض الوقت بادرني بقوله : « أنا لم أكن أعرفك جيداً من قبل - ولم أعرفك على حقيقتك إلا من يوم ٢٩ أكتوبر الماضي وإذا كان قد حدث بيننا سوء تفاهم فبما مضى فالسبب هو صديقك جمال سالم . . وقد فكرت أن أقول لك هذا لأننا لا نعرف ماذا ينبغي . لنا المستقبل ، والصورة سوداء . . » واستمر يحرضه على جمال سالم حتى قال بغداددي إنه هو الذي تعب من صداقة جمال سالم وأنه بحمد الله لأن جمال عبد الناصر عرف « حقيقتي اليوم وهو يوم شدة » وانقطع استمرار الحديث لحضور زكريا ، وشعرت بألم شديد وصدمت في جمال سالم صديقي وصدقت ما قاله جمال عبد الناصر ولم يخطر في ذهني أدنى شك عن صدقه فيما ذكره لي لأنني لم أتصور أن يكون قد فكر ونحن في هذا الموقف العصب ولا نعرف ما نجبه لنا القدر ، أن يعمل على الإيقاع بين جمال سالم وبينني . »

ويقول بغداددي إنه بعد سنتين وفي صيف ١٩٥٨ عندما قدم بغداددي استقالته على إثر صدام وقع بينه وبين عبد الناصر حضر جمال سالم لزيارته ، فصارحه بما أخبره به جمال عبد الناصر ، فقام جمال سالم « وصلى ركعتين لله ، وأقسم على المصحف أن هذا لم يحدث منه . »

واحتار بغداددي بين قلبه وعقله « أيها أصدق . »

وقضل النسيان .

والحقيقة أن الصورة ليست بهذه البشاعة كما يصورها بغداددي ويبدو أن الذاكرة خائنة . فإذا كانت الحادثة ، كما ذكر وقعت يوم ٨ نوفمبر فهذا يعني أنها كانت بعد الإنذارين الأمريكي والروسي ، ووقف إطلاق النار وتأكد الرئيس أن الأمريكيان لم يتخلوا عنه ، وأنهم في النهاية قادرون على « قرملة » الجميع وكان اقتراح البوليس الدولي يطبخ في مكتب مصطفى أمين وصمدت حكومة مصر الأيام الثلاثة المطلوبة ، ولذا فإن الأمور ليست سوداء كما ظن أو كما كان يظن بغداددي . ومن ثم فقد استعاد الرئيس شخصيته واستأنف المهمة التي اقترح بضرورتها من أول يوم رأى فيه يوسف صديق ، يجلس على مكتب رئيس الأركان ، وهي ضرورة تصفية كل الذين يداينوه باسم الاشتراك في يوم ٢٣ يوليو . . لكي يتمكن من تنفيذ برنامجه الوطني العظيم !

« يوم السبت ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ وكنت مجتمعاً في مجلس قيادة الثورة مع جمال عبد الناصر والدكتور محمود فوزي وعلي صبري وبعد انتهاء الاجتماع وانصراف الدكتور فوزي صدر من جمال عبد الناصر بعض الكلمات الجارحة عن الجيش . وأخذ يشرح لعلي صبري ما يأخذه على الجيش وعلى عبد الحكيم عامر . وروح الاستسلام التي كانت قد انتابتهم ، والشلل الذي حدث لهم بعد دخول الانجليز والفرنسيين المعركة وعدم إطاعة الجيش لأوامره رغم تكرار الاتصال بهم . وذكر أيضاً دور صلاح سالم . »

والغريب أن بغداددي يسجل على نفسه أنه تدخل في الحديث ، وكان جمال و زعلان ، من عبد الحكيم على إيجار الشقة ! أو جهاز البنت ! . . فهو يقول إنه رد عليه : إنه الأخ الأكبر لعبد الحكيم ، والموقف كان عصياً (وهل بدخر الجيش وقادة الجيش إلا لمواجهة المواقف العصية ؟ ج) وعلينا أن نعمل على إصلاح ما فسد وعليه هو أن يتحمل (فهو كبير العائلة . . صحيح أن بغداددي ابن عمدة فهذا كلام مصاطب لا قيادة سياسية فضلاً عن ثورية ج) والظروف تحتم على كل منا أن يتحمل تصرفات الآخر . واقترحت عليه دعوة عبد الحكيم للعشاء أو الغداء ، وهو سيلي الدعوة .

يعني الطيخ مش حيندلق !!

موقف خاطيء من بغداددي ، وهو بهذا الاعتراف يتحمل المسؤولية كاملة ، بقدر وزنه ، في استمرار عبد الحكيم وجماعته في قيادة الجيش المصري ، ويزعم أنه زار عبد الحكيم وظل معه ساعتين يحاول أن يقرب وجهتي النظر وإزالة سوء التفاهم ، و أن رجولته تمنعه من التصرف بما يسيء إلى البلاد ، وتعانقنا في نهاية المقابلة وقبل كل منا الآخر !! رجولة ايه ؟

وماذا كان بوسع عبد الحكيم أن يفعل ليسيء إلى البلاد (أكثر مما فعل !؟) لو شنقه عبد الناصر وقتها لتضاعفت شعبية عبد الناصر . . فلم يحدث أن كان المصريون يمثل هذه النعمة على جيشهم ، كما كانوا في تلك الأيام ، وبالذات على قائد الجيش . .

كان الموقف لم يتضح فيه نصر بعد . ولكن الشعب كله كان ملتفتاً حول عبد الناصر وفي نفس الوقت كانت البلاد كلها تعرف وتتحدث عن هزيمة الجيش و فرار الضباط كما قبل أو ظنوا فلم تكن قد نظرت بعد فتوى الانسحاب العبقري ! وكان الجيش والشعب يحملان المسؤولية لعبد الحكيم عامر أو المواوي كما أطلقوا عليه . . ولما أقنع الإعلام الشعب بالانتصار . . ظلت الجماهير مقتنعة أن عامر والجيش هزموا مصر . . وناصر والشعب خلصوها من هذا المأزق . .

فماذا كان بوسع عامر أن يفعل ؟

ويقول بغداددي إنه أبلغ عبد الحكيم بما كنت ألمسه وأسمعه من ضباط القوات المسلحة الجوية ، ومن أنهم فقدوا الثقة في قياداتهم نتيجة الأخطاء التي حدثت وأن هذا يستلزم منه اتخاذ بعض الإجراءات بالنسبة لهؤلاء القادة حتى تعود الثقة بين القادة ومرءوسيههم وعليه أن يجري تحقيقاً مع القادة الذين تسبوا بإمهمهم في هذه الأخطاء والعمل على نقلهم إلى جهات أخرى . وتدخل عبد الناصر مؤيداً ذلك واقترح نقل صدقي محمود إلى منصب وكيل وزارة الحربية لشئون الطيران .

لحظة واحدة ؟

آية أخطاء ؟!

الأمر الصريح هو عدم الاشتباك مع طيران العدو حفاظاً على حياة الطيارين . . فما الخطأ وكيف يمكن أن يخطيء قادة ويستحقون الإحالة إلى التقاعد بل والتحقيق ويثور ضباطهم عليهم في ظل هذه الحطة ١٩ ؟

هل ياترى لم يتخذوا الأمر وسمحوا للطيارين بالدفاع عن شرف البدة ؟
نريد أن نعرف ما الأخطاء إذا ما كانت الحطة العبقريّة هي بنص حروف قاريّ الوثائق وفاتح الخزائن : « عل الطيران المصري ألا يشتبك مع العدو لأن المعركة غير متكافئة » !
وماذا كان بوسع قائد الطيران أن يفعل لتنفيذ هذا الأمر أفضل مما فعل . . أمر الطيارين بالتوجه فوراً إلى منازلهم وترك الطائرات خالية للتغريب بالعدو فيضربها ويكسرها ويغمر قنابلها على الفاضي فالطيار طار . . بدون طيارة ! . .

إما أن هذا اتهام غير مفهوم ونحن عل صدقي محمود وعامر بعدما وقعت البقرة ، وكثرت السكاكين . . وإما أن رواية هيكمل كاذبة ، ملفقة لسترا هزيمة على طريقة العملة الذي ترى العملة على قفاه فيقول من خجله : « سيها يا ولد أنا اللي حاططها » ! . .
يريد هيكمل أن يقول إن ضرب الطيران كان خطة مدبرة ، وسقوط سيناء في يد اليهود كان ضربة بارعة من جانبنا . . وهكذا بهذا المنطق وحده تصبح الهزيمة نصراً فنحن أردناها وصممناها !!

نعود الآن « لصحراء » هيكمل أو بالأحرى للوادي المقدس طوى ، حيث سيقتر مصر العرب ومصر الشرق الأوسط ومصر مصر خلال القرن الحادي والعشرين ، وبعدما تترتوي كل حبة رمل فيها وكل حجر يدم المصريين الشرفاء . . وتظهر إلى الأبد من الأطناع الدنسة للمغتصبين العنصريين الدخلاء .

إن الغزوة الإسرائيلية لم تكن أكثر من حلقة في سلسلة المواجهة الإسرائيلية - المصرية الدائمة . . والتي وعنها إسرائيل منذ وعد بلفور ، بل حتى منذ أن بدأ اليهود يفكرون في فلسطين كوطن قومي . . فلم يكن أمامهم إلا الدولة العثمانية ، كحقيقة تاريخية وكسلطة قائمة في فلسطين ، وحقيقة الوجود المصري أو إن شئت الفيتو المصري على الأحلام الامبراطورية لإسرائيل . . مصر كانت ولا تزال القوة الوحيدة القادرة على مواجهة المخطط الصهيوني ، ومن ثم فإن تدمير مصر ، تعجيز مصر ، هو الهدف الأول والدائم لجميع المسؤولين الصهيونيين ، بصرف النظر عن أشخاص ومياديين الحاكمين في مصر ، وسواء أكانت العلاقات ساخنة دموية أو متجمدة ، أو حتى طبيعية مع تبادل الاعتراف ، وبصرف النظر عن نوايا وأفعال السلطة المصرية .

وفي مقابل هذا نحن نزعم أن السلطة المصرية من ١٩٥٢ - ١٩٥٦ لم يكن في بالها ولا تصور لها إمكانية وقوع مواجهة ساخنة مع إسرائيل ومن ١٩٥٦ إلى ١٩٦٧ كان مخططها أو سياستها تدور حول تجنب هذه المواجهة بأي ثمن . .

وبالتالي هزمتنا . .

ولكن قبل أن نناقش هذه « القضية الكبرى » تعالوا نلقي نظرة على سيناء أرض المعركة . . ويجب أن نقول ابتداءً إن الجندي المصري والجندي الإسرائيلي لم يتقابلا في حرب حقيقية إلا عام ١٩٤٨ و ١٩٧٣ وقد هزمتنا بشرف في ١٩٤٨ لأسباب عديدة ، ليس أقلها أننا كنا مستعمرة بريطانية ، وأن جيشنا لم يكن جنوده قد خاضوا حرباً قط ، ولا تعاملوا مع المعارك الحديثة ، بينما كان الجيش اليهودي في معظمه من المحاربين في الحرب العالمية الثانية ، وفي معارك لها شهرتها العالمية وخبرتها بحكم القوى الجبارة التي اشتركت فيها ، هذا عن اليهود الإسرائيليين وأكثر منه طبعاً بالنسبة لليهود المتطوعين الذين جاءوا من الخارج . . أما حرب ١٩٧٣ فقد أثبتت أنه إذا ما توافرت قيادة سليمة إلى حد ما ، وشبه تعادل في السلاح ، ولو لصالح إسرائيل فإن الجندي المصري أفضل من الجندي الإسرائيلي وأقدر على هزيمته ومفاجأته وقتله وأسره . . وكل ما تعبرنا به الدعاية الصهيونية . .

وكتب موسى ديان وجولدا مائير وإيغال آلون وكل إسرائيليين كتب ، وكلها كتب هادفة في المخطط الدائم وهو تعجيز مصر . . ولذلك فهي حافلة بالكاذيب والمعلومات المشوهة . . خذ مثلاً « موسى ديان » كتب كل تفصيلة في معركة سيناء ١٩٥٦ ونسي أول ما يسمع بوجود فرار مصري بالانسحاب ! . . لأنه إذا أثبت ذلك في كتابه لسقط كل ادعاء البطولة ، إذ أية بطولة في غزو منطقة انسحب جيشها ، أو يقاتل تحت أمر صريح . بالانسحاب خلال ٤٨ ساعة أو ٧٢ ساعة « مهما كان الثمن » فريق مانشر لكرة القدم لا يستطيع أن يلعب تحت هذا الإنذار الزمني !!

لذا حذف موسى ديان تماماً حكاية فرار الانسحاب هذا . . فلا نجد له أثراً إلا في كتاباته عن ١٩٥٦ ولا ١٩٦٧ . .

ومع ذلك ورغم أن كتابه منشور ناهي يهدف إلى تشويه صورة الجندي المصري وإضعاف معنوياتنا ، وإفقادنا الثقة في قدرة شعبنا على تقديم مقاتلين ، ورغم كل ما تعرضت له القوات المسلحة المصرية من إفساد وتجهيل على يد القيادة العسكرية من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ ورغم القرارات السياسية الفاحشة الخطأ والتي لعبت الدور الحاسم في انتصار إسرائيل وبدون قتال في الغالب . فإن أبطالنا ما أتاحت لهم فرصة الاشتباك مع العدو إلا وأثبتوا بسالتهم وتفوقهم عليه ٧٢ ، ليس فقط في معارك أكتوبر بل في معركة سيناء الأولى والثانية . . والدليل - كما قلنا - إن هذا الموشى لا ينسى في كتابه تفاصيل الجندي المصري المقطوعة مساقه . . الخ ولكنه ينسى قرار الانسحاب . ومع ذلك فهو يعترف بوقوع قتال شرس دافعت فيه القوات المصرية المحدودة ، ببسالة وضراوة وكفاءة عن مواقعها ، رغم أنها كانت قوات رمزية بسبب الفرار المريب الذي اتخذته القيادة على أساس استحالة وقوع هجوم إسرائيلي ، والرغبة في تفادي أي استقرار لإسرائيل وذلك قبل المعركة بشهرين ، وكان على هذه القوات

أن تنصدي لهجوم كامل شامل جرى الإعداد له منذ أكثر من عامين . . ومع ذلك أحبط الهجوم الأول في أكثر من موقع وأوقف تقدم القوات الإسرائيلية طوال الثلاثة أيام الأولى حتى صدر قرار الانسحاب فانهارت المقاومة المصرية ، أوقف أوقف بأمر عسكري من القاهرة . . بعد أن سجلت صفحات من البطولة للمجندي المصري الذي كتب بدمه مجد مصر ، وخطيئة القيادة ، التي خذلت مرتين وهزمت بقراراتها . . ولو كان عبد الناصر صادقاً مع نفسه لقال « هزمت جيشي » « أنا هزمت جيشي » وليس « جيشي هزمني . . » فكيف بتتصر جيش لم يؤمر بالقتال؟! بل كما قال ابن مصر اليكر والمعبر عن روحها « نجيب محفوظ » : « أوبر الجيش أن ينهزم فانهزم ! »

في أبو عجيلة وسد روفة استمرت الوحدات المصرية تقاتل من عصر يوم الهجوم الإسرائيلي إلى ظهر اليوم التالي ، وهم لا يزيدون على بضعة عشرات من الجنود ضد لواء مدرع إسرائيلي معزز بالطائرات حتى أيدوا عن آخرهم .

وفي العريش كاد قناص مصري وبعدما سقطت المدينة ، كاد أن يصيب موسى ديان ولكن رصاصته قتلت عسكري المراسلة المرافق له « الذي سقط قتيلاً إلى جانبي » كما يعترف ديان . واضطرت الطائرات الإسرائيلية إلى الابتعاد من فوق سماء العريش « المحتلة » من شدة نيران المقاومة التي استمر فيها جنود مختبئون رفضوا قرار الانسحاب ، واستمروا في القتال . .

« وفي عمر متلا ظلت قوات المظلات المعززة بالدبابات والطائرات تقاتل سبع ساعات وكانت خسائرنا لم يسبق لها مثيل : ٣٨ قتيلاً ومائة وعشرين جريحاً » .

وهذا تهجيص إسرائيلي فالحسائر كانت بالآلاف ، بدليل أنه صدر قرار عزل قائد المظليين اليهود لعجزه عن القتال أمام المصريين . وقائد المظليين لا يعزل على ٣٨ قتيلاً . . ولا أحد يتوقع منه أن يستولي على عمر متلا بأربعين قتيلاً ! . . ونحن نزعم أن القتال كان يمكن أن يستمر إلى أجل غير محدود لولا « وصول أمر الانسحاب » كما يشهد هيكل نفسه . فليس تغيير القائد الإسرائيلي هو الذي أدى إلى سقوط المعركة ولكن تغيير القائد المصري في القاهرة لأوامره . .

وكذلك فشل اللواء العاشر الإسرائيلي في الاستيلاء على « أم كتاف » في ٣١ أكتوبر رغم حضور موسى ديان بنفسه إلى موقع اللواء وحته الجنود على الاستيلاء على أم كتاف « بأقصى سرعة ممكنة » فقد بقي هذا الموقع هو وأم شنان في منطقة أبو عجيلة في يد العدو وصد تقدمنا في سيناء في القطاع الأوسط . ورغم استيلائنا على القسيمة وأبو عجيلة نفسها وسد الروفة ، فقد أجبرنا على الالتفاف واللجوء إلى الممرات الترابية ، وهذا يعني إمكانية أن يخلقوا عنق زجاجة لقوافل التعمير وبالتالي يوقفون تقدمنا . « أم كتاف » كانت تتحكم في الطريق الأسفلتي الذي سيحل مشاكلنا ، والاستيلاء عليها يفتح لنا محاور لتقدمنا . ولم أجد اجتماعي مع ضباط اللواء مقبولا ، وكان واضحاً أن ضباطنا يشكون في كفاءة عسكريهم . وقد فقدت

صبري مع الضباط ولم أعد راغباً في سماع شكواهم عن الصعاب ، كنت أعلم أن رجالهم متعبين وأن الإمدادات لم تصلهم في وقتها ، والليالي باردة ، والنهار حار وبنادقهم روكيت وعرباتهم تغرر في الطين ، ولكن لم يكن لدي حل فأننا لا أملك تغيير طبيعة الأرض وعلى أن أفتح الطريق الجديد . .

« هاجموا أم كتاف في تلك الليلة ، ولكن قلوبهم لم تكن معهم (١) فلم يخرجوا بشيء ، ومن الناحية الأخرى تقدمت وحدة من اللواء المدرع السابع والثلاثين بتصميم واضح ولكنها فشلت أيضاً . كان الضباط يتدفعون نحو استحکامات العدو ، دون انتظار للدبابات التي تأخر وصولها بخطأ من مخابرات القيادة الجنوبية . ولم تكن هناك خطة محكمة للعمليات . وعدم تركيز القوة بما يكفي ساهم أيضاً في فشلنا . وكذلك أخطأت أنا إلى حد ما . إذ ضغطت على قائد الجبهة الجنوبية لفتح الطريق عبر أم كتاف بأسرع ما يمكن وهو بدوره ضغط ولكن كان قصدي أن يتم ذلك قبل ظهر اليوم التالي مهما كانت الضحايا . ولكن بعد الاستخدام السيء للواء العاشر ، جرى عزل قائد اللواء وأبدت هذا التغيير ، (ثاني قائد يعزل خلال الحرب بل وعلى أرض المعركة وقائد الطيران المصري يقول ما عندوش بتزين ويبقى قائداً للطيران ١١ سنة أخرى إيج) .

ولم تسقط أم كتاف حتى جاءت النجدة من القاهرة . . أو قرار الانسحاب . . !
تخيل كل المتاعب التي ذكرها موسى ديان عن طبيعة الأرض وأصف إليها بالنسبة للمصريين الآتي :

- ١ - جيش إسرائيل ودولة إسرائيل خلف القوة المهاجمة . . أما أبطال أم كتاف فيعرفون أن بقية الجيش متجهة بأسرع ما يمكن بعيداً عن سيناء وأنه لا أمل في أي نجدة من القاهرة .
- ٢ - وزير الدفاع في معسكر الجيش الإسرائيلي المهاجم . . والقوة المحاصرة لا تعلم ماذا يجري في بقية الجبهة ، إلا أن أوامر الانسحاب تصدر من عبد الناصر وليس من عامر وأن هناك أمراً بالانسحاب العام إلى غرب أو شرق القناة ، لن نختلف . . ومعنى ذلك أننا خسرنا الحرب وسلمنا سيناء كلها أو لا أمل لهم في نجدة أو مدد بل إن قتالهم بلا معنى وقد سقطت سيناء كلها من حولهم أو بمعنى أصح « أسقطت » سلمتها قيادتهم في القاهرة بلا حرب !
- ٣ - الطيران الإسرائيلي بكل قوته يغطي القوة المهاجمة ويضرب القوة المحاصرة ، والطيران المصري بلا طيارين حرصاً على حياتهم ! . .

ألم يكن من الضروري أن تدرس معركة « أم كتاف » في المدارس المصرية وتوضع عليها الدراسات والأفلام خلال العشر سنوات التي انقضت ما بين الحربين بدلاً من أن يكون مرجعها الوحيد هو شهادة الأعداء !

ولكن كيف يمكن الإشادة ببطولة من صمدوا ولم ينسحبوا إذا كان الإعلام المصري قد جعل من « الانسحاب » أعظم نصر ، وأكثر القرارات عبقرية في تاريخ الحروب ؟ !

نحسبنا الحرب مع إسرائيل من الناحية العسكرية :

١ - تم الانسحاب من سيناء كلها واحتلتها إسرائيل بالكامل كما احتلت مضيق تيران وأعلنت حرية الملاحة الإسرائيلية فيه .

٢ - تحول الجيش المصري بنص عبارة عبد الناصر إلى « بقايا جيش محطم » .

٣ - خسرتنا من العتاد الحربي ما قيمته بنص كلمات عبد الناصر : مائة وثلاثة ملايين جنيه مصري (بجنيه ما قبل الاشتراكية !!) أو كل صفقة السلاح الروسي كاملة !

ونختار ماذا يقصد مؤرخ الناصرية عندما يؤكد هذه الحقيقة ، وهي تسليم سيناء للإسرائيليين بلا قتال ونجيب جيش إسرائيل أية خسائر ، ونصرف الإسرائيليين عن وعي بأن هناك من يسحب لهم القوات المصرية ، من يأمر الجيش المصري بأن ينهزم هم . . وإلا فما معنى هذا الذي يقوله :

« قال ديان لـ « سمحوني » : « لماذا تدفع خسائر بالعشرات من رجالك لتحقيق هدف سوف تحصل عليه بدون قطرة دم واحدة بعد بضع ساعات » (ص ٥٣٨) .

بجائنا ستسلم لك المواقع فور وصول « التعليلات » من القاهرة بالانسحاب !
ديان عنده موعد مع جهة ما ستأمر بتسليم الموقع دون قطرة دم بعد بضع ساعات !! ويقول : « القوات الإسرائيلية دخلت شرم الشيخ وهي الهدف النهائي للعملية (اعترفنا الآن بأنها الهدف النهائي وليس إسقاط الزعيم ج !؟) بعد وقف إطلاق النار وبعد أن أثبتت القيادة المصرية انسحاب قواتها بالكامل من شبه الجزيرة (هذه أول مرة في حياته يعترف أن سيناء شبه جزيرة بعد أن سلخنا جلده عل وصفها بالصحراء . . حسناً أفاد التقرير ج) وقد وصل الجنرال ديان إلى شرم الشيخ في طائرة صغيرة قبل أن تصل إليها القوات الإسرائيلية وكان مطمئناً لأنه يعرف أنه لم تعد قوات مصرية » (ص ٥٣٩) .

تسليم وتسلم . . هذه بلاد بيعت أو خينت وسلمت قصداً . . وأخذت بلا قتال . . لماذا تنسحب القوات المصرية من شرم الشيخ قبل أن يصل الإسرائيليون . . وبعد وقف إطلاق النار !؟ . .

والغريب أنه لا يستحي من الحديث عن بئالة قواتنا التي أُنبح لها القتال . . فلماذا أمرغوهم بالانهزام !

٤ - دمرت إسرائيل « طرق المواصلات والشكك الحديدية في سيناء وكذلك قامت بوضع الغام على هذه الطرق » .

٥ - « والمذابح مازالت مستمرة بطريقة منظمة ، والتخريب قائم على نطاق واسع وجميع المنشآت الموجودة في سيناء وعلمت أنهم يسرقون البترول الخام في سدر وبلاعيم في مراكب تنجّه إلى ميناء إيلات » .

من رسالة عبد الناصر إلى محمود فوزي ٥ ديسمبر ١٩٥٦ .

وهذه هي الرسالة التي علق عليها هيكمل وكأنه يخرج لسانه للقراء إذ قال :
« ويرسل ناصراً وفوزي تنتهي قصة السويس كأكمل وأشمل انتصار حققه العرب في العصر الحديث بالمعنى الحقيقي للنصر في هذا العصر » .
احتلوا الأرض وحطموا المنشآت وشحنوا نفضنا . . وانتصرنا . . بل وأعظم انتصار !!

إذا كنا قد هزمتنا عسكرياً في سيناء فهل انتصرنا سياسياً كما هو الشائع في الأوساط الأقل فجوراً من هيكمل ، التي تعترف بالهزيمة العسكرية ولكن تغطي ذلك بالخلط بين انتصار مصر على الانجليز والفرنسيين - إذ أجبر الضغط الأمريكي . . والإنذار السوفيتي الدولتين على الانسحاب بلا قيد ولا شرط . وبين انسحاب إسرائيل من سيناء وغزة ، وخاصة أن شروط انسحاب إسرائيل لم تعلن أبداً في مصر ، بل وظل المصريون المتغفون لا يسمعون بها حتى كان مؤتمر شتورا ١٩٦٢ والعام لم يسمعوها إلا عشية حرب ١٩٦٧ إذ عرفوا لأول مرة أن إسرائيل كانت تمر من خليج العقبة ، بل هاهو كتاب يصدر بعد عشرين عاماً ومخصص لتحليل « حرب السويس » - كما يسميها - لا يشير بحرف واحد إلى شروط انسحاب إسرائيل ، ولا ما تنازلت عنه مصر !! نعم . . حرف واحد عن هذا الأمر لم يرد في كتاب هيكمل الأمين على تاريخ الناصرية* ١٩١

استمرار في التزوير والتجهيل . .

الحقائق تؤكد أن القيادة المصرية فشلت وهزمت في حرب سيناء سياسياً ودبلوماسياً مما مكن إسرائيل من تحقيق هدفها المرحلي الذي دخلت من أجله الحرب . .
وصحيح أن بن جوريون أعلن ضم سيناء وغزة ولكنه هو نفسه فسر ذلك بقوله : « لقد كان تقدمنا في سيناء سريعاً . . كان انتصارنا سريعاً جداً ، وكنت سكران بخمر النصر » .
فحتى حلفاء إسرائيل في الغزو ما كانوا يقرونها على ضم سيناء وقد حذر سلوين لويدي موسى ديان حرفياً في خلال مفاوضات التآمر على الغزو : « أرجو ألا تراودكم أحلام في استغلال الفرصة بضم سيناء » .

وقال موسى ديان « بالنسبة إلى النهاية لم تكن نريد احتلال سيناء إلى الأبد ولكن كنا نريد ضمان حرية الملاحة إلى إيلات وتدمير الجيش المصري الذي يهدد إسرائيل في سيناء ، ووقف عمليات الفدائيين ضد إسرائيل من قطاع غزة » .

وقد تحققت هذه الأهداف كاملة . . طبعاً استمر اليهود يساومون إلى آخر لحظة للحصول على أقصى ما يمكن الحصول عليه من مكاسب . . ولكن هذه كانت أهداف المرحلة أو قل

* بعد هذا الذي كتبه استحي « هيكمل » وأضاف في تاريخ حرب السويس طبعة ١٩٨٦ بضعة سطور حول التنازل الناصري ، ولكن بلا تعليق ولا تفسير . .

الحمد الأدنى الذي يغطي مخاطر وتفقات الحملة . . ولا تنسى أن إسرائيل كما قال بن جوريون كانت على اعتقاد بأنها « لا تستطيع أن تشن وحدها حرباً ضد مصر » .

وقد لعبت الدبلوماسية الأمريكية دور الوسيط بين إسرائيل ومصر ، فاستخدمت الأمم المتحدة ، والمخطر الروسي ، والإمكانات الأمريكية للضغط على إسرائيل لتحقيق الانسحاب من سيناء وغزة . وضغطت على مصر بالاحتلال الإسرائيلي ، والبريطاني والفرنسي إلى حد ما ، ثم بما كان بين أمريكا ومصر من علاقات بعضها معروف وأكثرها غير معروف ، لقبول مطالب إسرائيل .

قادت أمريكا المناقشات في الأمم المتحدة . وكان ايزنهاور قد بعث برقية لبن جوريون فور العدوان « يقترح فيها سحب إسرائيل لقواتها من سيناء وأنه سيقدر تمام التقدير استجابتنا ، فلما لم يصل رد إسرائيل طلب هنري كابوت لودج مندوب أمريكا عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن حيث قدم قراراً يدعو إسرائيل لسحب قواتها من المنطقة وقد تأجل الاجتماع خمس ساعات بناء على طلب فرنسا وبريطانيا وإسرائيل ، ولما استؤنف كانت الأنباء قد وصلت بالإنذار البريطاني - الفرنسي - وقد اعتبر ايزنهاور ذلك عملاً من أعمال الغش » .

وتبت أمريكا اقتراح إدانة إسرائيل ، والأمر بانسحابها إلى خطوط الهدنة . وكان الإنذار السوفيتي لإسرائيل أكثر تحديداً وأقل دبلوماسية من الإنذار الموجه لبريطانيا* وفرنسا ، إذ تحدث عن إمكانية زوال إسرائيل . . واستغل الأمريكيون ذلك فبعث سفير الولايات المتحدة بمعلومات لإسرائيل « بأن الاتحاد السوفيتي ينوي توجيه ضربة قاصمة لإسرائيل تسويها بالأرض » .

ولكن بن جوريون قال : « لم يكن يعني ما يقوله بولجائين ، أو ما يحتمل أن يفعله . لقد كان اهتمامي كله بموقف الأمريكيين فقد كنت أعلم قوة وسائل الضغط التي يملكونها علينا . بما يجعلنا نرضخ لطلبهم بالانسحاب . . إنني كنت مهتماً بالأمريكيين أكثر » .

● عمله مما يلقي الضوء على طبيعة الإنذار السوفيتي ، تلك الرواية التي نشرها أول متعرد في المخابرات البريطانية .

مؤلف : « صياد الجواسيس » ، إذ قال إن الانجليز نجحوا في أوائل عام ١٩٥٦ في تركيب جهاز نصت داخل السفارة المصرية يمكنهم من التقاط وفك الشفرة المصرية . فلما زاد التعاون المصري - السوفيتي ، أرسل الروس مجموعة خبراء للكشف عن أجهزة التنصت في السفارات المصرية ، وقد رصد الانجليز اكتشاف الروس لجهازهم ودهشوا لأنهم تركوه في مكانه . وفي موضع آخر قال إنهم خلال العدوان التقطوا من نفس الجهاز رسالة موجهة من السفير المصري في موسكو يقول فيها إن الروس أبلغوه أن الطائرات الروسية قد صدرت إليها الأوامر بالاستعداد للسفر إلى القاهرة بالمتطوعين . ويقول رجل المخابرات البريطانية إن هذه الرسالة كانت حاسمة في قرار ابدن بوقف إطلاق النار . ومع ذلك لم يفهم لماذا ترك الروس الجهاز بعدما اكتشفوه . . فهل فهمنا نحن !؟ .

وتقول جولدا مائير : « لم نخض حملة سيناء من أجل كسب أرض ولا نهب أو أخذ أسرى ، وإنما كان الشيء الوحيد الذي نريده هو السلام . . أو على الأقل الوعد بسلام لعدة سنوات » . « كنا قد انتصرنا ولكن الفرنسيين والانجليز خسروا حربهما . . وقد خضع الانجليز فور صدور قرار الأمم المتحدة بانسحابهم من منطقة القناة ، وكذلك صدر الأمر بانسحاب إسرائيل من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة . وبدأت الأربعة شهور ونصف شهر من « وجع القلب في المعركة الدبلوماسية التي نخضناها » . ولكن الرئيس أيزنهاور كان غاضباً وقال إذا لم تنسحب إسرائيل فسيؤيد فرض عقوبات ضدها في الأمم المتحدة » . « وأخبرني دلاس أكثر من مرة أن إسرائيل ستحمل مسؤولية حرب عالمية ثالثة » . « وفكرت أكثر من مرة في أن أهرب من الأمم المتحدة وأعود لإسرائيل ، ولا أواجه دلاس وكابوت لودج رئيس الوفد الأمريكي في الأمم المتحدة ولكني بقيت وابتلعت مرارتي ، وفي النهاية حوالي آخر فبراير ، وصلنا إلى تسوية ما ، ستغادر قواتنا غزة وشرم الشيخ مقابل تعهد بأن الأمم المتحدة ستضمن حرية الملاحة للسفن الإسرائيلية في مضيق تيران وأنه لن يسمح بعودة الجيش المصري إلى غزة »^{١١}

وبالطبع تسكب جولدا مائير الدمع على ما تنازلت عنه إسرائيل أو ما أجبرتها عليه أمريكا من تنازلات . . ومازال الإسرائيليون يقولون إن مناحم بيجين تنازل للسادات عن سيناء ! « جولدا مائير » التي أقبمت لها التماثيل ، وخلدت حياتها في السينما بعد ذلك اعترفت وقتها ١٩٥٦ « بدا وكأن العالم كله ضدنا » جولدا ص ٢٩٠ حياتي .

ومع ذلك قبل عبد الناصر هذه التنازلات لإسرائيل مع أن العالم كله كان معه^{١٢} !
١ - فتح خليج العقبة للملاحة الإسرائيلية وإزالة الوجود العسكري المصري في تيران وشرم الشيخ ، بل وإزالة السيادة المصرية الفعلية هناك وإن بقيت اسمياً . . وسلمت المنطقة لقوات البوليس الدولي .

٢ - تجريد الحدود المصرية - الإسرائيلية بالبوليس الدولي الذي قبل أن يوضع على جانب واحد من خط الحدود وهو الجانب المصري فأصبحت مصر عملياً في نفس وضعها بعد كامب ديفيد ، أي خارج إمكانية المواجهة . . وقد علم بعد ذلك أنه إلى جانب القوات الدولية فقد كانت هناك اتفاقية سرية بين مصر وأمريكا بتجميد الوضع عشر سنوات وهو ما حدث .

ويجب أن ننبه إلى أن « قوات الطوارئ » لم تكن بالتي تنسحب فور طلب مصر ، كما حدث ، وكما راج ، وإنما قرار الأمم المتحدة ، كان يشترط لسحبها الرجوع إلى الأمم المتحدة . وهذا ما كان في خاطر عبد الناصر عندما طلب سحب القوات ، لكي تتاح الفرصة لمناقشة الموضوع في « الجمعية العمومية للأمم المتحدة » كما ينص قرار تشكيلها ، وعندها تفتح الأبواب للمخطب والاتصالات وتبريد الموقف بدون حرب ، بعدما يكون قد حقق الكسب السياسي . . ولكن النية كانت قد انجبت لضربه ، كانت إسرائيل قد أكملت

استعداداتها ورأت أن الوقت قد حان للضربة القاضية وهي التي دفعت الاحداث إلى ما وصلت إليه وباتفاق ومباركة الولايات المتحدة ، لذلك فوجيء عبد الناصر باستجابة سكرتير الأمم المتحدة للطلب وسط دهشته ودهشة العالم كله ، ولم يلتزم بالجزء الخاص بضرورة عرض الأمر على الجمعية العامة للأمم المتحدة ! حتى أنهم أرسلوا « مرسال » على عجل يسحب الطلب فقبل لهم فات الأوان ! وبالطبع لو كانت إسرائيل أو أمريكا لا تريدان الحرب ، لما حدث ذلك ، وعلى أية حال . . أية مفاجأة يمكن لمصر أن تمارسها ضد إسرائيل وهي لا تستطيع أن تهجم إلا بعد إخطار العالم كله وذلك بطلب سحب قوات الأمم المتحدة !؟

الواقع والذي حدث فعلاً أن الجبهة المصرية - الإسرائيلية جمدت تماماً ولمدة عشر سنوات ، وأطلقت يد إسرائيل على الجبهات الأخرى ولبناء جهازها العسكري ليصبح أقوى جهاز في الشرق الأوسط ، وينفس القوة ، فإن هذا التجميد ، أعطى القيادة المصرية ، دعماً جديداً لخطها السياسي في تجاهل الخطر الإسرائيلي فأهمسته تماماً ، في نفس الوقت الذي وضعها في موقف محرج مع شعبها ومع الفلسطينيين ومع الجماهير العربية المطالبة بصدق ، بالمواجهة مع إسرائيل . وأيضاً في حرج مع المزايدن العرب الذين عرفوا بالقييد الذي قيدت مصر به نفسها ، فراحوا يستغزون القيادة المصرية بتحديثها لمواجهة إسرائيل ، وانتقاد سماحها بالمرور الإسرائيلي في خليج العقبة وحماية حدودها بالبوليس الدولي وإنكار ذلك على دول المواجهة الأخرى ، ومعروف أن عامر اشتكى من الحملة التي صادفته في الخارج حول خليج العقبة . .

وصدق مصطفى كامل عندما قال قبل ستين سنة . . « إن من يتهاون في حقوق بلاده مرة واحدة ، يبقى أبد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان » !
التفريط في ١٩٥٧ أدى إلى التورط في ١٩٦٧ ويبدو أننا يجب أن نقف لحظة هنا لنعرض ما هو خليج العقبة ومضيق تيران . والملاحاة الإسرائيلية . .

المعروف أن مصر إلى ما قبل ١٩٤٨ كانت الدولة الوحيدة التي تطل على البحرين الأحمر والأبيض ، ومن ثم كانت فكرة قناة السويس ، وبالطبع كان التطور التالي في العصر الحديث هو أنابيب النفط التي تربط بين المنابع القريبة من البحر الأحمر وبين الأسواق على البحر الأبيض أو قريبة منه ، ولكن وجود قناة السويس أغنى عن ذلك ، ولم يجعل الشركة ، ولا الإدارة المصرية تفكر في منافستها . .

وفي مشروع التقسيم ١٩٤٧ لم تعط إسرائيل منفذاً على البحر الأحمر في الخريطة التي صدر بها قرار الأمم المتحدة ، وظلت الأردن هي الدولة التي تطل على البحر الأحمر من العقبة التي انتزعتها الانجليز من السعودية عام ١٩٢٥ وضموها للأردن ، وميناء صغير اسمه أم الرشراش ، وقد تصدت بريطانيا لاية محاولة إسرائيلية للاقتراب من العقبة التي كانت مع

عدن مفتاح السيطرة البريطانية على البحر الأحمر ، ولكن تحت الضغوط الصهيونية والأمريكية^{٩٢} ، سمحت بريطانيا لرجلها في الأردن الجنرال جلوب الذي أمر نائبه في الموقع « بروميج » بالانسحاب من أم الرشراش في ٦ مارس ١٩٤٩ واحتلتها إسرائيل في ١٠ مارس ١٩٤٩ دون طلقة واحدة ! . .

وهكذا أصبحت إسرائيل الدولة الثانية التي تطل على البحرين ، وكانت الخطوة التالية هي بناء ميناء وخط أنابيب ينقل النفط من إيلات على البحر الأحمر إلى أسدود على البحر الأبيض منافساً لقناة السويس وخط التابلاين الذي ينقل النفط السعودي ، وخط الآي بي سي الذي ينقل النفط العراقي ، كما يربط الميناء الجديد إسرائيل بأفريقيا ودول آسيا . . وكانت مصر قد منعت الملاحة الإسرائيلية في قناة السويس منذ لحظة قيام إسرائيل في ١٥/٥/١٩٤٨ .

أما خليج العقبة الذي تقع إيلات على رأسه فإن طوله مائة ميل ، وأوسع مناطقه ١٧ ميلاً ومدخله ٩ أميال . . تسده جزيرتان : تيران وصنافير ، وهما سعوديتان وتقعان داخل الثلاثة أميال . . جزيرة تيران تنقسم إلى فتحة سعودية مليئة بالصخور وفتحة مصرية عرضها ٤ أميال بها ممران والممر الوحيد الصالح للملاحة هو الممر المصري القريب من شرم الشيخ ورأس نصراني . . ولما كان الممر في المياه الإقليمية المصرية بجميع المقاييس حتى التي تقتصر على ثلاثة أميال . . ومن الجانب الآخر مياه إقليمية سعودية ، والوجود الإسرائيلي في أم الرشراش أصلاً غير شرعي ولا حتى بقرار التقسيم المعترض عليه . . فقد كان من الطبيعي أن تفكر الحكومة المصرية في إغلاق فتحة الخليج من الجنوب وبذلك تفقد « إيلات » أو أم الرشراش كل مبررات وجودها باستثناء السباحة وصيد السمك . . وتتدخل كافة مشاريع الاستفادة من موقع إسرائيل على البحرين . .

لذلك اتفقت الحكومة المصرية مع الحكومة السعودية في يناير ١٩٥٠ على استخدام جزيرتي تيران وصنافير ونصبت المدافع في رأس نصراني وصرح وزير الحربية المصري مصطفى نصرت (حكومة الوفد) :

« إن تزايد نشاط إسرائيل على ساحل إيلات قد اضطرنا إلى تدعيم قواتنا المصرية في منطقة مدخل خليج العقبة ، فأرسلت قوات مناسبة إلى رأس نصراني لتحكم تحكماً تاماً في هذا المدخل » .

وفي ٢١ ديسمبر ١٩٥٠ أغلقت حكومة الوفد « الرجعية » المضيق في وجه الملاحة الإسرائيلية .

وفي ١٥/١/١٩٥١ حددت مصر مياهها الإقليمية بستة أميال واعتبرت كل المياه ما بين جزيرتين مصريتين مياهاً إقليمياً .

وفي أول يوليو ١٩٥١ أطلقت البحرية المصرية النار على سفينة بريطانية حاولت اختراق الحصار واعتقلتها ٢٤ ساعة . واستمر الحال على ذلك في حكومة الثورة .

وفي سبتمبر ١٩٥٤ حاولت إسرائيل تخدئ الحصار ، فأرسلت السفينة « بات جليم » فصارتها السلطات المصرية ، واعتقل بحارها ثم أعيدوا إلى إسرائيل^{١١} .

وفي سبتمبر ١٩٥٥ منعت مصر الطيران فوق الخليج ونوقفت رحلات شركة العمال . . وينقل الدكتور عبد العظيم رمضان - عن موسى ديان قوله :

« كانت هذه المضايق هي الهدف الرئيسي للمعركة ، ولو توقفت المعارك وفي يدنا شبه جزيرة سيناء دون شرم الشيخ ، إذن لظل الحصار قائماً على الملاحة إلى إسرائيل ولكان ذلك يعني أننا خسرنا المعركة » .

ويستعرض د . عبد العظيم رمضان تطورات فتح الخليج كالآتي :

○ احتلت إسرائيل شرم الشيخ يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ .

○ قدمت الهند مشروعاً قوياً يندد بتأخر الانسحاب في ٢٢ نوفمبر ١٩٥٦ وكانت الجمعية العامة قد أقرت قراراً بانسحاب إسرائيل الكامل دون إشارة إلى حرية الملاحة . وأن هـرشولد رفض أن تضمن القوات الدولية حرية الملاحة في خليج السويس .

○ ولكن بعد أن تم الاتفاق المصري - الأمريكي وانسحبت إسرائيل في مارس ١٩٥٧ أرسلت أمريكا في ٦ أبريل ١٩٥٧ سفينة أمريكية تحمل نפטاً إيرانياً لإسرائيل وممرت في خليج العقبة واكتفت مصر بالاحتجاج . . وكان ذلك أول اقتحام للخليج منذ أغلقت حكومة الوفد^{١٢} .

وتم أكمل نصر في تاريخ العرب الحديث . . !!

الوفد وحكومات ما قبل ١٩٥٢ أغلقت الخليج في وجه إسرائيل ، وحكومة ما بعد ١٩٥٢ فتحت ، ومع ذلك يقول هـيكل بلا حياء : « وحتى سنة ١٩٥٢ رغم اشتراك مصر في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ فإن الرياح في مصر كانت تسير على هوى إسرائيل ، وفجأة تغيرت اتجاهات الرياح » .

تغيرت ١٩؟ نعم . . ولكن لنهب في شراع سفينة إسرائيل . . وحاسبونا على النتائج . . إذا كان ما حققت إسرائيل في ظل الرجعية أكبر مما حققت في ظل الثورة . . فمعك حق يا أمين على التاريخ* . . بل حتى حرب ١٩٤٨ التي خسرتها كانت أشرف في وقائعها ونتائجها بامقروط في الجغرافيا ١٩

* حتى عبد الناصر اعترف أنه أسير مواقف الرجعية في ظل الاستعمار عندما اعتذر بأنه لا يستطيع أن يمنح إسرائيل ما منته « الرجعية » قال كعب الأهرام : « لما طلب « بن جوريون » من « هـرشولد » أن يطلب من عبد الناصر السماح بمرور سفن إسرائيل في قناة السويس رد عبد الناصر : أسأل بن جوريون هل كنا نسمح لسفنهم بالمرور من قناة السويس أثناء وجود القاعدة البريطانية على الأرض المصرية » ص ٤٣٦ ع .

شقت أمريكا الطريق في قلب السيادة المصرية الممزقة ، وجاء الدور على إسرائيل لكي تستعرض وتعيد وتعلن انتصارها ، وتلقى الفتوح العلا .

« في أول مايو ١٩٥٧ انجبهت مدمرة إسرائيلية من إيلات إلى شرم الشيخ ثم بلدة الشيخ حميد السعودية على بعد كيلومترين ، ثم اقتربت إلى مسافة كيلومتر واحد من بلدة مقني على الساحل السعودي . وفي نفس اليوم واليوم التالي أجرت مدمرتان وثلاثة طرادات وطائرات حربية إسرائيلية مناورات على الساحل المصري لخليج العقبة بين إيلات وطابا ووصلت إلى المياه السعودية* على الضفة الشرقية للخليج ١١٢ .

ربما كانت حملة نهضة بأكمل نصر عربي ، ولذلك لم تحرك قيادة مصر ساكناً لأنها على ما يبدو كانت مشغولة بدورها باحتفالات « أكمل نصر في تاريخ العرب » فتركت إسرائيل تنجرع هزيمتها في المياه المصرية !!

ويعلق د . عبد العظيم رمضان على مكوث مصر « فكأنها وافقت بذلك موافقة صامتة على هذا المرور » .

ويقول : « ومرور الملاحاة الإسرائيلية في مضيق تيران يعد أضخم مكسب حصلت عليه إسرائيل منذ احتلالها ميناء أم الرشراش في مارس ١٩٤٩ ، وهو أخطر تطورات الصراع بين مصر وإسرائيل منذ إنشاء تلك الدولة ، فقد فتح البحر الأحمر أمام إسرائيل وأتاح لها أن تتمتع لأول مرة بمزايا موقعها على بحرين : البحر الأحمر والبحر المتوسط . وقد ترتب على ذلك النتائج الآتية :

أولاً - تحول ميناء إيلات إلى ميناء عالمي ، ومحاولة إسرائيل الاستعاضة به عن قناة السويس لنقل البضائع ، والبترول بين آسيا وأفريقيا وأوروبا . فقد عمدت إلى إقامة شبكة من المواصلات بين إيلات والبحر المتوسط ، وإدخال تحسينات كبرى على الميناء ، وقامت بتوسيعه وتقسيمه إلى ثلاثة أقسام : قسم جنوبي ، وهو ميناء البترول ، وتصل إليه السفن التي تحمل البترول الخام الذي يدفع إلى معامل التكرير بحيفا . وقسم شمالي ، يختص بشحن وتوزيع البضائع ، وقسم أوسط يتم فيه تخزين البضائع .

وفي عام ١٩٥٩ كانت هناك ثلاث شركات ملاحية تعمل بواخرها بانتظام بين إيلات والساحل الشرقي لأفريقيا . وقد سجل الأسطول التجاري الإسرائيلي تقدماً مضطرباً منذ عام ١٩٥٩ . وعلى سبيل المثال ، فقد كانت حمولته في ذلك الحين تبلغ ٣٢١,٠٠٠ طن ،

- حاول هبكل - كمادته - تحميل السعودية بعض مسئولية فتح الخليج والله يشهد أن « ملفات السويس » تتضمن خطاباً احتجاجاً من سعود إلى أيزنهاور يمكن وصف هجتها بأكثر من قوة . احتجاجاً على فتح الخليج لإسرائيل بينما تولى عبد الناصر تهدئة الملك والزعيم بأن قوات الطوارئ تبقى بأمر مصر وموافقتها ومن ثم لا ضرر .

فبلغت في سنة ١٩٦٠ ، ٤٦٢.٠٠٠ طن ، وفي سنة ١٩٦١ بلغت مقدار ٦٤٠.٠٠٠ طن . وقامت الخطوط الملاحية بربط إسرائيل باليابان وبورما وسيلان وشرق أفريقيا وغربها وأستراليا .

وفي أعقاب فك الحصار عن مضيق تيران ، هبت إسرائيل لمد خط انابيب للبترول من إيلات إلى معامل التكرير بحيفا . وكانت هذه المعامل تعمل منذ حرب ١٩٤٨ برقع طاقتها فقط . ومن المعروف أن إسرائيل كانت تستج حوالي ١٠ في المائة مما تحتاجه من البترول ، وتستورد ما تحتاجه كمصدر للطاقة ولصناعة البتروكيماويات من إيران بالخليج العربي . وقد جرى التفكير في إنشاء هذا الخط في أعقاب عدوان ١٩٥٦ ، وتم إنجازه على ثلاث مراحل : من إيلات إلى بير سبع ، ويبلغ طوله ٢٤٠ كيلومتراً ، وقطره ٨ بوصات ، وتم إنجازه في منتصف شهر أبريل ١٩٥٧ . ومن بير سبع إلى اسدوديام ، ويبلغ طوله ٧٧ كيلومتراً ، وقطره ٨ بوصات لمسافة ١٥ كيلومتراً و ١٦ بوصة لمسافة ٦٢ كيلومتراً . ومن اسدوديام إلى حيفا ، ويبلغ طوله ١٣٩ كيلومتراً ، وقطره ١٦ بوصة . وقد انتهى العمل فيه في منتصف يولييه ١٩٥٨ . ومنذ منتصف شهر مايو ١٩٥٩ بدأ إنشاء خط النفط الدولي بين إيلات وحيفا الذي وقعت اتفايته في مطلع العام مع جماعة من الممولين الفرنسيين على رأسهم البارون روتشيلد .

وسرعان ما أنشأت إسرائيل مطاراً عسكرياً شمال إيلات على بعد كيلومترين من الساحل على الجانب الغربي من الطريق العام ، يصلح لهبوط الطائرات النفاثة . ويعد مطار إيلات هو المطار الثاني في إسرائيل بعد مطار اللد . وأنشأت إسرائيل طريقاً برياً من الدرجة الأولى بين حيفا وإيلات يبلغ طوله ٤٦٧ كيلومتراً ، أطلق عليه الإسرائيليون اسم : « قناة السويس البرية » . وقد استطاعت إيلات أن تستقطب سريعاً حركة الملاحة من ميناء العقبة الأردني ، حتى بلغ حجم السفن التي تصل إليها في عام ١٩٦٧ سبع سفن مقابل كل سفينة تصل إلى ميناء العقبة !

ثانياً : تسرب النفوذ الإسرائيلي إلى أفريقيا ، تدعّمه الاستثمارات الإسرائيلية والأمبريالية . وتنوع النشاط الإسرائيلي في الميادين الاقتصادية والثقافية والعسكرية . ومن الطيبي أن هذه العلاقات قد فتحت أمام الحاصلات الزراعية والمنتجات الصناعية الإسرائيلية أسواقاً رائجة ، استطاعت إسرائيل من خلالها التغلب على الحصار الاقتصادي العربي ومنافسة الصناعات العربية .

وهذا كله من بعض شروط وعلامات « كمال » النصر ، وإن كان نواضع مؤرخ الناصرية جعله يغفلها تماماً فلم يشر بحرف لا إلى الخليج ولا إلى شرم الشيخ ، ولا إلى الملاحة الإسرائيلية فهذه قضايا نافهة لا يجوز أن تشغلنا عن النصر الأكبر في « باندونج » والنصر التاريخي في حرب المائة ساعة على مشروع ايزنهاور . .

ثالثاً : كذلك نزع سلاح غزة ، ومنع الجيش المصري من دخولها وكان هناك منذ عهد الرجعية التي خانت قضية فلسطين ، فخرج منها بعد ما بدأت الرياح تهب في غير مصلحة إسرائيل ! . .

وحرمت مصر من الامكانية المنازاة للقطاع في دعم أي هجوم مصري ، بل وأوقفت العمليات الفدائية التي كانت تتم من القطاع .

قالت جولدا مائير : « زال رعب الفدائيين . . تفررت الملاحة في مضيق تيران ، وقوات الطواريء تحركت إلى قطاع غزة وشرم الشيخ ، وكبنا نصراً جعل التاريخ العسكري يشهد مرة أخرى قدرتنا على حمل السلاح للدفاع عن أنفسنا » .
يقول حمروش وهو يعتذر :

« ضغطت أمريكا على إسرائيل للانسحاب وضغطت على مصر لتبقي قوات طواريء دولية في شرم الشيخ حتى لا تتاح للقوات المصرية مستقبلاً فرصة قفل خليج العقبة ومنع الملاحة فيه . ولم يشأ جمال عبد الناصر أن يعاند ويواصل تحدي أمريكا لأنه وجد في ذلك على حد تعبيره موقفاً غير سياسي ، وقبل هذا الشرط مرغماً كما يقول ناتنج » .
وهكذا نرى عبد الناصر يتحدث عن « إرغامه » وهيكله يتحدث عن « أكمل نصر في تاريخ العرب » .

« ولم ترسل مصر حاكماً عسكرياً لغزة كما كانت الأمور من قبل ، وإنما عينت حاكماً مدنياً ولم ترسل معه قوات عسكرية بل اكتفت بفريق من الشرطة العسكرية » .
ونضيف : إن مصر كانت لا تفكر حتى في إرسال الحاكم المدني ، ولكن ثورة الأهالي هناك ومبادرتهم برفع الراية المصرية فور الانسحاب الإسرائيلي ومطالبتهم بالعودة المصرية الكاملة ، أدت إلى تطويق هذه الحركة بإعادة الإدارة المدنية مع قبول شرط إسرائيل بإلغاء الوجود العسكري هناك وقد كنا معاصرين لهذه الأحداث زماناً ومكاناً ١٢٢ . .

ويقول : « وقبلت مصر قوات الطواريء الدولية لتكون حاجزاً بينها وبين القوات الإسرائيلية ، حتى لا تتكرر الاشتباكات المسلحة التي ظلت تحتل العناوين الرئيسية في الصحف على فترات متقاربة منذ غارة غزة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ حتى عدوان ١٩٥٦ » .
انتهت معركة صفقة السلاح ، وتحطيم احتكار السلاح وهدير الطائرات والدبابات في شوارع القاهرة ، والاستعراضات « السمينة » لا الهزيمة . . انتهى ذلك كله « بحاجز يمنع تكرار الاشتباكات » !

ولا أحد يجادل أن هذا التجميد كان لصالح إسرائيل وحدها . . فقد خرجت منه أكبر قوة عسكرية في المنطقة ، وخرجت مصر منهوكة القوى ، أكثر عجزاً من الناحية العسكرية عما كانت عليه حتى في عام ١٩٥٦ . .

ويريد حمروش أن يقول إن عبد الناصر بقبول قوات الطواريء قد استبعد نهائياً من

جانبه - الحرب مع إسرائيل ، ولكن نفاقه للناصرين بمنعه أن يقول ذلك صراحة فلف ويدور ليقول الآتي : بقبول عبد الناصر التجميد هذا ، وجدت أفكار جمال عبد الناصر التي كان قد عبر عنها إلى مجلة « الشؤون الخارجية الأمريكية » في فبراير ١٩٥٥ قبل تصاعد هذا التوتر ، وجدت فرصتها للتحقيق من جديد فقد قال يومئذ : ليس هناك محل للحرب مع سياستنا الإنشائية التي قررناها لتحسين مستوى الشعب » .

إذن فمحصلة حرب سيناء ١٩٥٦ هي العودة إلى سياسة « لا محل للحرب » وكان الظن أن تبه القيادة المصرية إلى أنه « لا حل إلا الحرب » . .

عدنا لسياسة العمدة والقملة على قفاه وادعاء أنه وضعها قصداً . . فنحن لم نهزم وقوات الطوارىء ليست مطلباً إسرائيلياً وإنما خطة ناصرية لرفع مستوى الشعب !

وكان هذا بالطبع تفسيراً خطيراً في مسئولية الأمن القومي للموطن ، كما أن المكاسب التي حصلت عليها إسرائيل من العدوان كان من بينها الحق المكتسب في الملاحة في خليج العقبة وبالتالي عندما أرادت مصر أن تسترد هذا الحق في ١٩٦٧ كان لدى إسرائيل المبرر العالمي للعدوان الثاني . .

وربما يؤدي مناخ مبادرة روجرز وكامب ديفيد ، وما أعلن من تنازلات في العشرين سنة الأخيرة ، ربما يؤدي إلى استهانة القاريء الحديث بهذه التنازلات ، ويعتقد أن القيادة المصرية فعلاً كانت مرغمة عليها أو أن ظروفها كانت مماثلة لظروف ١٩٦٧ وما بعدها . . والحقيقة مغالفة تماماً ، فلم يكن المناخ الدولي في يوم من الأيام مناسباً لمصر في تاريخ المواجهة مع إسرائيل كما كان في عام ١٩٥٦ . .

١ - الهجوم الإسرائيلي أو العدوان واضح لا شبهة فيه ولا محاولة لإخفائه أو ادعاء أنه هجوم وقائي ، وأداته ٦٤ دولة من بين ثمانين دولة في الأمم المتحدة وطلبت الأغلبية الساحقة انسحاب إسرائيل بلا قيد ولا شرط .

٢ - إسرائيل تورطت في أسوأ غطاء دولي يمكن أن تلجأ إليه دولة صغرى وهو القتال تحت مظلة بريطانيا وفرنسا الاستعماريتين ، أو كما بدت وقتها - وهو غير صحيح - مغلب قط لهدف استعماري قبيح . . وما كان يمكن لأي يساري أو متسب لفكر متحرر ليبرالي أو اشتراكي أو إنساني أن يؤيد أو يدافع عن غزو يقوم به الاستعماران العجوزان أو مغلب قط لهما ، ولم يكن هناك ثمة مبرر ولا حتى عند اليهود خارج إسرائيل للعدوان . . وانفجرت المعارضة للغزو وتأييد مصر في لندن وباريس وكل عواصم أوروبا تقريباً ، وانتقد الغزو في مجلس العموم البريطاني ، وكاد الأعضاء أن يتضاربوا فرفضت الجلسة لتهدئة الموقف واستقال وزير الدولة البريطاني « أنتوني ناتنج » احتجاجاً على العدوان . وهو حدث في تاريخ بريطانيا .

ولأول وآخر مرة تنفق أمريكا وروسيا ضد إسرائيل ويتزلان معا بكل ثقلهما الدبلوماسي والسياسي . . والاقتصادي إلى جانب مصر وفرض الانسحاب . . وقرارات مجلس الأمن

ضد إسرائيل والانسحاب تقدم بها الوفد الأمريكي . . مما جعل كل الدول في إطار العملاقين تصوت ضد إسرائيل .

بينما في ١٩٦٧ خرج اليسار الفرنسي كله في مظاهرة وراء سارتر يهتف بالموت للعرب والمسلمين . . وجمعوا أربعة مليارات فرنك لدعم إسرائيل ، التي استطاعت أن تقنع العالم أن « الوحش » المصري سيفتك بها ، وكانت أمريكا بكل ثقلها خلف إسرائيل . . وهذا يوضح أنه ليس بفضل شعبية الزعامة المصرية في ١٩٥٦ كان الموقف العالمي بل بسبب بشاعة الصيغة التي تم بها العدوان ، والمكانة التي كانت لمصر قبل أن يحكمها المهالك الجدد .

وبعكس ١٩٦٧ عندما كان الوضع العربي ممزقاً ، وكثير من النظم العربية يخشى انتصار عبد الناصر أكثر مما يخشى هزيمة مصر . . كان الوضع العربي في ١٩٥٦ أفضل بكثير فالحركة الوطنية للامة العربية في زخها وطهارتها وبكارتها . . ومصر في حلف عسكري مع الأردن وسوريا ، وقيادة عسكرية تحت إمرة القائد العام المصري وفي انتظار إشارة للهجوم على إسرائيل ، وإذا كان لا يعرف حتى الآن السبب الذي جعل عبد الناصر يمنعهم من الاشتراك في الحرب . . وإذا كنا نرفض العذر البارد بأنه رأى المزامرة في الأيام الأولى أكبر مما تصور فآثر تطويقها في خسارة مصر وحدها . . !

حتى لو قبلنا هذا التفسير المريب فقد تغير الوضع في الفترة من ديسمبر (انسحاب الانجليز والفرنسيين) إلى مارس ١٩٥٧ (انسحاب إسرائيل) . إذ كان مازال يملك ورقة فتح جبهة أردنية وأخرى سورية . . فلماذا لم يستخدم هذه الورقة في المساومة والضغط لفرض الانسحاب بلا قيد ولا شرط ودون أن يحقق إسرائيل أي مكسب كما يقضي العرف الدولي وكما كان العالم كله معه في ذلك . . ؟

وهو وضع لم يكن متاحاً بالطبع بعد ١٩٦٧ ؟

وكانت مصر فيها هو أكثر من تحالف مع السعودية التي وضعت كل إمكانياتها تحت تصرف مصر ، كما كانت قد جندت كل هذه الإمكانيات مع مصر قبل العدوان ومنذ ١٩٥٢ على جميع الجبهات . . وبدلاً من وضع ١٩٦٧ حيث كانت مصر تحارب السعودية في اليمن . . كانت مصر واليمن والسعودية في اتحاد دفاعي وحلف مسلح . . حتى همرشولد قال لمحمود فوزي إنه « سوف يصر على تنفيذ قرارات الجمعية العامة تنفيذاً كاملاً أميناً لكي لا تخجني إسرائيل أية فوائد أو مزايا نتيجة لعدوانها » .

ولكن ماذا يفعل همرشولد إذا كان عبد الناصر لا يصر ويقبل أن تستفيد إسرائيل من عدوانها . . !

وإذا كنا نستعود للحديث عن موقف ايزنهاور ودلاس من إسرائيل في الحديث عن الخطة « ألفا » Alpha . . إلا أنه في مجال تعداد الظروف التي كانت مواتية لوقفه صامدة مع إسرائيل وضييعها عبد الناصر ، أشير إلى أن الإدارة الأمريكية في تلك الفترة ، كانت أقل

واحدة تآثراً بنفوذ الصهيونية في تاريخ أمريكا منذ الحرب العامة على الأقل - ايزنهاور نجح رغم أصوات اليهود وجهودهم ، وهو في المدة الثانية ، التي يتشجع فيها الرؤساء الأمريكيون ، ويضعون مصالح أمريكا فوق مصالح إسرائيل ، إلا أن ايزنهاور شخصياً لم يكن محباً لإسرائيل وهو الذي قال في عام ١٩٥٤ : « لو كنت رئيساً للجمهورية في الوقت الذي عرضت فيه مسألة استقلال إسرائيل ، فلست أدرى ماذا كنت أفعل » ودلاس كما يقول المؤرخون « كان يعتقد أن هناك بعض الصحة في دعوى العرب بأن ترومان تاجر بأصوات اليهود لانتخابه رئيساً مقابل صوت أمريكا للاعتراف بإسرائيل في الأمم المتحدة » ودلاس اشتكى للانجليز من نفوذ اليهود الانتخابي وخطط معهم فرض حل قبل موسم الانتخابات والمزاينة على أصوات اليهود . .

وقد وصل الأمر بمؤرخ سيرة ايزنهاور إلى اتهامه نوعاً ما بعداء السامية : « في ٣ فبراير بعث ايزنهاور برفقة عنيفة اللهجة إلى « بن جوريون » من ثلاث صفحات ، بحث فيها على الانسحاب من غزة ويحذره : إذا لم تفعل إسرائيل فإن الأمم المتحدة تواجه ضغطاً لفرض عقوبات على إسرائيل » ويضيف « خلال بحث الإجراءات التي ستتخذ لإجبار بن جوريون على الانصياع والانسحاب ، مثل منع المساعدة الحكومية ، والمساعدات الخاصة الأمريكية ، لم يحاول ايزنهاور الاتصال بالزعماء اليهود في أمريكا بعكس ما كان يفعل في كل قضية ، مثل أسعار النفط والمساعدات الخارجية . . الخ : إذ كان في العادة يتصل ويتحاور مع الجماعات والقيادات المعنية ، إلا في حالة إسرائيل والزنوج . فلم يكن لايزنهاور أصدقاء من اليهود ، وإن كان له بعض المعارف من مشهورهم ، ولكنه لم يحاول قط الاتصال بهم أو بالجهابذة اليهودية في أمريكا ونفس الشيء بالنسبة للأمريكيين السود ، فلم يكن له لا أصدقاء ولا معارف . . ولم يكن ايزنهاور بأية حال على وفاق لا مع اليهود ولا السود * ! . .

ولعله يجدر أن نذكر هنا أن زعيم المعارضة في الكونجرس الذي كان صهيونياً قاضح الصهيونية ، وكان يدافع عن إسرائيل وعدوانها بوقاحة في مواجهة ايزنهاور هو سناتور ديموقراطي اسمه « لندن جونسون » . . والغريب أن عبد الناصر تنازل وفتح خليج العقبة وقبل البوليس الدولي ليتجنب الحرب مع إسرائيل في ظل حكومة ايزنهاور ، وأغلق الخليج وسار إلى الحرب مع إسرائيل في ظل إدارة الصهيوني لندن جونسون ١١ . .

كل الظروف كانت مع عبد الناصر إلا عبد الناصر . . وقد أبدى ممثل الاتحاد السوفيتي في الأمم المتحدة دهشة علنا من قبول مصر لهذه الشروط ، وقال إنها لا تحتاج لقبول البوليس الدولي « ولكن إذا كانت هذه رغبتها . . فهو لا يمانع » ! وعرفنا بعد ثلاثين عاماً أن البوليس

الدولي كان فكرة مصطفى أمين وهيكل والعضو الأمريكي في محطة المخابرات الأمريكية في مصر^{١٣}

لماذا قبل عبد الناصر شروط إسرائيل ؟!

لماذا لم يصمد ويبدأ عملية تعبئة وبناء القوات المسلحة ، وخاصة أنه قد تم له ما أراد ووفقاً لرواية هيكل أنقذ الجيش المصري من الفخ الذي نصبوه له ، والطيارون أحياء عند صدقي محمود يرزقون والحمد لله . . وحتى لو صدقنا « كذبة » عبد الناصر عن تدمير السلاح المصري ، ورفضنا « صدق » هيكل عن « تدمير بعض المعدات الخفيفة » حتى لو صدقنا ذلك لم يكن « تعويض » السلاح مشكلة وقد فتحت السوق السوفيتية ، بل وكان الروس في غاية الحمس وقتها لتصدير السلاح . . لماذا لم يعميء كل القوى ويبدأ أو يهتد بحرب تحرير سيناء بعد الانسحاب البريطاني والفرنسي . . وحرب ضد إسرائيل وحدها « تغلب » العالم العربي . . بنص تعبير عبد الناصر .

يقول هيكل : « ونحت ضغوط عالمية هائلة واستعداد مصري عسكري تمكن من تعويض خسائر الحرب خصوصاً في الطيران بدأت إسرائيل انسحابها من سيناء » ص ٦٠٤ ع . الحمد لله الذي يفضح الكذاب والحريب . . ضغوط عالمية هائلة . .

استعداد مصري عسكري . .

طيران رجع والطيارون موجودون .

بريطانيا وفرنسا ذهبتا - كما توقع - وبقيت إسرائيل . .

لماذا التنازل . . ؟ أليست هذه فرصة العمر لمقاتلة إسرائيل ؟!

سؤال نضمه إلى الأسئلة الخائرة في ضمير الناصريين المخلصين . .

لماذا بعد انسحاب الانجليز والفرنسيين ، خضع عبد الناصر لشروط إسرائيل . . لماذا رفض أن يستغل « النصر » والاتفاف الشعبي والعربي والعالمي حوله لحوض معركة تحرير ضد إسرائيل .

ولكنه لم يفعل . . لماذا ؟! . . قولوا لنا ما المخاطر التي أراد تجنبها ؟

لن نذهب مذهب الذين يتهمون عبد الناصر بأنه جزء من المؤامرة الصهيونية العالمية ، ومن ثم اقترحوا له تمثالاً في إسرائيل . .

ولكننا أيضاً لا نقبل تزوير المزورين الذين يرفضون مواجهة هذا السؤال ، ويصرّون على أنه انتصر وأن كل شيء كان بحسبان . . ؟!

ويضاعف من جرميتهم أنهم لم يقتصروا على خداع الشعب والجيش بل خدعوا القيادة نفسها فصدق أنها انتصرت ، وسكّنت ميدالية مكتوب عليها « سيناء أرض النصر » وجدها الحاكم العسكري الإسرائيلي في عام ١٩٦٧ في مكتب محافظ سيناء ، فأعطى واحدة منها إلى

« بائيل دايان » الجندي في جيش إسرائيل وابنة « موسى ديان » . . قائلا : « أظن أن هذه الميدالية من حقنا نحن »^{١٤}

قالت جولدا مائير : « بعد تأميم قناة السويس لم يكن أمام عبد الناصر لكي تصبح مصر التي يحكمها ، زعيمة العالم الإسلامي إلا شيء واحد هو إبادة إسرائيل »^{١٥} .
وفي ديسمبر ١٩٥٦ كان قد تم تأميم وامتلاك القناة ، وهزم وزال أي خطر من الاستعمار القديم . . ولا نقول ما قالته جولدا مائير عن إبادة إسرائيل بل نقول إن زعماء العالمين العربي والإسلامي كانت دانية قطوفها لحاكم مصر الذي يبدأ عملية إزالة إسرائيل برفض المساومة والبدء في تحرير سيناء . .

ولكنه لأمر ما ، استبدل عبد الناصر الذي هو أدنى بالذي هو خير . .
هذه هي وقائع التاريخ . . و « نحن حين نتجاهل التاريخ لا نلغيه ولكننا نخرج أنفسنا من دائرة حركته »^{١٦} . . فما بالك حين لا نكتفي بتجاهله ، بل نعتمد تزويره ؟^{١٧}
« باختصار نحن نعتبر معركة تأميم القناة ، نصراً بارزاً لمصر ورئيسها عبد الناصر . ونعتبر معركة سيناء أول هزيمة حاسمة ومصيرية في المواجهة المصرية - الإسرائيلية . . تركت بصماتها ولا تزال على تلك المواجهة . .

المراجع

- ١ - قصة السويس ص ٢٢٧ .
- ٢ - بغدادني ج ١ ص ٣٣٦ .
- ٣ - قصة السويس ص ٢٢٧ .
- ٤ - ن . م . ص ١٥٠ .
- ٥ - موسى ديان : Story of my life قصة حياتي Sphene book ltd. london .
- ٦ - ن . م .
- ٧ - ن . م . ص ٢٣٨ .
- ٨ - ملفات السويس ص ٥٣١ .
- ٩ - الطريق إلى السويس ص ٢٨٩ / ٢٩٠ .
- ١٠ - بغدادني .
- ١١ - جولدا مائير ص ٢٩٥ .
- ١٢ - عبد العظيم رمضان : المواجهة المصرية الإسرائيلية في البحر الأحمر ١٩٤٩ - ١٩٧٩ صدر في يناير ١٩٨٢ عن مؤسسة روز اليوسف .
- ١٣ - انظر رسالة مصطفى أمين لعبد الناصر .
- ١٤ - راجع يوميات جندي : يائيل ديان . وانظر كتاب « أخطر من النكسة » لمحمد جلال كشك ١٩٦٨ .
- ١٥ - جولدا مائير : حياتي . Dell 1957 ص ٢٨٤ .
- ١٦ - قصة السويس ص ٣٠٤ .

الملاحق

م^١ - ببعض التأمل في أهمية الطيران في تقرير مصير الحرب المصرية - الإسرائيلية خلال الفترة من ١٩٥٤ إلى ١٩٦٧ يمكن القول إنه كانت لإسرائيل مصلحة مباشرة وأكيدة في وجود قيادة عاجزة في مركز الإدارة والتوجيه والقرار لسلاح الطيران المصري ، ومن هنا يمكن لمن شاء أن يطرح تساؤلات عن دور للمخابرات الإسرائيلية في استمرار « صدقي محمود » في هذا المركز ، إلا أننا نملك أدلة كافية - حتى الآن - على حدود وأبعاد التغلغل الإسرائيلي في صنع القرار المصري في عهد ناصر ، وإن

كنا نجزم بوجود هذا التقليل ومن ثم فالتفسير الذي نكتفي به هنا - مؤقتاً - هو رغبة عبد الناصر في تأمين سلطته مهما كان الثمن وربما كانت هذه البرقية من السفير كافردي إلى حكومته بتاريخ ٢٨ مارس ١٩٥٤ وهذا نصها : « أبلغنا مصدر موثوق به ، أن ضباط سلاح الطيران عقدوا اجتماعاً برئاسة صدقي رئيس الأركان ، وهو ليس من الضباط الأحرار ، واتخذوا قراراً برفض قرارات ٢٥ مارس والتمسك بمجلس الثورة » .

وإذا لاحظنا أن سلاح الطيران كان يضم أكبر نسبة من الضباط الأحرار ، بل وله تاريخ عريق في العمل الوطني ، وأن عبد الناصر لم يأمن على هذا السلاح الخطير لا بغدادي ولا حسن إبراهيم ولا حتى علي صبري . . . بل اتهم ضابطاً من خارج تنظيم الضباط الأحرار . . الضابط الذي لم يجد أي دافع لمعارضة النظام الملكي - الاستعماري ، أو الانضمام للثورة إلا في مركز قائد الطيران وبعد نجاح الانقلاب !! ووضع كل إمكانياته لتأييد ناصر - عامر . . واستخدم أسلوب « النجيب » لقواته لا القيادة الحازمة التي تقوم على الثقة والاحترام . . ولا شك أن الطيارين الذين ترجوا السادات في العقوبة* ، لأنهم يعتبرونه « أباً لهم » قد أخطأوا . . فالأب بعد أولاده للدور الذي اختاروه ، ولا يتركهم يهزمون ويهانون مرتين حتى أصبح سلاح الطيران مصدراً لعدة نكبات في الفولكلور المصري . وليس إلا بعد أن أزيح « صدقي محمود » حتى استرد سلاح الطيران المصري سمعته وثقة المواطنين به ، وكان عند حسن ظن الشعب به ، وأنجز ما أنجزه بشرف وإتقان في حرب رمضان . .

فهل يمكن القول إن القيادة التي أعدهم للقتال كانت أقل حياً لهم من القيادة التي أعدهم للهزيمة مرتين ١٩ ؟ . .

م^٢ - وفي دراسة أخرى عن وضع الطيران المصري والإسرائيلي عشية الحرب جاء في كتاب « الطريق إلى السويس » :

« كانت مصر تمتلك حوالي مائة طائرة ميج ١٥ وخمسين قاذفة نفثة اليوشين ، وثمانين طائرة من طراز بي فامباير ومينور وحوالي عشرين طائرة قديمة من الطائرات القاذفة من الحرب العالمية الثانية .

إسرائيل : ستون طائرة مشير نفثة وستون طائرة من فرنسا ، بعض الطائرات الأمريكية من طراز ف ٨٤ و ١٢ نفثة من طراز أوراجان . .

م^٣ - ويمكن القول أنه كان يعتمد أيضاً على عناصر ستونى مهيون الأمر على القيادة المصرية وتصويره مجرد مناوشات حدود . والأدلة كثيرة على أن الجاسوسية الإسرائيلية كانت نافذة في عهد عبد الناصر عن أي عهد آخر قبله أو بعده .

م^٤ - ص ٣٣٧ عبد اللطيف بغدادي جزء أول . وهذه المركزية في القيادة نسبت بعد ذلك في حرب ١٩٦٧ إلى التكتيك الروسي في الدول العربية التي استعانت بالروس في تدريب جيوشها ، ولكن

• إلا إذا كانوا قد رأوا أنه ليس من العقل أن يستمر صدقي محمود في السجن بينما يحتفل بذكرى جمال عبد الناصر ١١

هذه الرواية تثبت أنها سابقة على تغلغل الروس في القيادة العسكرية المصرية . وفي اعتقادنا أنه ليس موقفاً عسكرياً ، بل ينبع من الأيدلوجية وطبيعة النظام ، فكلاهما الروسي والعربي نظام ديكتاتوري فردي على جميع المستويات لا يملك فيه المستوى الأدنى ، حرية التفكير فضلاً عن التصرف .

م^٥ - في كتابنا السابق حاولنا تغليب حسن الظن في تفسير موقف عبد الناصر ، ولذلك أخذنا برواية بغداددي : « مافيش بتزين » ولكن إزاء إصرار هيكل على تجاهل هذه الرواية ، وتأكيد أنه عدم اشتراك الطيران المصري في المعركة ، كان قراراً واعياً أصدره عبد الناصر . . وبما أن واقعة بغداددي لا خلاف عليها من جميع المصادر ، ومعززة وقت نشرها بشهود أحياء ، لم ينكروها ، فلا تغيب ، إلا أن « صدقي محمود » - وولايته لعبد الناصر غير محدود ولا موضع شك - إنما كان ينفذ خطة وضعت بين ناصر وأطراف أخرى لمنع « توسيع » الحرب بمنع دخول الطيران المصري المعركة ، وتركه يدمر على الأرض ، وفي إطار هذه الخطة كان لابد من تقديم « عذر » مفتح لأمثال بغداددي ، الذي لا نعتقد أن عبد الناصر كان بخاطر بمجابته بمثل هذا القرار العجيب . . منع الطيران لحماية الطيارين !

م^٦ - وهناك رواية لفتحى رضوان أكثر قناعة ، وقد أشرنا إليها في رسالة التوحيد . نوفمبر ١٩٨٥ في الآتي :

« وفتحى رضوان حريص على إقرار أن الفرج في أزمة حرب القناة جاء من نيويورك ، بعد ما رسم صورة كئيبة لليأس والانهيار على مستوى القيادة فينقل عن نور الدين طراف عن بغداددي « أنه في خريف سنة ١٩٥٦ عندما تبين أن الانجليز والفرنسيين ، مصممون على الزحف إلى القاهرة ، وأن الجيش لم يعد في مقدوره رد عاديته عن العاصمة . وأن الوساطات الدولية وقرارات الأمم المتحدة لم تجد . وبدا المستقبل مظلماً شديداً حلوكة . . فقد صلاح سالم آخر قطرة من معنوياته ونماسكه ، واقترح أن يتناول أعضاء مجلس الثورة سماً زعافاً سريع المفعول لكيلا يقعوا في يد الانجليز والفرنسيين والإسرائيليين ، فيتخذوا منهم فرائس للانتظام والتشقي ، ويتجهزها أعداء الثورة - من كل صنف ونوع - فرصة ليثاروا لأنفسهم من أولاد وبنات وذوي قرى عبد الناصر وإخوانه . ووافق الحاضرون جميعاً ، على هذا الاقتراح . . ولم يحل دون تنفيذه إلا غياب البغدادي الذي لم يكن حضر ذلك الاجتماع . . فأرسلوا إلى صلاح نصر ليجهز السم المطلوب وإلى عبد اللطيف البغدادي ليؤدي رأيه في الاقتراح . . وفي خلال البحث في الأمرين معاً . . جاءت الأنباء من نيويورك . . بما لا يدع مجالاً لمثل هذا اليأس القاتل . .

بل إن « فتحى رضوان » يتهم عبد الناصر اتهاماً شنيعاً لم يخطر ببال أحد ، ونبادر فتحيه عن عبد الناصر الذي والله ما نكره رجلاً آخر مثلاً نكرهه ، ولكن . . إلا هذه ! عبد الناصر صعيدي ، لا يرفع يديه أبداً ، ولا يستسلم للشرطة لتضع القيود في يده ، بل يفضل أن تمزق جثته إرباً . . عبد الناصر لم يضع احتمالاً واحداً للاستسلام في ١٩٥٦ بل فكر وربما كان سيفعل ، إما التراجع إلى الصعيد أو الانتحار بالسم الذي طلب من صلاح نصر إعداده بناء على اقتراح من أكثر من عضو في مجلس الثورة . .

عبد الناصر وطني لاشك في وطنيته ولكنه ديكتاتور خبيث الطوية ، مريض النفس ، مغرور

ظن أنه يمكن أن يلعب بالمخابرات الأمريكية فعقد معهم صفقة ، فلعبوا به وبالأمة العربية التي استودعته آمالها وثقتها . .

انظر بماذا يتهمه وزيره الناصري : في تعليقه على الموقف من سليمان حافظ الذي توجه عقب العدوان (١٩٥٦) إلى مجلس الثورة يطلب منهم الاستقالة . . ولم يقبض عليه عبد الناصر في الحال ، وإنما بعد أن انجل الموقف وهو أمر طبيعي بحكم أولويات الاهتمامات في تلك الظروف العصية ولكن فتحي رضوان الناصري ينهش جثة عبد الناصر ووطنيته بتضير لم يخطر على ألد خصومه . . قال :

« كان من حق عبد الناصر ، بلا شك ، أن يقبض على سليمان حافظ وعلى من أوفدوه ، وكان من حقه ، بلا شك أن يحاكمهم محاكمة سريعة بتهمة الدعوة إلى الهزيمة ولكن عبد الناصر ، في تلك الفترة ، كان أضعف من أن يقدم على شيء من هذا ، ولعل أعظم ما أضعفه أنه كان يرى الخطر محققاً به من كل جانب وربما جال في خاطره أنه قد يحتاج غذاً إلى مثل هذه الوساطة المرفوضة الآن ، ص (٩٣) حرفياً . .

عبد الناصر خاف من سليمان حافظ !! أو بالأحرى قبل الفكرة ولكنه شمل حتى يرى موقف الأمريكيان فإن كانوا مع الانجليز ، لجأ إلى سليمان حافظ ليقوم بالوساطة ولتتبد عرضه بأن يخرج عبد الناصر ومجلس الثورة بالذراري والأموال !!!! . .

ولكن : « زال الخطر » وتدخلت الولايات المتحدة واطمأن عبد الناصر على مكانه رئيساً لمصر وزعيماً لشعبها (لاحظ ما الذي يطمئن عبد الناصر على مكانه رئيساً وزعيماً لشعبها . . تدخل الولايات المتحدة ! وقارن هذا بما يكتبه هيكل وصية الناصرية . ج) وعندئذ تذكر أن سليمان حافظ جاءه بعرض يمكن تلخيصه في كلمتين : « عبد الناصر يذهب » ويصف اعتقاله بعد ذلك بأنه ثار سياسي ونكابة ص ٩٣ - ٩٤ !!

ويخبر « ابن آوى » ينهش الزعيم من ذبله ويفر عادياً ، فيلقي بخبر يقول إن عبد الناصر خلال العدوان « نقل أسرته وأولاده إلى إحدى القيلات التي كانت مملوكة لأحد أمراء البيت المالكة بعيداً عن مصر الجديدة » .

والرواية الشائعة أنه نقلهم إلى « مكان ما » ثم حُجِّل فأمر بإعادتهم .

م^٦ - ورغم التعتيم الذي تم عن عمد على تفاصيل القتال فهناك إشارات يفهم منها أن بعض القوات رفضت أمر الانسحاب وحاولت القتال ولكن فت في عضدها ، الانسحاب العام وانهباء القيادة . . ولم يكن هناك أي مبرر لإصدار أمر لخمس آلاف جندي في قطاع غزة بالاستسلام مع قائدهم وقد كان بوسعهم الصمود في القطاع الذي يضم مائتي ألف فلسطيني ، كلهم في شوق للقتال ولو قطع إمدادات العدو والقيام بضربات ضد المستعمرات في قلب إسرائيل . . وقد أورد تشايلدرز في كتابه « الطريق إلى السويس » : « لم يكن هناك أي تنسيق ، فحاكم قطاع غزة استسلم ظهر اليوم الثاني من نوفمبر ، أما حامية خان بونس فقد رفضت ولكنها لم تستطع الاستمرار في المقاومة فاهارت صباح الثالث من نوفمبر » .

م^٧ - العالم كان معنا في الأمم المتحدة وفي الحفل الدبلوماسي والإعلامي العالمي ، والسبب بالطبع

لا يرجع لحسن النظام المصري أو شعبته ، بل للصيغة التي تم فيها العدوان الإسرائيلي بين
امبراطوريتين استعماريتين مكروهتين فاشلتين . . .

م^٩ - قلنا هذا في عام ١٩٨٤ - ١٩٨٥ مما اضطر هيكل في ١٩٨٦ إلى الاعتراف بدور أمريكا في
تسليم « أم الرشراش » ولكن في الطبعة الانجليزية فقط ! انظر فصل التاريخ البلاستيك .

م^{١٠} - حادثة الباخرة « بات جليم » تحتاج إلى تفسير . . . أورد بعضه « ايغلين شو كبرج » في كتابه
« الانحذار إلى السويس » . . .

ونذكر أن حكومة الوفد كانت قد منعت مرور السفن - غير الإسرائيلية - المتجهة من وإلى
إسرائيل من عبور قناة السويس ، واشترطت على جميع السفن العابرة تقديم مستندات تثبت أنها لم
تخرج من ولا تتجه لميناء إسرائيلي . فلما جاء عبد الناصر ألغى هذا القيد وسمح بمرور كل السفن
وكل البضائع القادمة والمتجهة من وإلى إسرائيل ماعدا بالطبع التي ترفع علم إسرائيل . . . وفي عام
١٩٥٤ وبعد ما تأكد اتفاق مصر وبريطانيا ، نشطت الماسحي الأنجلو - أمريكية لفرض تسوية على
إسرائيل ، وكانت مصر متجاوبة وراغبة ، وهنا لجأت إسرائيل التي كما قلنا لم تكن تريد لا تسوية
ولا سلاماً في تلك المرحلة ، لجأت إلى إحراج وتوريط السلطات المصرية ، بإرسال سفينة تحمل
علم إسرائيل تحاول اقتحام ميناء السويس ، وهي مطمئنة ، كما قال وكيل خارجية بريطانيا إن
الموظفين المحليين في ميناء السويس ، سيعترضونها ويصطدمون مع بحارتها قبل وصول التعليمات
من القاهرة وهو ما حدث حرفياً . وإن تمكنت القيادة الناصرية من لقلفة الموضوع إلا أنه خدم
الاستراتيجية الإسرائيلية في تصعيد التوتر . . . رغم أنف المهادنات والتنازلات الناصرية .

م^{١١} - دكتور « عبد العظيم رمضان » نقلاً عن « خليج العقبة ومضيق تيران » لعبد الباري نجم .
ونحن لا نقبل تفسير الدكتور رمضان بأن مصر سكنت لأنها فضلت الاعتراف بالأمر الواقع على
الاعتراف لإسرائيل بحق الملاحة في وثيقة مصرية ، لأن قبول قوات البوليس الدولي هناك ألغى
سيادة مصر فعلياً على المنطقة وأصبحت لا تمثل وسيلة للرد على التضمم الإسرائيلي حتى
لو أرادت . ومن هنا فقبول البوليس الدولي هو قبول رسمي موثق . والدكتور رمضان هو الذي
قال : « لا يمكن الفصل بين وجود القوات المصرية في شرم الشيخ وبين إغلاق المضيق في وجه
الملاحة الإسرائيلية فإذا وقع الشرط الأول وقع الشرط الثاني » ص ١١٤ المصدر المذكور . ولا نظن
أن هناك خطأ منطقياً ولا تعسفاً إذا ما قلنا . . . وإذا سقط الشرط الأول سقط الشرط الثاني . فقبول
سحب القوات المصرية ومنع نواجدها في شرم الشيخ ، هو إباحة الملاحة لإسرائيل . وهو ما حدث
عشر حجج أو عشر سنوات !

م^{١٢} - واسمحوا لي هذه المرة ، أن أقول ، إنني شخصياً اشتركت مع « آل الرئيس » في قيادة هذه
المظاهرات المطالبة بعودة الإدارة المصرية وكنت قد دخلت القطاع مع القوات الدولية كمندوب
لجريدة الجمهورية وصوري في المظاهرات موجودة في أرشيف جريدة الجمهورية إن كان لها
أرشيف . . وهذه واحدة مما كان يأخذ علي الزملاء ، وهي أنني أتجاوز حدود مهمة الصحفي
بمفهوم الاحتراف المهني ، ولكنني أعترف بأنني لم أكن يوماً ما صحفياً بهذا المفهوم ، بل كانت
الصحافة مجرد وسيلة لخدمة ما أؤمن به . . .

الفصل العاشر

عبد الناصر وإسرائيل

« ما من حكومة مصرية سبّصل بها الجنون حد مهاجمة
إسرائيل »

وزير خارجية

عبد الناصر

نتقل الآن إلى السؤال الكبير . .

ما موقف عبد الناصر من المواجهة المصرية - الإسرائيلية ؟
هل حقاً كانت هذه المواجهة - في تصوره - هي قضية الأمن القومي لمصر ومستقبل القومية العربية ، ومن ثم تحتل قائمة الأولويات في استراتيجيته . . ؟
نحن نقول : لا . . بل ونضيف إن العكس تماماً هو الذي حكم سلوك عبد الناصر في الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ . .

ونحب أن نبدأ بناصري شديد الحماسة ، بل لعله من أظهر الناصريين نفساً وأعفهم يداً ولساناً ، وفي مقدمة الذين قبل فيهم : « إن الطريق إلى جهنم مرصوف بذوي النوايا الحسة » .

هو « أمين هويدي » من ضباط عبد الناصر المقربين له - أو هو يعتقد ذلك - المؤمنين به ، عمل في فترة الثورة العراقية في بغداد ، ثم وزيراً للحربية لفترة انتقال ثم مديراً للمخابرات .
يهاجم « أمين هويدي » « السذج » و « المعرضين » الذين يقيمون الأحداث الآن ، قائلين : إن عبد الناصر كان عليه أن يترك فلسطين في ذمة التاريخ لتتفرغ لأحوالنا ومشاكلنا ، وأنه كان عليه أن يقفل عليه حدوده ، وبذلك يتفادي الصدام مع إسرائيل .
احترنا والله ما بين الهويدي أمين والأمين هيكل . .

الأول يقول : إن الدعوة إلى التفرغ لمشاكل مصر وتفادي الصدام مع إسرائيل لا تصدر إلا عن السذج والمعرضين . والأمين هيكل الواصل للخزائن والوثائق يؤكد لنا : أن أول من طرح هذا الشعار في مصر بل في الوطن العربي هو الزعيم عبد الناصر الذي قال لـ : ر . ك (اختصار ويتشارد كروسمان) الذي بدوره قال لـ ب . ج (إشارة إلى بن جوريون) وهذا وحده دليل أكيد على صحة الرواية ! قال الزعيم إنه « لا يشغل نفسه بإسرائيل ، وإنما يركز على التنمية الداخلية في مصر وأنه لذلك يحفض ميزانية القوات المسلحة بخمسة ملايين جنيه عن السنة الماضية » .

حتى أن بن جوريون « هرش شعره المنكوش » لما سمع ذلك « وتمتم بصوت خفيض وهو
يهرأسه : هذه أنباء سيئة . . أنباء سيئة جداً » .

ولا أظن أن هناك مجالاً للشك بعد هذا الوصف الدقيق للطريقة التي تصرف بها ب . ج
عند سماع الخبر . . فهو أولاً كان منكوش الشعر كما وصفه شاهد عيان وأخبر هيكمل ، وهو
ثانياً هرش شعره هذا المنكوش ولم يمسح عليه أو يتفقه تماماً . . ثم « تمتم » لم يهمس
ولا صرخ . . إنما « تمتم » وبصوت خفيض . . كل هذه الأدلة تجعلنا نصلق الزعاج
بن جوريون لأن عبد الناصر غير مشغول بإسرائيل ويعمل على إنفاص قدرات مصر
العسكرية !

وهي حالة معروفة بين العشاق . . حتى أن أم كلثوم تشكو « حتى الجفا محروم منه . .
ياريتها دامت أيامه » والأغاني المصرية حافلة بمثل « خليني ع البال ياخلي البال » ولا شك أن
بن جوريون كان يعاني من هذه الحالة التي للأسف هيكمل هو المصدر الوحيد للإعلام
عنها . .

دعنا من الجزء الخاص برأس بن جوريون ومشاعره . . المهم أن عبد الناصر - وهذه
واقعة مؤكدة بخفض الميزانية وبخطب الرئيس وبمسلكه - كان يرى عدم التحرش
بإسرائيل ، عدم الانشغال بها ، والتركيز على مشاكلنا الداخلية . . فلماذا يهاجم « هويدي »
هذا الموقف وينسب للسذج والمغرضين إلا إذا كان قد قرر الانضمام إلى « جوقه عدم الوفاء »
وتشويه سيرة الزعيم الخالد ؟

أو لم يقل حمروش أنه بقبول مصر قوات الطوارئ لتكون حاجزاً بينها وبين القوات
الإسرائيلية حتى لا تتكرر الاشتباكات تحققت أفكار عبد الناصر وهي : « ليس هناك محل
للحرب مع سياستنا الإنشائية التي قررناها لتحسين مستوى الشعب » . وهو أيضاً الذي جزم
وقدم أدلة : « مما يظهر أن عبد الناصر لم يكن ضد إسرائيل ولم يكن من دعاة تدميرها » خريف
عبد الناصر ص ٣٣ .

على أية حال بعد سطر واحد اندفع أمين هويدي يشب أن مصر لم تتحرش قط
بإسرائيل . . وأنها فعلاً كانت تود لو أن بينها وبين إسرائيل جبلاً من نار فلا يصلون إليها
ولا تصل إليهم . . إذ يقول :

« ولكن هل تحرشت مصر بإسرائيل حينما قامت بغاراتها الوحشية في غزة وأتبعتها بغاراتها
في مناطق عديدة بعد ذلك ؟ هل تحرشت مصر بإسرائيل حينما انضمت الأخيرة إلى بريطانيا
وفرنسا في العدوان الثلاثي » .

والجواب على الفور : أبداً . . لا تحرشت ولا كشرت ، بل ونضيف : ولا فكرت أو
قدرت مواجهة مع إسرائيل خلال ١٥ سنة من الثورة إلى النكسة . .

١٥ سنة وسياسة الحكم المصري تدور حول تجنب المواجهة مع إسرائيل ، والاطمئنان إلى

التأكيدات الأمريكية ، والالتزام بالوعود والاتفاقات مع الأمريكان بتجنب تصعيد الموقف . . . وخمسة عشر عاماً لم تتوقف المؤسسة الإسرائيلية عن التفكير والتدبير والتنفيذ للقضاء على الوجود المصري المؤثر في الشرق الأوسط .

وبعد أن يؤكد « أمين هويدي » إن التحرش كان من جانب إسرائيل حتى عام ١٩٥٦ ، يؤكد أن « أبسط قواعد الأمن القومي تشير إلى أن « فلسطين » هي من ضرورات الأمن المصري ، منذ عصور الفراعنة ، ووجود دولة معادية هناك فيه تهديد قاتل لأمن مصر ، إذن سلامة فلسطين من ضروريات الأمن المصري » .

وهذه بديهية لا نعارضه في حرف منها . . . وأن كانت السنوات التي نلت عام ١٩٥٢ اتسمت بالعمل على إخفاء هذه الحقيقة عن المصريين ، ونجحت تماماً في تجهيل المصريين بها . ولا يمكن القول بأن وعي جيل أبريل ١٩٦٧ بهذه الحقيقة كان أفضل أو حتى مماثل لوعي جيل أبريل ١٩٤٨ .

هذه قضية تحتاج إلى « بحث مستفيض » . وإنما نسأل السيد هويدي ، هل التزمت الناصرية بهذا الاقتناع ؟ هل خدمت الأمن المصري بإزالة « الدولة المعادية » ؟ لا النتائج ولا النوايا تعزز القول بأن الناصريين فهموا هذه الحقيقة ، وإلا فقد فهموها وعملوا أو أنجزوا عكسها تماماً . . . فلا مجال للمقارنة بين قوة « الدولة المعادية » وحجمها عام ١٩٥٢ وما وصلت إليه ، وما أصبحت تحمله من تهديد لأمن مصر الوطني في سنة ١٩٧٠ . لقد زحف خطر الدولة المعادية من رفح حتى وصل إلى القنطرة ، والناصرليون الذين تسلموا الحكم ومصر تدافع عن أمنها القومي في قلب فلسطين (غزة) ، تركوا الحكم والإسرائيليون أقوى دولة في المنطقة ، بل أقوى من دول المنطقة مجتمعة . ممتدة من البحر إلى النهر ومن الجولان إلى القنطرة . ومدافعها دكت أجمل ثلاث مدن مصرية وسبأها بأكملها أو ثمن الوطن ، بمواطنينا هناك تحت الاحتلال الإسرائيلي . . . والقطاع الذي تسلمه ثوار يوليو أمانة سلموه لليهود هزيمة . . .

ولم يحدث منذ الاحتلال البريطاني أن كان أمن مصر في أضعف وأخطر مراحلها حدث على يد الناصريين .

هذا من ناحية الواقع ، ما تحقق بالفعل ، وهو ما تجري المحاسبة عليه في السياسة ، ومع ذلك مستقبل طلب الرأفة ونحاسب على النوايا .

هل يمكن تقديم دليل واحد على أنه في الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ كان « أمن مصر القومي » بهذا المفهوم الذي طرحه - عن حق - أمين هويدي ، أي سلامة فلسطين ومنع قيام دولة معادية فيها . . . هل من دليل واحد على أن هذا الفهم كان المسيطر حقاً على تفكير أو استراتيجية الناصرية ؟

هو بنفسه اعترف بأنه حتى عام ١٩٥٦ لم يقع أي تحرش بإسرائيل . . بل إسرائيل هي التي كانت تلح باعتدائها لابقاظ القيادة الناصرية من غفلتها وتذكيرها « بالخطر القومي » والأمن المهدد . . أو بالأحرى لعجم عودها والتأكد من فقدانها لإرادة القتال ، ولتدريب جنودها على الاستهانة بالعدو المصري !

ولكن القيادة المصرية ظلت تفقر خلف الأشباح وتندفع إلى جميع المعارك في شتى الميادين إلا معركة الأمن الوطني . وحتى بعد ١٩٦٧ بعد أن أصبح الخطر الوطني يطل على بورسعيد والاسماعيلية والسويس . يطلب أحدهم من الرئيس عبد الناصر سحب الجيش المصري من اليمن للدفاع عن القاهرة فبرد الرئيس : « وأخطلي البدر يدخل اليمن » ؟ !
منع البدر من دخول اليمن ، أهم عند رئيسنا من دخول إسرائيل سيناء ، أهم من تهديد إسرائيل للقاهرة أو دمشق وعمان ؟ !

ثم يتحدثون عن « أمن مصر » وتباكون على قميص فلسطين !

متى فكرتم فيها ؟ !

وأنتم مشغولون بمحاربة الرجعية والبعثية والشيوعية ، وتحرير الكونغو والانتصار في باندونج ؟ . .

متى ؟ !

اذكروا لنا واقعة واحدة تؤكد إيمانكم فعلاً بأن إزالة هذه الدولة المعادية هي الضرورة القومية أو الوطنية الأولى ! هل تسليم الجيش لقيادة هزمت في حرب ١٩٥٦ في أول مواجهة شاملة مع إسرائيل ، ورغم اقتناع الرئيس التام بعجزها العسكري الفاضح ، ثم يسلمها بجميع أفرادها من الصاعقة إلى الطيران إلى القائد العام ، يسلمها مرة أخرى قيادة الجيش ، دليل اقتناعه بأن إسرائيل هي الخطر القومي القاتل الذي يجب أن يتصدر قائمة الأولويات ، وقائمة الولاءات ؟ !

ألم يكن من الواضح لأبسط الناس أن القيادة التي هزمت في ١٩٥٦ والتي عجزت عن مواجهة التحلاوي والكزيري . لا بد أن تنهزم أمام إسرائيل . . ؟ فماذا يعني تسليم القيادة العسكرية لها مرة ثانية والدخول بها في حرب أخرى ، معروف سلفاً أن العدو فيها أكثر قوة ؟ !
المغرضون سيقولون إن الناصرية أرادت هذه الهزيمة ، ومن ثم وضعت نفس العناصر المهزومة في مركز القيادة . .

ولكن تمسكاً بحسن النية ألا يكون أفضل التفسيرات هو أن هذه القيادة الناصرية لم يكن يعينها أمن مصر القومي ، ألا تدرك « أبسط قواعد الأمن القومي » بتعريف هويدي . . أو كانت لا ترى تهديداً لأمن مصر من ناحية إسرائيل ، ومن ثم لم تهتم بتوفير قيادة عسكرية في مستوى هذا الخطر معتقدة أن تصفية الإقطاع في كمشيش أهم ، وأن مكاسب توزيع شقق الحراسة وتحديد إقامة كمال الدين حسين وعزل بغداددي تبرر وضع عامر وصدقي محمود

وجلال هويدي والغول وعلي شفيق وشمس بدران وبقية « النخبة » الاشتراكية على رأس جيش مصر ولو كان الثمن هو ما دفعناه ؟

جميل أن يتحلل « هويدي » بالوفاء ، وأن يتصدى للدفاع عن الناصرية ، ولكن بشرط أن يلتزم بالناصرية الحقيقية التي نعرف وقائعها ، لا أن يخترع لنا ناصرية جديدة !
الوقائع الثابتة التي تعززها النتائج ، تثبت أن حركة ٢٣ يوليو لم تكن مهتمة بأمن مصر الوطني ، ولا كانت إسرائيل على قائمة الأولويات . : وأول دليل هو موقفها من الجيش عندما وصلت إلى السلطة ، إذ كان اهتمام القيادة الأول هو تأمين سيطرتها عليه حتى ولو كان ذلك على حساب قدرته القتالية . . ومن ثم اتخذت هذه الإجراءات :

١ - تسريح كل من هو فوق رتبة بكياشي وهي رتبة جمال عبد الناصر . وما من « وفي » للناصرية ، مهما بلغ تنطعه يستطيع القول أن هذه الرتبة تشكل حداً وطنياً وطبقياً من تجاوزها ولو قبل الثورة بيوم واحد فهو رجعي ، ومن كان تحتها فهو في النعيم مع الأبرار لمجرد مصادفة أن قائد الانقلاب بكياشي . . !

وهكذا خسر الجيش المصري في قرار واحد ولحظة واحدة كل قياداته الفعلية . . وإذا كان هيكل يبرر منع الطيارين من الدفاع عن وطنهم في حرب ١٩٥٦ بأنهم لو ماتوا فسحتاج إلى عشر سنوات حتى نخرج طياراً . . وهو تهجيس . . فكم نحتاج حتى نخرج اللواء أو الفريق أو حتى العميد ؟ !

ولكن المذبحة لم تتوقف بل فصل خلال الثلاثة شهور الأولى من الانقلاب « أكثر من خمسمائة ضابط » .

الثورات الحقيقية تحمل الجيش القائم ، باعتباره جزءاً من الدولة والنظام ، ليحل محله فوراً الجيش الثوري الجديد المكون من قواعد الثورة الطبقية وعلى روح جديدة . وقد يضم بعض الكفاءات التي كانت في الجيش القديم التي تنضم عن وعي أو بالدافع الوطني ، ولكنه غالباً يعتمد على الروح الثورية ، وأحياناً على الخبرة القتالية ، إذا كانت الثورة قد وصلت إلى الحكم على يد جيشها الخاص . المهم أن معنويات الجيش تبدأ من القمة ، فهو جيش الثورة ، ومن ثم يسهل جداً كسب الكفاءة القتالية والخبرة الفنية ، إذا ما توافرت له القيادة الصالحة . وخلال فترة التكوين هذه ، يغطي النقص المؤقت بالروح المعنوية العالية ، لما يتمتع به أفراد من مساواة وانضباط بل تقشف وصوفية ثورية ، واحترام لكرامة الفرد ، وطهارة القيادة ، واتضاح أهليتها للمسئولية .

ولكن ما جرى في مصر كان مختلفاً تماماً ، فقد بقي الجيش الملكي بتكوينه وتركيباته ومساكنه وعلاقاته الاجتماعية والطبقية داخل صفوفه ، مع انهيار كامل في مستوى قيادته . . بل وسلمت قيادات ومراكز حساسة لعناصر من خارج تشكيل الضباط الأحرار ، بل من عناصر كانت فاضحة العمل في خدمة الملك والنظام السابق . . ثم تناهت إجراءات

تكسيحه ونحطيم معنوياته ، ونمزيق ترابطه . . فقد رأينا كيف عزل كبار الضباط بالرتبة وليس بالموقف الفردي لكل ضابط ، وما في ذلك من ظلم ، وما يخلفه من مرارة وهلع في نفوس الباقين ، فضلاً عن الحرمان من الخبرة التي أشرنا إليها . . ثم فصل خمسمائة ضابط بلا محاكمة ، ولا حتى مجالس عسكرية ، وأغلبهم لم يعرف نيمته حتى اليوم ! . . ونستطيع أن نتصور معنويات بقية الضباط خلال تلك المحنة فباستثناء التسعين ضابطاً أعضاء تنظيم الضباط الأحرار ، كان كل ضابط خارج هؤلاء التسعين يتوقع أن تكون رأسه هي التالية على القائمة السوداء . . فينشغل بحماية هذه الرأس ولو بالوشاية أو التزلف أو الافتراء . . ثم كان الإذلال المهين والوحشي والأول من نوعه في تاريخ مصر (باستثناء الأيام الأولى للاحتلال البريطاني) للضباط المصريين وهم في الزي الرسمي ، في أشرف مهمة وأشرف موقع . . فالجندية وظيفه إنسانية ، شديدة التعقيد ، يتم فيها إقناع إنسان عاقل بتعرض نفسه للقتل من أجل أن يحيا الآخرون من مواطنيه حياة أفضل وأكثر أمناً . . ومن ثم لا بد من توافر نفسية شديدة الخصوصية ، تدور حول إيمانه بأنه بارتداء البذلة العسكرية أصبح في مستوى خاص وله قدسية خاصة لا تمس مادام لم يُسيء إلى شرفها هذا الزي . . وهذا الاقتناع لا يمكن تصوره في ذليل مهان ، خائف متلصص دساس . . وقدما قال المصري : « قالوا للكلب انبح وهز ذيلك قال ما أقدرش على الشغلتين » فالنباح الذي هو رمز للقوة والحراسة ، واليقظة والمبادرة ، لا يتفق مع هز الذيل تملقاً وتذلاً . .

وقد جاءت الثورة بأول تعذيب وحشي للضباط العاملين عندما ضرب البكاشي حسن الدمهوري ورآه زملاؤه « أثناء التحقيق والضرب ينهال عليه والدماء تسيل منه . ثم نقل إلى السجن الحربي مقيد اليدين والرجلين بالحديد وهو بملابسه الرسمية . وكان أول حكم بالإعدام يصدر على ضابط بالجيش المصري بتهمة أخرى غير الخيانة العظمى » . وتسمر شهادة أحمد حمروش الذي كان شاهداً عياناً . لأنه هو أيضاً كان مسجوناً . . يقول :

« وكان هذا التعذيب هو بداية التصرفات الهجومية الوحشية من جانب ضباط القيادة ضد زملائهم في السلاح » . « وكان اعتقال ضباط المدفعية والتحقيق معهم بواسطة أعضاء المجلس ، كلمة النهاية في وجود تنظيم « الضباط الأحرار » . لأن أعضاء مجلس القيادة وجدوا في « الضباط الأحرار » تنظيمياً يمكن أن يشاركهم ، ويضع تصرفاتهم تحت مجهر النقد والمحاسبة » .

وفي مذكرات « محمد نجيب » : « ضرب صلاح سالم بحذائه ضابط مخبرات شاب اسمه محمد وصفي ، أثناء التحقيق معه ، حتى نزف الدم منه ومات » .

بالطبع امتدت نار الإرهاب والتصفية إلى التسمين ، وحل تنظيم الضباط الأحرار ، وقد اعترف شمس بدران للمؤلف (جلال كشك) أنه كلف من عبد الناصر وعامر بتصفية تنظيم الضباط الأحرار .

وهذا قانون معروف في كل النظم الديكتاتورية إذ لا يمكن أن تتوقف التصفية حتى لا يبقى على القمة من الذين قاموا بالانقلاب إلا الزعيم وحده . . .
وحتى بعدما أخرج من الجيش كل الضباط الذين كانوا ضد ٢٣ يوليو وكل الضباط الذين قاموا بحركة ٢٣ يوليو . . . هل ترك الجيش يستعيد روحه القتالية . . ؟
أبداً . .

وهذه شهادة الناصري : « استبدلوا بالتنظيم (الضباط الأحرار) تنظيمات خاصة أخرى تعتمد على الضباط المحيطين بهم القريبين منهم المكونين للشلل الخاصة الذين تسرب إليهم عدد لم يكونوا من الأحرار أصلاً ، وإنما أظهروا براعة في مخاطبة الغرائز الشخصية لأعضاء مجلس القيادة ، ووضع في مراكز القيادة نوعان من الضباط :
« إما أهل الثقة الكاملة المرتبطون بأعضاء مجلس القيادة ارتباطاً شخصياً وثيقاً . وإما الضباط الذين لا رأي لهم ولا يتمتعون إلا بمصالحهم الخاصة . . ولا ينفي هذا وجود بعض الاستثناءات » .

مؤكد . . . وإلا فمن أين جاءت البطولات التي لمعت كالنجوم في ليل الهزيمة ، الذي صنعه النوعان المكونان للمظاهرة العامة لضباط الجيش في عهد « الثورة » . . هذه الاستثناءات هي التي صنعت نصر أكتوبر ١٩٧٣ .

المهم أنه ما بين ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦ كانت القيادة في الجيش من نصيب دلاديل أعضاء مجلس القيادة ، أو الذين لا رأي لهم ولا يتمتعون إلا بمصالحهم الخاصة . . أصبحت الكفاءة والوطنية والاهتمام بالمصلحة العامة هي الاستثناء ! هل هذه هي نوعية القيادات التي يمكنها قيادة الجيش في مواجهة إسرائيل ؟!

وهل الذي يعين أو يقصر القيادات على مثل هذه النوعية ، يفكر في أمن مصر القومي ويجعله الهدف الأول ، وأسمى الواجبات ؟ لا . . بل هذه مسلكية من رأي « أمه » وأمن سلطته هو أمن مصر القومي . . ولو سقط نصف الوطن تحت الاحتلال الأجنبي . . تماماً كما قال « الدويلير » مايلز كوبلاند :

يتابع حموش شهادته :

« كانت شخصية الضباط الأحرار تستمد قبل الحركة من ارتباطهم بالتنظيم واستعدادهم للنضال والنضحية ، ولكنها أصبحت بعد ذلك تستمد من رضا القيادات عليهم واستعدادهم للخضوع والمسايرة » .

الخضوع والمسايرة ومخاطبة الغرائز الشخصية للممثلين ! أستحلفك بالله وبالوطن يا حاج أمين هويدي . . وما أعلم عنك والله إلا كل خير من ناحية الدين والخلق

والوطنية .. وما آخذ عليك إلا محاولتك التذاكي أحياناً ، وهو خارج قدراتك ..
أسألك : هل يحسن العبد الكر والفر ؟

هل يجرد مصر ويواجه إسرائيل ضابط يجيد الخضوع والمسايرة ؟ .. هل هذه هي
الصفات المطلوبة لتحقيق هدف : « بناء جيش وطني قوي » ؟ ! هل هذا سلوك من يتمتعون
بأمن مصر الوطني ؟ ! هل التحقت بالكلية الحربية وساهمت في انقلاب ٢٣ يوليو لتحسن
الخضوع والمسايرة ؟ !

ولكن أهل الثقة ، وأهل الوفاء ، والناصريون الجدد لديهم شناعة ممتازة يعلقون عليها
كارثة الجيش ، وهي الزعم بأن عبد الحكيم هو الذي لم يكن كفواً .. وأن عامر هذا استغل
بالجيش فلم يعد للزعيم سلطة عليه ..

عظيم ! ولكن لماذا عين عبد الناصر عبد الحكيم عامر في هذا المنصب ؟ من أجل كفاءاته
في قضية « أمن مصر الوطني » وما توسمه فيه من قدرة على بناء جيش وطني قادر فعلاً على
التصدي للعدو ، ولكنه خيب آماله .. وعجز عن تغييره ؟ !
نقرأ ما يقوله المدافعون :

« كان عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة غير مؤهل في شخصيته لتولي هذا
المنصب الخطير ، ولكن جمال عبد الناصر عينه فيه خلال أزمة التناقص مع محمد نجيب
لبضمن السيطرة على الجيش لثقتة من ولاء عبد الحكيم له باعتباره صديق عمره والذي كان
يسكن معه في سكن واحد قبل الزواج . ولذا فإن مواجهة عبد الحكيم عامر للعدوان لم تكن
إيجابية ولا ديناميكية .. وشخصيته الطيبة المحبوبة لم تكن ذات تأثير نافذ في ظروف
المعركة ، كان تحريكه للقوات وإعداده للمخطط ، رغم استعائته حتى ذلك الوقت في مكتبه
بعلم من خبرة الضباط أركان الحرب ، لم يكن متناسباً مع خطورة الموقف ، فأصدر أمراً
لمحمد رياض محافظ بورسعيد بتولي قيادة القوات المسلحة في بورسعيد وهو مدني متخرج من
كلية الحقوق ، كما أن مساعده قائد القوات الجوية محمد صدقي ترك طائراته فريسة للمهجوم
وهي رابضة على المدرات الجوية دون تحليق .. مما أدى إلى تخطيمها فعلاً في يوم واحد ، رغم
أن خطة المعتدين قد قررت لذلك يومين ١٢ » .

حمروش هنا غير منصف لصدقي محمود ، فحسب رواية الأمين على التاريخ كان ترك
الطائرات على الأرض بأمر صريح من الرئيس عبد الناصر وخطة مدروسة !! وبالطبع العدو
قدريومين على أساس الاشتباك ، ولكن تخطيم طائرات أو أوزاراض على الأرض مقصود
الجناح لا يحتاج إلا إلى ساعة واحدة ..

ولكن ليس هذا أخطر ما في شهادة حمروش .. فهو يشهد أن :

- ١ - عبد الحكيم عامر غير مؤهل لمنصب القائد العام .
- ٢ - عبد الناصر اختاره لعلاقته الشخصية به وسكناء معه في شقة واحدة قبل الزواج ..

ولكني بضمن سيطرته على الجيش من خلاله . .

هل هذه هي المؤهلات التي تعين بها « الثورات » قادة الجيوش ؟ هل هكذا تحمي الأوطان ؟

الملك فاروق أراد أن يعين صهره وزيراً للحربية وليس قائداً عاماً للجيش والأول منصب سياسي والثاني فني . . فقامت عليه القيامة . .

أستحلفك بالله بأحاج أمين . . هل هذا سلوك من يعتبرون إسرائيل هي الخطر الدائم والداهم على أمن مصر القومي والوطني ؟

يقول بغداددي :

« وكنت معتقداً أن جمال عبد الناصر لم يرشح عبد الحكيم لتولي قيادة الجيش إلا لغرض سياسي ، وأنه يهدف إلى أن تصبح له السيطرة السياسية دون باقي المجلس . وذلك عن طريق مساندة الجيش له ، وأن الذي يضمن له ذلك هو تعيين عبد الحكيم قائداً عاماً له معتمداً على قوة الصداقة المثبتة والتفاهم القائم بينهما* . كما كنت أخشى أيضاً من تولي عبد الحكيم أمر الجيش أن يصبح الجيش في المستقبل أداة تدخل في السياسة العامة ومدى خطورة هذا على مستقبل البلاد . لذا رأيت أن أعترض على اقتراح جمال مبنياً أنه من الأفضل أن يتولى أمر الجيش ضباط محترفون للتفرغ له والابتعاد به عن السياسة ، وذاكراً أن الجيش إذا تدخل في السياسة فسد الجيش وفسدت السياسة أيضاً . ولكن جمال عبد الناصر تمسك باقتراحه مبنياً أنه من المستحيل أن يوكل أمر الجيش لشخص غريب وليس منا فيتحكم في رقابنا على حد تعبيره . وموقفه هذا من تعيين عبد الحكيم خلق حساسية منه نحوي لم أعلم بها إلا فيما بعد من جمال سالم » .

ويستمر بغداددي : « أصبح لا هم للكثير من الضباط إلا التقرب من عبد الحكيم وجمال عبد الناصر أو إلى من هم قريين منها طمعاً في منصب أفضل أو خدمة تؤدي لهم . وأصبح الجيش مع مرور الوقت أداة قوية في يد جمال وعبد الحكيم وانعزلنا نحن نهائياً عنه . ونتج عن هذه السياسة فساد الجيش مما ترتب عليه نتائج وخيمة عسكرية وسياسية كما سيوضح للقاريء من خلال هذه المذكرات » :

فهذا عضو مجلس ثورة وأهم في الثورة مني ومن هويدي وهبكل يشهد أن سياسة عبد الناصر أدت إلى فساد الجيش ! أقمن بفساد الجيش بوصف بأنه مشغل بأمن مصر الوطني ؟

ويروي عبد اللطيف بغداددي قصة الضابط العظيم اللواء حسن محمود قائد سلاح

* وكان هذا رأي السفير الأمريكي فقد كتب لحكومته في ١٩ يونيو ١٩٥٣ « إن تعيين عامر قائداً للجيش وضع الأمور في يد ناصر » وأضاف « إن الجيوش حملوا عامر على اكتافهم » .
(ولعلمهم دفعوا ثمن ذلك - للأسف - ج)

الطيران ، فهو الوحيد الذي اعترض على تعيين عبد الحكيم عامر قائداً للجيش ، واتخذ موقفاً يثبت جدية اعتراضه ومبدئيته . . . فقد رفض أن يكون مرموساً لصاغ ! . . . وقال كلمته المشهورة العامرة بالوعي والتجرد : « عينوه بقوة الثورة رئيساً للجمهورية أو وزيراً للحربية أو حتى ملكاً وستطيع ، ولكن الجيش لا يقوم إلا على الضبط والربط . . . يقوم على الخبرة والأقدمية والرتبة . . . ومحال أن يوجد جيش ينخضع فيه اللواء للصاغ . . . وخرج من الجيش مرفوع الرأس . . . »

وعيشوا من مكانه ١٩

محمد صدقي محمود . . . !!

ما غيره !

ودفعت مصر الفرق بين أهل الرأي والخبرة والشجاعة وبين أهل الثقة والخضوع والمسايرة . . . دمار سلاحها الجوي مرتين .

والغريب أنه رغم معرفة بغداددي بأن تعيين عامر يفسد الجيش والسياسة فقد تولى هو محاولة إقناع « حسن محمود » بقبول فساد الجيش والسياسة ، بل وقبل بغداددي الاستمرار في عملية الإفساد هذه ١٢ سنة . . . على أية حال إذا اختلف الثوريان ظهرت الحقيقة !

ما دمنا قد وجدنا الشجاعة لننقد كفاءة عامر وإعلان أنه غير مؤهل فيجب أن نتحل بشجاعة أكبر لنقد المسئول عن هذا التعيين . . . لا بهدف الإدانة . . . فقد مات الجميع ، ولكن لأن إثبات عدم كفاءة عبد الحكيم عامر أقل أهمية من تحليل وإدانة الأسلوب الذي أوصل عامر لهذا المنصب ، والذي لم يكشف ويُدان وتحصن البلد ضده يمكن أن يأتي لنا بحكيم آخر ! وكيف يستقيم تاريخ أو منطق ؟ كيف يصلح مستقبل إذا كنا جميعاً نتفق على أن سياسة عبد الناصر أدت إلى إفساد الجيش ثم نعتبرها سياسة وطنية ثورية استهدفت أمن مصر القومي ؟ . . . ماذا يفعل حاكم يهودي للإضرار بأمن مصر ووطنها أكبر من إفساد الجيش ؟ . . .

ولنفرض كما قلنا أن كل هذا كان خافياً على القيادة السياسية ، وأنها فوجئت فعلاً بما جرى في ١٩٥٦ من أكمل نصر عربي جعلها تبكي في شوارع الاسماعيلية . . . لماذا لم تغير الوضع ؟ قائد الجيش غير كفؤ ، وتصرف تصرفات لا تليق أثناء المعركة ، وقائد الطيران ترك الطائرات تضرب على الأرض . . . ؟ فهل من المعقول أن نجد نفس القائد العام ونفس قائد الطيران في مواقعهما بعد عشر سنوات ليكررا نفس الخطأ ولكن بحجم أكبر ورتب أعلى ؟ هل هذا معقول ؟

لو أن عمدة كفر البطيخ سلم أمن دوار العمودية لغيره لا يتمتع بأية موهبة إلا ثقة العمدة وسكناتها في شقة واحدة ! فسرت الدار ونهب ما فيها ، واعتدي على حرمتها . . . فكافأه العملة برفع رتبته وزيادة اختصاصه وثبته في موقعه حتى نهب الدوار مرة أخرى بل وأقام فيه

الخصوص ١٣ سنة . . فأين يكون العمدة من حركة التاريخ . . وهل يليق بأهالي كفر البطيخ أن يختصوا الفقير باللوم والعمدة بالثناء ؟!

نسال الحاج أمين هويدي فيقول :

« إن العلاقة بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية كانت واضحة ومحددة في حرب السويس وحتى حدوث الانفصال » .

عظيم ! إذا يجب أن تتحمل القيادة السياسية مسئوليتها كاملة في هزيمة ١٩٥٦ فقد كانت القيادة العسكرية خاضعة ومنضبطة لتوجيهات القيادة السياسية . وهذا واقع تؤكد الحقائق التي وردت عن إرغام عبد الحكيم عامر على الانسحاب وصدور الأوامر بتوقيع عبد الناصر ، والأمر بمنع اشتباك الطيارين مع العدو .

ولكن الحاج هويدي لا يفسر لنا لماذا « عجزت » هذه القيادة السياسية عن عزل صدقي محمود ؟!

الامر يحتاج خبرة « القواد والخواوي الطروب » لإيجاد مخرج من هذا المأزق ، فإذا كان عبد الناصر مسيطراً على الجيش في ١٩٥٦ فكيف سكت على المتسبين في الهزيمة ، الحل جاء به الخاوي الطروب هيكلي : لم تكن هناك هزيمة بل أكمل نصر . . والطيران لم يضرب ، بل انبطح أرضاً عن خطة موضوعة حتى ضربوه وماتوا بغيبهم . . ! فلماذا التغير ؟!

الحاج أمين لم يصل إلى هذا المستوى ، والحمد لله ، ولذلك لم يشر إلى الهزيمة ولا النصر ، وإنما جعل الفساد يذب بعد ١٩٥٦ . . قال :

« وأدرك عامر أنه يستمد سلطته من القوات المسلحة فوثق صلته بقادتها وظل يواصل العطاء والمنح لكل من يطلب وأصبح للمشير أظافر وأنياب . وكان من الواجب حسم مثل هذه الأمور عند بدايتها ، ولكن إهمال ذلك أدى بالقيادة العسكرية لكي تشكل بروزاً وربما خطيراً أصبح من الصعب استئصاله وأصبحت القيادة السياسية ينقصها القدرة - ولا أقول الرغبة - لإزالة هذا الورم ، وهنا اهتزت كل الأمور فتغيرت طبيعة العلاقات داخل القيادة العسكرية فهبط ميزان الكفاءة ليحل محله ميزان الولاء وأصبح الناميين الذاتي وليس الأمن القومي هو محل الرعاية والاهتمام » .

الحمد لله ! هأنت قلتها . . « وليس الأمن القومي محل الرعاية والاهتمام » فهل تصنفهم في « السذج » أو المفرضين إذا كنا لا نزال نذكر بداية الحديث !! أم المفرطين المقصرين إن لم نقل الخونة المتأمرين . . وأي خيانة أكبر من ألا يهتم ولا يرفع الحاكم الأمن القومي لوطننا بشهادتك أنت ؟!

عل أية حال إن المسئولية من حجم لم يتمكن معه أمين هويدي من الاعتذار عنها أو تناسيها

فدار حولها وأخفى رأسه في رمال الوفاء ، أو في قوله « والله أعلم » نعم الله أعلم ونعمة بالله .. ولكنه سبحانه وتعالى أمرنا أن نتعلم ونسأل أهل الذكر .. يقول :

« وهنا يتساءل الكثيرون - وأنا معهم (أي هويدي) لماذا لم تعالج القيادة السياسية الموقف ، ربما يكون ذلك لعجز في القدرة بعد اختلاف موازين القوى بين القيادتين ، وربما تكون القيادة السياسية قدرت أنه لتصحيح الأوضاع لا بد من صدام ولكنها لم تكن مستعدة لهذا الصدام إلا على الأرض الملائمة وفي الوقت المناسب . ولكن يبقى سؤال قائم ! ولماذا لم تعالج القيادة السياسية الموقف قبل أن يستفحل ؟ والإجابة على السؤال صعبة وربما يرجعها البعض إلى عامل الصداقة ، وربما يرجعها البعض الآخر إلى تغلب عامل التوازن بين اتجاهات أعضاء مجلس الثورة القديم .. والله أعلم » .

مرة أخرى : نعم .. الله أعلم .. ولكن تعال تناقش بعض الذي علمته أنت وسجلته .

الزعيم الخالد رأى الجيش المصري يفقد صفاته القيادية ، وسكت على ذلك من أجل الصداقة !

ألم نقل لك إن أية محاولة للاعتذار عن هذه « الخطيئة القاتلة » لن تأتي إلا « بالعدر الذي هو أقيح من الذنب » .. ومضى كان عبد الناصر يقيم وزناً للصداقات ؟ ومتى كانت زعامة سياسية تضحي بالوطن وبالأمن القومي ، تضحي بالجيش في سبيل صداقة مع قائد الجيش .. هذا ما لم نسمع به ولا في عهد الثنائي مراد وإبراهيم !

أليست هذه التفسيرات العقيمة هي التي أعطت المجال لتفسيرات هستيرية تدعي أن قيادة النظام الناصري لها جذور يهودية ومن ثم كان يعينها أن يحدث ما حدث لمصلحة إسرائيل ، وهذا ما جعل فني مصرياً دارت به الدنيا بعد النصر الإسرائيلي في ١٩٦٧ يقترح على توفيق الحكيم إقامة تمثال لعبد الناصر في إسرائيل ؟!

معتذور .. مادام أمين هويدي يقول بعد ذلك مباشرة :

« لم يكن عبد الناصر يؤمن بالمبدأ الاصلاحى في معالجة الأمور ، ولكنه كان قائد ثورة ثم أصبح زعيم أمه أعطته ثقتها في الانتصارات والهزائم على حد سواء . ولا شك بعد كل هذا الذي قلناه فإن عبد الناصر كان شجاعاً إلى أقصى حدود الشجاعة وهو يواجه كل الضغوط التي وجهت إليه ، فلم يتردد في خوض معركة تلر الأخرى .. وبحكم طبيعته واجه التحديات بإجراءات حاسمة وبطريقة مباشرة لا تعرف الالتواء .. الأسود أسود والأبيض أبيض .. ولعل السرعة الحافظة التي اتسمت بها ضرباته ترجع إلى وضوح الرؤية والتحضير المسبق » .

هذه شهادتك في صفحة ١٣٥ فكيف تريد الشاب المصري العاقل ، أن يصدق تفسيرك في الصفحة المقابلة تماماً (١٣٤) أن عبد الناصر هذا الشجاع الذي لا يؤمن بالمبدأ الاصلاحى بل بالثوري الذي لا يعرف « بين بين » بل أبيض وأسود .. والذي يواجه

التحديات بالإجراءات الحاسمة وبطريقة مباشرة . . كيف تريد أن يصدق أنه ترك الجيش يتعفن ، واستقلال الوطن يتعرض للمخطر خوفاً من مواجهة شمس بدران وعلى شفيق ١١ أو سكت على ذلك حرصاً على صداقة عبد الحكيم عامر وذكريات الشقة ؟ . . أو أنه فضل « الائتواء » والانتظار ومسك العصا من النصف تحبباً « للأرض المناسبة والوقت المناسب » لخوض معركة هذا المشير ، ففاتنا تخير الوقت المناسب وأرض المعركة مع إسرائيل لأن قيادتنا كانت منشغلة بتحضيرها لمقاتلة زوج برلنتي ١٩

ألا يعزز هذا في ظن بعض المتسرعين ، التفسير العجيب الذي يقول بأن عبد الناصر زج بالجيش في معركة خاسرة لكي تتوافر الأرض المناسبة والوقت المناسب للقضاء على عبد الحكيم عامر ١٩

هل كان عزل صدقي محمود في عام ١٩٥٦ يسقط النظام ١٩
هل كان الزعيم الذي يسقط حلف بغداد ، ويعلق « نوري السعيد » في المشقة ويطرد جلوب ويحاصر سلوين لويد في البحرين . . عاجزاً عن إقصاء صدقي محمود عن الطيران . . ؟ هل كان يعجزه أن يصدر مرسوماً بإقالته ويقاكي « به عامر ثم يصطلحان ، وخاصة أن هويدي يشهد أن الورم لم يبدأ إلا بعد ١٩٥٦ . . . ١٩

هل كان صدقي محمود أقوى من محمد نجيب ومن البغدادي وجمال سالم وصلاح سالم والنحاس والتنظيم السري للإخوان والشيوعيين ؟
الذين ضربوا رئيس مجلس الدولة ، وخطفوا رئيس الجمهورية . . كان يعجزهم إخفاء صدقي محمود لو أرادوا . . ١٩

هل كان عامر سيقوم بانقلاب في ١٩٥٦ على « الزعيم » من أجل صدقي محمود ؟ ألم تكن سلامة الطيران المصري ، وتأكيد سلامة الجيش تستدعي المخاطرة بإغضاب صديق العمر وشريك شقة العزوبة ١٩

إن تعيين « عبد الحكيم عامر » قائداً للجيش كان خطوة محسوبة ومعروفة النتائج ، وهي السيطرة على الجيش لحساب لعبة السلطة ، ولم يكن في خاطر الذين اتخذوا هذه الخطوة أي اهتمام جذبي بالجيش كقوة مقاتلة ضد الخارج . . أو هذا هو ما انفقت عليه جميع المصادر الناصرية . . واليسارية .

ولم يكن ناصر وأعضاء مجلس الثورة هم وحدهم الذين يعرفون مسراً اختيار عبد الحكيم عامر ، بل عامر أيضاً كان يعرف وهذا هو مفتاح اللعبة ، فإذا كان المطلوب منه هو تأمين الجيش للسلطة أو لعبد الناصر بالذات بصرف النظر عن كفاءته القتالية ضد العدو الأجنبي ، فهو بدوره بحاجة إلى تأمين مركزه في الجيش بضباط مرتبطين به أوفياء له بصرف النظر عن كفاءتهم القتالية . الخ . وهو الذي ساهم وضمن تصفية محمد نجيب ويوسف صديق وخالد محيي الدين وجمال وصلاح سالم وبغدادي وكمال الدين حسين ، يعرف أن

هؤلاء جميعاً تمت تصفيتهم لأنهم فقدوا وزنهم العسكري في الجيش ، ومن ثم لا يمكن أن يقبل عزله عن الجيش ، لا بترقيعه إلى منصب أعلى يرفع قدميه عن الأرض كما في الأسطورة اليونانية ، ولا بتغيير أركان حربه بعناصر أقل ولاءً أو ارتباطاً به . . إذا كنا نريد أن نحاسب عبد الحكيم عامر على أنه رفض أن يتحرق قبل ١١ سنة فهذه قضية أخرى ، وعلى أية حال فقد فعل لما فقد الجيش . .

وهذا هو التفسير الذي يطرحه هويدي على استحياء ونسبه للبعض وهو أن سكوت عبد الناصر على تخريب عامر للجيش المصري ، وما ترتب على ذلك ، كان بفعل : « تغلب عامل التوازن بين اتجاهات أعضاء مجلس الثورة القديم » .

وهو التفسير الأقرب للعقل أو بصراحة الذي يمكننا من الاحتفاظ بعقلنا ، فلا نجنح لتفسيرات التمثال إياه . . .

كان دمار الجيش على يد عامر هو الثمن الذي دفعه عبد الناصر أو بالأحرى دفعته مصر واضطر عبد الناصر لقبوله مقابل ضمان عامر وبالتالي الجيش إلى صفه ، ضد خالد وجمال سالم وصلاح سالم ثم بغداددي وكمال الدين حسين وزكريا . . الخ . أي من أجل الانفراد بالسلطة ، ونصفية رفاق الانقلاب ، ثم لمنع أية محاولة انقلابية ، أو ثورية شعبية . . وهكذا ضحى بالأمن القومي . .

وقد قال كوريلاند إنه سُئل مرة إذا خير عبد الناصر بين التنازل عن السلطة أو دمار مصر فهذا يختار ؟ ! « فقلت بلا تردد سيختار البقاء في السلطة » .
لقد عبد المصريون العجل يوماً . . ولكن لم يعرف تاريخهم عبادة العار والهزيمة أو تقديس التفریط في الوطن ! . .

وخلى بنو إسرائيل أربعين عاماً في التيه لما عبدوا العجل لما رأوا خواره . . ونحن فتنا بالحوار ثلاثين عاماً دون أن نرى حتى العجل . . فانتقلنا من التيه إلى الضياع ، بشردنا في الأفاق ، ويطوف بنا حوار العجل على جيف الأمانى نحسبه زئيراً فنفر منه إليه . . ويقول هويدي إنه « من سوء حظ الأمة العربية أن القدر لم يمهله حتى يتم إزالة آثار النكسة » فبات !

ولا شك أنه من سوء حظنا كما قرر هويدي لأنه مات مهزوماً ، ويضرب المثل بوفاة ستالين مثلاً خلال حصار ستالينجراد قبل أن يطرد الألمان من الاتحاد السوفيتي وأن ذلك لو حدث لحملوه مسئولية الإهمال في الاستعداد . . وهذه طبعاً فيها قولان : الأول أن ستالين لم يعمل ، بل كان يحاول إزالة آثار نكسة الثلاثينيات ، وستالين لم يهاجم ألمانيا ولا تحرش بها وهو يعرف أنها أقوى منه ، ولكنه فعل المستحيل حتى أجل الحرب ستين ، كانت حاسمة في نقل المصانع وتعزيز الدفاعات ، ولو استطاع لبقي خارج الحرب حتى يستنزف الرأسماليون أنفسهم ثم يضرب ضربته ، وستالين استطاع أن يستفيد من هذه الحرب بين الأعداء فاحتل

نصف بولندا وفنلندا مما مد خطوط الروس وجعل هذه الدول تتحمل الصدمة الأولى . . أما أن « هتلر » استطاع أن يصل إلى ستالينجراد فلم يكن ذلك لعيب خاص في الجيش الروسي أو ستالين ، فاداة الحرب الألمانية كانت مضبوقة على نحو لم يعرفه تاريخ العالم . . ولنتذكر كيف انتهت هذا الجيش الألماني غرب أوروبا حتى الساحل . . وستالين كان وطنياً وفي مستوى المسؤولية ، أعاد الكنيسة وأعاد الوطنية الروسية وأخرج الجنرالات من السجون وأعادهم للخدمة العسكرية وقال لهم أترككم لوطينتكم* . . وناصر اعتقل محمد نجيب واستمر يدير المعركة بعامر وشمس . . وفي المرة الثانية لم يهتم حتى بالرد على رسالة بغدادى وكمال الدين حسين ولو من باب المجاملة !

القول الثاني أن ستالين عاش وأزال آثار العدوان حتى برلين ! وحقق لروسيا أكبر وأكمل نصر في تاريخها ، ومد الامبراطورية إلى حدود لم يحلم بها أشد القيصرية جنوناً . فماذا فعل به الروس ، عبده ؟ . منعوا انتقاده ؟ لا . . بل أخرجوا جثته من تابوت المجد ونبذوه في العراء وحاسبوه على شبهة التقصير ؟ !

ومادمت ترى أن الروس كان يحق لهم محاسبته واتهامه بالهزيمة لو مات قبل النصر فلماذا تحرم ذلك على المصريين ؟ ! وإذا كنت قد سمعت أو قرأت ما قالوه عن ستالين وما فعلوه به وبتاريخه لأنه أهدر حرية الفرد فما معنى المثل الذي ضربته ولماذا تريدنا أن نسكت على طاعة قزم منهزم ؟ !

« إزالة آثار النكسة » ؟ !

حتى الوزير أمين هويدي يظن أن عبد الناصر كان سيزيل آثار النكسة بالدبلوماسية كما قيل ، أنه فعل في عام ١٩٥٦ .

هيهات . .

أما القول بأنه لو عاش فكان سيزيلها بالحرب ، فهذه فرضية لا يوجد أي دليل عليها . . ولا يمكن مطالبتنا بالمراهنة على فرضية لرجل في ذمة الله ، والتخلي عن حقيقة أنه عاش بيننا ١٨ سنة فلم يحقق في الصراع مع إسرائيل ، إلا النكسة تلو النكسة** . .

كيف يطلب منا التخلي عن حقيقة أن حياته صنعت النكسة ، ونقبل فرضية أنه لو طال به العمر لانتصر . . بل ويطلب منا باسم هذه الفرضية أن نتابع المتاجرين باسمه !

هل استبدال فوزي بعامر كان سيحول النظام الذي لم يتصر في معركة عسكرية واحدة ، ولا حتى في اليمن . . إلى نظام يهزم إسرائيل ما بعد ١٩٦٧ ؟ !

* وهو ما فعله السادات على نحو ما ، في حرب أكتوبر . .

** وهما العسكري أحمد أبطال حرب أكتوبر ، والذي لا يمكن حياً للسادات يؤكد أنه لم يسمع قط بوجود

خطة حرب لدى عبد الناصر حتى بعد ١٩٦٧ . .

فهل نصدق أم نصدق عبد الله إسفان ! . .

بل إن هويدي ، أورد قائمة لانتصارات عبد الناصر الاستراتيجية واستشهد بها على أنه لم يكن يتبع سياسة قصيرة النفس أورد فعل كما يتهمه الحاقدون وأصحاب المنفعة من أبنام لجان الحراسات . . الخ .

هذه القائمة شملت ١٥ هدفاً حققها عبد الناصر ، ليس من بينها « الهدف القومي والوطني في محاربة إسرائيل » ، كان هويدي أشرف من أن يزور أويدي النصر في تلك المعركة أو هذا الهدف الذي فضلاً عن أنه يجبُّ كل الأهداف الأخرى ، إلا أنه أيضاً هدف واضح لا مجال للدعاء فيه . . فنصره واضح كالصبح ، وهزيمته واضحة كشعة مذلة قاضحة مفضوحة !

ولسوء حظ الأمة العربية ومصر في طبيعتها أن هذه المعركة هي التي لا يجوز أن يعلو حديث بنصر آخر على حديثها . . ومنظّل كذلك إلى زمن نرجوا ألا يطول . .

من ١٩٥٢ - ١٩٥٤ لم تكن إسرائيل على قائمة اتهامات عبد الناصر باعترافه هو في أكثر من خطاب ، وبشهادة هيكل ، وقد بلغ من عدم الانشغال بإسرائيل ، أن بن جوريون كما رأينا هرش شعر رأسه وغمغم بأن هذا مؤسف للغاية . . ؟

عقدة اليهودي الذي عانى الإهمال قروناً طويلة ! . .

إسرائيل أيضاً لم تحاول التحرش « بالثورة » لا خوفاً منها ولكن للتفسير الذي يطرحه د . عبد العظيم رمضان وهذا هو حرفياً بصرف النظر عن تعليقه « الشائق » وتحليله . . قال :

« ويعتبر تتبع العلاقات بين إسرائيل وثورة ٢٣ يوليو من الأمور الشائفة (١٩ ج) فلم تكن إسرائيل عند قيام هذه الثورة قد استشعرت الخطر من جانبها لأسباب كثيرة ، ربما كان على رأسها أن القوى الوطنية قبل الثورة كانت قوى شديدة العداء للصهيونية ، فهي التي أمرت جيوشها بدخول فلسطين لتحريرها من العصابات الصهيونية ، وهي التي احتلت (كذا . ج) جزيرتي نيران وصنافير ، وهي التي فرضت الحصار على البحر الأحمر وحرمت إسرائيل من الاستفادة من ثمار الغصب والنهب الذي ارتكبته . ولما كانت علاقة الثورة بالولايات المتحدة علاقة ود وتفاهم في ذلك الحين ، فمن هنا توهمت إسرائيل أنها سوف تلقى على يد الثورة معاملة أفضل مما تلقتها على يد القوى الوطنية القديمة وعلى رأسها الوفد » .

هنا يطرح الدكتور فرضية ويبرهن عليها بالوقائع ولكن الدجال يطرح فرضية مضادة تماماً وهي أن الوضع قبل الثورة كان على هوى إسرائيل بعكس ما حدث في ١٩٥٢ ثم لا يقدم دليلاً إلا أن مصر كانت فقيرة !؟ يقول د . رمضان :

« وهذا يفسر انحياز إسرائيل إلى صف الثورة في صراعها مع القوى الوطنية القديمة (الوفد والشيوعيين والإخوان المسلمين) . فعندما أصدر الوفد برنامجه يوم ٢٣ سبتمبر

١٩٥٢ ، وفيه : « التمسك بعروبة فلسطين وجامعة الدول العربية ، وتأييد شعوب أفريقيا في جهادها لنيل استقلالها ، ودعم مجموعة الدول الأفريقية الآسيوية ، وإنهاء الاحتلال المشترك من أراضي مصر والسودان وتحقيق الوحدة بينهما » - علق راديو إسرائيل على هذا البرنامج غاضباً بقوله : إن حزب الوفد « مازال حزب التطرف السياسي والتعصب الأعمى في أكثرية المسائل التي لا تخص المصريين ولا تتعلق بحياتهم وظروف معيشتهم » ! وأن هجومه على « النظام الجديد » (الثورة) جاء في شكل كلام مزوق وتعايير منمقة ، وعواطف جياشة حول التمسك بأمان مصر القومية والعمل على تغيير الأوضاع في الديار المقدسة وما شاكل ذلك * .

وسجل « محمد نجيب » في مذكراته فخورا : « أن ديفيد بن جوريون أدلى بتصريحات ينمى فيها النجاح لثورتنا وأعلن سياسة جديدة للانفتاح على مصر « الجديدة » وتحدثت « هآرتس » عن فرص الحل السلمي مستندة على إمكانيات وضحت في اتصال علي ماهر بزعماء الوكالة اليهودية خلال الفترة بين ١٩٣٦ و ١٩٤٢ وإلى بعض تصريحات للدكتور محمود فوزي سفيرنا في لندن ، والذي أكد على إمكانية التعايش السلمي بين العرب وإسرائيل » .

إذا فقول الدجال إن إسرائيل لم تكن مهمة وأنه نجح حسه مع بيفان لكي يجعلهم يهتمون ، كذب ، فإسرائيل كانت مهمة وممتة ! *

ونود أن نضيف إلى أرشيف الدكتور رمضان بأن التعاون أو التفاهم وصل في تلك الفترة إلى أن أصدقاء الثورة في المخابرات الأمريكية في مصر طلبوا من أمريكا أن تطلب من إسرائيل مدح الإخوان المسلمين في إذاعتها العربية لتشويه سمعتهم وقد حدث ذلك بالفعل ** .

أما عن موقف « الثورة » فإن الدكتور رمضان يلفه لنا في قطعة سكر فهو يقول : « ومن ناحية الثورة ، فإن انشغالها بالصراع الداخلي ومعركة الجلاء مع الانجليز ، قد حجب عن ناظرينا الخطر الكامن في وجود إسرائيل على الحدود المصرية ، ومن هنا حين أنشأت قيادة الثورة هيئة التحرير في ١٥ يناير ١٩٥٣ كت تنظيم سياسي يسد الفراغ الذي سوف ينشأ من حل الأحزاب القديمة ، ونشرت هذه الهيئة التي تمثل الثورة ميثاقها وأهدافها القومية

• يوم ١٨ أغسطس ١٩٥٢ رحب بن جوريون في الكنيست بتصريح نجيب بأنه هو وأصدقاؤه في الجيش عارضوا الغزو المصري لإسرائيل .

•• ولا بأس في إبراد رسالة السفير الأمريكي في الأردن ١٢/٢٣/ ١٩٥٤ :

« من المتفق عليه أن المبادأة (في الصلح مع إسرائيل) يجب أن تبدأ من مصر ، وأنا اعتقد أن مصر قد أظهرت عزماً وتصميماً في التعامل مع الإخوان المسلمين في وجه معارضة وشجب من العالم العربي ، وربما يؤدي هذا إلى تدعيم القيادة المصرية وزيادة تصميمها ، بينما قد يقول البعض إنها بعد المدى الذي وصلت إليه في موضوع الإخوان المسلمين ، قد تتحاشى إغضاب العرب مرة أخرى . إلا أن خبرتي مع النظم الديكتاتورية تجعلني أتوقع العكس ! » .

ومنهاجها في السياسة الداخلية والخارجية - جاء هذا البرنامج خالياً من أية إشارة إلى فلسطين^{١٣} !

ونحن لا نملك إلا الاعتراض على الأعذار التي أوردها الدكتور رغم اقتناعنا بأنه يشاركنا الرأي وأنه اضطر إلى وضع هذه الملتفات بحكم ظروف الشر ولكي لا يفرغ ذوي القلوب الضعيفة . مثل وصفه هذه العلاقة بأنها من الأمور « الشائكة » بدلاً من أن يقول « الشائكة » أو « الشاذة » أو « الشائكة » لأن الثورة التي جاءت إلى الحكم بحجة الهزيمة في حرب فلسطين لا يمكن أن يسقط من برنامجها « سهواً » قضية فلسطين ، وهو البرنامج الذي تناول الثورة وميثاقها وأهدافها في السياسة الخارجية والداخلية . . كل هذا لا ينسج لإشارة إلى قضية فلسطين في برنامج حركة « ثورية » بدأ تجمعها خلال حصار الفالوجا على أرض فلسطين . . وحول حكاية الأسلحة الفاسدة . . الخ .

وإذا كنت ناسي أفكر ! إذا كانت هيئة « التحرير » ومجلس « الثورة » نسيا في زحمة الشغل فلسطين وأمن مصر الوطني ، أما كان برنامج الوفد الذي ظهر جديراً بتذكيرهما^{١٤} وماذا تعني الصلة الحسنة بين الأمريكان والثورة « لإسرائيل » إلا إذا انعكست في مثل هذا الموقف ، وهو إزالة آثار الموقف الوطني للقوى الرجعية بشطب قضية بل اسم فلسطين من برنامج وميثاق وأهداف هيئة التحرير ، وحل الحزب الذي ذكرها وسجن وشنق من قاتلوا على أرضها . . ١٥

بل وأكثر من ذلك ، فات الدكتور أن يلاحظ مطالبة برنامج هيئة التحرير بالسلام مع إسرائيل في المادة التاسعة : « سلام إقليمي يهدف زيادة فاعلية الجامعة العربية » فكان أول برنامج سياسي غير شيوعي يطالب بسلام إقليمي !

ألم يكن هذا كافياً لكي « تنحاز » إسرائيل إلى جانب الثورة في صراعها ضد القوى الوطنية القديمة^{١٦} وأية قوى جديدة هذه التي ينحاز إلى صفها الإسرائيليون والمخابرات الأمريكية^{١٧} ؟

وبعكس ما هو المفترض والشائع ، وهو أن النظام « الثوري » يكون الأكثر تنصبلاً والأكثر عداء لإسرائيل والأبعد احتمالاً في الصلح معها ، بالعكس من ذلك نجد أن توقعات الأمريكيين للنظام الناصري مغالفة تماماً . . وإليك بعض الوثائق التي لا يراها « هيكل » :
من وكيل الخارجية الأمريكية إلى الوزير

١٩٥٢/١٢/٣٠

سري

« أبلغ كافري أن السلم مع إسرائيل هو هدف نظام الجنرال نجيب ولكن خطوة متسارعة في هذا الاتجاه يمكن أن تدمر ما نحاول القيام به » .
ويقول محمد نجيب في مذكراته : « وفي الحقيقة كنت أتوقع في ذلك الوقت أن يتقدم الإسرائيليون بمعاهدة سلام ، وربما قبلنا هذه المعاهدة في ذلك الوقت ، وقد قلت في ذلك الوقت (١٩٥٣) « أنه لكي تكون إسرائيل دولة معترفا بها ولكي تكون دولة معتمدة على نفسها يجب أن تشترك في تجارتها السلمية مع الدول العربية لصالح الجميع » .

لا يمكن تفسير هذا الموقف إلا بالرجوع إلى المعامل « من » . . الاتفاق الذي تم بين الولايات المتحدة ورجال العهد الجديد قبل الوصول للحكم وبعد الاستيلاء عليه ، وهو تجميد قضية فلسطين ، والتركيز على المشاكل الداخلية وإتاحة فرصة للولايات المتحدة لإيجاد حل سلمي دائم . . وإسرائيل لا « تتوهم » ولا تنتظر أن تلقى على يد الثورة معاملة أفضل . . وإنما إسرائيل تدرس وتخطط وتحلل . وهي تعرف أن النظام القديم لا يمكن أن يتهاون معها ، وقد رأينا باعتراف « رمضان » نفسه أنه كان أي هذا النظام القديم « شديد العداء للصهيونية » خاض حرباً شاملة ضدها ، عسكرياً بالهجوم في ١٥ مايو ١٩٤٨ واقتصادياً بإغلاق قناة السويس والمبادرة الناجحة بسد خليج العقبة والحكم بالشلل والموت على كل مشاريع إسرائيل عبر البحر الأحمر وإيلات . . وبوضع قوانين المقاطعة الاقتصادية بل والإصرار على أن تشمل المواد الغذائية رغم معارضة الدول العربية وخاصة التي كانت تباع وتستورد من إسرائيل .

فلم يكن لدى إسرائيل عواطف أو أوهام نحو النظام القديم ولذلك لم تكن ترغب في أي تحرك يخدم هذا النظام أو رجاله ، فالتحرش بمصر في هذه الفترة كان سيضعف « العسكر » حذبى العهد في السلطة ويكشف عجزهم « العسكري » وهذه كانت أقوى ورقة في يدهم والأمل الذي راهنت عليه الجماهير بعد هزيمة ١٩٤٨ التي نسبت إلى السياسيين ، فإذا ثبت أن العسكر أضعف ، وأقل قدرة على المقاومة ، فإن الجماهير ستكشف فداحة الخطأ عندما ضحت بالديموقراطية النسبية بأمل أن يكون المقابل هو القوة الوطنية . . من هنا كانت مصلحة إسرائيل الواضحة في توفير المجال للعسكر لتصفية النظام القديم ، وخاصة التنظيمات العقائدية شبه العسكرية ، التي كانت قضية فلسطين تحتل مكاناً بارزاً في تفكيرها وبرامجها مثل الإخوان المسلمين ومصر الفتاة . . الخ . . أو الوفد الحزب الشعبي ذو التاريخ الديموقراطي والمكانة الدولية البارزة لدى حركات التحرر البورجوازية في آسيا وأفريقيا ، والذي أثبت عدوانته المؤثرة ضد إسرائيل .

• ألا يذكرنا هذا النص برسالة أخرى من السفير الأمريكي في سوريا أيام حسني الزعيم ١٩٥٤ . .

وإذا مضينا خطوة أبعد في «أوهام» إسرائيل، فلا شك أنها كانت تتوقع وأثبتت الأيام صدق نظرتها، أن النظم العسكرية هي الأكثر مسالة مع الخارج... والأقل قدرة على القتال، كما لعلها كانت تعتقد وكل الظواهر كانت تؤيد هذا الظن، أن مصر لو دخلت في الحكم العسكري فستبدأ دوامة الانقلابات والإعدامات والتصفيات، الأمر الذي يستنزف قواها ويشل جيشها عن أي تحرك خارجي..

يضاف إلى ذلك كله الضغط الأمريكي الذي طالها بإعطاء فرصة «للمتعقلين» الجدد لكي يمكن تحقيق التسوية. وبالطبع لم تكن إسرائيل لتستجيب لهذا الاتفاق إلا لما رأت من عوامل أخرى لصالحها..

وقد انتهت هذه المرحلة، بسحق التنظيمات السياسية في مصر وتدمير جمعية «الإخوان» واستقرار الحكم العسكري ونجاحه في فرض اتفاقية الجلاء رغم كل القوى المعارضة.. عندئذ بدأت إسرائيل المرحلة الثانية من الاستراتيجية وهي استنزاف العسكر ودفعهم إلى معاداة الولايات المتحدة والغرب لفسخ الاتفاق الأمريكي - الناصري.. ونسف «علاقة الود والتضام بين «الثورة» والولايات المتحدة».

أما غير المقبول على الإطلاق، ولا تملك معه المجاملة أبداً، فهو قول الدكتور رمضان «على أنه لم تكف تستقر الأمور في يد الثورة - عبد الناصر بالذات - بعد أزمة مارس ١٩٥٤ حتى كان يهدد بتطبيق ميثاق الضمان الجماعي العربي في مواجهة أي اعتداء يقع من جانب إسرائيل بالقوة»^٤.

هل يفهم من هذا أن علاقة الود بين الأمريكان والثورة كانت على يد محمد نجيب؟ هل ميثاق هيئة التحرير وبرنامجها وضع بدون علم عبد الناصر؟! لا.. ليس من مصلحة أحد أن نحول عبد الناصر إلى «ملك» أو أمير مؤمنين تؤخذ الدنيا باسمه وهو ليس له من الأمر شيء.. إذا كانت هناك سياسة تتعلق بإسرائيل في الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤ فهو مخططها وهو منفذها، أما أنه إذا سئل في مهرجان جماهيري ماذا يفعل إذا ما «اعتدت» إسرائيل؟.. وليس ماذا سيفعل هو ابتداء لتحرير فلسطين.. فيرد: سنطبق ميثاق الضمان الجماعي العربي.. فهذا أضعف الإيمان ولو أنه لم يطبقه قط!..

وقد فات الدكتور «رمضان» أن يؤرخ التغير الذي حدث في الموقف من المقاطعة لإسرائيل في ظل عبد الناصر، مادام قد سجل موقف حكومات ما قبل الثورة.. وسدأ لهذا النقص.. نقول: تبين أن هؤلاء الضباط الذين زعموا أن الثورة ولدت في نفوسهم خلال حرب فلسطين، هم أقل فئة من المصريين اهتماماً بفلسطين أو عداوة لإسرائيل.. فهم ألغوا قرار حكومة الوفد بمنع مرور البضائع من وإلى إسرائيل عبر قناة السويس.. فانطلقت تجارة إسرائيل عبر قناتنا، وإذا عرفنا أن الخليج وقتها كان ممنوعاً على

إسرائيل ولم تكن « إيلات » قد أصبحت بعد ميناء اقتصادياً ، ومن ثم كان غلق القناة ، يخنق الاقتصاد الإسرائيلي في المهد ، وتفتح القناة هو الذي مكن هذا الاقتصاد من الحياة والانتعاش ..

أليس من العار للفكر المصري ألا يرصد كاتب واحد أو مؤرخ هذه الحقيقة فضلاً عن التعليق عليها ؟ ! ..

اقرأ الوثائق مادمتم تحبون الوثائق :

ولأن المصادقية انعدمت بعد كل ما زوره هيكمل وأمثاله من الناصريين والمثامركين فهذه شهادة شاهد من أهلهم :

تقرير أمريكي عن

محادثة مع الجنرال محمود رياض

وزارة الخارجية الأمريكية

١٩٥٤/١٠/١٠

وقلت : إنني أعلم أن كثيراً من البضائع المتجهة إلى إسرائيل قد جرى السماح بمرورها في قناة السويس .. وهنا قاطعتني جنرال رياض قائلاً : « ليس الكثير بل كل البضائع ، وأخبرني أنه هو شخصياً يحتفظ بقائمة دقيقة للبضائع التي جرى شحنها من وإلى إسرائيل عبر قناة السويس خلال عدة شهور . ولم تتدخل الحكومة المصرية طالما كان الشحن يتم في سفن لا تحمل العلم الإسرائيلي ، ولكنها - أي الحكومة المصرية - لا تستطيع أن تسمح بدخول سفينة تحمل العلم الإسرائيلي في مياهها الإقليمية (على الأقل في ميناء السويس أو بور سعيد لكي تصل للقناة ج) .

« وصرح عزمي في مجلس الأمن يوم ١٤ أكتوبر ١٩٥٤ : أن مصر منذ مارس ١٩٥٤ امتنعت عن أي تدخل في حركة السفن التي تحمل البضائع إلى إسرائيل أو القادمة من موازي إسرائيل عبر قناة السويس » !

يجب أن يضاف ذلك إلى قرارات مارس الثورية !!

الله الله !

في دم الإخوان ومائت الوطنيين الذين بدأت اعتقالاتهم ومحتهم ومصارعهم في نفس التاريخ الذي فتح فيه الثوار القناة قناة السويس لسفن إسرائيل !

هل تريدون المزيد ؟

مجلس الثورة أجرى اتصالاً في الأيام الأولى (سبتمبر ١٩٥٢) مع إسرائيل يطعن إلى نوابه .. وربما يكون ذلك ضمن التعهدات السرية التي تعهد « عبد المنعم أمين » بتقديمها باسم المجلس .

من السفير الأمريكي في إسرائيل إلى وزارة الخارجية

تل أبيب ١٧ سبتمبر ١٩٥٢

سري وعاجل

أبلغني شاريت وزير الخارجية عصر هذا اليوم أن القائم بالأعمال الإسرائيلي في باريس قد تسلم ما يعتبر رداً على اقتراح حكومة إسرائيل اللقاء مع ممثل للنظام الجديد . فإن شخصا يصف نفسه بأنه يحمل رسالة مباشرة من نجيب ، صرح بأنه مخول بأن يقول إن النظام الحاضر ليس له أي نوايا عدوانية إزاء إسرائيل ، وإن أي تصريحات مخالفة لذلك لا يجوز أخذها على محمل الجد . . وأن نجيب الآن مشغول بالقضايا الداخلية وأنه سيتهز أقرب فرصة ممكنة لإيجاد اتصال لمناقشة أمور معينة لم يجلدها . وحيث إن الرسالة سلمت ما بين ٦ و ٧ سبتمبر فإن « شاريت » استنتج أنها لم تمر عبر « علي ماهر » .
وقد ناقش وزير الخارجية الأمر مع الملحق الإسرائيلي في باريس وخوله الرد مشفواً كالآتي :

- ١ - التعبير عن الترحيب بالرسالة حيث لم تكن غير ودية .
- ٢ - أن إسرائيل تتابع بعطف واهتمام الجهود لتحسين الأحوال في مصر .
- ٣ - وإبلاغهم أنهم إذا شاءوا الاستفادة من خبرة إسرائيل في إنشاء المستوطنات الزراعية فإن حكومة إسرائيل مستعدة للتعاون فنياً « أو على أي مستوى آخر يرونه مفيداً » .



« الملحق الإسرائيلي في باريس قابل الملحق المصري وأعطاه رسالة مهمة كتابة كطلب المصريين . كما طلب المندوب المصري في لجنة الهدنة الاجتماع على انفراد بالمندوب الإسرائيلي ، ٢٥ أغسطس ١٩٥٢ » .
وهل تعرف أن حكومة الثورة ، تماماً كحكومة « حسني الزعيم » وافقت على توطيئ اللاجئين بعكس قرارات الجامعة العربية ، وحقوق الشعب الفلسطيني في العودة إلى وطنه ؟ . . وأن حكومة الثورة المصرية وافقت فعلاً على توطيئهم في سيناء . . لولا أن إسرائيل - على ما نعتقد - ذات المطامع الأزلية في سيناء ما كانت لتقبل حتى هذا الحل لمشكلة اللاجئين فمجلت بتأزيم الموقف بغارة فبراير ١٩٥٥ . .
خذوا هذه الوثيقة :

سري جداً ٧ فبراير ١٩٥٣

أبلغني وزير الخارجية (محمود فوزي ج) الليلة الماضية ، أنه يفكر في إمكانية عقد اتفاق مع إسرائيل . وهو يعني أن اللاجئين لن يعودوا أبداً إلى إسرائيل بأعداد كبيرة . وأنهم يجب أن يوطنوا في البلاد العربية ، وقال : « نحن نرغب في أخذ أكبر عدد ممكن إذا ما استطاعت « الأونرا » (هيئة إغاثة اللاجئين ج) أن تجد مشاريع لتشغيلهم في سيناء » .

وأضاف السفير في بوقية تالية أن وزير الخارجية (المصري ج) طلب يوم السبت من « بانث » (رالف بانث ممثل الأمم المتحدة ج) أن يبلغ شاريت (وزير خارجية إسرائيل ج)

أن مصر راغبة في تحري تسوية مع إسرائيل على أساس إعادة التوطين والتعويض للاجئين وبعض تعديلات في الحدود . وقد أبلغ بانث شارت ذلك يوم الأحد وبعد مشاورات مع حكومته رد بأنهم يرحبون بحرارة بهذه المبادرة ، (١٠ فبراير ١٩٥٣) .

ونتقل إلى معلومات السفير الأمريكي في إسرائيل الذي أبلغ حكومته أنه أجرى محادثة خاصة مع « بانث » الذي وصل إسرائيل يوم ٧ فبراير يحمل رسالة مصر أو رسالة محمود فوزي فقال بانث للسفير الأمريكي على انفراد : « إنه ذهبل من حقيقة أن نجيب لم يشر في حديثه معه إلى مشكلة فلسطين بحرف ، ولو أن إسرائيل جاء ذكرها في حديثه مع فوزي الذي نقل على لسانه (لسان وزير خارجية عبد الناصر ج) « إنه لا يرى سبباً يمنع مصر من التحرك نحو عقد السلام مع إسرائيل إذا ما توافرت بعض الشروط » .

برقية السفير من تل أبيب
٩ فبراير ١٩٥٣

ونتابع التقلب في وثائق هذه المرحلة :
٨ أبريل ١٩٥٣ :

بايرود قال إن السفير المصري في باريس اقترح أن تصبح إسرائيل من الدول الموقعة على اتفاقية اسطنبول لسنة ١٨٨٨ الخاصة بالقناة !

١٧ نوفمبر ١٩٥٣

كتب ايريك جونستون أنه استطاع أن يحصل على وعد من الحكومة المصرية باستخدام نفوذها في العالم العربي لانجاح مساعيه حول مياه الأردن .

○○○

١٠ أبريل ١٩٥٤ :

« رياض (محمود رياض) أكد أن حوادث الحدود في غزة هي من فعل الفلسطينيين وأن السلطات المصرية سحبت السلاح من المدنيين في القطاع » .

○○○

القاهرة ١٧/٦/١٩٥٤

إلى أغادر القاهرة مشجعاً بالأمال في الحصول على موافقة العرب على تنمية وادي الأردن . إن الدور الذي لعبه المصريون في توفير قيادة متعاطفة فعالة ببناء ، كان بالغ الأثر ومن الواضح أنه انبعث من رغبة صادقة في مساعدة الولايات المتحدة وقد أصبح واضحاً الآن أنه لا حاجة لمباحثات مع العرب إلا في القاهرة .

كافري

« وبالنسبة لإمكانية الاتفاق بين إسرائيل والبلاد العربية فقد صرح السفير أبا إيبان لوزارة

الخارجية الأمريكية أن مصر تشكل أكبر احتمال في هذا الشأن .

١٩٥٤/٦/١٦

تعميم من وزير الخارجية الأمريكية :

١٩٥٤/١١/٢٢

« إننا نعتقد أن الخطوة الأولى (لتحقيق سلام بين العرب وإسرائيل ج) يجب أن تبدأ بمصر لأن :

١ - مصر أقل الدول العربية اهتماماً بإسرائيل والأقرب احتمالاً للتحرك .

○○○

« إن مصر قد تعبر الحدود في محاولة عقد صلح شامل مقبول للعرب ، ولكنها لن تحاول ذلك في وجه معارضة عربية . وعلى أية حال إنهم مشغولون الآن تماماً ، في تصفية الإخوان المسلمين » .

كافري ١١/١٢/٥٤

ثم نتقل لمفاجأة الغارة على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ وسنلاحظ إجماعاً عربياً في جميع المصادر الناصرية أو المتصلة بالناصرية في تلك الفترة ، أو المؤرخة لتلك الفترة ، هي « الدهشة » و « المفاجأة » التي قوبلت بها الغارة من جانب السلطة المصرية . . . والحديث عن « الوهم » الذي انقشع . . . و « ما لم يكن في الحسبان » و « الاستيغاف » على الحقيقة » . يقول حمروش : « تم هذا الحادث (اقتحام الحدود المصرية وقتل ٣٨ جندياً داخل معسكر الجيش المصري . . .) في وقت لم تكن فيه العلاقات المصرية - الإسرائيلية في حالة من التوتر الشديد ، بل كانت هناك فرص للتفاهم لم تقبلها المؤسسة العسكرية في إسرائيل » .

ويقول بغداددي :

« فوجئنا بغارة عسكرية من الجيش الإسرائيلي على معسكر لنا بالقرب من مدينة غزة ، وكان الهجوم ليلاً ، وبعد عودة بن جوريون إلى الحكم بعدة أيام فلائل فقط وكان عدد القتل من جنودنا سبعة وثلاثين جندياً في مقابل ثمانية جنود إسرائيليين » .

وتحون بغداددي الذاكرة فيقول : « إن تلك الغارة كانت بداية لسلسلة من الغارات المتبادلة بين إسرائيل وبيننا » .

وليس في السجلات غارة واحدة شنت على إسرائيل في عهد عبد الناصر من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ . كل ما حدث هو أنه سمح للفدائيين بالعمل من قطاع غزة أو من الأردن ، وقد اشترك مصريون ولكن على شكل فدائيين ولم تقم مصر بغارة بقواتها النظامية أبداً . . بل بقرى حمروش أنه بعدما تحرشت إسرائيل بعبد الناصر في عدوان ١٩٥٥ « كانت ردود الفعل عند جمال عبد الناصر هادئة ، أوقف عمليات الفدائيين في غزة تحاشياً لاستفزاز الإسرائيليين

وخلق مبرر لهم للهجوم . (بل وسحب جيش التحرير الفلسطيني من الحدود وأعلن حظر التجول في قطاع غزة) .

وقد فهم بغدادي أو تصور - على حد تعبيره وقتها - أن إسرائيل تريد إضعاف نظامهم الوليد ، « لما كانت تلك الغارة قام بها الجيش الإسرائيلي نفسه وضد قواتنا النظامية أيضاً . فقد جعلتنا نتصور ونعتقد أن الغرض منها هو العمل على إضعاف نظامنا الثوري الوليد » .

ويؤكد هيكل تفسيرنا بل ونجاح المخطط الإسرائيلي ، الذي كانت بدايته غارة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ وهو نسف العلاقات الأمريكية - المصرية ودفع مصر إلى أحضان الاتحاد السوفيتي فيقول :

« وكانت هذه الغارة هي الدافع المباشر الذي جعل جمال عبد الناصر يستدعي السفير الأمريكي في القاهرة هنري بايرون ويقول له :

« إذا لم تبع لي الولايات المتحدة ما أحتاج إليه من السلاح للدفاع عن الأمن القومي لمصر فلسوف أطلب السلاح من الاتحاد السوفيتي » .

ويورد د . رمضان فقرة غير مفهومة عن أن عبد الناصر كان تحت تأثير وهم غريب ، هو الربط بين الشيوعية والصهيونية إلا أن هذا الوهم انقشع مع انقشاع سحبات دخان الغارة الإسرائيلية الوحشية على غزة يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ . وقد عبر عبد الناصر بنفسه عن ذلك في خطبته يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٧ فقال :

« إن دخان الغارة على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، أنجلي ليكشف حقيقة خطيرة ، تلك هي أن إسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة ، وإنما إسرائيل في حقيقة أمرها رأس حربة للاستعمار ، ومركز تجمع لقوى أخطر من الاستعمار ، وهي الصهيونية العالمية » .

ويؤكد لنا الدكتور أن عبد الناصر كان يعي خطورة الوجود الصهيوني في خليج العقبة وأنه طالب بإخلاء إسرائيل للشعب في ١٣ سبتمبر ١٩٥٤ .

وهذا يؤيد ما نقوله من أن حذف إسرائيل من برنامج هيئة التحرير ومن اتهامات قيادة الثورة ، لم يكن عن جهل بخطر إسرائيل . . بل لسبب آخر . . كذلك لا نفهم « المفاجأة » في عدوان فبراير ١٩٥٥ إلا لأنه كان هناك اعتقاد ما . . أو تصور ما . . أو اتفاق ما ، يتعارض مع هذه الغارة . . وإلا لو كانت العلاقة عادية ، فأية غرابة في « عدوان » إسرائيل . . والصهيونية ؟! وقاعدة الاستعمار كما وصفها المصريون من ١٩١٧ . . وليس ١٩٥٥ . . .

المفاجأة بسبب الارتباط أو الوعد الذي تم بين قيادة الثورة وبين الأمريكان بتجميد قضية فلسطين والوعد بأن إسرائيل لن تتحرش بالعهد الجديد ولن تدخل في حرب معه . . وكما قلنا من قبل : إن غلطة النظم العربية أنها تتصور علاقة إسرائيل بأمريكا كعلاقة مستعمرة بالدولة

الحامية الكبرى . . وأن أمريكا تستطيع أن تتحكم باستمرار في سياسة إسرائيل بالاتصال الهاتفي أو بتعليقات يلفها السفير . . والعلاقة الأمريكية - الإسرائيلية كما شرحنا أكثر تعقيداً من ذلك ، وإسرائيل ليست عميلة لأمريكا كما يجنح البعض للتبسيط المخل . . فلها قرارها المخل وخطتها الخاصة المتناقضة في أكثر من موقع مع السياسة أو حتى المصالح الأمريكية . . وصحيح أن الولايات المتحدة ، لو أرادت ، تستطيع وإلى اليوم أن تجبر إسرائيل على الرضوخ لإرادتها ، ولكن المشكلة في العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية هي أن الولايات المتحدة ليست مطلقة اليد في التعامل مع إسرائيل ، بل إن المواجهة معها تتحول إلى حرب أهلية داخل أمريكا ، بمعنى مواجهة بين الإدارة الأمريكية ومركز القوة (اللوبي) الإسرائيلي داخل وحول هذه الإدارة في قلب أمريكا . . فالعلاقة عكس العلاقة المعتادة بين الدولة الكبرى والدولة الصغرى التي تعتمد على حمايتها ، ففي هذه الحالة تملك الدولة الكبرى مفاتيح قوى داخل الدولة الصغرى تلعب بها لتوجيه سياستها وفق إرادتها دون حاجة إلى استخدام عضلاتها بشكل علني أو مباشر ، بينما في حالة أمريكا وإسرائيل ، فإن إسرائيل هي التي تملك مفاتيح توجيه السياسة الأمريكية في داخل المؤسسات الأمريكية . ومن هنا كان حرص الإدارة الأمريكية على تجنب المواجهة العلنية مع إسرائيل إلا في الضرورة القصوى . .

على أية حال مرت علاقة الثورة بإسرائيل في عهد عبد الناصر بثلاث مراحل :

١ - مرحلة التآمر المشترك ، والواسطة فيه هي الولايات المتحدة ، حيث تم الاتفاق بين المخابرات الأمريكية والتنظيم الناصري على استبعاد قضية فلسطين ، وتبريد الوضع على الحدود . وهذه المرحلة استمرت من جانب النظام الناصري إلى عام ١٩٥٦ . .

أما من ناحية إسرائيل فقد كانت من ناحية تحت ضغط أمريكي مكثف ، إذ كانت الولايات المتحدة تراهن على النظام الجديد في مصر ، من أجل الحل النهائي لمشكلة إسرائيل . . ومن ناحية أخرى كان كل ما يجري في مصر على هوى إسرائيل . . تصفية النظام الليبرالي ، وضرب الأحزاب والحركات الوطنية وقيام نظام عسكري . . وإفساد الجيش وتجريده من الكفاءات القتالية بل وروح القتال ومن ثم تركت الأمور تمضي في مجراها .

٢ - مرحلة التحرش وفصم التحالف . . وبدأت من نهاية ١٩٥٤ أو بعد ما تأكد خروج البريطانيين ، وبدأت المحاولات الأمريكية الجديدة في فرض التسوية ولم تكن لتتم في ذلك الوقت إلا على حساب الأراضي المحتلة من إسرائيل ، وعلى حساب الأراضي المطلوب احتلالها ، ولذلك تحركت إسرائيل لمنع هذه « الكارثة » وذلك بالتحرش بمصر وسوريا ، لتأزيم العلاقات مع أمريكا ، وفسخ التحالف أو الارتباط المصري - الأمريكي ودفع البلدين إلى محالفة الروس ، وقد بدأت هذه المرحلة بمحاولة سخيفة هي المعروفة بعملية « لافون » ، ويبدو أن المخابرات الإسرائيلية تأثرت أو تشجعت بنجاح المخابرات CIA في مصر فأرادت

أن تنافسها بتخطيط وتنفيذ سياسة إسرائيل ، ولما فشلت فشلاً ذريعاً ، أعيدت إلى مهمتها الأصلية . وتولى ساسة إسرائيل والمؤسسة العسكرية التحرش بالنظام المصري ، وكانت غارة فبراير ١٩٥٥ ثم غارة ٣١ أغسطس ١٩٥٥ . . . إذ قام الجيش الإسرائيلي بمهاجمة مركز البوليس في خان يونس بقطاع غزة ، كما هاجم مواقع مصرية أخرى ، وكان عدد القتلى من جانبنا نتيجة هذا الهجوم حوالي خمسة وثلاثين قتيلاً وخمسة عشر جريحاً . ولم يقتصر الأمر على استفزاز وإحراج النظام « الوليد » بالاعتداءات وإنزال الخسائر بالقوات المصرية ، بل تجاوزها إلى ضم الأراضي . . . ففي ٢٠ سبتمبر ١٩٥٥ احتلت قوات إسرائيل منطقة العوجة المنزوعة السلاح . والمتحكمة في عدة طرق ، وكلها تؤدي إلى داخل الأراضي المصرية .

وبعد توقيع معاهدة الدفاع المشترك مع سوريا « شنت إسرائيل غارة على سوريا قتل فيها أكثر من خمسين جندياً سورياً » .

وانحصرت ردة الفعل في الصراخ بطلب السلاح من الأمريكان ، أو الاتصال بالروس ، ولم يخطر ببال القيادة الثورية أن تقوم بإجراء عسكري مضاد ، ويصعب تصور أن مصر كانت عاجزة حتى عن حماية مواقع الحدود ، ودعنا من الحرب الشاملة ! ومع التسليم بما أنزله النظام الثوري بالجيش من نصيبات ، وفرض المرضي عنهم بدلاً من المقاتلين والكفءات العسكرية ، وما نتج عن ذلك من إضعاف للروح المعنوية ، إلا أن الموقف السليم للقوات المصرية كان موقفاً سياسياً ، ينبع من الارتباط بالأمريكان ، ومن الخوف أو الرغبة الشديدة في تجنب المواجهة الشاملة مع إسرائيل .

ولو حدث رد فعل مصري مناسب . لاشتمل الموقف ولانضم إليه كل العرب ، ولربما . . . ربما . . . توصلنا إلى تسوية أفضل بكثير مما كان يرجو عبد الناصر بقبول القرار ٢٤٢ ومبادرة روجرز . . . أو على الأقل لخلقنا مناخاً عربياً ضد إسرائيل . . . ولكن السياسة المصرية ومستشاريها فضلوا تفجير القومية العربية من خلال معركة حلف بغداد . . . فكان أن حملت مرض الطفولة معها إلى أن ماتت بالسكتة في كامب ديفيد .

وقد وقع حدثان عاجلاً بإنهاء هذه المرحلة :

صفقة السلاح التي تصرف الأمريكان إزاءها « بتعقل » فلم يعارضوها ، مما أدى إلى نزع القنصل الذي كان يهدد العلاقات المصرية - الأمريكية ، وفي نفس الوقت زرع الديناميت الذي سيفجر هذه العلاقات . ولكنهم خرجوا مؤقتاً من مأزق الخيار بين إغضاب اللوبي الإسرائيلي بإعطاء عبد الناصر السلاح ، أو منع السلاح عنه وتدمير كل ما بنوه في مصر . وهذه هي كلمات السفير الأمريكي في مصر هنري بايرود : « إن كل ما بنيناه في مصر مهدد بالخيار ، وذلك بشهادة أو نقلاً عن هيكल ! » .

الأمريكان كانوا يسون في مصر طوال الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦ ونحن كنا نسجن
والبعض يُشتق بتهمة تعطيل مجهود الثورة في تصفية قواعد الاستعمار في مصر . .
تم إنفاذ الموقف بصفقة السلاح وبدأت أمريكا مساعيها لطرح تسوية سلمية ، أو
مشروعات تهدئة ، وتعاون مشترك تخفف التوتر وتفتح المجال الأكثر شمولاً . .
الحادث الثاني : هو تأميم القناة وقرار بريطانيا وفرنسا الحرب ضد مصر وما كانت إسرائيل
تضوت هذه الفرصة أبداً لفتح خليج العقبة وتخطيط الجيش المصري وتجهيد مصر
لفترة كافية لبناء قدرة إسرائيل لتحقيق أهداف المرحلة الثالثة .
ويقول موسى ديان إنهم في منتصف ١٩٥٥ : « أرسلنا وحدة متطوعين لاكتشاف طريق
بري إلى شرم الشيخ ، وهذا سهل مهمة اللواء الإسرائيلي المدرع الذي احتلها بعد عام
ونصف » .

وخطط إسرائيل من فتح خليج العقبة كممر مائي لإسرائيل تنافس به ونزول دور مصر
كحلقة الوصل المائية بين الشرق والغرب . . قديم منذ التفكير في إسرائيل ، ومنذ مشروع
التقسيم ، والإلحاح الذي تم على « ترومان » واستجابة المتهاك على إرضاء الصهيونية حتى
طلب من الوفد الأمريكي تليقونياً ضم الساحل لدولة إسرائيل في مشروع التقسيم المعروض
وقتها على الأمم المتحدة .

ولكن التطور الجديد عجل تنفيذ هذه الخطة ، فقد كانت - بحق - فرصة العمر . .
فإسرائيل كما قال موسى ديان « لا تضيق أية فرصة لضرب مصر » أو كما قال بن زوهار :
« كانت أزمة السويس أزمة طارئة وهي لم تغير خطط إسرائيل التي كانت ستهاجم مصر على
أية حال ولكنها سهلت لنا أهم مشكلتين : السلاح والخليف » . وهكذا قررت إسرائيل
المشاركة في الغزو وتنفيذ هدفها في فتح الخليج . . حتى وإن كان ذلك قد أدى إلى توتر
« مؤقت » في العلاقات مع الولايات المتحدة سرعان ما عاجلته القيادة المصرية ، بحملتها على
مشروع ايزنهاور . .

ونقف هنا لحظة عند رواية غريبة ينسبها هيكمل للرئيس ، نجعلنا لا ندري أحقاً يريد هذا
الرجل تمجيد عبد الناصر وتبرئة ساحته أمام الرأي العام العالمي ، أم العكس ؟ وخاصة أنه
أورد هذه الرواية في كتابه « عبد الناصر والعالم » الذي صدر بالانجليزية : الرواية نقول إن
الرئيس ايزنهاور بعث روبرت أندرسون إلى القاهرة في عيد الميلاد ديسمبر ١٩٥٥ وكانت
مهمته قد أبلغت إلى جمال عبد الناصر على أساس أنها « محاولة أمريكية للبحث عن أساس
للسلام في الشرق الأوسط » يقوم بها مبعوث خاص يمثل الرئيس ايزنهاور وكان قد أخطر أيضاً
بالرغبة في إبقاء هذه المهمة سرية ، حرصاً على توفير فرص النجاح .

« وكان اللقاء الأول بين الاثنين في بيت جمال عبد الناصر ، وطار أندرسون بعدها إلى
تل أبيب والتقى بن جوريون ، وتكررت رحلاته ثم عاد يوماً بمشروع للاتصال البري بين

المشرق والمغرب في العالم العربي يقضي بإعطاء طريق علوي قرب إيلات للعرب يمرون فوقه من سيناء إلى جنوب الأردن ونظر جمال عبد الناصر إلى خريطة قدمها أندرسون وفيها رسم للطريق العلوي الذي يستعمله العرب ، وتحت الطريق العادي الذي تستعمله إسرائيل إلى إيلات . وهز رأسه وقال لأندرسون إن المشروع لا ينفع ، وراح جمال يفند عملياً عدم جدوى ذلك الاقتراح ثم أضاف ضاحكاً : « لنفرض أن أحد رجالنا أحس بنداء الطبيعة وهو يمشي فوق الطريق العلوي ، وترك الطبيعة تأخذ مجراها . ثم نزل الرذاذ على سيارة عسكرية إسرائيلية تصادف مرورها على الطريق السفلي فإذا يحدث . . هل تقوم الحرب ؟ » ١٩٢٢

لم يشأ هيكل أن يقول الأسباب العملية الأخرى ، واكتفى بتلك القصة التي تقول لقراءه من الأمريكيين والغربيين ، إن الرئيس المصري « شيخ » على اقتراح المبعوث الشخصي لأكبر رئيس أمريكي ، والرئيس الوحيد الذي وقف ضد إسرائيل وأجبرها على الانسحاب من سيناء في خمسة شهور !!!

وهكذا نكسب الرأي العام . . !

وبالهجوم الإسرائيلي بدأت المرحلة الثالثة ، والتي كانت في جزء منها امتداداً للمرحلة الثانية ، فيما يتعلق بهدف نفس العلاقات المصرية - الأمريكية ، وهو ما تحقق بنجاح رائع عشية ١٩٦٧ . . كما تم تحييد مصر في المواجهة العربية - الإسرائيلية بإقامة « حاجز » القوات الدولية ، وما ترتب على ذلك من تمزق الجبهة العربية . . . واضاع عبد الناصر فرصة العمر في الهجوم على إسرائيل من ثلاث جهات .

ومن ٥٦ إلى ٦٧ أتاحت في هذه الفترة لعبد الناصر أكثر من فرصة لضرب إسرائيل ، سواء للتحرير أو للتحريرك أو حتى التسخين . . ولكنه لم يفعل . .

لم يفعل عندما كانت الجمهورية العربية المتحدة كالطوق أو الكماشة حول إسرائيل . . ولكن إسرائيل المطمئنة لاستحالة إقدام النظام المصري على خوض حرب ضدها ، ما دامت هناك فرصة واحدة لتجنب ذلك مهما كان الثمن ، اطمئناناً لذلك لم تقصر إسرائيل في التحرش والاستفزاز والضرب والكسب بل قامت بهجوم على سوريا في معركة التوافيق ، واكتفى عبد الناصر بطمئنة الأمة العربية بأن السوريين « ما يحبوش هزار » وأنهم ردوا على إسرائيل فوراً . . واحتفظ هو للجيش المصري وحده بحب « الهزار » . .

كانت فرصته لشن هجوم من سوريا حيث الجيش المصري والسوري كانا جيشاً واحداً ، وفرصة لسحب قوات الطوارئ ، وغلق خليج العقبة لأن إسرائيل معتدية . .

ولكن المواجهة مع إسرائيل لم تكن يوماً ما في خاطر عبد الناصر . . وظلت الجمهورية العربية المتحدة أو الكماشة قائمة ثلاث سنوات سقط خلالها نظام نوري السعيد ، وكان الجيش العراقي في الشهور الأولى على أتم الحفافة والاستعداد لخوض الحرب المقدسة لو فعل

عبد الناصر ولكنه لم يقدم بل لم يفكر . . مع أن الصحافة الغربية فسرت ثورة العراق على الفور بأنها تعني « زوال إسرائيل » ! . .

وتخيل هجوماً على إسرائيل في عام ١٩٥٨ أو مطلع ١٩٥٩ من الإقليم الشمالي والجنوبي والعراق عبر سوريا أو حتى الأردن . . هل كانت بقية الدول العربية ستأخر ؟ . . وهل كانت أمريكا ستحارب العرب أجمعين وهم في قمة التفافهم حول زعيم الأمة العربية ؟ . . وجاهير تلك الأمة - وكاتب هذه السطور منهم - على استعداد لتقديم حياتهم في سبيل صلاح الدين* ورهن إشارته ، أو كما كان عبد الحليم يغني له « جواهر الشعب تدق الكعب تقول كلنا حاضرين » ! . .

ولكن المارد العربي تفرغ للبحث عن جمال عبد الناصر في ثورة العراق وتأمين الشواف وتتبع أنباء رفعت الحاج سري . . وتدبير مؤامرة على إمام اليمن وسب خرشوف وايزنهاور معاً !

ثم تخطمت الكهانة ، لأن الفكر الثوري اكتشف أن تحرير الشعب السوري من الشركة الحماسية أفضل وأهم من تحرير فلسطين من النجمة السادسة ! . . وهكذا كان الانفصال من سوريا التي حملت جواهرها « صلاح الدين » بعربته على الأعناق ؟ . .

وفي سنة ١٩٦٤ وصل التوتر العربي - الإسرائيلي إلى إحدى قممه ، عندما أكملت إسرائيل مشاريعها للاستيلاء على المياه العربية ، وكانت فرصة إذا شاء عبد الناصر أن يوحد الصف العربي مرة أخرى على الأرض الطبيعية للوحدة العربية . . أرض المواجهة القومية والمصرية ، وخاصة أن الحكم في العراق كان قد انقلب مرة أخرى على ظهره الوحيد . . والسوريون هم الذين سعوا بظليون النجدة أو الإحراج . .

فإذا فعلت القيادة المصرية ؟

أخرجت من جعبة « الخاوي » فكرة مؤتمر القمة العربي . . أو المبادرة التي استجاب لها الحكام العرب . . بعد كل ما كبل لهم من تهم ومساب . . مما جعل كاتباً عربياً يسجل ذلك « كعار التاريخ » .

إلا أن هذه الاستجابة تؤكد أنه كان يتمتع بنفوذ لا مثيل له ، وقدرة غير محدودة في تجميع الإرادة العربية ضد إسرائيل لو شاء . . ولكن المواجهة الحقيقية كانت دائماً غير واردة في برنامجه أو تفكيره . بل لا نرفض مقولة ، أنه كان يستخدم زعامته العربية لمنع المواجهة مع إسرائيل .

وهكذا كان « مؤتمر القمة » حللاً بارعاً و لتنفيس ، الموقف لا تفجيره ولا حتى مواجهته ، واستطاعت هذه الضربة الباردة إعطاء العرب ثلاث سنوات يلهبون فيها بمؤتمرات القمة ،

* مع الاعتذار للبطل حامل مظلة أو حذاء صلاح الدين !

بعضها يعتقد بالإجماع ويفرح العرب ويفنون ، وينشد لها اليمينون الأشعار . . . وبعضها يتعجب منه هذا أو ذاك ويأسف العرب ويتصلون به لتطبيب خاطره . . . حتى وصلنا إلى النهاية وإسرائيل تضع اللصقات الأخيرة لضربتها الشاملة ، ونسي تماماً نهر الأردن ومياهه وأعلنت القيادة المصرية فشل مؤتمرات القمة ، ورفض حضورها لأنها تحولت إلى مظلة للرجعية تنقيها من شمس القومية العربية الحارقة ! . . .

الدعوة للقمة والدعوى ضد القمة لم تكن إلا تكتيكات في استراتيجية دائمة هي تفادي المواجهة مع إسرائيل . . . وقد نجحت هذه التكتيكات نجاحاً لا مثيل عليه . . . حتى قررت إسرائيل وقت ومكان المواجهة فاستدرجتنا إليها . . .

وفي ١٩٦٧ حشدنا كل الجيش المصري والاحتياطي في سيناء ، وتسابقت الدول العربية تطلب تذكرة في قطار المجد . . . وقال عبد الحكيم : رقبتي ياريس ووضع خطتين للهجوم ، واحدة يوم ٢٧ مايو ١٩٦٧ بما عرف باسم الضربة الأولى ، والثانية في شكل عملية محددة تستهدف الاستيلاء على إيلات والنقب الجنوبي . . . ورفض الرئيس الاقتراحين وقال : إن « قدرنا » هو أن نتلقى الضربة الأولى التي ثبت أنها الضربة الأخيرة . . . ومن بدلنا على ميزة واحدة « ممكنة » لمصر ، في تلقي الضربة الأولى ، ورفض خطة عامر في البدء بالهجوم فمن حقه أن يحرقنا فوق كتابنا هذا^{٢١١} .

قرر هيكمل بعد ذلك أنه سواء ضربنا أم انضربنا فهي خسارة . . . أي أن هزيمتنا كانت محتومة ، ورغم ذلك ، أم هل نقول وبسبب ذلك ذهبنا إلى الحرب وسعيماً إليها سعيماً أو بالأحرى وفرونا لإسرائيل كل مقومات الادعاء بأنها أجبرت على الحرب التي أرادتها هي^{٢١٢} .

وبعد ٦٧ . . . دخلنا في حرب الاستنزاف ، وهي كما يجمع كل المؤرخين اليوم كانت لأهداف سياسية ، وأدت إلى استنزاف مصر ، فالمعركة كانت تدور فوق مصر وليس في أرض إسرائيل . . . معركة بين مدن مصر مصانعها ومدارسها وبين المدفعية والطيران الإسرائيلي ! خسرتنا فيها ثلاث مدن مصرية وعشرات المصانع وخزانا وعدداً غير معروف من القتلى والجرحى المصريين . وقد بذل الرئيس عبد الناصر جهداً أثّر على صحته في إقناع الروس ببناء حائط الصواريخ حتى يتوقف الطيران الإسرائيلي عن اختراق المجال الجوي المصري خارج سيناء المحتلة ، ونجح فعلاً . . . ولكن ماذا كانت الخطوة التالية ؟ . . . هل صعد المواجهة بعدما أمن على الجبهة الداخلية من انتقام إسرائيل ؟

أبدأ . . . قبل وقف إطلاق النار وقبل مبادرة روجز أي قبول الدخول في سرداب المفاوضات من موقع المهزوم . . . ومات ووقف إطلاق النار ساري المفعول . من هنا فإن « البعض » الذي يقول بأن عبد الناصر لم يفكر قط في شن حرب ضد إسرائيل وأنه لو عاش ألف سنة لما فكر في ذلك ، يستلون إلى واقع ١٨ سنة . . .

أما الذين يقولون إنه لو عاش لشن الحرب على إسرائيل فإن العامة المصريين يقولون :
« لو » حرف تمحك ! ..

« ... مصر تطبق الخطة الدفاعية
المصدق عليها من سنة ١٩٦٦ واسمها
« قاهر » .. الخطة الدفاعية لا تعني
قيامنا بأي ضربات جوية أو غيرها .
أي أن الرئيس عبد الناصر ملتزم
بالخطة الدفاعية ويرفض الخروج
عنها . إذن قيامنا بأي ضربات يعتبر
خارج الموضوع . »

الفریق أول
محمد فوزی
قائد جيش عبد الناصر
والذي كان سيخذ الخطة بزاميت (جرانيت) !
(الوطن العربي ٤٨)

المراجع

- ١ - أمين هويدي : مع عبد الناصر - دار الوحدة - بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٠
- ٢ - ح رمضان ص ٧٠ - ٧١ المواجهة نقلاً عن جريدة المصري ١٩٥٢/٩/٢٥ .
- ٣ - ن - م عن برنامج هيئة التحرير عن المصري ١٩٥٣/١/٢٣ .
- ٤ - نصريح لعبد الناصر في كفر الدوار يوم ١٩ أبريل ١٩٥٤ عن المصدر السابق .

الملاحق

- ١٢ - لاحظ تحفظ حمروش ، حتى ذلك الوقت ، لأنه مع استقرار الثورة جرى التخلص من خبرة الضباط حتى لم يكن في القيادة العامة يوم ٦ يونيو ١٩٦٧ ضابط واحد يستحق أن يوصف بالكفاءة .
 - ١٣ - وإغفال قضية فلسطين أو إسرائيل من برنامج الثورة ، يعالجها حمروش ، ملطفاً بمهارته في التوفيق بين الروس ، فيفني أن الحركة اتعملت بسرعة فلم يتسع الوقت لوضع أي هدف عربي ، وبما أن فلسطين عربية فقد شملها الحذف !
 - ١٤ - هذا هو ما جعل أهداف الضباط الأحرار تخلو من الإشارة إلى القومية العربية وهو أيضاً ما جعل برنامج هيئة التحرير يأتي بلا أية إشارة إلى القضايا العربية وهذا لم يكن ابتعاداً عن عقيدة ، أو انصرافاً عن بقين (حلوه بالبن الشيع !) بل إنه كان نتيجة السرعة التي تمت بها حركة الجيش والاندفاع السريع المقاجبي نحو التحرك ،
- الله !

أمال هم ناروا ليه ؟!

- ٢٢ - هذه هي الرواية التي نقلها حمروش دون فهم فقير معناها تماماً .
- ٢٣ - شرحنا رأينا في الضربة المقترحة في كتابنا : النكسة والغزو الفكري ، ومجلة الحوادث .
- ٢٤ - وسؤال آخر نوجه لمن يرفعون قميص « المعركة » ليعطوا به عورة النظام الناصري نقول لهم هل سألتم أنفسكم عن السبب الذي منع فتح التحقيق الشامل في هزيمة ١٩٦٧ . . ؟ هل نساهلتم من هم الذين كانوا مع الجاسوس لوتز . . الذين سهلوا له مهمته ومكنوه من التغلغل في أعلى المستويات والوصول إلى أدنى الأسرار . . ؟ لوتز الجاسوس الإسرائيلي ، أو إن شئت أحد

الجواسيس الإسرائيليين الذين أهدوا مصر للهزيمة التاريخية جاءوا به في برنامج تليفزيوني أمريكي اسمه : « الموساد » . المتصر الإنساني . . . وقابلوه في بيته بإسرائيل وراح يفتخر كما سعد ما يكون رجل المخابرات الذي غير مصير منطقة ، وأنزل الهزيمة والعار بوطن حضارته تسبق التاريخ ، ولم يهزم ولا أقل على يد اليهود إلا على يد هؤلاء الذين باعوا الوطن بصندوق خمر أو شقة على النيل أو حقيبة ذهب في اليمن . . .

يفتخر لوتز بعارنا ، فيقول إنه كان إذا وصل إلى ميناء الإسكندرية وجد في انتظاره ضابطاً برتبة لواء وعربة لوري لإخراج حوائجه وصناديقه من الجمرتك بلا تفتيش . في وقت كان المصريون والعرب يفتشون تفتيشاً ذاتياً في دخولهم بل وخروجهم من مصر . . . (إلا العرب من عملاء شتى المخابرات المعادية الذين كانوا يحبطون يكمل رفعت وسامي شرف) .

يقول لوتز إنه جاء مرة من الخارج بسبعة عشر صندوقاً أخرجت فوراً بالإكرام والإجلال من جمرتك الاسكندرية ، كان منها ستة عشر ، هدايا المكابر الضباط والمسؤولين ، أما الصندوق السابع عشر فقد عيىء بأجهزة التجسس الإسرائيلية . . . كان ذلك في عام ١٩٦٤ والتنظيم الطليعي مشغل بمراقبة الإخوان إعداداً لأهم وأكبر انتصاراته . . . كشف مؤامرة الإخوان لاغتتيال فايزة أحمد !

وحكى لوتز : « إنه دخل مرة قاعدة صواريخ للتجسس فقبض عليه الجنود وصغار الضباط (الأشراف) ، فتحذاهم أن يتصلوا بصديقه الجنرال المشرف على مخابرات الصواريخ . . . وتم الاتصال ، وفوجيء القوم بالجنرال على الطرف الآخر من التليفون يقول ضاحكاً للوتز - الأجنبي الذي ضبط بمحاول التسلل لقاعدة صواريخ محظور دخولها على ضباط القيادة العامة إلا بتصريح وإجراءات أمن خاصة - فوجئوا بالمستول المصري الكبير جداً يقول ضاحكاً للجاسوس : هذه المرة أوقعت نفسك في ورطة كبيرة يا صاحبي ولن يخلصك منها إلا صندوق شمباتيا مقفول ، . . . وأمام الضباط والجنود المذهولين رد الجاسوس : شمباتيا مصري ولا فرنساوي ؟ ! صاح مثل ثورة يوليو والذي اتهمته عبد الناصر من بين الأربعين ملبوساً على صواريتنا قائلاً : بطل نبقي يهودي . . . وكان أن انصرف بالتعظيم والإجلال . . . »

هل تذكرون محاكمات أمن الدولة للمصريين . . . من خيرة شبابنا وأجلة شيوخنا يميناً ويساراً . . . قارنوها بمحاكمة هذا الجاسوس اليهودي الذي ساهم في صنع هزيمتنا المذلة . . . كانت معاملته أكثر من ودية ، ويقول إن صداقة قامت بينه وبين المدعي العام وأن مدعي عبد الناصر هذا طمأنه قبل المحاكمة أن رقبته في أمان !! بل وهناك واقعة غريبة بل أكثر من مريبة رواها لوتز فقد كان حريصاً خلال المحاكمة أن ينفي يهوديته لكي لا يحكم عليه بالإعدام ، وكانت السلطات المصرية متساهلة مع هذا الاتجاه وقبلت رواية أنه ألماني نازي تعرض لابتزاز إسرائيلي . . . الخ . . . وبدا أن كل شيء على ما يرام بالنسبة للجاسوس ولإسرائيل والمتجاوبين . . . وفجأة وقعت الحيلة . . . المدعي العام الألماني لسبب ما أرسل للسلطات المصرية تقريراً رسمياً - سرى بالطبع - أكد فيه أن لوتز ليس كما يدعي ضابطاً نازياً بل ضابط عامل في الجيش الإسرائيلي . . . فإذا بالسلطات المصرية تطلع الجاسوس على الضمير واسم مرسله ووظيفته !! ثم أشروا عليه بالحفظ ولم يعبروه اهتماماً . . . واهتمت إسرائيل طبعاً بالمسكين الذي حاول تبصير صهي القلوب والضمائر . . .

وهكذا قضى لوتز مدمر سلاح الصواريخ المصري وأحد صناع هزيمة يونية قضى عامين في السجن . . . والشيخ فلان أمضى ١٥ عاماً لأنه في صباه حفظ سورة الأنفال . . . أو غلبت الفتنة على عائلة معتزل سياسي فتبرع لهم ببضعة أرغفة . . .

أين شركاء لوتز . . . ؟

بل أين عملاء لوتز الذين مازالوا يدافعون عن هذا العهد . . . !

وأين كنت أنت يا حاج من أمن مصر القومي ولوتز يفسق فيه ؟!

أين كنت ؟

تكلم . . . فالتاريخ بالمرصاد .

وأخيراً هذا البهاء ناصري شيوخ الكويت الذي خرج علينا يزعم أن إسرائيل شنت حرب ٦٧

خوفاً من مصنع صواريخ مصري !! القاهرة والظافر ثان . . . يامن لا تستحون !

وهذا مقال أو جزء من تحليل كارثة ١٩٦٧ كتبه مقاتل شهيد المعركة الخاسرة وهو اللواء طه

المجذوب ، وأنا أطلب من القاريء أن يسأل نفسه . . . هل يمكن أن تقع كل هذه « الأخطاء »

صدفة ؟! وهل يمكن إذا قبلنا قانون الصدفة ، هل يمكن وصف القيادة التي ترتكب كل هذه

الأخطاء بأنها تعيش المواجهة مع إسرائيل ؟! . . . وهل مر على مصر عهد كانت فيه ضائعة الوعي ،

قاسدة القيادة ، نعمة الإرادة عاجزة عجزاً مطلقاً في مواجهة العدو القومي ، مثلما تدل معلومات

اللواء طه المجذوب عن وضع مصر في عهد عبد الناصر ؟!

ليكن العقل هو الحكم ، وحب مصر فوق أي التزام أو ورطة أو منفعة خاصة أو حتى جريمة يخشى

افتضاحها . . .

قال اللواء طه المجذوب :

« لعل من أبرز الأخطاء في نكسة يونية ١٩٦٧ بل ومن أهم أسباب الهزيمة العسكرية ، افتقار

القوات المسلحة المصرية في ذلك الوقت إلى وجود استراتيجية عسكرية واضحة المعالم محددة

الأهداف والأبعاد والوسائل . . . نابعة من استراتيجية شاملة للدولة .

وبالمقارنة العددية نشين أن إسرائيل قد تمكنت من تعبئة حوالي ربع مليون مقاتل أي بنسبة ١١٪

من إجمالي تعداد السكان تقريباً ، بينما كان هدف التعبئة المصرية استدعاء أقل من ١/٨ مليون مقاتل

من الاحتياط ، وتم فعلاً استدعاء ما يعادل ٦٠٪ فقط من الحجم المطلوب ، وكان يمثل حوالي

٣٠٪ من إجمالي تعداد الشعب .

لقد تحركت حشود القوات إلى سيناء في مشهد غريب يمتد على الطريق بين القاهرة ومنطقة قناة

السويس ، ومنها إلى جبهة سيناء . . . وفي علانية كاملة لم تأخذ من إسرائيل أي جهد لكي تحس بهائم

تتبعها عبورها وتتابعها عناصر استطلاعها البرية والجوية ولترصد كافة دقائق وتفصيل عملية الفتح

والانتشار المصرية .

بذلك يمكن القول إن بذور الهزيمة كانت قد غرست مبكراً قبل أن يبدأ القتال ، بل وأثناء عملية

الحشد ذاتها ، وأن القيادات السياسية والعسكرية العليا قد مهدت لهذه الهزيمة قبل أن تخوض قواتها

الحرب .

لقد أوقعت هذه الأوضاع مصادر المخابرات والمعلومات الأمريكية في حيرة . . ولكنها كانت موقنة . وهذا ما تم إبلاغه إلى إسرائيل . أن أوضاع القوات المصرية في سيناء لا تنم أبداً عن وجود أية نية للهجوم .

والأمثلة كثيرة وصارخة للمعاناة التي عانتها وحدات كثيرة من فوضى التحركات . . ومن النتائج المباشرة لهذه الظاهرة أن فرقة مشاة كاملة دفعت إلى منطقة رفح . التي لم تكن مجهزة للقيام بأي دور دفاعي رئيسي . ولم تكلف هذه الفرقة بمهمة محددة سواء كانت هجومية أو دفاعية . . وظلت هذه الفرقة في مواقعها الموقنة دون تجهيزات كافية لوقايتها إلى أن بدأ الهجوم الإسرائيلي وكانت هذه الفرقة أولى الضحايا حيث اكتسحتها المدرعات الإسرائيلية في خلال ساعات من صباح يوم ٥ يونيه ١٩٦٧ ، واستشهد قائدها .

ويعتبر اللواء ١٤ مدرع من الوحدات التي تعرضت لظروف مأساوية غريبة . حيث كانت التعليمات تصدر إليه بالتحرك يومياً منذ وصوله إلى سيناء دون هدف واضح أو مهمة محددة نتيجة لتخطيط التخطيط وتغيره بين لحظة وأخرى . وظل اللواء يحبب سيناء شمالاً وجنوباً . . شرقاً وغرباً في سلسلة من التحركات وكان ذلك آخر صباح يوم ٦ يونيه ، أي بعد بدء الحرب بأربع وعشرين ساعة . وقد تحرك هذا اللواء من المحور الجنوبي إلى المحور الأوسط في هذا اليوم لكي يدخل معركة شرسة مع المدرعات الإسرائيلية في منطقة الحمة ، بعد أن قطع ١٢٠٠ كيلومتر من التحركات على جنازير الدبابات ، فأصاب أفرادها الإرهاق الشديد واستهلكت معداته ودباباته في تحركات عشوائية ونظائرات لا طائل منها . . ورغم ذلك فقد أدار هذا اللواء معركة يسالة ، وأنزل بالمدرعات الإسرائيلية خسائر فادحة وعطل تقدمها على هذا المحور حوالي ٢٤ ساعة . . وقد جرح قائد اللواء في هذه المعركة .

أما اللواء الرابع المشاة فقصة أكثر عجباً . . كان هذا اللواء مخصصاً في الخطة الدفاعية « قاهر » للدفاع عن منطقة شرم الشيخ . . وكان من المحتم . بعد إغلاق مضيق تيران وبعد أن أصبحت الحرب على الأبواب . الإسراع بدفع هذا اللواء المجهز والمدرّب على واجباته والمعد لأداء مهمته إلى منطقة شرم الشيخ لتأمينها والدفاع عنها . . ولكن في خضم التخطيط العشوائي أرسلت إلى شرم الشيخ بعض وحدات المظلات .

ثم توالى التذعيبات التي لم يرد ذكر لها في الخطة الأصلية . أما اللواء المخصص هذه المهمة الحيوية فقد بعثرت وحداته الفرعية بشكل غريب . . فانتشرت كتابه فيما بين المحور الساحلي ووسط سيناء ومنطقة الفردقة على ساحل البحر الأحمر خارج سيناء . وهكذا تم تمزيق وحدة من الوحدات العالية الكفاءة ونشرها على مسافات امتدت أكثر من ألف كيلو متر . .

وأود هنا أن أؤكد بشدة على نقطة معينة خاصة بهذه التحركات . . فلم تكن هذه التحركات تتم بناء على أفكار محلية من قيادات الجبهة . . ولكنها جاءت نتيجة لسبل من التكاليفات والمهام والتعديلات التي كانت تتدفق على الجبهة من القيادة العامة بالقاهرة التي كانت هي الأخرى تنفذ تعليمات ورغبات سياسية وعسكرية تكلف بتنفيذها من القيادة السياسية والعسكرية العليا . هذا الحشد الهائل في سيناء لم تصاحبه تعليمات صريحة بتنفيذ خطة العمليات الدفاعية

الموضوعة ، بل إن كثيراً من الوحدات صدرت لها التعليمات بالتحرك إلى أماكن مخالفة لأماكنها المخصصة لها في خطة العمليات الموضوعة . . علماً بأن عملية حشد القوات في تسلسل المرحلة التفرعية للحرب عادة ما تشمل آخر المراحل التنفيذية لخطة عمليات موضوعة وجار تنفيذها وليس أولها . ولكن يبدو أن كل الأوضاع السياسية والعسكرية في ذلك الوقت كانت تعالج في غياب الحلول المنطقية بل والحتمية .

وقد كانت القوات في سيناء ترقب ما يحدث وتعجب له - وقد كنت أحد الضباط الذين شاهدوا هذه المرحلة في سيناء ، وكنت أشغل منصب رئيس أركان اللواء الثالث المدرع مع الفرقة الرابعة المدرعة - ودار كثير من الهمس بين القادة والضباط في سيناء حول حقيقة هذا الحشد .

وأن هذه المرحلة قد تميزت بنشاط حركي غير محدد ، إلا أنه لم يكن يعالج الموقف الحقيقي الذي بدأت قواتنا تواجهه في الجبهة ، بل كل يريده تعقيداً وإرباكاً . . دون اتخاذ الإجراءات الضرورية لتأمين هذا الحجم من القوات البرية ، وكذلك تأمين قواتنا الجوية في مطاراتها وقواعدها الجوية . . حيث لم تتخذ الإجراءات المناسبة لإعادة انتشار القوات الجوية والعمل على توفير وسائل فعالة لحمايتها في مطاراتها . . ومن الحقائق المتعلقة بالقوات الجوية وجود خطة وضعتها القوات الجوية لبناء الدشم والملاجئ اللازمة لحماية الطائرات . . ولكن لم تنجح هذه الخطة فرصة أن ترى النور لعدم توافر الاعتمادات المالية اللازمة لتنفيذها ، حيث كانت حرب اليمن تبتلع معظم ميزانية القوات المسلحة ، وذلك على حساب المطالب الجوية لتأمين الجبهة المصرية وتأمين أرض الوطن التأمين المناسب ضد عدو كان من الواضح أنه يترصد بمصر ويتنظر الفرصة الملائمة لمهاجمتها . وإن كان عدم تنفيذ هذه الخطة لا يعني قائد القوات الجوية من مسئولية عدم اتخاذ إجراءات الدفاع الجوي السلي الأخرى لحماية الطائرات كالانتشار والإخفاء والتعمية وأعمال إعادة التمرکز . . لقد أدت هذه الأمور إلى تدعيم القسم الأكبر من القوات الجوية أثناء الضربة الجوية الأولى . . ثم توالى بعد ذلك المفاجآت والمآسي .



وهكذا كانت إسرائيل قد أعدت جيشها وأصبح مستعداً لحوض الحرب بل كان مترصاً في انتظار الفرصة المناسبة . وهامى الفرصة الذهبية قد أتت . فكيف لإسرائيل أن تضيقها . . وقد جاءت إليها تطرق بابها ؟!

ومما زاد الطين بلة ، تلك الأوضاع القيادية الغريبة التي استحدثتها القيادة العامة أثناء تنفيذ عملية الحشد إذ صدرت تعليماتها بتشكيل قيادة ميدانية ومبسطة سميت بقيادة الجبهة الشرقية ، وذلك رغم وجود القيادة الميدانية الأصلية وهي القيادة الشرقية التي أصبحت قيادة الجيش الثاني الميداني ، كانت مستعدة ومؤهلة بكامل أجهزتها لأن تتولى القيادة والسيطرة الفعلية على القوات في سيناء أبي أن تمارس المهمة التي قامت من أجلها هذه القيادة والتي ظلت تمارسها سنوات طويلة قبل الحرب . وقد كلفت هذه القيادة الوسيطة بمهام قيادية وإشرافية على سير العمليات في سيناء ، وعين لها قائد برتبة كبيرة . . وقد ذكر وقتها أن هذه القيادة تعتبر قيادة أمامية أو متقدمة للقيادة العامة للقوات المسلحة . . وهو مفهوم غير سليم لهذه القيادة المتقدمة . . التي تدفع من داخل أجهزة القيادة العامة

إلى جبهة القتال عندما يتقدم القائد العام للقوات المسلحة إلى مناطق الجبهة لتابعة سير العمليات أو الإشراف على سيرها . ولكن ما حدث لم يكن يمثل أي شكل سليم من أشكال القيادة . فهذه القيادة لم تكن قيادة متقدمة للقائد العام كما لم تكن قيادة جبهة . . بالإضافة إلى ذلك فإن سرعة إنشائها وتكوينها جعلتها تعاني من نقص شديد في الأجهزة اللازمة لها وفي وسائل الاتصال الضرورية لممارسة أعمال القيادة والسيطرة وحتى في وسائل تأمينها محلياً .

كان ذلك يحدث وبسبب المزيد من الارتباكات والحلقات القيادية المتداخلة خاصة بعد أن دأبت القيادة العامة بالقاهرة على إضافة المزيد من التعقيدات المربكة باتباع أساليب غير طبيعية ولا تتفق مع أصول القيادة العسكرية السليمة ، وذلك بإصدار وتوصيل أوامر كثيرة إلى القيادات المختلفة على كل المستويات الموجودة على الجبهة . . حتى وصلت القيادة العامة إلى مستوى الاتصال المباشر بقيادات التشكيلات بل والوحدات . وهكذا فقد نظام القيادة والسيطرة - الذي يمثل عصب القوات المسلحة - معالته ومقوماته العملية وقدرته على التأثير في سير الأحداث . واختف القوت الطبيعية على القوات لتحل محلها عناصر دخيلة على نظام القيادة والسيطرة ، غير معروف دورها أو مسئولياتها أو سلطاتها تتدخل وتصدر الأوامر باسم القيادة العامة . . كما نشأت ظاهرة إفاد الكثير من ضباط الاتصال إلى الجبهة وإلى التشكيلات والوحدات باعتبارهم مندوبين عن القيادة العامة . .

ولعل المثل الصارخ الذي يعكس هذه المفاهيم السياسية الأمنية ويخلط بشدة بين مسألتي الثقة والخبرة في مسائل خطيرة خاصة بالقيادة العسكرية في زمن الحرب . . هو ما حدث قبل وقوع الحرب بعشرة أيام حين أصدرت القيادة العليا للقوات المسلحة تعليمات غريبة بتغيير عدد من كبار قادة التشكيلات الميدانية باخرين . علماً بأن هؤلاء القادة المستبعدين ظلوا يقومون بتشكيلاتهم لفترة طويلة وهم على دراية كاملة بخطط العمليات الموضوعية وبالمهام التي يمكن قيامهم بها . وأهم هذه التغييرات : تعيين قائد لفرقة مشاة كان رئيساً لمكتب المشتريات المصري في ألمانيا الغربية . كما عين رئيس أركان نفس الفرقة وكان كبيراً لمعلمي الكلية الحربية . أما قائد الفرقة الثالثة المشاة فقد استبعد وحل محله قائد الفرقة السابعة المشاة . الذي حل محله في قيادة الفرقة السابعة قائد مدرسة المشاة (نستحلف كل مصري شريف هل هذه يمكن أن تكون تصرفات جهلة أم خبراء يعملون بلا حياء لصالح إسرائيل ج) .

ومما لا شك فيه أن القيادة السياسية في مصر لم تكن تنوي القيام بأي عدوان على إسرائيل بالرغم من الحشود التي أرسلت إلى سيناء ، وبالرغم من إعلان قتل مدخل خليج العقبة . فخلال الأسبوعين التاليين لذلك لم تقع أية أعمال عدائية أو تحركات عسكرية من جانب مصر رغم انسحاب قوات الطوارئ الدولية ورغم مواجهة الوحدات المصرية للوحدات الإسرائيلية على طول خط الحدود .

وفي نفس اليوم الذي أعلنت مصر فيه قتل الخليج . يبدو أن القيادة العسكرية العليا أرادت أن تؤكد نواياها وأن تشعر إسرائيل بمدى الجدية التي تعنيها مصر باتخاذها هذا القرار ، مما قد يردعها عن الإقدام على أي عمل عسكري مضاد . . فأصدرت القيادة المصرية أوامرها بتحريك الفرقة الرابعة المدرعة التي تمثل الاحتياط الاستراتيجي الأخير للقيادة العامة إلى سيناء . وقد أثارَت هذه التعليمات

دهشة القادة خاصة عندما تم تعديل مناطق التمركز المخصصة لوحدات الفرقة في سيناء وفقاً للمخطة
« قاهر » دون إبداء الأسباب أو تحديد النوايا التي تطلبت مثل هذا التعديل الذي يعني أن الفرقة لن
تكون في وضع يسمح لها بتنفيذ المهام المخصصة لها من قبل ، نظراً لتغير مناطق التمركز السابق
تحديد لها . »

هذا هو الحشد الذي وصفه عبد الناصر في خطاب التحني بأنه « تم بكفاءة شهد بها الأعداء قبل
الأصدقاء » !

حقاً إن الرائد لا يكذب أهله . . ولكن البكباشي فعل حتى وهو يتنحى !
« والغريب أنه رغم هذا التأكيد على بدء إسرائيل الحرب في ظرف يومين أن نحي . معلومات
المخابرات في نفس اليوم ترجع عدم قيام إسرائيل بأي عمل عسكري هجومي ، نظراً « لصلابة
الجبهة العربية التي ستجبر إسرائيل على تقدير العواقب المختلفة المترتبة على اندلاع الحرب » .
وبعد . . بلادنا بيعت والخونة يرتعون ويحاولون العودة باسم الناصرية . .

فبراير ١٩٨٨

•• تم بحمد الله ••

كتاب قصة السويس الذي تطور إلى ملفات السويس والرد عليها . هيكمل الفائز بجائزة الملك فاروق ، والصحفي الوحيد الذي اتهم بإضعاف الروح المعنوية في ثلاثة عقود . محمد علي وعبد الناصر . الأصل والمسح . الموضوعية لا الحياد . عودة الناصرية . الجامعة الأمريكية مركز الفكر الناصري . عبد الناصر ولعبة المخابرات . أهداف ناصر وأهداف الـ CIA . ثورة لورنس وثورة روزفلت . حكاية علي صبري .

الفصل الأول :

التاريخ البلاستيك وهيكل

مقارنة بين كتب هيكل عن السويس . اختلاف فاضح في الروايات . الطبعة الانجليزية تعترف بأمرية ٢٣ يوليو . وتعلن أمريكا المنتصر في معركة القناة . تزوير حديث الملك عبد العزيز مع روزفلت . إخفاء أمريكا الإصلاح الزراعي . عرض مشوه للمحق العربي في فلسطين ووحدة وادي النيل .

أم الرشراش (إيلات) والشر على أمريكا . من أهدي التمثال لمن ؟ . . . فضيحة كروسيان . السفارة الأمريكية ترتب مواعيد ومقابلات الزعيم . أيزنهاور وإعدام الإخوان . خروج عزام باشا . أمريكا وإخراج مصر من الجامعة . أمريكا ضد حلف بغداد ولكن في الطبعة الانجليزية فقط . . البرج والتهامي وروزفلت . ناصر والحل الفلسطيني ٣ نصوص متعارضة !

بالعربي ناصر يرفض وبالانجليزي يسمى ! فضيحة القواعد في ليبيا - الملك فيصل والوثائق . هيكل ولقاء عبد الناصر . من منع التدخل البريطاني . رواية غريبة عن الغزو الإسرائيلي . هدف « تخريف الغضب » .

الفصل الثاني :

ثورتنا التي أجهضت

الأمريكان يسمون نظام يوليو : « المكينة » - مصر كانت حبل بثورة أجهضها الانقلاب - الملك ينذر بانحيار النظام ومهاجمة الانجليز - الوفد نصف الجسور مع الاستعمار - أربع محاولات للبرجوازية المصرية - كنا على وشك الانطلاق لولا الانقلاب - الإخوان والشيوعيون - حرب فلسطين - حكاية حرب المعصبات - الذين هزموا في الحرب وضعوا في السلطة - مذكرات سعد بين الابتزاز والاعتذار - دور مراج الدين وآمال الأمريكان في صلاح الدين - خطة الغزو ضد الوفد وليس ناصر - أمريكا تنصر : لا حل إلا إسقاط النظام - لماذا خلعوا « مصدق » وثبوا « ناصر » - موقف الوفد من حرب كوريا والدفاع المشترك -

الفصل الثالث :

في البدء جاء الأمريكان

١٢٣ - ٢٠٩

شهادات أمريكية الثورة - مخبراتي أمريكي يعلم ضباطنا الوطنية ! - مناورات لاخفاء
بداية العلاقة . تطور موقف هيكمل من كوبلاند - وحروش من هيكمل وأمريكا - سر الإفراج
وعدم الإفراج عن الأسرار - علاقة هيكمل وناصر - وثيقة رسمية أتت من ٤ فبراير - عزلوا
السنهوري وقتلوا البراوي . علاقة كوبلاند بناصر - لماذا ذهب هيكمل لظهران - التهامي وجل
عبد الناصر قبل السادات - سفير الثورة في أمريكا أمريكي -

الفصل الرابع :

حكاية أول زعيم

٢١١ - ٢٧٢

أول انقلاب كان في سوريا - المخابرات نفذ والخارجية تطنش !
هدف الانقلاب خط التابلاين والصلح مع إسرائيل . الزعيم وافق وإسرائيل رفضت .
ضباط ال CIA لا يقفون للزعيم ويعينون له سفراء ! . حضور روزفلت إلى مصر - اللقاء
مع التنظيم الناصري . فلسطين مستعدة . واشنطن سعيدة بثورة يوليو - أمريكا قبلت
وأقامت نظاما ديكتاتوريا في مصر - افتتاح ناصر المثال على المخابرات الأمريكية . الكانو
الناصري الذي رتبته ال CIA . المخابرات الأمريكية أقامت صوت العرب . ممثل ال CIA
هو المندوب السامي . شاهد النفي شهد بتجنيد ال CIA لهيكمل واكتشافها في ناصر عميلا
من طراز الشام . المخابرات الأمريكية علمت بحادث المنشية قبل وقوعه ! شهادة مثيرة .

الفصل الخامس :

الدبة والزعيم .. ورسالة مصطفى أمين

٢٧٣ - ٣٤٤

مصطفى أمين يعترف . لماذا اعتقل . أخبار اليوم صحيفة السراي والأمريكان فابن
هيكمل . الثلاثي : روزفلت - أمين - هيكمل . كل اللقاءات بعلم الرئيس . البوليس الدولي
فكرة ال CIA . علاقات كوبلاند مستمرة - دور ليكلاند في منع تدخل الانجليز - مصطفى
أمين وخلع نجيب . سر رفض عبد الناصر تصديق نزع الحرب . فؤاد حروف ورجال
ال CIA - فوائد العمالة . محبة الجواسيس . لا وثائق عن ٢٣ يوليو ولا حادثة المنشية .
استمرار محاربة الوفد . نجيب يستأذن السفير الأمريكي في شق العمل . وثائق ..
وثائق .. وثائق . لماذا اختفت أسماء التهامي وهيكمل ومصطفى أمين من الوثائق الأمريكية ؟
الانجليز ونجيب . الكنيسة مجلس الثورة يستأذن السفير الأمريكي في الاتصال بالانجليز .
لندن : نجيب أحسن ! واشنطن : عبد الناصر أعظم ! من نظم اضطرابات مارس . هيكمل
يصف مصر بالخذاء تتبادل أقدام الانجليز والأمريكان ! لماذا انهارت علاقة ناصر بأمريكا .
الفرق بين التعاون الإسرائيلي مع ال CIA والارتباط الناصري . سر الوثيقة المزعومة عن

اغتيال ناصر . المندوب الأمريكي أبلغ عبد الناصر بما دار في الاجتماع الوثيقة ! لو لم يكن عبد الناصر مرتبطاً بالأمريكان لتغير مصير الشرق الأوسط . معاداة بريطانيا بعد الجلاء كانت لحساب أمريكا . هل أراد ناصر تصفية هيكمل وأراد هيكمل موت عبد الناصر - من هم جمهور هيكمل . ابتزاز المعارضين ، لماذا رفض ناصر مقابلة أحمد بهاء الدين ١٨ سنة !

الفصل السادس :

كل القرارات لصالح إسرائيل

٤٠٦ - ٣٤٥

الضجة حول التأميم لإخفاء الهزيمة في سيناء . جهل في تعريف الحرب المحدثه . أهداف إسرائيل من عدوان ١٩٥٦ وتزييف هيكمل . لماذا نسفوا الخط الانجليزي . الخيانة الكبرى في منع المواجهة العربية الشاملة . في ٥٦ أضاع عبد الناصر - عن عمد - فرصة العمر لهزيمة إسرائيل أو على الأقل فرض حل لصالح العرب . رد منتهات هيكمل على اتهامنا . عروبة مصر فجرت ودعمت الثورات ونظام عبد الناصر أثار ضدنا الشوار والنظم . استراتيجية إسرائيل التي حققها ناصر إضعاف مصر وعزلها . عداء هيكمل لوادي النيل وسيناء . شبهات إسرائيلية يثيرها هيكمل حول ناصر . اتهامات ناصر وبين جوريون . ناصر واليهود يزرعون القنابل في القاهرة ! - عبد الناصر فتح قناة السويس لتجارة إسرائيل - وثائق خطيرة عن اتصال عبد الناصر بشخص داخل إسرائيل .

الفصل السابع :

انتصارات عبد الناصر وخسائر الوطن

٥٠٠ - ٤٠٧

باندونج . الحياذ الذي أرادته أمريكا . لمصر لا لعبد الناصر . حلف بغداد . الأكفوية والحقيقة . وثائق جديدة تثبت معارضة أمريكا لحلف بغداد وناصر كان ينفذ سياستها . الحملة على مشروع ايزنهاور أفادت إسرائيل . صفقة السلاح تمت بعلم وموافقة المخابرات الأمريكية . إسرائيل دفعت ناصر عمداً لشراء السلاح من روسيا - وناصر اشترى للتهدة لا للحرب .

تصرف غريب من محمود فوزي . استراتيجية إسرائيل : فحسم الارتباط المصري - الأمريكي . خرافة الإنذار . ايزنهاور يزيد تعامل مصر مع الروس . الذين يعادون صناعة السلاح العربية . رد مطول على هويدني وصحيفة التجمع . السد العالي . انذار أمريكي من مخاطره .

وثائق . . وثائق . . وثائق عن حلف بغداد وسقوط صلاح سالم واتفاق ناصر مع الأمريكان . دور السعودية في معارك الخمسينيات . نصائح الملك سعود واستفزات هيكمل . وساطة أمريكا مقبولة وطلب السعودية مرفوض ! . من أبلغ الأمريكان بالعرض الروسي ١٩

الفصل الثامن :

روسي وأمريكي ع الدفة !

٥٤٨ - ٥٠١

مفاجأة عزل جلوب . فكرة التأميم . لماذا محاولات تزييف الدور الأمريكي ؟ هيكل بيدل موقفه ثلاث مرات . أمريكا بكل إمكانياتها ضد بريطانيا وفرنسا . إنذار أيزنهاور ونحرشات الأسطول السادس وعقوبات نفط ومال . هل ضلل فوزي عبد الناصر . تحبط في القاهرة . فشل في مواجهة الغزو وإصرار على رفض توقعه . فضيحة هيكل مع منظمة أبوكا . من خلع جلوب . توقعوا سقوط الزعيم بسبب السد .

الفصل التاسع :

هزيمة في المعارك ونصر في الإذاعات

٦٠٢ - ٩٤٩

الزعيم في عيد الميلاد وإسرائيل في سيناء . سيناء سلمت خالية لإسرائيل والجيش أمر أن ينهزم . والطيران منع من توجيه ضربة العمر لمدن إسرائيل وأبنائنا تركوا في العراق بلا حماية ولا حتى أمر بالاستشهاد . منع الطيران خيانة نحتاج لآلف تحقيق . الجيش أراد الحرب والزعيم منعه . ديان ينسق هجومه مع تعليقات القاهرة . بقايا جيش محطم + تدمير صفقة السلاح + احتلال سيناء + فتح خليج العقبة = أعظم نصر لمن ؟ . بطولة الشعب . بطولات جيشنا لو تركوه يقاتل . لماذا تنازل عبد الناصر لإسرائيل وكل الظروف وكل العالم معه ؟ نتائج فتح الخليج . موقف ناصر من صدقي محمود . اتهامات فتحي رضوان للزعيم .

الفصل العاشر :

عبد الناصر وإسرائيل

٦٤٣ - ٦٠٣

عبد الناصر جاء للصالح مع إسرائيل . من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ لم يفكر النظام لحظة واحدة في مهاجمة إسرائيل . دمروا الجيش بالعزل والإفساد والإرهاب . لماذا استبقى ناصر عبد الحكيم بعد هزيمة ١٩٥٦ والانفصال ؟ ماذا فعلوا بستالين المتنصر وماذا يفعلون بالمنهزم ناصر . حذف فلسطين من برنامج هيئة التحرير ومطالبة البرنامج بالسلام مع إسرائيل . محمد نجيب يريد علاقات تجارية مع إسرائيل . ضباط الثورة أقل المصريين اهتماما بإسرائيل . اتصالات سرية مع إسرائيل . الإسرائيليون هم الذين رفضوا السلام وليس ناصر . رفض الهجوم على إسرائيل في عهد الوحدة . خطة ناصر : لا ضربات توجه لإسرائيل ! جاسوس إسرائيل في القاهرة .

ملاحظات اللواء طه المجذوب . بلادنا باعها الحقنة لليهود .

كلماتي للمُفْلِسِينَ

دراسة بالوثائق والوقائع المذهلة

مع النجاعة
من مؤلفات

محمد حيدر كسار

عن الجهاد والأقليات والأناجيل
دراسة نهم المسلم والمسيحي

خواطر مُسلم

الكتاب الذي أحالت النياحة مؤلفه
لمحكمة أمن الدولة العليا

خواطر مُسلم
المسألة الجنسية

موجود بالأسواق بعد الإفراج عنه بأمر المحكمة

مأساة عائشة وأحمد
مع الأتراك الشيوعى الصليبي

إنهم يُبِيدون
الاسلام
في بلغاريا

يصدر قريباً

امبراطورية النفط ..

استمرار السقوط ..

صدر للمؤلف

- ١٩٥٠ مصريون لا ضوائف
- ١٩٥١ الجبهة الشعبية
- ١٩٥٢ قانون الأحزاب
- ١٩٥٧ روسي وأمريكي في اليمن
- ١٩٦٠ شرف المهنة
- ١٩٦٤ الغزو الفكري
- ١٩٦٥ الماركسية والغزو الفكري
- ١٩٦٦ القومية والغزو الفكري
- ١٩٦٦ الحق المر
- ١٩٦٦ دراسة في فكر منحل
- ١٩٦٧ الطريق إلى مجتمع عصري
- ١٩٦٧ أخطر من النكسة
- ١٩٦٨ النكسة والغزو الفكري
- ١٩٦٨ ماذا يريد الطلبة المصريون
- ١٩٦٩ إبلي كوهين من جديد
- ١٩٦٩ الجهاد ثورتنا الدائمة
- ١٩٧٠ الثورة الفلسطينية
- ١٩٧٠ طريق المسلمين للثورة الصناعية
- ١٩٧٠ ماذا يريد الشعب المصري
- ١٩٧٠ ودخلت الحبل الأزهر
- ١٩٧١ النابالم الفكري
- ١٩٧٤ كلام لمصر
- ١٩٧٥ مغربية الصحراء
- ١٩٧٥ وقبل الحمد لله
- ١٩٧٦ منابع ثورة مابو
- ١٩٨٠ السعويون والحل الإسلامي
- ١٩٨٤ خواطر مسلم في المسألة الجنسية
- ١٩٨٥ خواطر مسلم : (الجهاد - الأقليات - الأناجيل)
- ١٩٨٥ كلمتي للمغفلين
- ١٩٨٥ إنهم يببدون الإسلام في بلغاريا
- ١٩٨٦ قيام وسقوط امبراطورية النفط

تطلب الكتب من المكتبات الكبرى بالقاهرة ومكتبة الساقى بلندن

تدبر عباد الله

تأليفه من

عبد الله بن عبد الرحمن

١٩٩٨

كتاب

وحي

شرف

تأليفه من

التربية

العلم

١٩٩٨

١٩٩٨

مكتبة

١٩٩٨

تأليفه من

تأليفه من

رقم

١٩٨٨ / ٣٢٧٩

١٩٩٨

مكتبة

١٩٩٨

١٩٩٨

١٩٩٨

١٩٩٨

تأليفه من

تأليفه من

تأليفه من

١٩٩٨

١٩٩٨

١٩٩٨

١٩٩٨

١٩٩٨

١٩٩٨

١٩٩٨

١٩٩٨

١٩٩٨

١٩٩٨

١٩٩٨

١٩٩٨

١٩٩٨



مطابع

١٤ شارع

مدينة نصر - ت ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦

القاهرة